



مجلة العلوم الإنسانية

علمية محكمة - نصف سنوية

Journal of Human Sciences

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب. ليبيا

Al - Marqab University- Faculty of
Arts- alkhomes

26

العدد

السادس

والعشرون

مارس 2023م

تصنيف الرقم الدولي (2710-3781/ISSI)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)

فهرس المحتويات

عنوان البحث

الصفحة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ

لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ)

(سورة النحل - آية 70)

هيئة التحرير	
أ. د. عبد السلام مهنا فريوان رئيساً	
د. أنور عمر أبو شينة	مديراً
د. فوزية محمد علي مراد	عضواً
د. عبد المولى محمد الدبار	عضواً
د. شعبان علي أبوراس	عضواً
أ. عبد الله محمد ضو	عضواً
د. أحمد مريحيل حريش	عضواً

الهيئة الاستشارية	
أ.د. أبو بكر إبراهيم التلوع	أ.د. محمد عبد السلام إيشيش
د. عمر سليم الأشهب	أ.د. العربي صالح اليسير
أ.د. محمد علي التركي	أ.د. محمود علي زائد
أ.د. سعيد البوسكلاوى	أ.د. عمر عبدالهادي عتيق

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب/ كلية الآداب الخمس، وتنتشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم الإنسانية.

كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي هيئة تحرير المجلة، ولا تتحمل المجلة أية مسؤولية تجاهها.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الإنسانية

مكتب المجلة بكلية الآداب الخمس جامعة المرقب الخمس /ليبيا ص.ب

(40770)

هاتف/واتساب (00218925217277 د. أنور)

(00218926861809 د. عبد المولى) - أو (00218926724967 د. أحمد)

البريد الإلكتروني: hsj@elmergib.edu.ly

قواعد ومعايير النشر

- تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة، التي تتسم بوضوح المنهج، ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية، والإنجليزية، والدراسات الإسلامية، والشعر والأدب، والتاريخ والجغرافيا، والفلسفة وعلم الاجتماع، والتربية وعلم النفس، وما يتصل بها من حقول المعرفة.
- ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة، على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.
- نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة، ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة التي تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.
- ترحب المجلة بعروض الكتب على ألا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين، وأن يذكر الباحث في عرضه المعلومات الآتية (اسم المؤلف كاملاً -عنوان الكتاب -مكان وتاريخ النشر- عدد صفحات الكتاب -اسم الناشر-نبذة مختصرة عن مضمونه - تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

- يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوي على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في إعداد البحوث.

- يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة، ولم يسبق أن نُشرت أو قُدمت للنشر في مجلة أخرى، أو أية جهة ناشرة، وأن يتعهد الباحث بذلك خطياً عند تقديم البحث، وتقديم إقرار بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلاً أو جزءاً من رسالة (ماجستير - دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

- لغة المجلة هي العربية، ويمكن أن تقبل بحوثاً باللغة الإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.

- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث، وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط إذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقاً محفوظاً للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بالإشارة إلى المجلة.

- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبِلَ للنشر أم لم يُقبل.

- تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن أن يرسل إلى محكم آخر؛ وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

- يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث، ويكون القرار إما:

* قبول البحث دون تعديلات.

* قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.

*رفض البحث.

- تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بأراء المحكمين ومقترحاتهم إذا كان المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم، وبعد موافقة الهيئة على قبول البحث للنشر قبولاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الأخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الأخذ بالملحوظات والتعديلات المطلوبة.
- ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي، ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطاؤه اللغوية الحد المقبول.
- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.
- الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة، كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.
- ترفق مع البحث السيرة العلمية (CV) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث، ودرجته العلمية، وتخصصه الدقيق، وجامعته و كليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الإلكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.
- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.
- تقدم البحوث إلى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، أو ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.
- إذا تم إرسال البحث عن طريق البريد الإلكتروني أو صندوق البريد يتم إبلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.

- يترتب على الباحث في حالة سحبه لبحثه أو إبداء رغبته في عدم متابعة إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

-عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية، ويجب أن يكون العنوان مختصراً قدر الإمكان، ويعبر عن هدف البحث بوضوح، ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

- أن يكون البحث مصوغاً بإحدى الطريقتين الآتيتين:

1-البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيراً قائمة المراجع.

2-البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها لمشكلة البحث مبيئاً فيها أهميته وقيمته في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط بما سبقها وتمهد لما يليها، ثم يختم الموضوع بخلاصة شاملة له، وأخيراً يثبت قائمة المراجع.

- يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة (A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة إلكترونية على (CD) باستخدام البرنامج الحاسوبي (MS Word).

- يجب ألا نقل صفحات البحث عن 20 صفحة، ولا تزيد عن 30 صفحة، بما في ذلك صفحات الرسوم، والأشكال، والجداول، وقائمة المراجع.
- يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والإنجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

- يُترك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الإنجليزية ومسافة ونصف بخط Simplified Arabic 13 للأبحاث باللغة العربية.

- في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي في الأسفل بشكل مختصر، كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب، ويكون الخط بحجم 12.

- يجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع.

طريقة التوثيق: يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل

صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).

- ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:

أولاً: الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المحقق، أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد - أن تعددت المجلدات -والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م، ج3، ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان: ج، ص.

ثانياً: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوباً بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكفاني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البديان بأكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثاً: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي-مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ/ 1995م، ص179.

رابعاً: الآيات القرآنية والأحاديث النبوية: تكتب الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني ﴿﴾ مع الإشارة إلى السورة، ورقم الآية. وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين «» بعد تخريجها من مظانها.

فهرس المحتويات

عنوان البحث	الصفحة
1- أسبقية التفكير بمبدأ الحتمية عند أبي الريحان البيروني مقاربات فلسفية.	
د. عبد الرحمن علي الزرقاني.....	15
2- مفهوم الرفق في القرآن الكريم والسنة النبوية (دراسة موضوعية)	
د. محمد عمر الشريف.....	41
3- قاعدة: (التصرف على الرعية منوط بالمصلحة) دراسة فقهية تطبيقية.	
د. علي عمر الزرقاني.....	86
4- بلاغة الخطاب الشعري ومكوناته عند الشاعر عبد المولى البغدادي رحمه الله تعالى	
د. خالد رمضان الجريوع - أ.صلاح الدين عبد القادر- أ. علي إبراهيم بن محسن	125
5- العنف الأسري ضد الأطفال وأثره على التحصيل الدراسي. ((دراسة وصفية لعينة من طلاب مرحلة إنهاء التعليم الأساسي بمدينة البيضاء	
د. أريج محمد منصور	152
6- ((مهارات الإدراك الحسي لدى الأطفال المصابين باضطرابات التوحد وسبل تعزيزها))	
د. أسامة عمر بن شعبان.....	197
7- مقاومة قبائل الأوسترياني للوجود البيزنطي في إقليمي المدن الثلاث وكيريناكي	
(363م-643م)	
د. عياد مصطفى اعبيليكة.....	238
8- الأحوال السياسية للعالم الإسلامي 627-646هـ/1229-1248م	
د.أحمد حسين الشريف - د.إمحمد إنويجي غميص - د.محمود عبدالمجيد مجبر	271

فهرس المحتويات

عنوان البحث	الصفحة
9- النفس الإنسانية عند الفارابي.	
أ - سالمة إشتيوي ناجي.....	322
10- آلية التعامل التجاري عند العرب قبل الإسلام.	
د. سالم عبد السلام عرفة.....	251
11- ظاهرة العنف الرمزي بين الشباب أسبابها - آثارها دراسة نظرية في علم اجتماع	
د: ميلاد إمحمد عريشة	373
12- شرح نظم "الذريعة إلى فهم مقاصد الشريعة" للناظم الشيخ الدكتور "فرج علي	
الفقيه"شرح وتعليق.	
د. جمال عمران سحيم.....	409
13- عداوة الشيطان للإنسان وكيفية النجاة منه.	
د . محمد حسين الشريف	446
14- السياق والمقام والموقف ومقتضى الحال "تعدد المصطلحات وتداخل المفاهيم"	
د. ميلود مصطفى عاشور	477
15- صياغة الخليل بن أحمد للمصطلح النحوي في معجمه (العين).	
أ. نورية صالح إفريج.....	506
16- مصطلحات الفراء في كتابه معاني القرآن ولسان العرب نموذجاً .	
أ.فائزة محمد الكوت.....	554
17-الخطاب القرآني الموجه إلى الرسول ﷺ دراسة صوتية دلالية(نماذج مختارة من	
القرآن الكريم).	
د. نجاه صالح اليسير.....	580

فهرس المحتويات

عنوان البحث	الصفحة
18- المصطلح النحوي في الأندلس اتِّباعًا وتجديدًا.	
أ. عبير إسماعيل الرفاعي.....	622
19- ابن الصائغ والمسائل الثلاث التي حَلَفَ ألاَّ يُفْتِي فِيهَا بِقَوْلِ مَالِكٍ.	
د: إمحمد عبد السلام الدعبوش.....	669
20- العلاج النفسي بإبطال الحساسية بحركة العين (EMDR) وإعادة المعالجة في التخفيف من حدة الصدمة النفسية الناجمة عن الإصابة بالسرطان.	
د. أحمد محمد معوال- أ. أمال سالم مسعود.....	710
21- تقييم الخدمات التعليمية لمرحلة التعليم الأساسي بمدينة الخمس	
د. ليلى حسن الأبيض.....	739
22- كنيسة جستنيان البازيليكا في مدينة لبدة الكبرى	
د. حميدة محمد اكتيبي.....	773
23- إدارة الجودة الشاملة كمدخل لتحسين أداء مدرء المدارس بالمؤسسات التعليمية في ليبيا	
أ. هدى محمد الهمالي.....	799
24- المصطلح النحوي . نشأته وتطوره-ارتباطه عرضا وتتبعاً	
أ. حنان علي بالنور.....	837
25- السياسة المالية في الدولة الموحدة	
د. أشرف حسين الفرادي.....	874

فهرس المحتويات

الصفحة	عنوان البحث
26	المنهج الفينومولوجي عند ادموند هوسرل
905	د. إسماعيل سالم فرحات.....
27	نماذج من شبهات المستشرقين حول اللغة العربية
939	د.سمية عبدالسلام عريبي.....
28	المكتبات العامة واثرها على المجتمع -المركز الثقافي الخمس نموذجا
960	د.خميس ميلاد الدزيري.....
29	واقع الخدمات التعليمية للتعليم المتوسط بمدينة الخمس
993	د. بشير عمران أبو ناجي - د. خالد سالم معوال.....
30	الأسباب القادحة في عدالة الرواة
1022	أ. هاشمي عبد السلام العالم.....
31	البطالة في ليبيا
1048	د. نورية محمد الشريف - أ. هناء أبو القاسم أبو ذينة.....
32	"Factors Influencing Listening Comprehension of First Year Students of English Language department, College of Arts, Al- Mergib University"
1070	Khalid Mohamed Edrah.....

أسبقية التفكير بمبدأ الحتمية عند أبي الريحان البيروني مقاربات فلسفية

إعداد: د. عبدالرحمن علي الزرقاني•

المخلص:

هدفت الدراسة إلى إبراز أسبقية البيروني لمبدأ الحتمية، وكسر الهالة التي وضعتها بعض الدراسات السطحية التي تؤكد بأن بدايات التفكير بمبدأ الحتمية بزغت معالمها مع فلاسفة الغرب في العصر الحديث.

وقد استخدم الباحث المنهج التحليلي، فنتبع النصوص الشاهدة على أسبقية هذا الفيلسوف للتفكير بمبدأ الحتمية، وتوصل الباحث إلى نتيجة مفادها؛ أن النسق الحتمي كان حاضراً في الكثير من الجوانب النظرية، والتطبيقية لفلسفة أبي الريحان البيروني، حيث كان هذا المبدأ حاضراً وفق أنساق وسياقات مختلفة، منها ما كان واضحاً وجلياً للفهم، ومنها ما كان يستشف من النسق العام للفكرة المطروحة، حيث كانت الحتمية حاضرة بشكل واضح في نظرية الأواني المستطرقة، وذلك من خلال تفسير البيروني لتجاذب أجزاء الماء بأنه يعود للجاذبية، والتي هي حتمية المبدأ، بينما نجد استخدامه لمبدأ الحتمية في الظاهرة التاريخية يفهم من سياقها العام. من جانب آخر نجد أن مبدأ الحتمية عند

• أستاذ مساعد كلية علوم الشريعة/ جامعة المرقب.

البيروني قد مثل التواجد المباشر عندما استخدم الجاذبية لتبريره كروية الأرض، رداً على المعتقدين الذين ادعوا بعدم بقاء الأجسام والأحجار على الأرض وسقوطها.

الكلمات المفتاحية: أسبقية التفكير. النسق الحتمي. سياقات. الظاهرة التاريخية. الجاذبية

Abstract:

THE AIM OF THE STUDY WAS TO HIGHLIGHT THE PRIMACY OF THE PERONI PRINCIPLE OF INEVITABILITY, AND TO BREAK THE AURA DEVELOPED BY SOME SUPERFICIAL STUDIES THAT CONFIRM THAT THE BEGINNINGS OF THINKING ABOUT THE PRINCIPLE OF INEVITABILITY HAVE EMERGED WITH THE PHILOSOPHERS OF THE WEST IN THE MODERN ERA, THE RESEARCHER USED THE ANALYTICAL METHOD, TRACKING THE TEXTS WITNESSING THE PRIMACY OF THIS PHILOSOPHER TO THINK ABOUT THE PRINCIPLE OF INEVITABILITY, AND THE RESEARCHER CAME TO THE CONCLUSION THAT THE INEVITABLE PATTERN WAS PRESENT IN MANY THEORETICAL AND APPLIED ASPECTS OF THE PHILOSOPHY OF ABU RIHAN PERONIAN. THIS PRINCIPLE WAS PRESENT IN DIFFERENT FORMATS AND CONTEXTS, INCLUDING WHAT WAS CLEAR AND CLEAR TO UNDERSTAND, AND SOME OF WHICH WERE

DISCERNED FROM THE GENERAL PATTERN OF THE IDEA AT HAND, WHERE THE INEVITABILITY WAS CLEARLY PRESENT IN THE THEORY OF POTS TOUCHED, THROUGH THE PERONIST INTERPRETATION OF THE ATTRACTION OF THE WATER PARTS AS DUE TO GRAVITY, WHICH IS THE INEVITABILITY OF PRINCIPLE, WHILE ITS USE OF THE PRINCIPLE OF INEVITABILITY IN THE HISTORICAL PHENOMENON IS UNDERSTOOD IN ITS GENERAL CONTEXT. ON THE OTHER HAND, THE PRINCIPLE OF INEVITABILITY IN PERONI WAS LIKE DIRECT PRESENCE WHEN GRAVITY WAS USED TO JUSTIFY THE SPHERICAL EARTH, IN RESPONSE TO THE TWO BELIEFS WHO CLAIMED THAT OBJECTS AND STONES WOULD NOT REMAIN ON EARTH AND FALL.

THE PRINCIPLE OF : PRIMACY OF THINKING:KEYWORDS
INEVITABILITY: CONTEXTS: HISTORICAL PHENOMENON: GRAVITY

المقدمة:

رغم أن أمر تتبع النصوص التي تعطي محددات مبدأ الحتمية عند أبي الريحان البيروني، كما جاءت عند فلاسفة الحتمية في الفكر الغربي تبدو عسيرة لسببين: أولها- اللغة الرمزية التي كان يكتب بها هذا المفكر في ذلك العصر.

ثانياً- الصعوبة التي أعترت الباحث؛ نتيجة للبحث بشكل شبه عشوائي في أغلب القضايا المطروحة في مصنفات أبي الريحان البيروني؛ محاولاً ملامسة ما يسند

به الباحث الحجة حول أسبقية البيروني في التفكير بمبدأ الحتمية، وهذا ما يجعل الباحث لا يقرأ الفكرة بشكل عام، ومن هنا يصبح الأمر عسير، وذلك في محاولة استنباط مبدأ الحتمية من نص ما قد يكون فيه البيروني تحدث عن قضية ليس لها علاقة بالحتمية في ظاهرها، غير أنه انطلاقاً من إيمان الباحث بقدرة ومعرفة البيروني في ذلك الوقت بالتداخل العلمي للقضايا العلمية؛ بات من المتوقع أن يصادف الباحث نص يستشف منه ما يدل على تبني هذا الفيلسوف لمبدأ الحتمية.

تكمن أهمية الدراسة في كسر الهالة التي وضعتها بعض الدراسات السطحية؛ التي تؤكد بأن بدايات التفكير العلمي الصحيح لمبدأ الحتمية بدأت معالمها مع فلاسفة الغرب في العصر الحديث، كما تهدف الدراسة إلى إبراز أسبقية البيروني حول تطبيق مبدأ الحتمية من خلال النظرية والتطبيق.

اعتقد الكثير من الباحث في المجالين النظري والتطبيقي أن مبدأ الحتمية بسياقاته وأنساقه المتعددة لم يرى النور إلا مع بزوغ العصر الحديث، مؤكداً بأن بدايات معالم هذا المبدأ تشكلت مع ديفيد هيوم، وتوماس هوبس، وإيمانويل كانت، ونضجت مع لابالاس، وأينشتاين.

غير أنه عند تتبع كتابات فلاسفة المسلمين؛ سنجد الكثير من المؤشرات التي تثبت أنهم كانوا سباقين في فهم مبدأ الحتمية، ولعل ما يؤكد ذلك النسق الذي اتبعه أبو الريحان البيروني حول مبدأ الحتمية السببية، واتخاذ موقفاً وسطاً بين الموقفين المعروفين للحتمية، أما عن الموقف الأول: الذي يرى أن جميع الحوادث المستقبلية محددة سلفاً، وستحدث ضرورة (وهو ما يعرف بالقدرية)، أما الموقف

الثاني: للحتمية والذي يرتبط أساساً بالمادية والسببية، وينطلق من التجربة والمشاهدة والتطبيقات العلمية.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل بإمكاننا إيجاد شروط التفكير بمبدأ الحتمية عند أبي الريحان البيروني؟ وإذا ما تحقق ذلك؛ فكيف كان نسق الحتمية عنده، في مقابل نسق الحتمية عند رموز مبدأ الحتمية عند فلاسفة الغرب؟ وهل أخضع البيروني الظاهرة العلمية للتفسير الحتمي المطلق؟

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي، وذلك بتتبع النصوص الشاهدة على أسبقية البيروني في التفكير بمبدأ الحتمية.

2- حتمية* القانون العلمي

تمثلت حتمية القانون العلمي عند أبي الريحان البيروني في تصديقه المطلق بما توصل له من نتائج وقياسات استأنس لها في العديد من دراساته التي قام بها طيلة مشروعه البحثي، ولعل ما يؤكد هذا هو قياساته لمسافات بعض البلدان،

* مفهوم الحتمية: في الاصطلاح الفلسفي تدل الحتمية على المعاني الآتية: أ- الحتمية بالمعنى المشخص: هي القول بأن كل ظاهرة من ظواهر الطبيعة مقيدة بشروط توجب حدوثها اضطراراً، أو هي مجموعة الشروط الضرورية لحدوث إحدى الظواهر، ب- الحتمية بالمعنى المجرد: هي أن يكون للحوادث نظام معقول تترتب فيه العناصر على صورة يكون كل منها متعلقاً بغيره، حتى إذا عرف ارتباط كل عنصر بغيره من العناصر أمكن التنبؤ به، أو إحدائه أو رفعه. ج- الحتمية بالمعنى الفلسفي: وهو مذهب من يرى أن جميع حوادث العالم، وبخاصة أفعال الإنسان مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً محكماً.

ووصوله لنتائج علمية دقيقة؛ اعتمدها كقانون يمكن تطبيقه في حسابات أخرى؛ للحصول على نتائج يقينية.

لقد كان البيروني يتعامل مع القانون العلمي باعتباره حقيقة علمية ينبغي التصديق بها وتعميم نتائجها، بل ويمكن تكرارها إذا توفرت شروطها، لذلك نجده "لا يدع موضوع حساب أو قياس المسافات، بل يتناوله بعد ذلك من الناحية النظرية وطرق الحسابات، ثم يطبق ذلك عملياً في المجال المحدود الذي عاش فيه، ثم يحاول جاهداً استنتاج أطول المدن الكبرى في العالم الخارجي مما رواه التقاة، عما بينها من المسافات"1، ليحاول بعد ذلك تعميمه كقانون علمي حتمي.

ولتأكيد التزام البيروني بمبدأ الحتمية في القانون العلمي نجده يرد على الذين يصفون ما يحدث في الطبيعة من شذوذ بأن ما يحدث ليس خروجاً على قوانين الطبيعة، بقوله "ولست أسميها بهذا الاسم، بل بخروج المادة عن اعتدال القدر"2، وهو تفسير علمي صحيح يتفق مع ما آمن به البيروني من حتمية القوانين العلمية، فتغيير مقدار كمية المادة، يغير من معادلة تركيبها طبقاً لذلك، ولكنه لا يغير من قوانين الطبيعة، "وهو ما يوضحه البيروني في موضع آخر حين يتحدث عن فعل الطبيعة، وسيطرة قوانينها على الأحياء، وعلى ما تحويه من مواد جامدة في الأرض والسماء"3.

1- محمد جمال الفندي، وإمام إبراهيم أحمد. أعلام العرب البيروني. (1957) ص89

2- البيروني. الآثار الباقية عن القرون الخالية، (1878) (المجلد 1ط). ليبزيج، ألمانيا. ص80

3- البيروني. تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة (المجلد 1ط). (1965). حيدرabad

الدكن، الهند. ص200

إن البيروني من العلماء الذين لا يعتمدون على المعرفة النظرية وحدها، أو الذين يسلمون بالحقائق دون التحقق منها، لهذا فهو في القانون المسعودي يطبق عملياً قاعدته الخاصة في حساب نصف قطر الأرض، وذلك حينما أراد أن يتحقق من قياس محيط الأرض الذي قام به بعض العلماء في زمن المأمون، لأن ما وصل إليه العلماء لا يمكن قبوله ما لم يتم تطبيقه عملياً، أو إجراء تجارب للتحقق من صحة نتائجهم، خصوصاً وأن البيروني كان يقول دائماً: "إلى التجربة يلتجأ في مثل هذه الأشياء، وعلى الامتحان فيها يعول"¹، يبدو أن البيروني كان مدركاً بأن الملاحظة التي هي بمثابة معرفة نظرية؛ لا يمكنها أن توصلنا إلى قوانين حتمية؛ لأن ذلك لا يتحقق إلا بإجراء التجارب للتحقق من صحة النتائج، والتي يتم بها اعتبار القانون حتمياً بشكل علمي.

في نفس السياق نجد الفيلسوف (باشلار) يؤكد هذا النسق الحتمي الذي اعتمده البيروني؛ حيث نرى الأول يقول: "ولو استطاع الباحثون الآن نسيان الدرس الفلسفي الأول لـ (علم الفلك) ونظروا إلى الظاهرة الأرضية أولاً في مظهرها المباشر، لاعترفوا بأن الملاحظة تكاد لا تقدر أن تعلمنا بالحتمية، وهذه النقطة في رأينا نقطة مهمة، لأن الملاحظة المباشرة لا التفكير ولا التجريب هي التي تقدم الأشكال النفسية الأولى، وبذلك يدركون ضرورة تعليم (الحتمية) عن طريق تصحيح الملاحظة بالتجريب، ويكفي الانتباه الفلسفي من أجل البرهان على أن الملاحظة المباشرة لا تتجب الحتمية: فالحتمية لا تربط جميع مظاهر الظاهرة

1- كارلو نلينو. علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى (المجلد ط1). 1911. روما،

ربطاً محكماً واحداً، ومن الواجب بالتالي إعادة تقسيم الفكر إلى (قانون)، وإلى اضطراب بصدد كل دراسة خاصة.

إن الخطوط التجريبية في دراسة صيرورة الظواهر تحفل هنا وهناك بأنواع من العقد، والحمية تنتقل من عقدة إلى العقدة التي تليها، من سبب أجدب تحديده؛ إلى نتيجة أجدب تحديدها⁽¹⁾.

وفق سرد تاريخ الحتمية الذي يوجب بل ويؤكد إرجاعنا إلى تاريخ علم الفلك كله،² لهذا فإن ارتباط أغلب أفكار البيروني بالرياضيات الفلكية يعد في اعتقادي تأكيداً على اتباعه للتفسير الحتمي. ونتيجة لتفوقه وتركيز تصنيفاته في إطار علم الفلك، والذي يعد خير معرفة تستطيع أن تقدم للفكر العلمي عادات أساسية، وأشكالاً، وهذه الأشكال إن لم تكن قبلية في الإدراك، فقد توصف بحق بأنها قبلية في التفكير.³ وقد لاحظ الباحثون غالباً أن دقة المقاييس الفلكية قد تؤدي لاكتشاف القوانين، وقد كان من الضروري أن تكون القوانين المكتشفة في بادئ الأمر بسيطة من الناحية الرياضية، حيث يكون عالماً منتظماً. وكانت الحتمية لا تستطيع أن تفرض ذاتها إلاّ بتوسط رياضيات أولية حقاً.⁴

1 - غاستون باشلار. الفكر العلمي الجديد (المجلد ط2). (ترجمة عادل العوا) بيروت- لبنان:

1983. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. ص106-107.

2- المصدر السابق: ص103.

3- المصدر السابق: ص104.

4- المصدر السابق: 105.

عندما وضع البيروني المعيار العام لصحة ودقة القانون العلمي المنضبط من الناحيتين، النظرية والتجريبية، فإن كافة قوانينه العلمية التي توصل لها؛ التزمت في سياقها مبدأ الحتمية، ذلك ما يمكن أن نلاحظه في قانونه للوزن النوعي للمعادن.

3- قانون الوزن النوعي للمعادن:

يمكن لنا أن نستشف مبدأ الحتمية في قياس البيروني للثقل النوعي، أو الوزن الذري للمعادن.

قبل كل شيء ينبغي لنا معرفة ما هو المقصود بالوزن النوعي للمعادن؟

الوزن النوعي للمعادن: هو عبارة عن النسبة بين وزن حجم معين من المادة، ووزن مساوي له من الماء المقطر في درجة حرارة 0.40. ولكن ما يهمنا في هذا المضمار ما هو النسق الحتمي في مجال قياس الوزن النوعي عند أبي الريحان البيروني؟

بما أن البيروني كان مؤمناً بحتمية القانون العلمي كما أشرنا سابقاً؛ لذلك فقد تمثل النسق الحتمي في هذا المجال في اتخاذ البيروني للياقوت الأكهف (كوحدة لقياس الوزن النوعي)، ودوناً عن غيرها من ألوان الياقوت، وهذا في حد ذاته يعد شكلاً من أشكال السير في طريق المبدأ الحتمي، أو ما يعرف بحتمية القانون العلمي.

تجدر الإشارة هنا إلى أن البيروني قد حدد لون الياقوت المستخدم في الوزن النوعي، لأن هناك ياقوت ذو لون آخر أقل كثافة، يقول البيروني في توضيح هذا القانون الحتمي في القياس النوعي: "وقد عملنا في هذا الامتحان مائياً* فقصرنا عليه مقالة تضمنت حقائقه، وأدى إلى أن الأكهب إذا كان في الوزن مائة، كان وزن الأحمر يساويه في الحجم سبعة وتسعين وثمان... وقد جعلنا وزنه المائة من الأكهب قطباً في قياس سائر ما عداه، وإليه نرجع كالرجوع إلى القانون.1" وحتى يضبط البيروني قانون (الوزن النوعي)، ويصبح علمي وحتمي ودقيق، صنع جهازه المخروطي المائي بنفسه، ويعتبر هذا الجهاز أقدم جهاز لقياس الكثافة النوعية، وكان البيروني يزن المادة التي يريد دراستها بغاية، ثم يدخلها بعد ذلك في جهازه المخروطي المملوء بالماء، ثم يزن الماء الذي تحل محله المادة التي دخلها، والذي يخرج من الجهاز بواسطة ثقب موضوع في مكان مناسب، فالعلاقة بين ثقل المادة، وثقل حجم مساو لها من الماء تحدد الثقل النوعي المطلوب.2، وانطبقت حتمية هذا القانون العلمي العام للوزن النوعي للمعادن بمراحله المنضبطة، لدى أبي الريحان البيروني على ثمانية عشر عنصراً مركباً، بعضها من الأحجار الكريمة،3 ويعد هذا شكلاً من المبدأ الحتمي، "مما دفع كثير من الغربيين (كجورج سارتون) و(الدوميلي) إلى التثناء على دقة نتائجه في تلك

* أي عرف الكثافة بتجربة مائية.

1- البيروني: الجماهر في معرفة الجواهر، دت (المجلد1). حيدرabad الدكن، الهند ص77.

2- المصدر السابق: ص77.

3- توفيق الطويل. في تراثنا العربي الإسلامي. الكويت، 1990 المجلس الوطني للثقافة والفنون

والآداب. ص213

التجارب، وقد استفاد (الخان) من تجارب أبي الريحان البيروني في هذا المجال.1

4-نظرية الأواني المستطرقة وملاحح التفسير الحتمي (الآلي)

إذا ما أردنا التحقق من إثبات أن البيروني كان سباقاً في التفكير بمبدأ الحتمية؛ الذي جاء بعده بحوالي عشرة قرون على أيدي العديد من علماء وفلاسفة العصر الحديث، فينبغي لنا هنا استحضار الأفكار العلمية لأبي الريحان البيروني، والتي يرى الباحث أنها تحمل في مضمونها النسق العام لمبدأ الحتمية.

يبدو أن أكثر الأفكار العلمية التي تحمل ملاحح التفسير الحتمي هي نظرية الأواني المستطرقة؛ التي قال بها أبو الريحان البيروني، والتي بنيت في نسقها العام على المبدأ الحتمي، والجدير بالذكر أن الباحث عادل البكري أشار إلى أنه "حين التدقيق والقراءة المتأنية والمفصلة لنظرية (الأواني المستطرقة) نجد أن البيروني قد ذكر نصوصاً تشير إلى عمل تلك النظرية، وتجاذب أجزاء الماء، واتصالها ببعضها، وانحدار الماء في الجبال بفعل الجاذبية الأرضية، وانبثاقه بفعل توازن سطح الماء مع المصدر.2 ولعل هذا التجاذب والاتصال الحتمي الذي أشار إليه البكري في نظرية الأواني؛ يعد شكلاً من أشكال التفسير الآلي الذي كان ينتهجه البيروني في بعض أنساقه.

1- العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي مصدر سبق ذكره، ص165 إلى 196.

2- عادل البكري. البيروني وأثره في تطور العلم العالمي. الندوة القطرية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب الموصل، 1990، مركز إحياء التراث العلمي العربي. ص148.

ولا يفوتنا هنا أن نشير بأن نظرية الأواني المستطرقة والتي كانت في شكلها العام تشرح الطريقة التي يتم بها خروج أجزاء الماء بفعل (الجاذبية)؛ لدليل في اعتقادي على اتباع البيروني مبدأ الحتمية، ذلك لأن الجاذبية آلية أو حتمية المبدأ.

يقول البيروني في ذلك: "وإذا كان ممسكاً للأجسام أمسك الماء، ولم يتركه يسيل إلاّ بعد أن يبادلّه جسم آخر، ثم إذا صُيّر أحد طرفيها في موضع أسفل قليلاً سال إليه ما في الآتية، وذلك أنه لما سفل صار أقرب إلى المركز، فسال إليه ثم اتصل السيلان بتجاذب أجزاء الماء واتصالها إلى أن يفنى ما في الآتية المجذوب ماؤها، أو يوازي سطح ماء المسيل إليها سطح الماء المجذوب، فتؤول المسألة الحالة الأولى، وعلى هذا المثال عمل في الجبال بلى قد يصعد الماء في الفوارات من الآبار بعد أن يوجد فيها مياهٌ فوارَةٌ...."1.

في النص السابق لأبي الريحان البيروني نجد فيه ما قال به نيوتن في قانونه الثالث فيما بعد، والذي قال فيه: "بأن لكل فعل رد فعل يساويه في القوة ويعاكسه في الاتجاه"2

ولكن قد يعترض أحدهم بالقول إن نظرية أبي الريحان البيروني (الأواني المستطرقة) لم تكن إلاّ ابتكارًا كسائر الابتكارات الأخرى في كتاباته، والتي قصد

1- البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية، (المجلد1). ليبيزيج، المانيا. 1878، ص363.

2- الخولي، فلسفة العلم في القرن العشرين. الأصول الحصاد الآفاق المستقبلية، 2012، القاهرة:

مؤسسة هنداوي. ص 81

بها مقاصد أو غايات متعددة، وهذا بدوره يجعل البيروني هنا وفي هذا الإطار في نسق التفسير الغائي، والذي يبعده عن التفسير الحتمي الآلي للظاهرة!!.

غير أن الباحث يعتقد أن انتقال البيروني من التفسير الحتمي إلى التفسير الغائي للظاهرة؛ لأنه كان يبطن معتقداً دينياً توحيدياً، حيث إنه لا يستطيع أن يساير مبدأ الحتمية العلمية بالشكل المطلق، ويهمل القدرة الإلهية، والتي يبرر لها التفسير الغائي، والتي كانت بارزة في استشهاده بالآيات القرآنية في أغلب آرائه العلمية.

لعل ما يؤكد التزام أبي الريحان البيروني بالمعتقد الديني، ودون إهمال التفسير العلمي إنقاذه لرجل من القتل بسبب مشاهدة قد رآها بعينه، ولم يصدقه فيها السلطان، لغزابتها، "فقد ورد رسول من أقصى بلاد الترك على السلطان خوارزمشاه" وحدث بما فوق الأرض، بحيث يبطل الليل" ويستمر النهار أمداً طويلاً، ولم يصدقه خوارزمشاه، ورماه بالإلحاد والقرمطة. 1 ولم ينقذه سوى ذكر البيروني للآية الكريمة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِنًّا﴾².

هكذا فإنه قد غلب على أعمال البيروني مفهوم التوحيد، بل إنه وجد أن هذا المفهوم يجب أن ينتظم كل أعماله العلمية، حيث إن هذا المفهوم له جذور حقيقية في نواميس الكون، بل إن هذه النواميس ما هي إلا صورة من صورته، ويبدو هذا

1- ياقوت الحموي. معجم الأدياء. القاهرة: 1936، دار المأمون. ص189- 190

2- سورة الكهف، آية 90.

ما جعل حتمية البيروني تكون مرنة، أو ناعمة في بعض نظرياته في سياقها العام، لهذا نجد البيروني لا يستطيع أن ينسلخ من إيمانه بوجود قدرة إلهية فاعلة، والتي لا تتعارض عنده مع وجود قوة أودعها الله أو (قوانين علمية) في كل ما نلاحظه، والتي تظهر لنا في صورة هذه القوانين العلمية الحتمية.

5- الحتمية الناعمة أو المرنة للتاريخ:

من المعروف أن فكرة الحتمية تنقسم إلى اتجاهين، باعتبار الموقف من حرية الإرادة، فهناك الحتمية الناعمة "SOFT DETERMINISM" التي تؤمن بامتلاك الفرد لدرجة ما من الحرية في جزء كبير من أفعاله، والحتمية الصلبة HARD DETERMINISM والتي تنكر أي نوع من حرية الإرادة¹، يتبنى البيروني النوع الأول (الحتمية الناعمة). أو ما يطلق عليها عند البعض الحتمية المرنة.

لعل دراسة التاريخ لا تقتصر على أخبار الماضي، بل تتجاوزها لتتعمق أيضاً بأحداث الحاضر، وربما أيضاً تصل أحياناً إلى استشراف المستقبل²، تتجلى المرونة في حتمية الحدث التاريخي عند (ساخاوي) حينما أكد على هذه الظاهرة، معتبراً أن كلمة تاريخ تفيد القصص عن أحوالهم في ابتدائهم (الماضي) وحالهم (الحاضر) واستقبالهم (المستقبل).

1- Keil G . ((2008)). Encyclopedia of Neuroscience .

2- فتحي التريكي: ابن خلدون والزمنية التاريخية العربية. مجلة الحياة الثقافية. 1992، ص73-

نجد البيروني قد مارس حقيقة الحتمية التاريخية الناعمة هذه من حيث اتصاله بالحاضر (التاريخ الحضورى) وذلك من خلال كتابه الهند، أي التاريخ الذي يكون موضوعه الحاضر في شبكة علاقاته بالماضي،¹ وفق ذلك كان البيروني يقرأ الحدث التاريخي بأكثر مرونة، وأن الحدث التاريخي يُقرأ وفق حتمية ناعمة، لا تكون فيها الأحداث التاريخية الماضية أحداث مطلقّة التصديق، أي لا ينظر لها بأنها حتمية صلبة، بل تخضع للتحليل والمرور من خلال الحدث الحاضر؛ لفرزها والتحقق منها؛ "ذلك لأن ما يقال (الماضي) قد تطاله الألسنة لطول المدة، لذلك ليس أفضل من المشاهدة (الحاضر)"²، حتى نصل إلى قانون علمي للحكم على الحدث التاريخي.

هنا ينبغي أن ندرك بأن ما أشار إليه البيروني من (ارتباطه بالحاضر في فهم وتقييم الماضي) قد تجلّى مؤخراً للعالم الجيولوجي الإسكتلندي (تشارلز لايل) (1796/1729) في العصر الحديث، فنرى هذا الأخير يؤكد بعد أكثر من سبعة قرون لهذا النهج، حيث يقول: "فمن أجل أن نفهم ما كان يحدث في الماضي علينا دراسة ما يحدث حالياً". (عاكف، 2011).

إذن فمع البيروني تغيرت الفكرة وأصبح ينظر للمعرفة التاريخية بأنها ليست تلك التراكمات الماضية، يعني أنها أصبحت أكثر من مجرد تذكّر للماضي، أو سجل

¹ فتحي التريكي، الفكر التاريخي العربي والمنهج العلمي البيروني، مارس- أبريل 1987، مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة الجزائرية. ص174.

² حمادي السايح: الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية)، جامعة وهران. 2013، ص94.

لإحداث هذا الماضي القريب منه أو البعيد، ونكون مقيدين لهذه الأحداث الماضية، بل إن الكتابة التاريخية باتت تتحرك من وعي جديد في ظل رؤية جديدة للزمن التاريخي،¹ نلاحظ هنا أن البيروني قد وظف علم الفلك والرياضيات والهندسة في حقل القضايا التاريخية، كل ذلك يعود إلى إيمانه بتداخل العلوم، لهذا كانت الدقة تكسو نظرياته وأفكاره.

تجدد الإشارة هنا إلى أن البيروني قد انتزع صبغة الضرورة من الحدث التاريخي الماضي، وبهذا يكون قد نبه قبل (ديفيد هيوم) من نزع الضرورة في العلاقة بين السبب والنتيجة.

إن الضرورة التي نقصدها هنا والتي رفضها البيروني في مجال بحثه؛ هي الالتزام الأعمى بمجارات أحداث الماضي؛ دون فرزها أو إخضاعها لمعاينة ومشاهدة الحاضر، كيف لا، وهو الذي يقول: ولم تسكن نفس إلى غير المشاهدة.² وفي نفس السياق نجد (ديفيد هيوم) قد رفض الضرورة نفسها التي رفضها البيروني، وبهذا لم يكن هيوم هو أول من أحدث مشكلة الاستقراء برفضه لهذه الضرورة، رغم أنه تميز بإسناده سبباً علمياً لحدوث هذه الضرورة؛ فرأى أنها تعود إلى مجرد تهيؤنا لملازمة السبب للمسبب، فلحقت عندنا عادة نفسية بحتمية مطلقة، وضرورية لوقوع الحدث أو المسبب.³

1- المرجع السابق: ص 90

2- البيروني: القانون المسعودي، حيدر باد، الدكن، الهند، 1952، ص 364.

3- فاروق عبد المعطي: أعلام من الفلاسفة ديفيد هيوم الفيلسوف الأديب (المجلد 1) بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 1993، ص 49.

هنا يمكننا أن نقول بأن البيروني كان يعي دور الحاضر في فهم الماضي، والنهوض بالمستقبل.1 هذا يعني أن البيروني بتفكيره في المستقبل قد فتح المجال للتنبؤ.

خلاصة القول: إن البيروني قد قال بحتمية الحاضر على الماضي، فأحداث العالم الحالية لا تتوقف عنده على أحداث الماضي، بل العكس، فالمشاهدة عنده هي المعيار في تقييم الحدث التاريخي، ذلك المعيار المتمثل في تقييم الحدث من خلال المعاينة والمشاهدة، وهنا نجد حتمية البيروني لا تقيد الفعل الإنساني كما عند حتمية (لابلاس 1748-1827)*، لهذا كانت حتمية البيروني مرنة أو ناعمة، تعطي للإنسان دور في تغيير الحدث؛ من خلال ما يوجده من دعم من المشاهدات.

لقد التزم هذا النوع من الحتمية في القضايا النظرية والتطبيقية، فجاءت أفكاره منضبطة ومتناسقة مع تطبيقاته العلمية، مما حققت نتائج مبهرة، وسابقة لعصرها في شتى المجالات العلمية.

1- حمادي السايح ، الفكر التاريخي بين التطوير والتتظير عند البيروني(دراسة تحليلية)، ص94. * يقول "بيير سيمون لابلاس" عن الحتمية في كتابه "دراسات فلسفية حول الاحتمالات" علينا إذن أن ننظر إلى الحالة الراهنة للكون على أنها نتيجة لحالته السابقة، فإن هذا الفكر لن يجد أي شيء غير حتمي، وسيكون المستقبل والماضي ماثلين أمام عينيه.

6- نقد بطليموس والطريق إلى حتمية الجاذبية:

كان الاتجاه في طريق الحتمية عند أبي الريحان البيروني يأخذ مسارات عدة، مثل أحد هذه الطرق فرضه العلمي الصحيح الذي فسر به نظام المجموعة الشمسية، والذي كان أقرب إلى القوانين العلمية الصحيحة حديثاً، فكان يعتقد أن الأرض كروية الشكل، وقد برهن على ذلك بأساليب تجريبية ومشاهدات عيانية؛ ليدعم رأيه ويؤكد فرضه هذا.

أعطى هذا الفرض العلمي الدقيق والصحيح المجال للبيروني أن يسير في إطار (حتمية أو آلية قانون الجاذبية) المرتبط بفرضه العلمي كروية الأرض والسماء، ذلك أن فرضه العلمي الصحيح المتمثل في كروية الأرض؛ والذي ينص على استدارة الأرض ودورانها حول نفسها وحول محورها، قد جابهه اعتراض يقول بأن هذا غير ممكن التحقق - المقصود هنا دوران الأرض - لأن بالاستدارة والدوران سيقع كل شيء من على سطح الأرض.

ساق البيروني الفرض العلمي الذي يقول بحركة الأجرام السماوية الحركة اليومية الدائرية، وأسنده باستدلالات العالم المسلم (السجزي) على صحة رأيه فيقول: "وأما أنا فقد شاهدت أحد من مال إلى نصرته هذا الرأي من المبرزين في علم الهيئة، ولم يلزم نزول الثقل من الأرض على القطر عموداً على وجهها على زوايا مختلفة"1، وهذا بطبيعة الحال يتفق مع وجهة النظر الفلكية الحديثة، فمن المعروف أن الأرض لو كانت ساكنة وسقط حجر من علو شاهق لأتخذ مساراً

¹ - البيروني: القانون المسعودي، ص 50

رئيسياً يمتد إلى مركز الأرض. ولكن إذا كانت الأرض متحركة أصبح للحجر سرعتان إحداها سرعة الهبوط رأسياً نحو المركز، والأخرى سرعة أفقية مكتسبة من حركة الأرض، وتكون النتيجة وصول الحجر منحرفاً نحو المشرق.

هذه التجربة العلمية الدقيقة التي يجريها المسلمون منذ ألف عام للبرهنة على صحة فرضية دوران الأرض حول محورها، لم يقم بها علماء الغرب في الفلك إلا حديثاً بما لا يزيد عن قرنين ونيف، يقول البيروني موضحاً: "لأن الرجل رأى للثقل المنفصل عن الأرض حركتين: إحداها دورية لما في طبيعة الجزء من ثقل الكل في خواصه، والأخرى مستقيمة لانجذابه إلى معدنه"1.

والبيروني في أثناء شرحه لدوران الأرض حول محورها يكشف عن (قانون الجاذبية) قيل أن يكتشفها نيوتن في القرن السابع عشر، وإن لم يتوصل البيروني إلى صياغة هذا القانون بشكل رياضي كما فعل (نيوتن)، فقد أدرك البيروني هذا القانون وحتمية حدوثه، وأنه خاصية أو صفة طبيعية أودعت في المادة لتعمل ذاتية على تجميع شتاتها في صعيد واحد، هذا يدل على أن البيروني كان يسير من خلال قانون الجاذبية نحو التفكير (الحتمي المرن)؛ لأن رأيه بأن الجاذبية وتحققها نتيجة لخاصية طبيعية "أودعت" في المادة، ذلك حتى يعطي البيروني لنفسه الفسحة أو الصبغة الدينية لتفسيره، حيث كان يعطي أهمية ودور كبير لإرادة الله في تفسيره للقوانين العلمية التي يكتشفها، فهو لا يستطيع أن يتنصل من ثقافته الدينية الإسلامية التي نشأ عليها.

1- المصدر السابق: ص50.

ينبغي الإشارة هنا إلى أن نيوتن لم يكن له فضل في قانون الجاذبية سوى أنه ساق هذه الصفة الطبيعية للأجسام في صورة قانون رياضي يقول: "إن كل جسم مادي يجذب أي جسم آخر يجاوره ليضمه إليه بقوة تتناسب مع حاصل ضرب كتلتها"¹.

وعند مناقشة البيروني لأفكار الهنود في حتمية قانون حركة الأجرام السماوية في كتابه (تحقيق ما للهند) يقول على لسان المعترضين على دوران الأرض حول نفسها: "إن الأرض لو هكذا دارت إذاً لطارت الأحجار واقتلعت الأشجار" ويفند البيروني هذا مذكراً بأن: "قوة الجاذبية الأرضية تمسك كل ما عليها نحو مركزها". ويعود ليؤكد هذا المعنى حيث يقول: "والناس على الأرض منتصبو القامات على استقامة أقطار الكرة وعليها أيضاً تزول الأثقال إلى أسفل"².

وفق هذا الطرح السابق فإن اعتراض البيروني على عدم التسليم بما جاءت به نظرية (بطليموس) ونقده لها؛ ليتبنى موقفاً علمياً مغايراً تمثل في أن الأرض ليست هي مركز الكون،³ وهي ليست مستوية بل كروية، هو ما فتح له أفقاً علمياً جديداً سار من خلاله إلى طريق القانون الحتمي للجاذبية، حيث نلاحظ إنه عندما برر للمعترضين الهنود على عدم سقوط أو طيران الأحجار، واقتلاع الأشجار من على سطح الأرض حينما تدور؛ إلى قانون الجاذبية الأرضية، والتي تمسك كل ما عليها؛ أي الأرض.

1- محمد جما الفندي: الصعود إلى المريخ. دار المعارف. 1957، ص34.

2- البيروني: القانون المسعودي: ص22

3- يمنى طريف الخولي، بحث في تاريخ العلوم عند العرب، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2017،

وهكذا كانت تفسيرات البيروني لتبرير حقيقة علمية الطريق لاكتشاف حقيقة علمية أخرى سبق بها علماء العصر الحديث بزمن تجاوز القرنين.

تجدر الإشارة أن الدكتورة يمى طريف الخولي قد وقعت في مغالطة في أحد أبحاثها حينما أشارت بأن البيروني قد رفض حركة الأرض... ورفض تماماً كروية السماء، وأردفت قائلة بأن البيروني اعتبر الأرض هي مركز الكون أو قريبة منه، وذلك اتساقاً مع نظرية بطليموس التي عمل بها هو وكل معاصريه.1.

فيما يتعلق بذكرها؛ أي الخولي في رفض البيروني لحركة الأرض، كان في اعتقادي مجرد رفض مبدئي للبيروني؛ وذلك لغياب الشواهد عنده في ذلك الوقت، "في حين نجده في موضع آخر يسوق رأي عالم عربي كبير لم يذكر اسمه أكد فيه مستنداً على البراهين والأدلة، وما ساقه من استدلالات تدل على اقتناعه بحركة الأرض"2، وهي استدلالات أخذ بها في العلم الحديث.

ولا شك هنا بأن الخولي قد صاغت موقفها من أن البيروني رفض كروية السماء بناء على فرض لم يتحقق منه البيروني، وغاب عنها أن كتاب البيروني القانون المسعودي والذي كان يحتوي على الكثير من القضايا العلمية، قد جمعها البيروني بين فترات متقطعة دامت من ملك محمود الغزنوي حتى ملك ابنه مسعود، لذلك فقد نجده يدلي ببعض الفرضيات التي تعتمد على نظام بطليموس، محاولاً اختبارها مرات متعددة، وهذا ما نلاحظه في كتابه، حيث نجد البيروني

1- يمى طريف الخولي: بحوث في تاريخ العلوم عند العرب، ص103.

2- محمد جمال الفندي، وإمام إبراهيم أحمد. أعلام العرب البيروني. 1957. ص122.

يحاول التخلص من الفرضيات غير المجدية، والتي من بينها فرضيات بطليموس، وذلك بمحاولة إيجاد نسق جديد لها، وهذا ما حصل بالفعل، حيث نجد البيروني في نفس كتابه (القانون المسعودي) يقدم الفرض ونقيضه، ليختبرهما، غير أنه، أي البيروني، قد تأكد من فرضه بكروية السماء في موضع آخر من هذا الكتاب بقوله: "وسطح الأرض مستدير فلا يناسبه الأمثلة، فتحديب الأرض في العرض مشابه لتحديب السماء فيه، لكن هذا التشابه بالوجود لذلك في كل خط من خطوط طول الأرض، فسطحها بأسره مواز لسطح السماء بأسره، والأرض كروية، فالسما إذا كروية الشكل - وهذا تمام الأصل الأول المتقدم".¹

الخاتمة

خلاصة ما يمكن أن نستشفه في هذا البحث هو أن البيروني كان يملك قدرة سابقة لعصرها في فهم وتطبيق مبدأ الحتمية، بحيث يمكننا أن نقرأ في بعض الأحيان بشكل واضح في مؤلفاته ما يبرر لوجود هذا المبدأ في الكثير من القضايا والظواهر العلمية التي عالجها، وفي بعض المواضيع سنستشف انتمائته لمبدأ الحتمية بشكل غير مباشر.

تواجد المبدأ الحتمي عند البيروني في قانونه للوزن النوعي للمعادن، حيث اختار الياقوت

- مركزاً على اللون - كقانون حتمي ومقياساً لوزن المعادن، حيث اعتبره مقياساً ثابتاً وحتمياً لقياس المعادن التي حددها.

¹ - البيروني: القانون المسعودي. ص 37.

كانت الحتمية حاضرة بشكل واضح عند أبي الريحان البيروني في نظرية الأواني المستطرقة، ففي شكلها العام شرح الطريقة التي يتم بها خروج أجزاء الماء بفعل (الجاذبية)، وهذه إشارة صريحة وواضحة في اتباع البيروني لمبدأ الحتمية، ذلك لأن الجاذبية آلية أو حتمية المبدأ.

مع الظاهرة التاريخية يقرأ الباحث مبدأ الحتمية بشكل مختلف؛ ورغم أن البيروني قد تعامل مع الظاهرة التاريخية كتعامله مع الظواهر العلمية التجريبية الأخرى، أي أنه لم ينظر إلى التاريخ باعتباره علم نظري، بل أقحم التجربة إلى ظواهر المدروسة، واشترط ثبوت صحة الحدث التاريخي على حسب التحقق منه بالمشاهدة والتدقيق، إلا أن البيروني هنا لم يصبح الحدث التاريخي عنده حكراً على ما قيل في الماضي، بل يكون للحدث الحاضر الدور في الحكم، وهنا أصبح تعامله مع الحدث وفق مبدأ الحتمية المرنة، أو الناعمة التي لا تستلم الحكم عليها مما يقال في الماضي، بل لما نشاهده في الحاضر، وفق ما يستجد من أحداث.

لقد انتزع البيروني صبغة الضرورة من الحدث التاريخي الماضي، وبهذا يكون قد نبه قبل (ديفيد هيوم) من نزاع الضرورة في العلاقة بين السبب والنتيجة.

إن الضرورة المقصودة هنا والتي رفضها البيروني في مجال بحثه هي الالتزام الأعمى بمجارية أحداث الماضي دون فرزها أو إخضاعها لمعاينة ومشاهدة الحاضر.

مثل التواجد الصريح لمبدأ الحتمية عند البيروني في طرحه لقانون الجاذبية؛ ليبرر فرضه العلمي الصحيح كروية الأرض؛ لأنه قد تعرض لاعتراض من منتقديه الذين أدعوا بعدم بقاء الأجسام والأحجار على الأرض وسقوطها، فساق قانون الجاذبية؛ الذي يعتمد على المبدأ الحتمي؛ وذلك حتى يبرر عدم سقوط الأجسام من على سطح الأرض.

قائمة المصادر والمراجع

INTERNATIONAL ENERGY AGENCY .(2018) .IEA . تاريخ الاسترداد

19 12، 2018، من :IEA.ORG

/HTTPS://WWW.IEA.ORG/TOPICS/RENEWABLES

. .ENCYCLOPEDIA OF NEUROSCIENCE .((2008)) .KEIL G

البيروني .(1878) . الآثار الباقية عن القرون الخالية (المجلد1) . ليبيريج، المانيا .

البيروني .(1952) . القانون المسعودي (المجلد1) . حيدرabad الدكن، الهند .

البيروني .(1965) . تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مردولة (المجلد ط1) . حيدرabad الدكن، الهند .

البيروني .(دت) . الجماهر في معرفة الجواهر (المجلد1) . حيدرabad الدكن، الهند .

الدوميلي .(1962) . العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي (المجلد ط1) . (عبدالحميد النجار، المترجمون) القاهرة: دار القلم .

بركات محمد مراد .(1988) . البيروني فيلسوفاً . ط1 . القاهرة . مصر . الصدر لخدمات الطباعة .

توفيق الطويل. (1990). في تراثنا العربي الإسلامي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

حمادي السايح. (2013). الفكر التاريخي بين التطوير والتنظير عند البيروني (دراسة تحليلية). وهران: جامعة وهران.

عادل البكري. (1990). البيروني وأثره في تطور العلم العالمي. الندوة القطرية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب الموصل: مركز إحياء التراث العلمي العربي.

عدنان عاكف. (2011، 22، 12).

&HTTPS://WWW.SSRC.AW.ORG/AR/SHOW.ART.ASP?T=2

AID=288383#315366&USERID=2237. تم الاسترداد من مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي.

غاستون باشلار. (1983). الفكر العلمي الجديد (المجلد ط2). (ترجمة عادل العوا) بيروت - لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

فاروق عبدالمعطي. (1993). أعلام من الفلاسفة ديفيد هيوم الفيلسوف الأديب (المجلد ط1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

فتحي التريكي. (مارس - أبريل، 1987). الفكر التاريخي العربي والمنهج العلمي البيروني. مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة الجزائرية.

فتحي التريكي. (1992). ابن خلدون والزمنية التاريخية العربية. مجلة الحياة الثقافية.

كارلو نلليانو. (1911). علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى (المجلد ط1). روما، إيطاليا.

محمد & علي جمعان الشكيل رأفت اسماعيل رمضان. (1988). الطاقة المتجددة (الإصدار 2). بيروت، لبنان: دار الشروق.

محمد جمال الفندي. (1957). الصعود إلى المريخ. دار المعارف.

محمد جمال الفندي، وإمام إبراهيم أحمد. (1957). أعلام العرب البيروني.

ياقوت الحموي. (1936). معجم الأدباء. القاهرة: دار المأمون.

يمنى طريف الخولي. (2012). فلسفة العلم في القرن العشرين. الأصول الحصاد الآفاق المستقبلية. القاهرة: مؤسسة هنداوي.

يمنى طريف الخولي. (2017). بحوث في تاريخ العلوم عند العرب. القاهرة: مؤسسة هنداوي.

مفهوم الرفق في القرآن الكريم والسنة النبوية (دراسة موضوعية)

إعداد: د. محمد عمر محمد الفقيه الشريف*

المخلص:

يتناول البحث الموسوم (مفهوم الرفق في القرآن الكريم والسنة النبوية - دراسة موضوعية-) حيث إن الدين الاسلامي حث الناس بالتمسك بالأخلاق الفاضلة، والاتصاف بالصفات الحميدة التي على كل مسلم ان يتحلى بها ، ومن تلك الاخلاق التي دلنا عليها الاسلام الرفق والرحمة واللين مع الناس ، فالرفق ما كان في شيء الا وجعله حسنا وما نزع من شيء الا جعله مكروها ، ونظرا لحاجة الامة اليوم الى الرفق والرحمة جعلته عنوان بحثي هذا ، وقد قسمت هذا البحث على مبحثين كل مبحث يحتوي على ثلاث مطالب ، فكان المبحث الاول مطلبه الاول : مفهوم الرفق لغة واصطلاحا ، والمطلب الثاني : الرفق في القرآن والسنة ، والمطلب الثالث كلام اهل العلم في الرفق، المبحث الثاني :المطلب الاول : انواع الرفق ، والمطلب الثاني : أهمية الرفق وعلاقته بالحكمة ، والمطلب الثالث : الحذر من انقلاب الرفق ذل ومهانة ، وكذلك أحتوى بحثي هذا على خاتمة وذكر للمصادر والمراجع .

* عضو هيئة تدريس قسم الدراسات الإسلامية كلية الآداب الخمس.

Abstract:

This research tackles (The Pity or Compassion in the Glorious Qura'n—an objective study). Islam urges people to keep following good morals. One of the good morals that Islam urges us to follow is pity or compassion. Every aspect of life without compassion or pity is meaning. Since the nation is in need of pity. The research has chosen this subject. This research has tow parts, each part has two requirements. The first requirement include the meaning and the definition of pity in the Qura'n and the Surah.

The second part has also two requirements, the first includes the types of pity and the second includes a warning of turning pity into humiliation.

The research ends with a conclusion and an index and the references.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد.
إن الدين الاسلامي حث الناس بالتمسك بالأخلاق الفاضلة، والاتصاف بالصفات الحميدة التي على كل مسلم أن يتحلى بها، ومن تلك الاخلاق التي دلنا عليها

الإسلام الرفق والرحمة واللين مع الناس، فالرفق ما كان في شيء إلا وجعله حسناً وما نزع من شيء إلا جعله مكروهاً، ونظراً لحاجة الأمة اليوم إلى الرفق والرحمة جعلته عنوان بحثي هذا، وهناك أسباب دعيتي لاختيار هذا الموضوع فهي:

1- حاجة الناس الماسة إلى الرفق مع بعضهم البعض في ظل الظروف الصعبة التي يعيشها الناس.

2- حاجة الأسرة إلى الرفق فيما بينها لكي يسود الحب والوئام في مجتمعاتنا .

3- موضوع الرفق موضوع اخلاقي جميل ، كثير ما حث عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

4- وكذلك حاجتنا كمعلمين الناس الخير إلى الرفق وعدم تنفيرهم من الدين الحنيف السمح .

أما المنهج الذي سرت به في كتابة هذا البحث فكالآتي :-

1- ذكر بعض الآيات القرآنية التي تدل على الرفق لفظاً أو إشارة أو معنىً من معاني الرفق مع تفسيرها .

2- ايراد الآثار الموجودة في كتب السنة التي تحتوي على ما تضمنه بحثي هذا.

3- نقل كلام بعض أهل العلم سواء كانوا من الفقهاء أو اللغويين أو المفسرين أو غيرهم من أجل الوقوف على معنى الرفق ومدلوله الشرعي أو اللغوي.

4- تقسيم الرفق على ابواب يدخل فيها أو أنواع يكون منها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المبحث الاول

المطلب الاول

مفهوم الرفق

الرفق لغة :

قال الفراهيدي : (الرفق :لين الجانب ولطافة العمل وصاحبه رقيق)¹. وقال ابو بكر الازدي (الرفق :ضد الخرق ، رفق يرفق رفقا وهو بكذا وكذا ، وفلان بفلان ورافقا به ،وهو اللطف وحسن الصنيع اليه)². وذهب الفارابي الى ان الرفق هو : "ضد العنف ، وحكي رفقته به ورافقته وترفقت به بمعنى واحد"³.

وقال ابو الحسن الرازي في مقاييس اللغة . "الرفق الراء والفاء والقاف اصل واحد يدل على موافقة ومقاربة بلا عنف ،هذا هو الاصل ثم يشتق منه كل شيء يدعوا الى راحة وموافقة"⁴.

¹ كتاب العين : أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ)

المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، الناشر: دار ومكتبة الهلال - 149/5
² جمهرة اللغة ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ) ، المحقق: رمزي منير بعلبكي

الناشر: دار العلم للملايين - بيروت ، ط1، 1987م - 728/2

³ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: 393هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت ، ط4،

1407هـ - 1987م - 1482/4

⁴ معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ) ، المحقق: عبد السلام محمد هارون ، الناشر: دار الفكر ، عام النشر: 1399هـ - 1979م.

الرفق اصطلاحاً:-

أن المعنى الاصطلاحي للرفق يشابه ما هو عليه في اللغة يقول ابو هلال العسكري في معجم الفروق اللغوية (أن الرفق هو اليسر في الامور والسهولة في التوصل اليها)¹.

وذكر السيوطي أن: (الرفق حسن الاتقياد لما يؤدي الى جميل)².

ونقل صاحب مرشد الخطيب تعريفا للرفق فقال (الرفق في الاصطلاح هو لين الجانب بالقول والفعل والاخذ بالأسهل)³.

ونستطيع من خلال ما تقدم من تعريفات القول أن الرفق :

هو لين الجانب بالأقوال والافعال ، وجلب النفع للآخرين ، وهو ضد العنف والشدة والتفحش .

المطلب الثاني

الرفق في القرآن الكريم والسنة النبوية .

اولاً/ الرفق في القرآن الكريم .

¹ معجم الفروق اللغوية ، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، (ت: نحو 395هـ) ، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ،

الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم» ، ط1، 1412هـ ، 102/1

² معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)

المحقق: أ. د محمد إبراهيم عبادة ، الناشر: مكتبة الآداب - القاهرة / مصر ، الطبعة: الأولى،

1424هـ - 004 م 201/1

³ مرشد الخطيب ودليل الباحث في الخطب المنبرية : لعبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة

للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2، (1431هـ-2010م) - 351

أشار القرآن الكريم في كثير من آياته الى الرفق ومعانيه ، وهذه بعضاً من تلك

الآيات :

1- قال سبحانه وتعالى: (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)¹ ، قال القشيري رحمه الله في تفسير هذه الآية (قيل سداد المنطق ويقال من يخاطبهم بالقدح فهم يجاوبونه بالمدح له ، ويقال اذا خاطبهم الجاهلون بأحوالهم ، الطاعنون فيهم ، العائبون لهم قابلوا ذلك بالرفق وحسن الخلق والقول الحسن والكلام الطيب)².

2- قال تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)³ ، الرَّفْقُ فِي اللَّغَةِ لِيْنُ الْجَانِبِ وَطَافَةٌ الْفِعْلِ، وَصَاحِبُهُ رَفِيقٌ. هَذَا مَعْنَاهُ فِي اللَّغَةِ ثُمَّ الصَّاحِبُ يُسَمَّى رَفِيقًا لَا لِإِتِفَاقِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ، وَقَدْ قَالَ الْوَاحِدِيُّ: إِنَّمَا وَحَدَّ الرَّفِيقُ وَهُوَ صِفَةٌ لِجَمْعٍ، لِأَنَّ الرَّفِيقَ وَالرَّسُولَ وَالْبَرِيدَ تَذَهَبُ بِهِ الْعَرَبُ إِلَى الْوَاحِدِ وَإِلَى الْجَمْعِ قَالَ تَعَالَى: (إِنَّمَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ)⁴، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: حَسُنَ أُولَئِكَ رَجُلًا، وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذَا إِنَّمَا يَجُوزُ فِي الْإِسْمِ الَّذِي يَكُونُ صِفَةً، أَمَا إِذَا كَانَ اسْمًا مُصَرَّحًا مِثْلَ رَجُلٍ وَأَمْرَأَةٍ لَمْ يَجُزْ، وَجَوَزَ الرَّجَّاحُ ذَلِكَ فِي الْإِسْمِ أَيْضًا وَرَعِمَ أَنَّهُ مَذْهَبُ سَبْيَوْنِهِ، وَقِيلَ: مَعْنَى

¹ سورة الفرقان - من الآية 63

² لطائف الإشارات = تفسير القشيري ، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: 465هـ)

، المحقق: إبراهيم البسيوني ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر ، ط3 ، 649/2

³ سورة النساء - الآية (69)

⁴ سورة الشعراء - من الآية (16)

قوله: وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا أَي حَسَنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَفِيقًا، كما قال: (يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا)¹ ،
 وَ رَفِيقًا نُصِبَ عَلَى التَّمْيِيزِ، وَقِيلَ عَلَى الْحَالِ: أَي حَسَنَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ رَفِيقًا.
 ثم اعلم أَنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَّ فِيمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَنَّهُ يَكُونُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ
 وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، ثُمَّ لَمْ يَكْتَرِثْ بِذَلِكَ، بَلْ ذَكَرَ أَنَّهُ يَكُونُ رَفِيقًا لَهُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ
 الرَّفِيقَ هُوَ الَّذِي يَرْتَفِقُ بِهِ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَبَيَّنَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُطِيعِينَ يَرْتَفِقُونَ
 بِهِمْ، وَإِنَّمَا يَرْتَفِقُونَ بِهِمْ إِذَا تَأَلَّوْا مِنْهُمْ رَفَقًا وَحَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرْنَا مِرَارًا كَيْفِيَّةَ هَذَا
 الْإِرْتِفَاقِ، وَأَمَّا عَلَى حَسَبِ الظَّاهِرِ فَلِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَكُونُ مَعَ غَيْرِهِ وَلَا يَكُونُ رَفِيقًا
 لَهُ، فَأَمَّا إِذَا كَانَ عَظِيمَ الشَّقَقَةِ عَظِيمَ الْإِعْتِنَاءِ بِشَأْنِهِ كَانَ رَفِيقًا لَهُ، فَبَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ
 الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ يَكُونُونَ لَهُ كَالرَّفَقَاءِ مِنْ شِدَّةِ مَحَبَّتِهِمْ لَهُ
 وَسُرُورِهِمْ بِرُؤْيَيْهِ².

3- ونقل ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس انه قال في قوله تعالى (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ
 جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)³، (قال عبدالله بن عباس : أمر الله تعالى
 بجهاد الكفار والمنافقين باللسان ، وأذهب الرفق عنهم)⁴.

¹ سورة غافر - من الآية (67)

² مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي
 الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) ، دار إحياء التراث العربي -

بيروت ، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ ، 136/10

³ سورة التوبة - من الآية (73)

⁴ تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:
 774هـ) ، المحقق: سامي بن محمد سلامة ، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط2، 1420هـ -

1999م ، 178/4

4- قال سبحانه وتعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)¹، قال السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية (ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل البدأ بالاهم فالاهم ، وبالأقرب الى الاذهان والفهم ، وبما يكون قبوله اتم ، وبالرفق واللين فان انقاد بالحكمة ، والا فينتقل معه بالدعوة وبالموعظة الحسنة ، وهو الامر والنهي القرون بالترغيب والترهيب)² .

5- قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: (وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ)³، قال : (وقال ابن عباس كسبتم رجل المشركين أبا بكر فلم يرد عليه شيئا فنزلت الآية ، وهذه من محاسن الاخلاق ، يشفقون على ظالمهم ويصفحون لمن جهل عليهم ، يطلبون بذلك ثواب الله تعالى وعفوه ، لقوله تعالى في آل عمران : (وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)⁴ وهو أن يتناولك الرجل فتكظم غيظك عنه .

وأنشد بعضهم :

أني عفوت لظالمي ووهبت ذاك له على علمي

¹ سورة النحل - الآية (125)

² تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ) ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط1، 1420هـ - 2000م ، 453/1

³ سورة الشورى - من الآية (37)

⁴ سورة آل عمران - من الآية (134)

ما زال يظلمني وأرحمه.....حتى بكيت له من الظلم¹.

6- قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك)² و"الباء" هنا باء السببية، و" ما " زائدة في الإعراب، ولكنها في المعنى لتقوية معنى الرحمة، والمعنى: بسبب رحمة أي رحمة عظيمة فيأضه أفاضها المولى العلي القدير كنت لنا معهم في كل أحوالك، وكنت لنا لهم بعد الأخطاء التي وقعوا فيها، والكارثة التي نتجت عن مخالفتك، فما لمتهم، ولا عنتهم بل سكت حيث رأيت ما أصابهم من غم استغرقهم، وحزن استولى عليهم، ولقد شكر الله سبحانه وتعالى لنبيه ذلك اللين؛ إذ لم يؤاخذهم، ولم يفرط في القول معهم؛ لأن اللوم على الماضي يُبئس النفس من غير جدوى، وهو رجعة إلى الوراء، والقائد الحكيم يتجه إلى الأمام، ولا يلتفت إلى ورائه إلا بمقدار ما ينير له السبيل أمامه، وبمقدار ما يجنبه خطأ وقع فيه، وبمقدار ما يحفز همة من معه، ويشد عزيمتهم، وإن المبالغة في اللوم على ما وقع في الماضي يلقي باليأس، وفي اليأس الهزيمة، واليأس والقنوط إسراف على النفس بالهموم، ولا نجاح لمن في هم دائم، وحزن واصب، فكان لين النبي - صلى الله عليه وسلم - معهم في هذه الآلام التي أصابتهم كالبلسم الشافي لأسقامهم، والقائد الماهر الحكيم يجب أن يجمع إلى العزيمة القوية الموجهة إلى العمل البشر ولين العريكة، وتسهيل الخروج من أوضاع

¹ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش

، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط2، 1384هـ - 1964 م ، 36/16

² سورة آل عمران - من الآية (159)

الخطأ، حتى لا يعنتهم ولا يبهظهم ، وحسبهم ما أصابهم، وإن الشدة في مثل هذه الأحوال والغلظة في القول والعمل تنفر ولا تجمع¹.

ثانيا/ الرفق في السنة النبوية .

لقد جاء في السنة النبوية المطهرة أحاديث متعددة تحت وتأمر المسلم بالرفق ،بل وأن كثير من أهل الحديث جعلوا في كتب الحديث أبواب خاصة بالرفق من أولئك البخاري ومسلم وغيرهم من أئمة الحديث وإليك بعضاً من هذه الاحاديث التي تحت على الرفق :

1- عن ابن شهاب عن عودة بن الزبير، أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت :دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقالوا : السام عليكم²: ففهمتها فقلت :وعليكم السام واللعنة، قالت :فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله "فقلت :يا رسول الله الم تسمع ما قالوا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت عليكم³.

2- وعن عبدالله بن أبي مليكة ،عن عائشة رضي الله عنها .أن يهود اتو النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا :السام عليكم ،فقالت عائشة عليكم ،ولعنكم الله وغضب

¹ ينظر زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ) ، دار النشر: دار الفكر العربي ، 1474/3

² السام : الموت ، ينظر لسان العرب لابن منظور ، 302/12

³ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، الناشر: دار طوق النجاة ، ط1، 1422هـ ، ، كتاب الاستئذان ، باب كيفية يرد

على أهل الذمة السلام 57/8 رقم الحديث (6256)

عليكم . قال "مهلا يا عائشة ، عليك بالرفق ، وإياك والعنف أو الفحش " قالت : أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال : (أولم تسمعي ما قلت ؟ رددت عليهم ، فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في) ¹.

3- وروى مسلم في صحيحه ، عن عبد الرحمن بن هلال ، قال سمعت : جرير بن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من حرم الرفق ، حرم الخير أو من يحرم الرفق يحرم الخير) ² .

4- وكذلك روى الامام مسلم في صحيحه ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يا عائشة ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه) ³ .

5- وذكر أبو داود في سننه من حديث المقدم بن شريح ، عن أبيه ، قال : (سألت عائشة رضي الله عنها ، عن البداوة فقالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدوا الى هذه التلاع وأنه أراد البداوة مرة فأرسل الي ناقة محرمة من أبل الصدقة ، فقال لي ((يا عائشة ، أرفقي فأن الرفق لم يكون في شيء قط الا زانه ، ولا نزع من شيء قط الا شاناه)).

قال ابن الصباح في حديثه : محرمة يعني لم تتركب) ¹ .

¹ صحيح البخاري ، كتاب الدعوات 85/8 رقم الحديث (6401)

² المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ) ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر:

دار إحياء التراث العربي - بيروت ، 200/4 ، رقم الحديث (2592) ، كتاب البر والصلة

والأدب ، باب فضل الرفق ، 2003/4

³ صحيح مسلم 2003/4 ، رقم الحديث (2593) كتاب البر والصلة والأدب ، باب فضل الرفق ،

2003/4

6- وروى ابن المبارك في كتاب (الزهد و الرقائق)، عن حبيب بن حجر القيسي قال كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: (ما أحسن الايمان يزينه العلم ، وما أحسن العلم يزينه العمل ، وما أحسن العمل يزينه الرفق وما أضيف شيء الى شيء أزين من حلم الى علم)².

7- روى ابن مسعود أن رسول الله (ﷺ) قال : (حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس)³.

8- ويقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه ابن حبان عن ابي هريرة رضي الله عنه : (الكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تخطوها الى المسجد صدقة)⁴.

¹ سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ) ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ، 255/4 ، رقم الحديث (4808) ، كتاب الأدب باب في الرفق ، حديث صحيح .

² الزهد والرقائق لابن المبارك : 470/1 رقم الحديث (1336)

³ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون ، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، ط1، 1421 هـ - 2001 م ، 52/7 رقم الحديث (3938)

⁴ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبِد ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: 354هـ) ، المحقق: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط2، 1414 - 1993 ، 219/2 رقم الحديث (472)

9- وروى مسلم في صحيحه عن ابي موسى ،قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث احدا من أصحابه في بعض أمره ،قال : "بشروا ولا تنفروا ،ويسروا ولا تعسروا"¹ .

المطلب الثالث

الرفق في كلام أهل العلم

ذكر السعدي رحمه الله أن الرفيق من أسماء الله تعالى فقال رحمه الله تعالى: "ومن أسمائه "الرفيق" في أفعاله وشرعه"²، وهذا قد أخذ من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "إن الله رفيق يحب أهل الرفق، وإن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف"³.

فالرفقُ من الصفات الفعلية الخيرية الثابتة لله عزَّ وجلَّ، و (الرفيق) اسم من أسمائه تعالى والدليل: 1- حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: ((يا عائشة! إنَّ الله رفيق، يحب الرفق في الأمر كله ...))⁴.

2- حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: ((اللهم من ولي من أمر أممي شيئاً، فَشَقَّ عليهم، فاشقُّ عليه، ومن ولي من أمر أممي شيئاً، فرفق بهم، فارفق به))¹.

¹ صحيح مسلم : 1358/3 رقم الحديث (1732) كتاب الجهاد والسير باب في الأمر في التيسير ، وترك التنفير .

² معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ، لمحمد بن خليفة بن علي التميمي ، أضواء السلف، الرياض، المملكة ، العربية السعودية ، الطبعة: الأولى 1419هـ/1999م ، 153/1

³ أخرجه مسلم في صحيحه (2003/4، 2004) كتاب البر والصلة باب فضل الرفق من حديث عائشة رضي الله عنها بنحوه.

⁴ رواه البخاري (6927) ومسلم (4027)

قال أبو يعلى الفراء ((علم أنه غير ممتنع وصفه بالرفق لأنه ليس في ذلك ما يحيل على صفاته، وذلك أنّ الرفق هو الإحسان والإنعام وهو موصوف بذلك لما فيها من المدح، ولأن ذلك إجماع الأمة))². ... وقال ابن القيم في نونيته :
 ((وهو الرفيقُ يُحبُّ أهلَ الرفقِ بلْ ... يُعطيهمُ بالرفقِ فَوْقَ أمانِي))³ .
 وقال صاحب تهذيب اللغة : ((قال الليث: الرفق: لين الجانب، ولطافة الفعل، وصاحبه رفيق))⁴.

فالرفيق هو مأخوذ من الرفق الذي هو التأنى في الأمور والتدرج فيها، وضده العنف الذي هو الأخذ فيها بشدة واستعجال⁵.
 فالله تعالى رفيق في أفعاله خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئاً فشيئاً بحسب حكمته ورفقه مع أنه قادر على خلقها دفعة واحدة وفي لحظة واحدة .
 ومن تدبر المخلوقات وتدبر الشرائع كيف يأتي بها شيئاً بعد شيء شاهد من ذلك العجب العجيب، فالمتأني الذي يأتي الأمور برفق وسكينة ووقار إنباعاً⁶ .

¹ رواه مسلم (1828) .

² ((إبطال التأويلات)) (467)

³ ((النونية (86/2))

⁴ تهذيب اللغة ، لمحمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ) ، المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط1، 2001م ، 9/109

⁵ صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ، المؤلف : علوي بن عبد القادر السقّاف ، الناشر : الدرر السنية - دار الهجرة ، الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ - 2006 م ، 1/180

⁶ تفسير أسماء الله الحسنى ، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ) ، المحقق: عبيد بن علي العبيد ، الجامعة الإسلامية بالمدينة

المنورة ، الطبعة: العدد 112 - السنة 33 - 1421هـ ، 1/206

وذكر صاحب المقصد الاسنى العلاقة بين اسم الله تعالى اللطيف وبين الرفق فقال : " إِنَّمَا يَسْتَحِقُّ هَذَا الْإِسْمَ مَنْ يَعْلَمُ دَقَائِقَ الْمَصَالِحِ وَغَوَامِضِهَا وَمَا دَقَّ مِنْهَا وَمَا لَطَفَ ثُمَّ يَسْلُكُ فِي إِبْصَالِهَا إِلَى الْمُسْتَصْلِحِ سَبِيلَ الرَّفْقِ دُونَ الْعَنْفِ فَإِذَا اجْتَمَعَ الرَّفْقُ فِي الْفِعْلِ وَاللُّطْفُ فِي الْإِدْرَاكِ تَمَّ مَعْنَى اللَّطْفِ وَلَا يَتَصَوَّرُ كَمَالَ ذَلِكَ فِي الْعِلْمِ وَالْفِعْلِ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَأَمَّا إِحَاطَتُهُ بِالِدَقَائِقِ وَالْخَفَايَا فَلَا يُمَكِّنُ تَفْصِيلَ ذَلِكَ بَلِ الْخَفِيِّ مَكْشُوفٍ فِي عِلْمِهِ كَالْجَلِيِّ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ وَأَمَّا رَفْقُهُ فِي الْأَفْعَالِ وَلَطْفُهُ فِيهَا فَلَا يَدْخُلُ أَيْضًا تَحْتَ الْحُصْرِ إِذْ لَا يَعْرِفُ اللَّطْفُ فِي الْفِعْلِ إِلَّا مَنْ عَرَفَ تَفَاصِيلَ أَفْعَالِهِ وَعَرَفَ دَقَائِقَ الرَّفْقِ فِيهَا وَبَقَدْرِ اتِّسَاعِ الْمَعْرِفَةِ فِيهَا تَتَّسِعُ الْمَعْرِفَةُ لِمَعْنَى اسْمِ اللَّطِيفِ وَشَرَحَ ذَلِكَ يَسْتَدْعِي تَطْوِيلًا ثُمَّ لَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَفِي بِعَشْرِ عَشِيرِهِ مَجْلِدَاتٍ كَثِيرَةٍ وَإِنَّمَا يُمَكِّنُ التَّنْبِيهِ عَلَى بَعْضِ جَمَلِهِ"¹ .

ونلاحظ أن الامام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي قد حث على الرفق عملا وقولا فكان من منهجه رحمه الله في دعوة أهل البدع: سلوك طريق الرفق واللين إذا كان المبتدع جاهلاً، لأن ذلك أحرى باستجابته وإقلاعه عن بدعته، فيقول: "فليكن رفقك بالمبتدع والجاهل حتى تردهما عما ارتكبا به بلين، ولتكن شدتك على الضال الكافر .

ويقول: "والجاهل يعذر ويبين له برفق"² .

¹ المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) ، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي ، الناشر: الجفان والجابي - قبرص ،

الطبعة: الأولى، 1407 - 1987 ، 101/1

² التمسك بالسنن والتحذير من البدع (السنة 27 -- العددان 103-104) ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) ، المحقق: محمد باكريم محمد

وَعَنِ الشُّعْبِيِّ ؛ قَالَ: عُشِي عَلَى مَسْرُوقٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ وَهُوَ صَائِمٌ، فَقَالَتْ لَهُ ابْنَتُهُ: أَفْطِرْ؛ قَالَ: مَا أَرَدْتُ بِي؟ قَالَتْ: الرَّفْقُ؛ قَالَ: يَا بُنَيَّةُ! إِنَّمَا طَلَبْتُ الرَّفْقَ لِنَفْسِي فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ¹.

حتى ذكر الشاطبي (رحمه الله) أن الرفق قرين للتجاوز والاعضاء فقال (فإن الله يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيَرْضَى بِهِ وَيُعِينُ عَلَيْهِ مَا لَا يُعِينُ عَلَى الْعُنْفِ، وَمِنْ جُمْلَةِ الرَّفْقِ شَرَعِيَّةُ التَّجَاوُزِ وَالْإِعْضَاءِ، إِذِ الْعَبْدُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ زَلَّةٍ وَتَقْصِيرٍ، وَلَا مَعْصُومٍ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ).²

ثم أن الرفق إذا اتصفت به وصلت لمقصودها فينبغي الإنسان أن يعلم أن نفسه مطية ولا بد من الرفق بها ليصل إلى المقصود. وقد قال النبي: " وإن لنفسك عليك حقاً ". وإذا كان لها حق فليأخذ لها ما يصلحها، وليترك ما يؤديها من الشبع والإفراط في تناول الشهوة؛ فإن ذلك يؤدي البدن والدين. وليأخذ قدر القوام من غير أن يؤدي النفس. ومن كفيها عن التصرف على مقتضى ما وضع في طبعها فيما

باعدد الله ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: السنة 27 -- العددان 103 - 104 -- 1416 / 1417 هـ - 996م/1997م ، 76/1

¹ الاعتصام ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) ، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير ، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد ، الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني ، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م ، 183/2

² المصدر نفسه 274/1

يصلحها فقد آذاها إلا أنه يكفها عن الشبع المفرط والشره وما يخالف عاقبته، فإن ذلك يفسدها¹.

وقد ذكر سيدنا سفيان (رضي الله عنه) نقيضا للرفق الا وهو الخرق فقال : " ومن لا ينفعه الرفق يضره الخرق، والخرق: ضد الرفق)."²

ثم ان العلماء شددوا على أهمية الرفق في الدعوة فقالوا " الرفق في الدعوة إلى الله تعالى بعامة والدعوة إلى السنة بخاصة مبدأ شرعي، ولاسيما في مجال الدعوة إلى الله تعالى، والمراد به التلطف في إيصال الدعوة إلى الآخرين، وليس المراد المداهنة والتنازل عن شيء من هدي الإسلام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قولاً عاماً في الرفق وعاقبته، فقال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"³. فأراد النبي صلى الله عليه وسلم هذا العموم "لا يكون في شيء ... ولا ينزع من شيء"، وقال صلى الله عليه وسلم: "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"⁴. فلا يستطيع أحد، بعد هذا البيان النبوي الواضح، أن يُخْرِج الدعوة من هذا الحكم العام.

¹ حقيقه السنة والبدعة = الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال

الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، المحقق: نيب بن مصري بن ناصر القحطاني، الناشر:

مطابع الرشيد، 1409 هـ، 171/1

² معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كشف شبهات وردّ مقترنيات، لشحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين - الإسكندرية، مكتبة الأصولي

- دمنهور، مكتبة دار العلوم - البحيرة (مصر)، 156/1

³ رواه أبو داود 255/4، رقم الحديث (4808)، كتاب الأدب باب في الرفق، حديث صحيح.

⁴ رواه البخاري (6927) ومسلم (4027)

والرفق المشروع في الدعوة إلى الله تعالى فرعٌ من فروع السماحة، ومَظْهَرٌ من مظاهرها، ودليل على التخلُّقِ بها.

وليس من الرفق تجاهل ظروف الناس وأعدائهم.

وليس من الرفق العجلة المذمومة.

وليس من الرفق عدم مراعاة سنّة التدرج في الدعوة والبيان والتعليم المتأخية مع سنّة الله في الخَلْقِ.

وليس من الرفق الفُحْشُ والبذاء.

وليس من الرفق والسماحة العدول عن هدي النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم بصفة عامة.

وليس من الرفق والسماحة مُجَانَبَةُ هَدْيِ النبي صلى الله عليه وسلم في أنه ما خَيْرَ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً.

إنه لا يَصَحُّ أن ندعو إلى السنّة بما ينافي طبيعتها وطبيعة هذا الدين من الشدة والجفاء، على الرغم من تأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم على الرفق بعامة في الأمور كلها.¹

وأن من آداب طالب العلم التحلي بالرفق اي أن نلتزم الرفق في القول؛ مجتنباً الكلمة الجافية، فإن الخطاب اللين يتألف النفوس الناشزة، وينبغي على الدعاة إلى الله عز وجل، والمصلحين، والأميرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، والمؤثرين في الناس ينبغي عليهم أن يتعاملوا مع الناس برفق، حتى لو كان مخالفاً، وكثير من الناس تعود على الغلظة في الكلام حتى في الرد على المخالف، حتى لو كان هذا

¹ دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهاجاً وأسلوباً، لعبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مكتبة الملك

الكتاب في الرد على مبتدع أو زنديق من الزنادقة! صحيح أن الإغلاظ يدل على الحرقة الموجودة في القلب، ويدل على قوة تدين هذا الإنسان وشعوره بخطورة هذا القول الذي يقول به ذلك الشخص، لكن ينبغي أن يكون الأصل العام هو عفة اللسان، وحسن المنطق، حتى لو كان الشخص المرود عليه مبتدعاً أو من الضالين.

مثل هذا الكلام لا يقوله إلا السفهاء عندنا، بل حتى السفهاء هم أرفع من أن يتكلموا بمثل هذا الكلام.

وقد يكون هذا الكلام في بعض الأحيان صحيحاً، لكن حين يسمع منك هذا، ويرى طريقتك في التعامل مع الآخرين؛ حينئذ سينفر الآخرين منك ومما عندك من الخير والفائدة.

فينبغي أن يتعود الإنسان أن يكون نقاشه نقاشاً علمياً دقيقاً، يركز فيه على المسائل العلمية وعلى الفوائد أكثر من التركيز على النقد الموجه للأشخاص، وخصوصاً الذي يكون فيه سب وشم.

بعض الناس يقول: وهذا القول لا يقوله إلا كافر مثلاً.

وفعالاً قد يكون هذا الكلام صحيحاً، فبدلاً من أن يبين بطلان هذا الكلام بشكل دقيق يكفي بهذه الكلمة، وهذه الكلمة وحدها غير مفيدة وغير مقنعة، ولهذا ينبغي أن نتعود في الردود على الآخرين وفي مناقشة المسائل والأفكار على الأسلوب العلمي، والأسلوب العلمي يقتضي مناقشة المسألة.

نعم قد يحتاج الإنسان في بعض الأحيان أن يعنف على كاتب من الكتاب، أو على شخص من الأشخاص، لكن ينبغي أن يكون هذا في حدود الضرورة، وألا يتوسع فيه الإنسان، ويصبح طابعاً له، وشيئاً مميزاً له، فالإنسان عندما يكتب بأسلوب

علمي دقيق ينفع الناس أكثر مما يكون متهجماً، ولهذا ينبغي على الإنسان أن يتحلى بالرفق في التعامل مع الآخرين من جيران أو إخوان أو زملاء أو أساتذة أو غيرهم، فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه¹.

المبحث الثاني

المطلب الاول

أنواع الرفق .

الرفق من أهم الاشياء التي تدخل في حياة المسلم وأكثر ما يحتاجه الانسان في تعاملاته مع الآخرين ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة : (فإن الرفق لم يكون في شيء قط الا زانه ، ولا نزع من شيء قط الا شانه)².
لذلك الرفق يدخل في أنواع كثيرة وجوانب عديدة منها :-

أولاً/ الرفق في التعليم :

المعلم في ميدان عمله أنفس ما يحتاجه الرفق بمن يعلمهم واللين واليسر معهم ،وقد وردت آثار كثيرة في السيرة تدل على ذلك منها ما رواه البخاري وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : أن أعرابياً بال في المسجد ،فقاموا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزرموه) ثم دعا بدلو من ماء فصب عليه)³ .
وفي صحيح مسلم قال :قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مه مه ،

¹ دراسة موضوعية للحائفة ولمعة الاعتقاد والواسطية ، المؤلف: عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ،

4/8 ، <http://www.islamweb.net>

² سنن أبي داود : 255/4 رقم الحديث (4808) كتاب الأدب باب الرفق

³ صحيح البخاري : 12/8 ، رقم الحديث (6025) كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزرموه دعوه) فتركوه حتى بال ،ثم أن رسول الله دعاه فقال له : (ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر ،أنما هي لذكر الله عز وجل ، والصلاة وقراءة القرآن)¹ ، ما اجمل هذه الاخلاق من نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام ، يبول هذا الرجل في المسجد ولا يعذبه أو ، يضره بل رفق به وعلمه بلين وعطف عليه كأنما هو صبي صغير لا يعرف شيء .

لا بل الاعجب من ذلك ما رواه مسلم عن معاوية بن الحكم السلمي ، قال بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أذ عطس رجل من القوم ، فقلت يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم ، (أي نظروا ألي زجرا بالبصر من غير كلام)،فقلت :واثكل امياه (أي وافقد امي اياي فأني هلكت)، ما شأنكم ؟تتظرون ألي فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت ،فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلم قبله ولا بعده احسن تعليما منه ، فوالله ما كهربي² ولا ضربني ولا شتمني ... قال (ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ،انما هو التسبيح وقراءة القرآن)³ ، وذكر في طرق اخرى أن معاوية قال (ما رأيت معلما قط أرفق من رسول الله ﷺ)⁴ وكذلك تعاليمه داخل وخارج المسجد كلها رفق ولين ويسر مع الناس .

¹ صحيح مسلم : 236/1 رقم الحديث (285) كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات.

² ما كهربي ولا نهربي .

³ صحيح مسلم : 394/1 رقم الحديث (537)

⁴ أخرجه أبو داود : 1/245 رقم الحديث (931)

فهذا هو مرة أخرى يعلم الصحابي الجليل معاذ بن جبل وأخذ بيده، وقال : (يا معاذ والله أني لاحبك، والله اني لاحبك)، فقال أوصيك يا معاذ لا تدعهن دبر كل صلاة تقول : اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك¹.

هذه الرحمة والرفق وحسن التعامل مع المتعلمين من قبل رسولنا صلى الله عليه وسلم ، انما هي امتثال من قبل رسول الله للخطاب القرآني المتمثل بقوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)² ، قال ابن كثير رحمه الله (أي لو كنت سيء القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك)³، فيجب نحن كمتعلمين ان نتحلى بهذه الصفات الحميدة.

ثانيا/الرفق بالأهل والاولاد :

كذلك من الانواع التي يدخل بها الرفق بل ومن اهمها وأخصها هو الرفق بالزوجة والاولاد ،ينبغي على كل مسلم أن يكون رفيقا بأهله لانهم أحق الناس بذلك روى ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما أعطي أهل بيت الرفق إلا نفعهم)⁴.

¹ سنن أبي داود : 86/2 رقم الحديث (1522)

² سورة آل عمران - من الآية (159)

³ تفسير ابن كثير : 148/2

⁴ صحيح الترغيب والترهيب ، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت: 1420هـ) ، الناشر: مكتبة

المعارف - الرياض ، ط5 ، 11/3 رقم الحديث (2171)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة رضي الله عنها (إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق)¹، يعني أدخل عليهم الرفق بحيث يرفق بعضهم ببعض، فيرفق الزوج بالزوجة، ويرفق الرجل بابيه وأمه، ويرفق الأب والام بالولد، ويرفق الأخوة بعضهم ببعض وكذلك يرفقون بجيرانهم وهكذا عامة البيوت فلا تصبح للمشاكل أثرا².

ولقد امر الله عز وجل الرجال بالمعاشرة الحسنة والوصية بالنساء خيرا فقال تبارك وتعالى (وعاشروهن بالمعروف)³، يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: (أي طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)⁴، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي)⁵.

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (استوصوا بالنساء خيرا، فان المرأة خلقت من ضلع وأن أعوج ما في الضلع اعلاه، فإن ذهبت تقسيمه كسرته، وان تركته لم يزل معوجا، فاستوصوا بالنساء خيرا)⁶.

¹ مكارم الأخلاق للطبراني، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم

الطبراني (ت: 360هـ)، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1409هـ - 1989م، 321/1 رقم الحديث (26)

² ينظر: محاضرات مفرغة للشيخ محمد صالح المنجد (أهمية الرفق في حياة المسلم)

³ سورة النساء - من الآية (19)

⁴ سورة البقرة: من الآية (228)

⁵ تفسير ابن كثير: 242/2

⁶ صحيح البخاري: 631/4 رقم الحديث (5186)

ومن أعظم الرفق بالأهل والاولاد ان يعلمهم الدين والتوحيد وحسن الخلق وغير ذلك من أمور الدين ، ولقد بوب البخاري في صحيحه باب بقوله تعالى: (قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا)¹.

بل وان الشريعة السحاء ، جعلت للمرأة مكانة عظيمة جدا رفقا ورحمة بها لأنها ليست كالرجل في قوة التحمل وكمال الدين والجسد ، بل وراعها الدين في حرية البقاء مع زوجها فجعل لها حكما خاصا وهو الخلع² وذلك اذا تأدت هذه المرأة من زوجها، واذا أردنا أن نتكلم عن رفق الشرع بالمرأة لطلال بنا المقام ، وأما الجانب الاخر من الرفق بأهل بيت الرجل وهم الاولاد فكان خير من علم الناس الرفق ، الرحمة مثل أعلى في ذلك ، فكان صلى الله عليه وسلم رفيقا بالصبيان حنونا عليهم يسلم عليهم ، روى البخاري من حديث انس رضي الله عنه (انه مر على صبيان فسلم عليهم) وقال : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل³) ، وكان صلى الله عليه وسلم يلعب الحسن والحسين ويحملهم ويضحك معهم ، وذكر اهل السنن أنه صلى الله عليه وسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال (كان ابن لأم سليم يقال له أبو عمير كان النبي صلى الله عليه وسلم يمازحه اذا دخل على أم سليم فدخل يوما فوجده حزينا فقال : ما لأبي عمير حزينا ؟ قالوا : يا رسول الله مات نغره الذي كان يلعب به فجعل يقول له يا أبا عمير ما فعل النغير)⁴، وكان

¹ سورة التحريم - من الآية (6)

² الخلع : فراق الرجل زوجته ببذل يحصل له ، فقه السنة لسيد سابق 295/2

³ صحيح البخاري : 4/ 225 رقم الحديث (1647)

⁴ الأربعون العشارية السامية مما وقع لشيخنا من الأخبار العالية ، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت: 806هـ) ، المحقق: بدر

صلى الله عليه وسلم عطوفا بالصبيان رحيمًا بهم ، روى ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها قالت جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال تقبلون الصبيان فما نقبلهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وما أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك)¹.

فالأسرة المسلمة سواء كان الزوج أو الزوجة أو الأولاد وغيرهم من أركان العائلة ينبغي لها أن تتحلى بالرفق والرحمة لتسود روح المحبة والطيبة لأنشاء مجتمع عطوف بعضه على بعض مستمسك بعروة قوية الا وهي الرحمة والرفق.

ثالثاً/ الرفق بالمسلمين :

إذا ولي من أمرهم شيئاً امر آخر يدخل فيه الرفق ، وهو تحمل المسؤولية ، تحمل المسؤولية لابد فيها من الرفق وهذا من أهم الذي يجب أن يؤكد عليه الذي يتولى أمور المسلمين اذا لم يكن رفيقاً بهم ، ستم الفوضى والفساد ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه عائشة رضي الله عنها ، قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فأشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به)²، لاحظ العبارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشترط أن يكون الخليفة ، فيمكن ان يكون ادنى منه بكثير ، من ولي امر ولو امر رجل واحد من المسلمين يجب ان يرفق به ، فالمدير في مدرسته ، والوزير في دائرته ، وكل صاحب اسرة يجب ان

عبد الله البدر ، الناشر: دار ابن حزم - بيروت ، ط1، 1413هـ/1992م ، 1/142 الحديث السابع

¹ صحيح ابن حبان : 407/12 رقم الحديث (5595)

² صحيح مسلم : 3/1458 رقم الحديث (1828)

يرفق بمن حوله وتحت يده ، وبمن هو مسؤول عنه ، والا فان الله سيثيق عليه يوم القيامة وفي الدنيا أيضا فالدعاء عام ودعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجاب¹.

وروى مسلم في صحيحه وغيره من اصحاب السنن ، أن عائذ بن عمرو ، و كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على عبيد الله ابن زياد ، فقال أي بني ، اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أن شر الدعاء الحطمة ، فأياك أن تكون منهم) ، فقاله : اجلس فإنما انت من نخالة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : (وهل كانت لهم نخالة ؟ أنما النخالة بعدهم ، وفي غيرهم)² ، يقول النووي في شرح هذا الحديث ((ان شر الدعاء الحطمة)) قالوا هو العنيف في رعيته لا يرفق بها في سوقها ومرعاها بل يحطمها في ذلك وفي سقيها وغيره ويزحم بعضها ببعض بحيث يؤذيها ويحطمها)³.

فالمسؤول على امور المسلمين يجب ان يكون رحيما عطوفا رفيقا برعيته لأنه مسؤول عنهم .

رابعاً/ الرفق بغير المسلمين :

من أهم جوانب التسامح في هذا الدين مع غير المسلمين: مشروعية الرحمة العامة، هنالك رحمة عامة يرحم بها المسلم الخلق كافة، كما قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله لا يضع رحمته إلا على رحيم، قالوا: كلنا يرحم يا رسول الله! قال:

¹ ينظر أهمية الرفق في حياة المسلم لمحمد صالح المنجد .

² صحيح مسلم : 1461/3 رقم الحديث 1830

³ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للإمام محي الدين النووي ، 216/12

ليس رحمة أحدكم صاحبه، ولكن يرحم الناس كافة¹ فأول مظاهر هذا التسامح الرحمة العامة؛ بل إن من أسماء الله عز وجل الحسنى المقدسة: اسمه عز وجل الرحمن واسمه الرحيم، ومعلوم اختلاف العلماء في تفسير هاتين الصفتين، وكيف أن الرحيم يختص بالمؤمنين، والرحمن رحمن الدنيا والآخرة يشمل كل المخلوقات، فالرأفة والرحمة من صفات الله عز وجل.

أيضاً أرسل الله تبارك وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم رحمة للخلق، قال عز وجل: ﴿لَوْ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾²، ومن هنا حض الإسلام على هذه الرحمة العامة للخلق كافة ورأف بهم، فمن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)³، الناس بكل أبعادها، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: (من لا يرحم لا يرحم)⁴.

ففي هذا الحديث: فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق، فيدخل المؤمن والكافر، والبهائم المملوك منها وغير المملوك.

إذاً: الرحمة شاملة لكل الخلق وليست خاصة بالمؤمنين أو بالمسلمين، وسبب هذه الرحمة ظاهر؛ فإن الحياة بمعنى الحيوانية في الشيء، فكلمة الحيوان مذكر الحياة،

¹ مسند أبي يعلى ، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثني بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: 307هـ) ، المحقق: حسين سليم أسد ، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق ، الطبعة: الأولى، 1404 - 1984 ، 250/7

² سورة الانبياء - الآية 107

³ صحيح البخاري 115/9

⁴ مسند الامام احمد 565/31 رقم الحديث 19244 وصحيح البخاري 7/8 رقم الحديث 5997

وصحيح مسلم 1808/4 رقم الحديث 2318

والدليل قوله تعالى: {وَأِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} ¹ أي: هي الحياة الحقيقية الباقية.

وعندما نقسم المملكة الحيوانية يدخل فيها الإنسان، ويدخل فيها غيره من الدواب والطيور وغير ذلك، فوجود معنى الحيوانية في الشيء سواء كان هذا الشيء إنساناً أم حيواناً من أسباب الدعوة إلى الرحمة، ولهذا لما سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (هل في الإحسان إلى البهائم أجر؟) فقال عليه الصلاة والسلام: لك في كل ذات كبد رطبة أجر) ومعلوم حديث الرجل الذي رأى الكلب وهو يلهث أو يلعق التراب من شدة العطش، فنزل البئر وأحضر له الماء في نعله أو في موقه فسقاه، فغفر الله له بذلك ².

إذاً: الرحمة العامة لكل المخلوقات، سواء كان مسلماً أو كافراً أو من البهائم: (في كل كبد رطبة أجر).

أيضاً وجود الكفر أو الفسوق أو العصيان في واحد من الناس هو أمر أصلاً يدعو إلى الرحمة والتأسف، أنت إذا تذكرت ما ينتظره من العذاب الأليم تشعر بالرحمة له والشفقة عليه من هذا العذاب، وتتأسف على حاله؛ لأنه إنسان مبتلى، فالمبتلى لا ينبغي إظهار التعالي عليه، بل على المسلم التقي الذي عافاه الله عز وجل أن يحمد ربه على العافية: {كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا} ³ أي: كذلك كنتم قبل أن تدخلوا في الإسلام.

¹ سورة العنكبوت: الآية 64

² مسند الامام أحمد 461/14 رقم الحديث 8874، صحيح البخاري 132/3 رقم الحديث 2466

³ سورة النساء - الآية 94

فالإنسان المسلم لا ينظر إلى أن هذه الهداية أو التوفيق جاءت من كده وكدحه، إنما هي برحمة الله إياه وتوفيقه الذي حرمه ذلك الكافر، فلا تنتظر للكافر بتعالٍ، فإنما الأعمال بالخواتيم، لكن انظر له بعين الرحمة العامة، فتحمد ربك على العافية وترحم هذا المبتلى، وما معنى رحمته؟ معنى رحمته أن تتصحه وتدعوه إلى الحق بالأسلوب المناسب¹.

خامسا/ الرفق بالحيوان :

ان الشريعة الاسلامية جاءت مراعية لجميع المخلوقات ، معلمة للإنسان جميع الآداب التي يجب ان يتعامل بها في حياته ومعاشه ،ومن الآداب العظيمة التي سبق اليها الاسلام الرفق بالحيوان ، فلقد علمنا رسولنا الكريم الرحمة والرفق في كل شيء حتى الحيوان ، فقال صلى الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا رجل يمشي فأشئت عليه العطش ، فنزل بئرا فشرب منها ، ثم خرج فاذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش ، فقال : لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي ، فمأخفه ،ثم امسكه بفيه ، ثم رقي ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له)²، بل حتى عند الذبح يستحسن أن يرفق الانسان بالحيوان لأنه يخاف ويتأذى مثل الأنسان ، لذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم إذا اراد أن يذبح بأن يحد الشفرة ويذبح الذبيحة ، فعن شداد بن اوس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه قال : (ان الله كتب الاحسان على كل شيء

¹ ينظر دروس الشيخ محمد اسماعيل المقدم بتصرف 51/4

² صحيح البخاري : 111/3 رقم الحديث (2393)

، فاذا قتلتهم فأحسنوا القتل ، واذا ذبحتهم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته¹.

وعرف الاسلام الرفق بالحيوان قبل تلك الجمعيات الاوربية والامريكية وغيرها التي وأنشئت ولا حامي لها ولا قانون او اسس تقوم عليها فلا تستطيع ان تعاقب من يؤذي حيوان .

هذا وقد بلغ المسلمون في الرفق بالحيوان حدا يكاد يكون مبالغا فيه ، حتى أن عدي بن حاتم كان يفت الخبز للنمل ويقول : إنهن جارات ولهن حق ، كما رواه النووي في تهذيب الاسماء ، سمعوا بعض المفسرين يقول في قوله عز وجل : (والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم)² أن المحروم هو الكلب³.

بل مع أصغر حيوان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤوفا رحيما ، فعن عبد الرحمن بن عبدالله عن ابيه قال :كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ، فأطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرختيها ، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال (من فجع هذه بولديها ردوا أولادها أليها) ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال : (من حرق هذه) قلنا : نحن قال : (أنه لا ينبغي أن يعذب بالنار الا الرب النار)⁴.

¹ صحيح مسلم : 1548/3 رقم الحديث (1955)

² سورة المعارج - الآيتان (24-25)

³ ينظر : حقوق الحيوان والرفق به في الشريعة الإسلامية ، أحمد عبيد الكبيسي ، الجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة ، 33/1

⁴ سنن أبي داود : 55/3 رقم الحديث (2675)

(المطلب الثاني)

اهمية الرفق وعلاقته بالحكمة

الرفق ولين الجانب هو من الأركان والأسباب التي تؤدي إلى الحكمة ، فإن الله رفيق يحب الرفق، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه»¹ .

وكان صلى الله عليه وسلم وهو الرفيق بأمته يوصي صحابته بالرفق والسكينة دائماً، وقد مدح الله -جل وعلا- رسوله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾² . فالرفق واللين من سمات الحكماء.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هناك فهما خاطئاً لمفهوم اللين؛ حيث يتصور الكثير أن الرفق واللين مرادف للضعف. وهذا فهم خاطئ، فإن الرفق واللين لا يضاد القوة، ولا يستلزم الضعف، وإنما يضاد العنف والفظاظة والغلظة، ومن الأدلة على ذلك:

1- أن الله -تعالى- وصف رسوله صلى الله عليه وسلم باللين، ومدحه بذلك، ونفى عنه الفظاظة والغلظة، ولا يمدح إلا بالمدوح.

2- أن الرسول صلى الله عليه وسلم من أقوى الرجال بل هو أقواهم، مع اللين والرحمة، والرفق وخفض الجانب.

3- أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى الذي يريد أن يذبح ذبيحته باللين والرفق، والذبح من مظاهر القوة لا الضعف «وليحد شفرته وليرح ذبيحته»³ . وفي

¹ مسلم (2593) ، (2594) .

² (آل عمران: من الآية 159)

³ رواه مسلم (1955) .

هذا الحديث دليل على أن القوة باللين والرفق، فحد الشفرة، دليل على القوة بلين ورفق.

4- أن الجهاد مظهر من مظاهر القوة، بل هو القوة بعينها، ومع ذلك ينهى فيه عما يؤدي إلى العنف والغلظة، فنهى عن المثلة ونحوها.

وبهذا يتضح أنه لا منافاة بين اللين، والرفق وبين القوة، وكلها من صفات الحكماء. وبعد:

فهذه أهم وأبرز أركان الحكمة وأسبابها، حسب ما ظهر لي بالتتبع والاستقراء لكتاب الله عز وجل.

وقد تجتمع هذه الأركان في شخص واحد، وهو نادر وقليل، وقد تتوافر في مجموعة من الأفراد، فبمجموعهم تتوافر فيهم أركان الحكمة وسماتها.

وكما ذكر العلماء، أن المجدد قد يكون فردًا واحدًا، وقد يكونون مجموعة من العلماء، والدعاة يجددون لهذه الأمة أمر دينها¹.

ولهذا فإن الحكمة قد تكون كاملة وقد تكون نسبية، وهو الأكثر² وهذا المفهوم يساعدنا في البحث عن الحكمة والحكماء عند مواجهة الأحداث والأزمات.

¹ ينظر: كتاب التجديد والمجددون.

² قال ابن القيم في مدارج السالكين 4 / 479: والله - تعالى - أورث الحكمة آدم وبنيه، فالرجل الكامل من له إرث كامل من أبيه، ونصف الرجل كالمراة له نصف ميراث، والتفاوت في ذلك لا يحصيه إلا الله تعالى. وأكمل الخلق في هذا: الرسل، صلوات الله وسلامه عليهم، وأكملهم أولو العزم، وأكملهم محمد، صلى الله عليه وسلم، ولهذا امتن الله - سبحانه وتعالى - عليه، على أمته بما أتاهم من الحكمة، كما قال - تعالى -: وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ

والحكمة كلمة أحسبها أوسع من مصطلح (المصلحة) وأسمى من مصطلح (معقول المعنى) فهي كلمة جامعة مانعة تعطي للقلب المتطور إحساسا بأنها مفردة جليلة تعني الخير والساد والاصابة والفلاح والريح والهدف والأمر المنشود والغاية المتوخاة فكانت كلمة مباركة ، ثم تعني الحكمة: (الرفق) و (اللطف) و (الفهم) .

فالخشونة والغلظة والجفاء والتجهم والعبوسة والانقباض وأضرابها لا تنتمي لدائرة الحكمة ، والتشدد والانغلاق والتعمر والتطرف والمبالغة والتهويل كلها مفردات تبتعد عن الحكمة ، ونحن الآن مطالبون باستخدام (الحكمة) التي لها وزن كبير في التنزيل الحكيم: {وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} ، وكان الطبيب عند العرب هو (الحكيم) ، وما أحوجنا الآن في جميع الأمور إلى معالجة الأحوال ب (الحكمة) فهي علم وعمل وهي أيضا شعور يدفع المؤمن للتريث والتأني قبل التسرع في تصرفات لا تحمد عقباها.

والدعوة في ديار الغرب تحتاج إلى تخطيط وهو عين الحكمة، وتحتاج إلى الهدوء والسكينة وهو من الحكمة، وتحتاج إلى التبصر وقراءة العواقب وهما من الحكمة، وتحتاج إلى اللطف والرفق والشفقة وهي من الحكمة، وتتطلب الدراسة العميقة والاطلاع على أحوال القوم عن كثب ومعرفة واقعهم والمهارة في لسانهم وذلك كله من الحكمة.

والمقصود بالوسطية هو أن هذا الدين الحنيف عقيدة وشريعة وأخلاقا هو الأولى والأجدر والأخير والأفضل فينبغي التركيز على هذا الطابع الرباني للشريعة الإلهية مصدرا، العالمية شمولا واستغرافا، والتي لا تميز بالأجناس ولا تجازي بالعرقيات ولا

تَعْلَمُ. وَقَالَ: كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ.

تعتد بالعصبيات ولا تمجد بالدم والقبلية والعنجهية والتفاخر بالأنساب والأوطان ولا تكرم بالسطوة والجاه والأموال ولا تعتد إلا بأمرين جليلين هما الإيمان الصحيح والعمل الصالح (تقوى الله) : {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}¹.

وبالتالي فالوسطية في الدعوة هي التركيز على هذه المعاني السامية والأهداف النبيلة التي تكرم النوع البشري وتجعله خليفة الله في الأرض ليعمر هذا الكوكب مؤمنا بخالقه ومصداقا بلقاء سيده ومولاه ومجتهدا في الفضائل بعد الواجبات متكبها عن عدوه الأصلي وهو الشيطان الذي يريد الزينغ بالآدميين ويبتغي لهم العوج في الفكر والسلوك.

إن الوسطية تدور حول انتخاب الأسمى والأرقى والألذ والأشهى والأطيب من مفاهيم هذه الدعوة ومضامين البلاغ وبالتالي تأخذ بحسبانها انتخاب كل معنى رائع فتقدمه للمتلقي على طابق من الأدلة والبراهين التي لا يرقى إليها الشك.

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}² وهنا الوسط خيار الشيء ولبه وأفضله وأطيبه.

والمقصود بالاعتدال هو أخذ الأمور دون تطرف ومبالغة وتهويل وتضخيم. ونحن نلمز من الخصوم والأعداء وأيضا من الجاهلين بكوننا متطرفين حيث التطرف عندهم ما يشكل الخروج عن العادات الجاري بها العمل في مجتمعاتهم، فوجب الحذر الشديد من الوقوع في التطرف الحقيقي الذي ينهى عنه الله.

¹ سورة الحجرات - من الآية 13

² سورة البقرة - من الآية 143

وبما أننا نبتغي بالدعوة النفاذ إلى القلوب والوصول إلى ضمائر الناس لكي يقتنعوا عن صدق بما نعرضه عليهم فإن العوائق التي تصدهم عن قبول البلاغ ينبغي إزالتها ليصفو المنهل ويتضح أمامهم المهيع ويستبين السبيل. وهذه الأمور الثلاثة: الحكمة والوسطية والاعتدال تناقض تماماً أضعافها من العبثية والتطرف والابتذال، وهذه الثلاثة الأخيرة من منابع الإجرام والحرابة والفساد في الأرض وهو ما يطلق عليه الآن مصطلح الإرهاب ، إنه لا مشاحة في الاصطلاح¹.

والنفس البشرية تميل إلى الرفق ولين الجانب وطيب الكلام وتأنس به، وتتفر من الجفوة والغلظة. ولذا كان حري بالمعلمين والمربين أن يعوا هذا الجانب ويطبقوه على تلاميذهم وطلابهم ، والشدة على المتعلمين مضرّة بهم² وذلك أن إرهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة..³

¹ فقه الدعوة الإسلامية في الغرب ووجوب تجديدها على الحكمة والوسطية والاعتدال ، المؤلف: أ. علي بن أحمد بن الأمين الريموني ، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية ، 13-14

² عنوان فصل عقده ابن خلدون في مقدمته. وهو الفصل الثاني والثلاثون من الباب الخامس. من الكتاب الأول.

³ مقدمة ابن خلدون ص540.

ولقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة وأعلاها في حسن تعليمه ورقفه بصحابته رضوان الله عليهم، فمنها: «عن أنس رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد. فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تزرموه ، دعوه " فتركوه حتى بال، ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه، فقال له: " إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول والقذر، إنما هي لذكر الله والصلاة، وقراءة القرآن " أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: وأمر رجلاً من القوم، فجاء بدلو من ماء فسنه عليه»¹. ففي هذا الحديث بيان لرفق النبي صلى الله عليه وسلم بالأعرابي وحسن تعليمه له، وذلك لأن الأعرابي كان يجهل ذلك الحكم بطبيعة الحال ولهذا السبب لم يعنفه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوبخه، بل دعاه وعلمه برفق الأمر الذي يجهله. ولقد صور الأعرابي ذلك الموقف بعد أن فقه، بقوله: «بأبي هو وأمي فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب». وفي هذا القول دليل على تأثر الأعرابي برفق النبي صلى الله عليه وسلم به، وحسن تعليمه له.

قال الحافظ ابن حجر بعد حديث أنس: وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً، ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استتلافه. وفيه رافة النبي صلى الله عليه وسلم وحسن خلقه².

¹ رواه مسلم. وعند أحمد وابن ماجه زيادة وهي: قال: يقول الأعرابي بعد أن فقه: «فقام النبي صلى الله عليه وسلم إلي بأبي هو وأمي فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب» .

² فتح الباري 1 / 388.

الخاتمة

من خلال ما تقدم من مضمون البحث ، نجد بأن الرفق في المنظور الاسلامي له نتائج عظيمة في حياة الفرد المسلم سواء ذلك مع أسرته او مع المجتمع والمسلمين ، وهذا اهم ما تم استخلاصه من نتائج البحث المقدم .

1- ان الرفق يحمل معاني عدة عند اهل اللغة منها اللين واليسر والرحمة والعفو والاعانة .

2- ان الرفق في الاصلاح عند اهل العلم الشرعيين مشابه عما وجد في اللغة ولا يكاد يخرج عنه فهو يحمل معاني الرحمة والرأفة والبر .

3- ان القرآن الكريم والسنة النبوية جاءت بالرفق والسماحة وحملت في طيات الآيات والاحاديث معاني الرفق والدلالة عليه من خلال الامر به بوجه ظاهر أو الدلالة عليه اشارة .

4- ان الرفق يدخل في جميع امور الحياة وهو كله خير وصاحبه محمود ومحبوب عند الناس جميعا .

5- من خلال الرفق يجب على الفرد ان يكون بها حازما شديدا ، اي أنه يتنازل عن الرفق لكن يجب أن يكون هذا الامر في محله .

قائمة المصادر والمراجع

- 1- الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة /ابو الفضل جعفر بن محمد "شمس الخلافة" أبن مختار الأفضلي ، الملقب مجد الملك، (ت، 622هـ).
- 2- إبطال التأويلات لأخبار الصفات ، للقاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى : 458هـ) ، المحقق : محمد بن حمد الحمود النجدي ، الناشر: دار إيلاف الدولية - الكويت .
- 3- الاربعون العشرية السامية مما وقع لشيخنا من الاخبار العالية : ابو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن ابي بكر ابراهيم العراقي ،(ت 806 هـ)، المحقق: بدر عبدالله البدر، الناشر ،دار أبن حزم - بيروت ،الطبعة الاولى (1423هـ - 1992م) .
- 4- الاعتصام ، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ) ، تحقيق ودراسة:الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير ، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد ، الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل ، الصيني ، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م .
- تفسير أسماء الله الحسنى ، لأبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: 1376هـ) ، المحقق: عبيد بن علي العبيد ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة: العدد 112 - السنة 33 - 1421هـ .
- 7- تفسير القرآن العظيم :أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، (ت : 772هـ)، تحقيق سامي محمد سلامة ،النشر دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية (1420هـ - 1999م).

- التمسك بالسنن والتحذير من البدع (السنة 27 -- العددان 103 -104) ،
 لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَإِماز الذهبي (المتوفى:
 748هـ) ، المحقق: محمد باكريم محمد باعبد الله ، الناشر: الجامعة الإسلامية
 بالمدينة المنورة ، الطبعة: السنة 27 -- العددان 103 - 104 -- 1416
 /1417هـ - 996م/1997م
- تهذيب اللغة ، لمحمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (ت: 370هـ) ،
 المحقق: محمد عوض مرعب ، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط1،
 2001م .
- 8- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان :عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله
 السعدي ، (ت:1376هـ) ، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ،الناشر مؤسسة
 الرسالة الطبعة الاولى (1420هـ -2000م).
- 3- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي
 بكر بن فرج الانصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ،(ت: 671هـ) ،تحقيق
 :أحمد البردوني وابراهيم طفيش ،الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة ،الطبعة
 الثانية (1384هـ - 1964).
- 9- جمهرة اللغة : ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي (ت:321هـ)،تحقيق
 رمزي منير بعلبكي ،الناشر :دار العلم للملايين .بيروت ،الطبعة الاولى (1987م).
 - حقيقة السنة والبدعة = الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع ، لعبد الرحمن بن أبي
 بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ) ، المحقق: ذيب بن مصري بن
 ناصر القحطاني ، الناشر: مطابع الرشيد ، 1409 هـ

- دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية ، المؤلف: عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، <http://www.islamweb.net>
- دروس الشيخ محمد إسماعيل المقدم ، المؤلف: محمد أحمد إسماعيل المقدم ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، <http://www.islamweb.net>
- 23- دروس للشيخ محمد المنجد : محمد صالح المنجد ، مصدر الكتاب : دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الاسلامية .
- دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهاجاً وأسلوباً ، لعبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، مكتبة الملك فهد الوطنية
- زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: 1394هـ) ، دار النشر: دار الفكر العربي .
- 4- الزهد والرفائق لابن المبارك :أبو عبد الرحمن عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي ،التركي ثم الرمزي (ت :181هـ) ،المحقق حبيب الرحمن الاعظمي ،الناشر دار الكتب العلمية - بيروت .
- سنن ابن ماجه ، لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي .
- 10- سنن ابي داوود :أبو داوود سليمان بن الاشعث بن أسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الازدي السجستاني ،(ت:375هـ) ،تحقيق محمد محي عبد الحميد ،الناشر :المكتبة المصرية صيدا - بيروت.

- سنن الترمذي (الجامع الكبير) ، لمحمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ) ، المحقق: بشار عواد معروف ، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت ، سنة النشر: 1998 م .
- شرح سنن أبي داود ، لعبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر ، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية ، <http://www.islamweb.net>
- 5- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية :أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي و(ت: 393هـ)،تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ،الناشر :دار العلم للملايين ،الطبعة الرابعة (1407هـ- 1987م).
- 11- صحيح بن حبان : لابي حاتم محمد بن احمد بن حبان بن معاذ معبد التميمي الدارمي البستي ،(ت: 354هـ) تحقيق شعيب الارنؤط ،الناشر :مؤسسة الرسالة - بيروت ،الطبعة الثانية (1414 هـ -1993م).
- 12- صحيح البخاري :ابو عبدالله محمد بن اسماعيل الجهني (ت:256هـ) ،تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر :دار طوق النجاة ، الطبعة الاولى (1422هـ)
- 13- صحيح الترغيب والترهيب :محمد ناصر الدين ا لا لباني ،(1420هـ) ، الناشر مكتبة المعارف .الرياض ، الطبعة الخامسة .
- 14- صحيح مسلم :ابو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ،(261هـ) ،محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر :دار احياء التراث العربي - بيروت.

- صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة ، المؤلف : علوي بن عبد القادر السَّقَّاف ، الناشر : الدرر السنية - دار الهجرة ، الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ - 2006 م
- العدة في أصول الفقه ، للقاضي أبو يعلى ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المتوفى : 458هـ) ، حققه وعلق عليه وخرج نصه : د أحمد بن علي بن سير المباركي، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - جامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية ، الطبعة : الثانية 1410 هـ - 1990 م .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379 ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب ، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز .
- فقه الدعوة الإسلامية في الغرب ووجوب تجديدها على الحكمة والوسطية والاعتدال ، المؤلف: أ. علي بن أحمد بن الأمين الريسوني ، الناشر: الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية .
- 16- كتاب حقوق الحيوان والرفق به الشريعة الاسلامية :احمد عبيد الكبيسي ،الناشر : الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ،الطبعة الثانية .
- 15- كتاب العين : ابو عبد الرحمن احمد بن خليل بن احمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ،(ت :170هـ) ،المحقق :د.مهدي المخزومي ،ابراهيم السامرائي ، الناشر : دار مكتبة الهلال .

- لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ) ، الناشر: دار صادر - بيروت ، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ .
- 17- لطائف الاشارات : عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، (ت: 265هـ) ، تحقيق ابراهيم البسيوني ، الناشر :الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة .
- متن القصيدة النونية ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، الطبعة: الثانية، 1417 هـ .
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ) ، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي ، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996 م .
- 18- مرشد الحطيب ودليل الباحث في الخطب المنبرية : عبد الرحمن المصطاوي ، الناشر: دار المعرفة الطبعة الثانية (1431هـ - 2010م) .
- 19- مسند الامام احمد بن حنبل :ابو عبدالله عمر بن محمد بن حنبل بن هلال بن اسد الشيباني ، (ت:241هـ) ،تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى (1421هـ - 2001م).
- مسند أبي يعلى ، لأبي يعلى أحمد بن علي بن المثني بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلية (المتوفى: 307هـ) ، المحقق: حسين سليم أسد ، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق ، الطبعة: الأولى، 1404 - 1984

- معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين وكاتب وحي النبي الأمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كشف شبهات وردّ مفتريات ، لشحاتة محمد صقر ، دار الخفاء الراشدين - الإسكندرية، مكتبة الأصولي - دمنهور، مكتبة دار العلوم - البحيرة (مصر)
- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات ، لمحمد بن خليفة بن علي التميمي ، أضواء السلف، الرياض، المملكة ، العربية السعودية ، الطبعة: الأولى 1419هـ/1999م
- 20- معجم الفروق اللغوية :ابو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، (ت: 395هـ) ، تحقيق : الشيخ بيت الله بيان ،ومؤسسة النشر الاسلامي ، الناشر :مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، الطبعة الاولى (1412هـ).
- 21- معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم : عبد الرحمن بن ابي بكر جلال الدين السيوطي (ت:911هـ) ،تحقيق :أ.د. محمد ابراهيم عبادة ، الناشر :مكتبة الآداب - القاهرة ، الطبعة الاولى (1422هـ - 2002م).
- 22- معجم مقاييس اللغة : ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ، (ت: 395هـ) ،تحقيق : عبد السلام محمد هارون ،الناشر دار الفكر .
- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة: الثالثة - 1420 هـ
- مقدمة ابن خلدون ، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ) ، عارضها بأصولها وعلق حواشيها:

- محمد بن تاويت الطنجي ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م
- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ) ، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي ، الناشر: الجفان والجابي - قبرص ، الطبعة: الأولى، 1407 - 1987
- مكارم الأخلاق للطبراني ، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ) ، كتب هوامشه: أحمد شمس الدين ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ط1، 1409هـ - 1989م .
- 6- المنهاج شرح صحيح بن مسلم بن الحجاج :ابو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي ، (ت: 676هـ) ،الناشر دار التراث العربي بيروت ،الطبعة الثانية (1392هـ).

قاعدة: (التَّصَرُّفُ عَلَى الرَّعِيَةِ مَنُوطٌ بِالْمَصْلَحَةِ) دراسةٌ فقهيةٌ تطبيقيةٌ

إعداد: أ. علي عمر الزرقاني*

المخلص:

إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وناظمة للناس أمور دينهم ودنياهم وما يستجد من قضايا في حياتهم، وما يطرأ عليها من الحوادث والنوازل؛ لذا جعلها الله - تبارك وتعالى - خاتمة الشرائع ومنتهى الرسائل، وبحثنا هذا يصب في نفس الموضوع حيث يقدم حلاً لمشكلة الاعتباط بالولايات والسلطات والإدارات التي ظن من ركبها أنه بها قد ملك الرقاب، وفتح له الباب، فأمر بهواه ونهى بمشتهاه، وتخوض في مال الله بغير حق، وكذلك مشكلة غياب مراعاة المصلحة في كثير من التصرفات الصادرة عن الحكام المسؤولين والإداريين في مختلف مؤسسات البلاد، والهدف من هذا البحث رسم حدود الإدارات العامة والخاصة في الإسلام؛ حيث إنها لا تتعلق بمقام الإمامة العظمى فحسب؛ بل هي مطردة وعامة تسري على الأمراء والرؤساء فمن دونهم؛ من وزير، أو محافظ، أو رئيس جامعة، أو عميد كلية، أو مدير مدرسة، حتى تصل إلى رب الأسرة، وولي اليتيم، ووصيه، وناظر الوقف، وهكذا في كل راعٍ، واتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي والوصفي، وتوصلت فيه إلى أن هذه القاعدة ترسم حدود الإدارات العامة والسياسة الشرعية في سلطان الولاية وتصرفاتهم - الشرعية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية - على الرعية ، فتفيد أن أعمال الولاية النافذة على الرعية يجب أن تبنى على المصلحة للجماعة وخيرها، لأن الولاية من الخليفة فمن دونه ليسوا عمالاً لأنفسهم، وإنما هم

*محاضر مساعد كلية علوم الشريعة -الخمس

وكلاء عن الأمة في القيام بأصلح التدابير لإقامة العدل، ودفع الظلم، وصيانة الحقوق والأخلاق، وضبط الأمن، ونشر العلم، وتطهير المجتمع من الفساد، وتحقيق كل خير للأمة بأفضل الوسائل، مما يعبر عنه بالمصلحة العامة، فكل عمل أو تصرف من الولاية على خلاف هذه المصلحة هو غير جائز، وأوصيت فيه كتبة الدساتير وفقهائها في البلاد الإسلامية بتضمين الدساتير لهذه القاعدة؛ لتكون أحد بنود الاتفاق بين الراعي والرعية.

الكلمات المفتاحية: قاعدة فقهية، التصرف، الرعية، المصلحة، السياسة

الشرعية.

Abstract:

The Islamic Sharia is valid for every time and place, and it regulates people's religious and worldly matters, as well as new issues in their lives, and what happens to them in terms of accidents and calamities. So ALLAH – Blessed and Exalted be He – made it the final law and the end of the messages, and our research is on the same topic as it provides a solution to the problem of gratification with the mandates, authorities and administrations that those who rode it thought that he had possessed the necks(lives), and the door opened for him, so he commanded as his craving and forbade as his desires, and waded into God's money without Haq(Right), as well as the problem of the absence of taking consideration the interest in

many of the actions of the responsible governors and administrators in the various institutions of the country, and the aim of this research is to draw the boundaries of public and private administrations in Islam; As it is not only related to the position of the Great Imamate; Rather, it is diverge and general that applies to princes and presidents and those below them; From a minister, governor, university president, college dean, or school principal, until it reaches the family's father, the orphan's guardian, endowment administrator, and so on for every sponsor. and I followed the analytical and descriptive approach in this research. It concluded This rule delineates the limits of public administrations and Sharia politics in the authority of the rulers and their actions – legal, social, political and economic – on the parish community. stating that the actions of the guardians in force for the parish must be based on the interest and good of the community, Because the guardians of the successor without him are not workers of themselves, but agents of the nation is to take the best measures to establish justice, repel injustice, maintain rights and morals, control security, spread knowledge, purify society from corruption, and achieve every good for the nation by the

best means, which is expressed in the public interest. Every act or action of the guardian contrary to this interest is impermissible.

And I recommended that constitution writers and jurists in Islamic countries include this rule in constitutions. To be one of the terms of the agreement between the sponsor and the parish.

المقدمة:

الحمد لله الذي أسس الإسلام على متين القواعد، وجعل الشريعة بشريف المقاصد، ففقه في دينه من أراد بهم خيراً من عباده الأمائل والأماجد، فشمروا السواعد، وحبروا الكواغد، فألفوا فنوناً وصنفوا علوماً أقاموا عليها العلام والشواهد، فكان من أجل ما أبدعوه واستتبطوه علم الضوابط والقواعد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد خير قائد، وعلى آله وصحبه أولي الفضائل والمحامد، والتابعين بإحسان وكل من كان لله خير مجاهد.

أما بعد:

فإن الاشتغال بطلب العلم والتفقه في الدين من أجل المقاصد، وأعظم الغايات وأولى المهمات؛ لذلك ندب إليه الشارع الحكيم في كثير من نصوص كتابه، وأمر نبيه ﷺ بالزيادة منه؛ فقال - تعالى - ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: 122]

وقال جلّ وعلا: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (١١٤) [طه: 114].

وقد رتب النبي ﷺ الخير كله على التفقه في الدين، فقال: ((مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ))⁽¹⁾، وقال أيضاً: ((النَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فُقُّهُوا))⁽²⁾. وهذا مما يدل على أهميته وعظم شأنه.

ومن الفقه في الدين: الفقه في علم القواعد الفقهية وإعمالها في استنباط الأحكام، التي يعرف بها العبد حق الله عليه، وما أحله الله فيأتيه، وما حرمه فيذره، ولا سبيل إلى معرفة ذلك إلا بالتفقه في الدين وبثه بين عباد الله.

لذا فإن هذا البحث المتواضع يندرج في علم القواعد الفقهية، وقد وقع اختياري على قاعدة فقهية عظيمة ستبين أهميتها من خلال البحث - لاسيما وأنها تتصرف أول ما تتصرف إلى الإمامة العظمى التي تدبر أمر الرعية وتصلح شؤونها فما صلح الأمر إلا بصلاح صاحبها وما فسد إلا بفساده. وقاعدتنا المقصودة هي: (التَصَرُّفُ عَلَى الرِّعِيَةِ مَثُوطٌ بِالْمَصْلَحَةِ).

المشكلة:

لعل من أبرز مشكلات بحثنا المقصودة بالعلاج هو ما نشاهده من الاغتياب بالولايات والسلطات والإدارات التي ظن من ركبها أنه بها قد ملك الرقاب، وفتح له الباب، فأمر بهواه ونهى بمشتهاه، وتخوض في مال الله بغير حق، حتى جامل به أعداء الله المحاربين لشرعه؛ فمنع من له الحق، وأعطى من لا يستحق؛ ويكأنه

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)، برقم:

71، من حديث معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي

يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٍ لِّلرَّسَالِينِ﴾ (٧) برقم: 3383 من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه.

ميراث أمه أو كد أبيه، وهلم جراً. وكل ذلك من ضعف الديانة المؤدي إلى خيانة الأمانة وضياع المصلحة وجلب المفسدة، المتمثل في إفقار المسلمين وتجهيلهم الموصل إلى بغض الرعية لراعيها وتفرغها لقويض سلطانه والخروج عليه الموقع للجميع في الفوضى العارمة من سفك الدماء، وهتك الأعراس، ونهب الأموال، وغياب الأمن، وكل هذه فتن عظيمة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، وعندها لا تسل عن السبب، فهذا جزء من جهل المقام الذي تولاه، ففرح بالحال ونسي المآل واحتجب دون خلة الناس، وفتح للرعية باب الرذيلة، وقرب قوادها، وقتل الفضيلة وسحل حراسها من الناصحين، وتكذب شريعة رب العالمين، وخالف ما كان عليه الأمراء من الأسلاف الصالحين.

كذلك من مشكلات البحث أن فثاماً من الناس جعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد، وسدوا بذلك طرقاتاً صحيحة من طرق معرفة الحق وعطلوها.

أهمية الموضوع:

- 1- إن هذه القاعدة من أعظم قواعد السياسة الشرعية العادلة.
- 2- ترسم هذه القاعدة حدود الإدارات العامة والخاصة في الإسلام؛ حيث إنها لا تتعلق بمقام الإمامة العظمى فحسب؛ بل هي مطردة وعامة تسري على الأمراء والرؤساء فمن دونهم من وزير أو محافظ أو رئيس جامعة أو عميد كلية أو مدير مدرسة، حتى تصل إلى رب الأسرة، وولي اليتيم، ووصيه، وناظر الوقف.
- 3- هذه القاعدة تتعلق بالمصالح التي هي أعظم ما جاءت به الشريعة الغراء والملة السمحاء، خصوصاً منها العامة، حيث أولتها الشريعة عناية أوفر من عنايتها بالمصالح الخاصة؛ وأيضاً هذه القاعد تتعلق بأعظم مقصد من مقاصد الشريعة وهي حفظ الضرورات الخمس: (الدين، والنفس، والمال، والعرض، والعقل).

4- بيان أن كل تصرف من الراعي يناقض هذه القاعدة يعود عليه بالنقض.

أسباب اختيار الموضوع:

- 1_ اهتمامي بالقواعد الفقهية وبخاصة قواعد السياسة الشرعية.
- 2- إدراكاً مني بأهمية هذا الموضوع وموقعه من الشريعة وحاجة الناس إليه عموماً والولادة خصوصاً.
- 3_ لأنني أرى أن صلاح حال بلادنا وبلاد المسلمين عامة في تطبيق هذه القاعدة التي تجسد السياسة الشرعية في أبعث صورها.
- 4_ جهل الكثير من الناس بأهمية القواعد الفقهية المتعلقة بالسياسة الشرعية؛ حيث تعد القواعد كالحياض الواسعة، والوعاء الذي يهرع إليه الفقيه؛ لما تحويه القاعدة من الفروع، وأسرار التشريع، ومآخذ الأحكام.
- 5_ غياب مراعاة المصلحة في كثير من التصرفات الصادرة عن الحكام المسؤولين والإداريين في مختلف مؤسسات البلاد.
- 6- إبطال الدعوى بأن الشريعة قاصرة عن الإيفاء بمصالح العباد وتبدير شؤونهم.

الدراسات السابقة:

- أفردت هذه القاعدة- فيما اطلعت عليه- بثلاث دراسات مستقلة:
- الأولى: دراسة علمية بعنوان: (قاعدة تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة وتطبيقاتها الفقهية والقانونية في مجال المعاملات المعاصرة) لمحمد طلافحة. منشورات مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2009م.
- الثانية: بحث علمي بعنوان: (قاعدة تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة" دراسة تأصيلية تطبيقية فقهية") لناصر بن محمد الغامدي، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع46، 1430هـ.

الثالثة: بحث علمي بعنوان: (قاعدة تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة وتطبيقاتها المعاصرة في المجال البيئي) لقطب الريسوني، جامعة قطر لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، ع 29، 2011م.

هيكلية البحث:

تتضمن: مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

فالمقدمة: تتناول المشكلة، وأهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، والمنهج المتبع في الدراسة:

والتمهيد: يتناول صلة القواعد الفقهية بالسياسة الشرعية، والتعريف بهما، وتوثيق القاعدة وصيغها.

أما المبحث الأول: فيتناول حقيقة القاعدة وبيان معنى ألفاظها ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى التصرف.

المطلب الثاني: معنى الرعية.

المطلب الثالث: معنى المصلحة.

المبحث الثاني: ويتناول تأصيل القاعدة ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: تأصيل القاعدة من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: تأصيل القاعدة من السنة النبوية.

والمبحث الثالث: تطبيقات القاعدة، ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: تطبيقات القاعدة في عهد السلف.

المطلب الثاني: مسائل وأمثلة معاصرة على القاعدة.

والمنهج الذي اتبعته في البحث كان على النحو الآتي:

تتبع المنهج الاستقرائي في توثيق القاعدة وتتبع صيغها.

تتبع المنهج التأصيلي في استجلاء أدلة القاعدة.

تتبع المنهج الاستنباطي في بيان فروع القاعدة وتطبيقاتها.

عزوت الآيات إلى سورها.

خرجت الأحاديث النبوية من كتبها.

وضعت ثبناً بالمصادر والمراجع.

الخاتمة: استعرضت فيها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

التمهيد:

إن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، وناظمة للناس أمور دينهم ودنياهم وما يستجد من قضايا في حياتهم، وما يطراً عليها من الحوادث والنوازل؛ لذا جعلها الله - تبارك وتعالى - خاتمة الشرائع ومنتهى الرسائل، وإن من أجل علوم الشريعة علم الفقه؛ إذ به يعرف الحلال من الحرام، والهدى من الضلال، ويعبد الإنسان ربه على بصيرة وهو خلاصة ما استنبطه العلماء من الأدلة الشرعية.

ولما كان الفقه عبارة عن فروع فقهية متعددة، ومسائل متنوعة في جميع الأبواب، فقد جمعها العلماء في ما يسمى بفن القواعد الفقهية، وهو فن عظيم شأنه، شريف قدره، عالٍ ذكره، عميم نفعه؛ إذ به ينتظم منشور المسائل في سلك واحد، وبه تُقَيَّد الشوارد، ويتقرب به كل متباعد، ويجمع به كل متفرق، لا سيما وأن هذا الجمع من خصائص نبينا محمد ﷺ، يقول النبي ﷺ كما في الصحيح من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه : عن النبي ﷺ أنه قال: (بعثت بجوامع الكلم)⁽¹⁾، وبه يعرف أحكام الحوادث والوقائع والنوازل المتجددة التي لم يُنصَّ عليها صراحةً في الكتاب الكريم والسنة الشريفة، ويقدر الإحاطة بهذه القواعد يعظم قدر الفقيه ويشرف، ويستغني عن حفظ أكثر الجزئيات؛ لاندراجها في الكليات، ويتحصل على مطلوبه في أقرب زمان، علاوة على أنها تعين طالب الفقه على إدراك مقاصد الشريعة؛ فقاعدتنا المقصودة بالبحث- مثلاً - تفيد أن الشريعة مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد.

والقواعد الفقهية ليست بدعا من الأمر فقد جاءت بنصها في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُرُوعِي بَيْنَهُمْ﴾ الشورى: 38، ومنها ما جاء على لسان رسوله ﷺ كقوله: (المسلمون على شروطهم)⁽²⁾ ومنها ما استنبطه العلماء، كقولهم: لا اجتهاد مع النصّ.

ومن أجل هذه القواعد، قاعدة: (التصرف على الرعية منوط بالمصلحة)، ولما كانت هذه القاعدة من القواعد الكلية التي تتعلق بباب السياسة الشرعية والمقاصد المرعية- باعتبارها جزءاً من الفقه الإسلامي شأنها شأن الأبواب الفقهية الأخرى- فإننا سنعرّف أولاً بالسياسة الشرعية في اللغة والاصطلاح، ثم سنعرّف بالقواعد الفقهية ثانياً- باعتبار أن قاعدتنا جزء منها- بشيء من الإيجاز على هذا النحو:

(1) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي نصرت بالرعب مسيرة شهر، برقم: 2977..

(2) رواه الترمذي في جامعه، في كتاب الأحكام، باب ما ذكر في الصلح بين الناس، وقال: حسن صحيح، برقم: 1352، 3/ 634 وقال الألباني: صحيح.

أولاً: السياسة الشرعية.

السياسة لغةً: جاء في (المصباح المنير): سَاسَ زَيْدٌ الأَمْرَ يَسُوسُهُ سِيَّاسَةً دَبَّرَهُ وَقَامَ بِأَمْرِهِ⁽¹⁾. وجاء في (لسان العرب) لابن منظور الأفرريقي: والسَّوْسُ: الرِّبَاسَةُ، يُقَالُ: سَاسُوهُمْ سَوْسًا، وَإِذَا رَأَى قَبِيلٌ سَوْسُوهُ وَأَسَاسُوهُ. وسَاسَ الأَمْرَ سِيَّاسَةً: قَامَ بِهِ، وَسَوَّسَهُ القَوْمُ: جَعَلُوهُ يَسُوسُهُمْ. وَيُقَالُ: سَوَّسَ فلَانٌ أَمْرَ بَنِي فلَانٍ أَيْ كَلَّفَ سِيَّاسَتَهُمْ، والسِّيَّاسَةُ: القِيَامُ عَلَى الشَّيْءِ بِمَا يُصْلِحُهُ⁽²⁾.

ومن هذا يتضح أن كلمة السياسة تطلق في اللغة بإطلاقٍ كثيرة، ومعناها في جميع إطلاقاتها يدور على تدبير الشيء، والتصرف فيه بما يصلحه بالأمر والنهي، والتوجيه والإرشاد، والتأديب والتهديب؛ انطلاقاً من قدرة تعتمد على الرئاسة. هذا هو تعريف السياسة الشرعية في اللغة.

والسياسة الشرعية في الاصطلاح: تدبير الأمر في الأمة داخلاً وخارجاً تدبيراً منوطاً بالمصلحة⁽³⁾.

وعرفها آخرون بأنها: استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة فهي من الأنبياء ظاهرهم وباطنهم، ومن السلاطين والملوك في ظاهرهم،

(1) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المكتبة العلمية - بيروت، ط: بلا، 1/295.

(2) ينظر: لسان العرب، لابن منظور الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط: 3، 1414 هـ، 108/6.

(3) ينظر: خصائص التشريع في السياسة والحكم، لفتحي الدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط: 1، ت: 3013، ص 412.

ومن العلماء في باطنهم، وقيل إنها: القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأموال، وقيل أيضاً: السياسة حياطة الرعية بما يصلحها لطفاً أو عنفاً⁽¹⁾.
وبعبارة أخرى: هي: الأحكام التي تدبر مرافق وشؤون الدولة مع مراعاة أن تكون متفقة مع روح الشريعة، ونازلة على أصولها الكلية، ومحقة لأغراضها الاجتماعية والاقتصادية وإن لم يدل عليها نص خاص⁽²⁾.

وهناك عدة تعريفات أخرى للسياسة الشرعية حيث لا تخرج في مضمونها عن هذه التعريفات السابقة.

والسياسة الشرعية هي السياسة القائمة على إعمال النصوص الشرعية وأحكامها وتوجيهاتها، وعمل الخلفاء الراشدين، مع فتح باب الاجتهاد فيما يجد وينزل بالأمة واعتبار الأصلح لها في حفظ دينها وتحصيل دنياها، فليس كل سياسة نحكم عليها بأنها شرعية، فكثيراً من السياسات تعادي الشرع، وتمضي في طريقها وفقاً لتصورات أصحابها وأهوائهم، والواقع خير شاهد.

ثانياً: القواعد الفقهية:

هي: مصطلح مركب - تركيباً إضافياً- من كلمتين (القواعد)، و(الفقهية)، وتعريف القاعدة الفقهية ينبنى على تعريف كل من جزأي المركب على حدة.

(1) ينظر: قواعد الفقه، لمحمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الصدف ببلشرز، كراتشي: ط: 1، 1407 هـ - 1986م، 330/1.

(2) السياسة الشرعية عند ابن خلدون لمصلح النجار، رسالة دكتوراة، الجامعة الأردنية، ت: 2000، ص 39.

فالقاعدة لغة: معناها الأساس، فالقاف والعين والدادل تدل على الاستقرار والثبات. وهي أصل الشيء الذي يُبنى عليه، حسياً كان أم معنوياً؛ فالحسي: كقواعد البيت وهي أركانه التي يُبنى عليها، والمعنوي: كقواعد الدين، أي أسس الدين⁽¹⁾. والفقهية: نسبة إلى الفقه. والفقه لغة: فهم الشيء والعلم به⁽²⁾.

وفي الاصطلاح: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية⁽³⁾ أما تعريفها باعتبارها علماً أو لقباً لهذا الفن فقد اختلف الفقهاء في تعريفها اختلافاً كثيراً، إلا أنه اختلاف ألفاظ لا معاني.

فقد عرّفها تاج الدين ابن السبكي بقوله: "القاعدة: الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة تفهم أحكامها منها"⁽⁴⁾

وعرفها الحموي بقوله: "هي عند الفقهاء حكم أكثرى لا كلي، ينطبق على أكثر جزئياته، لتعرف أحكامها منه"⁽⁵⁾

وبإلقاء نظرة عامة على هذين التعريفين؛ نجد أنهما يشتركان في اعتبار كون القاعدة أكثرية، والظاهر أن الباعث لمن يعرفها بأنها أكثرية- وهو الأنسب- أن كثيراً من

(1) ينظر: لسان العرب لابن منظور 3/361.

(2) ينظر: لسان العرب لابن منظور 13/522.

(3) وهو تعريف البيضاوي في كتابه منهاج الوصول إلى علم الأصول، تح: شعبان إسماعيل، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ط: 1، 2008م، ص 51.

(4) ينظر: الأشباه والنظائر، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت: 771هـ)، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1411هـ- 1991م، 1/11.

(5) ينظر: غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، لأحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي (المتوفى: 1098هـ)، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1405هـ - 1985م 1/51.

قواعد الفقه لها صور مستثناة منها، ولا ينطبق عليها حكمها، ويلحظ هذا الأمر من يطالع كتب قواعد الفقه.

هذا والقواعد الفقهية مع كونها قضايا كلية قد صيغت بألفاظ محكمة دالة على الأحكام بطريقة مباشرة؛ فهي أدلة شرعية أخذت من الكتاب والسنة إما باللفظ وإما بالمعنى.

صيغ القاعدة:

وقد مرت هذه القاعدة بمرحلة التطور والرسوخ كسابقاتها من القواعد الأخرى، فهي أولاً مؤصلة بمعانيها في الكتاب والسنة وفي آثار الصحابة ومن بعدهم كما سنرى في مبحث التأصيل إن شاء الله تعالى.

صيغت هذه القاعدة بألفاظ مختلفة، حيث عبر عنها الإمام الشافعي رحمه الله تعالى بقوله: (منزلة الإمام من الرعية منزلة الولي من اليتيم)⁽¹⁾. وهو نص في كل وإل⁽²⁾.

وعبر عنها الإمام الزركشي رحمه الله تعالى بقوله: (تَصَرَّفَ الإمام على الرعية مَنُوطٌ بِالْمَصْلَحَةِ)، وقوله أيضاً: (ولي الأمر مأمور بمراعاة المصلحة، ولا مصلحة في فعل المكروه)⁽³⁾.

(1) ينظر: الأم، للشافعي، تح: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء المنصورة، ط: 1، 2001م، 351/5.

(2) ينظر: المنشور في القواعد الفقهية، لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: 794هـ)، وزارة الأوقاف الكويتية، ط: 2، 1405هـ - 1985م، 309/1.

(3) ينظر: المنشور، للزركشي 309/1.

وذكرها صاحب حواشي الشرواني: (إن تصرف الوكيل منوط بالمصلحة للموكل)⁽¹⁾.

وقد صنف ابن نجيم القاعدة بأنها من القواعد الفقهية الأقل اتساعاً وشمولاً، عندما صنف القواعد إلى قواعد أساسية شمولية، وقواعد غير أساسية أقل اتساعاً وشمولاً⁽²⁾.

أما ابن السبكي رحمه الله تعالى فقد عمل على صياغتها بشكل مركز أكثر اتساعاً للفروع الفقهية حيث أوردها بعنوان: (كل متصرف عن الغير فعليه أن يتصرف بالمصلحة)⁽³⁾.

وأكثر ما اتفق العلماء المقعدين لها كما الزركشي في المنثور، وكذلك الإمام السيوطي في الأشباه والنظائر بصيغة: (التصريف على الرعية منوط بالمصلحة) دون ذكر الإمام فيها؛ لتشمل الولاية العامة منها والخاصة.

وقد ذكرها أيضاً العز بن عبد السلام بشكل أكثر شمولاً وعموماً في كتابه: قواعد الأحكام قائلًا: (اختلاف أحكام التصرفات لاختلاف مصالحها) شارحاً لها بقوله: (إن الله تعالى شرع في كل تصرف من التصرفات ما يحصل مقاصده ويوفر مصالحه فشرع في باب ما يحصل مصالحه العامة والخاصة فإن عمت المصلحة

(1) ينظر: حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، لعبد الحميد الشرواني، دار الفكر، بيروت، 284/9.

(2) ينظر: القواعد الفقهية، للندوي، دار القلم، دمشق، ط: 5، 2000م، ص 173.

(3) ينظر: الأشباه والنظائر، لتاج الدين السبكي 310/1.

جميع التصرفات شرعت تلك المصلحة في كل تصرف، وإن اختصت ببعض التصرفات شرعت فيما اختصت به دون ما لم تختص به (1).

فشمول صياغة هذه القاعدة تمثّل في إدخال جميع التصرفات تحت حكم المصلحة، سواء كان التصرف من الإمام على الرعية أو تصرفات الرعية فيما بينهم.

وما ذكره أبو يوسف _رحمه الله_ في كتاب الخراج ؛ حيث قال: بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمار بن ياسر على الصلاة والحرب، وبعث عبد الله بن مسعود على القضاء وبيت المال، وبعث عثمان بن حنيف على مساحة الأرضين، وجعل بينهم شاة كل يوم، في بيت المال، شطرها ووطنها لعمار، وربعا لعبد الله بن مسعود، وربعا الآخر لعثمان بن حنيف، وقال: إني أنزلت نفسي وإياكم من هذا المال بمنزلة ولي اليتيم، فإن الله _تعالى_ يقول ﴿ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (2).

هذه بعض صيغ القاعدة، وكلها متحدة في معناها ومؤداها وإن اختلفت ألفاظها ومبانيها.

المبحث الأول: حقيقة القاعدة، ويحتوي على ثلاثة مطالب:
المطلب الأول: معنى التصرف.

التصرف لغةً: مصدر تصرّف يتصرّف، وأصل الكلمة يدل على ردّ الشيء عن وجهه، والفعل له معانٍ؛ منها: التوبة، يقال: لا يقبل منه صرف ولا عدل، وقيل:

-
- (1) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء، تح: محمود بن التلاميذ الشنقيطي، دار المعارف بيروت، لبنان، 122/2.
(2) الخراج، لأبي يوسف، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط:1، 1979، ص36، سورة النساء، الآية (6) .

الحيلة، ومنه قوله: إنه ليتصرف في الأمور، قال تعالى: ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾⁽¹⁾ ومنه صرف الدهر: حدثانه ونوائبه، وشراب صرف: أي بحت غير ممزوج⁽²⁾.

وَأَمَّا فِي الإِصْطِلَاحِ فَلَمْ يَذْكَرِ الفُقَهَاءُ فِي كُتُبِهِمْ تَعْرِيفًا لِلنَّصْرِفِ، وَلَكِنْ يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِهِمْ أَنَّ النَّصْرِفَ هُوَ: مَا يَصْدُرُ عَنِ الشَّخْصِ بِإِرَادَتِهِ، وَيُرْتَبُّ الشَّرْعُ عَلَيْهِ أَحْكَامًا مُخْتَلِفَةً⁽³⁾.

وقال صاحب معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: التصرف: كل ما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل، ويترتب عليه أثراً، سواء كان نافعاً أو ضاراً، وسواء كان مشروعاً أم لا. ونقول تصرف في الأمر: تحكم فيه، خيراً أو شراً كان تصرفه، وملك زمام أمره⁽⁴⁾.

ونستخلص من ذلك بأن التصرف: كل ما يصدر عن الشخص المميز بإرادته، ويرتب عليه الشارع نتيجة من النتائج سواء كانت في صالح هذا الشخص أو لا. هذا والتصرف قد يكون قولياً، وقد يكون فعلياً؛ فالقولي: ما كان منشؤه اللفظ أي: قوامه عملاً لسانياً كالإقرار، والإبراء، والحلف، والدعوى، والوقف، والطلاق، والفعلية: ما كان منشؤه الفعل أي: قوامه عملاً غير لسانى كالبيع، والغصب، والسرقه، والجنائية، والعطاء، والمنع، وغيرها.

(1) سورة الفرقان، الآية: 19.

(2) ينظر: لسان العرب، لابن منظور 9/ 190.

(3) الموسوعة الفقهية الكويتية، دار السلاسل - الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية -

الكويت، ط: 2، 1427 هـ ، 71/12.

(4) ينظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مدرس أصول

الفقه بكلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر، دار الفضيلة، 456/1_ بتصرف.

المطلب الثاني: معنى الرعية.

الرعية لغةً: من راعى يراعي، والرعي مصدر رعى رعيّاً ورعاية ورعيّاً بكسر الراء⁽¹⁾.

قال طرفة بن العبد:

خَدُولٌ تُرَاعِي رُبْرَباً بِخَمِيلَةٍ *** تَنَاقُلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ، وَتَرْتَدِي⁽²⁾

فتراعي في البيت بمعنى ترعى.

وأصل الرعية في اللغة:

الحفظ والمراقبة: ومنه قول النبي ﷺ:

(خير نساء ركن الإبل صالح نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده)⁽³⁾.

قال ابن منظور عند استشهاده بالحديث: (هو المراعاة، والحفظ والرفق وتخفيف الكلف والإتقال عنه، وذات يده: كناية عما يملك من مال وغيره)⁽⁴⁾.

(1) ينظر: لسان العرب، لابن منظور 325/14، ومختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة طبعة جديدة، 1415 هـ - 1995م، تح: محمود خاطر، ص 267.

(2) ديوان طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي أبو عمرو الشاعر الجاهلي (المتوفى: 564 م)، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط: 3، 1423 هـ - 2002 م، ص 150.

(3) رواه البخاري في صحيحه في كتاب: النكاح، باب: إلى من ينكح أو أي النساء خير، رقم: (5082)، 6/7، ومسلم في كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل نساء قريش، رقم: (2527)، 4/1958.

(4) ينظر: لسان العرب، لابن منظور 329/14.

وكذلك رعي أمره قال تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَائِهَا﴾⁽¹⁾ أي ما حافظوا عليها حق المحافظة.

ومن معانيها أيضاً: النظر إلى الشيء وملاحظته ومراقبته واعتباره.

جاء في لسان العرب: (والمراعاة المناظرة والمراقبة، يقال: راعيت فلاناً مراعاة ورعاء إذا راقبته وتأمّلت فعله، وراعيت الأمر نظرت إلى ما يصير وراعيته لاحظته من مراعاة الحقوق. . . . وفلان يراعي أمر فلان، أي ينظر إلى ما يصير إليه أمره)⁽²⁾.

ويقال كذلك للحاكم والأمير راعٍ، لقيامه بتدبير الناس وسياستهم، ويقال للناس رعية؛ لأنهم تحت مراقبة الحاكم أو الأمير⁽³⁾.

والمعنى الاصطلاحي لها لا يخرج عن المعنى اللغوي، فقد عرفها صاحباً معجم لغة الفقهاء بأنها: (كل من كانوا تحت الولاية العامة لأمر المؤمنين)⁽⁴⁾. ولعل صاحب القواعد الفقهية وتطبيقاتها عرفها بتعريف أشمل وأوضح فقال: (والمراد من الراعي: كل من ولي أمراً من أمور العامة، عاماً كان كالسلطان الأعظم، أو خاصاً كمن دونه من العمال)⁽⁵⁾.

(1) سورة الحديد، الآية رقم (26).

(2) ينظر: لسان العرب، لابن منظور 329/14.

(3) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجليل، بيروت، ط: 1، 1991م، 2/408.

(4) ينظر: معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 1، 1985م، ص 224.

(5) ينظر: القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، للدكتور محمد مصطفى الزحيلي، دار الفكر - دمشق، ط: 1، 1427 هـ - 2006م، 1/493.

منوط: اسم مفعول، من ناط الشيء ينوط نوطاً: علق، والنوط ما عُلق، وانتاط به تعلق، والنوط: ما بين العجز والمتن، وكل ما علق من شيء فهو نوط، والتنوط ما يعلق من الهدج يُزَيَّن به، والنياط: عرق عُلق به القلب من الوتين، فإذا قطع مات صاحبه⁽¹⁾.

نيط معناه علق، والنوط التعليق، والتنوط التعلق⁽²⁾.

ويقال: نيط عليه الشيء علق عليه، وفي الحديث: (أري الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ)⁽³⁾ أي: علق، يقال: نطت هذا الأمر به أنوط، وقد نيط به، فهو منوط⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: معنى المصلحة.

المصلحة: الصلاح، والمصلحة واحدة المصالح، والاستصلاح نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه، وأصلح الدابة أحسن إليها فصلحت، ومنه قوله _ ﷺ _ : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)⁽⁵⁾.

(1) ينظر نظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، دار العلم للملايين - بيروت، ط: 4، 1407 هـ - 1987 م، 1166/3.

(2) ينظر: لسان العرب، لابن منظور 329/14.

(3) رواه أبو داود في سننه برقم 4636 وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

(4) ينظر: لسان العرب، لابن منظور 329/14.

(5) ينظر: المصدر السابق 517 / 2، والحديث رواه البخاري في صحيحه في كتاب: الإيمان،

باب: فضل من استبرأ لدينه وعرضه، حديث رقم: (52)، 20 / 1.

والمصلحة كالمنفعة وزناً ومعنى، فكل ما كان فيه نفع- سواء كان بالجلب والتحصيل، كاستحصال الفوائد واللذائذ، أو بالدفع والاتقاء، كاستبعاد المضار والآلام- فهو جدير بأن يسمى مصلحة.

والمصلحة فيما اصطلح عليه علما الشريعة يمكن أن تعرف بأنها: المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده، من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم، طبق ترتيب معين فيما بينها⁽¹⁾.

وقيل فيها: باختصار هي: المحافظة على مقصود الشرع⁽²⁾.

وهي من المنظور الشرعي تنقسم إلى ثلاثة حوال:

الأولى: مصلحة معتبرة، وهي التي دلّ الدليل عليها، كمصلحة الولاية على الأمة لرعايتها وتدبير شؤونها.

الثانية: مصلحة ملغاة، وهي التي دلّ الدليل على إهدارها وردّها، كفرض المكوس على الرعية لأصلاح الاقتصاد.

الثالثة: مصلحة سكت عنها الشرع، وهي التي لم يدلّ الدليل على اعمالها ولا على إهمالها، ويعبر عنها: بالمصلحة المرسلّة، وطريق معرفتها واعتباره وإعمالها أن تشهد لها الأصول العامة والقواعد الكلية، وأن تعود على مقاصد الشريعة بالحفظ والصيانة، وأن يكون فيها نفع عام للجماعة، أو دفع ضرر عام عن الجماعة؛ إما بدفعه قبل الوقوع أو برفعه بعد الوقوع.

(1) ينظر: ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، للبوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط:1، 1977م، ص 23.

(2) ينظر: المستصفي، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط: 1، 1413هـ - 1993م، ص 179.

والمعنى الإجمالي للقاعدة:

هو أن نفاذ تصرف الرّاعي على الرّعية ولزومه عليّهم شأؤوا أو أبوا مُعلّق ومتوقف على وجود النّمرة والمنفعة في ضمن تصرفه، دينية كانت أو دنيوية. فإن تضمن منفعة ما وجب عليّهم تنفيذه، وإلّا رد، لأن الرّاعي ناظر، وتصرفه حينئذٍ مُتردّد بين الضّرر والعبث وكلاهما لئس من النّظر في شيء⁽¹⁾.

قال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية: وقد أجمع المسلمون على هذا المعنى؛ فإن وصي اليتيم وناظر الوقف ووكيل الرجل في ماله عليه أن يتصرف بالأصلح فالأصلح كم قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽²⁾؛ حيث لم يقل: بالتي هي حسنة.

قال الشيخ العثيمين في الشرح: ووجه الفرق هو أن ﴿أَحْسَنُ﴾ اسم تفضيل، فإذا كان أمام ولي اليتيم بضاعتان إحداها حسنة وتدر ربحاً والأخرى أحسن وأكثر ربحاً وأضمن يجب عليه أن يأخذ الثانية⁽³⁾.

والمصلحة في تقديرها ترجع إلى الاجتهاد الإسلامي فقد أقر لولي الأمر فرداً كان أو جماعة أن يحد من شمول بعض الأحكام الشرعية وتطبيقاتها، أو يأمر بالعمل بقول ضعيف مرجوح، أو يمنع بعض العقود أو الأشياء المباحة أصلاً إذا

(1) ينظر: شرح القواعد الفقهية للزرقا، ص309.

(2) سورة الإسراء، الآية رقم (34).

(3) ينظر: السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية بشرح الشيخ العثيمين، دار ابن حزم، بيروت،

لبنان، ط: 1، 2004م، ص32.

اقتضت ذلك مصلحة طارئة واجبة الرعاية، فكل ذلك مشروط بأن يكون الهدف من هذه التصرفات تحقيق مصالح الجماعة، بمعاييرها الشرعية⁽¹⁾.

وأن الراعي ما هو إلا أجير مؤتمن، فقد دخل دَخَلَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيَّ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَجِيرُ» فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ، الْأَمِيرُ يَا أَبَا مُسْلِمٍ، ثُمَّ قَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَجِيرُ» فَقَالَ النَّاسُ: الْأَمِيرُ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: دَعُوا أَبَا مُسْلِمٍ فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُ، فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: «إِنَّمَا مَثَلُكَ مَثَلُ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَوَلَّاهُ مَا شِئْتَهُ وَجَعَلَ لَهُ الْأَجْرَ عَلَى أَنْ يُحْسِنَ الرَّعِيَّةَ، وَيُؤَفِّرَ جِرَارَهَا وَالْبَانَهَا، فَإِنْ هُوَ أَحْسَنَ رِعِيَّتَهَا وَوَفَّرَ جِرَارَهَا حَتَّى تَلْحَقَ الصَّغِيرَةُ وَتَسْمَنَ الْعَجْفَاءُ أَعْطَاهُ أَجْرَهُ وَزَادَهُ زِيَادَةً، وَإِنْ هُوَ لَمْ يُحْسِنْ رِعِيَّتَهَا وَأَصَاعَهَا حَتَّى تَهْلِكَ الْعَجْفَاءُ وَتَعَجَفَ السَّمِينَةُ وَلَمْ يُؤَفِّرْ جِرَارَهَا وَالْبَانَهَا غَضِبَ عَلَيْهِ فَعَاقَبَهُ وَلَمْ يُعْطِهِ الْأَجْرَ»⁽²⁾

وهكذا كان السلف في نصحهم لمملوكهم وجرأتهم في الحق، وكذلك كان ملوكهم يعرفون قدرهم ويقبلون النصيحة ويخافون ربهم في رعيته؛ حيث نرى أن معاوية رضي الله عنه أقر أبا مسلم الخولاني على قوله أن الخليفة أجير إن قام بالرعاية التامة أعطاه ربه أجره كاملاً وإن قصر عاقبه.

وإننا عندما نقرر هذا المبدأ الشرعي العلمي ونقول بوجوب تصرف الراعي بالمصلحة والأمر بالمعروف وعدم طاعته في المنكر لا يلزم من ذلك تسويق الخروج عليه والدعوة إليه إذا خالف ذلك ما دام على الملة، قائماً بالصلاة في

(1) ينظر: المدخل الفقهي العام، للدكتور مصطفى الزرقا 1/ 217.

(2) رواه نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، دار السعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م، 2/ 125.

الأمة؛ إذ النبي ﷺ يقول: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه فلصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فموت إلا مات ميتة جاهلية) (1).

ويقول ﷺ: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم) قيل: يا رسول الله أفلا نناذبهم بالسيف؟ فقال: (لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يد من طاعة) (2).

المبحث الثاني: تأصيل القاعدة من الناحية الشرعية، ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: تأصيل القاعدة من القرآن الكريم.

من أهم الآيات الدالة على شرعية هذه القاعدة ما يلي:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ

النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (3).

قال القرطبي: هذه الآية من أمهات الأحكام، تضمنت جميع الدين والشرع، وأنها عامة في جميع الناس فهي تتناول الولاية فيما إليهم من الأمانات في قسمة الأموال

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم 7054.

(2) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب خيار الأئمة شرارهم، رقم: 1855 .

(3) سورة النساء، الآية رقم (58).

ورد الظلمات والعدل في الحكومات. . . وتتناول من دونهم من الناس في حفظ الودائع والتحرز في الشهادات وغير ذلك (1).

فكل وظيفة دينوية كانت أو دينية هي من الأمانات المرعى في إقامتها - على وجهها الشرعي - المصلحة؛ بحيث يتولى أمر هذه الوظيفة من هو كفؤ لها مقيماً العدل فيها، موزناً الأمور بالقسطاس المستقيم، مراعيّاً للمصلحة المأمور بمراعاتها.

وقوله - ﷺ -: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (2)

وقوله - ﷺ - ﴿وَابْلُغُوا إِلَيْنِي حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ (3)

وقوله - ﷺ - ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (4). فهذه الآيات على اختلاف أسباب نزولها تفرض الاحتياط في حفظ أموال الضعفاء والعاجزين، ففي الآية الأولى نهى الأولياء أن يؤتوا السفهاء أموالهم مخافة أن يضيعوها؛ لضعف عقولهم وخفة أحلامهم، حتى تزول صفة السفه عنهم، وفي الآية الثانية أمر للأولياء بإجراء اختبارات دورية على عقول اليتامى إلى أن تقوى مداركهم، فيعرفوا التصرف الحسن في أموالهم، وفي

(1) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: 671 هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1965م، 255/5.

(2) سورة النساء، الآية رقم (5).

(3) سورة النساء، الآية رقم (6)

(4) سورة الإسراء، الآية رقم (34).

الآية الثالثة وقع التنبيه على أنه لا يصح التصرف على مال اليتيم إلا بالكيفية التي هي أنفع له كتثميته أو حفظه، أو أخذه قرضاً، وهكذا في سائر الأحوال جعل التصرف مناط بالمصلحة⁽¹⁾.

وقوله -ﷺ-: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ حَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾⁽²⁾.

هذه وصية من الله عز وجل لولاه الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله، وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد، فداوود جمع له النبوة والخلافة ثم توعدّه في كتابه⁽³⁾، فكيف بمن سواه.

والناظر في هذه الآيات يجد الدلالة القطعية في أن كل تصرف لا بد أن يكون رائده وباعثه المصلحة؛ سواء في ذلك حفظ الأمانات وأدائها إلى أهلها، وحفظ الأموال عامة وأموال اليتامى خاصة، وعدم قربانها إلا بوجه يحقق المصلحة، كذلك الحكم بالعدل بين الرعية.

(1) ينظر: السياسة الشرعية، للدكتور عبد السلام الشريف العالم ص 75.

(2) سورة: ص، الآية رقم: (26).

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم

الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط: 1

- 1419 هـ، 54/7.

المطلب الثاني: تأصيل القاعدة من السنة النبوية:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيته، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته)⁽¹⁾. ودلالة الحديث واضحة في بيان مسؤولية الراعي وأن سائله عن وديعته؛ هل حقق لهم المصالح ودرأ عنهم المفساد وأقام فيهم العدل.

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة)⁽²⁾. وعنه في رواية أخرى (ما من أمير يلي أمر المسلمين، ثم لم يجهد لهم، وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة)⁽³⁾.

والشاهد في هذا قوله: (ثم لم يجهد لهم وينصح)، أي لا يبذل جهده في مصالحهم ولا ينصحهم لما ينفعهم.

وورد في الأثر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (إني أنزلت نفسي من مال الله بمنزلة مال اليتيم، إن احتجت أخذت منه، فإن أيسرت رددته، فإن استغنيت استعفت)⁽⁴⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، حديث رقم: 304/1، (853).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأحكام، باب: من استرعى رعية فلم ينصح، حديث رقم: 7150.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب: استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار، حديث رقم: (227).

(4) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب: من قال يقضيه إذا أيسر، حديث رقم: (11001).

وقد ذكر معنى هذه القاعدة في كتب العلماء مما يدل على تأصيلها عندهم كقول الإمام الشافعي _ رحمه الله_ : (منزلة الوالي من الرعية منزلة الولي من اليتيم)⁽¹⁾. وقول القاضي أبو يوسف في كتابه الخراج: (لا يجوز للإمام أن يقطع شيئاً مما فيه الضرر عليهم، ولا يسعه ذلك)⁽²⁾.

وزادها وضوحاً العز بن عبد السلام بقوله: (يتصرف الولاة ونوابهم من التصرفات ما هو أصلح للمولي عليه، درءاً للضرر والفساد، وجلباً للنفع والرشاد، ولا يقتصر أحدهم على الصلاح مع القدرة على الأصلح إلا أن يؤدي إلى مشقة شديدة)⁽³⁾.

المبحث الثالث: تطبيقات القاعدة، ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول: تطبيقات القاعدة عند السلف:

إن تطبيقات هذه القاعدة كثيراً ما تتعلق بالولاية العامة والخاصة، ولذلك تطبيقاتها متعددة ومتجددة وفق المصلحة، وقد كانت لهذه القاعدة مكانة خاصة في ذهن السلف ومن هذه التطبيقات:

(1) ينظر: الأم، للشافعي، تح: رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء المنصورة، ط: 1، 2001م، 351/5.

(2) ينظر: الخراج، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبة الأنصاري (ت: 182هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث، تح: طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن محمد، الطبعة: طبعة جديدة مضبوطة، ص 106.

(3) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام 89/2.

أولاً: اجتهاد عمر _ ﷺ _ في سهم المؤلفة قلوبهم:

لقد جعل الشارع للمؤلفة قلوبهم سهماً في الزكاة بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (1).

وقد كان رسول الله _ ﷺ _ يعطيهم سهمهم من الغنائم بغية تأليف قلوبهم، وعلى هذا النهج سار الخليفة أبو بكر _ ﷺ _.

أما عمر _ ﷺ _ فقد جمد حقهم في الزكاة؛ لاجتهاد اجتهده في النص، حيث نظر إلى العلة الداعية لإعطائهم، فقد كان النبي يعطيهم هذا السهم؛ لأن الإسلام كان في مراحل الأولى، وذلك ليأمن شرهم ويؤلف قلوبهم، ولكن بعد أن قويت شوكة الإسلام رأى عمر منعهم لزوال العلة الداعية إلى إعطائهم، ويدل على ذلك قوله لعبيدة بن حصين، والأقرع بن حابس، لما أقطعهما أبو بكر أرضاً تأليفاً لهما قائلاً: (إن رسول الله _ ﷺ _ كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل وإن الله قد أغنى الإسلام، اذهبا فاجهدا جهدكما) (2).

لذلك رأى عمر أن من المصلحة منعهم العطاء، وهذا تصرف منه _ ﷺ _ منوط بالمصلحة؛ لأن أموال المسلمين مصنونة فلا تصرف إلا لمستحقها ومن لا يستحقها لا ينالها وهذا من المصلحة.

(1) سورة التوبة، الآية رقم (60).

(2) ينظر: أحكام القرآن لأحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، دار احياء التراث العربي .بيروت،: 1405 هـ، تح: محمد الصادق قماوي، 325/4. وسنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994م، 20/7.

وقد يتوهم واهم أن عمر خالف أمر الله ورسوله، ولكن المدقق في النظر يرى أن فعل عمر ما هو إلا إتباع للمصلحة، فأينما هي فثم شرع الله.

ثانياً: اجتهاد عمر - رضي الله عنه - في قدر الإقطاع:

الإقطاع عند الفقهاء: إعطاء ولي الأمر شخصاً أرضاً من أراضي الموات ليقوم باستغلالها وإحيائها جائز لولي الأمر، قال القاضي أبو يوسف _ رحمه الله _ : (وللإمام أن يقطع كل موات وكل ما كلن ليس لأحد فيه ملك وليس في يد أحد)⁽¹⁾ وقد ثبتت مشروعية الإقطاع بفعل النبي _ ﷺ _ وكذلك خلفاؤه من بعده.

ومن ذلك ما أقطعه النبي _ ﷺ _ لبلال بن الحارث إلا أن عمر رأى في عهده أن هذا الإقطاع لم يستغل بالإحياء كاملاً، فاسترجع عمر من بلال ما عجز عن إحيائه، وقال له: إن رسول الله _ ﷺ _ لم يقطعه لتحببه دون الناس وإنما أقطعك لتعمر، فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقي⁽²⁾.

وهذا اجتهاد منه _ ﷺ _ كان مبنياً على أن حق تملك الأرض الموات لإحيائها حق للجميع، والإقطاع قيد يقيد هذا الحق، والعلة في جواز هذا التقييد هي المصلحة العامة لإحياء الأرض، ولهذا عندما يعطي الإمام الأرض لشخص يجب عليه أن يعمرها ويحييها، فإن لم يفعل أو كانت الأرض أكثر مما يستطيع عمارتها فعلى ولي الأمر أن يسترجعها؛ لانتهاء المصلحة المرجوة من الإقطاع ويعطيها لغيره حتى يعمرها ويزرعها لتحقيق الصالح العام، وبهذا يكون الإمام قد تصرف وفق ما تقتضيه المصلحة.

(1) ينظر: الخراج، للقاضي أبو يوسف ص 57.

(2) ينظر: كشف القناع، للبهوتي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1402هـ، 4/195.

ثالثاً: اجتهاد عثمان - رضي الله عنه - في جمع القرآن.

حيث جمع الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القراءة بها، لما كان ذلك مصلحة. فلما خاف الصحابة - رضي الله عنهم - على الأمة أن يختلفوا في القرآن، ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم، وأبعد من وقوع الاختلاف: ففعلوا ذلك، ومنعوا الناس من القراءة بغيرها⁽¹⁾

المطلب الثاني: تطبيقات على هذه القاعدة لبعض التصرفات السلطانية:

تتنوع التطبيقات وتتعدد لكثرة الولايات الشرعية وكثرة المولى عليهم ولكثرة المستجدات وتكرر النوازل في حياة الناس من ذلك:

1- إذا لم يكن لإنسان وارث بقرابة أو ولاء أو مولاة إذا مات فتركته لبيت مال المسلمين، وإذا قتله أحد عمداً فوليه السلطان لقوله عليه الصلاة والسلام: (السلطان ولي من لا ولي له)⁽²⁾. وليس للسلطان أن يعفو عن قاتله، لأن القصاص حق المسلمين، بدليل أن ميراثه لهم والسلطان نائب عنهم في إقامة الحد، وفي العفو إسقاط حقهم أصلاً، ولكن للإمام أن يصلح على الدية يأخذها من القاتل أو يدفعها من ماله ليضعها في بيت مال المسلمين⁽³⁾.

(1) ينظر: الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن قيم الجوزية، تح: نايف بن أحمد الحمد، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط: 1، 1428 هـ، 48/1.

(2) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه برقم: 36117، مكتبة الرشد - الرياض، ط: 1، 1409. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم: 7556.

(3) ينظر: شرح القواعد الفقهية للزرقا، ص309.

2- وإذا قسم الإمام المال على المستحقين يحرم عليه التفضيل مع تساوي الحاجات؛ لأن عليه التعميم وكذا التسوية بخلاف المالك؛ فلا يجوز للإمام أن يقدم في مال بيت مال المسلمين الغني على الفقير أو ذي القرابة على البعيد، أو غير المحتاج على المحتاج، فليس لولاة الأموال أن يقسموها بحسب أهوائهم كما يقسم المالك ملكه؛ فإنما هم أمناء ونواب ووكلاء، وليسوا ملاكاً، كما قال رسول الله ﷺ: (إني والله لا أعطي أحداً ولا أمنع أحداً، إنما أنا قاسم أضع المال حيث أمرت)⁽¹⁾؛ فالتملك والإعطاء من الله، والولي عليه القسمة، والقسمة يجب أن تكون بالعدل.

3- وإذا أمر وال أو قاض شخصاً بأن يستهلك مالاً من بيت المال أو مالاً لشخص آخر، فإنه غير صحيح، والمستهلك ضامن حتى أن الوالي نفسه أو القاضي لو استهلك ذلك المال كان ضامناً، كذلك لا يجوز للوالي أو القاضي أو الناظر أو الوصي أن يهب أموال الوقف أو أموال الصغير، لأن تصرفه فيها يجب أن يكون مقيداً بالمصلحة⁽²⁾.

(1) ينظر: السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية بشرح الشيخ العثيمين، ص 91، والحديث رواه البخاري في الصحيح، كتاب فرض الخمس، باب: قول الله -تعالى- ﴿فإن لله خمسة﴾ من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- برقم: (3117).

(2) ينظر: الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، لمحمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: 4، 1416 هـ - 1996 م، ص 349-350.

- 4- إذا خُيِّر الإمام في الأسرى بين القتل والاسترقاق والمن والفاء لم يكن له ذلك بالنشهي، بل بالمصلحة، حتى إذا لم يظهر وجه المصلحة يحبسهم إلى أن يظهر⁽¹⁾.
- 5- ولا يجوز لأحد من ولاة الأمور أن ينصب إماماً للصلوات فاسقاً؛ وإن صح بعضهم الصلاة خلفه، لأنها مكروهة، وولي الأمر مأمور بمراعاة المصلحة، ولا مصلحة في حمل الناس على فعل المكروه⁽²⁾.
- 6- يقد السلطان الأرجح إذا تعارضت المصلحة والمفسدة؛ فيجوز له أن يولي من فيه جرح إذا كان في توليته ملحة تربو عل المفسدة، كتولية الشجاع القوي، وإن كان فيه بعض الفسوق.
- 7- كما أنه ليس لولي الأمر أن يزوج امرأة ليس لها ولي بغير كفاء وإن رضيت؛ لأن حق الكفاءة للمسلمين وهو نائب عنهم فلا يقدر على إسقاطه⁽³⁾.
- 8- ليس لمتولي الوقف، ولا للقاضي إحداث وظيفة في الوقف بغير شرط الواقف، وإن كان في الغلة فصلة، فلو قرر فرأشاً لم يشترطه الواقف لا يحل له الأخذ؛ لإمكان استئجار فرأش بلا تقرير⁽⁴⁾.
- 9- لا يجوز للسلطان أن يتنازل عن جزء من بلاد المسلمين مقابل السلام بدعوى المصلحة.

(1) ينظر: القواعد الفقهية للزركشي 310/1.

(2) ينظر: الأشباه والنظائر للسيوطي، ص 121.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص 121.

(4) ينظر: القواعد الفقهية للزرقا 310/1.

- 10- لا يجوز للحاكم أن يفتح باب السياحة العصرية- بحالها المعروف- بدعوى مصلحة إنعاش البلاد وزيادة الدخل وفرص العمل.
- 11- ليس للرئيس أن يقترض من البنك الدولي مع شرط الربا وغيره لمصلحة إنقاذ اقتصاد البلاد.
- 12- ليس للرئيس أن يفرض الضرائب والمكوس على الناس فيجيبها من أصحاب الدكاكين والمهن والحرف.
- 13- لا يجوز للسلطان أن يولي المدراء الكفار على المسلمين.
- 14- لا يجوز للسلطان السماح ببناء المعابد والأصنام، والدعوة إلى التقارب بين الأديان بدعوى سماحة الإسلام و التعايش وتلاحح الحضارات؛ لأن ذلك من المصلحة الملغاة.
- 15- ليس للأمير أن يتعاقد مع شركات السينما والملاهي لإنشاء دور لها بدعوى الترفيه على الناس، وليعيشوا حياة تواكب ما عليه الدول المتقدمة؛ لأن ذلك من المصلحة الملغاة.
- 16- للحاكم أن يسعّر للناس إذا غلت الأسعار غلاء فاحشاً بشرط أن يتضمن التسعير العدل بين التجار؛ لمصلحة حفظ المال من الضياع.
- 17- للسلطان أن يمنع زواج من به مرض يحمله في جيناته الوراثية من صحيح منه؛ حفظاً لمصلحة النسل من الأمراض.

الخاتمة

بعد هذا البحث المتواضع نقول: هذا ما تيسر إعداده وتهياً لإيراده وأعان الله عليه، فإن وُقِّئْتُ فذلك من فضل الله عليّ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي والشيطان، والله ورسوله بريئان.

وفي نهاية هذا العمل أسوق أهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات:

أولاً النتائج:

أن المالك الحقيقي هو الله -تعالى- والإنسان فيما يتصرف فيه بمنزلة النائب والوكيل عن مالكة الحقيقي، والشأن في الوكيل أن يتصرف وفق ما يريد الموكّل، وعلى هذا فمن أوتي التصرف فتصرفه خاضع لجميع القيود التي شرعها الله تعالى، ومن هذه القيود ملاحظة المصلحة، وما لم يكن كذلك فلا نفاذ له.

أن كل من ولي ولاية الخلافة فما دونها إلى الوصية فلا يحل له أن يتصرف فيها إلا على نحو جلب مصلحة أو درء مفسدة.

أن الرعية وديعة الله عند سلطانها وأن الله -تعالى- سائله عنها يوم القيامة.

هذه القاعدة ترسم حدود الإدارات العامة والسياسة الشرعية في سلطان الولاية وتصرفاتهم -الشرعية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية- على الرعية، فتفيد أن أعمال الولاية النافذة على الرعية يجب أن تبنى على المصلحة للجماعة وخيرها، لأن الولاية من الخليفة فمن دونه ليسوا عمالاً لأنفسهم، وإنما هم وكلاء عن الأمة في القيام بأصلح التدابير لإقامة العدل، ودفع الظلم، وصيانة الحقوق والأخلاق، وضبط الأمن، ونشر العلم، وتطهير المجتمع من الفساد، وتحقيق كل خير للأمة بأفضل

الوسائل، مما يعبر عنه بالمصلحة العامة، فكل عمل أو تصرف من الولاية على خلاف هذه المصلحة مما يقصد به استثمار أو استبداد، أو يؤدي إلى ضرر أو فساد، هو غير جائز.

ثانياً: التوصيات:

أوصي الباحثين من طلاب العلم أن يتجهوا إلى الكتابة في القواعد الفقهية عموماً وهذه القاعدة خصوصاً بتحقيق فروعها وتطبيقاتها المعاصرة. أوصي كتبة الدساتير وفقهائها في البلاد الإسلامية بتضمين الدساتير لهذه القاعدة؛ لتكون أحد بنود الاتفاق بين الراعي والرعية. أوصي كل من له ولاية عامة أو خاصة أن يعرض أعماله على الشريعة ويزن تصرفاته بهذه القاعدة العظيمة.

قائمة المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
الأشباه والنظائر، للسبكي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط2، 1405هـ.
- أحكام القرآن للرازي، دار إحياء التراث العربي . بيروت، لبنان : 1405 هـ.
الأشباه والنظائر، للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 1، 1411هـ - 1990م.
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1965م.
تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم
الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون -
بيروت، ط: 1 - 1419 هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق
بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، دار السعادة - بجوار محافظة
مصر، 1394هـ - 1974م
- حواشي الشرواني على تحفة المحتاج بشرح المنهاج، لعبد الحميد الشرواني، دار
الفكر، بيروت.
- الخراج، لأبي يوسف، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط: 1، 1979.
خصائص التشريع في السياسة والحكم، للدريني، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان،
ط: 2، 1013م.

- سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994م.
- السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية بشرح الشيخ العثيمين، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط: 1، 2004م.
- السياسة الشرعية، للدكتور عبد السلام الشريف العالم.
- الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، دار العلم للملايين - بيروت، ط: 4، 1407 هـ - 1987 م
- صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1987م.
- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان.
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لابن قيم الجوزية، تح: نايف بن أحمد الحمد، دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط: 1، 1428 هـ.
- ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، للبوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط: 1، 1977م
- غمز عيون البصائر في شرح الأشباه والنظائر، لأحمد بن محمد مكي، أبو العباس، شهاب الدين الحسيني الحموي الحنفي، دار الكتب العلمية، ط: 1، 1405 هـ - 1985م
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز ابن عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1990م.

- قواعد الفقه، للبركتي، الصدف ببلشرز، كراتشي ط: 1، 1407 هـ - 1986م.
- القواعد الفقهية، للندوي، دار القلم، دمشق، ط: 5، 2000م.
- كشف القناع، للبهوتي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1402هـ.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط: 3، 1414 هـ.
- المدخل الفقهي العام، لمصطفى الزرقا، دار القلم، دمشق - سوريا، ط: 2، 2044م.
- معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلعجي - حامد صادق قنبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 1، 1985م.
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، دار الجيل، بيروت، ط: 1، 1991م.
- المنثور في القواعد الفقهية، للزركشي، وزارة الأوقاف الكويتية، ط: 2، 1405 هـ - 1985م.
- الوجيز في إيضاح قواعد الفقه الكلية، لمحمد صدقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط: 4، 1416 هـ - 1996 م.
- معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، د: محمود عبد الرحمن عبد المنعم، مدرس أصول الفقه بكلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر، دار الفضيلة.

بلاغة الخطاب الشعري ومكوناته عند الشاعر

عبد المولى البغدادي رحمه الله تعالى

- إعداد: د. خالد رمضان الجربوع
- أ. صلاح الدين عبد القادر أبو غالية
- أ. علي إبراهيم علي بن محسن

المخلص:

تطور الخطاب الشعري في هذا العصر وتنوع وكثرت طرقه وذلك بما استوعبه من الثقافات المعاصرة والانفتاح الواسع على العالم وكذلك من أصناف العلوم وذخائر الفلسفة، التي تبحث في الأسس التي تقوم عليها بلاغة الكلام واقتبس الشعراء كثيرا مما سجلته الأمم القديمة من أصول البيان وأنواع البديع، كما في كتاب (ديوان الإنشاء) الذي اعتنى بفصاحة الكلام وبلاغته، مما جعله يزدهر ازدهارا واسعا وكبيراً، كما ازدهرت المناظرات وخاصة بين الأحزاب السياسية والدينية، فقد اتسع نقل الآداب العالمية وكل ما اتصل بها من عقود وعهود ووصايا وتوقعات، يحرصون فيها على بلاغة القول والتفنن في انتقاء الأفكار والمعاني، وكذلك ازدهار الرسائل الإخوانية؛ فتناول كثير من الكتاب الأغراض التي كانت خاصة بالشعر من مدح وهجاء وعتاب واعتذار واستعطاف، وأصبحت هذه الرسائل تمل

- محاضر بكلية الآداب والعلوم قصر الأخيار.
- محاضر كلية الآداب والعلوم مسلاته .
- محاضر كلية الآداب والعلوم مسلاته .

عواطفهم وأهواءهم، وانبرى قسم منهم إلى كتابة رسائل أدبية تتناول النفس الإنسانية وعواطفها وسلوكها. كما أن الشعر العلمي والفلسفي شهد ازدهارا كبيرا الذي كتبت موضوعاته الفلسفة بأسلوب أدبي راق.

Abstract:

The evolution of poetic discourse in this era and the diversity and diversity of its methods, as absorbed by contemporary cultures and wide openness to the world, as well as by the varieties of science and the munitions of philosophy, which examine the foundations of speech and quote the poets from many of the origins of the ancient nations of the manifestation and the types of prowess, as in the book The Creation Office, which has taken care of the eloquence and eloquence of speech, which has made it flourish widely and greatly. Debates have also flourished, especially between political and religious parties. The transmission of universal morals and all the decades, covenants, commandments and signatures they have contacted has expanded. Many writers dealt with poetry-specific purposes of praise, satire, chastisement, conviction

and sympathy, and these letters became encompassing their emotions and vibes, and a section of them proceeded to write literary letters addressing human souls, emotions and behaviour.

Scientific and philosophical poetry also witnessed a great prosperity whose subjects were written philosophy in a refined literary manner.

المقدمة:

الشعر الخطابي في العصر الحديث، بلغ منزلة كبيرة، وشأوا عظيما، ففي كل فن بلغ المراد، فاستخدمه الشعراء في كل المناسبات والمحافل الحربية والاجتماعية والدينية، فكان لهم دور في رفع مكانة من ينتمون إليه، يتكلم باسمهم، ويوثق مآثرهم، ويرفع مكانتهم، فكان للشعر أثر مثل أثر السلاح، كلما كان قويا كان أكثر أثرا، فكلما كان للشاعر نفس قوية، وعاطفة متماسكة، كان متفوقا؛ لأن مهمة الشاعر تحريك أعماق الإنسان، بما يمازجه بين الصورة والصوت، فيظهر جوهره الذي يجعلك في حالة هيام شعري تستوي فيه اليقظة والنوم، ومن هنا تظهر الخبرة النفسية للشاعر، أي أن يكون الشاعر له دراية وعلم بميول سامعيه ومتلقيه، فنه، فيصيغ الألفاظ والعبارات والصور والأخيلة التي تؤثر فيهم وتؤدي الغرض، وهذا ما يميز الشاعر الجيد، فيعطي للتجربة ذاتيتها وروحها، فيصبح ما يكتبه الشاعر قطعة من الذات.

فكأن رسم الصورة الشعرية المبدعة لا يحظى بها غير الموهوب في حال لقائه مع المتلقي، يقول أبو هلال العسكري: (فإذا عَمِلَتِ القصيدة فهذبته ونقحتها بإلقاء ما غنّت من أبياتها، والاقْتصار على ما حسن وفخم بإبدال حرف منها بآخر أجود منه حتى تستوي أجزؤها)¹، بينما يرى ابن قتيبة أن من يقوم بالتغيير والزيادة والحذف هو متكلف، فقال: (المتكلف هو الذي قوم شعره بالثقاف، ونقحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر). وأما ابن رشيق القيرواني فله رأي آخر، فقال: (ولا يكون الشاعر حاذقا مجودا حتى يتفقد شعره، ويعيد فيه نظره، فيسقط رديئه، ويثبت جيده، ويكون سمحا بالركيك منه، مطرّحا له، راغبا عنه، فإن بيتا جيدا يقاوم ألف رديء ...)² ويقول الشاعر الصافي النجفي: (أما الصنعة والأسلوب واختيار الألفاظ، فتلك أمور يجب على الشاعر أن يفكر فيها بعد انتهائه من شرح هواجسه، وبث وساوسه، وإخراج رغباته، وتكميل شكاياته، وعندئذ يعمد إلى إصلاح كلمة، أو تحسين أسلوب، أو إبدال لفظة بأحسن منها وأوقع في السمع؛ بشرط ألا يخل ذلك الإبدال والإصلاح اللفظي ببنيان تلك الهواجس الطبيعية التي جاءت مرسلّة متدفقة أثناء النظم)³. فعملية التهذيب والصقل تضي على القصيدة سمتها وجاذبيتها.

1العسكري؛ الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم،

المكتبة العصرية بيروت 1998م ص139

2ابن رشيق؛ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار

الرشاد الدار البيضاء 200/1

3علوان السلطان، الشاعر الناقد وظاهرة الحذف والتعديل بغداد ص (المقدمة) 27 أبريل 2014م

الحديث عن الخطاب وبلاغته ومكوناته

الخطاب:

أولاً- في اللغة: (خطب) الخَطْبُ الشَّانُ أو الأَمْرُ صَغُرَ أو عَظُمَ، وقيل: هو سَبَبُ الأَمْرِ، يقال: ما خَطْبُكَ؟ أي: ما أَمْرُكَ؟ وتقول: هذا خَطْبٌ جليلٌ، وخَطْبٌ يسيرٌ، والخَطْبُ: الأمر الذي نَقَع فيه المخاطبة والشأن والحال، ومنه قولهم: جل الخطب، أي: عظم الأمر¹.

إن الخطاب يقوم على الجمع بين طرفين: الأول: المتكلم، والثاني: المتلقي للخطاب، وبين الأول والثاني رابطة، ألا وهي اللغة، هدفها إرسال رسالة إلى ذهن المتلقي، ويختلف محتوى الرسالة من خطاب إلى آخر. والتميز يقع بين سائر الخطابات، ويكون في المحتوى والهدف؛ فهناك خطاب سياسي، وخطاب ديني، وخطاب أدبي، وخطاب علمي. وما يهمننا هنا الخطاب الأدبي؛ لأنه موضوع بحثنا، والخطاب الأدبي يتميز عن غيره من الخطابات في عدة نقاط، تكفل له خصوصية في الماهية، واستقلالاً يجعل من تحديده عملاً سهلاً ليس فيه تعقيد، وذلك أن منتج الخطاب أعطى لنفسه تعاملاً معيناً مع الكتابة واللغة، من خلال التعبير وجمال الأسلوب، وهما ركنان لا يمكن للأديب أن يتنازل عنهما².

ثانياً- في الاصطلاح: الخطاب هو تداول الكلام بين طرفين أو أكثر، يتم عن طريقه تبادل رسالة لغوية، وهذا المعنى نجده عند التهانوي عندما عرف الخطاب

1 ينظر لسان العرب مادة خطب 1/ 360

2 ينظر: محمود بن عبد العزيز، خصوصية الخطاب الأدبي وجماليات الانزياح، مجلة الجزيرة

2012م، عدد 359

بقوله:(توجيه الكلام نحو الغير للإفهام)¹، ويقول أبو البقاء الكفوي: الخطاب هو: (اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه، احترز باللفظ عن الحركات المفهومة بالمواضعة، وبالتواضع عليه عن الألفاظ المهملة، والمقصود بالإفهام تركه كلاما لم يقصد به إفهام المستمع؛ فإنه لا يسمى خطابا)². والخطاب أيضا: كل كلام متلفظ به، يندرج تحت أنظمة اللغة العربية، والقوانين المنظمة لها، فهو كل كلام خرج لكي يندرج تحت السياق الاجتماعي. فالخطاب إذاً يقوم بمهمة إيصال رسالة، وعلى هذا فالنص الأدبي يكون خطاباً.ومن ثم يمكننا القول: إن النص الأدبي (كلام) في أبسط مظاهره؛ ولأنه كذلك، فكل العلوم المعنوية بالجماعات والأفراد تشق طريقها إليه..وذلك لأن النص الأدبي يبدعه فرد متأصل في جماعة المجتمع، ويوجهه إلى مجموعة القراء، لهذا تناوله علم الاجتماع بالدراسة والتحليل، وهكذا كل العلوم الإنسانية لكل منها طريقة تسلكها إلى ظاهرة الأدب؛ لتمتحن منهجها عليه³. والخطاب أيضا في أبسط تعريفاته (كل كلام تجاوز الجملة الواحدة، سواء كان مكتوباً، أو ملفوظاً)⁴ نفهم من هذا التعريف أن كل كلام تكون من مجموعة جمل مكتوبة أو ملفوظة، سواء قصد بها الإفهام أم لم يقصد بها الإفهام فهو خطاب. ويقول نور الدين السيد: (هو سيرورة متجلية كأثر لتكوين المعنى في سياق مجموعة أفعال تواصلية تقوم في تكوينها على مستويين

1 كشف اصطلاحات الفنون 2 / 175

2عدنان درويش، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى

الحسيني الكفوي؛ محمد المصري؛ نشر مؤسسة الرسالة بيروت ط2 - 1998م / 1 / 347

3 ينظر: حسين واد، في مناهج الدراسات الأدبية؛ - دار سراس للنشر تونس، 1985م ص 37

4 سعد البازعي وميخان الرويلي؛ دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء

بيروت ط4، 2005 م، ص 155 .

مستوى البنية السطحية ومستوى البنية العميقة¹ فالسيد يرى الخطاب مكون من عدة مفاهيم أساسية وفرعية يقوم عليها. وأما يمنى العيد فتقول: إن الخطاب نوعان (الأول يندرج تحت نظام اللغة وقوانينها، وهو النص الأدبي، والثاني يندرج تحت سياقات العلاقات الاجتماعية، يتميز بمهمة تواصل رسالة جديدة، ألا وهي الخطاب؛ فالأول فضاءه واسع، وأما الثاني فيمكن في الصياغة الوقتية بحثاً عن المرجع².

الخطاب الشعري ومكوناته

يعتمد الكثير من النقاد مفهوم الخطاب الشعري، معتمدين في ذلك على التراث البلاغي، والعروضي، والنقدي، والنحوي في تطبيقاتهم وتطبيقاتهم في قراءة الخطاب، وهم يسعون بذلك لتأسيس منهج يعتمد على آليات وأصول مستمدة من الإرث الثقافي العربي، وقد استطاع هؤلاء النقاد التوفيق بين مناهج النقد الحديثة كالسيمائية والأسلوبية، وبين أدوات الإجراء التي يجب أن تدعم المناهج وتضاف إليها؛ لتكون أداة دقيقة لتفكيك النص، وكشف أبعاده المختلفة، ويجتمع في تكوين الخطاب الشعري عناصر كثيرة تتداخل مع بعضها؛ لتؤكد تميزه، وتؤسس شاعريته. ومن هذه العناصر:

1. اللغة: تعتبر اللغة أهم عنصر في الخطاب، أيا كان الخطاب، فهو معتمد على اللغة، سواء كانت منطوقة، أو مكتوبة؛ فاللغة على امتداد عناصرها في الخطاب الشعري مكونة من الصوت والمعجم و التركيب، والقصيدة تتكون من مجموعة كلمات، والأسلوب تأليف هذه الكلمات، وكلما كان الأسلوب ذا شفافية كان الخطاب

1 ينظر : نور الدين السيد، الأسلوبية وتحليل الخطاب ؛ 2 / 80.

2 رايح بوحوش، الأسلوبيات وتحليل الخطاب؛ ص 90.

عاديا، وإذا كان مكثفا مليئا بالإحياءات - يجذبنا شكله - كان خطابا شعوريا، ولهذا يقول بعضهم: (الخطاب الأدبي لعب بالكلمات)¹، وهناك من يرى أن الشعراء التقليديين خطابهم أقرب إلى المباشرة والكلام العادي²، فكلا الرأيين صائب، وذلك على حسب الموقف والحال، فهناك مواقف تتطلب كلاما عاديا يفهمه كل السامعين، وهناك مواقف تتطلب كلاما مكثفا مستعملا فيه الاستعارات والكنيات وغيرها .

2. الموسيقى: يأتي هذا العنصر في المرتبة الثانية من حيث الأهمية في بنية النص الشعري منذ القديم، فهو معتمد على الموسيقى والإيقاع، ويرى البعض أن الشاعر يعاني نغم القصيدة أولاً؛ ذلك لأن هذا النغم ينبعث من أعماق الشاعر، ويملاً وجدانه، وهو أول تعبير عن المشاعر التي تجيش في نفسه³.

3. الصورة الشعرية: تعتبر من مكونات البنية الأساسية في الخطاب الشعري، وهي عند القدماء أداة للشرح والتعليل والزخرفة، وعند نقاد العصر الحديث عمدة البنية الشعرية، ومعها تتفاعل بقية العناصر.

4. التناص وإخراج المعنى: يقول محمد مفتاح، (التناص هو تعالق نصوص قديمة مع نص حديث بكيفيات مختلفة)⁴، ويعد بهذا الاعتبار مصطلح حديث يحتوي على مفاهيم قديمة، فالكاتب يرجع إنتاج نصوص قديمة في نصوص جديدة مكون من عناصر الخطاب الشعري مثل الإحالة والتضمين والافتباس والسرقعة، وكثير ما

1 محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري؛ ص 40 .

2 نزار هنيدي، الخطاب الشعري في تجربة الحدائث السورية، مجلة الموقف الأدبي العدد 405، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص 48

3 ينظر تحليل الخطاب الشعري ص 50، 51

4 ينظر تحليل الخطاب الشعري ص 121

يتعمد بعض الكتاب المهرة إظهار تناسمهم بالإحالة مباشرة للمصدر، والتناص لا يقتصر على الخطاب الشعري فقط، بل نجده في كافة أشكال الأعمال الأدبية الأخرى. ويرى فريق من المعاصرين أن إنتاج المعنى خاصة تميز الخطاب الحدائثي الذي يكون معناه محصلة لبقية العناصر، وهو يختلف عن الخطاب الكلاسيكي، ولهذا فإن النظر إلى المعجم من الزاوية الدلالية وتناوله بالطريقة الأدبية، صاحبه ليعبر عن معنى يوجد سابقاً¹، ومن هنا يوظف الشاعر الخطاب في القصيدة على حسب المقام الذي يستدعيه الموقف؛ لأن الشاعر عندما يرسل خطابيه يرغب في استنهاض الهمم، وتحريك المشاعر، وتحفيز العواطف؛ لأن الخطاب يعتمد اعتماداً كلياً على التركيب والدلالة، من حيث كون النص الأدبي ظاهرة كلامية احتوتها العلوم اللسانية من مبدأ أنها أسلوب لفظي يتصف بطابع الفوضى، والتحرر، ويعتبر مصدراً مهماً للغة؛ لكونه نتاجاً فردياً صدر عن وعي وإرادة، وهو اختيار حر من قبل المتكلم، يستخدم فيه نسفاً معيناً يعبر عن فكرة شخصية².

تحليل الخطاب الشعري

عند تحليل الخطاب الشعري، يجب الاعتماد على عدة عناصر، يتم من خلالها تحليل الخطاب، وقراءة النصوص الشعرية، وهذه العناصر هي:

1. التركيب: والمقصود به: التركيب النحوي، والتركيب البلاغي؛ فالنحوي: يدرس بنية الجملة؛ من حيث التقديم والتأخير، والبنية الصرفية، والدلالة الواضحة. فالتركيب لا يعد تركيباً إلا إذا كان واضح الدلالة. وأما المركب البلاغي فيدرس ظاهرة الخطاب البلاغية مثل: الاستعارة، والمجاز، والتشبيه، والكناية، وغيرها.

1 ينظر تحليل الخطاب الشعري ص 58

2 ينظر: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مختبر جامعة عنابة؛ 2006 م ص 71

2. الصوت: هو كل ما يميز بحاسة السمع، ويعرف عند علماء الصوت بأنه: اضطراب طبيعي خارجي يعرض لجميع الأجسام وبخاصة الهواء¹. ولهذا فإن للأصوات دور كبير في إظهار المعنى وتوجيهه، فكل حركة وحرف في لغتنا العربية له غاية وغرض.

3. المعنى: هو أساس ومرتكز كل نص كلامي أو عمل أدبي

4. التباين والتشاكل من الإجراءات السيميائية الجديدة التي ظهرت في الدراسات اللسانية؛ لتسهيل عملية تحليل النص، وهذا العنصر منفتح بدوره على مناهج وعلوم أخرى، مما زاد من عملية الكشف والفحص؛ للوصول إلى النتائج، كما أن لهما جدوراً تربطهما مع التراث النقدي القديم .

5. التناص : وهو أحد العناصر التي تحيل على نصوص أخرى؛ وهو أن تتداخل نصوص أدبية معينة، حديثة أو قديمة، نثراً أو شعراً، مع القصيدة الأصلية، بحيث يكون منسجماً وموظفاً ودالاً على فكرة الشاعر، التي يطرحها قدر الإمكان.

6. المعجم : اللغة والمفردات والمصطلحات التي يستخدمها الشاعر في نصه.

الخطاب الشعري عند (عبد المولى البغدادي)

إن هذا الخطاب اللغوي قد وضعنا أمام شخص يتكلم، وشخص يسمع، فتخرج الكلمات من المعجم اللغوي؛ لتصنع كلمة اللحظة، بحيث تصبح الكلمات خطاباً، والخطاب جملاً، حتى يصل بنا إلى التسلسل النصي المتمثل في: القصيدة والملحمة التي تأخذنا إلى التفسير ومعضلاته ومشاكله وتأويله، ومشكلة القراءة وفهمها. وذلك لأن ما يميز الخطاب حالته التي تمثل: المقدمة، والاختيار المناسب، والتجديد للغة والأسلوب، والحدث المفاجئ الذي يطرأ على

1 ينظر مبادئ في اللسانيات ؛ خولة الإبراهيمي ص 43

الخطاب، والإحالة، كل هذه المقولات لازمة في تعيين طريقة تفاعل الخطاب؛ لأنه يوجد شخص يتكلم مع شخص آخر، وهذا هو الجوهر الفعلي لعملية التواصل. إن هذه التجربة ببلادنا، ليست في معزل عن الذي يجري في الوطن العربي من إسهامات في هذا السبيل، وذلك لأننا جزء منه، وللشعراء الليبيين العديد من الإنجازات في الشعر والفن التشكيلي، والمسرح، والقصص، والسرد، والسينما. ومن السهل بمكان الوقوف من هذه التجربة سلبا، ومن السهل التعصب والانحياز لها إيجابا؛ لأن من أول المهام في ذلك أن تكون القراءة جيدة وجديدة؛ فالتجربة عندما تكون جديدة تسترعي القراءة الجديدة، ولا يمكن أن تقوم القراءة الجديدة للنص بذلك، إذالم يكن هناك تجربة أصيلة، ونقصد بالجديدة، ليس الجديد الحديث المتصل بالزمن الحاضر أو المستعمل نقيضاً للقديم، ولكن نقصد به المرتبط بمدى إنتاجها المتميز على الطرح وطرق التحليل والتعامل السائد، وهذا له فاعلية مهمة في مدى إقرار المتغيرات الجديدة عند الممارسة الحقيقية للنتاج النقدي والأدبي والفكري عموماً، وهذه مهمة شاقة وصعبة في علم الدلالة.

إن الناظر في ديوان البغدادي يجد أنه قد صنف ديوانه في جميع أغراض الشعر أو أغلبها، والمتصفح للديوان يجده قد رتبته على النحو الآتي:

1. القصيدة المدخل، وتتكون من ستة مقاطع في مئة وخمسة بيت عالج فيها طفولته والمآسي التي تعرض لها ومر بها عبر مراحل حياته الحافلة بكثير من الأحداث المهمة على الصعيد الشخصي والعربي.

2. هل يسمح الخليل أن أثور، وهي قصيدة تدعو إلى الثورة على القديم والتقليد، وتدعو إلى التجديد، في نسق إبداعى يمكن توظيفه للتعبير عن مناهات متعددة في الحياة.

3. قصائد الوطن والوطنية والعروبة، وعددها اثنتا عشرة قصيدة، وهذه القصائد هي جراحات لبنان، برفية عاجلة إلى بلقيس، يا من يغار على اليمن، لقاء وحوار، أطفال ورجال، شكرا مندوبية أمريكا، رسالة شعر إلى أمين جامعة الدول العربية، تعزية حرى إلى أنصار بيريز العرب، حوار مع الشابي حول إرادة الحياة، أين حكام العرب، على سلم الطائرة، لقاء وعودة.
4. أغنيات إلى ليبيا وهي أربع قصائد هي: الإحساس بالفجيعة من خلال محنة الغربة، عندما تسبح النور، عندما تلجم النوارس، عيد الغربة.
5. الوجدانيات وهي سبع قصائد هي: نزيف الغربة، وجه بلا قناع، الإبحار إلى المجهول، أحبة قلبي عللوني بنظرة، أشواق عربية مهاجرة إلى الحبشة، عندما ينتصر الحب، وقفة على الشاطئ الستين.
6. المراثي سجل فيها الشاعر أصدق الرثاء وأنبله؛ وفاء لأصدقائه الثلاثة الذين فارقوا الحياة، فكانت أصدق تعبير عن الحب والوفاء، وهذه المراثي هي: دمة وفاء على روح الأستاذ عبدالله الهوني، الفقيد الراحل أحمد الفنيش، الوداع .. الوداع (خالد السوكني).
7. السعدونيات وهي مجموعة قصائد أهداها الشاعر لمقدم ديوانه الأستاذ الدكتور سعدون السويح وعددها سبع قصائد هي: سعدون والسمر، مناجاة، شؤون، المعزّون كلهم سعدون، سحابة صيف، حيرة وارتقاب.
8. بكائيات على مقام العشق النزاري وهي عبارة عن مرثية قالها الشاعر في الفقيد نزار قباني زعيم الشعر العربي في العصر الحديث، وقد أفرد الشاعر لها حيزاً من ديوانه؛ لمكانته الشعرية؛ ولكي يبقى حاضراً في وجدانه، وتكريماً له ولمكانته .

9. متفرقات أنهى بها ديوانه، وكانت في خمس قصائد هي: الأزوجة الخضراء، اللص الظريف والشيخ، تحية إلى كتاب علم الحشرات، على هامش ندوة البحث العلمي، إلى الزراعة في العيد الثلاثين. ومن المعلوم أن للكلمة وقعاً عظيماً إذا كانت نابعةً عن صدق الموقف، فالكلمة في الشعر لها وقع الحسام إذ يتحتم على الشاعر أن يقف على جهتين: جهة الشكل وجهة المضمون، وضمن هاتين الجهتين يندرج عنصر الإبداع بأشكاله المتعددة، فالقصائد الأقل حظاً في الإبداع تكون أقل صعوبة في النقل، من التي تمتلك حظاً وافراً في سلك الإبداع الشعري، يقول بيرليريز عن الشعر: (إن الشعر الأكثر بساطة هو الأكثر شفافية)¹.

وفيما يلي عرض لقصيدة (وجه بلا قناع) وبيان دلالتها الخطابية، وهي من القصائد الوجدانية، وجاء اسم هذه القصيدة مناسباً للشكل والمضمون، فهي منبعثة بشكل عفوي وتلقائي دون تكلف، فنراها تتساب انسياباً ينسجم معها كل سامع وقارئ مهما كانت ثقافته، حتى أننا نجد البعض يترنم ببعض أبياتها، مثل الأبيات التي فيها بعض الحكم والنصائح المستخلصة من تجارب الحياة الطويلة التي مر بها الشاعر، كما يترنم البعض بمعانيها وإيقاعاتها وصورها البلاغية، وهذا الكلام ينطبق على قصائد الديوان، فالشاعر عبد المولى البغدادي يعتبر شاعراً مبدعاً ومصنوعاً بكل ما للكلمة من معنى، فقد ولد شاعراً، ويمتلك الموهبة الفطرية التي من أهم سماتها العفوية والتلقائية غير المتصنعة أو المتكلفة، وهذه القصيدة (وجه بلا

1 ينظر دراسات نقدية معاصرة، تعليق وترجمة: علي الحلي، بغداد دار الشؤون الثقافية العامة،

قناع) من ضمن القصائد العفوية التي فتحت ذراعيها لمناقشة موضوع ضخم معقد كثير التفاصيل، يقول الشاعر فيها¹:

ساحلي لمن يتوق للحني	ها أنا ألوح خافت لحن
وقيثارتي وعشاق فني	ها أنا ألتقي رواتي وأحبابي
عر فتروون لي وتروون عني	ها أنا بينكم على ررف الشـ
في مسار على مدى نصف قرن	فلكي واضح المعالم طلق
هم فؤادي وهم لساني وعيني	أنا لا أنتمي لغير رواتي
لهباً ناسفاً يهدُّ ويبني	تحتسني دموعهم، أحتسيها
واستراحوا إلى سلافي ودني	واستراحت لراحهم نزواتي
فهي تبكي لحزنهم وحزني	إن بكت من عذابها أغنياتي
أو تجنت وأسرفت في التجني	أو تعرت وأسرفت في التعري
لتميط اللثام عنهم وعني	فهي أنفاسهم تعود إليهم
مثلما هي دون زيف ومين	ولتبقى سماتهم وسماتي
وشؤوني، أو اتركوني وشأني	فاقرؤوني كما أنا بشجوني
وينو قيس يرفضون التبني	كل ليلي وقيسها وهواها
فاتبعوهم وباعدوا اللوم عني	وعلى الشعر ألف مجنون ليلي
أزرع البدر والنجوم وأجني	لست صيد الفرى ولا بحتريا
لست (زرياب) عصره في التغني	لست (قيسا) ولا (لبيدا) جديدا
أعشق الشعر والجنون وأني	غير أنني ويعلم الله أنني
ي وراودته فأعرض عني	هزني الشعر فانجذبت بلا وع

المجانين وحدهم أصفياي شأنهم في الهوى يطابق شأني
كلهم يحملون بعض شجوني ويهيمون في غوايات شجني

من الملاحظ من خلال هذه الأبيات أن الشاعر يعبر عن شدائد ومصاعب تضغط عليه، فزاد من قوة صوت الألفاظ التي استخدمها؛ لتناسب شدة المعاناة التي يقبع تحتها، فهذه الأصوات الطويلة المتمثلة في (هاء التثنية في أول القصيدة) تقترن غالبا بالنفس الحزينة المكروبة الواقعة تحت ضغط قوي، تجعلها تمد في أصواتها، وذلك لتنفّس عما بها من ضيق، ففكرة الربط بين الألفاظ ومدلولاتها حظيت باهتمام واسع من قبل اللغويين، والأدباء، والشعراء العرب. فهناك علاقة تربط بين الصوت ومعناه تجعلنا نقرأ المعنى في اللفظ، وذلك بالاعتماد على صفات الأصوات وطبيعتها النطقية، مما يجعل مثل هذه الأصوات محكومة بقاعدة تجعلنا نضع الحرف المناسب في المكان المناسب، فحرف الهاء مخرجه من أقصى الحلق، وكرره الشاعر في هذا النص، وهو يتحدث عن الصراحة والظهور بكل وضوح، وهذا واضح في القافية التي تنتهي بياء المتكلم، فالياء تعد وصلا، وليس روبا، ولكنها هنا تعتبر جزءًا من رؤية الشاعر، فالقصيدة تدور حول إبراز الهوية، هوية القوي الثابت على قيمه، الذي لم يتزعزع ولم يتأثر بالحدثة ولم يكن من المتملقين والمتخفين. كل هذه المعاني يعبر عنها الشاعر باستخدام ضمير المتكلم المنفصل والمتصل (أنا، وياء المتكلم)، واستخدام ضمير المتكلم يعزّز هذه الرؤية التي تدل على الصراحة والظهور بكل وضوح، وذلك حين يعرف الإنسان بذاته لمن يتجاهله، أو عندما يشعر أن من حوله لا يعرف قدره، أو لا يعرفونه حق المعرفة، والشاعر لا يريد ذاته فقط، ولا يتكلم عن نفسه، وإنما يتكلم عن الذين يشتركون معه في هذه الهوية

ويمكن أن نلاحظ قيمة أخرى لحرف الروي (النون) الذي يتناسب مع الخطاب الذي نظم الشاعر النص من أجله، فالشاعر يسخر بأعلى صوته من كل الذين يتغيرون ويتلونون ولا يتسمون بالوضوح والصراحة، وهذا الموقف لا يناسبه الرقة والهمس، وإنما يناسبه القوة والجر، فصوت النون المكسورة في روي القصيدة بجهه وشدته لاعم هذا الغرض، فصوت النون المكسورة جسد جانبيين مهمين في النص وهما: الغضب والغيط، من أصحاب الوجوه المتلونة والمتغيرة، والجانب الآخر: الإحساس بالأسى والانكسار في الوقت نفسه، كما أن ظهور ضمير المتكلم بشكل متكرر في هذه القصيدة يدل على عظمة ذاته في نفسه، التي يؤكد من خلالها الالتزام بالأعراف والقيم والمبادئ، يقول أبو العزم: (أسلوب الشاعر الخاص ولغته الشعرية تتجلى في طريقة اختياره لمفرداته وألفاظه وتراكيبه، ومن خلال ما ينشأ بينها من علاقات حية بحكم بنائها الفني)¹

ومن الملاحظ أيضاً أن الشاعر بدأ هذه القصيدة مباشرة دون التطرق إلى مقدمة، أو تمهيد، أو افتتاحية، وذلك لأن موضوع القصيدة (وجه بلا قناع) ، فهو يريد إسقاط الأفتنة، فهو دائماً يقول: (لا خير في شعر من دونه ستر)، وعندما يخاطب قراءه نراه يكاد يذلهم بجرأته على تعرية ذاته، فهو يؤكد منذ بداية القصيدة انتماءه لرواته وقرائه².

إن الخطاب الشعري الذي أنتجه الشاعر في هذه القصيدة، هو فن إسقاط الأفتنة الذي يستتر وراءه كثير من الناس؛ لتحقيق مآربهم، فجاء بألفاظ تناسب هذا المعنى، وهذا ما يعرف بالتلازم في اللغة بشكل عام وفي الشعر بشكل خاص.

1 طلعت عبد العزيز، الظواهر الفنية في الشعر الوجداني لدى شعراء أبولو، 1988م، ص148

2 الديوان ص 195 من كلام الدكتور سعدون السويح.

تعد الألفاظ المتلازمة¹ من أهم القواعد التي تبين لنا كيفية مجيئها جنباً إلى جنب مع غيرها من الكلمات الأخرى، وتبين لنا الكلمات التي يمكن أن تأتي قبل كلمات أخرى أو بعدها، فهي قيود على كيفية استعمال الكلمات في السياق؛ لأن الكلمات لا تظهر عشوائياً في النصوص، بل هناك علاقات منطقية أو موضوعية تربط بينها، وتنظمها بشكل مثالي، وهو أمر يفترض وجود أنواع مختلفة من العلاقات بين الألفاظ المتلازمة. ولذلك يعد التلازم اللفظي من وسائل إبداع المعنى والتطور في الدلالة التي أرادها الشاعر، فهي تساعد على التفسير والتحليل الدلالي للكلمات، ومن ثم تحليل النصوص، وفهم مكوناتها؛ إذ أن الألفاظ المتلازمة في السياق اللغوي تقوم بدور التمييز والتوضيح والتفسير. فلا بد للشاعر من الدقة في اختيار المتلازمات اللفظية. وهذا الاختيار نراه واضحاً في البيت السابق من خلال اجتماع الألفاظ، وعدم وجود فجوة بينها مما أضفى عليها بلاغة ودقة وقوة في الوقع والتأثير في النفوس. ومن الملاحظ على القصيدة أن الشاعر بدأها بقوله (ها) وهو حرف تنبيه يفتتح به الكلام ليس له معنى سوى الافتتاح، (أنا) ضمير منفصل يدل على الوضوح والتعري والصراحة، فهذه الصيغة تشير إلى وجود حوار، وكأن هناك ذاتاً أمامه يحاورها ويخاطبها، وهذا أظهره الشاعر واضحاً جلياً في البيت الثاني الذي يقول فيه:

ها أنا ألتقي رواتي وأحبابي وقيثارتي وعشاق فني

1 ينظر: بسام قطوس، استراتيجيات القراءة التأصيل والإجراء النقدي؛ دار الكندي للنشر والتوزيع

إريد الأردن 1998م ص 54

فهو بهذا لا ينتمي إلا لقرائه، ولا يستريح إلا بالتودد لهم، والتقرب منهم، ومخاطبته إياهم بقوله: (وأحابي) وبصراحته هذه نجدهم يستريحون له، فيقول في البيت السابع:

واستراحت لراحهم نزواتي واستراحوا إلى سلافي ودني
هذا الانتماء يمنح الشاعر قوة خاصة نلمس صداها من خلال استعماله هذه الألفاظ في خطابهم: (استرحت لهم، استراحوا لي)، عندما يشعر الإنسان بالراحة يشعر بالأمان.

ويستمر الشاعر في مخاطبة قرائه ومحبيه ومنتبعي شعره، أن يقبلوه بكل ما فيه من جنون، واضطراب، وعدم استقرار، وإلا يتركوه ويتبعوا غيره من الشعراء الذين تتوافق أمزجتهم مع مزاجهم، فيقول في ذلك :

فأقرووني كما أنا بشجوني وشؤوني، أو اتركوني وشأني
كل ليلى وقيسها وهواها وبنو قيس يرفضون التبني
يخاطب قراءه ويطلب منهم أن يقبلوه بكل ما فيه من جنون وطيش، فإن لم يقبلوه بهذا الشرط، فهو يقول لهم: اتركوني وشأني، فهناك شعراء آخرون يمكنهم أن يتبعوهم . ويمضي الشاعر يصور أطوار حياته، ونقاط ضعفه ومواطن قوته، والعقبات والمحن التي تقلب فيها في هذه الحياة، ولذلك فهو يحذرنا من هذه التجربة الحياتية الطويلة التي مر بها، ويريدنا أن ننتهياً لمفاجأتها ومخاطرها، فيقول:

وسأبدو مجرداً من قناعي¹ فاحذروا أيها الأجلاء مني
أنا لست الذي ترون لأنني غير ما يعرف المحدث عني
أنا لا شيء غير عازف لحن تاه ما بين عازفيه وبينني

1 القناع لغة: هو ما تغطي به المرأة رأسها كما جاء في لسان العرب مادة (قنع).

عاشق متقاعد أتلهي بالأمانى وهل يفيد التمني
 كلما بثت الكهولة لحنا صقيع الثلوج أضمرت لحني
 استعمل الشاعر المعاصر القناع ليضفي على موقفه نبرة موضوعية محايدة، تتأى
 به عن التدفق المباشر، دون أن يخفي موقفه من عصره، وغالبا ما يتمثل القناع
 عند بعض الشعراء في شخصية من الشخصيات، فتسيطر هذه الشخصية على جو
 القصيدة، فاستطاع الشاعر أن يثبت عنصر الوحدة، بين الواقع والخيال، فقد وحد
 في هذه الأبيات بين ذاته وبين رمزه، فهذا القناع ما هو إلا الرمز الذي نجده في
 كثير من القصائد الشعرية العربية، فلعب القناع دورا مهما في القصيدة؛ لأن هذا
 الإيحاء الرمزي يحمل دلالة خفية جعلته يسيطر على الموقف، فبه استطاع الشاعر
 أن يقدم فلسفته الشعرية التي قدم فيها جزءا من سيرته الذاتية، فيستطيع القارئ أن
 يرسم ملامح شخصية الشاعر، فهو يكشف عن نفسه بشكل جريء ومستقر لكل من
 يعرفه ومن لا يعرفه، فيقول: (سأبدو مجردا من قناعي) والتجرد هو مثل قولهم :
 جردّ السيف من غمده : سلّه، وتجرّدت السنبلّة وانجردت : خرجت من لفائفها ،
 وانجردت الإبل من أوبارها إذا سقطت عنها.

والذي جمع الاستعمالين اللغوي والاصطلاحي المعنى المتمثل في ظهور الشيء من
 دون شيء يستره، شأنه في ذلك شأن السيف الذي تجرد من غمده فبدا ظاهراً لا
 يستره ساتر.

فقوله: مجردا من قناعي، أي: مجردا من أي تصنع أو تملق، بل مكشوفاً لكم صفحة
 واضحة لا غموض فيها، وعليكم إعادة النظر مرة بعد مرة للوصول إلى ماهيتي،
 وعليكم الحذر من كل المفاجآت التي سترونها أو تسمعونها (فاحذروا أيها الأجلاء
 مني).

هذا الخطاب الشعري موجه من صاحبه يحمل رسالة الإبداع والتجربة الشعرية الفريدة التي اختص بها الشاعر. وقد سرده في سياق يعلو على الزمان والمكان، وهذا ملاحظ من خلال هذه الألفاظ، (سأبدو مجرداً، أنا لست الذي ترون، أنا لا شيء غير نازف)، يريد الشاعر أن يلامس الإحساس والمشاعر الإنسانية في لحظة هيجان العاطفة القلبية، فالشاعر ألقى بها إلينا مكسوة بمشاعره الرقيقة.

ويستمر في فتح ملفاته المغلقة فيقول:

فلكي واضح المعالم طلقُ
في مسار على مدى نصف قرن
أنا لا أنتمي لغير رواتي
هم فؤادي وهم لساني وعيني
تحتسني دموعهم، أحسبها
لهباً ناسفاً يهدُّ ويبنى

نرى في هذه الأبيات نبرة العنف الرمزي، والهيمنة الاجتماعية التي تجعل الشخص داخل هذا الحيز، ولم يكن إكراهاً بديلاً مادياً، فعندما تدفع بكل ما تملك، ويقف المجتمع الذي أنت فيه بكل قواه ليثنيك، تجد نفسك في موقف يستدعيك لأن تدافع عن نفسك أمام كل من يريد أن يشوه صورتك، فانطلق الشاعر من ذاته فوصف نفسه والناس الذين حوله، فجاءت الكلمات مغرقة في الذاتية، كضائر المتكلم، وإسناد الأفعال إلى المتكلم، وجعل الذات مركز الاهتمام وملفت الانتباه، هذه الأدوات اللغوية والكلمات المعجمية المبتكرة، هي التي منحت الشاعر وجوداً متميزاً.

فالخطاب الواضح هو أكثر ما نفتقده في حياتنا اليومية، وخصوصاً فيما يتعلق بعلاقاتنا مع الآخرين أو حتى مع أنفسنا. فكم من صداقة انتهت بسبب كلمة لم يقدر صاحبها على قولها، وكم من بغضاء وشحناء بدأت بسبب كلمة لم يبين صاحبها قصده فيها، أو تبريره لها ومدى حسن نيته فيها.

فالخطاب واضح وضوح الشمس لا يحتاج إلى تفسير، فالشاعر في هذه الأبيات يؤكد انتماءه للإنسان وقضيته، فالشعر رسالة حب وحياء، وهو شعاع ينير درب الحياة، فنرى الإخلاص والامتلاك لناصية اللغة والأدوات الفنية للتعبير، بهذا كله حُقَّ له أن يغني بأي نغم يريده، ولا يلقي بالاً لآراء النقاد المختلفة حول الأداء الشعري والقافية والوزن، فلكل شاعر خطابه ولونه وطريقة إقناعه، فهو يرى أن الشاعر يقتل نفسه بيده عندما يكون موعلاً في الغموض، أو يكون اغتراباً ورموزاً وطلاسماً.

أنا يا (ليبياي) لم أتغير في ولائي وإن تغيّر لوني
 أنا يا (ليبياي) لم أتحوّل عنك إلا إليك حضناً بحضن
 أنت دنياي لذة وعذاباً منذ هز الهوى براعم غصني
 أنت يا (ليبياي) عشق خطير ومن العشق ما يميت ويُفني
 أجي النار في العروق حريقاً لقصاصٍ يزيح ثأري عني
 نداء استعطاف واعتزاف، نداء من محب لوطنه، خشي أن يتهمه بالخيانة والتبديل،
 عندما تنتظر في الوطن والآثار، فتري فيه قلبك قطعاً مبعثرة على جوانبه، وتراه
 يسكن خلايا قلبك، وتتاديه كل قطعة من هذا القلب المحطم وتتاجيه، أن أقبل عليّ
 بحنانك وعطفك، وضمني في لحافك.

والعريب أن الشاعر كرر ذكر (ليبييا) في كل بيت إلى حد الهذيان، كما أن التكرار
 أنشأ جواً نفسياً مفاده تكثيف اللفظ للدلالة على الكثافة المعنوية، وهذا دليل على
 التركيز الدلالي أو الشحنة الدلالية التي يحملها النص، ففي كلامنا الدارج نقول
 (اسمع يافلان كذا وكذا ويافلان يا فلان) وتعيد الاسم في كلام واحد أكثر من مرة

أبداع الشاعر هذه الأبيات بكل أحاسيسه ومشاعره، لخص فيها عدة قضايا، منها:

1. الولاء الأبدي للوطن في قوله : (لم أتغير في ولائي وإن تغير لوني)

2. عدم القدرة على البعد عنها في قوله: (لم أتحول عنك إلا إليك حضناً بحضن)

3. العشق الأبدي لها في قوله: (عشق خطير ومن العشق ما يميت ويُفني) إن النداء بصيغة الملكية التي توحى بالحب العميق بقوله : (يالبيبي) وهذا الحب شبيه بنداء الوالد لولده (يابني) دليل حب وعطف وحنان.

ومن الملاحظ على النداء في هذه الأبيات أن الشاعر استعمل أداة النداء (الياء) ، وكما نعلم أن هذه الأداة تستعمل لنداء البعيد، فهذا الاستعمال غاية في البلاغة والحب، وكأن ليبيبا أبعده؛ لما رآه من جفوة وتغير في ملامحها، فهو يناديها بحرقة وألم، ولا يمكن في هذه الحالة إلا استعمال هذه الأداة؛ ليحقق التلاحم والقرب. وتكرار النداء إشعار بأن للأمر أهمية وشأناً عظيماً، وفي التكرار إيقاظ للحواس، وتنبه للغافل، كما أن التكرار هو أحد العلاقات التي تربط بين مختلف المقاطع المشكلة للبنية الكبرى للنص، يقول يوري لوتمان: (إن البنية الشعرية ذات طبيعة تكرارية)¹، ولا يغيب على بالنا ما يضيفه التكرار في كل مقطع من إيقاع لفظي زاد الأمر تأكيداً وجلالاً وأهمية، كما أن للتكرار ميزة أخرى في المواقف الخطابية وهي استيعاب القضية بكل ما لها من أبعاد فكرية ونفسية . كما نلاحظ في هذا الخطاب الإلحاح على تحقيق الرسالة التي يريد إيصالها لكل الناس، وهي حثهم على حب

1 ترجمة الدكتور محمد فتوح أحمد ؛ تحليل النص الشعري بنية القصيدة، دار المعارف القاهرة

الوطن، وأن الوطن هو الملاذ الأول والأخير لكل فرد، كما عالج فيها الشاعر موضوع الوطن والولاء له، وحبه والبعد عنه؛ قاصداً بذلك تحريك العاطفة الوطنية. كما نلاحظ على هذه القصيدة وجود الواقعيين اللذين ذكرهما (حبيب مؤنس) الواقعي المدرك والواقع المعطى¹، الواقع المدرك: فيه خصوصية المبدع التي تسيج الواقع بالصبغة الذاتية؛ فإن لم يقف القارئ على هذا الواقع الخاص فاته أن يدرك المعاني المقصودة؛ وأما الواقع المعطى: فهو يشترك بين كل الناس؛ لأنه مائل بين أيديهم، وإن لم يفهموا ويدركوا المعنى المقصود. قال محمد بن الأمين الجكني الشنقيطي (ت.1312هـ)، الإدراك: بلوغ النفس إلى المعنى بتمامه، فإن بلغت إليه لا بتمامه فهو الشعور. والتصديق: إثبات أمرٍ لأمرٍ بالفعل، أو نفيه عنه بالفعل، وسُمي تصديقاً؛ لأنه خبرٌ، ولم يُسموه تكذيباً؛ لشرف الصدق². والمثال على ذلك قوله:

أنا لست الذي ترون لأنني غير ما يعرف المحدث عني
أنا لا شيء غير نازف لحن تاه ما بين عازفيه وبينني
لا توجد سعادة مطلقة في الكون، فلو وجدت ما كان وجود للحزن والألم، ولو كان الحزن مطلقاً لاستحالت حياة الناس؛ فأقرُّ قلب هو الذي يوازن بين ذلك فيفتح الباب الذي كان موصداً .

1 ينظر: حبيب مؤنس، فلسفة القراءة وإشكاليات المعنى؛ دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر 2002م ص65

2آداب البحث والمناظرة، تحقيق سعود بن عبد العزيز العريفي، مطبوعات مجمع الفقه بجدة (دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع) ص: 12.

إن هذا الخطاب بوح من أعماق النفس، خالص من معاناة واضطراب نفسي، وعذاب روحي نلحظه من خلال صورة الحزن التي تلف النص، مع شيء من الأمل والتفاؤل لتغيير الحال نحو الأفضل؛ لأن ليبيبا يمكنها أن تظهر بوجه باسم، وتتألاً بالفرح والسرور بعد الألم، وتشد العزيمة وهي في قمة اليأس، فأين يكون الضرر لو اشتركنا جميعاً في حبها فهي معين حياة متوارث لا ينقطع.

السمات الرئيسية في هذه القصيدة

1 - أبعاد الشعر ثلاثة: الجملة، والنص، والخطاب.

فاليبيت جملة؛ لأنه مؤلف من مسند ومسند إليه [مبتدأ وخبر، أو فعل وفاعل]، مع ما يتبع ذلك من متعلقات وملحقات ومعطوفات، وهو نص؛ لأنه وحدة دلالية قائمة بذاتها، وشبكة من العلاقات [إسناد وعطف وإحالة وإضافة] التي تتسج العناصر وتشد بعضها إلى بعض.

2. ترتبط هذه القصيدة بجانب مهم من جوانب شخصية الإنسان، وهذه الشخصية هي الوضوح والظهور، وعدم الاستتار وراء الأقنعة الزائفة، التي مهما حاول الإنسان أن يختفي وراءها ينكشف ويفتضح أمره.

3. أسس النص على دلالات مختلفة، منها المطع فكانت القصيدة خالية من مقدمة تمهيدية للموضوع؛ وذلك أن القصيدة كانت وليدة لحظتها، ومنها أيضاً بداية القصيدة بالتنبيه الذي يسترعي الانتباه، ويوقظ الغافل للكلام المهم القادم، ومنها أيضاً البناء الأسلوبى للنص وانعكاساته على الواقع الخارجى .

4. العلاقات الواردة في النص كانت على درجة كبيرة من الترابط والتماسك، ومن هذه العلاقات التكرار الذي برز في النص بشكل واضح، والنفي الذي ارتبط بتصوير نقاط ضعفه وقوته؛ لإبراز فاعلية الأنا واندماجها في النص وتفاعلها معه .

5. هناك تداخل بين الكنايات والمجاز المرسل والاستعارات، نلاحظه في الخطاب من خلال استدلاله على القضايا التي يعالجها في هذا النص الشعري .
6. أخذ التناص حيزاً مهماً في القصيدة باعتباره ضرورياً كضرورة الهواء للكائن الحي؛ لأنه يدل على القضية التي يعالجها ويبرهن لها.
7. انفراده بمعجم لغوي خاص به، وهو ما يسمى عند الشعراء (الذاتية اللغوية)، هذه الذاتية نجدها تسيطر على القصيدة بأكملها، وتتجلى هذه الذاتية في (الأنا).
8. تتسم القصيدة بالطابع السردى، القائم على المواجهة وعدم الخوف من الصراحة، حيث أن هذه القصيدة تقوم على فن إسقاط الألقعة الذي ينادي به الشاعر ويدعو إليه .
9. الموسيقى الخارجية أقوى نغماً وجرساً من الموسيقى الداخلية، فالشاعر يختار الوزن المناسب للغرض الشعري، ويجعل القافية وحروفها، وحرف الروي، مناسباً لهذا الموضوع أو ذاك، وما تحتاجه هذه القصيدة أو تلك. فمخرج هذه الحروف لها أثر قوي، وتأثير كبير، وتفاعل رائع مع روح القارئ ووجدانه.
10. يتضمن هذا النص أو الخطاب مجموعة من الرسائل المباشرة وغير المباشرة، الظاهرة والمضمرة.

قائمة المصادر والمراجع

- الأسلوبيات وتحليل الخطاب، مختبر جامعة عنابة؛ 2006 م
- بسام قطوس، استراتيجيات القراءة التأصيل والإجراء النقدي؛ دار الكندي للنشر والتوزيع إربد الأردن 1998م
- جمال الدين محمد منظور . (1414هـ). لسان العرب. بيروت: دار صادر. ط3.
- حبيب مونس، فلسفة القراءة وإشكاليات المعنى؛ دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر 2002م
- حسين واد، في مناهج الدراسات الأدبية؛ - دار سراس للنشر تونس، 1985م
- خوله الإبراهيمي دار القصبه للنشر، الجزائرالطبعة: الثانية، 2006م
- دراسات نقديه معاصره تعليق وترجمه علي الحلي، بغداد دار الشؤون الثقافية العامه ط1، 1986 م
- رابع بوحوش(2006). التراكيب اللسانية في الخطاب الشعري القديم. القاهرة: مكتبة الأداب ط1.
- سعد البازعي وميخان الرويلي؛ دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء بيروت ط4، 2005م
- طلعت أبو العزم: الظواهر الفنية في الشعر الوجداني لدى شعراء أبولو، 1988.
- عدنان درويش، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي؛ محمد المصري؛ نشر مؤسسة الرسالة بيروت ط2 - 1998م

- محمد التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: تحقيق رفيق العجم - علي دحروج نشر مكتبة لبنان 1996م
- محمد بن الأمين الجكني الشنقيطي (ت.1312هـ)، آداب البَحْث والمناظرة، تحقيق سعود بن عبد العزيز العريفي، مطبوعات مجمع الفقه بجدة (دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع)
- محمد فتوح أحمد ؛ (ترجمة) تحليل النص الشعري بنية القصيدة، دار المعارف القاهرة ط5، 1995م
- محمد مفتاح. (1992). تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص. نشر: المركز الثقافي العربي. ط3.
- محمود بن عبد العزيز، خصوصية الخطاب الأدبي وجماليات الانزياح، مجلة الجزيرة 2012م، عدد 359
- نزار هنيدي. (2005). الخطاب الشعري في تجربة الحداثة السورية. دمشق: مجلة الموقف الأدبي العدد 405، اتحاد الكتاب العرب.
- نور الدين السيد. (1997). الأسلوبية وتحليل الخطاب (تحليل الخطاب الشعري والسردية). الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع. ط2.

العنف الأسري ضد الأطفال وأثره على التحصيل الدراسي

((دراسة وصفية لعينة من طلاب مرحلة إنهاء التعليم الأساسي بمدينة البيضاء))

إعداد: د. أريج محمد منصور*

المخلص:

تناولت هذه الدراسة ظاهرة العنف الأسري ضد الاطفال وأثره على التحصيل الدراسي وفقا لمتغير (النوع - المستوى التعليمي للوالدين - حجم الأسرة - الوضع المادي) وبيان أكثر أشكال العنف الأسري تأثيرا على التحصيل الدراسي . قامت الدراسة على عينة قصدية مكونة من (100) مفردة من طلاب مرحلة إنهاء التعليم الأساسي بمدينة البيضاء، وذلك بتطبيق المنهج الوصفي والمنهج الإحصائي، كما اعتمدت الاستبانة كأداة لجمع البيانات، وتوصلت الدراسة إلى أنه توجد علاقة عكسية سالبة بين متغير العنف الأسري والتحصيل الدراسي، كما توجد علاقة ارتباطية بين أشكال العنف والتحصيل لصالح العنف المعنوي، كما توجد علاقة دالة إحصائية بين متغير النوع والمستوى التعليمي للوالدين لصالح الإناث، والمستوى التعليمي لصالح الأم الجامعية ومتغير العنف والتحصيل الدراسي، كما أنه لا توجد علاقة بين متغيري حجم الأسرة والوضع المادي والعنف الأسري.

* محاضر بقسم علم الاجتماع - كلية الآداب جامعة عمر المختار

Abstract:

This study dealt with the phenomenon of the family violence against children and its impact on studying achievement due to the changeable (the type – the educational level for parents – family size – financial status) and stating the impact of the more family violence upon studying achievement .

This study had been applied on an intentional sample consisting of single 100 students from those who had completed of basic educational stage at Elbeida city by applying the descriptive and statistical method – Also it depended upon the Questionnaire as an instrument to collect the data.

This study discovered that there are an Inverse relationship in-between the changeable of the family violence and the studying achievement, also there are an statistical means between the changeable of kind and the educational level for parents for the favor of the females, and the changeable violence and studying achievement. Also this study discovered that there are no relationship between the changeable of the family size and the financial status regarding the family violence .

المقدمة:

يعتبر العنف الأسري ظاهرة اجتماعية أفرزتها ظروف الحياة الاقتصادية والثقافية والسياسية، وما يثير الانتباه هو تزايد معدلاتها، وتنوع أنماطها في هذا العصر، حتى أصبح سمة ملازمة لها، فلم تعد تخلو من دولة أو مجتمع أو ثقافة، فهي متفشية في المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء، فقد أصبحت ظاهرة أخذة في التزايد في مختلف المجتمعات الإنسانية.

وعلى الرغم من الاهتمام العالمي بالطفل منذ مطلع العشرينات من القرن الماضي بظهور قوانين لحماية الأطفال وصدور أول إعلان لحقوق الطفل في جنيف عام 1924م، وصدور اتفاقية حقوق الطفل في عام 1989م التي تعهدت بحماية حقوق الطفل، ومناهضة كافة أشكال ومستويات العنف وتخصيص يوم عالمي للتعريف بهذه الظاهرة وإقرار هذه الحقوق في وثائق دولية وتشريعات قانونية، إلا أن أعداد الأطفال المعنفين أسرياً في تزايد كما تدل إحصائيات الأمم المتحدة على أن ما يقارب مليار طفل في المرحلة العمرية من 2 - 17 عاماً تعرضوا لعنف بدني أو جنسي أو نفسي أو عانوا من الإهمال⁽¹⁾.

وتعد هذه الظاهرة نتاج لما اعترى وظيفة التنشئة الاجتماعية في النظام الأسري من تغييرات نشأت كظواهر سلبية في المجتمع المعاصر، فالأسرة هي المؤسسة الاجتماعية التي ينمو فيها الطفل وتتشكل من خلالها شخصيته، وتعتبر مرحلة الطفولة من أهم مراحل النمو النفسي والاجتماعي، وتمتد تأثيراتها على مختلف المراحل اللاحقة من حياته، وتتعدد أشكال العنف بتعدد الأطراف المكونة للعلاقات

(1) الموقع الإلكتروني www.who.net تاريخ الزيارة 2020/12/22

الأسرية التي يكون الأطفال أكثر المتضررين حيث إن العنف يؤثر على شخصية الطفل، وعلى مختلف نواحي نموه الجسدي، والنفسي، والاجتماعي والمعرفي. إن للعنف بصفة عامة، والعنف الأسري بصفة خاصة سلبيات كثيرة على الأطفال، إذ ينتج عنه الكثير من الآفات الاجتماعية، ولها انعكاسات مباشرة وغير مباشرة على الأطفال ودراستهم، فالظروف المحيطة بالطفل كالصراع، وعدم الاستقرار، والتعرض للضرب والإهانة، والحرمان، تؤثر عليه وتجعل محيط المنزل غير ملائم للتطور والنمو المعرفي مما يؤثر سلباً على مستوى التحصيل الدراسي. على الرغم من الجدل الدائم حول مسألة التربية وأن التأديب والتعليم بواسطة الإكراه والعنف وسيلة تربية غير ناجحة في أي مرحلة من مراحل عمر الطفل، فإن تعرض الطفل للعنف يؤثر سلباً على أدائه الدراسي ومستوى تحصيله، وخصوصاً الضرب المبرح والإهمال، مما قد يؤدي إلى ترك الدراسة والجنوح. وعليه نحاول في هذه الدراسة إلقاء الضوء على ظاهرة العنف الأسري ضد الأطفال، وأثره على مستوى التحصيل الدراسي لديهم، من خلال فصلين تناول الفصل الأول الإطار النظري للدراسة ويشمل (مشكلة الدراسة - الأهمية - الأهداف - ومفاهيم الدراسة - وعرض لعدد من الدراسات السابقة - وتساؤلات الدراسة - والمتغيرات - وبعض الاتجاهات النظرية المفسرة للعنف الأسري)، والفصل الثاني تناول الدراسة الميدانية واشتمل على (إجراءات الدراسة المنهجية - وعرض الجداول - وتحليل البيانات - ونتائج الدراسة - والتوصيات) .

الفصل الأول

الإطار النظري للدراسة

أولاً- مشكلة الدراسة:

الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى التي ينمو فيها الطفل، ويتشكل فيها سلوكه، ويكتسب من خلالها معايير الصواب والخطأ، والتي تبنى عليه شخصيته من خلال تأثيرها على كافة مراحل حياته المستقبلية، ولكن إذا تحولت هذه المؤسسة الهامة إلى ساحة لممارسة مختلف أنواع العنف، والتي تمتد في أسوأ الحالات إلى الأطفال فيستنتج عنه شخصيات مجتمعية غير متوازنة وسلبية، وتسبب لهم أزمات عديدة تستمر معهم للكبر، وتتحول لا إرادياً إلى سلوك مستقبلي متوارث من جيل إلى جيل، مما يهدد أمن المنظومة المجتمعية المتمثلة في الأسرة.

ولقد تصاعدت حدة العنف الأسري بشكل مقلق في الفترة الأخيرة على المستوى العالمي، وعلى الرغم من التكتّم عن التبليغ على حالات العنف ضد الأطفال، إلا أن واقع إحصائيات الأمم المتحدة تقدر بما يتراوح ما بين 133 مليون إلى 275 مليون طفل سنوياً يتعرضون إلى العنف الجسدي، وأن العنف يحدث في سياق التأديب وأن العقاب والمعاملة السيئة تنتشر في كل من البلدان الصناعية والنامية معاً. (1)

إن مشكلة العنف بصفة عامة، والعنف الأسري بصفة خاصة لها آثار سلبية على مختلف نواحي حياة الأطفال الجسدية والنفسية، وعلى النمو المعرفي والإدراكي، وعلى مستوى التحصيل الدراسي والإنجاز، وذلك لتسخير معظم طاقاتهم العقلية في التعامل مع الضغط الناتج عن العيش في وسط عائلي عنيف.

بالإضافة إلى أن العنف يلقي بظلاله على الأطفال وأسرهم مستقبلاً، فإنه يؤثر على المدى البعيد على المجتمع وإبطاء وتيرة التنمية والتقدم لتأثيره على رأس المال البشري، فهو يحد بشدة من قدرات الأطفال، على تكوين شخصيتهم وتفتحهم بأنفسهم

(1) الموقع الإلكتروني www.unicef.org تاريخ الزيارة 23 / 12 / 2020

بما يفضي إلى خسائر فادحة يتكبدها المجتمع، ومن هنا فإن مشكلة الدراسة تتلخص في الإجابة عن التساؤل التالي: ما هي آثار العنف الأسري ضد الأطفال على مستوى التحصيل الدراسي؟

ثانياً - أهمية الدراسة:

تعتبر الطفولة من أهم المراحل التي تتشكل فيها شخصية الإنسان، وتحدد معالم مستقبله وبناءه الفكري والاجتماعي، مما يستلزم رعاية خاصة واهتماماً من الأسرة التي تعتبر البيئة الحاضنة بهذا الطفل والمسؤول الأول عن تشكيل هذه الشخصية، ولعل أهم المشاكل والعقبات التي تؤثر بشكل سلبي عليه هي العنف الأسري، إذ يترك آثاراً عميقة وبعيدة المدى على حياة الطفل، وتستمر لأوقات طويلة بعد حدوثها، وتظهر تلك العواقب في المراحل العمرية المختلفة، فاستخدام القوة داخل الأسرة يعد أحد أشكال العنف خاصة عندما تستخدم من أحد أفراد الأسرة البالغين ضد الأطفال، والذي يمثل حدوث خلل في منظومة الأسرة وعجزها عن اعتماد الحوار كوسيلة للتواصل، ويعبر عن فشل عملية التنشئة الاجتماعية، وبداية الصراعات والاضطرابات التي تهدد أفراد الأسرة عموماً والأطفال على وجه الخصوص مما ينعكس بصورة سلبية على مختلف نواحي نموهم، فالظروف المحيطة بالطفل كالصراع وعدم الاستقرار والتعرض للضرب والإهمال تؤثر عليه وتجعل جو المنزل غير ملائم للتطور والنمو المعرفي.

وبذلك تكمن أهمية الدراسة من خلال التعرف على العنف الأسري ضد الأطفال، وآثاره على مستوى التحصيل الدراسي للحد من هذه الظاهرة، والوقاية منها، والكشف عن الأوضاع الاجتماعية التي يعيشها الأطفال في مجتمع الدراسة، والتي ترتبط بالبيئة المحيطة بهم لتقديم الدعم والرعاية لهم وإعدادهم للمواطنة الصالحة.

ثالثاً- أهداف الدراسة:

- 1- التعرف على أثر العنف الأسري على مستوى التحصيل الدراسي .
- 2- التعرف على أكثر أشكال العنف الأسري (الجسدي - اللفظي - المعنوي) تأثيراً على التحصيل الدراسي.
- 3- التعرف على العلاقة بين آثار العنف الأسري و التحصيل الدراسي وفقاً لمتغير (النوع - المستوى التعليمي للوالدين - حجم الأسرة - الوضع المادي) .
- 4- محاولة تقديم مقترحات للأسرة وتوصيات بالطرق الصحيحة للتعيشة الاجتماعية والتعامل مع الأطفال لمحاولة الوقاية من ضعف التحصيل الناجم عن العنف وسوء المعاملة الوالدية للأبناء .

رابعاً- مفاهيم الدراسة:

1- العنف الأسري ضد الأطفال:

- العنف لغة هو (الخرق بالأمر وهو ضد الرفق وهو الشدة والمشقة ، وكل ما في الرفقة من خير ، ففي العنف من الشر منه)⁽¹⁾ .
- وعرف اصطلاحاً بأنه (غلظة في القول أو الفعل تؤدي في الغالب إلى إساءة معنوية أو مادية للذات أو للآخرين)⁽²⁾ .
- ويعرف معجم العلوم الاجتماعية العنف (بأنه استخدام الضغط أو القوة أو استخدام غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما)⁽³⁾ .

(1) ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ، ط3 ، بيروت ، ج 9 ، ط 1999 ، ص257 .

(2) اعتماد علام ، إجلال حلمي ، مدخل علم اجتماع التنظيم ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط 2013 ، ص138 .

يعرف بأنه (الأفعال التي يقوم بها أحد أعضاء الأسرة وتلحق ضرراً مادياً أو معنوياً أو كليهما بأحد أفراد الأسرة)⁽⁴⁾.

ويعرف بأنه (أحد أنماط السلوك العدوانى الذي ينتج عن علاقات قوة غير متكافئة في إطار تقسيم الأدوار والمكانة للرجل والمرأة داخل الأسرة وفقا لما يمليه النظام الاجتماعى السائد في المجتمع)⁽⁵⁾.

وتبنى المجلس الوطنى الأردنى لشؤون الأسرة تعريف العنف الأسرى بأنه (الاستعمال المتعمد للقوة سواء كان ذلك بالتهديد أو الاستعمال المادى للقوة بحيث يؤدي إلى إصابة أو موت أو سوء نمو أو حرمان)⁽⁶⁾.

كما عرف العنف بأنه (النشاطات المباشرة وغير المباشرة التي تستهدف أحد أفراد الأسرة أو توجه نحوه بقصد الأذى ، وغالباً ما تكون موجّهة نحو أحد القطبين الأضعف داخل الأسرة المرأة والطفل)⁽¹⁾.

(3) أحمد زكي بيومي ، معجم المصطلحات الاجتماعية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط 1997 ، ص441 .

(4) أحلام محمود المطيري ، العنف الاسرى ، منشورات مركز نماء للبحوث والدراسات ، الكويت ، ط2015 ، ص14 .

(5) نهى القاطرجي ، المرأة في منظومة الأمم المتحدة (رؤية إسلامية) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط2006 ، ص373 .

(6) منى يوسف بحري ونازك قطيشات ، العنف الأسرى ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ط2011 ، ص39 .

(1) محمد الكاتبي (العنف الأسرى الموجه نحو الأطفال وعلاقته بالوحدة النفسية) ، مجلة جامعة دمشق ، مجلد 28 ، العدد الأول ، ط2012 ، ص9.

أما العنف الأسري ضد الأطفال فهو (كافة أشكال الضرر أو الإساءة البدنية أو العقلية أو الاستغلال مما يؤدي إلى ضرر فعلي أو محتمل لصحة الطفل وبقاءه على قيد الحياة أو نموه وكرامته)⁽²⁾ .

وعرف العنف ضد الأطفال بأنه (كل فعل أو امتناع عن فعل يؤدي إلى هلاك الطفل أو يعرض حياته وسلامته الجسدية والنفسية والاجتماعية للخطر)⁽³⁾ .

وتعرف الأمم المتحدة العنف الأسري ضد الأطفال على النحو الوارد في الفقرة (1) من المادة (19) من اتفاقية حقوق الطفل بأنه (كافة أشكال الضرر والإساءة البدنية والعقلية والإهمال وإساءة المعاملة أو الاستغلال بما في ذلك الإساءة الجنسية)⁽⁴⁾ .

ونعرف العنف الأسري ضد الأطفال إجرائياً بأنه (استخدام القوة من قبل الوالدين أو القائمين على رعاية الطفل تحت سن الثامنة عشر مما يهدد أمنه واستقراره النفسي والاجتماعي ويعيق نموه المعرفي و الإدراكي سواء كان بشكل مباشر كالعنف اللفظي والجسدي أو بصورة غير مباشرة كالإهمال وسوء المعاملة) .

2- التحصيل الدراسي:

التحصيل لغة ورد في لسان العرب مادة حصل وهو الشيء الحاصل من كل شيء وهو ما بقى وثبت وذهب ما سواه ، وهو الجمع والتمييز بين الأشياء⁽⁵⁾ .

(2) رشاد عبد العزيز موسى ، مشكلات المراهقين ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط2006 ، ص26 .

(3) حسن بن ناصر ، العنف ضد الأطفال ، رسالة ماجستير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط 1430 ، ص31 .

(4) الموقع الإلكتروني www.unicef.org تاريخ الزيارة 15 / 01 / 2021 .

(5) ابن منظور ، لسان العرب ، مرجع سابق ، ص224 .

ويعرف اصطلاحاً بأنه : مدى استيعاب وفهم المتعلم لما تعلمه من خبرات معرفية أو مهارية من المقررات الدراسية ويقاس بمجموع الدرجات التي يحصل عليها المتعلم في اختبارات نهاية العام⁽⁶⁾ .

وعرف بأنه : وسيلة تهدف إلى قياس كمية المعلومات التي يحفظها ويذكرها الطفل ، كما تشير على قدرته على فهمها أو تطبيقها وتحليلها في مواقف الحياة المختلفة⁽⁷⁾ .

كما عرف بأنه : مدى استيعاب التلاميذ على ما تعلموه من خبرات معينة في مادة دراسية مقررة وتقاس بالدرجات التي يحصل عليها التلاميذ في الاختبارات التحصيلية⁽⁸⁾ .

كما عرف بأنه : مقدار المعرفة أو المهارة التي حصل عليها الفرد نتيجة التدريب والمرور بخبرات سابقة⁽⁹⁾ .

ونعرفه إجرائياً بأنه: هو مدى قدرة طلاب الشهادة الإعدادية من الاستفادة من المواد العلمية المقدمة لهم وتمكنهم من اجتياز تلك المرحلة بمعدل مقبول علمياً دون عنف أسري وبيئة أسرية تؤثر على مستوى التحصيل الدراسي لديهم .

⁽⁶⁾ رحاب أحمد ، علاقة العنف المدرسي بالتحصيل لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية ، رسالة ماجستير ، جامعة دمشق ، ط2003 ، ص57.

⁽⁷⁾ مؤيد فاهم حسن ، العنف الأسري ضد الأطفال وأثره على مستوى التحصيل الدراسي ، رسالة ماجستير ، جامعة القادسية ، فلسطين ، ط2017 ، ص16

⁽⁸⁾ أديب الخالدي ، سيكولوجية الفروق الفردية والتفوق العقلية ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، ط2003 ، ص90 .

⁽⁹⁾ خالد الشايب ، علاقة الصلابة النفسية بالتحصيل الدراسي ، رسالة ماجستير ، جامعة قسدي مرياح ، الجزائر ، ط 2017 ، ص 32 .

3- الأسرة:

هي: جماعة اجتماعية صغيرة تتكون من الأب والأم والأطفال يتبادلون الحب وينتقسمون المسؤولية ، وتقوم بتربية الأطفال حتى تمكنهم من القيام بتوجيههم وضبطهم⁽¹⁾ .

كما عرفت الأسرة بأنها : هيكل اجتماعي يتميز بطابع ثقافي مميز يختلف من مجتمع لآخر ، يعمل هذا النظام الثقافي السائد في الأسرة على طبع وتلقين الفرد منذ نعومة أظفاره السلوك الاجتماعي المقبول ويتعلم داخلها طبيعة التفاعل مع الأفراد والعادات والتقاليد وبقية النظم الاجتماعية السائدة في المجتمع⁽²⁾ .

ونعرفها إجرائياً بأنها : وحدة اجتماعية تتكون من مجموعة من الأفراد ويرتبطون بروابط اجتماعية وقرابية وروحية وتؤدي وظائف اجتماعية واقتصادية ونفسية وتربوية متنوعة .

4- الأطفال:

الطفل في اللغة العربية هو " الصغير في كل شيء وأصل اللفظ من الطفولة أو النعومة وكلمة طفل تطلق على الذكر والأنثى .

ويعرف الطفل في ثلاثة أوجه هي:

الأولى: وهي مرحلة التكوين ونمو الشخصية وتبدأ من الميلاد حتى طور البلوغ ،
الثانية : إن الطفولة تتحدد حسب السن حيث يسمى طفلاً من لحظة الميلاد حتى

(1) عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط1989 ،

ص277 .

(2) عدنان أبو مصلح ، معجم علم الاجتماع ، دار أسامة للنشر ، الأردن ، ط 2010 ، ص 17 .

سن الثانية عشر ، الثالثة : وهي مدة الحياة من الميلاد حتى الرشد وتختلف من ثقافة إلى أخرى ، فقد تنتهي عند البلوغ أو عند الزواج⁽³⁾ .
 ويعرف الأطفال إجرائياً في هذه الدراسة بأنهم : كل إنسان لم يبلغ مرحلة النضج والبلوغ وهم من في مرحلة إنهاء التعليم الاساسي في مدينة البيضاء.
خامساً- الدراسات السابقة:

من خلال مراجعة الأدبيات والتراث النظري المتعلق بموضوع الدراسة قسمت الدراسة السابقة إلى دراسات محلية وعربية تم ترتيبها من الاقدم إلى الأحدث كما يلي :
أولاً- الدراسات المحلية:

1- دراسة نجات محمد سالم بعنوان : العوامل الاجتماعية والثقافية وأثرها على ممارسة العنف الأسري من قبل الآباء ضد أطفالهم ، ليبيا 2017 .

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة العلاقة بين العوامل الاجتماعية والثقافية (العمر - المستوى التعليمي - الدخل - نوع السكن - حجم الأسرة - التفكك الأسري - أساليب التربية - مشاهدة برامج العنف) على ممارسة الآباء للعنف ضد أطفالهم ، وبلغت العينة (353) من الآباء العاملين في القطاعات العامة بمدينة درنة ، باستخدام العينة الطبقية النسبية وبالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي والاستبيان كأداة لجمع المعلومات ، توصلت الدراسة إلى أن هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين جميع متغيرات الدراسة والعنف فيما عدا

⁽³⁾ أنيس عباس غزوان ، العنف الأسري ضد الأطفال وانعكاسه على الشخصية ، منشورات جامعة الكوفة ، العراق ، ط2015 ، ص4 .

متغير (الدخل وحجم الأسرة ونوع السكن) وممارسة العنف الأسري من قبل الآباء ضد أطفالهم⁽¹⁾ .

2- دراسة ابتسام سالم خليفة بعنوان: مظاهر العنف الأسري ضد الأطفال وأثره على المجتمع واستراتيجيات الحد من هذه الظاهرة ، ليبيا 2018 .

هدفت هذه الدراسة للتعريف بظاهرة العنف الأسري وأثره على المجتمع واستراتيجيات الحد من هذه الظاهرة من خلال عدة أهداف فرعية متمثلة في رصد العوامل المؤدية للعنف الأسري وأهم أشكال العنف الأسري ضد الأطفال والآثار المترتبة عليه ووضع استراتيجيات للحد من ظاهرة العنف .

وهي من الدراسات النظرية وتوصلت الدراسة إلى أن هناك العديد من العوامل التي تؤدي إلى ظاهرة العنف أهمها التنشئة الاجتماعية ، كما يعد العنف اللفظي والمعنوي أكثر أشكال العنف الأسري ضد الأطفال ، كما أن العنف يؤثر على المجتمع واستقراره ويعيق جهودات التنمية والاستثمار الأمثل للطاقات ، كما تعد تنمية المهارات والقدوة الحسنة من أهم الاستراتيجيات للحد من ظاهرة العنف⁽²⁾ .

ثانياً- الدراسات العربية:

1- دراسة نجاح الدويك: أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالذكاء والتحصيل الدراسي لدى الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة " فلسطين 2008 " .

(1) نجاة محمد سالم ، العوامل الاجتماعية والثقافية وأثرها على ممارسة العنف الأسري من قبل الآباء ضد أطفالهم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عمر المختار ، 2017 ، ص أ - ب .

(2) ابتسام سالم خليفة (مظاهر العنف الأسري ضد الأطفال وأثره على المجتمع واستراتيجيات الحد من هذه الظاهرة) مجلة كلية التربية ، جامعة الزاوية ، العدد 12 ، 2018 ، ص ص 19 ، 107 .

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة درجة تعرض الأطفال في البيئة الفلسطينية إلى سوء المعاملة والإهمال وأثر ذلك على الذكاء والتحصيل الدراسي ، وتكونت عينة الدراسة من 200 طفل من المرحلة الابتدائية ، وتوصلت الدراسة إلى ان هناك فروق دالة إحصائياً بين الأطفال الأكثر تعرضاً لسوء المعاملة الوالدية والإهمال ومتوسط درجات الأطفال الأقل تعرضاً لسوء المعاملة في الذكر والتحصيل⁽³⁾ .

2- دراسة وليد حمادة: سوء معاملة الأبناء وإهمالهم وعلاقته بالتحصيل الدراسي " سوريا 2010 "

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى شيوع ظاهرة سوء معاملة الأبناء وإهمالهم وطبيعة العلاقة بين سوء المعاملة بمستوى التحصيل تبعاً لمتغير الجنس لدى عينة مقدارها (240) مفردة من طلاب الصف الأول الثانوي توصلت الدراسة إلى شيوع معاملة الأبناء في مجتمع الدراسة وأن التحصيل يتأثر سلباً بارتفاع درجة الإساءة لكلا الجنسين ، وأن الذكور والإناث يتعرضون لسوء المعاملة بالدرجة ذاتها⁽⁴⁾ .

3- دراسة علوان صالح الشهري: العلاقة بين إساءة المعاملة الوالدية وتحصيل طلبة المرحلة المتوسطة بمدينة تبوك ، السعودية 2011 .

هدفت الدراسة للتعرف على درجة تعرض طلاب المرحلة المتوسطة لإساءة المعاملة الوالدية وأثر ذلك على التحصيل الأكاديمي لديهم ، وطبقت الدراسة على عينة

⁽³⁾ نجاح أحمد الدويك ، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالذكاء والتحصيل لدى الأطفال في

مرحلة الطفولة المتأخرة ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، فلسطين ، ط 2008 ، ص أ - ب .

⁽⁴⁾ وليد حمادة (سوء معاملة الابناء وإهمالهم وعلاقتها بالتحصيل الدراسي) مجلة جامعة دمشق ،

مجلد 26 ، العدد ملحق ، ط 2010 ، ص 235 .

عشوائية بلغت (992) طالب وطالبة وتوصلت الدراسة إلى أن درجة التعرض لإساءة المعاملة الوالدية متوسطة ووجود علاقة عكسية بين إساءة المعاملة الوالدية (الجسدية - الإهمال - النفسية) والتحصيل الأكاديمي (1) .

4- دراسة محمد شاهين: اتجاهات طلبة المرحلة الثانوية في المدارس الفلسطينية نحو العنف وعلاقتها بالتحصيل ، فلسطين 2013 .

هدفت هذه الدراسة إلى تفصي اتجاهات طلبة المرحلة الثانوية نحو العنف ، وتحديد الاختلاف بحسب خصائصهم النوعية ، إضافة إلى تحديد العلاقة بين الاتجاهات نحو العنف وتحصيلهم الدراسي .

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي والاستبانة كأداة لجمع البيانات وأظهرت النتائج وجود فروق دالة إحصائية في كل مجالات اتجاهات طلبة المرحلة الثانوية تبعاً لمتغير الجنس لصالح الذكور ، وكذلك وجود فروق دالة في اتجاهات الطلبة نحو العنف تبعاً لمتغير الإقامة والترتيب الأسري ، كما دلت على وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية نحو العنف والتحصيل الدراسي (2) .

(1) علوان صالح الشهري ، العلاقة بين إساءة المعاملة الوالدية وتحصيل طلبة المرحلة المتوسطة بمدينة تبوك ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ، السعودية ، ط 2011 ، ص ز .

(2) محمد أحمد شاهين (اتجاهات الطلبة الثانوية في المدارس الفلسطينية نحو العنف وعلاقتها بالتحصيل) مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية ، مجلد 21 ، العدد 3 ، ط 2013 ، ص 107 .

5- دراسة عبد القادر سيف الدين الخطيب: أثر سوء معاملة الأبناء وعلاقته بالتحصيل الدراسي ، فلسطين 2017 .

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أثر سوء معاملة الأبناء وعلاقته بالتحصيل الدراسي في مدارس السلطة الفلسطينية ووكالة الغوث في الضفة الغربية للمرحلة المتوسطة ، واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي ، واستخدمت الاستبانة أداة لجمع البيانات على عينة مقدارها (160) طالب وطالبة ، وتوصلت إلى وجود علاقة سببية بين إساءة المعاملة للأبناء و التحصيل لديهم ، وأن التحصيل الدراسي للإناث يتأثر بالإساءة أكثر من الذكور⁽³⁾ .

6- دراسة أمل عوض الأسمرى: العنف الأسري ضد الفتاة السعودية وتأثيره على التحصيل الدراسي، السعودية 2018 .

هدفت هذه الدراسة للتعرف على العنف الأسري ضد الفتيات في المجتمع السعودي وتأثيره على التحصيل الدراسي بهدف معرفة الأنماط الشائعة وأسباب العنف وما ينتج عنه من الآثار السلبية على التحصيل العلمي للفتاة ، واستخدم المنهج الوصفي التحليلي وجمعت البيانات عن طريق الاستبيان وسحب عينة عشوائية منتظمة وأظهرت نتائج الدراسة أن العنف اللفظي هو الأكثر شيوعاً ، وأن الآباء هم أكثر من يمارس العنف ، وأن هناك أسباب كثيرة للعنف منها الاجتماعي والديني والتعليمي والبيئي والاقتصادي ، وكان من أهم آثار العنف الأسري على التحصيل هو الشرود الذهني وانخفاض المستوى التعليمي وضعف الثقة بالنفس والانطواء

(3) عبد القادر سيف الدين الخطيب ، أثر سوء معاملة الأبناء وعلاقتها بالتحصيل الدراسي ، رسالة

ماجستير ، جامعة القدس ، فلسطين ، ط2017 ، ص ز .

والغياب المتكرر وأن هناك علاقة عكسية بين العنف الأسري والتحصيل الدراسي وهناك علاقة طردية بين الاستقرار الأسري والتحصيل الدراسي⁽¹⁾ .

7- دراسة حنان بشته: العنف الأسري وعلاقته بالتحصيل الدراسي، الجزائر . 2018 .

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة الموجودة بين العنف الأسري والتحصيل الدراسي ومعرفة الفروق بين التلاميذ المعنفين من حيث الجنس ببعض المدارس الابتدائية بولاية باتنة ، واعتمد على المنهج الوصفي والاستبيان أداة لجمع البيانات ، واختيرت عينة الدراسة بطريقة قصدية وفقاً لمتغير العنف الأسري وتوصلت الدراسة إلى وجود علاقة ارتباطية سلبية بين العنف الأسري والتحصيل الدراسي وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التلاميذ المعنفين والتحصيل تبعاً لمتغير الجنس⁽²⁾ .

تعقيب على الدراسات السابقة:

تنوعت الدراسات السابقة من حيث هدفها الرئيسي ومجتمعها وعيناتها، وكذلك الأدوات والمنهجية المتبعة فيها ولكنها أكدت في مجملها على الآثار السلبية للعنف الأسري على مختلف نواحي حياة الطفل النفسية والاجتماعية والمعرفية.

حيث اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة على أثر العنف الأسري على النواحي المعرفية والتحصيل الدراسي، كما في دراسة (الشهري 2011) و(بشته 2018) كما اتفقت مع دراسة (الخطيب 2017) على تناول أثر متغير النوع

(1) أمل عوض الأسمرى (العنف ضد الفتاة السعودية وتأثيره على التحصيل الدراسي) مجلد

البحث العلمي في التربية ، جامعة الملك بن سعود ، مجلد 17 العدد 19 ، ط 2018 ، ص 2 .

(2) حنان بشته (العنف الأسري وعلاقته بالتحصيل الدراسي) مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ،

جامعة محمد بوخيّات ، مجلد 8 ، العدد 13 ، ط 2018 ، ص 53 .

على العنف الأسري بالإضافة إلى دراسة أكثر أنواع العنف الأسري شيوعاً ضد الأطفال كدراسة (الأسمرى 2011) ، ولكن الدراسة الحالية اختلفت بتناول متغير المستوى التعليمي للوالدين ، وحجم الأسرة ، والمستوى المادي ، كما استفادت الدراسة الحالية من سابقتها في غرض بعض المفاهيم النظرية وفي إعداد الأداة البحثية لجمع البيانات .

سادساً- متغيرات الدراسة:

- المتغير المستقل: العنف الأسري .

- المتغير التابع: ضعف التحصيل الدراسي .

سابعاً- تساؤلات الدراسة:

1- ما هي آثار العنف الأسري ضد الأطفال على مستوى التحصيل الدراسي ؟

2- ما هي أكثر أنواع العنف الأسري ضد الأطفال تأثيراً على مستوى التحصيل الدراسي ؟

3- ما هي العلاقة بين آثار العنف الأسري على التحصيل الدراسي وفقاً لمتغير (

النوع - المستوى التعليمي للوالدين - حجم الأسرة - الوضع المادي) .

ثامناً : الاتجاهات النظرية المفسرة للعنف الأسري:

1- نظرية الضبط والتبادل الاجتماعي:

طرح هذه النظرية (جليس) من خلال استعارته لبعض قضايا نظرية التبادل الاجتماعي (جورج هومنز) في تفسير سلوك العنف داخل الأسرة ، منطلقاً من قضايا الكلفة والمكافأة التي جاءت بها نظرية التبادل ، فإذا كان للعنف نتيجة مرضية فإن الشخص يستمر في ممارسته ، أما إذا كانت التكلفة أو الخسارة كبيرة فإنه سوف يتوقف عن هذا السلوك العنيف ، ثم ربطها (جليس) بقضايا الضبط

الاجتماعي من زاوية الدعم الثقافي للعنف الممارس من قبل الزوج ضد زوجته أو أبناءه عند تطلب الثقافة المجتمعية ذلك من أجل التأديب وضبط السلوك وتقوم هذه الثقافة بمكافئة ولي الأمر الذي استخدم العنف مع المنحرفين عند معابيرها⁽¹⁾.

2- نظرية التنشئة الاجتماعية:

ينطلق الاهتمام الأساسي لهذه النظرية من دراسة الأساليب والطرق التي تؤثر بواسطتها البنية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في صياغة الفرد اجتماعيا وذلك يتحدد على مفهومين هما المكانة والدور ، ويتفق (بارسونز ودوركايم) في أن التعليم هو أساس التنشئة الاجتماعية ، وعلى أهمية الأسرة في تعلم الأدوار المتوقعة منهم أداؤها مستقبلاً ، وذلك لضمان استقرار الأسرة واستمرارها ، وبذلك فإن العنف يتعلم ويكتسب من خلال التنشئة الاجتماعية التي تعطي سلطة للرجل لممارسة العنف وللمرأة أدوار تقبل العنف والتعايش معه⁽²⁾.

3- نظرية التفاعلية الرمزية :

الفكرة الأساسية لهذه النظرية كما يوجزها (هريت بلومر) أن الأفراد يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء من معاني ، فالتفاعل الرمزي هو ذلك النشاط الذي يفسر الناس من خلال أفعال بعضهم وتصرفاتهم وإيحاءاتهم على أساس المعنى الذي يضيفه هذا التفسير ، وعادة ما يتصف هذا التفسير بالسلوك الخارجي ، وبذلك تعتبر هذه النظرية العنف الموجه ضد الأفراد سواء أكان عنفا

(1) معن خليل عمر ، علم اجتماع العنف ، دار الشروق ، عمان ، ط 2010 ، ص ص 98 -

99 .

(2) نعيم حبيب جعيني ، علم اجتماع التربية المعاصرة ، دار وائل للنشر ، القاهرة ، ط 2009 ،

ص 242 .

لفظياً أو معنوياً أو جسدياً واحد من تلك التعبيرات الأساسية للنظرية التفاعلية الرمزية⁽³⁾.

4- نظرية دورة العنف:

تعرف هذه النظرية دورة العنف بأنه انتقال العنف عبر الأجيال، إذ أن العنف سلوك يُتعلّم داخل الأسرة وأنه ينتقل من جيل إلى الجيل الذي يليه، أي أن الاطفال الذين تعرضوا للعنف الأسري غالباً ما يطورون استعداداً لممارسة العنف مع أسرهم المستقبلية.

وترتبط بين حب الآباء لأبنائهم ودرجة العنف علاقة طردية، فالآباء أكثر عنفاً هم الأكثر اهتماماً وحرصاً على أبنائهم، وإذا تعلم الطفل هذه القيمة الثقافية فإنه سيمثلها عندما يصبح أباً وتجده يتعامل مع أطفاله بنفس الكيفية⁽⁴⁾.

5- النظرية البيئية:

وتقوم على أساس التفوق في التحصيل الدراسي يتأثر بالبيئة ونعني بالعوامل البيئية كل ما يحيط بالتلميذ والمميزة عادة بوحدة ثقافتها وتراثها ونوع سكانها ومظاهرها الاقتصادية والاجتماعية والحياتية العامة وأن البيئة لها آثار تعليمية وتربوية سلبية أو إيجابية، حيث يرى (دور كايم) أن للبيئة الاجتماعية أثر بالغ وحاسم في تكوين ذهنية الفرد سواء إيجابياً أو سلبياً، وأن الفرد مدين لهذه البيئة بجميع مقوماته من

⁽³⁾ عوض السيد، جرائم العنف الأسري، مطبوعات مركز البحوث والدراسات، القاهرة، ط

2004، ص 24.

⁽⁴⁾ غريب سيد أحمد، علم اجتماع الأسرة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 2001، ص

النواحي الجسمية والتعليمية والاجتماعية ، فكلما كانت بيئة الكائن الحي أكثر تعقيدا أو تغييراً كلما احتاج إلى درجة أكبر من المرونة لملائمة تلك التغيرات .
وعندما يكون الطالب في بيئة أسرية خالية من التوترات والعنف وتتوفر فيها جوانب التربية السليمة والأمن من قبل الوالدين ، ينعكس ذلك إيجابيا على الأبناء وتحصيلهم الدراسي والعكس صحيح⁽¹⁾ .

الفصل الثاني

الدراسة الميدانية

1- الإجراءات المنهجية للدراسة:

أولاً- نوع الدراسة:

تنقسم الدراسة إلى دراسة مكتبية وهي الإطار النظري ، والذي يعتمد في جمع معلوماته على المراجع المتمثلة في الكتب والدوريات والرسائل العلمية حول موضوع الدراسة ، ودراسة ميدانية تعتمد على استبانة للحصول على معلومات حول موضوع الدراسة وذلك من خلال توزيع استمارة الأسئلة على عينة من طلاب مرحلة إتمام التعليم الأساسي ، وذلك وفق الطرق العلمية المتبعة في الدراسات الاجتماعية ، وبذلك فإن هذه الدراسة تنتمي إلى الدراسات الوصفية .

ثانياً- منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، حيث يعد أكثر مناهج البحث الاجتماعي ملائمة للواقع الاجتماعي وخصائصه، وهو الخطوة الأولى لتحقيق الفهم الصحيح لهذا الواقع، فعن طريق اتباع المنهج الوصفي تتحقق الإحاطة بكل أبعاد الواقع

(1) أحمد الوافي ، عوامل التربية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط 1959 ، ص 110 .

الاجتماعي وجمع معلومات حقيقية عن مجتمع الدراسة وصياغة النتائج ووضع التوصيات⁽¹⁾ .

كما اعتمد المنهج الإحصائي كما هو الحال في العلوم الاجتماعية ؛ حتى تبرز نتائج الدراسة والفرضيات في صورة رياضية مدعومة بالأرقام لإعطاء دقة وموضوعية لنتائج الدراسة ويتمكن الباحث من التفسير و التعميم لمجتمع الدراسة .

ثالثاً- حدود الدراسة:

1. الحدود البشرية : وتشمل طلاب مرحلة إنهاء التعليم الأساسي (الشهادة الإعدادية) .

2. الحدود المكانية : أجريت الدراسة على مدارس التعليم الأساسي في مدينة البيضاء بمنطقة الجبل الأخضر . ليبيا ، والبالغ عددها (30) مدرسة .

3. الحدود الزمانية : طُبّق في شهر نوفمبر خلال العام الدراسي 2022 - 2023 لمجتمع الدراسة .

4. الحدود الموضوعية : ركزت الدراسة على موضوع العنف الأسري ضد الأطفال على التحصيل الدراسي وفقاً لمتغير (النوع - المستوى التعليمي للوالدين - حجم الأسرة - الوضع المادي) .

رابعاً- مجتمع الدراسة:

ويعني جميع مفردات الظاهرة التي يدرسها الباحث ، والذين يكونون موضوع مشكلة الدراسة⁽²⁾ ، ويتكون مجتمع هذه الدراسة من طلاب مرحلة إنهاء التعليم الأساسي

(1) محمد علي محمد ، البحث الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط 1995 ،

وهم من في عمر (15 - 16) سنة في المؤسسات التعليمية العامة لكونها تضم فئات اجتماعية متنوعة ، وقد بلغ عددهم (2124) طالب ، (929) ذكور و (1165) إناث ، وفقاً لإحصائيات مكتب الخدمات التعليمية بمدينة البيضاء⁽¹⁾ .

خامساً- عينة الدراسة ونوعها:

بلغت عينة الدراسة (100) طالب وطالبة من طلاب الشهادة الإعدادية ، اختيرت عن طريق العينة القصدية لمناسبتها لمثل هذه الدراسة ، والتي تعرف بأنها اختيار كفي من قبل الباحث للمبحوثين استناداً إلى أهداف بحثية ، ولا تعتمد على الجداول العشوائية أو القرعة⁽²⁾ .

حيث استُبعدت (3) استمارات لعدم استيفائها البيانات ، وبلغت نسبة الإناث (39) طالبة ، نسبة تمثل (40.2%) وعدد الذكور (58) طالب بنسبة تمثل (59.8%) من مجموع العينة والبالغ (97) مفردة .

سادساً- أداة جمع البيانات:

اعتمدت الدراسة على استمارة الاستبانة كأداة لجمع البيانات المتعلقة بالدراسة الحالية ، وقد قامت الباحثة بتصميمها وقسمتها إلى ثلاثة أجزاء رئيسية، الجزء الأول واشتمل على البيانات الأولية لأفراد عينة الدراسة وهي تمثل متغيرات الدراسة والجزء الثاني اشتمل على (10) فقرات تقيس أثر العنف على التحصيل الدراسي

(2) عبيدات ذوقان وآخرون ، البحث العلمي مفهومه وأهدافه وأساليبه ، دار الفكر ، عمان ، ط 2001 ، ص131 .

(1) وزارة التربية والتعليم ، مكتب الخدمات التعليمية ، الجبل الأخضر ، البيضاء ، 2022 .

(2) معن خليل عمر ، مناهج البحث في علم الاجتماع ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط 2004 ، ص208 .

من خلال (الدافعية للإنجاز والتعلم والعزلة وعدم الثقة بالنفس) أما الجزء الثالث فقد اشتمل على (15) فقرة تقيس أشكال العنف .

وللتأكد من صدق الظاهرة للأداة عُرِضت الاستبانة على مجموعة المحكمين من أعضاء هيئة التدريس بقسم علم الاجتماع بجامعة عمر المختار لمعرفة مدى ملائمة عبارات الاستبيان لقياس ما وضعت من أجله ومدى وضوحها ، وبناء على ما ورد من ملاحظات عُدلت وصيغت بعض العبارات واستُبعدت وُدُمجت بعضها الآخر حتى أصبح الاستبيان في شكله النهائي.

سابعاً- الوسائل والأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

حُلِّت البيانات الخاصة بالاستبانة لأفراد العينة باستخدام البرنامج الإحصائي (Spss) واستُخدمت أساليب إحصائية متعددة مثل التكرارات والنسب المئوية لإظهار خصائص العينة ، واختبار (ت) لقياس الفروق بين عينة الدراسة ومعامل الارتباط والمتوسط الحسابي والانحراف المعياري لتحقيق أهداف الدراسة وتفسير النتائج.

ثامناً- تحليل بيانات الدراسة:

جدول رقم (1) توزيع العينة وفق النوع

النسبة	التكرار	النوع
59.8 %	58	ذكر
40.2 %	39	أنثى
100 %	97	المجموع

من خلال الجدول رقم (1) يتضح أن نسبة الذكور بلغت (59.8 %) وأن نسبة الإناث بلغت (40.2%) وهي نسبة متقاربة لغرض المقارنة بين الذكور والإناث تبعا لمحاوير الدراسة .

جدول رقم (2) توزيع العينة وفقاً للوضع الأسري

النسبة	التكرار	الوضع الأسري
% 100	97	مع الأب والأم
% 100	97	المجموع

من خلال الجدول رقم (2) نلاحظ أن جميع مفردات عينة الدراسة بنسبة 100% تعيش أوضاع أسرية مستقرة مع الأب والأم ولا تعاني من طلاق أو وفاة أحد الوالدين ، فكانت نسبة العيش مع الأم فقط أو الاب فقط أو الأقارب نسبة صفر% ، وبالتالي لم يكن الوضع الأسري سببا ذا أهمية أو بالغ التأثير على العنف الأسري والتحصيل لعينة الدراسة مع عدم استبعاده في أحد المسببات للعنف الأسري .

جدول رقم (3) توزيع عينة الدراسة وفقاً لحجم الأسرة

النسبة	التكرار	عدد أفراد الأسرة
% 23.7	23	5 - 3
% 69.1	67	10 - 6
% 7.2	7	أكثر من ذلك
% 100	97	المجموع

من خلال الجدول رقم (3) نلاحظ ارتفاع في متوسط حجم عينة أفراد الأسرة ، حيث شكلت نسبة 69.1% للأسرة التي يبلغ عدد أفرادها من (6 - 10) وهي

مثلت أكثر من نصف أفراد العينة والتي تعد أكثر من متوسط حجم الأسرة الليبية البالغ 3 - 5 أفراد ، حسب إحصائية وزارة التخطيط (2014)⁽¹⁾ .
وتليها نسبة الأسر التي يتراوح عدد أفرادها من 3 - 5 ، 23% ، أما الأسر التي يزيد عدد أفرادها عن عشرة أفرد فمثلت أقل نسبة 7.2% .

الجدول رقم (4) توزيع العينة وفقاً للوضع المادي

النسبة	التكرار	الوضع المادي
34%	33	جيد
66%	64	متوسط
0%	0	ضعيف
100%	97	المجموع

من خلال بيانات الجدول رقم (4) يتضح أن نسبة 66% من أفراد عينة الدراسة ينتمون لأسرة متوسطة الحالة الاقتصادية وهي الحالة العامة لجمع الدراسة وهي الطبقة الوسطى ، ثم الأسر ممتازة الحالة الاقتصادية بنسبة 34% أما الأسر الضعيفة أو الفقيرة فكانت نسبهم 0% من الدراسة .

(1) وزارة التخطيط ليبيا ، مصلحة الإحصاء والتعداد ، المسح الوطني الليبي لصحة الأسرة ، التقرير الأول ، 2014 .

الجدول رقم (5) توزيع العينة وفقا لمستوى التحصيل الدراسي

النسبة	التكرار	الوضع المادي
48.5%	47	ممتاز
44.3%	43	جيد
7.2%	7	ضعيف
100%	97	المجموع

من خلال عرض بيانات الجدول رقم (5) يتضح أن مستوى التحصيل الدراسي لعينة الدراسة ممتاز بلغت 48.5% ، أما من كان مستواهم الدراسي جيد ، فكانت 44.3% ، أما من يعانون من ضعف فكانت أقل نسبة تمثلت في 7.2% .

الجدول رقم (6) توزيع العينة وفقا للمستوى التعليمي للوالدين

الأم		الأب		المستوى التعليمي للوالدين
النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	
9.3%	9	23.7%	23	تعليم أساسي
32%	31	41.2%	40	تعليم متوسط
52.8%	57	35.1%	34	جامعي وما فوق
100%	97	100%	97	المجموع

من خلال العرض السابق للجدول رقم (6) يبين ارتفاع نسبة التعليم الجامعي بنسبة 52% لصالح الأمهات أما نسبة التعليم المتوسط فكانت لصالح الآباء وبلغت 41.2% من مجموع العينة، أمام الأمهات فكانت نسبة التعليم المتوسط (32%) . أما التعليم الأساسي ، فالنسبة الأعلى كانت لصالح الآباء بنسبة 23.7% أما الأمهات فكانت ذوي التعليم الأساسي أقل تمثل نسبة 9.3% .

ومن خلال النظرة العامة على المستوى التعليمي للوالدين نجد ارتفاع المستوى التعليمي الجامعي للأمهات عنه للأباء وذلك للثقافة السائدة في المجتمع والتي تؤكد على أهمية التعليم للمرأة لأنه النافذة الوحيدة للعمل بعكس الرجل الذي قد يتيح له سوق العمل المهني الالتحاق بشهادات التعليم المتوسط والأساسي .

جدول رقم (7) معامل الارتباط بين العنف والتحصيل الدراسي

التحصيل الدراسي	متغير
0.000 – 0.82	العنف الأسري

يتضح من الجدول رقم (7) أنه توجد علاقة عكسية سالبة بين متغير العنف الأسري والتحصيل الدراسي بمعامل ارتباط 0.82 ، ودلالة إحصائية 0.00 ، أي أنه كلما زاد العنف الأسري على الأبناء كلما قل التحصيل الدراسي لديهم، فالعنف الأسري يترك آثاراً عميقة وبعيدة المدى على الطفل ، من بين هذه الآثار : انخفاض المستوى التعليمي ، فالتصرفات المؤذية ضد الأطفال والمتمثلة في استخدام العنف الجسدي والإيذاء المعنوي واستعمال الألفاظ غير المستحبة من الأمور التي تؤثر سلباً على الأطفال وتطال نتائج أدائهم الدراسي بسهولة إذ أن هذه الممارسات العنيفة تؤثر على إنجازهم وقدراتهم على التعلم والاستيعاب وتحد من ثقتهم في أنفسهم من قدرتهم على النجاح والتقدم .

جدول رقم (8) اختبارات لقياس الفروق بين عينة الدراسة لمتغير العنف على الدافعية للإنجاز وعدم الثقة بالنفس والعزلة

المتغير	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	الدلالة الإحصائية
العنف الأسري والدافعية	97	30.63	7.67	18.42	0.01
عزلة وعدم ثقة بالنفس	97	10.42	4.03	48.46	0.01

توجد دلالة إحصائية بين تأثير العنف الأسري على التحصيل الدراسي على مستوى الدافعية للإنجاز والتعلم والعزلة وعدم الثقة بالنفس ، يرتفع على مقياس العنف بمتوسط حسابي و قدره (30.63) .

فالتعرض للعنف في الوسط العائلي يؤدي إلى مصاعب واضطرابات عالية ، والخوف من المبادرة وتوقف الإنجاز ومصاعب في ضبط الذات وفي تكوين العلاقات الاجتماعية ، فأحد أهم أسباب إحباط الطفل وعدم قدرته على القراءة والتعلم هي الشعور بالخوف لعدم ثقته بنفسه وفشله في إرضاء من هم في مركز السلطة (الأب والأم) فينطوي على نفسه وتقل معدلات تحصيله الدراسي .

جدول رقم (9) معامل الارتباط بين أشكال العنف والتحصيل الدراسي

عنف لفظي	عنف نفسي	عنف جسدي	المتغير
0	0	0	عنف جسدي
/	/	0.63 0.000	عنف نفسي
/	0.65 0.000	0.67 0.000	عنف لفظي
0.69 0.000	0.70 0.000	0.80 0.000	المجموع

من خلال الجدول رقم (9) نلاحظ أنه لم تكن هناك مؤشرات دالة إحصائية لتعرض أفراد العينة من طلاب الشهادة الإعدادية لعنف جسدي ، وهذا يتناسب مع المرحلة العمرية للمبحوثين وهي في حدود خمسة عشر تقريبا والتي يقل فيها الاعتماد على العنف الجسدي للتأديب والتهديب كما كان في مرحلة الطفولة حسب الثقافة السائدة في مجتمع الدراسة ، ولذلك يلجأ الآباء إلى العنف المعنوي وهو يشمل جميع أنماط السلوكيات التي تسبب الألم والضرر على الصحة النفسية للأطفال كالتهديد والتخويف والتحقير والحرمان من العطف والتميز والتفضيل بين الأبناء داخل الأسرة إلخ أو استخدام العنف اللفظي والذي يشمل التهديد والصراخ والسخرية وإلقاء اللوم أو إطلاق ألقاب على الطفل واستخدام اللغة السوقية مما يسبب ألما للطفل وأثر بالغاً على الأطفال وشخصيتهم على المدى البعيد .

جدول رقم (10) اختبار (ت) لقياس الفروق بين أفراد العينة

المتغير	النوع	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	ت	الدلالة الإحصائية
التحصيل الدراسي	ذكر	58	27.29	6.72	6.16	0.01
	أنثى	39	36.61	6.20	6.26	0.01
العنف الأسري	ذكر	58	16.05	5.17	4.29	0.01
	أنثى	39	20.64	5.14	4.28	0.01

يتضح من الجدول رقم (10) وجود فروق دالة إحصائية عند مستوى الدلالة الإحصائية (0.01) بين تقديرات أفراد عينة الدراسة عند متغير النوع لصالح الإناث ، حيث أن الإناث أكثر تعرضاً للعنف من الذكور بمتوسط حسابي (35.61) للتحصيل الدراسي و (20.64) للعنف الأسري ، وأن الأثر الذي يتركه العنف على التحصيل الدراسي لديهن أعلى .

جدول رقم (11) اختبار (ف) للفروق بين عينة الدراسة وفقاً لمتغير المستوى التعليمي للأُم

المتغير	المستوى التعليمي للأُم	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ف)	الدلالة الإحصائية
العنف الأسري	أساسي	9	23.7	3.4	6.04	0.01
	متوسط	31	29.3	4.1		
	جامعي	57	32.4	6.6		
التحصيل الدراسي	أساسي	9	13.3	2.0	4.45	0.01
	متوسط	31	17.2	5.1		
	جامعي	57	18.9	5.9		

يتضح وجود فروق دالة إحصائية لصالح فئة التعليم الجامعي للأُم بمتوسط حسابي عام للعنف 32.4 وعلى التحصيل بمعدل (18.9) أي أن العنف يتأثر بمستوى تعليم الأُم.

أما المستوى التعليمي للأب فلا توجد فروق ذات دلالة إحصائية للمتغيرين العنف والتحصيل الدراسي ويعزو ذلك إلى أنه في الغالب تكون مهمة التعليم والتدريس للأبناء من اختصاص الأمهات ودور الأب في الغالب يقتصر على توفير المتطلبات المادية .

جدول رقم (12) اختبار (ف) لقياس الفروق وفقا لمتغير حجم الأسرة

المتغير	عدد أفراد الأسرة	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ف)	الدلالة الإحصائية
التحصيل الدراسي	3 - 5	23	29.31	8.74	0.89	0.41
	6 - 10	67	33.88	7.14		
	أكثر من ذلك	7	33.28	9.08		
العنف الأسري	3 - 5	23	17.66	6.03	0.35	0.71
	6 - 10	67	18.16	5.62		
	أكثر من ذلك	7	16.42	4.27		

من خلال الجدول رقم (12) يتضح أنه لا توجد فروق دالة إحصائية وفقا لحجم الأسرة على العنف الأسري والتحصيل الدراسي، على الرغم من ارتفاع أعداد أفراد أسرة العينة (6 - 10) وهي أكبر من متوسط حجم الأسرة الليبية (3 - 5) أفراد ، كذلك لم يكن للوضع الاقتصادي للأسرة على أداة التحصيل والعنف أي فروق ذات دلالة إحصائية نتيجة الوضع الاقتصادي.

تاسعاً - النتائج

نتائج الدراسة:

1. توجد دلالة إحصائية بين تأثير العنف الأسري على التحصيل الدراسي على مستوى الدافعية للإنجاز والتعلم وعدم الثقة بالنفس والعزلة.
2. توجد علاقات ارتباط دالة وإيجابية بين أشكال العنف النفسي واللفظي والتحصيل الدراسي .

3. توجد علاقة دالة إحصائياً بين متغير النوع لصالح الإناث والمستوى التعليمي لصالح الأم الجامعية ومتغير العنف والتحصيل الدراسي، كما أنه لا توجد علاقة بين متغيري حجم العائلة والوضع المادي والعنف الأسري على مستوى أفراد عينة الدراسة .

تفسير نتائج تساؤلات الدراسة:

التساؤل الأول: ما هي آثار العنف الأسري ضد الأطفال على التحصيل الدراسي ؟
كشفت النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن هناك علاقة عكسية سالبة بين متغير العنف الأسري والتحصيل الدراسي، فالبيئة الأسرية وقدرتها على توفير الأمن النفسي والاستقرار الاجتماعي للطالب تلقي دورا هاما في التحصيل الدراسي، فالمعاملة الوالدية القاسية للأبناء تعد من العوامل التي تسهم في تدني المستوى التحصيلي، فالجو الأسري السليم الذي يتسم بالحب والتعاون ينعكس بشكل إيجابي على الأبناء ويهيئ لهم فرص النجاح والتكيف، أما الضبط الزائد للسلوك والعنف فآثاره سلبية على مختلف نواحي نمو الطفل ويعد من أسباب انخفاض المستوى الدراسي، إذ يؤدي إلى ضعف الدافعية للتعلم والتفاعل بإيجابية مع المواقف التعليمية.

فالعنف الأسري يخلق في ضحاياه الرهبة والشعور بالمهانة والخوف ويدمر احترام الإنسان لذاته ، فالأطفال المعنفون أسريا يعانون من سلوك مضطرب لا يساعدهم على القيام بواجباتهم والمهام المعرفية المناطة بهم، فالعنف يؤدي إلى فقدان الأمن والطمأنينة ويسبب للطفل اضطرابات عالية تعوقه عن أداء واجباته الدراسية إذ؛ للأسرة دور وأهمية في حياة الطفل، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (دويك 2008)
(والشهري 2011) على الآثار السلبية التي يتركها العنف الأسري على التحصيل

الدراسي، كما اتفقت مع دراسة (الأسمرى 2018) على أن أهم آثار العنف على التحصيل الدراسي هي ضعف الثقة بالنفس والانطواء والغياب المتكرر وانخفاض المستوى التعليمي، حيث تفسر النظرية البيئية للتعليم بأن الطالب الذي تتوفر له بيئة أسرية مستقرة فيها جوانب التربية السليمة والأمن النفسي والاجتماعي من قبل الوالدين، ينعكس ذلك على تحصيلهم الدراسي، حيث أن للبيئة الاجتماعية أثر بالغ وحاسم في تكوين قدرات الفرد ومقوماته في النواحي الجسمية والعملية والاجتماعية، كما ترجع نظرية الضبط الاجتماعي للوسائل التي تعتمدها الأسرة في تقويم سلوك أبنائها تؤثر سلباً أو إيجاباً على نواحي نموهم وتطورهم المعرفي ، فإذا كان الاعتماد على وسائل ضبط سلبية فإن آثارها تكون سلبية على مستوى تحصيلهم الدراسي وخاصة في المجتمعات التي تؤيد العنف كوسيلة للضبط الاجتماعي .

التساؤل الثاني: ما هي أكثر أنواع العنف الأسري ضد الأطفال تأثيراً على مستوى التحصيل الدراسي ؟

توصلت نتائج الدراسة أنه توجد علاقات ارتباطية دالة وإيجابية بين أشكال العنف اللفظي والمعنوي وبدلالة إحصائية عالية، حيث تؤثر طريقة معاملة الوالدين لأبنائهم على مستوى تحصيلهم الدراسي سلباً أو إيجاباً ، فالوالدان اللذان يهتمان بأبنائهم ويشاركان في أنشطتهم يؤثران إيجابياً في إنجازهم الدراسي ، مما توفره الأسرة من بيئة اجتماعية ونفسية لأبنائها وما تتيحه لهم من إمكانيات مادية تلبى متطلباتهم الدراسية تؤثر على استقرارهم النفسي والاجتماعي وبالتالي يؤثر على مستوى تحصيلهم الدراسي ، أما سوء المعاملة والعنف اللفظي والنفسي له تأثير سلبي على الأطفال وعلى شخصيتهم المستقبلية ، فالآثار التي تتركها أكبر من العنف الجسدي ، فالعنف النفسي واللفظي يؤدي إلى عدم الثقة بالنفس، وتدني احترام الذات وتعطيل

الطاقات الإبداعية وعدم القدرة على متابعة الدروس بشكل طبيعي فيصبح الطالب انطوائياً وخائفاً من المبادرة والقيام بأي عمل، ويخاف من الفشل والتأنيب ، كما أنّ الإحباط الناشئ عن التهديد واستخدام كلمات التحقير أمام الآخرين والاستهزاء بقدرته تؤثر على ثقته بنفسه وتؤدي إلى شعور بالعجز والنقص، وقد اتفقت نتائج هذه الدراسة مع دراسة (الأسمرى 2018)، على العنف اللفظي والنفسي أكثر شيوعاً، (أشهرى 2011) .

وتفسر هذه النتيجة طبقاً لنظرية التفاعلية الرمزية حيث أن العنف اللفظي والنفسي الصادر من الأهل هو بمثابة رموز للاضطرابات التي تعاني منها الأسرة وتفرغ غير مباشر للمشاعر السلبية اتجاه الأبناء ودلالات يهدف الآباء من خلالها تعديل سلوك أو تغييره بطريقة غير مباشرة .

التساؤل الثالث: ما هي العلاقة بين آثار العنف الأسري على التحصيل الدراسي وفقاً لمتغير (النوع - المستوى التعليمي للوالدين - حجم الأسرة - الوضع المادي).

النوع : من خلال النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، تبين أن الإناث أكثر تعرضاً للعنف (اللفظي والمعنوي) من الذكور وأن التحصيل الدراسي لديهن يتأثر بصورة أكبر للعنف ، ويمكن إرجاع هذه النتيجة إلى وجود التميز بين الذكور والإناث في مجتمع الدراسة ، وأن الوالدين يفكران في مستقبل الفتاة أكثر من الابن ، مما يعرضهن للضغط والإيذاء لزيادة مستوياتهن الدراسية باعتبار أنه لا تكون لديهن فرصة للعمل الكريم ، وتأمين مستقبلهن إلا بالدراسة و التعليم بعكس الذكور الذين يسهل انخراطهم في الأعمال الحرفية والتجارية ، كما أنه لا يكون أمامهن إلا الدراسة والتعليم للتقليل من التعرض للعنف

والخروج من هذا الواقع ، حيث أن كثيراً من أولياء الأمور يفضلون السيطرة على الإناث باعتبارهن الاضعف في الأسرة ، ويرون أن العنف يعتبر من أساليب التأديب والإصلاح ويمكن للطفل أن يتقبله وأن ينسجم مع العرف العام في المجتمع وأنه لا يترك أثراً سلبياً على مستوى التحصيل لديهن مقارنة بالذكور ، مع إمكانية أن يترك آثاراً نفسية على المدى البعيد .

حيث تتفق هذه النتيجة مع دراسة (الخطيب 2017) في أن الإناث أكثر عرضة للعنف من الذكور ، وتختلف مع دراسة (حمادة 2010) و(بشته 2018) في أن الذكور والإناث يتعرضون لسوء المعاملة بالدرجة ذاتها. ويمكن تفسير معطيات هذه النتيجة حسب نظرية التنشئة الاجتماعية التي تعطي السلطة لممارسة العنف للتأديب والتعليم وأن أفراد الأسرة الأضعف يصبحون أهدافاً للعنف ، وعلى الرغم من أن الثقافة العامة في المجتمع تدين العنف ضد المرأة ، إلا أن الثقافة العرقية تؤيد العنف ضد الفتاة للتأديب .

كذلك فإن قضية الكلفة والمكافأة التي جاءت بنظرية الضبط والتبادل الاجتماعي فإن الذكور يكونون أكثر استقلالية وقسوة ، وأكثر اعتماداً على النفس ، لذلك فإن اعتماد العنف يؤدي إلى نتائج سلبية في ترك الدراسة فينتقل اعتماد الأهل عليه للخسارة والكلفة التي يتركها ، أما مع الفتاة فإن نتائجها تكون إيجابية في زيادة الدراسة والتحصيل وال ضبط في فيزيد اعتماد الأهل على اعتماد العنف مع الفتيات .

المستوى التعليمي للوالدين: على الرغم من أن المستوى التعليمي والثقافي العالي للوالدين يكون له أثر على المستوى الدراسي للأبناء ، يوفر لهم وعياً ثقافياً واجتماعياً جيداً للتنشئة الاجتماعية وتربية الأطفال خارج إطار العنف ، إلا أن نتائج الدراسة الحالية جاءت بأن هناك علاقة بين ارتفاع المستوى التعليمي للألم

الجامعية ودرجة العنف وربما يرجع ذلك إلى الضغط الاجتماعي على الأم المتعلمة في أن يكون أبنائها متفوقين دراسيا مما يدفعها للعنف ، كما أنه طبقا لنظرية دورة العنف فإن الأم تلجأ للعنف كوسيلة للتربية وزيادة درجات التحصيل ، كما مورس عليها سابقا وترى أن العنف وسيلة للضغط على الأبناء للتوجيه والإجبار على المذاكرة .

حجم الأسرة والوضع المادي: من خلال النتائج التي توصلت إليها الدراسة، لم تكن أي فروق ذات دلالة إحصائية لمتغير حجم الأسرة والوضع الاقتصادي ، على الرغم من أهمية المتغيرين في التأثير على العنف والتحصيل الدراسي، حيث يتأثر المستوى الدراسي والعنف الأسري بزيادة عدد أفرادها والأعباء التي تضعها على الوالدين مما يشكل ضغط يزيد درجة العنف ويقلل من مستوى تحصيل الأبناء، إلا أن الوضع المادي الجيد لأغلبية أعضاء عينة الدراسة كان له تأثير في التخفيف من الضغط الناتج عن زيادة عدد أفراد الأسرة ومصاعب الحياة وسد معظم متطلبات الأسرة، ولذلك لم يكن له تأثير على متغير الدراسة والعنف والتحصيل، مع عدم استبعادهم من العوامل المؤثرة على العنف والتحصيل الدراسي بصورة عامة، واتفقت نتائج هذه الدراسة مع دراسة (سالم 2017) في عدم وجود علاقة بين حجم الاسرة والعنف الأسري .

عاشراً- توصيات الدراسة:

من خلال النتائج التي توصلت إليها الدراسة من معلومات حول ظاهرة العنف الأسري في مجتمع الدراسة خرجت الدراسة بمجموعة من التوصيات ، قسمت إلى مجموعتين وهي كالتالي:

أولاً- على مستوى الأسرة:

- 1- إعداد برامج توعوية للأسرة للتعريف بحقوق الأطفال، وشرح مخاطر ممارسة العنف تجاه الأطفال.
- 2- تنظيم الدورات التأهيلية للأسرة، والتدريب على وسائل التنشئة الأسرية السليمة كتعزيز السلوك الإيجابي والعقاب المنطقي وضبط النفس وإيجاد البدائل التربوية لتعديل السلوك السيء لدى الأطفال.
- 3- إقامة دورات وورشات عمل دورية لتنفيذها المدارس مع الوالدين، وذلك لتقديم مقترحات وبدائل مناسبة لتنشئة الأطفال وتغيير المفاهيم الخاطئة عن العملية التعليمية والتحصيل الدراسي ومراعاة الفروق الفردية بين الأطفال واعتماد وسائل أكثر فاعلية لرفع المستوى التحصيلي للأبناء كتوفير الجو الأسري الذي يساعد على المذاكرة والمعرفة المستمرة وزيارة المدرسة للاطلاع على الوضع الدراسي بدلاً من اعتماد العنف والترهيب .
- 4- دعوة الأسرة بجميع أفرادها للتزاحم فيما بينهم وتقوية الروابط بينهم وفتح قنوات الاتصال القائمة على الحوار والتفاهم وإعادة بناء أساليب الاتصال الأسرية السلبية المتمثلة في اللوم والعتاب والتعنت بالرأي والعنف .

ثانياً- على مستوى المجتمع:

- 1- العمل على نشر ثقافة مجتمعية لتغيير أنماط التفكير والثقافة السائدة في المجتمع التي تعتبر العنف ضد الأطفال مقبولاً اجتماعياً كشكل من أشكال التهذيب ضمن إطار الأسرة، وذلك بالاستناد للمعايير والقيم الاجتماعية التي تهتم بتغيير الأفكار الخاطئة في المجتمع .

2- تغيير المفاهيم الخاطئة في المجتمع عن ارتباط العنف بالمرأة و التأديب والتهديب، وقيام المؤسسات الدينية بدورها في تكريس مفهوم التراحم والترابط الأسري وتوضيح نظرة الدين للمرأة واحترامها بصفتها إنسان لها حقوق وعليها واجبات أسوة بالرجال .

3- فتح خطوط لرصد حالات التعرض للعنف الأسري لمحاولة الوصول لقاعدة بيانات وإحصائيات عن حجم الظاهرة في المجتمع، ولفت انتباه المشرعين وصانعي القرار للمشكلة، للعمل على سن قوانين وتشريعات خاصة بالتعامل مع العنف ضد الأطفال وتجريمه.

4- إنشاء مكاتب رعاية اجتماعية لدعم ومساندة الأطفال المعنفين وتفعيل دور مكاتب الأخصائي الاجتماعي والمرشد النفسي في المدارس للتعامل مع حالات العنف الأسري وتقديم الدعم لهم.

5- تكثيف مساهمة وسائل الإعلام المختلفة ونشطاء المجتمع المدني وتدشين مواقع إلكترونية على صفحات التواصل الاجتماعي لنشر الوعي حول موضوع العنف الأسري ضد الأطفال والتفاعل مع اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد الأطفال لتشكيل رأي عام مجتمعي ووضع استراتيجية وطنية لمواجهة هذه الظاهرة والتصدي لها.

6- إجراء المزيد من الدراسات الاجتماعية حول العنف الأسري ضد الأطفال في نواحي أخرى لم تتناولها الدراسة لتحديد أنواعه وأسبابه والآثار المترتبة عليه في مجالات أخرى لمعالجته والحد منه مستقبلاً .

خاتمة

يعتبر العنف الأسري مشكلة عالمية واسعة الانتشار، وهي ظاهرة ذات أبعاد تاريخية وثقافية، وتستهدف أفراد الأسرة، وغالبا ما تكون موجّهة نحو أحد القطبين الأضعف في الأسرة وهما المرأة والطفل، وتعد هذه الظاهرة نتاج لما اعتري وظيفة التنشئة الاجتماعية في النظام الأسري من تغيرات نشأت كظواهر سلبية في المجتمعات الحديثة.

فاستخدام العنف يشير إلى حدوث خلل في منظومة الأسرة وبداية لصراعات واضطرابات تهدد أفراد الأسرة عموما والأطفال على وجه الخصوص، وتترك آثار بعيدة المدى على مختلف نواحي نموهم الجسدي والنفسي والاجتماعي والمعرفي، فالقسوة وسوء المعاملة تؤثر سلبا على النواحي المعرفية والتحصيل الدراسي، مما يحد من القدرة على تحقيق الأهداف التربوية والتعليمية ويؤدي إلى التسرب المدرسي والجنوح.

وتوصلت الدراسة إلى ان هناك علاقة عكسية سالبة بين العنف والتحصيل، فكلما زاد العنف الأسري ضد الأبناء كلما قل التحصيل الدراسي، وأن العنف يرتبط بمتغير النوع للإناث وبالمستوى التعليمي للأمهات الجامعيات وأن أكثر أشكال العنف تأثيرا على التحصيل هو العنف المعنوي.

وقدمت الدراسة عددا من التوصيات أهمها العمل على زيادة الوعي الأسري بالعنف ضد الأطفال والآثار المترتبة عليها، وزيادة الوعي المجتمعي بالآثار السلبية للعنف وتنسيق الجهود بين مؤسسات المجتمع المختلفة لإعداد برنامج متكامل لحماية الأطفال ووقايتهم من العنف الأسري.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- الكتب:

- 1- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ، ط3 ، ج 9. 1999
- 2- أحمد الوافي، عوامل التربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1959 .
- 3- اعتماد علام، إجلال حلمي، مدخل علم اجتماع التنظيم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2013.
- 4- أحمد زكي بيومي، معجم المصطلحات الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1997 .
- 5- أحلام محمود المطيري، العنف الأسري، منشورات مركز نماء للبحوث والدراسات، الكويت، 2015.
- 6- أديب محمد الخالدي، سيكولوجية الفروق الفردية والتفوق العقلي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان 2003 .
- 7- أنيس عباس غزوان، العنف الأسري ضد الأطفال وانعكاسه على الشخصية، منشورات جامعة الكوفة، العراق ، 2015 .
- 8- رشاد عبد العزيز موسى ، مشكلات المراهقين ، دار الفكر العربي ، بيروت ، 2006 .
- 9- عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1989 .
- 10- عبيدات دوقان وآخرون ، البحث العلمي مفهومه وأهدافه وأساليبه ، دار الفكر ، عمان ، 2001 .

- 11- عدنان أبو مصلح ، معجم العلوم الاجتماعية ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2010 .
- 12- عوض السيد ، جرائم العنف الأسري ، مطبوعات مركز البحوث والدراسات ، القاهرة ، 2004 .
- 13- غريب سيد أحمد ، علم اجتماع التربية المعاصرة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 2001 .
- 14- منى يونس بحري ، نازك قطيشات ، العنف الأسري ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، 2006 .
- 15- محمد علي محمد ، البحث الاجتماعي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1995 .
- 16- معن خليل عمر ، مناهج البحث في علم الاجتماع ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2004 .
- 17- معن خليل عمر ، علم اجتماع العنف ، دار الشروق ، عمان ، 2010 .
- 18- نهى القاطرجي ، المرأة في منظومة الأمم المتحدة ، رؤية إسلامية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2006 .
- 19- نعيم حبيب جعيني ، علم اجتماع التربية المعاصرة ، دار وائل للنشر ، الأردن ، 2009 .

ثانياً- المجلات والدوريات العلمية:

- 1- ابتسام سالم خليفة (مظاهر العنف الأسري ضد الأطفال وأثره على المجتمع واستراتيجيات الحد من هذه الظاهرة) مجلة كلية التربية ، جامعة الزاوية ، العدد 2 ، 2018 .

- 2- أمل عوض الأسمرى (العنف ضد الفتاة السعودية وتأثيره على التحصيل الدراسي) مجلة البحث العلمي في التربية ، جامعة الملك سعود ، السعودية ، مجلد 17 ، عدد 19 ، 2018 .
- 3- حنان بشته (العنف الأسري وعلاقته بالتحصيل الدراسي) مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية ، جامعة محمد بوخيّات ، الجزائر ، مجلد 8 ، عدد 13 ، 2018 .
- 4- محمد أحمد شاهين (اتجاهات الطلبة الثانوية في المدارس الفلسطينية نحو العنف وعلاقتها بالتحصيل) مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية ، المجلد 21 ، العدد 3 ، 2013 .
- 5- محمد كاتبي (العنف الأسري الموجه نحو الأطفال وعلاقته بالوحدة النفسية) مجلة جامعة دمشق ، المجلد 28 ، العدد الأول ، 2012 .
- 6- وليد حمادة (سوء معاملة الأبناء وإهمالهم وعلاقته بالتحصيل الدراسي) مجلة جامعة دمشق ، المجلد 26 العدد ملحق ، 2010 .
- ثالثاً- الرسائل العلمية:**
- 1- حسن بن ناصر، العنف ضد الأطفال، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية ، 1430 .
- 2- خالد الشايب، علاقة الصلابة النفسية بالتحصيل الدراسي، رسالة ماجستير، جامعة قصدي مرياح، الجزائر، 2017 .
- 3- رحاب يونس أحمد، علاقة العنف المدرسي بالتحصيل لدى عينة من طلبة المرحلة الثانوية، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سوريا ، 2003 .

- 4- عبد القادر سيف الدين الخطيب، أثر سوء معاملة الأبناء وعلاقته بالتحصيل الدراسي، رسالة ماجستير جامعة القدس، فلسطين، 2017 .
- 5- علوان صالح الشهري، العلاقة بين إساءة المعاملة الوالدية وتحصيل طلبة المرحلة المتوسطة بمدينة تبوك رسالة ماجستير، جامعة مؤتة ، السعودية ، 2011 .
- 6- مؤيد فاهم حسن ، العنف الأسري ضد الأطفال وأثره على مستوى التحصيل الدراسي ، رسالة ماجستير جامعة القادسية ، فلسطين ، 2017 .
- 7- نجاح أحمد الدويك ، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها بالذكاء والتحصيل لدى الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، فلسطين ، 2008 .
- 8- نجات محمد سالم ، العوامل الاجتماعية والثقافية وأثرها على ممارسة العنف الأسري من قبل الآباء ضد أطفالهم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة عمر المختار ، البيضاء ، 2017 .
- رابعا- مواقع إلكترونية وتقارير رسمية ...
- 1- www.who.net
- 2- www.un.org
- 3- وزارة التربية والتعليم ، مكتب الخدمات التعليمية ، الجبل الأخضر ، البيضاء ، 2021 .
- 4- وزارة التخطيط ، ليبيا ، مصلحة الإحصاء و التعداد ، المسح الوطني الليبي لصحة الأسرة ، التقرير الأول 2014 .

مهارات الإدراك الحسي لدى الأطفال المصابين باضطرابات التوحد وسبل تعزيزها

إعداد: د. أسامة عمر ابراهيم بن شعبان

الملخص:

الإدراك الحسي من العمليات العقلية التي نعرف من خلالها العالم الخارجي، فالطفل يدرك الأشياء بوجود مثير خارجي إما مباشر مثل: التذوق واللمس، أو غير مباشر كحاسة الشم أو البصر أو السمع، فأطفال التوحد يعانون من قصور في وظيفة الإدراك، وهذا ما أشارت إليه نادية أبو السعود إلى أن استجابات أطفال التوحد للمنبهات الحسية شاذة، ورغم أنهم قد يغطون أعينهم أو أذنانهم لتجنب منبهات معينة، فإنهم يميلون إلى اللعب بألعاب الحركة السريعة.

كما أن المهارات الحسية (البصر، السمع، اللمس، الشم، التذوق) تعتبر المدخلات الأساسية لنظام الطفل المعرفي التي من خلالها يتم توصيل المعلومات إلى العقل ليستخدمها كأدوات للتعبير عن المشاعر والأفكار والانفعالات.

وأن نجاح اكتساب وتعزيز الإدراك الحسي للأطفال المصابين باضطرابات التوحد يساعدهم على التعلم، واكتساب المهارات وتنمية قدراتهم والتكيف مع البيئة المحيطة بهم، وإقامة العلاقات الاجتماعية الناجحة.

Abstract:

Sensory perception is one of the mental processes through which we know the outside world. The child perceives things with the presence of an external stimulus, either direct, such as tasting and touching, or indirect, such as the sense of smell, sight, or hearing. Children with autism suffer from deficiencies in the perception function, and this is what Nadia Abu Al-Saud indicated to The responses of autistic children to sensory stimuli are abnormal, and although they may cover their eyes or ears to avoid certain stimuli, they tend to play with fast-moving games.

Sensory skills (vision, hearing, touch, smell, and taste) are considered the basic inputs to the child's cognitive system through which information is communicated to the mind to be used as tools to express feelings, ideas, and emotions.

And that the success of acquiring and enhancing sensory perception for children with autism disorders helps them to learn, acquire skills, develop their abilities, adapt to the environment around them, and establish successful social relationships.

المقدمة:

ينطور نمو الإنسان ليصبح له شخصية مستقلة وله القدرة على التعامل مع الآخرين من خلال العقل، وهذا العقل لا يعمل إلا من خلال الحواس (البصر، السمع، التذوق، الشم، اللمس)، وهي مصدر للمعلومات التي تنتقل إلى المخ عن طريق الأعصاب، وإذا حدث خلل في الحواس يصبح ما نراه ونسمعه ونلمسه ونتذوقه أو نشمه ليس له قيمة حقيقية ولن نكتسب المعلومات ولا نستطيع ان نمارس الحياة بشكل طبيعي وبالتالي يتأخر تطور النمو لدى الإنسان.

وهذا ما نلاحظه في العديد من الأطفال المصابين بالتوحد الذين لديهم إعاقات في واحدة أو أكثر من حواسهم، فنجد لديهم استجابات أكثر أو أقل من الأطفال الأسوياء، حيث تتميز بالبرود والتباعد الشديد أو بالحساسية الزائدة بشكل لا يتناسب مع شدة أو ضعف المثير فيما يتعلق بالمثيرات الحسية، وهذه الاضطرابات الحسية تنتشر بصورة واسعة ولدي نسبة كبيرة من أطفال التوحد حيث نجد لديهم استجابات حسية غير عادية وغير ثابتة للمثيرات العادية والمؤلمة، فقد يعتقد أن البعض من أطفال التوحد لا يسمعون؛ لأنهم لا يردون عندما ينادي عليهم، في حين تجد البعض منهم يببالغون في ردود أفعالهم تجاه أصوات معينة، وكذلك الحال فيما يخص البصر حيث نجد بعضهم لا ينظرون إلى الأشياء التي تجذب الأشخاص العاديين، وكذلك بالنسبة لحواس اللمس أو الشم، فقد يتخذ بعض أطفال التوحد اللمس والشم طريقة لاكتشاف وتفحص البيئة من حولهم، فتجدهم يتعرفون على كل شيء عن طريق لمسه عدة مرات أو وضعه في الفم أو شمه.

فأطفال التوحد يمكنهم تعلم التعبير عن احتياجاتهم وتوقع سلوك الآخرين، حينما يتم تنظيم ذلك بعوامل خارجية يمكن ملاحظتها أكثر من كونها مجرد حالات عقلية، كما يمكنهم إقامة علاقات وجدانية مع الآخرين، وعلى الرغم من أشكال القصور التي يعانونها، يمكن الوصول بهم إلي درجة مرضية من التجاوب خلال تدعيم أو تعزيز بعض المهارات الإدراكية لديهم.

مشكلة الدراسة:

يعتبر اضطرابات التوحد من الإعاقات النمائية التي تصيب الأطفال وذات تأثير في مظاهر النمو العقلي والاجتماعي والانفعالي والحركي والحسي، إلا أن أكثر جوانب القصور في هذه الإعاقة هو الجانب الحسي، حيث إن أطفال التوحد لا يستطيعون التواصل مع أقرانهم بسبب قصور في الإدراك الحسي.

فالإدراك الحسي من العمليات العقلية التي نعرف من خلالها العالم الخارجي، فالطفل يدرك الأشياء بوجود مثير خارجي إما مباشر مثل التذوق واللمس أو غير مباشر كحاسة الشم أو البصر أو السمع، فأطفال التوحد يعانون من قصور في وظيفة الإدراك، وهذا ما أشارت إليه نادية أبو السعود إلى أن استجابات أطفال التوحد للمنبهات الحسية شاذة ورغم أنهم قد يغطون أعينهم أو أذنانهم لتجنب منبهات معينة، فإنهم يميلون إلى اللعب بألعاب الحركة السريعة¹ (نادية أبو السعود

¹ (نادية أبو السعود 2000: 67).

فالمهارات الحسية (البصر ، السمع ، اللمس ، الشم ، التذوق) تعتبر المدخلات الأساسية لنظام الطفل المعرفي التي من خلالها يتم توصيل المعلومات إلى العقل ليستخدمها كأدوات للتعبير عن المشاعر والأفكار والانفعالات .

ويؤكد كل من الزريقات ¹ ، والجبالي ² على أن معظم أطفال التوحد لديهم قصور واضح في الإدراك الحسي، مما يحد من تفاعلهم وعزلتهم عن المجتمع الذي يعيشون فيه .

ويشير (عبد الرحمن سليمان)³ إلى أن الإدراك البصري والتعرف عليها يعد من القدرات الصالحة لدى أطفال التوحد، فعادة ما يظهر هؤلاء الأطفال مهارة تركيب الأشكال، أما بالنسبة للأطفال العاديين فإن هذه القدرات تتطور لتصل إلى القدرة على تكوين المفاهيم والتصورات البصرية.

وتؤكد رادو Rado ⁴ في دراسة التشوهات الإدراكية والاختلال البصري عند أطفال التوحد على أنه يشتمل على عجز حسي وضعف في عملية الإدراك .

وكذلك أن أطفال التوحد يظهرون حساسية بالغة للسمع، وقد أشار عبد الفتاح غزال ⁵ في دراسة لمدى فاعلية برنامج المرافقة لإنماء العلاقات الاجتماعية لدى

¹ الزريقات (2010 ص40

² والجبالي (2005: 136

³ عبد الرحمن سليمان ، 2003 : 83

⁴ رادو Rado 2006

⁵ عبد الفتاح غزال 2001

بعض أطفال التوحد، إلى أنهم يعانون من مشكلات سمعية وبصرية، إضافة إلى المشكلات الانفعالية.

وكثيراً ما يعتمدون في استكشافهم للعالم على حواسهم المختلفة وخاصة اللمس والتذوق والشم، ومن الغريب أنهم قد يستمتعون بالألعاب التي تتطوي على التلامس الجسدي على الرغم من أنهم لا يحبون في الغالب أن يلمسهم أحد¹ ويعد انتشار اضطراب التوحد في ليبيا هو 4-8 أطفال من كل ألف حسب الدراسة التي أجريت في مستشفى الخضراء على مدى خمس سنوات، وأن 10-15 ألف طفل مصابين بالتوحد طبقاً للإحصائية الدولية، كما أكد أن المرض في حالة ازدياد.

وقدرت منظمة الصحة العالمية WHO نسبة الانتشار العالمي لمرض التوحد بحوالي 1 من كل 160 شخصاً، وفي الاتحاد الأوروبي تتراوح تقديرات انتشار المرض بعدد 57-67 لكل 10.000 طفل، في حين لا تتوافر تقديرات دقيقة بشأن انتشار اضطراب التوحد في بلدان العالم النامي، إلا أن التقديرات المتاحة تشير إلى أن انتشار المرض هو بين 24 من كل 10.000 طفل. ولكن لا يوجد توثيق محقق لهذا الإحصاء بسبب العديد من العوامل، منها عدم التشخيص الصحيح أو حرص بعض الأسر على دمج أطفالهم في المدارس العادية بدلاً من المراكز المتخصصة وغيرها من العوامل التي ترتبط بأحوال دول العالم الثالث. (<https://www.alarabiya.net/medicine-and-health>)

ويؤكد بيريز ريبيتو Perez Repetto بأن ابرز المشكلات لدى الأطفال المصابين باضطرابات التوحد هي مشكلات حسية متعددة ومختلفة، وأن من 45% إلى 95%

¹ (عادل عبدالله، 2004: 196).

من الأطفال ذوي اضطراب التوحد لديهم مشكلات حسية¹ ولهذا فقد تكون هذه الدراسة محاولة للوصول إلى أفضل السبل لتعزيز المهارات الحسية لاكتساب الطفل مهارات الإدراك في مراحل متقدمة، ولا سيما أنها تهتم بتطوير تلك المهارات في مرحلة ما قبل المدرسة، كذلك رفع معدل ظهور السلوكيات الاجتماعية المقبولة والتي كثيرا ما أشار الباحثون إلى دورها في تخفيف أعراض اضطراب التوحد.

ولذا فقد يرى الباحث أن نجاح اكتساب وتعزيز الإدراك الحسي للأطفال المصابين باضطرابات التوحد يساعدهم على التعلم، واكتساب المهارات وتنمية قدراتهم والتكيف مع البيئة المحيطة بهم، وإقامة العلاقات الاجتماعية الناجحة، ومن هذا المنطلق يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التساؤل التالي:

ما هي سبل تعزيز مهارات الإدراك الحسي لدى أطفال المصابين باضطرابات التوحد؟

أهمية الدراسة:

تستمد الدراسة الحالية أهميتها من أنها:

تكمن أهمية الدراسة الحالية في أهمية المرحلة العمرية التي تعد مرحلة ما قبل المدرسة، وهي من أهم المراحل النمائية التي تمثل مظاهر النمو الجسمي والحركي والحسي والعقلي والاجتماعي واللغوي.

¹ (Perez Repetto, 2017 : p2).

تسهم الدراسة في الوصول الى بعض سبل تعزيز المهارات الحسية لدى الأطفال المصابين باضطرابات التوحد .

تمثل هذه الدراسة إضافة إلى التراث الإرشادي المتعلق بالنواحي النمائية والمهارات الحسية على وجه العموم، ولدى أطفال التوحديين على وجه الخصوص.

تعد هذه الدراسة إثراء للأطر النظرية المتعلقة بأهمية المهارات الحسية والدور الذي تلعبه في تلاشي القصور في بعض مظاهر النمو الحسي.

ندرة الدراسات التي أجريت على المستوى المحلي في هذا المجال ، وعلى هذه الفئة في هذه السن المبكرة- وذلك في حدود علم الباحث.

أهداف الدراسة:

يمكن تحديد أهداف الدراسة فيما يلي:

تهدف الدراسة الحالية إلى اكتشاف القصور في المهارات الحسية لأطفال التوحد، وهو ما يمثل مؤشراً يدل على احتمالية تعرضهم لصعوبات التفاعل مع الآخرين وصعوبات في اكتساب اللغة وغيرها من الصعوبات التي تواجه هؤلاء الأطفال في تواصلهم مع البيئة الخارجية.

تقديم بعض السبل لتعزيز المهارات الحسية لأطفال المصابين باضطراب التوحد للفئة العمرية ما بين (3-6) سنوات، لتدعيم بعض المظاهر السلوكية المناسبة وتعديل بعض السلوكيات غير المناسبة لديهم.

مصطلحات الدراسة:

1 - المهارة skill :

هي الشيء الذي يتعلمه الفرد ويقوم بأدائه بسهولة ودقة سواء كان هذا الأداء جسماً أو عقلياً، وأنها تعني البراعة في التنسيق بين حركات اليد والأصابع والعينين¹.

2 - الإدراك الحسي Perceptual :

هو ما تنقله الينا حواسنا، وهو ما يختلف عن الإدراك العقلي أو التفهم الذي يأتينا عن طريق التأمل والتفكير على نحو ما يحدث لنا عند حل مسألة حسابية أو هندسية².

2- التوحد Autistic:

هي اضطراب ناتج عن خلل في وظائف المخ يتضمن ضعف في التواصل اللفظي والاجتماعي، بالإضافة إلى تكرار الحركات والسلوك النمطي ومقاومة التغيير³.

3 - أطفال التوحد Autistic Children :

¹ (Mayer, D. 1995:67)

² سهير أحمد ، 2009 : 106).

³ (Gomot,et al,2006:47)

يعرف الباحث أطفال التوحد إجرائياً: هم عينة من الأطفال ما قبل المدرسة بالمؤسسات الإيوائية بمدينة طرابلس والذين لديهم قصور واضح في المهارات الحسية (البصر ، السمع ، اللمس ، الشم ، التذوق) وتتراوح أعمارهم بين 3 - 6 سنوات .

4 - التعريف الاجرائي للإدراك الحسي :

هو قدرة الطفل على ادراك المنبهات الحسية وتنظيمها ومعالجتها ذهنياً ليتمكن من فهم العالم الخارجي المحيط به.

5 - التعزيز reinforcement :

هو الإجراء الذي يؤدي حدوث السلوك فيه إلى توابع إيجابية، أو إزالة توابع سلبية الأمر الذي تترتب عليه زيادة احتمال حدوث ذلك السلوك في المستقبل في المواقف المماثلة.¹

منهج الدراسة:

استخدمت هذه الدراسة المنهج الوصفي، والذي يهتم بوصف الظاهرة موضوع الدراسة من خلال الأطر النظرية للإدراك الحسي واضطراب التوحد ، والدراسات السابقة في هذا المجال.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

¹ (بوشامة، العايب، 2017: 8)

يعد التوحد من الاضطرابات النمائية غموضاً، كذلك يعد التوحد من أصعب الاضطرابات تأثيراً على الأسرة والطفل ذاته لأن التوحد يحدث في الثلاث سنوات الأولى من حياة الطفل ويكون التواصل بين الطفل والأم والتفاعل الاجتماعي ليس كباقي أقرانه من نفس الجيل، ومن هنا ظهر الاهتمام بهذه الفئة من خلال البحث والدراسة. وهو أحد الاضطرابات النمائية التي تتصف بها الفئات الخاصة، ويعاني الأطفال المصابين بالتوحد بشكل واضح من الضعف في المهارات الحسية والإدراكية والتي هي سمة من سماتهم مما يؤدي إلى تراجعهم في فهم العالم الخارجي المحيط بهم .

أولاً- الإدراك الحسي Perception:

يشير الإدراك الحسي إلى العملية العقلية التي تتم بها معرفتنا للعالم الخارجي، وذلك عن طريق الوعي بالمنبهات الحسية، فهو نوع من الاستجابة للإشكال والأشياء والرموز، وتهدف الاستجابة إلى القيام بنوع معين من السلوك، وهذا بطبيعته يتوقف على طبيعة المثير (المنبه الخارجي)، وعلى طبيعة الحالة الشعورية والوجدانية للفرد وعلى اتجاهه الفكري، وخبراته السابقة للمثيرات المتقاربة أو ذات التشابه.

تعريف الإدراك الحسي:

يعرف مجمع اللغة العربية 1983 الإدراك الحسي بأنه العملية العقلية التي نعرف بواسطتها العالم الخارجي الذي ندركه، وذلك عن طريق المثيرات الحسية المختلفة

ولا يقتصر الإدراك على مجرد إدراك الخصائص الطبيعية للأشياء المدركة عقلياً، ولكن يشمل إدراك المعنى والرموز التي لها دلالة بالنسبة للمثيرات الحسية.¹

يعرفه ستيرنبرغ Sternberg 2003 بأنه العملية التي يجري من خلالها تعرف المثيرات الحسية القادمة من الحواس، وتنظيمها وفهمها.²

ويعرفه العيسوي 1999 بأنه استجابة كلية لمجموعة من التنبيهات الحسية الصادرة عن المؤثرات في العالم الخارجي، وهو في نفس الوقت استجابة تصدر عن الكائن الحي بكل ماله من ذكريات وخبرات واتجاهات وميول.³ فالإدراك الحسي هو قدرة الطفل على تنظيم المنبهات الحسية ومعالجتها ذهنياً في إطار الخبرات السابقة والتعرف عليها وإعطائها معانيها ودلالاتها المعرفية المختلفة .

فالإحساس عند الأطفال هو ليس نتاج النمو البيولوجي، لكنه أيضاً نتاج السلوك الاجتماعي للإنسانية، وإذا كان الطفل يتعرض لعدد من المثيرات، فليس كل المنبهات تستدعي إحساسات، فنحن لا نرى كل النجوم في السماء ليلاً بالرغم ما يصدر عنها من شعاع، ولا تستطيع سماع كل الأصوات ، على الرغم من إن موجات الأصوات المنخفضة تصل إلى جهازنا السمعي⁴

ويعد الاتجاه الفسيولوجي لاضطرابات التوحد من الاتجاهات المهمة التي حاولت تفسير السلوك الإنساني عامة، والعمليات المعرفية خاصة، والغدد والحواس وغيرها

¹ (مجمع اللغة العربية ، 1983 :6)

² (الحارث ، 2007 :114)

³ (المحفوظ ، 2020 :27)

⁴ (عبد الفتاح ، 2005 :47)

فضلاً عن أن معالجة الإنسان للمعلومات تتطلب فهم ما يجري داخل الدماغ، فتوجه علماء النفس المعرفي إلى اتجاه معالجة المعلومات كأسلوب في دراسة الدماغ الإنساني، محاولين التقريب في الفهم بين ما يجري داخل الحاسوب، وبين ما يجري داخل دماغ الإنسان.¹

وينقسم الإدراك الحسي إلى:

الإدراك البصري: وهو فهم المثيرات القادمة عن طريق البصر، حيث تنتقل الصورة من شبكة العين إلى العصب البصري، وإلى المسارات البصرية، ثم إلى مراكز الإدراك البصري في الفص القذالي من القشرة المخية .

الإدراك السمعي: يتم استقبال المثير (الصوت) القادم من الأذن إلى العصب السمعي إلى مراكز السمع في الفص الصدغي.

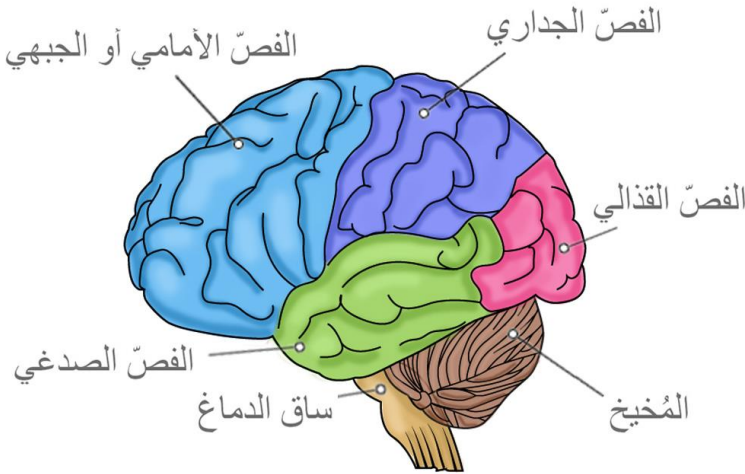
الإدراك الشمي: يتم استقبال المثير (الرائحة) القادم من الأنف إلى العصب الشمي إلى مراكز الشم في القشرة المخية من الفص الصدغي.

الإدراك الذوقي والإدراك اللمسي: يتم استقبال المذاق من اللسان، وينتقل إلى القشرة المخية من الفص الجداري، والإدراك اللمسي حيث تعطي للمثيرات (الملموسات) تفسيراً تبعاً للخبرة السابقة، وبإمكان الشخص أن يستقبل أكثر من مثير في الوقت

¹ (العتوم، 2004: 43)

نفسه، كما يحدث أثناء الطعام، حيث يعتبر الطعام مثيراً بصرياً وشمياً وذوقياً ولمسياً.¹

وبما أن الإدراك هو قدرة متعددة الجوانب، ولب العمليات العقلية، كان لا بد من إلقاء نظرة ولو سريعة على الطبيعة التي تقوم على وصول المعلومات وتفسيرها، وصولاً إلى الإدراك الحسي، والشكل التالي يبين ذلك:



فكل جانب من الدماغ يحتوي على أربعة فصوص، ويُعد الفص الأمامي أو الفص الجبهي مهمًا للعمليات الإدراكية وفي التحكم في الحركة أو النشاط الإراديين، ويعد الفص الجداري مسؤولاً عن معالجة المعلومات المتعلقة بالحرارة والمذاق

¹ (الحجوي ، 2004 : 84)

واللمس والحركة ، بينما يعد الفص القذالي مسؤولاً عن الرؤية ، أما الفص الصدغي فهو مسؤول عن معالجة الذكريات، دامجاً إياها مع أحاسيس متعلقة بالذواق والصوت والرؤية واللمس.

فأهمية مراكز المخ تلعب دوراً مهماً في السلوك والعمليات العقلية ، فالفصوص القذالية في مؤخرة الرأس تستقبل وتقوم بتجهيز المعلومات البصرية ، والفصوص الصدغية فوق الإذن تسجل وتنتج المعلومات السمعية ، والفصوص الجدارية في المركز تحوي مناطق التحكم في الكلام ، إضافة إلى وجود مناطق تسجل وتحلل الرسائل القادمة من سطح الجسم (داخلياً أو خارجياً ،) (أما الفصوص الجبهية تلعب دوراً في الأنشطة العقلية مثل تفسير اللغة، واستنباط الخطط، وتشارك هذه الفصوص في إرسال نبضات حركية للعضلات.¹

فالإدراك الحسي يعني تفسير التنبيهات الحسية التي تستقبلها أعضاء الحس المختلفة وإضفاء معنى عليها وفقاً لخبرة الطفل السابقة بهذه التنبيهات، وتبدأ عملية الإدراك الحسي بالإحساس بمصدر التنبيه من خلال الطاقة التي تؤثر على الخلايا الحسية التي تستقبل ذلك التنبيه والتي تختلف من حاسة لأخرى حيث تتأثر حاسة البصر بالموجات الضوئية، بينما تتأثر حاسة السمع بالموجات الصوتية في حين تتأثر حاستا الشم والتذوق بالمواد الكيميائية، وأخيراً تتأثر خلايا الجلد الحسية بالضغط وميكانيكية الحركة، ثم تقوم الخلايا الحسية بعد ذلك بتحويل هذه التنبيهات إلى نبضات عصبية يتم نقلها عن طريق الخلايا العصبية الخاصة بكل حاسة إلى

¹ (دافيدوف ، 1983 :170)

المراكز العصبية الخاصة بها في القشرة المخية حيث تتم فيها معالجها إدراكياً وإضفاء معنى عليها.¹

والمصابون بالتوحد يظهرون تأخراً في اكتساب الخبرات الحسية، كما يظهرون أشكالاً غير متناسقة من الاستجابات الحسية ويكون لديهم خلل في المجال الحسي والإدراكي، حيث إن الحواس هي مصدر المعلومات التي تصل المخ من خلال الأعصاب، فالإحساس يغلب عليه الطابع الفيسيولوجي بينما يغلب على الإدراك الطابع السيكلوجي، ففي حين يمكن تفسير الخبرات الحسية في أغلب الأحيان في ضوء الأجهزة التي تقع عليها أو تستقبلها كالعين والأذن.

والجلد، لأن الإحساسات تتم بدون وعي منا للآثار الناجمة عن تأثير منبهات البيئة الخارجية أو الداخلية، فأن الظاهرة الإدراكية تتطلب القيام بأنشطة أعقد، والاستعانة بأجهزة أرقى، ولهذا فإن حدوث الإدراك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعمليات العقلية المعرفية كالتصور، والتخيل، والذاكرة والتفكير، كما تؤثر فيه اللغة، والحاجات والدوافع، والاتجاهات، والقيم، والشخصية ككل، فضلاً عن علاقته القوية بالخبرة السابقة، وعلى ذلك يمكن القول إن الإدراك يتصل بالإحساس من جهة؛ لأنه استمرار له، ومن جهة أخرى يرتبط بالعمليات المعرفية الأكثر تطوراً منه، أي ان الإدراك يقع بين مجالي العمليات الحسية والعمليات المعرفية.²

ونستنتج مما سبق أن عملية الاضطراب في الإدراك الحسي قد تعود الى تشويش في استيعاب وتحليل المعلومات التي تنقل الى الدماغ عن طريق الحواس وبالتالي

¹ (السيد ، فائقة ، 2001 : 17)

² (منصور ، الاحمدي، 1996 : 22)

تتعرض سلباً على عمليات التخزين واسترجاع المعلومات، مما يعيق عملية التعلم لدى الطفل للوصول إلى المستوى المناسب للتعلم، وبما أن أطفال التوحد يعانون من قصور في الاستجابة الحسية، فإنه يستدعي التدخل المبكر لوضع الخطط والبرامج لتحسين الإدراك الحسي لدى أطفال التوحد وتعزيزها .

ومن الملاحظ أن ردود فعل أطفال التوحد للخبرات الحسية غالباً ما يكون شاذاً، فهو قد لا يدرك الضوضاء ولا المناظر المحيطة به أو يظهر عدم استجابة لها، كما قد لا يتعرف على الشخص الذي يعرفه جيداً، ومن الممكن أن لا يشم رائحة ما حوله أو لا يبالي بالألم والبرد، وفي أحيان أخرى نجد طفل التوحد يثير اهتمام كبير لأحداث عادية ويغفل عن الأحداث المخيفة، أي أن إحساسات الطفل تكون غير واضحة مثل الأطفال العاديين.

فعملية الإدراك الحسي كما يفترضها بياجيه Piaget هي الوسيلة التي يستخدمها الطفل للتكيف مع البيئة ونمو الإدراك يعتمد على تطور الذكاء الحسي في العامين الأوليين .

كما أن نظرية الجشالت تربط عملية التعلم بالإدراك الحسي ، لأن ما موجود في الذاكرة لا بد وأن يكون قد خزن بشكل محسوس أو مدرك، إذ أن التعلم عملية اكتشاف للبيئة الطبيعية الحقيقية للموقف ومعرفة ما هو حقيقي من خلال عملية الإدراك الحسي، وأن الشيء الذي نتعلمه يتواجد في الإدراك قبل أن ينتقل إلى الذاكرة، ومن هذا فإن فهم ما في الذاكرة يتطلب فهم المدخلات الأساسية التي يبني عليها، وأن الإدراك يحدث أثر يترسب في الذاكرة، وهذه العملية هي التي تجعل التذكر أمراً ممكناً، وبذلك إن لم ندرك الشيء فإننا لن نستطيع تذكر أي شيء عنه

مؤثرات عملية الإدراك: ¹

العوامل الخارجية: وهي مؤثرات ذات علاقة مباشرة بالشيء المدرك وهذه العوامل تتضمن شكله ولونه وصورته ورائحته ... فعندما ننظر للصور فإننا لا نراها وحدها بل نراها ضمن محيط يحيط بها يسمى الخلفية والتي تعمل على إبراز الصورة .

العوامل الذاتية : وتعتمد على ذات الفرد التي تتأثر بعدة عوامل ، فإدراك الفرد للأشياء إدراكاً سليماً يتأثر بالخبرة الفردية، فقدره الإنسان على إدراك الأشياء المألوفة بصورة سليمة أكثر دقة من إدراكه للأشياء اعتماداً على المشاهدة الأولى أو ما تنقله من الآخرين .

قصور الإدراك الحسي:

إن الطفل التوحدي يبدو وكأن حواسه أصبحت عاجزة عن نقل أي مثير خارجي إلى جهازه العصبي وكأنه لم يرَ أو يسمع أو يحس أو يتذوق أو يشم أي شيء.

وتشير بعض الدراسات الى أهم سمات لأطفال التوحد المرتبطة بقصور الإدراك الحسي كدراسة جرمان Gorman (1970) ، كانر canner (1973) ، ويستر westr (1980) ، كريستين Christine (1994) ، وهي: ² الميل إلى الاستجابة لبعض المثيرات بشكل غير طبيعي ، فيبدو كأنه مصاب بالصم أحياناً فلا يستجيب لنداء الآخرين عليه، بينما يستجيب لبعض الأصوات الخافتة جداً مثل صوت كيس أو الشكولاتة عند فتحها .

¹ مصطفى، 2016: 212)² (القمش ، 2011: 53)

عدم التقدير للمخاطر التي يمكن أن يتعرض لها عند الاقتراب من أماكن الحريق أو الاصطدام بشدة بالحائط والسقوط على الأرض أو المسك بالأجسام الساخنة أو الباردة جداً ، وعدم ظهور أي ردود فعل تجاه هذه المخاطر .

يبدو كأنه لم يسمع أو يرى إذا مر امامه شخص وضحك أو نادى فلا يعط انتباه لهذه الأصوات .

يمل إلى تجاهل الأصوات الشديدة في حين يجذب إلى صوت تحريك لعبة أو جرس باب ، كما أن بعض الأصوات تزعجه بدرجة شديدة مثل نباح كلب أو صوت دراجة هوائية .

هـ- يستطيع الانسحاب والانفصال عن الأصوات والمناظر والروائح والآلام وكذلك الانسحاب عن الناس.

ثانياً- اضطراب التوحد :

يعرف الدليل الإحصائي الأمريكي الخامس (Diagnostic and Statistical Manual of Mental Disorders) بأنه هو اضطراب عصبي نمائي يتسم بعجز متواصل في التواصل والتفاعل الاجتماعي ، وأنماط سلوكية تكرارية ونمطية واهتمامات مقيدة وتظهر دون سن الثامنة من العمر¹

¹ (المبيضين ، الزريقات ، 2019 :50)

وتعرف منظمة الصحة العالمية التوحد على أنه "اضطراب نمائي يظهر في السنوات الثلاثة الأولى من عمر الطفل ويؤدي إلى عجز في التحصيل اللغوي واللعب والتواصل الاجتماعي"¹.

أما التعريف الذي جاء في الدليل التشخيصي الإحصائي الرابع (DSM-IV) فينص على أنه "حالة من القصور المزمن في النمو الارتقائي للطفل الذي يتميز بانحراف وتأخر في نمو الوظائف النفسية الأساسية المرتبطة بنمو المهارات الاجتماعية واللغوية، وتشمل الانتباه، الإدراك الحسي، النمو الحركي، وتبدأ هذه الأعراض خلال السنوات الثلاث الأولى"².

وعرّف كل من الخطيب والحديدي اضطراب التوحد بأنه إعاقة في النمو تتصف بكونها مزمنة وشديدة، وتظهر في السنوات الثلاث الأولى من العمر، وهي محصّلة لاضطراب عصبي يؤثر سلبا على وظائف الدماغ، ومن أهم الأعراض السلوكية للتوحد:³

اضطراب معدل نمو المهارات الجسمية والاجتماعية واللغوية.

استجابات شاذة للخبرات الحسية، وقد تتأثر حاسة واحدة أو أكثر من الحواس الآتية: البصر، والسمع، واللمس، والتوازن، والاستجابة للألم.

¹ (الصباح والطيطي، 2008: 4)

² (القمش، 2011: 23)

³ (الصباح، أبو صبحة، 2017: 336)

الافتقار إلى مهارات الكلام واللغة أو تأخرها، بالرغم من توافر بعض القدرات العقلية المحدودة.

طرق شاذة في التعامل مع الناس والأحداث والأشياء.

أما هولين Howlin فيعرفه على أنه " مصطلح يطلق على أحد اضطرابات النمو الارتقائي الشاملة التي تتميز بقصور أو توقف في نمو الإدراك الحسي واللغوي، وتصاحب ذلك نزعة الانطواء، وانغلاق على الذات مع جمود عاطفي وانفعالي، فيصبح وكأن جهازه العصبي قد توقف تماماً عن العمل، وكما لو كانت قد توقفت حواسه الخمس عن توصيل أو استقبال أية مثيرات خارجية أو التعبير عن أحاسيسه"¹.

أما ليو كانر Leo kanner المختص في الطب النفسي للأطفال يرى " بأن الأطفال المصابين بالتوحد يظهرون اضطراباً في تكوين العلاقات مع الآخرين والعزلة وانخفاض مستوى الذكاء، والنمطية وتكرار الأنشطة الحركية والكلمات، وإضافة إلى اضطرابات في الاستجابة المظاهر الحسية"².

ويشير الزراع إلى "أن التوحد يعتبر خلل في الجهاز العصبي غير معروف المنشأ والسبب، يؤثر على عدد من الجوانب الممثلة غالباً في الأبعاد النمائية: البعد

¹ (مصطفى، الشربيني، 2011: 23)

² (الجبالي، 2015: 15)

العناية بالذات، البعد اللغوي، البعد المعرفي، البعد السلوكي، البعد الاجتماعي والانفعالي، البعد الحسي والبدني والصحي".¹

فأطفال التوحد يظهرون قصوراً ملحوظاً في قدرتهم على الإدراك الحسي مما يؤثر ذلك على وظائف الدماغ ، ويصاحب ذلك اضطراباً في السلوك الاجتماعي والتواصل واللغة وانغلاق الطفل على نفسه وضعف في القدرة على الانتباه .

ويعرفه الرفاعي بأنه "أحد مظاهر الاضطرابات الارتقائية وهو يحدث نتيجة مباشرة لاختلال هرمونية الارتقاء، ومن أهم علامته قصور في عملية التواصل والقدرة على استخدام اللغة في التواصل اللفظي والغير اللفظي، ويغلب القصور المعرفي من خلال اضطراب وظائف الإدراك والانتباه والتفكير والتخيل، مما يجعل صعوبة في التوافق مع المتغيرات البيئية من جهة ومع المحيطين به من جهة أخرى".²

أعراض التوحد:

تعتبر أعراض اضطراب التوحد معقدة جداً، ويرجع ذلك إلى التباين في الأعراض من حالة إلى حالة كما هناك تشابه في الأعراض بين هذا الاضطراب واضطرابات أخرى وتبدأ أعراض هذا الاضطراب مبكراً قبل سن ثلاثون شهراً، ومن الأعراض البارزة لهذا هي :

¹ (المرجع السابق: 15)

² (الرفاعي، 1999: 87)

١- التواصل : يكون تطور اللغة بطيئاً، وقد لا تتطور بناتاً ، ويتم استخدام الكلمات بشكل مختلف عن الأطفال الآخرين، حيث ترتبط الكلمات بمعان غير معتادة لهذه الكلمات، ويكون التواصل عن طريق الإشارات بدلاً من الكلمات ، ويكون الانتباه والتركيز لمدة قصيرة.

٢ - التفاعل الاجتماعي : يقضى وقتاً أقل من الآخرين، يبدي اهتماماً أقل بتكوين صداقات مع الآخرين، وتكون استجابته أقل للإشارة الاجتماعية مثل الابتسامة أو النظر للعيون.

٣ - المشكلات الحسية : استجابة غير معتادة للأحاسيس الجسدية ، مثل أن يكون حساساً أكثر من المعتاد للمس، أو أن يكون أقل حساسية من المعتاد للألم، أو النظر، أو السمع، أو الشم.

٤ - اللعب : هناك نقص في اللعب التلقائي أو الابتكار، كما أنه لا يقلد حركات الآخرين ولا يحاول أن يبدأ في عمل ألعاب مبتكرة.

٥- السلوك : قد يكون نشاطه أو حركاته أكثر من المعتاد، أو تكون حركته أقل من المعتاد، مع وجود نوبات من السلوك (كأن يضرب رأسه بالحائط ، أو يعض) دون سبب واضح ، وقد يصر على الاحتفاظ بشيء ما، أو التفكير في فكرة بعينها، أو الارتباط بشخص واحد بعينه، وهناك نقص واضح في تقدير الأمور المعتادة، وقد يظهر سلوكاً عنيفاً أو عدوانياً، أو مؤذياً للذات¹.

¹ (سليمان ، 2014 : 41)

ويرى رابين وديون 1997 أن أطفال التوحد تكون لديهم اللغة غير مفهومة ولا يستخدمون حصيلة الكلمات التي ترد أمامهم من الآخرين، ولا يستطيعون التعبير عن احتياجاتهم، والعلاقات الاجتماعية تكاد تكون منعدمة فهم منعزلون ولا يحاولون تقليد من حولهم ومن ثم فهم لا يحققون أي إضافة في التعلم أو التطبيع الاجتماعي لديهم ، كما يعاني الأطفال المصابين باضطراب التوحد من عيوب معرفية ومن نقص في الاقتراب من الرموز ونقص في وسائل الأداء الوظيفي السيكولوجي مرتبطا مع أنواع مرضية من السلوك وبشكل خاص في تجنب الحملقة والنشاط الزائد، وغياب التغيرات الانفعالية¹

ويشير شالوك Schalock إلى أن أعراض الأطفال التوحديين تنحصر في خمسة مجالات هي مجالات التواصل، والتفاعل الاجتماعي، واللعب، والسلوكيات والإدراكات الحسية، هذه الأوجه تلقى بظلال عديدة على السلوك التكيفي وتترك انعكاسات عدة عليهم وعلى الأبعاد التي يتضمنها ، مما يجعل هناك تدنى واضح في مستوى النمو اللغوي وعدم القدرة على التفاعل الاجتماعي أو إقامة علاقات اجتماعية مع الآخرين.²

أسباب اضطرابات التوحد :

يعتبر اضطراب التوحد من الاضطرابات التي حيرة كثير من العلماء والباحثين رغم أنه واضح في خصائصه واعراضه، وبالرغم من كثرة الدراسات والبحوث في هذا المجال حاولت تفسير وفهم هذا الاضطراب وسبب حدوثه وشملت مختلف

¹ (Acrons&Gittens , 1992:27).

² (مفضل ، 2007 :8)

الآراء والنظريات، ولكنها لم تقدم حتى الآن إلا القليل من النتائج ولا يزال البحث والدراسة قائم، وهناك بعض الأسباب التي توصلت إليها الدراسات والنظريات هي :

ترى بعض النظريات أن الأطفال الذين يعانون من التوحد يعانون في نفس الوقت من حساسية من مادة (الكازين) موجودة في لبن الأبقار، ومادة (الجلوتين) موجودة في القمح والشعير، ويرى البعض أن المضادات الحيوية أحد الأسباب للإصابة بالتوحد حيث يؤدي تناولها إلى القضاء على البكتريا النافعة والضارة في الأمعاء مما يؤدي إلى تكاثر الفطريات التي تقوم بدورها في إفراز المواد الكيميائية مثل حمض (الأرابينور) والتي تكون موجودة أصلاً بكميات صغيرة، وهذا ما لوحظ بزيادة وتكاثر الفطريات عند أطفال التوحد بسبب كثرة استعمال المضادات الحيوية، وأن البعض من النظريات والدراسات ترجع السبب إلى لقاح (الحصبة الألمانية) وذلك ما وجد أن الأطفال المصابين بالتوحد يعانون من اضطرابات في جهاز المناعة مقارنة بالأطفال العاديين، فهناك علاقة بين حدوث التوحد، وهذه اللقاحات التي توجد بها كمية زائدة من الزئبق وتعتبر ضارة بصحة الطفل والتي قد تؤدي إلى التوحد، تشير بعض الدراسات الى وجود أسباب تتعلق بالجينات وظروف الحمل والولادة إلا أنه حتى الان لم يتم التأكد من أسباب اضطراب التوحد ومازال غير معروف أو غير واضح ¹.

ثالثاً- اضطراب التوحد والإدراك الحسي:

يكتشف الأطفال ذوي اضطرابات التوحد البيئة المحيطة من خلال حواس البصر والسمع واللمس والشم والتذوق بشكل أطول من أقرانهم العاديين، فقد يتجاهل

¹ (الشرقاوي ، 2018 :47)

الطفل الأصوات الشديدة وكأنه لا يسمع في حين يجذب إلى الأصوات الخفيفة كصوت تحريك الأشياء ، فهو لا يبدي أية حساسية نحو صراخ أو صياح ، فالإحساسات لا تكون واضحة مثل الأطفال العاديين .

فعدم استجابة الطفل التوحدي للمثيرات البيئية من حوله بالشكل المطلوب يشير إلى أنه مصاب في أحد أعضائه الحسية ، وهذا لا ينفي وجود مجموعة من التوحديين بالفعل تعاني من حساسية مفرطة عند سماع الأصوات، أو التعرض لأضواء أو عند اللمس مما يشير لوجود استجابات حسية غير طبيعية ناتجة عن خلل في المعالجة الحسية وصعوبة استخدام مختلف الحواس في آن واحد.¹

ولوحظ ونمبيري Wimpory أن الأطفال ذوى اضطراب التوحد لديهم اتصال بصري ضعيف، يبدو عليهم وكأنهم صم، ويتوقفون عن الكلام فجأة ، كما لوحظ أن صغار الأطفال التوحديين ليس لديهم وعي بالقادم والرائح، وبدلاً من استكشاف الموضوعات العديدة الشيقة، فإن الطفل ذا الاضطراب التوحدي ربما يظل مركزاً على شيء معين أو لعبة معينة، يشارك في هذه السلوكيات النمطية، التأرجح، أو هز اليدين، ولا ينجح في تنمية إشارات تواصلية مثل الإشارة إلى الأشياء وغالباً ما يفشل في التوجه نحو المثيرات التي تحدث بشكل طبيعي.²

وحواس الطفل التوحدي غير قادرة على الاستجابة للمثيرات الخارجية بل وتصل في بعض الأوقات الى حد العجز التام عن تلقي ما يثيرها مما يؤدي إلى عدم ظهور أية استجابة.

¹ (قطب ، 2007 :37)

² (Wimpory, 2000:p525)

وعادة ما يصاب أطفال التوحد بمشكلات بصرية ، فالنظر لديهم يكون عالياً أو مشوشاً، ويميلون إلى عدم النظر بصورة مباشرة الى الأشياء، ولا يقومون بأية اتصال بصري مع شخص آخر، ويلتقطون الأشياء بدون النظر إليها جيداً، وينبهرون بالأضواء ومتابعة الأشياء اللولبية الدوارة، وأحياناً تجد بعضهم يميل إلى ألوان معينة والعباب محددة، ولا تجذب انتباهه الأشياء الأخرى.¹

وتعد الحساسية السمعية احدى المشكلات التي يعاني منها أطفال التوحديين والتي قد تفقدهم القدرة على التواصل الاجتماعي مع الآخرين، فقد يغلق أذنه كما لو كانت أصوات معينة تضايقه، وقد يتجاهل الأصوات المفاجئة ولا يستجيب لها .

ويكتشف الأطفال التوحديين البيئة المحيطة بهم من خلال حواس اللمس والتذوق والشم بشكل أكبر من أقرانهم العاديين، في حين لديهم فشل وعدم القدرة على استعمال كلتي اليدين في عمر معين، وعادة ما يكون الأطفال ذو حسة لمس قوية وزائدة وخاصة عندما يتم لمسهم من قبل أشخاص غير مألوفين لهم، وقد يستجيبون بشدة للتذوق والشم، وقد لا يبدو عليهم الوعي بطعم العديد من الأشياء أو الروائح في بيئاتهم .

وقد نجد بعض الأطفال لا يشعرون بالألم، وهذا يؤدي إلى أنهم يؤذون أنفسهم من خلال العض، أو شد الشعر، أو ضرب الرأس دون أن يبكوا أو يشعروا بالألم.²

رابعاً- الدراسات السابقة :

¹ (رياض ، 2008 :19)

² المغلوث ، 1423 :42)

تختلف نتائج الدراسات السابقة التي استهدفت اضطرابات التوحد لدى الأطفال باختلاف المتغيرات التي لها علاقة بالتوحد بالإضافة إلى اختلاف الأساليب والادوات المستخدمة من مجتمع لآخر .

دراسة رشا حميدة (2007) : فاعلية برنامج تدريبي لتنمية الإدراك وأثره على خفض السلوك النمطي لدى الطفل التوحدي.

هدف الدراسة لتنمية الإدراك البصر لدى الأطفال التوحديين من خلال إعداد برنامج تدريبي، وقياس فاعلية هذا البرنامج في خفض السلوك النمطي لديهم، وتكونت عينة الدراسة من مجموعة كلية قوامها 12 طفل توحدي ، ملتحقين بمركزين من مراكز ذوى الاحتياجات الخاصة بمدينة المحلة الكبرى بمحافظة الغربية ، وقد تم تقسيم أطفال العينة إلى مجموعتين تجريبية وضابطة، وأظهرت نتائج الدراسة فاعلية البرنامج التدريبي المستخدم ، حيث ساعد البرنامج في تنمية مهارات الإدراك البصر ، مما أد لخفض السلوك النمطي لدى أفراد المجموعة التجريبية التي تم تطبيق البرنامج عليها.

دراسة رأفت عوض خطاب(2005) : فاعلية برنامج تدريبي سلوكي لتنمية الانتباه لدى الأطفال التوحديين.

هدفت الدراسة إلى تنمية الانتباه لدى الأطفال التوحديين باستخدام بعض الفنيات الإرشادية من خلال النظرية السلوكية، والتعرف على مدى التحسن في الانتباه بعد البرنامج .وتكونت عينة الدراسة من 10 أطفال توحديين من ذو التوحد البسيط،

وتكونت أدوات الدراسة من مقياس اضطراب قصور الانتباه للأطفال التوحديين، وبرنامج تدريبي (إعداد الباحث)، وأظهرت نتائج الدراسة فاعلية البرنامج التدريبي السلوكي المستخدم، حيث ساعد البرنامج في تنمية مهارات الانتباه لدى أفراد المجموعة التجريبية التي تم تطبيق البرنامج عليها وذلك وفقاً للمقياس المستخدم.

دراسة Iarocci .G & McDonald (2006) : التكامل الحسي والتجربة الإدراكية للأشخاص المصابين بالتوحد مجلة التوحد واضطرابات النمو .

هدفت الدراسة الى أهمية نقاط القوة والضعف للأشخاص التوحديين وتفعيل مفهوم التكامل الحسي والخبرة الإدراكية للفرد التوحدي ، وتكونت العينة من (6) أطفال ، واعتمدت الدراسة على استبيانات والسيرة الذاتية وملاحظات الفيديو، وتوصلت إلى أهمية التكامل الحسي بأنه يساعد على التحسين في الإدراك الحسي للأشخاص التوحديين .

دراسة Mot .K.H.O (2011) : وظيفة المعالجة الحسية وبرامج التدخل المبكر للأطفال الصغار الذين يعانون من العلامات المبكرة للتوحد.

هدفت الدراسة للكشف عن العجز في العمليات الحسية خلال السنة الثانية من عمر طفل التوحد مما يجعلها تؤثر على نمو الطفل على الوظائف الجسمية الأخرى، وتكونت العينة من (46) طفل وتراوحت اعمارهم من (12-24) شهراً ، واعتمدت الدراسة على تقرير الوالدين والملاحظة المباشرة ، وتحليل شريط الفيديو لسلوكيات الطفل الظاهرة، وتوصلت إلى أن الاختلافات في المعالجة الحسية يمكن

الكشف عنها من خلال السنة الأولى من حياة الأطفال الذين يعانون مبكراً من التوحد .

دراسة علاء الطيباني (2011): فاعلية برنامج تدريبي لتنمية الإدراك الحسي لدى عينة من الأطفال التوحديين.

هدفت الدراسة الى تنمية الإدراك الحسي لدى الأطفال التوحديين، وتكونت العينة من (6) أطفال توحديين تتراوح أعمارهم الزمنية من (5 - 8) سنوات، وأسفرت نتائج الدراسة عن فاعلية برنامج تدريبي لتنمية الإدراك الحسي لدى الأطفال التوحديين، وانتقال أثر التدريب على الإدراك الحسي بما يشير إلى فاعلية البرنامج على المدى البعيد .

يتضح من العرض السابق لتلك الدراسات على أهمية برامج الدمج الحسي لتحسين الإدراك الحسي لأطفال التوحد مما يساهم في تحسين مستوى التفاعل الاجتماعي والانتباه وتعديل السلوك لديهم .

الأساليب العلاجية :

إن الأطفال المصابين باضطراب التوحد يعانون من قصور بشكل واضح في استقبال المعلومات أو توصيلها للآخرين، وخاصة أن عملية فهم اللغة، والتواصل مع الآخرين يتم من خلال عمليات الإدراك البصري والسمعي والحركي، وهذا ما يدفعهم الى القيام ببعض أنماط سلوكية غير مناسبة في الوسط الاجتماعي، فمن الطبيعي أن هذا القصور يؤثر أيضاً على قدرة الطفل على التعلم، وهذا القصور يجعل من الصعب على الطفل أن يتعلم بدون تدخل من الآخرين، وذلك بسبب عدم

استجابته للمثيرات الحسية بشكل طبيعي وللمواقف الاجتماعية، وعلى ذلك فإن الهدف الاساسي هو تدريب الطفل على بعض مهارات الإدراك الحسي كوسيلة لتعديل سلوكه وتنمية المهارات اللغوية حتى يتمكن الطفل بالقيام بالأنشطة الحياتية اليومية وبالمشاركة داخل الوسط الاجتماعي.

وعلى هذا الاساس يسعى الباحث لبعض اساليب سبل التعزيز قد تدفع طفل التوحد إلى مزيد من النمو في سياق محاولات تعديل سلوكه ، من خلال :

استخدام العلاج السلوكي:

يعد العلاج السلوكي من أفضل العلاجات النفسية التي ظهرت فاعليتها في تعديل سلوكيات الأطفال المصابين بالتوحد، وتقوم فكرة تعديل السلوك على مكافأة السلوك الجيد بشكل منتظم مع تجاهل مظاهر السلوك الأخرى غير المناسبة من أجل السيطرة عليها، كما أن أحد أهداف التدخل السلوكي هو تطوير المهارات الإدراك الحسي التي تزيد من تطوير المهارات اللغوية والتواصل الاجتماعي.

كما يعتمد العلاج السلوكي على فنية إدارة السلوك، وكذلك استخدام التشريط الإجرائي الذي يفيد في علاج الأطفال المصابين بالتوحد، ويعد الثواب والعقاب مبدأ رئيسياً بهدف تطوير وتعزيز السلوك الايجابي واستبعاد السلوك السلبي، فعندما يتم تعزيز الطفل على قيامه بمهارة أو سلوك مرغوب فإنه سينزع نحو تكرار هذا السلوك الذي تم تعزيزه، وينطفئ السلوك عندما لا يتم تعزيزه، وينزع الطفل نحو عد تكرار هذا السلوك، حيث إنه لا يجد ما يعززه، وذلك وفقاً للقواعد السلوكية" السلوك تدعّمه

نتيجة فورية". فالتعزيز هو عبارة عن حدث أو مكافأة تزيد من احتمال حدوث السلوك وتكراره في المستقبل عندما يعقبه المعزز .

فأهمية التدخل السلوكي لأطفال التوحد واحد من اهداف تطوير المهارات الإدراك الحسي مما يساعد في تنمية المهارات اللغوية والتواصل الاجتماعي، كما أن التدخل السلوكي لتطوير مهارات الإدراك الحسي يتأثر بالعديد من النماذج، ومنها نموذج الاشتراط الكلاسيكي وهو تبديل المنبهات القديمة بمنبهات جديدة لاستجابات متوفرة سابقة، والاشتراط الاجرائي إلى أن التعزيز هو أحد أهم العوامل النفسية التي تؤثر على الاستجابات، حيث إن عملية التعلم ستم بشكل صحيح وأكثر فاعلية إذا ما تم تعزيز الاستجابات الصحيحة، وأن السلوك يقوى ويضعف حسب نتائجه، فإذا ترتب على مهارة الإدراك الحسي الحصول على إثابة فإن الطفل يميل الى تكرار ذلك المهارة، وإذا ترتب عليه الحصول على العقاب فإن الاستجابة التلقائية تكون تجنب هذه المهارة الإدراكية.

التعزيز:

تقوم فكرة التعزيز على مبدأ أن الانسان يميل إلى تكرار السلوك الذي يعود عليه بنتائج إيجابية أو يخلصه من التعرض لنتائج سلبية، وينقسم التعزيز الى تعزيز إيجابي والسلبي:

التعزيز الإيجابي: هو من أكثر الأساليب استخدامًا في تعديل السلوك، فالمعزز كمكافأة للسلوك الإيجابي يساعد على تكراره في المستقبل، وقد تكون المكافأة عبارة عن هدية أو شكر أو تلبية رغبة الطفل لأشياء يحبها، وتقدم للطفل بعد حدوث

الاستجابة مباشرة، ويجب الاهتمام بعملية التعزيز الموجب للمهارة الإدراك الحسي المطلوب وإثابة الطفل على المهارة السوية، مما يدفعه إلى تكرار وتقوية المهارة الإدراكية إذا تكرر الموقف.

التعزيز السلبي: هو توقف التدعيم والمكافأة ويستخدم في إيقاف السلوك غير المرغوب فيه ، فكلاهما يعمل على زيادة السلوك المرغوب أو الحد من السلوك غير المرغوب وتعديله .

ومن خلال ما سبق يؤكد الباحث على ضرورة إعداد نظام استجابة لمثيرات الحسية لطفل التوحد ومتكرر تدريجياً عن طريق المعززات القوية لضمان نجاح التدريب، ويجب الاهتمام بالخطوات التالية :

تحديد الهدف: يجب اختيار المهارة الحسية المرغوب في تكوينه بشكل محدود واضح ، مثل تعليمه انتباه لأصوات معينة كانت تخيفه أو لا يهتم بها، أو نطق كلمة معينة أو القيام بسلوك حركي معين.

سهولة التعليمات لطفل التوحد: تكون التعليمات سهلة وألا تكون مطولة بحيث يستطيع الطفل أداء المهارة الحسية المطلوبة منه .

تشكيل مهارة الإدراك الحسي : عن طريق تقسيم الهدف إلى وحدات صغيرة ومع استمرار المكافأة الأداء البسيط والخطوات الصغيرة إلى أن يتم تحقيق الهدف، فإن كان الهدف هو حث الطفل على أدراك بصري أو سمعي ففي المرة الأولى يدرك مهارة صوت غريب ويدركه، وفي المرة الثانية يدرك مهارة مشابهة لإدراك الأول فتتم مكافأة الخطوتين كل في حينها.

نوع المكافأة: يجب أن تكون المكافأة ذات تأثير على طفل التوحد كالمكافأة المعنوية مثلاً، كما أنه لا بد من تنوع المكافأة طبقاً لصعوبة العمل حتى لا يصبح الطفل مشبعاً بنوع واحد، وليس من الضروري أن تكون المكافأة مادية في شكل أطعمة أو حلوى أو لعبة، وإنما قد تكون المكافأة معنوية مثل تقبيل الطفل أو احتضانه أو الشكر والثناء.

والخلاصة هو أن إجراء تعديل السلوك قد يحدث قفزة كبيرة في تطور الإدراك الحسي عندما يبدأ الطفل التوحد في فهم ان ما يدركه هو ما يدركه الآخرين من أقرانه، ويمكن تدريب الآباء والمعلمين والإخصائيين النفسيين الاجتماعيين على استخدام هذه الأساليب لمساعدة تعديل بعض مهارات الإدراك الحسي لإعادة الأطفال إلى ممارسة حياتهم الطبيعية في بيئتهم الاجتماعية.

التوصيات:

توفير الوسائل والتكنولوجيا الحديثة للتدخل المبكر لتطوير الإدراك الحسي لدى الأطفال اضطرابات التوحد.

وضع نظام محدد لمراكز التأهيل يشير إلى المواصفات الخاصة بالتعزيز.

إعداد برامج إرشادية للوالدين والمعلمين بأهمية تعزيز مهارات الإدراك الحسي تساعد أطفال التوحد بالاندماج والتواصل الاجتماعي.

ضرورة تدريب المتخصصين في المراكز التوحد على أسلوب التعزيز لتطوير مهارات الإدراك الحسي.

المقترحات:

إجراء دراسات عن تنمية مهارات الإدراك الحسي لدى أطفال اضطرابات التوحد لتحسين التواصل الاجتماعي.

إعداد برنامج تدريبي لتنمية مهارات الإدراك الحسي لدى أطفال اضطرابات التوحد .

إجراء دراسات مسحية لأطفال اضطرابات التوحد في المجتمع الليبي.

قائمة المصادر والمراجع

أسامة فاروق مصطفى، السيد كامل الشربيني، سمات التوحد، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2011م.

أسامة فاروق مصطفى، فاعلية برنامج تدخل مبكر قائم على التكامل الحسي لتحسين الانتباه والإدراك لدى عينة من الأطفال ذوي اضطراب التوحد، مجلة الإرشاد النفسي، العدد 46 ، ج 2 ، 2016م.

بنان صالح المبيضين، إبراهيم عبدالله الزريقات، تقييم مستوى الأداء المعرفي والتفاعل الاجتماعي لدى عينة من الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد في الأردن، المجلة التربوية الأردنية، الجمعية الأردنية للعلوم التربوية، العدد الأول ، مجلد 4، 2019م.

الحارث عبد الحميد حسن، اللغة السيكلوجية في العمارة المدخل في علم النفس المعماري، الإصدار الأول، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق ، 2007م.

رأفت عوض خطاب، فاعلية برنامج تدريبي سلوكي لتنمية الانتباه لدى الأطفال التوحديين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، 2005م.

رشا مرزوق حميدة ، فاعلية برنامج تدريبي لتنمية الإدراك وأثره على خفض السلوك النمطي لدى الطفل التوحدي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، 2007م.

رشاد علي موسى، علم النفس الإعاقة ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2002.

رشاد مرزق العزب، فاعلية برنامج تدريبي لتنمية الإدراك وأثره على خفض السلوك النمطي لدى الطفل التوحدي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس ، 2007.

سحر ربيع أحمد، فاعلية برنامج تدريبي لتنمية بعض المهارات الاجتماعية وخفض سلوك إيذاء الذات لدى الأطفال التوحدين ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة عين شمس ، 2009.

سعد رياض، الطفل التوحدي أسرار الطفل التوحدي وكيف نتعامل معه، دار النشر للجامعات، مصر، 2008م.

سناء محمد سليمان، الطفل الذاتوي (التوحدي)، عالم الكتب، مصر ، 2014م.

سهام على عبد الغفار عليوة، فاعلية كل من برنامج إرشادي للأسرة وبرنامج للتدريب على المهارات الاجتماعية للتخفيف من أعراض الذاتويه (الاولتيزم) لدى الأطفال، رساله دكتوراه (غير منشورة)، كليه التربية، جامعة طنطا - فرع كفر الشيخ ، طنطا ، 1999م.

سهير الصباح، محمد أبو صبحة، فاعلية استخدام برنامج تيتش (TEACCH) في تنمية المهارات الحسية والإدراكية للأطفال ذوي التوحد، المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية، مجلد 3، عدد 2 ، 2017م.

سهير الصباح، عبد الله الطيطي، دراسة لبعض السمات النفسية والاجتماعية للأطفال التوحديين في المحافظات الشمالية من وجهة نظر المختصين وامهات الأطفال التوحديين .مجلة علوم إنسانية، سنة 6 ، ع 38 ، 2008م.

سهير كامل أحمد، بطرس حافظ بطرس، تنمية القدرات العقلية لطفل ما قبل المدرسة ، دار الزهراء، الرياض، 2007م.

سوسن شاكر الجبالي، التوحد الطفولي أسبابه خصائصه تشخيصه علاجه، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا ، 2015م.

سيد جارجي السيد، فاعلية برنامج تدريبي في تنمية بعض مهارات السلوك التكيفي لدى الأطفال التوحديين وخفض سلوكياتهم المضطربة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، 2004م.

السيد على السيد، فائقة محمد بدر، الإدراك الحسي البصري والسمعي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001م.

سيدة محمود أبو السعود، مدى فاعلية برنامج ارشادي للوالدين لتنمية بعض مهارات طفل الاوتيزم، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، 2005م.

صادق عبده سيف، فاعلية برنامج ارشادي في تنمية بعض المهارات الشخصية والاجتماعية لدى عينة من الأطفال الصم في الجمهورية اليمنية، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس، 2005م.

صبا عبدالمنعم المحفوظ، الإدراك الحسي لدى التلاميذ الملتحقين وغير الملتحقين برياض الأطفال، مجلة البحوث التربوية والنفسية، عدد(65)، المجلد(17)، جامعة بغداد ، 2020م.

- عادل محمد عبدالله، الإعاقات العقلية، دار الرشاد، القاهرة ، 2004م.
- عبد الرحمن سيد سليمان وآخرون، دليل الوالدين والمختصين في التعامل مع الطفل التوحدي، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، 2003م.
- عبد الفتاح علي غزال، المشكلات التعليمية، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م.
- عبد الكريم الحجاوي، موسوعة الطب النفسي، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، 2004م.
- علاء محمد الطيباني، فاعلية برنامج تدريبي لتنمية الإدراك الحسي لدى عينة من الأطفال التوحديين، مجلة الطفولة والتربية، العدد (6)، السنة الثالثة (ج2)، كلية رياض الأطفال، 2011م.
- علي منصور، أمل الأحمد، سيكولوجيا الإدراك، مطبعة طربين، منشورات جامعة دمشق ، 1996م .
- فهد المغلوث، التوحد كيف نفهمه ونتعامل معه، منشورات مؤسسة الملك خالد الخيرات، السعودية، 1423هـ.
- لندا دافيدوف ، مدخل الى علم النفس ط ٤ ، دار ماكجروهيل، القاهرة ، 1983م.

لينا عمر بن صديق، فعالية برنامج مقترح لتنمية مهارات التواصل غير اللفظي لدى أطفال التوحد وأثر ذلك على سلوكهم الاجتماعي، مجلة الطفولة العربية، المجلد التاسع - العدد الثالث والثلاثون، الكويت، 2007م.

مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983م.

محمد قاسم عبد الله، الطفل التوحدي، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، 2001م.

محمود عبد الرحمن الشرقاوي، التوحد ووسائل العلاج، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر، 2018م.

مصطفى أبو المجد مفضل، فاعلية برنامج إرشادي سلوكي في تنمية بعض جوانب السلوك التكيفي لدى أطفال الروضة التوحيديين، المؤتمر السنوي الرابع عشر، القاهرة، 2007م.

مصطفى نوري القمش، اضطرابات التوحد، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2011م.

نادية ابراهيم ابو السعود، الطفل التوحدي في الأسرة، المكتب العلمي للنشر والتوزيع، الاسكندرية، 2000م.

نجاه بوشامة، إيمان العايب، التعزيز ودوره في التحصيل الدراسي لدى التلاميذ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بن يحيى، الجزائر، 2017م.

نرمين قطب ، برنامج سلوكي لتوظيف الانتباه الانتقائي وأثره في تطوير استجابات التواصل اللفظية وغير اللفظية لعينة من أطفال التوحد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية ، جامعة أم القرى ، السعودية ، 2007م.
وفاء علي الشامي ، سمات التوحد ، مركز جدة للتوحد ، الرياض ، 2004م.

<https://www.alarabiya.net/medicine-and-health>

Acrons, M & Gittens , T . (1992) . The Handbook of Autism a guide for parents and professionals . London and New York , Rutledge .

Iarocci, Grace and McDonald, John(2006). Sensory Integration and the Perceptual Experience of Persons with Autism Journal of Autism and Developmental Disorders, Vol. 36, No. 1, January ,DOI 10.1007

Mayer, D. (1995): "How Can we Best use literature in Teaching", Science and children, March.

Mot ,K,H,O(2011). Sensory processing function and early intervention programs for toddlers with early signs of autism. Presented in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree Doctor of Philosophy in the Graduate School of The Ohio State University.

Wimpory, D., Hobson,R.P., Williams, J.M.G.,& Nash,S.(2000).Are infant with autism Socially engaged? A study of recent retrospective parental reports. Journal of Autism& Developmental Disorders, 30,525–536.

مقاومة قبائل الأوسترياني للوجود البيزنطي

في إقليمى المدن الثلاث وكيريناىكى (363م-643م)

إعداد: د. عياد مصطفى محمد اعبيلىكة*

المخلص :

كان لأهمية موقع ليبيا وخصوبة تربتها وتنوع مواردها الطبيعية من أهم الأسباب التي جعلتها محل لأطماع الشعوب الأخرى منذ العصور القديمة، حيث توفد على أراضيها الفينيقيين والإغريق والرومان والوندال والبيزنطيين، الذين أخذوا يذهبون خيراتها، ويوسعون سيطرتهم على أراضي القبائل الليبية، ويفرضون ضرائبهم الباهظة على سكانها، وعندما شعرت هذه القبائل بالخطر الذي يهدد وجودها وكرامتها ومصالحها الاقتصادية بدأت بشن غاراتها على مراكزهم العسكرية ومدنهم الحصينة، كما أنها خاضت العديد من المعارك ضدهم.

وكانت مقاومة قبائل الأوسترياني الليبية ضد البيزنطيين من أهم الملاحم الوطنية التي كان لها دوراً في إضعاف وجودهم في إقليمى المدن الثلاث وكيريناىكى، حيث يعتبر العصر البيزنطي آخر العصور التاريخية في تاريخ ليبيا القديم، وحلقة الوصل بتاريخها الاسلامي، وقد وقع الاختيار على دراسة مقاومة قبائل الأوسترياني الليبية للوجود البيزنطي في الإقليمين لأن مقاومتها كانت مرتبطة ببعضها البعض من حيث الحظر والظلم الواقع عليها من البيزنطيين، ووحدة هدفها ومعركتها في القضاء على الوجود البيزنطي في الإقليمين، ولهذا يصعب فصل أو

* أستاذ مشارك بقسم التاريخ/ كلية الآداب - الخمس/ جامعة المرقب

دراسة كل إقليم على حدة، وقد حددت الفترة الزمنية للدراسة من بداية مقاومة قبائل الأوسترياني للوجود البيزنطي في مدينة لبدة الكبرى سنة 363م، ثم أحداثها وامتدادها في إقليم كيريناكي إلى نهاية الوجود البيزنطي بعد الفتح الاسلامي الكامل لليبيا في سنة 643م.

Abstract:

The importance of Libya's location, the fertility of its soil, and the diversity of its natural resources were among the most important reasons that made it a place of interest for other peoples since ancient times, as the Phoenicians, Greeks, Romans, Vandals, and Byzantines flocked to its lands, who plundered its bounties, expanded their control over the lands of the Libyan tribes, and imposed exorbitant taxes on its inhabitants. When these tribes felt the danger threatening their existence, their dignity, and their economic interests, they began to launch raids on their military centers and fortified cities, and they fought many battles against them.

The resistance of the Libyan Ostriani tribes against the Byzantines was one of the most important national epics that had a role in weakening their presence in the regions of the

Three Cities and Kyrenaiki, as the Byzantine era is considered the last historical era in the ancient history of Libya, and the link to its Islamic history. The choice was made to study the resistance of the Libyan Ostriani tribes. For the Byzantine presence in the two regions because its resistance was linked to each other in terms of the prohibition and injustice imposed on it by the Byzantines, and the unity of its goal and its battle in eliminating the Byzantine presence in the two regions, For this reason, it is difficult to separate or study each region separately, and the time period for the study was determined from the beginning of the resistance of the Austrian tribes to the Byzantine presence in the Greater Leptis City in the year 363 AD, and then its events and extension in the Kyrenaiki region to the end of the Byzantine presence after the complete Islamic conquest of Libya in the year 643 AD.

المقدمة:

كانت مقاومة القبائل الليبية ضد البيزنطيين من أهم الملاحم الوطنية التي كان لها دوراً في إضعاف وجودهم في إقليمي المدن الثلاث وكيريناكي، وتعتبر السيطرة البيزنطية عليهما هي امتداد للسيطرة الرومانية، ويطلق عليها بعض

الباحثين: الفترة الرومانية المتأخرة، بينما يرى بعض الباحثين: أن قيام الإمبراطور قسطنطين الأول بنقل عاصمة الامبراطورية من روما القديمة على ضفاف نهر التيبير إلى القسطنطينية التي قام ببنائها على شواطئ البوسفور في عام 330م هي المرحلة المبكرة لانطلاق العصر البيزنطي، وقد وقع الاختيار على هذه الدراسة البحثية؛ لأنها تعتبر حلقة الوصل بين تاريخ ليبيا القديم، وتاريخ ليبيا الإسلامي، كما أن مقاومة القبائل الليبية للوجود البيزنطي في الإقليمين مرتبطة ببعضها البعض من حيث الخطر، والظلم الواقع عليها من البيزنطيين، ووحدة هدفها ومعركتها في القضاء على الوجود البيزنطي، وقد حددت الفترة الزمنية للدراسة منذ بداية مقاومة قبائل الأوسترياني للوجود البيزنطي في مدينة لبدة الكبرى سنة 363م، وامتدادها في إقليم كيريناياكي ومشاركتها في اتحاد لواته الذي استمر في المقاومة حتى نهاية الوجود البيزنطي بعد الفتح الإسلامي الكامل لليبيا في سنة 643م.

وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة دوافع السيطرة الرومانية على الإقليمين، وكذلك التعرف على السياسة الاستيطانية الرومانية في الإقليمين، وإبراز أسباب مقاومة القبائل الليبية للوجود البيزنطي، والتعرف على القبائل الليبية التي قاومت الوجود البيزنطي، وإظهار مقاومة قبائل الأوسترياني للوجود البيزنطي ودورها في إضعافه في الإقليمين، والتعرف على موطن قبائل لواته، والمناطق التي استقرت فيها خلال العصر البيزنطي، وإظهار القبائل التي اتحدت معها لمقاومة الوجود البيزنطي، ولماذا سمي هذا الاتحاد باتحاد قبائل لواته، وإبراز أهم المعارك وأحداثها ونتائجها التي خاضتها قبائل لواته ضد البيزنطيين، وإظهار دور اتحاد قبائل لواته في إضعاف الوجود البيزنطي، وقد تم تقسيم البحث إلى المباحث الآتية:

المبحث الأول: سياسة الاستيطان الروماني في إقليمي المدن الثلاث وكيريناياكي.

المبحث الثاني: مقاومة قبائل الاوسترياني للوجود البيزنطي في إقليم المدن الثلاث وكيريناياكي.

المبحث الثالث: مشاركة قبائل الاوسترياني في اتحاد لواته ضد الوجود البيزنطي بإقليم المدن الثلاث.

المبحث الأول: سياسة الاستيطان الروماني في إقليمي المدن الثلاث وكيريناياكي.

سيطر الرومان على المدن الساحلية في ليبيا خلال القرن الأول قبل الميلاد، حيث أنهم سيطروا على المدن الإغريقية في إقليم كيريناياكي في عام 96 ق.م، تنفيذاً لوصية الملك بطليموس أبيون (Ptolemaus Apion) آخر ملوك البطالمة الذي أوصى فيها على انتقال ملكية الإقليم إلى الرومان بعد موته، واكتفى مجلس الشيوخ الروماني في بداية السيطرة عليه بوضع يده على الأراضي الملكية البطلمية ومراقبة جني نبات السلفيوم، وجباية الضرائب⁽¹⁾.

كما أنهم سيطروا على المدن الثلاث الفينيقية عندما انتصر يوليوس قيصر (Yulius Caesar) على قادة جيوش بومبي (Pompeia) في معركة تابسوس (Tapsus)⁽²⁾ التي وقعت في شمال أفريقيا عام 47 ق.م، وكانت من نتائجها المباشرة معاقبة مدينة لبدة الكبرى بسبب وقوفها إلى جانب أتباع بومبي، حيث زودتهم بالسلاح والرجال والمؤن، فأنزلها يوليوس قيصر من مرتبة مدينة حليفة

(1) عبد الكريم فضيل الميار، قورينائية (برقة) في العصر الروماني من عام 74 ق.م إلى عام 117م، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط1، 1973، ص 21-24.

(2) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ج2، منشورات الجامعة الليبية، دار النجاح، بيروت، ط1، 1971، ص ص660-662.

لروما إلى مدينة خاضعة لروما مباشرة، ويرجح أن هذا العقاب شمل مدينتي أويا، وصدراته، لأتباعهما سياسية مدينة لبدة الكبرى⁽¹⁾.

ومن الملاحظ أن الرومان لم يضيعوا وقتاً طويلاً في وضع أيديهم على الأراضي الزراعية في المناطق المجاورة للمدن الثلاث بعد سيطرتهم عليها بصورة مباشرة، واعتبروها من أملاك الدولة الرومانية، وبذلك أجبرت القبائل الليبية على مغادرتها والاستقرار في الأراضي الفقيرة، والمناطق الشبه الصحراوية القليلة في مردودها الإنتاجي، ومع ذلك استمر الرومان في الزحف عليها وضمها بصفة مستمرة وطرد الليبيين منها بالتدريج⁽²⁾ عن طريق إصدار مجموعة من التشريعات للاستصلاح الزراعي⁽³⁾.

كما أنهم أخذوا يتطلعون لبسط نفوذهم على المناطق الداخلية المشرفة على طرق القوافل التجارية التي كانت خاضعة لسلطة القبائل الليبية⁽⁴⁾، وقاموا بزرع بذور الفتنة بين القبائل الليبية عن طريق الاستيلاء على أراضي القبائل المعادية لهم

(1) أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر

والتوزيع والإعلان، مصراته، ط1، 1993م، صص 61-62.

(2) المرجع نفسه، صص 134-136.

(3) محمد علي عيسى (الاستعمار الغربي في شكله الاقتصادي والثقافي المشهد المتكرر منذ أقدم

العصور حتى الوقت الحاضر) بحوث ودراسات في التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حتى سنة 1911، ج1، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2011، صص 111.

(4) محمد علي عبد الرحمن أبوشحمة، المزارع المحصنة في المنطقة شبه الصحراوية بإقليم المدن

الثلاث الليبية خلال العصر الروماني، منشورات جامعة مصراته، مصراته، ط1، 2019م،

صص 66.

ويمنحونها للقبائل الموالية لهم، دون مراعاة للحدود القائمة في السابق بين تلك القبائل، وقد عمل الامبراطور سبتيميوس سيفيروس (193-211م Septimius Severus) بكل إمكانياته في توسع الاستيطان الزراعي الروماني، حيث استولى على أكبر قدر ممكن من الأراضي، وتمكن من خلال هذه السياسة توسيع أملاك روما على حساب سكان أراضي القبائل الليبية المناهضة للحكم الروماني، وقد أضر هذا الإجراء بكل القبائل الليبية الموجودة في المنطقة، كما أحاط الرومان هذه الأراضي المغتصبة بالعديد من التحصينات، وعملوا على الحد من حرية تلك القبائل، وتقييد تحركاتها بعد أن فرضوا عليها مساحات معينة من الأراضي تكون مسرحاً لتتقلاتهم⁽¹⁾.

كانت السياسة الرومانية تهدف إلى تأمين مدنهم ومستوطناتهم الزراعية التي أقاموها في المناطق الساحلية، والداخلية القريبة منها في الإقليمين من هجمات القبائل الليبية المعادية لوجودهم، وكان الغرض من ذلك حتى يشعر المستوطنون الرومان المقيمين فيها بالطمأنينة، التي تدفعهم إلى زيادة منتوجاتهم الزراعية، كما أنها شجعت التجار الرومان المستثمرين في المدن الساحلية إلى زيادة توسيع تجارتهم الداخلية، مما يعود عليهم بأرباح طائلة⁽²⁾.

وقد استلزمت هذه الاستراتيجية إقامة ثلاث خطوط دفاع رئيسية وهي تشمل الحصون الكبيرة الخط الدفاعي الأول، والمزارع المحصنة الخط الدفاعي

(1) محمد الطاهر الجاربي (الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني) بحوث

ودراسات في التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حتى سنة 1911، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2011، ص61.

(2) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص220.

الثاني، والطرق الرئيسية المرتبطة ببعضها البعض ببعض المحطات وطرق فرعية توجد عليها بعض الأبراج والحصون الصغيرة الخط الدفاعي الثالث⁽¹⁾.

وكانت هذه الخطوط تتواجد فيها حاميات مستقرة يقيم فيها أعداد كبيرة من الجنود الرومانيين، وتنقسم هذه الحاميات إلى ثلاث وهي حاميات المدن، وحاميات الوديان الواقعة على مشارف الصحراء، وحاميات الحدود الجنوبية التي يتزاحم عمقها من خمسون إلى مائة كيلو متر⁽²⁾. واستخدم الرومان في بداية سيطرتهم على الإقليم طرق القوافل للأغراض العسكرية والاقتصادية، ووضعوا على مسافات معينة منها العديد من المحطات لغرض راحة المسافرين، وتغير خيولهم فيها، كما أنهم قاموا بترميمها وإنشاء العديد من الطرق الجديدة، وعملوا على توفير الحماية اللازمة لها منذ وصول الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس.

وكان الاعتبار الأكبر للرومان يهدف للسيطرة على طرق الدخول إلى المراكز القبلية الرئيسية في الواحات، ومراقبة الطرق ذات الأهمية الاقتصادية ومصادر المياه، ولضمان نجاح هذه السياسة كان لابد من التقدم الدائم بخط الحدود إلى الدواخل، ولكن مع تزايد هجمات القبائل الليبية على المناطق الساحلية وفشل الخطوط الدفاعية الرومانية في إيقافها، فكان لابد من التخلي عن السياسة الدفاعية التي اتبعتها خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين، والعمل على إرساء نظام دفاعي جديد في منطقة التخوم بإقليم المدن الثلاث⁽³⁾، يقوم على وضع مجموعات

(1) محمد الجرابي، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص 61.

(2) موسى معمر زايد الريحاني، تاريخ النظم الدفاعية في ولايات شمال أفريقيا الرومانية 192 -

430م، جامعة المرقب، 2005، رسالة ماجستير غير منشورة، ص 103 - 106.

(3) محمد أبو شحمة، مرجع سابق، ص 108-110.

من الليبيين الذين أنهوا مدة خدمتهم في الجيش الروماني بمناطق التخوم، ومنحورهم قطعاً من الأرض معفاة من الضرائب، وبعض العبيد والماشية مقابل الدفاع عنها من هجمات القبائل الليبية المعادية للرومان المقيمة في جنوبها، ويرى بعض الباحثين: أن التخوم القائمة في جنوب غرب إقليم كيريناكي تعود إلى القرن الأول الميلادي، وكان الغرض منها لحمايته من هجمات القبائل الليبية المستقرة في منطقة خليج سرت، وكان هؤلاء الجنود المزارعون من أهل التخوم يقيمون في مزارع محصنة منازلها مشيدة على هيئة أبراج عالية⁽¹⁾. ويطلق على سكان منطقة التخوم أو الحدود اسم الليميتاني (Limitanei) وتعنى باللغة اللاتينية قوات حدود نظامية، بينما يطلق عليهم البعض الآخر من الباحثين: رجال القبائل المتواجدين داخل منطقة الحدود الخاضعين للسلطات الرومانية⁽²⁾، ولعل هذا يدل على مدى سيطرة السكان المحليين المستقرين في المنطقة الشبه الصحراوية على جيش الحدود لإقليم المدن الثلاث خلال القرن الرابع الميلادي⁽³⁾. وكان الغرض من ذلك تحويل هذه المنطقة إلى حاجز دفاعي أمامي ذي أهمية استراتيجية في الدفاع عن المدن والمستوطنات الساحلية⁽⁴⁾.

كما أن السلطات الرومانية التي أدركت عجزها في المحافظة على الأمن والسلام في مناطق الحدود، وعدم قدرتها على كبح جماح القبائل المحلية القاطنة

(1) مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1966، ص 96.

(2) ر.ج. جود تشايلد، دراسات ليبية، ت. عبد الحفيظ فضيل الميار، أحمد البازوري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999، ص 9.

(3) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص 80.

(4) محمد أبو شحمة، مرجع سابق، ص 159.

خارج الحدود، فقامت بتغيير سياستها الدفاعية وتعاملها معها، فعقدت العديد من الاتفاقيات مع شيوخ القبائل والعشائر المحلية لضمان امتصاص غضبهم، وعدم شن غاراتهم على مراكزهم ومستوطناتهم الساحلية⁽¹⁾، وقد أطلق الرومان على بعض القادة المحليين لقب تريبيون (Tribunus)، حيث أوضحت العديد من النقوش التي عثر عليها في بعض مناطق التخوم أسماء عدد كبير من الليبيين الذين تحصلوا على رتبة تريبيون⁽²⁾، وكانوا إلى جانب دورهم العسكري مسؤولين على الشؤون الدينية ومكلفون بالإدارة والقضاء بين سكان مناطقهم، ونستدل من ذلك أن هذه القبائل الليبية كانت تتمتع بحكم ذاتي في إدارة شؤونها الداخلية في ظل السيطرة الرومانية خلال القرن الرابع الميلادي⁽³⁾.

والسؤال الذي يطرح هنا هل تمكن الرومان من خلال الخطوط الدفاعية التي أقاموها في الإقليميين من إيقاف هجمات القبائل الليبية، وما دورها في توفير الأمن والاستقرار لسكان مدنهم الساحلية ومراكزهم الاستيطانية، وما موقف سكان منطقة التخوم المحليين (الليميتاني) من مقاومة القبائل الليبية للوجود البيزنطي في الإقليميين؟

وسوف نحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال السرد والتحليل لمقاومة القبائل الليبية للوجود البيزنطي.

(1) المرجع نفسه، ص 174.

(2) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص 96.

(3) ر. ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص 79.

المبحث الثاني: مقاومة قبائل الاوسترياني للوجود البيزنطي في إقليمي المدن الثلاث وكيريناكي:

كانت من أهم الأسباب التي دفعت القبائل الليبية لمقاومة الوجود البيزنطي تتمثل في الاستيلاء على أراضي القبائل وإجبار سكانها على الاستقرار في المناطق الشبه الصحراوية وأقامت فيها مستوطنات زراعية رومانية⁽¹⁾، بالإضافة إلى القسوة في جباية الضرائب الباهظة التي فرضها البيزنطيون على السكان المحليين مما جعلهم مع مرور الأيام يزدادون إرهاباً منها وحقداً على حكمهم الجائر⁽²⁾، وكذلك الظلم والغدر البيزنطي الواقع على أبناء القبائل الليبية⁽³⁾، مما جعلها تقوم بشن العديد من الهجمات بشكل مستمر ضد السيطرة البيزنطية على مدن الساحل الليبي والمناطق المجاورة لها، وكانت قبائل الاوسترياني من أهم القبائل الليبية التي بادرت في مقاومة الوجود البيزنطي، ويعتقد بعض الباحثين: أن قبائل الاوسترياني وفدت من الصحراء الشرقية⁽⁴⁾، ويرى البعض الآخر: أنها من القبائل المقيمة في صحراء سرت الكبرى⁽⁵⁾، والرأي الأرجح: أنها كانت تقيم في صحراء سرت لكثرة تكرار هجماتها على إقليمي المدن الثلاث وكيريناكي، وخاصة أن سرت تعتبر الحدود الفاصلة بينهما⁽⁶⁾، وقد انتهزت ضعف الحكم الروماني وعدم اهتمامه بمصالح

(1) محمد أبو شحمة، مرجع سابق، ص 66.

(2) عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار صادر، بيروت، ط1، 1971، ص ص 465-470.

(3) محمد أبو شحمة، مرجع سابق، ص 108.

(4) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص ص 106-107.

(5) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص 78.

(6) علي سالم لترك، مدينة توكرة، الدار العربية للكتاب، بنغازي، ط2، 1978، ص 25.

السكان، فقامت بشن أول هجوم لها على مدينة لبدّة الكبرى⁽¹⁾ في خريف عام 363م في زمن حكم جيوفانوس (363-364م - Jovianus)⁽²⁾ بسبب مقتل أحد رؤسائهم يدعى ستاتشو (Stachao) على يد السلطات البيزنطية في إقليم المدن الثلاث⁽³⁾ بعد أن وجهت له تهمة الخيانة والتآمر على مدينة لبدّة الكبرى مع قبائل الاوسترياني عن طريق الدسائس السرية⁽⁴⁾، ويبدو أنه رفض العمالة مع البيزنطيين باعتبارهم مستعمرين للأراضي الليبية وتعاون مع قبيلته من أجل القضاء على وجودهم في مدينة لبدّة الكبرى، وتمكنت قبائل الاوسترياني في هذا الهجوم بتدمير المناطق الخصبة المحيطة بها، وعسكروا بالقرب منها لمدة ثلاث أيام، حيث قتلوا أعداداً كبيرة من المستوطنين الرومان في المناطق الريفية، وحرقوا الأشياء والممتلكات التي يستطيعون نقلها معهم، وانسحبوا وهم محملون بالغنائم وأخذوا معهم أحد أشهر قادة الفرسان في المدينة بعد أن قبضوا عليه في إحدى الفيلات المشيدة في ضواحيها، وكانت مدينة لبدّة الهدف الرئيس لقبائل الاوسترياني غير أن حصانة أسوارها منعتها من دخولها والسيطرة عليها⁽⁵⁾.

وقد دفع خوف سكان المدينة من عودة هجوم هذه القبائل مرة أخرى عليهم فطلبوا المساعدة من رومانوس (Romanus) الذي اشترط عليهم أنه لا يستطيع

(1) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص ص 106-107.

(2) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص 162.

(3) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص ص 107.

(4) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص 162.

(5) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص 162.

مساعدتهم في منع هجمات قبائل الاوسترياني عليهم إلا إذا أمدّه بكميات كبيرة من المؤن، وأربعة آلاف جمل⁽¹⁾.

ويرى بعض الباحثين: أن مطالب رومانوس تدل على مدى انتشار الفساد في حكام ولاية أفريقيا وموظفيهم الذين زاد ابتزازهم لسكان المدن الرومانية عن طريق أخذ المنح والرشاوي منهم⁽²⁾، وأن من أهم أسباب حدوث هذه المشاكل الخارجية والداخلية أن حاكم المدن الثلاث أصبح موظفاً مدنياً بدون قوات عسكرية تحت تصرفه لمواجهة الأخطار التي تهدد سكان هذه المدن والمناطق المجاورة لها، وخاصة من هجمات رجال قبائل الاوسترياني الذين استعملوا الجمال فيها مما أكسبهم السرعة في الهجوم والانسحاب، ويرجح أحد الباحثين: أن سبب طلب رومانوس من سكان مدينة لبدة لأربعة آلاف جمل يعود لإدراكه بأنه لا سبيل لمحاربتهم إلا إذا كان يملك عدداً كافياً من الجمال⁽³⁾.

وكانت هذه المطالب غير متوقعة من مواطنين مدينة لبدة الكبرى الذين أعلنوا أنهم لا يستطيعون تقديمها إلى رومانوس، وخاصة بعد الخسائر التي لحقت بهم من هجمات قبائل الاوسترياني، وعندما أدركوا عدم جدوى الاعتماد عليه أرسلوا مبعوثين إلى الإمبراطور فالينثيان الأول (364-365م Valentinian)، وأخبروه بما حدث، وطلبوا منه الدعم، فكلف بالاديوس (Paladius) بالتحري عن هذه

(1) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، 101.

(2) ب.هـ. ورمنقتن، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من دقلديانوس إلى الاحتلال الوندالي، ت. عبد الحفيظ فضيل الميار، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، 1، 1994، ص 22-23.

(3) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص 109.

الأخبار ويعد تقريراً بالخصوص أثناء نقله مرتبات الجنود المستحقة في أفريقيا⁽¹⁾، وبينما كان سكان لبدة الكبرى ينتظرون دعم الإمبراطور هاجمت قبائل الاوسترياني مدينة لبدة مرة أخرى⁽²⁾ في صيف 365م، وأخذوا محاربيها يذهبون ويحرقون الممتلكات الرومانية، ويقتلون كل من يقف في طريقهم، وكان من بينهم العديد من القضاة والشخصيات البارزة⁽³⁾، كما أنهم قاموا بقطع أشجار الكروم⁽⁴⁾ والنخيل في المناطق القريبة منها⁽⁵⁾.

ويذكر بعض الباحثين: أن قبائل الاوسترياني تمكنت من محاصرة مدينة لبدة الكبرى لمدة ثمانية أيام⁽⁶⁾ ثم انسحب مقاتلها بعد فشل كل محاولاتهم في اقتحام أسوارها العالية⁽⁷⁾.

ويرجح أن امتداد هجماتها وصل إلى مدينة صبراتة أيضاً، حيث تشير الدلائل الأثرية إلى أن عدداً من مباني المدينة دمرت في تلك الفترة، ويؤكد بعض الباحثين:- أن الليميتاني أصحاب المزارع المحصنة لم يتصدوا للمهاجمين الاوستريانيين أو يحاولوا التخفيف من حدة قوتهم وهم في طريقهم إلى المدن الثلاث بل يعتقد بعض الباحثين:- أن الليميتاني سهلوا مهمة المهاجمين في عبور الخطوط

(1) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص109.

(2) المرجع نفسه، ص ص 107-108.

(3) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص ص 442-443.

(4) ر.ج. جودتسايلد، مرجع سابق، ص162.

(5) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص ص108.

(6) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص102.

(7) محمد الجراري، اللبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص70.

الدفاعية مما جعلهم يلقون بكامل ثقلهم على هذه المدن وربفها⁽¹⁾. ويعلل أحد الباحثين: أن أصحاب المزارع المحصنة ضمنوا أمنهم وسلامتهم من هذه القبائل المغيرة على المدن والمراكز البيزنطية، ولهذا ظلوا بعيدين عن أحداثها⁽²⁾. بينما يعلل البعض الآخر من الباحثين سبب ذلك: أن عدم فاعلية الحدود يرجع إلى وجود تحالفات بين القبائل المهاجمة وسكان الحدود (الليميتاني) الذين لم يكلفوا أنفسهم حتى مهمة تبليغ الحاميات البيزنطية الواقعة شمالهم عند اقتراب التجمعات القبلية المهاجمة التي تمر عبر أراضيهم وبين تحصيناتهم قبل وصولها إلى المنطقة الساحلية⁽³⁾، ويبدو أن السبب الحقيقي في ذلك: أن أصحاب هذه المزارع المحصنة من الليبيين الذين تربطهم بقبائل الاوسترياني رطة الدم ووحدة الهدف في القضاء على الوجود البيزنطي الذي انتزع أراضيهم الخصبة وطردهم بعيداً عنها مما جعلهم يساعدون ويسهلون عبور هذه القبائل للخطوط الدفاعية البيزنطية حتى تمكنت من الوصول إلى أهدافها بسرعة غير متوقعة من البيزنطيين.

وقد حاولت السلطات الرومانية إعادة الترتيبات الأمنية الأهلية فأصدرت في سنة 409م قانوناً تنذر فيه مزارعي المناطق الحدودية بأنها ستأخذ مزارعهم إذا هم رفضوا القيام بمهام الدفاع عن الحدود ومحاربة القبائل المهاجمة، ولما لم تتمكن من تنفيذ ذلك أصدرت قانوناً آخر سنة 423م تهدد فيه بالقتل لكل مالك مزرعة محصنة يرفض مشاركة شخص آخر في مزرعته مع من ليست لديهم مزارع

(1) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص ص108-109.

(2) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 443.

(3) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص 73.

محصنة، ويهدف هذا القانون الأخير لإدخال عناصر موالية للسلطة الرومانية داخل التجمعات الأهلية الداخلية لإخراجهم والاطلاع على مواقفهم من القبائل المهاجمة، وبالتالي إرغامهم على محاربتها⁽¹⁾.

ومن المؤكد أن هذه الهجمات المتكررة من قبائل الاوسترياني كان لها أكبر الأثر في تدهور اقتصاد المدن الثلاث الساحلية⁽²⁾، والذي يعد من العوامل المباشرة في إضعاف الوجود البيزنطي بها⁽³⁾.

كما تعرضت مدن إقليم كيريناكي للعديد من هجمات قبائل الاوسترياني منذ عام 390م، ولقيت مدينة كيريني بصفة خاصة أشد الغارات من قبل هذه القبائل⁽⁴⁾، فقامت بمحاصرتها وحرقت محاصيلها وتخريب حقولها⁽⁵⁾، بالإضافة إلى الاستيلاء على قطعان كبيرة من الخيول والجمال⁽⁶⁾، وأسر العديد من المستوطنين البيزنطيين، ولم تكن القوات العسكرية البيزنطية في الإقليم على درجة عالية من الكفاءة تمكنها من التصدي لهذه الهجمات⁽⁷⁾، ويرى بعض الباحثين: أن هجوم

(1) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص 72-73.

(2) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص 102.

(3) أحمد انديشة، مرجع سابق، ص 110.

(4) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص 102.

(5) سونسيوس القورينائي، تاريخ الفلسفة في ليبيا، ت عبد الرحمن بدوي، دار صادر، بيروت، 1971، ص 195-196.

(6) Jones.A.H.M, (Frontier Defence in Byzantine Libya), L.H Historical conference 16-23 march 1968, p290.

(7) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص 102.

قبائل الاوسترياني كان شاملاً وعنيفاً على المدن الإغريقية الواقعة تحت السيطرة البيزنطية، ولهذا لم يقابل بأية قوة نظامية تذكر⁽¹⁾، ويؤكد سونسيوس القورينائي (Synesius Cyrene)⁽²⁾ ذلك عندما يقول: إن كرياليس (Cerealis) الحاكم العسكري في الإقليم كان ضعيفاً لا يفهم شيئاً في أمور الحرب، فقام بتجريد الجيش واختلس أجور المجندين المحليين، وكان عندما تهاجم هذه القبائل مدن الإقليم يقوم بوضع أمواله وذهبه في سفينتين ويبحر بهما، ويظل يجوب الساحل بعد أن ينصح جنوده بالبقاء داخل الأسوار، ولا يقاتلون هذه القبائل لأنها لا تقهر⁽³⁾. وبعد أن يأس سونسيوس من تصدي القوات البيزنطية لهذه القبائل قام بتنظيم الدفاع عن مدينة كيريني وأراضيها الزراعية⁽⁴⁾، وكانت تضم هذه التنظيمات تجمعات من كبار الملاك⁽⁵⁾، وأغنياء الريف المتطوعين⁽⁶⁾، المتسلحين بالرمح والسيوف والفؤوس والهراوات لمقاومة هذه القبائل⁽⁷⁾، كما تم وضع مجموعة من الحراس المتطوعين في

(1) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص 71.
 (2) سونسيوس القورينائي: ولد في مدينة قوريني سنة 370م، وأمضى طفولته في مسقط رأسه، وتعلم فيها ثم رحل إلى الاسكندرية لاستكمال تعليمه بها، ثم رجع إلى كيريني لمزاولة حرفة الزراعة والصيد، وانخرط في جيش المدينة، وعين أسقفاً لمدينة بطوليميس وله العديد من المؤلفات، أندريه لاروند، برقة في العصر الهلنستيني من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس، ت. عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 2002، ص322.

(3) سونسيوس القورينائي، مرجع سابق، ص 198-203.

(4) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص 102.

(5) علي لترك، مرجع سابق، ص 25.

(6) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص 102.

(7) Jones.A.H.M,ob.cit,p.290.

في أبراج القلاع، والحصون لإنذار المناطق المهددة عند اقتراب هذه القبائل منها عن طريق تبادل إشارات من المشاعل المضئية، والتي تنتقل من حصن إلى حصن حتى تصل إلى القوات البيزنطية فستعد لأبعاد خطرهما عن هذه المناطق⁽¹⁾.

وقد قام القائد العسكري أنوسيوس (Anysius) الذي عين على إقليم كيرينايا في حوالي عام 410م، بتنظيم الجنود البيزنطيين، وكون منهم فرقة تتكون من أربعين مقاتلاً، وقادهم في معركة ضد قبائل الاوسترياني، واستطاع الانتصار عليهم وقتل منهم أكثر من ألف رجل⁽²⁾، ومن المرجح أن هذه المعركة مبالغ فيه؛ لأن هذه القوة الصغيرة لا تستطيع قتل هذا العدد الكبير من مقاتلي قبائل الاوسترياني وخاصة أن هذه القبائل عرفت عند المؤرخين البيزنطيين بأنها قبائل لا تقهر، كما أنها استمرت في مهاجمة ومحاصرة مدن كيرينايا بعد هذه المعركة.

ويرى بعض الباحثين: أن السياسة البيزنطية تهدف إلى بقاء قواتهم داخل مدن كيرينايا، وعدم خروجها لمواجهة قبائل الاوسترياني، ولعل السبب في ذلك أن القوات النظامية البيزنطية الموجودة فيها كانت قليلة العدد، وإمداداتها محدودة، كما أنها لا تستطيع ملاحقة قبائل الاوسترياني في المناطق الزراعية، والريفية نظراً للمخاطر التي تهدد جنودها الذين ليس لهم معرفة بطبيعتها الجغرافية، والمتمثلة في الجبال والوديان والأشجار الكثيفة والتي يصعب على البيزنطيين اختراقها؛ لأنهم لا يعرفون شيئاً عنها، بعكس مقاتلين القبائل الليبية الذين يعرفون مسالكها الوعرة، ويستطيعون التغلغل من خلالها دون أن يراهم أحد حتى يصلون إلى أهدافهم ويقومون بترميمها ثم الرجوع إلى تمركزاتهم القبيلة بكل سهولة وأمان، وهذا ما جعل

(1) مصطفى عبد العليم، مرجع سابق، ص 102-103.

(2) سونسيوس القورينايا، مرجع سابق، ص 330.

بعض الباحثين يرون: أن البيزنطيين كانوا معذورين في اتخاذ قرار البقاء في المدن، وترك مسألة الدفاع عن المناطق الزراعية إلى المتطوعين من الملاك البيزنطيين والكبار والصغار⁽¹⁾.

وقد استمر أنوسيسوس حاكماً عسكرياً على الإقليم لمدة عام ثم استدعى إلى القسطنطينية، وخلفه في الحكم انوكينتوس (Inocentius) وكان شيخاً مريضاً عاجزاً على التصدي لقبائل الاوسترياني، فعادت إلى مهاجمة مدن كيريناكي فحربوا الحقول والقرى، وأسروا الرجال والنساء والأطفال ونهبوا المتاجر والأموال وحملوها على خمسة آلاف بعير بعد أن استولوا على سائر الإقليم، وحاصروا العاصمة بطوليميس نفسها⁽²⁾.

وحاول البيزنطيون معالجة هجمات قبائل الاوسترياني المتكررة، والمفاجئة لحامياتهم الدفاعية عن المدن الساحلية، فاضطرت السلطة الرومانية في النهاية إلى فرض حصار على الأهالي في المدن ومنعهم من الاتصال بأهالي الدواخل، ولعل ما يؤكد ذلك فقد عثر في مدينة بطوليميس على نقش يوضح التنظيمات العسكرية البيزنطية لمنطقة مدن كيريناكي في زمن الامبراطور اناستاسيوس (491-518م Anastosius-) وفيه تحرم السلطة البيزنطية على الأهالي المقيمين في المدن الاتصال بسكان الدواخل سواء لغرض التجارة أو غيرها، ويرى بعض الباحثين: أن هذا القانون إذ نجح في منع ذهاب أهالي الساحل إلى الجنوب فإنه لم يكن له دوراً فعال في منع التحالفات الداخلية من الوصول إلى الشمال، ومهاجمة المراكز

(1) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص406.

(2) سونسيسوس القورينائي، مرجع سابق، ص332.

البيزنطية على الساحل الليبي، ولعل ما يؤكد ذلك: قيام قبيلة المازيكس بهجوم واسع في سنة 510م على غالبية المدن الساحلية، وألحقت بها الكثير من الضرر⁽¹⁾.

المبحث الثالث: مشاركة قبائل الأوسترياني في اتحاد لواته ضد الوجود البيزنطي بإقليم المدن الثلاث:

أدت مقاومة القبائل الليبية إلى انحصار الوجود البيزنطي في داخل أسوار المدن الساحلية، وتقهقر قوتهم العسكرية طوال القرنين الخامس والسادس الميلاديين مع بعض التغيرات المكانية المحدودة للبيزنطيين في بعض الأحيان، والشيء الوحيد الذي حدث هو انتقال الزعامة الوطنية من قبيلة الأوسترياني إلى قبيلة لواته التي أصبحت القوة الحقيقية في المنطقة⁽²⁾.

كانت الهجمات المتكررة لقبيلتي الأوسترياني، ولواته سبباً في إضعاف وجودهم العسكري في الإقليمين مما مكن الوندال من السيطرة على إقليم المدن الثلاث بعد ما وقعت مدينة لبدة الكبرى في أيديهم بكل سهولة في سنة 455م⁽³⁾، واستمرت سيطرتها عليه حتى قيام ثورة ضدهم بقيادة أحد القادة الوطنيين يدعى بدنتيوس (Pudentus)، وعندما وصلت أنباءها إلى الإمبراطور جستنيان (527-567م - Justinian) قام بإرسال قوة عسكرية صغيرة تحت قيادة تاتيموت (Tatimutt)، لمساندة هذه الثورة التي استطاعت تحرير المدن الثلاث من السيطرة

(1) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص 73.

(2) المرجع نفسه، ص ص 73-74.

(3) ماتينغلي، منطقة طرابلس في العهد الروماني، ت. محمد الطاهر الجراري - محمد عبد الهادي

حيدر، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2009م،

ص 221.

الوندالية بكل سهولة⁽¹⁾، ووقعوها تحت السيطرة البيزنطية سنة 533م⁽²⁾، ويرى بعض الباحثين: أن الفوضى وانتشار أعمال العنف التي سادت الإقليم خلال العصر الوندالي بعد انهيار النظام الروماني الذي كان سائداً في ذلك الوقت أدت إلى إحياء السكان الوطنيين للنظام القبلي، الذي اعتادت عليه القبائل الليبية قبل السيطرة الرومانية⁽³⁾.

كانت عودة البيزنطيون إلى إقليم المدن الثلاث لم ترض القبائل الليبية التي كانت لها دور كبير في تحريره من الوندال، ولهذا قاوموا الوجود البيزنطي منذ بداية السيطرة عليه، حيث تمكنوا من محاصرة القائد البيزنطي تاتيوت وجنوده داخل مدينة لبدة الكبرى، وكادوا أن يتغلبوا عليهم، لولا الفرقة العسكرية التي قدمت من قرطاج بقيادة بليزاريوس (Belizarius) التي تمكنت من فك الحصار عليهم⁽⁴⁾، وقد اتبع البيزنطيون في فترة حكم الإمبراطور جستنيان الأول سياسة تهدف إلى إعادة وحدة الإمبراطورية وإحياء ماضيها وتراثها القديم⁽⁵⁾، ولهذا اهتم الإمبراطور جستنيان بتحسين المدن في إقليمي المدن الثلاث وكيريناكي، ولعل ما يؤكد ذلك قول بروكوبيوس: إن الإمبراطور جستنيان بنى السور المحيط بمدينة لبدة من

(1) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص ص 467-468.

(2) ماتينغلي، مرجع سابق، ص 421.

(3) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 446.

(4) محمد مصطفى بازامة، تاريخ ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين، ج 8، القسم الأول، دار الكتاب،

بيروت، 1972م، ص 26.

(5) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 467.

أسسه⁽¹⁾، الذي دمره الوندال أثناء سيطرتهم عليها⁽²⁾، ويرى بعض الباحثين: أن السبب الذي جعل الإمبراطور جستينيان يضيق دائرة أسوارها يرجع إلى زحف الرمال وتغطيتها لجزء منها⁽³⁾.

كما أنه قام بتحسين مدينة يوسبيريدس (برنيقي) وفي هذا الإطار يقول بروكوبيوس: "إن الإمبراطور أعاد بناء سور برنيقي من أساساته السفلى"، وكذلك مدينة توخيرا حيث يقول بروكوبيوس: إن الإمبراطور أحاط مدينة توخيرا بتحصينات قوية جداً⁽⁴⁾، ويذكر بعض الباحثين: إن معظم أسوار مدن إقليم كرينايكي سقطت بسبب الزلزال الذي ضربها في عام 365م⁽⁵⁾، ونستدل مما سبق قيام البيزنطيون ببنائها، وأصبح الوجود البيزنطي محصور داخل أسوار المدن الساحلية في الإقليمين، وأن المناطق الداخلية والمجاورة لها أصبحت تحت سيطرة القبائل الليبية خلال هذه الفترة التاريخية، وقد زاد العداء بين البيزنطيين والقبائل الليبية بسبب اتباع البيزنطيين سياسة قاسية وصارمة ضد السكان المحليين، وخاصة في جباية الضرائب الباهظة التي فرضها الإمبراطور جستينيان الأول⁽⁶⁾، والاستيلاء على بعض الأراضي الزراعية التي وزعها الوندال على زعماء القبائل الليبية بكل عنف

(1) Procopius, VII, Buildings, Translation By: H. B. Dewing, L.C.L, William Heineman Ltd London, 1971, VI 10-18.

(2) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 446.

(3) Jones. A. H. M, ob. Cit, P. 297.

(4) Procopius, VII, Buildings, VI, II. 2. 13.

(5) ر.ج. جودتشايلد، مرجع سابق، ص ص 369-370.

(6) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 469.

وقسوة، وأخذوا يطاردون ملاكها السابقين وينكلون بهم⁽¹⁾، وبالإضافة إلى ذلك أن البيزنطيين منعوا اعتناق المذهب الآريوسي⁽²⁾ وأخذوا بملاحقة واضطهاد أصحابه⁽³⁾، وكذلك اتباع المذهب الدوناتى⁽⁴⁾ الذين يعتبرون هراطقة خارجين عن القانون في نظر الكنيسة الكاثوليكية، ولكن عندما سيطر الوندال على إقليم المدن الثلاث سمحوا لهم بممارسة شعائرهم العقائدية، واعدوا لهم حقوقهم وممتلكاتهم⁽⁵⁾، وقد استطاع البيزنطيون القضاء نهائياً على أتباع هذين المذهبين بعد فرضهم المذهب الأرثوذكسي على سكان شمال أفريقيا، وصار الإمبراطور هو المشرف المطلق على

(1) محمد بازامة، مرجع سابق، ص ص24-28.

(2) الآريوسي: يرجع اعتناق هذا المذهب إلى آريوس أحد قساوسة الإسكندرية من أصل ليبي ولد في سنة 256م، تعلم في انطاكية على يد معلمة لوقياس ثم انخرط في سلك الكهنوت، وسرعان ما صاغ آراء مستقلة عن الديانة المسيحية يعتقد فيها وجود الأب (الله) قبل الابن (المسيح)، وأن الابن مخلوق من الأب فهو إذا دونه ولا يعادله في المستوى والقدرة، وتختلف هذه الآراء عن المذهب الأورثوذكسي، ليلي عبدالجواد اسماعيل، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ت، ص ص42-43، سعيد عبدالفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى (التاريخ السياسي)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط10، 1985، ص ص39-40.

(3) فايز نجيب اسكندر، تاريخ الدولة البيزنطية (284-1453م)، المكتبة العلمية الحديثة، المنصورة، 2000م، ص79.

(4) المذهب الدوناتى: سمي بهذا الاسم نسبة إلى زعيمه دوناتوس، وهو يخالف المذهب الكاثوليكي، ولكنه في ذات الوقت كان يعبر عن الظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي الواقع على سكان إقليم المدن الثلاث، أحمد انديشة، مرجع سابق، ص104.

(5) عبداللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص445.

الكنيسة⁽¹⁾، وعلاوة على ذلك اعتبر الإمبراطور جستينيان كافة الأراضي الزراعية من أملاكه الخاصة⁽²⁾، ولهذا حاول البيزنطيون مد نفوذهم خارج تمركزاتهم الساحلية⁽³⁾، وكذلك قيام الجنود البيزنطيون بالاعتداء على أراضي القبائل الليبية⁽⁴⁾. كانت من أهم أسباب قيام اتحاد لواته ضد الوجود البيزنطي في زمن سرجيوس باكوس (sergius Bakus) حاكم إقليم المدن الثلاث⁽⁵⁾، قيام حرسه بقتل وجهاء لواته في مقر حكمه بمدينة لبدة الكبرى الذين كانوا يشكون من قيام جنوده بسرقة المحاصيل الزراعية لقبيلته، والاعتداء على أراضيها، حيث يذكر بعض الباحثين: أن عدد وجهاء لواته كان ثمانين رجلاً، وقد قتلوا كلهم ما عدا رجل واحد منهم استطاع الفرار من الحرس، ونقل ما جرى لأبناء قبيلته الذين أخذوا أسلحتهم استعداداً لمواجهة البيزنطيين⁽⁶⁾، وأعلنت قبيلة لواته الثورة ضد الوجود البيزنطي في مدينة لبدة الكبرى، والتي امتدت من حدود مصر شرقاً⁽⁷⁾ حتى منطقة بيزاكيوم

(1) المرجع نفسه، ص 459.

(2) فايز اسكندر، مرجع سابق، ص 79.

(3) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص 74.

(4) ر.ج. جود تشايلد، مرجع سابق، ص 204.

(5) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 469.

(6) علي فهمي خشيم، قراءات ليبية عن الأرض والناس والأبطال والأساطير في ليبيا القديمة،

المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، ط2، 2000م، ص ص 193-195.

(7) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص 75.

(Byzacium) غرباً⁽¹⁾، وقد انضمت إلى هذه الثورة العديد من القبائل الليبية في أكبر تحالف أطلق عليه اتحاد لواته؛ لأن قبيلة لواته هي الأقوى⁽²⁾، وكانت من أهم القبائل التي انضمت إلى هذا التحالف قبائل الاوسترياني، وهذا ما أكده فلافيوس كوريبوس عندما يقول: تجمعت قبائل لواته التي لم تهزم أبداً في ألوفاً لا حصر لها...، وملأت قلوب العالم كله بالرعب، وهي تزحف للأمام بسرعة، وتبعتها قبائل الأوسترياني، وأطلقت العنان لخيولها، وهي واثقة في قوتها، في أعداد لا حصر لها، وهذه القبائل معروفة بشجاعتها في الحرب، كما أنها معروفة بشدة حذرها، وأن المحارب من قبائل الاوسترياني يتميز شوقاً للدخول في معركة غير مأمونة على السهول المكشوفة...، ويقم أسواراً ويحفر خنادق، ثم يضع مختلف قطعان الماشية وسط حلقة على أمل أن يوقع الأعداء في شرك هذه الحواجز، ويسحقهم في غمرة الاضطراب الذي يسود صفوفهم⁽³⁾.

بالإضافة إلى ذلك قبائل النسامونيس والمكاي والجيتول والبسيلي⁽⁴⁾، والميكاليس⁽⁵⁾، والجرمنتين⁽⁶⁾، ومارماريكا وباركي⁽⁷⁾، وكان يتم اختيار رئيساً لهذا

(¹) فلافيوس كريسكونيوس كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية، ت: محمد الطاهر الجري،

منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م، ص 133.

(²) ماتينغلي، مرجع سابق، ص ص 426-427.

(³) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص ص 48-49.

(⁴) ماتينغلي، مرجع سابق، ص ص 426-427.

(⁵) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 79.

(⁶) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 470.

(⁷) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 50.

الاتحاد يتولى قيادة الجيش في معاركه ضد البيزنطيين⁽¹⁾، ونستدل من مشاركة معظم القبائل الليبية على اللحمة الوطنية في مقاومة الغزاة البيزنطيين، وقد خاضت القبائل الليبية المتحالفة العديد من المعارك في منطقة بيزاكيوم، في هذا الإطار يقول فلافيوس: وبدأ العدو يتجمع في صفوف متماسكة من الجبال، ويتدفق على جميع الحقول من جميع الممرات، وكانت بينهم قبائل الأوسترياني وموتونيان (Mutunian) تزحف على ظهور الخيل بأسلحتها التي لا تقهر⁽²⁾، ويقول أيضاً: كانت قبائل الاوسترياني تعمل القتل في سكان الريف بأسلحتها المميّنة، وتستولي على جزء من بيزنطة مع نصيبها الثاني من الغنائم⁽³⁾.

وكانت معركة سيلليوم (Cillium - القصرين حالياً) التي قتل فيها سليمان (Selemen)⁽⁴⁾ قائد القوات البيزنطية في سنة 544م من أهم المعارك التي انتصر انتصر فيها تحالف اتحاد لواته ضد البيزنطيين في هذه الثورة، وقد عمت الفوضى جيوش البيزنطيين، وأخذوا ينسحبون حتى دخلوا أسوار مدنهم، وقامت القبائل الليبية المتحالفة بتجميع الغنائم من ميدان المعركة، ثم زحفت على معظم المراكز والمسكن البيزنطية، وأخذت العديد من الأسرى، ولعل ما يؤكد ذلك قول فلافيوس كوريبوس: علينا الآن أن نبعث بسفراء إلى ذلك الطاغية... يحملون عهد السلام،

(1) ماتينغلي، مرجع سابق، ص 504.

(2) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص 54.

(3) المصدر نفسه، ص 166.

(4) محمد الجراري، الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني، مرجع سابق، ص 75.

وعلى هؤلاء الرسل أن يستعيدوا الأسرى، وأن يطلبوا من الطاغية الأوسترياني الرحيل عن أراضينا مع قبائل لواته المتوحشة⁽¹⁾.

ونستدل من هذا الكلام أن قائد اتحاد قبائل لواته كان من قبيلة الأوسترياني، ولهذا طلب منه الشاعر فلافيوس إطلاق الأسرى البيزنطيين، والرحيل من أرض المعركة، وإحلال السلام بينهم، كما أنه يدل على القوة القتالية لقبيلتي الأوسترياني ولواته.

وظلت هذه الثورة مستمرة، ولم يتمكن القادة البيزنطيين من القضاء عليها⁽²⁾ فاضطر الإمبراطور جستنيان (527-567 Justinian) بإرسال حملة عسكرية بقيادة يوحنا تروجليتا (John Troglita) الخبير في حروب الصحراء⁽³⁾ الذي خاض العديد من المعارك مع التحالف اللواتي تقلب فيها النصر بين الطرفين حتى تمكنت القوات البيزنطية بقيادة يوحنا⁽⁴⁾ في أوائل سنة 548م⁽⁵⁾، من هزيمة القوات الليبية المتحالفة بعد مقتل كاركسان (Carcasan) قائد اتحاد لواته في حقول كاتو (cato)⁽⁶⁾.

(1) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص ص 57-58.

(2) شارل أندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، ت. محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط3، 1978، ص 370.

(3) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 470.

(4) فلافيوس كوريبوس، مصدر سابق، ص ص 131-136.

(5) شارل جوليان، مرجع سابق، ص 371.

(6) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 47.

وكانت نهاية الوجود البيزنطي في إقليمي المدن الثلاث وكيريناياكي بالفتح الإسلامي لهما، حيث يذكر أن عمر بن العاص تمكن من هزيمة البيزنطيين في إقليم كيريناياكي في سنة 21هـ أي ما يوافق 642م تقريباً⁽¹⁾، وفي هذا السياق يقول البلاذري "حدثني محمد بن سعد عن الواقدي عن شرحبيل بن أبي عون عن عبد الله بن هبيرة قال: لما فتح عمرو بن العاص الإسكندرية سار في جنده يريد المغرب حتى قدم برقة وهي مدينة انطابلس فصالح أهلها على الجزية، وهي ثلاثة عشر ألف دينار يبيعون فيها من أبنائهم من أحبوا بيعه"⁽²⁾.

أما في إقليم المدن الثلاث فقد استمرت قبائل لواته في سيطرتها على جميع الأراضي المجاورة لهذه المدن وقد تسبب ذلك في تدهور الاقتصاد البيزنطي، وخاصة في مدينة لبدة الكبرى، الذي أدى إلى القضاء على الحياة العامة فيها⁽³⁾، ولعل ما يؤكد ذلك عدم ذكرها أثناء الفتح الإسلامي للإقليم في سنة 643م؛ لأنها لم تكن أهلة بالسكان⁽⁴⁾، وفي هذا الإطار يقول البلاذري: "حدثني بكر بن الهيثم عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن طلحة قال: سار عمرو بن العاص حتى نزل أطرابلس في سنة اثنتين وعشرون فقتل ثم افتتحها عنوة"⁽⁵⁾. النتائج التي توصلت لها الدراسة البحثية لمقاومة قبائل الأوسترياني للوجود البيزنطي في إقليمي المدن الثلاث وكيريناياكي (363م-643م):

(1) محمد بازامة، مرجع سابق، ص ص 98 - 99.

(2) أبو الحسن البلاذري، فتوح البلدان، منشورات مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1983م، ص 221.

(3) ماتينغلي، مرجع سابق، ص 447.

(4) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص 473.

(5) أبو الحسن البلاذري، مصدر سابق، ص 223.

أجبرت السياسة الرومانية التوسعية للاستيطان الزراعي القبائل الليبية على ترك أراضيها الخصبة والاستقرار في الأراضي الفقيرة، والمناطق الشبه صحراوية قليلة في مردودها الإنتاجي.

فشل الخطوط الدفاعية الرومانية في إيقاف هجمات القبائل الليبية على مراكزهم الاستيطانية ومدنهم الساحلية في الإقليمين.

أدت الهجمات المتكررة لقبائل الأوسترياني على المدن الساحلية الواقعة تحت السيطرة البيزنطية في الإقليمين إلى تدهور الوضع الاقتصادي لهذه المدن، كما أنها قلصت الوجود البيزنطي حتى صار محصوراً داخل الأسوار العالية المشيدة حول المدن.

تدهور أوضاع مدينة لبدة الاقتصادية بعد سيطرة قبائل لواته في أواخر القرن الثالث الميلادي على المنطقة الوسطى بين هذه المدينة والجنوب، مما أدى إلى انقطاع التجارة عنها التي تعتبر الدعامة الأولى لاقتصادها، كما أنها هددت إمدادات روما من القمح وبعض السلع الأخرى المهمة التي كانت تأتيها من أفريقيا.

كانت الضرائب الباهظة المفروضة على القبائل الليبية، والاعتداء على أراضيها الزراعية من قبل البيزنطيين، والمذبحة التي تعرض لها وجهاء قبائل لواته في مدينة لبدة الكبرى على يد الحرس البيزنطي بها من أهم الأسباب لقيام ثورة القبائل الليبية ضد الوجود البيزنطي.

انضمت قبائل الأوسترياني ومعظم القبائل الليبية مع قبائل لواته في أكبر اتحاد قبلي ضد الوجود البيزنطي في مدينة لبدة الكبرى بصفة خاصة، وامتداده فيما بعد إلى شمال أفريقيا بصفة عامة.

مشاركة معظم القبائل الليبية في هذه الثورة ضد الوجود البيزنطي يدل على وجود اللحمة الوطنية بينها، وحب الليبيون للحرية وكرههم للغزو والظلم والعدوان الواقع عليهم من البيزنطيين، كما يؤكد أيضاً الانتماء والوحدة الوطنية عند الليبيين منذ التاريخ القديم. كان لاتحاد قبائل لواته قوة قتالية كبيرة، حيث تمكن من هزيمة البيزنطيين في العديد من المعارك والاشتباكات وقتل معظم القادة الميدانيين، وأعداد كبيرة من الجنود البيزنطيين، وخاصة في المراحل الأولى لهذه الحرب.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

المصادر العربية:

أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، مطبعة بريل، مدينة ليدن، المحروسة، 1920.

المصادر الكلاسيكية:

Procopius, VII, Buildings, Translation By: H. B. Dewing, L. C. L, William Heineman Ltd London, 1971.

المصادر المعربة:

فلافْيوس كريسكونيوس كوريبوس، ملحمة الحرب الليبية الرومانية، ت. محمد الطاهر الجاربي، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988.

ثانياً: المراجع:

المراجع العربية:

إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ج2، منشورات الجامعة الليبية، دار النجاح، بيروت، ط1، 1971.

أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراتة، ط1، 1993م.

سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى (التاريخ السياسي)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط10، 1985.

عبد الكريم فضيل الميار، قورنيائية (برقة) في العصر الروماني من عام 74ق.م إلى عام 117م، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ط1، 1973.

عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار صادر، بيروت، ط1، 1971.

علي سالم لترك، مدينة توكرة، الدار العربية للكتاب، بنغازي، ط2، 1978.

علي فهمي خشيم، قراءات ليبية عن الأرض والناس والأبطال والأساطير في ليبيا القديمة، المؤسسة العامة للثقافة، طرابلس، ط2، 2009.

فايز نجيب اسكندر، تاريخ الدولة البيزنطية (284-1453م) المكتبة العلمية الحديثة، المنصورة، 2000م.

ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، دار الثقافة العربية، القاهرة، د.ت.

محمد الطاهر الجاربي (الليبيون القدماء والتوسع الفرعوني والإغريقي والروماني) بحوث ودراسات في التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حتى سنة 1911، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2011.

محمد الطاهر الجاربي (موقف القبائل الليبية من الحكم الروماني خلال القرن الثالث الميلادي) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998.

محمد علي عبد الرحمن أبوشحمة، المزارع المحصنة في المنطقة شبه الصحراوية بإقليم المدن الثلاث الليبية خلال العصر الروماني، منشورات جامعة مصراتة، مصراتة، ط1، 2019.

محمد علي عيسى (الاستعمار الغربي في شكله الاقتصادي والثقافي المشهد المتكرر منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر) بحوث ودراسات في التاريخ الليبي منذ أقدم العصور حتى سنة 1911، ج1، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2011.

محمد مصطفى بازامة، تاريخ ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين، ج8، القسم الأول، دار الكتب، بيروت، 1972.

مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي، 1966.

المراجع المعربة:

أندريه لاروند، برقة في العصر الهلينستي من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس، ت. عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2002.

ب.هـ. ورمنقتن، تاريخ ولايات شمال أفريقيا الرومانية من دقلديانوس إلى الاحتلال الوندالي، ت. عبد الحفيظ فضيل الميار، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ط1، 1994.

ر.ج. جود تشايلد، دراسات ليبية، ت. عبد الحفيظ فضيل الميار - أحمد اليازوري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999.

سونسيوس القورينائي، تاريخ الفلسفة في ليبيا، ت. عبد الرحمن بدوي، ج2، دار صادر، بيروت، 1971.

شارل أندريه جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، ت. محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، ط3، 1978.

ماتينغلي، منطقة طرابلس في العهد الروماني، ت. محمد الطاهر الجارري - محمد الهادي حيدر، منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2009.

المراجع الأجنبية:

Jones. A. H. M (Frontier Defence in Byzantine Libya) L.H Historical Conference 16-23 March 1968.

رسائل الماجستير:

موسى معمر زايد الريحاني، تاريخ النظم الدفاعية في ولايات شمال أفريقيا الرومانية 192-430م، جامعة المرقب، 2005م.

الأحوال السياسية للعالم الإسلامي 627-646هـ/1229-1284م

- إعداد: د. أحمد حسين الشريف.
 د. إمام إنويجي غميص.
 د. محمود عبد المجيد مجبر.

الملخص :

في أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وهي الفترة التي نحن بصدد دراستها والممتدة من سنة 627-646هـ/1229-1248م كانت هناك قوتان رئيسيتان هما الدولة الإسلامية ودولة الصليبيين، ثم ظهرت بعد ذلك قوة أخرى متمثلة في التتار.

وعلى الرغم من كبر مساحة الدولة الإسلامية التي شملت في ذلك الوقت غرب الصين وامتدت عبر آسيا وإفريقية لتصل إلى غرب أوروبا والأندلس إلا أن الحالة السياسية لمعظم الأقطار الإسلامية ازدادت سوء، إذ بدأ الضعف يدب في جسم الخلافة العباسية التي لم يبق لها إلا الرمز فقط، وأصبحت تسيطر فقط على وسط العراق وجنوبه تقريباً، وأهم دولة في العالم الإسلامي آنذاك هي الدولة الأيوبية، وهي إحدى الدول المستقلة التابعة للخلافة العباسية، وبوفاة صلاح الدين دخلت الدولة في صراع شديد بين خلفائه سواء من أبنائه أو إخوته، ومع بداية القرن السابع الهجري كانت الدولة الأيوبية في مصر تحت حكم السلطان الكامل محمد بن العادل.

Abstract:

In the late first half of the seventh century AH / thirteenth century AD, which is the period that we are about to study, which extends from the year 627–646 AH / 1229–1248 AD, there were two main forces, the Islamic state and the state of the Crusaders, and then another force appeared, represented by the Tatars.

Despite the large area of the Islamic state, which at that time included western China and extended across Asia and Africa to reach western Europe and Andalusia, the political situation of most Islamic countries worsened, as weakness began to creep into the body of the Abbasid caliphate, which had only a symbol left and became dominant. Only in central and southern Iraq, and the most important state in the Islamic world at that time was the Ayyubid state, which was one of the independent states of the Abbasid caliphate.

With the death of Salah al-Din, the state entered into an intense struggle between his successors, whether from his sons or brothers, and with the beginning of the seventh century AH, the Ayyubid state in Egypt was under the rule of the complete Sultan Muhammad ibn al-Adil

المقدمة:

لكي نتعرف على أحوال العالم الإسلامي لابد أن نلقي نظرة على القوى السياسية على الساحة في ذلك الوقت، ففي أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وهي الفترة التي نحن بصدد دراستها والممتدة من سنة 627-646هـ/1229-1248م كانت هناك قوتان رئيسيتان هما الدولة الإسلامية ودولة الصليبيين، ثم ظهرت بعد ذلك قوة أخرى متمثلة في التتار⁽¹⁾. أما بالنسبة للدولة الإسلامية فكان هناك كياناً سياسياً كبيراً متمثلاً في الخلافة العباسية في بغداد، وكان على رأس الهرم السياسي آنذاك الخليفة العباسي المستنصر بالله أبو جعفر منصور⁽²⁾ 623-640هـ/1226-1242م، وبعد وفاته تولى ولده المستعصم بالله⁽³⁾ 640-656هـ/1242-1258م⁽⁴⁾.

- (1) اختلفت آراء المؤرخين فيما يتعلق بأصل كل من المغول والتتار والفرق بين اللفظين، فالتتار: كانوا قبائل مستقلة عن المغول لكن بعد انتصار جنكيز خان على التتار أطلق اسمه عليهم وعلى اتباعه، وفي بدء هجومهم على العالم الإسلامي أطلق عليهم اسم التتار، فعرفوا بهاذين الاسمين. فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية (بيروت، 1980م) 27/1.
- (2) المستنصر بالله: أبو جعفر منصور بن الطاهر بأمر الله ولد سنة 588هـ، بويغ بالخلافة بعد موت أبيه سنة 623هـ، كانت مدة خلافته تسع عشرة سنة إلا شهر. ابن تغري: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، ص232-233.
- (3) المستعصم بالله: أبو أحمد عبد الله بن المستنصر، آخر خلفاء بني عباس بويغ بالخلافة بعد موت أبيه سنة 640هـ، وهو الحاكم السابع والثلاثون في بني عباس، قتله المغول عند دخولهم بغداد. ابن تغري: المصدر السابق، ص232-233.
- (4) أبي شامة: الذيل على الروضتين، 172.

وعلى الرغم من كبر مساحة الدولة الإسلامية التي شملت في ذلك الوقت غرب الصين وامتدت عبر آسيا وإفريقية لتصل إلى غرب أوروبا والأندلس إلا أن الحالة السياسية لمعظم الأقطار الإسلامية ازدادت سوء، إذ بدأ الضعف يدب في جسم الخلافة العباسية التي لم يبق لها إلا الرمز فقط، وأصبحت تسيطر فقط على وسط العراق وجنوبه تقريباً⁽¹⁾.

وكان إلى جانب الخلافة في بغداد دول، وأسر مستقلة تابعة للخلافة العباسية، ودول أخرى مستقلة غير تابعة للعباسيين⁽²⁾.

وأهم دولة في العالم الإسلامي آنذاك هي الدولة الأيوبية، وهي إحدى الدول المستقلة التابعة للخلافة العباسية⁽³⁾.

وبوفاة صلاح الدين⁽⁴⁾ 567-589هـ/1171-1193م دخلت الدولة في صراع شديد بين خلفائه سواء من أبنائه أو إخوته⁽¹⁾، ومع بداية القرن السابع

(1) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، راجعها وعلق عليها، حسن مونس، دار الهلال، ط3 (القاهرة، د.ت) 238/4-239.

(2) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس 447-656هـ/1055-1255م، مكتبة النهضة المصرية، ط14 (القاهرة، 1996م).

(3) القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1922م) 432/3.

(4) صلاح الدين: أبو الظفر يوسف بن أيوب بن شاذي الملقب بالملك الناصر صلاح الدين صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمنية. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 139/7.

الهجري كانت الدولة الأيوبية في مصر تحت حكم السلطان الكامل محمد بن العادل، وفي دمشق الأشرف موسى⁽²⁾ 598-635هـ/1202-1237م. وأيضاً صاحب السلطنة في الجزيرة⁽³⁾ وبلبك⁽⁴⁾ بعد مقتل ملكها الأجد⁽⁵⁾ 578-627هـ/1182-1229م في نفس السنة والعزير محمد⁽⁶⁾ 613-

(¹) عصام محمد شباروا: السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري، السلاجقة والأيوبيين (447-648هـ - 1055-1250م)، دار النهضة العربية (بيروت، 1994م)، ص164.

(²) الأشرف موسى: أبو الفتح موسى بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب الملقب بالملك الأشرف مظفر الدين، ولد سنة 578هـ، وأول شيء ملكه من البلاد مدينة الرها في عهد والده سنة 598هـ. ابن خلكان: المصدر السابق، 5/330-333.

(³) الجزيرة: وهي بين دجلة والفرات مجاورة للشام تشتمل على ديار مضر وديار بكر بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة.

الحموي: المصدر السابق، 2/134.

(⁴) بلبك: بالفتح تم السكون وفتح اللام والباء الموحدة والكاف المشددة، مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وأثار عظيمة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وهي اسم مركب من بعل اسم صنم وبك. الحموي: المصدر السابق، 1/453.

(⁵) الأجد: بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب مجد الدين أبو المظفر، ولي بلبك خمسين سنة بعد أبوه ثم أخذت منه سنة 627هـ وملكها الأشرف موسى وسلمها إلى أخيه الصالح وقتله مملوكاً له. الصفدي: المصدر السابق، 10/190.

(⁶) العزيز محمد: الملك غياث الدين أبو المظفر محمد بن الملك الظاهر ولد سنة 610 هـ بقلعة حلب ودفن بها.

. ابن خلكان: المصدر السابق، 4/9-10.

634هـ/1216-1236م في حلب⁽¹⁾ والمظفر محمود⁽²⁾ 626-642هـ/1228-1244م في حماة⁽³⁾. وأخوه الناصر قلج⁽⁴⁾ 617-635هـ/1220-1237م بقلعة بعرين، وفي ديار بكر⁽⁵⁾ (حصن كيفا⁽⁶⁾ وأمد) الصالح نجم الدين أيوب⁽¹⁾ 639-

(1) حلب: بالتحريك مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء سميت بذلك لأن إبراهيم النبي - عليه السلام - كان يحلب فيها غنمه ويتصدق به على الفقراء، الحموي: المصدر السابق، 282/2.

(2) المظفر محمود: محمود بن محمد بن عمر بن شاهن شاه الملك المظفر تقي الدين ابن الملك المنصور بن المظفر، كان من أشجع أهل بيته في الحروب، مرض بالفالج ثلاثين شهراً ثم مات. الصفدي: المصدر السابق، 117/25-118.

(3) حماة: بالفتح مدينة قديمة عمرها الأيوبيين كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار كثيرة الأسواق يحيط بها سور وهي على نهر العاص. الحموي: المصدر السابق 300/2.

(4) الناصر قلج: قلج أرسلان بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك الناصر بن المنصور المنصور صاحب حماة، تملك بعد أبيه وبقي في الحكم سنوات ثم أخذها أخوه المظفر محمود منه بإعانة الكامل وبقيت له بعرين ثم أخذت منه فسار إلى مصر واختلف مع الكامل فحبسه وبقي في الحبس إلى أن مات قبل الكامل بأيام قلائل. الصفدي: المصدر السابق، 203/24-204.

(5) ديار بكر: هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر ابن وائل وحدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة، ومنه حصن كيفا وأمد وميافارقين. الحموي: المصدر السابق، 494/2.

(6) حصن كيفا: يقال كيبا وأظنها أرمنية وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجاة بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر.

الحموي: المصدر السابق، 265/2.

647هـ/1241-1249م وفي حمص⁽²⁾ المجاهد ناصر الدين⁽³⁾ 581-637هـ/1185-1239م⁽⁴⁾.

وبيت المقدس في يد الصليبيين بعد معاهدة يافا⁽⁵⁾ سنة 626هـ/1229م⁽⁶⁾، والتي بموجبها سلم فيها الملك الكامل القدس إلى الامبراطوري

(¹) الصالح نجم الدين أيوب: السلطان الملك نجم الدين بن أيوب ولد سنة 603هـ بالقاهرة كان ملكاً مهيباً جباراً ذا سطوة وجلالة وكان فصيحاً حسن المحاوره عفيفاً عن الفواحش قتل أخوه العادل سراً ودفن بتريته الصالحية. الصفدي: المصدر السابق، 36-35/10.

(²) حمص: بالكسر ثم بالسكون والصاد مهملة، بلد مشهور قديم كبير مسور وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبيرة وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق وهي في الإقليم الرابع. الحموي: المصدر السابق، 302/2.

(³) المجاهد ناصر الدين: شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي بن مروان بن يعقوب، السلطان الملك المجاهد أسد الدين أبو الحارث صاحب حمص ابن الأمير ناصر الدين ابن الملك المنصور أسد الدين، أعطاه صلاح الدين حمص لما مات والده محمد، له أخبار في الظلم والتعذيب والاعتقال وكانت له تجارة في كل بلد، اختلف مع الكامل وعندما مرض أعطى حمص لابنه المنصور إبراهيم. الصفدي: المصدر السابق، 127/16.

(⁴) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، حققه حسنين محمد ربيع راجعه وقدمه سعيد عبد الفتاح عاشور (د.م، د.ت) 284-282/4.

(⁵) يافا: بالفاء، والقصر: مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكا في الإقليم الثالث. الحموي: المصدر السابق، 226/5.

(⁶) للاطلاع على بنود المعاهدة وموقف المسلمين والصليبيين والبابوية من الاتفاقية. عادل عبد الحافظ حمزة: العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 2001م) ص ص314-321.

فريدريك الثاني⁽¹⁾ وهي الهدنة التي استمرت سنوات وتمكن الصليبيون من خلالها من تدعيم مركزهم وتوطيد وجودهم⁽²⁾.

ثم دخلت الدولة الأيوبية في صراعات مع نفسها ومع سلاجقة الروم⁽³⁾ ومع الخوارزمية⁽⁴⁾ ومع الصليبيين، وقد اتخذ هذا الصراع أشكالاً مختلفة، وإن كان في نهاية الأمر أدى إلى تفتت وانقسام القوى الإسلامية⁽⁵⁾.

واستقرت الأوضاع بعد ذلك في مصر والشام وأواخر عهد الملك الكامل حتى وفاته⁽¹⁾، وبوفاته اضطربت أمور الدولة الأيوبية أكثر مما سبق⁽²⁾، فقد تولى

(1) العيني، بدر الدين محمود حنفي: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق ودراسة محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية، ط2 (القاهرة، 2007م) 204/4.

(2) قاسم عبده قاسم، علي السيد علي: الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، 1996م) ص99.

(3) سلاجقة الروم: هم الأتراك السلاجقة الذين استقروا بآسيا الصغرى واستقلوا بعد انحلال الامبراطورية السلجوقية، تأسست دولتهم سنة 470هـ/1077م واتخذوا من قونية عاصمة لهم، سقطت دولتهم على يد المغول سنة 700هـ/1300م.

عصام محمد شباروا: السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري،

السلاجقة والأيوبيين (447-648هـ - 1055-1250م) ص29.

(4) الخوارزمية: هي إحدى دويلات المشرق المستقلة عن الخلافة العباسية والتي نشأت على الثغر الثغر التركي في مواجهة مع الأتراك في منطقة خوارزم الذي يحده من الغرب بلاد الترك الغربية ومن الجنوب خراسان ومن الشرق بلاد ما وراء النهر ومن الشمال بلاد الترك أيضاً ولعبت دوراً في نشر الإسلام بين الأقاليم التركية والخوارزمية والهندية. عفاف سيد صبره: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، دار الكتاب الجامعي (القاهرة، 1987م) ص3-4.

(5) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، 4/273-311، 5/10-153.

الحكم بعده ابنه العادل سيف الدين⁽³⁾ 635-646هـ/1237-1248م، واتفق الأمراء على توليته مصر والشام ويكون ابن عمه الجواد مظفر الدين⁽⁴⁾ 635-641هـ/1237-1243م نائباً عنه في دمشق وأن يكون أخوه الصالح نجم الدين أيوب على ممالك الشرق⁽⁵⁾.

(1) حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 2000م) ص122.

(2) ابن أبيك: المصدر السابق، 292/7.

(3) العادل سيف الدين: أبوبكر بن محمد بن محمد بن أيوب (السلطان الملك العادل الصغير) تملك الديار المصرية بعد وفاة والده وهو شاب وكان نائبه الملك الجواد يونس بن مودود، اختلف مع أخيه الصالح نجم الدين أيوب فحبسه في القاهرة عشر سنين ثم قام بقتله. الصفدي: المصدر السابق، 156-155/10.

(4) الجواد يونس: يونس بن مودود بن محمد بن أيوب السلطان الملك مظفر الدين، يقال أن أمه كانت إفرنجية، كان في خدمة عمه الكامل ثم تخاصم معه وسار إلى عمه المعظم ثم عاد من جديد إلى عمه الكامل ولما مات الأشرف جاء مع الكامل إلى دمشق ثم تملكها بعد موت عمه وبعد ذلك عجز عنها وسلمها إلى الصالح نجم الدين، مات بقلعة دمشق، ويقال أن الصالح قد خنقه فيها.

ابن شاکر الکتبی، محمد بن أحمد: فوات الوفيات والذیل علیها، تحقیق إحسان عباس، دار صادر (بیروت، د.ت) 396/4-397.

(5) ابن تعزي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 269/6.

وفي نفس الوقت كان الناصر داود⁽¹⁾ 624-656هـ/1226-1258م يتوقع أن يحظى بدمشق حسب الاتفاق الذي كان بينه وبين عمه الراحل الكامل فلم يتم له مبتغاه⁽²⁾.

غير أن الأمور لم تقف عند هذا الحد ولم تهدأ، وإنما ازداد الصراع بين الأيوبيين وخاصةً عندما بدأ الجواد في الاستقلال بحكم دمشق عن السلطة الأيوبية في مصر⁽³⁾، وهكذا شغل هذا الصراع الملوك الأيوبيين عن مهمتهم التي كان ينبغي أن يطلعوا بها ألا وهي الجهاد في سبيل الله ومحاربة الصليبيين⁽⁴⁾، ثم حصل اتفاق سنة 636هـ/1237م بين الجواد والصالح نجم الدين أيوب حيث عجز جواد عن القيام بأمر الشام فتنازل عنها للصالح⁽⁵⁾.

أيضاً انقطعت الخطبة باسم العادل من دمشق واستقرت باسم الصالح نجم الدين أيوب، وبالتالي يمكن أن نرى ما ترتب على وفاة الكامل وكيف اضطربت

(1) الناصر داود: صاحب الكرك داود بن عيسى بن محمد بن أيوب السلطان الملك الناصر

صلاح الدين أبو المفاخر وأبو المظفر بن الملك المعظم بن الملك العادل، ولد بدمشق سنة 603 هـ مات بالطاعون. الصفدي: المصدر السابق، 13/301-311.

(2) ابن واصل: مفرج الكرب، 5/173.

(3) ابن واصل: المصدر السابق، 5/192.

(4) يمكن معرفة تفاصيل ما حدث من منازعات وعدوان في أثناء الحكم الأيوبي باختصار إلى: السيد الباز العريني: الشرق الأدنى في العصور الصليبية (الأيوبيون) دار النهضة العربية (القاهرة، د.ت) ص ص 133-136.

(5) ابن إبيك: المصدر السابق، 7/331.

الأمر في الدولة الأيوبية أو بمعنى أصح ازدادت سوء بسبب الصراع الدائر بين ملوكها⁽¹⁾.

وكان أهم حدث وقع فيها هو هجوم الصالح عماد الدين⁽²⁾ إسماعيل 637-642هـ/1239-1244م على دمشق واستيلائه عليها سنة 637هـ/1238م⁽³⁾.

وفي أثناء ما كان الملوك الأيوبيون منشغلين بالاختلاف فيما بينهم، استغل الفرنجة الفرصة وقاموا بإعادة بناء برج داود - عليه السلام - في القدس، وكما نعرف فإن الاتفاق في السابق بين الكامل وفريدريك هو ألا يجدد أي عمار في المدينة، عندها توجه الناصر داوود إليه وضربه بالمجانيق حتى هدمه وطرده الفرنجة منه⁽⁴⁾.

(1) . ابن واصل: المصدر السابق، 5/173-211.

(2) عماد الدين: السلطان الملك الصالح عماد الدين أبو الخيش إسماعيل ابن الملك العادل محمد بن أيوب بن شاذي صاحب دمشق، تملك بصري وبعلك وتقلت به الأحوال واستولى على دمشق أعواماً فحاربه صاحب مصر ابن أخيه، وجرت له أمور طويلة، كان قليل البخت بطلاً شجاعاً مهيباً شديد البطش، مليح الشكل، أسره الجيش الشامي عندما حاول أن يأخذ مصر فسجن بالقاهرة، وفي ذي القعدة سنة 648هـ أخرج ليلاً إلى الجبل وقتل وعفي أثره. الذهبي، الحافظ شمس الدين تهذيب سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد بن حسن بن عقيل، دار الأندلس الخضراء، ط2 (جدة، د.ت) ص1544.

(3) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، 22/363. كذلك: ابن واصل: المصدر السابق، 5/229-230.

(4) المقرئ: السلوك، 1/399.

كما قبض بعض من الأمراء على العادل وخلعوه لما عرف عنه من اللهو وتبذيره للأموال وانشغاله عن تدبير الدولة⁽¹⁾؛ أما الناصر داود فقد كون جبهة ضد ابن عمه الصالح؛ لأنه لم يحقق له وعوده باسترداد ملك أبيه⁽²⁾.
ثم وقعت معركة كبيرة بين الجيش الحلبي بقيادة المعظم الناصر يوسف⁽³⁾ 634-659هـ/1236-1261م والخوارزمية بالإضافة إلى من انضم إليهم وانهمز الحلبيون هزيمة منكرة⁽⁴⁾.
وعند وصول خبر هزيمة الحلبي إلى المنصور بن شيركوه⁽⁵⁾ 637-644هـ/1239-1246م ملك حمص، وهو متوجه نحو الفرنجة للإغارة عليهم في بلادهم رجع والتقى بالخوارزمية وأوقع بهم مقتلة عظيمة⁽¹⁾.

(1) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قميحة (دم، د.ت) 167/29.

(2) ابن واصل: المصدر السابق، 278/5.

(3) الناصر: الملك يوسف بن محمد بن غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب ثم الشام سنة 648هـ/1250م، وليها عشر سنين ثم قتل في تبريز. أبي شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي: عيون الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصالحية، حققه أحمد البيسومي دار التراث العربي (دمشق، 1992م) 325/2.

(4) ابن واصل: المصدر السابق، 281/5.

كذلك: ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد: زبدة الحلبي من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت، 1996م) ص 503-504.

(5) المنصور إبراهيم بن شيركوه: السلطان الملك المنصور ناصر الدين ابن الملك المجاهد أسد الدين بن الأمير ناصر الدين محمد بن الملك المنصور أسد الدين شيركوه كان بطلاً شجاعاً عالي الهمة وافر الهيبة، هزم جلال الدين خوارزم شاه مع الأشرف سنة 627هـ، مات في دمشق ودفن بحمص. الصفدي: المصدر السابق، 17/6.

وفي نفس الوقت قام الصالح عماد الدين إسماعيل بالقبض على الجواد يونس وكان الجواد مقيماً عند الفرنجة بعكا، فطلبه منهم فأرسلوه إليه وكان هذا الملك كما نعرف قد انضم للخوارزمية في حربهم ضد جيش حلب⁽²⁾.
وسلم الصالح عماد الدين إسماعيل قلعة الشقيف⁽³⁾ وصدف⁽⁴⁾ إلى الفرنجة عندما وقع خلاف بينه وبين عمه الصالح نجم الدين أيوب لذلك كاتب الفرنجة ليستنصر بهم "لغاية في نفسه" فشق ذلك على المسلمين الدعاة منهم والعلماء حتى أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام⁽⁵⁾ أنكر عليه ذلك وقطع عنه الخطبة والدعاء⁽⁶⁾.

(1) ابن العديم: زبدة حلب في تاريخ حلب، ص504

(2) ابن واصل: المصدر السابق، 297/5.

(3) الشقيف: بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وفاء، وهو قلعة حصينة جداً في كهف من الجبل قرب بانياس من أرض دمشق بينها وبين الساحل. الحموي: المصدر السابق، 356/3.

(4) صدف: بالتحريك، والصدف: العطاء، وكذلك الوثاق، مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام وهي من جبال لبنان.

الحموي: المصدر السابق، 412/3.

(5) بن عبد السلام: 577-660هـ/1181-1262م عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن

الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسطان العلماء فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ولد ونشأ في دمشق وزار بغداد سنة 599هـ فأقام شهراً وعاد إلى دمشق فتولى الخطابة والتدريس بزواوية الغزالي ثم الخطابة بالجامع الأموي ثم جاء إلى مصر فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب

القضاء والخطابة ومكنه من الأمر والنهي ثم اعتزل ولزم بيته. ابن تغري: النجوم الزاهرة، 183/7.

(6) ابن واصل: المصدر السابق، 301/5-302. كذلك ابن ايبيك: المصدر السابق، 347/7.

وقام الخوارزمية بالهجوم على أمد فخرج إليهم الجيش الحلبي فصدتهم عنها فتركوها واتجهوا ناحية بلاد ميفارقين⁽¹⁾ ونهبوها على الرغم من اتفاقهم مع ملكها⁽²⁾. وفشل الاتفاق بين الصالح نجم الدين أيوب وعمه الصالح، وكان من بنود هذا الاتفاق أن تكون الخطبة في جميع البلاد لنجم الدين أيوب، وأن يطلق الصالح إسماعيل سراح المغيث من سجنه، وأن ينتزع الصالح إسماعيل الكرك⁽³⁾ من الناصر داود، وهكذا ازداد الخلاف والفرقة واشتد الصراع في الأسرة الأيوبية⁽⁴⁾.

بعد فشل الصلح بين الملوك الأيوبيين ومع بداية سنة 641هـ/1242م اتفق مرة ثانية الناصر داود والصالح إسماعيل والمنصور على حرب الصالح نجم الدين، وعندما أدركوا أنهم لا طاقة لهم به استعانوا بالفرنجة وانفقوا معهم على أن يسلموهم بيت المقدس بالإضافة إلى طبرية⁽⁵⁾ وعسقلان⁽¹⁾، كما وعدهم الصالح

(¹) ميفارقين: بفتح أوله وتشديد ثانية ثم فاء وبعد الألف راء وقاف مكسورة وياء ونون، أشهر مدينة بديار بكر سميت بميا بنت لأنها أول من بناها وفارقين هو الخلاف بالفارسية، يقال له بارجين لأنها كانت احسنت خندقها فسميت بها. الحموي: المصدر السابق، 235/5-236.

(²) المقريري: السلوك، 412/1.

(³) كرك: بفتح أوله وثانيه، وكاف أخرى، كلمة عجمية: اسم لقلعة حصينة جداً في طرف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم وبيت المقدس وهي على سن جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الرض. الحموي: المصدر السابق، 453/4.

(⁴) ابن واصل: المصدر السابق، 327/5-332.

(⁵) طبرية: اسم اعجمي، وطبر في العربية تعني قفز واختباء وهي بلدية مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهي في طرف جبل، وجبل الطور مطل عليها، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت المقدس وبينها وبين عكا يومان، وهي مستطيلة على البحيرة عرضها قليل حتى تنتهي إلى جب صغير. الحموي: المصدر السابق، 17/4.

إسماعيل بأن يعطيهم جزء من مصر إذا استولى عليها، عندها قبل الفرنجة بالعرض وأصلحوا قلعتي طبرية وعسقلان وحصنوهما وحشدوا جيوشهم واجتمعوا مع المنصور في عكا، ودخل الفرنجة بيت المقدس، واتفقوا أن يمضوا لحرب الصالح نجم الدين أيوب⁽²⁾.

كما راسل الصالح نجم الدين الخوارزمية يستدعيهم لمحاربة الجيش الشامي، فخرجوا من بلادهم وأتوا إليه، وانتهت هذه السنة باستعداد كلا الطرفين للحرب⁽³⁾.

ومع دخول سنة 642هـ/1243م وصلت العساكر الخوارزمية إلى القدس، وفر جيش الصالح هرباً، وكذلك الفرنجة الذين في القدس، أما الناصر داود فقد اختبأ في الكرك، وهجموا الخوارزمية فقتلوا وسبوا الكثير من النصارى، وجاء جيش الصالح إسماعيل بأمرة المنصور ووقع القتال بين الطرفين، فانتصر الجيش المصري، وأسر الكثير من جيش دمشق والكرك ومن حلفائهم من الفرنجة⁽⁴⁾.

وروي عن المنصور ملك حمص أنه قال: "والله لقد حضرت ذلك اليوم وأوقع الله - تعالى - في قلبي إنا لا ننتصر لانتصارنا بالكفار على المسلمين"⁽⁵⁾.

(1) عسقلان: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم قاف وآخره نون، مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين.

الحموي: المصدر السابق، 4/122.

(2) ابن واصل: المصدر السابق، 5/332-333.

(3) سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، 22/378.

(4) ابن واصل: المصدر السابق، 5/337-339.

(5) ابن واصل: المصدر السابق، 5/339.

وكانت هذه الهزيمة أعظم كارثة حلت بالفرنجة منذ معركة حطين⁽¹⁾ 25 ربيع الثاني 583هـ/4 يوليو 1187م، مما أدى إلى قلق الغرب الأوروبيين والخوف من ضياع بقية الممتلكات الصليبية في الشام، وبالتالي التفكير في إرسال حملة صليبية جديدة لاستعادة بيت المقدس⁽²⁾.

ومنذ ذلك اليوم ظلت القدس في أيدي المسلمين حتى سقطت في قبضة اليهود في عصرنا الحديث.

ثم أرسل السلطان الصالح نجم الدين أيوب اثنين من أمرائه إلى عسقلان لاستعادة قلعتها من الفرنجة فسيقوا عليها الحصار، إلا أنها امتنعت لحصانتها وحاصرت جيوش السلطان نجم الدين أيوب ومن معه من الخوارزمية دمشق ورموها بالمجانيق، ولم يلبث حتى سلم الصالح إسماعيل المدينة، وهكذا نجح الصالح نجم الدين أيوب في توحيد مصر والشام تحت سلطانه بعد أن أصبحت القاهرة ودمشق وبيت المقدس تحت حكمه، لكن الذي حصل بعد ذلك هو ما قرره الخوارزمية بأن يخرجوا على الصالح أيوب بعد أن كانوا عاقدين الآمال عليه بأن يقطعهم أملاك

(¹) حطين: بكسر أوله وثانيه، وباء ساكنة ونون، موضع بين طبرية وعكا، بينه وبين طبرية نحو فرسخين.

وهي موقعة انتصر فيها السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين، وظفر فيها بملوك الفرنجة وقتل أحد قادتهم يدعى ارناط صاحب الكرك والشوبك وتمكن من استعادة فتح بيت المقدس، وتحرير معظم الأراضي التي احتلها الصليبيون. الحموي: المصدر السابق، 273/2-274.

(²) اسمت غنيم: الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية (الاسكندرية، 1990م) ص102.

بسبب مساعدتهم له إلا أن هذا لم يحدث، وبالتالي اتفقوا مع الصالح إسماعيل وأعلنوا تقديم الولاء له واتفقوا على محاربة الصالح نجم الدين أيوب⁽¹⁾. واتجهت الخوارزمية ومعها جيوش الصالح عماد الدين إلى دمشق وضربوا عليها الحصار، وفي نفس الوقت خرجت الجيوش من حلب بالإضافة إلى جيش حمص مع نجم الدين أيوب واتفقوا مع الخوارزمية على بحيرة حمص وانهمز الخوارزمية هزيمة منكرة⁽²⁾، وتجددت الوقعة بينهم وبين من حالفهم من الجيش الأيوبي بجنده الشامي والحلبي والحمصي في سنة 644هـ/1246م. واستطاع الصالح نجم الدين من استمالة المنصور إلى جانبه، وكان الخوارزمية قد انتشروا في البلاد واشتغلوا بالسلب والنهب، واستطاع كسر بقية شملهم في الصلت وانقطع ذكهم وقتل قائدهم حسام الدين بركة خان⁽³⁾، انضمت فلول منهم إلى التتار، والبقية الأخرى دخلت مع الجيوش الأيوبية سواء في مصر أو الشام⁽⁴⁾.

(1) ابن واصل: المصدر السابق، 340/5-351.

(2) ابن أيبك: المصدر السابق، 358/7.

(3) بركة خان: من ملوك الخوارزمية الأربعة وكان هو أجلهم وأميرهم وكان مائلاً للخير في الجملة والرفق بالناس، صاهره الملك الصالح نجم الدين أيوب، ثم خرج على الصالح وأعان أعدائه عليه، قتل سنة 644هـ في حربه ضد الأيوبيين وحمل رأسه إلى حلب، ولم تقم بعدها للخوارزمية قائمة.

الصفدي: المصدر السابق، 75/10.

(4) سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، 395/22-396.

بعد الهزائم التي مني بها الصليبيون أدركوا أن بقائهم في الشرق والاحتفاظ ببيت المقدس يتوقف على احتلالهم لمصر⁽¹⁾، وهذه الفكرة لدى الغرب الصليبي لم تكن جديدة فقد بدأت منذ أوائل القرن السادس الهجري/ القرن الثاني عشر الميلادي إلى أن أصبحت واقعاً كما في حملة الملك لويس التاسع⁽²⁾.

وهكذا لم تنته هذه السنة إلا وأصبحت الدولة الأيوبية موحدة مرة أخرى، فضمت مصر والشام والبلاد الفراتية ما عدا إمارات حمص وحلب وحماة، وهي على أي حال إمارات أيوبية معترفة بالسلطان الملك الصالح أيوب، وعلى الرغم من ذلك استطاع فرض هيئته على زعمائها المتنافرين⁽³⁾.

وبعد أن تمكن الصالح نجم الدين أيوب من إعادة الوحدة للدولة الأيوبية، بدأ الاستعداد لمواجهة الخطر الصليبي المتمثل في الحملة الصليبية السابعة⁽⁴⁾.

ونشير هنا إلى أنه كانت من الدول المستقلة التابعة للخلافة العباسية سلاجقة الروم، وهم أحد أقسام السلاجقة العظام، وخلال هذه الفترة الطويلة التي

(1) سعدون عباس نصر الله: رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى، دار النهضة العربية (بيروت، 1995م) ص15.

(2) جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، دار المعرفة الجامعية، ط4 (الاسكندرية، 1989م)، ص45.

(3) محمد مصطفى زيادة: حملة لويس التاسع على مصر، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (القاهرة، 1961م) ص79.

(4) حمدي حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص124.

عاشتها دولة سلاجقة الروم دخلت في صراع مع كثير من الدول التي عاصرتها وعلى الأخص الأيوبيين⁽¹⁾.

وفي هذا الوقت كان على رأس الدولة علاء الدين كيقباز⁽²⁾ 616-634هـ/1219-1236م، وكان قد بسط سلطانه على البلاد الشرقية مثل حران⁽³⁾ والرها⁽⁴⁾⁽⁵⁾، واتسعت رقعة ملكه ببلاد الروم، وامتدت إلى ما جاورها من البلاد ودخل في حروب مع التتار⁽⁶⁾، ثم تولى من بعده غياث الدين⁽⁷⁾ 634-644هـ/1236-1246م، وكثرة حروبه واطمحت الدولة في عهده كما دخل هو الآخر في صراع كبير مع

(1) حامد زيان غانم زيان: الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع (القاهرة، 1983م) ص117.

(2) علاء الدين: كيقباز بن خسرو بن قلعج بن أرسلان، كام ملكاً شجاعاً مهيباً كسر جيش خوارزم شاه والسultan الكامل، زوجه العادل ابنته وولدت له ولداً، وكان تملك الروم قبله أخوه كياكوس فحبسه أخاه هذا فلما نزل به الموت أحضره وفك قيده وعهد إليه بالملك وأوصى الصفدي: المصدر السابق، 288/24.

(3) حران: بتشديد الراء آخرها نو في الإقليم الرابع، بينها وبين الرقة يومان وهي مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام. الحموي: المصدر السابق 235/2-236.

(4) الرها: بضم أوله والمد والقصر، مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام في الإقليم الرابع. الحموي: المصدر السابق 106/3.

(5) العيني: المصدر السابق، 7/4.

(6) القرمانى، أحمد بن يوسف: أخبار الدور وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق أحمد حطيظ وفهمي سعد، عالم الكتب (بيروت، 1992م)، 516-515/2.

(7) غياث الدين: ابن كيقباز بن كخسرو السلجوقي صاحب الروم، تسلطن بعد أبيه وهو شاب يلعب، اصطدم مع التتار فحاصروه واستولوا على ارزان فقتلوه وأسروا أمه. الصفدي: المصدر السابق، 516/24.

التتار⁽¹⁾، ثم خلفه ركن الدين 644-664هـ/1246-1266م⁽²⁾، كذلك من الدول المستقلة التابعة للخلافة العباسية الدولة الخوارزمية ببلاد فارس وماء وراء النهر، وقد كانوا مماليك لبعض أمراء السلاجقة، ثم قامت دولتهم على أنقاض دولة السلاجقة⁽³⁾، وبعد تعاقب مجموعة من الحكام على هذه الدولة جاء لسدة الحكم جلال الدين منكبرتي⁽⁴⁾ 617-628هـ/1220-1230م، وكان هذا السلطان قد دخل في صراع مع التتار وتمكن في أول الأمر من هزيمتهم في واقعة بالقرب من نسا⁽⁵⁾(6).

كما حاول تأسيس حلف دعا فيه أمراء المسلمين للتحالف معاً ضد المغول، كما دخل في حرب مع التركمان، ونجح إلى حد ما في صد الخطر المغولي، فقد حارب جميع الملوك حوله كما دخل في صراع مع الأيوبيين، وقد قتل بعد هزيمته أمام التتار⁽⁷⁾.

(1) القرمانى: أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، 516/2.

(2) المقرئى: السلوك، 14/2.

(3) القرمانى: المصدر السابق، 463/2.

(4) جلال الدين منكبرتى: هو الابن الأكبر للسلطان علاء الدين محمد، إلا أنه لم يعهد إليه بولاية العهد في حياته بل جعلها لأخيه قطب الدين ازلاغ شاه، ولم يتراجع السلطان والده عن قرار التولية هذا إلا وهو على فراش الموت سنة 617هـ/1220م، حيث أوصى بها لجلال الدين لثقته في شجاعته. عفاف سيد صبره: التاريخ السياسى للدولة الخوارزمية، ص191.

(5) نسا: بفتح أوله، مدينة بخراسان بينها وبين سرخس يومان وبينها وبين نيسابور ستة أو سبعة أيام. الحموي: المصدر السابق، 282-281/5.

(6) العيني: المصدر السابق، 68/4.

(7) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، العصر العباسى الثانى فى الشرق ومصر والمغرب والأندلس 447-656هـ/1055-1255، 103/4.

بالإضافة إلى هذه الدول التي تم ذكرها كان هناك أيضاً أسر مستقلة تابعة للخلافة العباسية ومن أهمها أتابكة⁽¹⁾ كرمان⁽²⁾، ومؤسس هذه الدولة هو براك حاجب⁽³⁾ وكان حاجباً لسلطان الخطا⁽⁴⁾ كوخان عندما أرسله للدولة الخوارزمية للصلح، ولكنه بقي معهم فولاه إمارة كرمان سنة 619-636هـ/1222-1232م، واستمرت دولتهم قائمة حتى سقطت على يد المغول سنة 703هـ/1303م⁽⁵⁾.

(1) أتابك: يتألف هذا اللقب من لفظين تركيبين وهما أطا بمعنى أب، وبك بمعنى أمير، وأصله أن السلاطين السلاجقة منذ أيام ملكشاه بن ألب أرسلان كانوا يطلقون أطابك على كبير أمرائهم يولونه الوصية والرعاية من بعدهم على سلطان أو أمير قاصر صغير، وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل وليست له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهي، ثم أطلق هذا اللقب في أيام المماليك بمصر على مقدم العسكر أو القائد العام، وكان يسمى أتابك العسكر. القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، 4/18.

(2) أطلق عليهم بنو براك بكرمان. زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة زكي حسن بك وآخرون، دار الكتب والوثائق القومية، ط2، (القاهرة، 2008م)، 2/356.

(3) براك الحاجب: هو أحد القواد في دولة الخطا الذين دخلوا في خدمة خوارزم شاه محمد في كرمان سنة 619هـ/1222م، وظلت هذه الأتابكية خاضعة اسمياً للخوارزميين في عهد جلال الدين منكبرتي، ولما أراد براك التخلص من سلطة جلال الدين خضع للمغول وحصل على لقب قزلق خان واستمر ولائهم لایلخانات فارس حتى سقوطها. حسن ابراهيم: المراجع السابق، 4/90-91.

(4) دولة الخطا: مجموعة من القبائل أسست دولة في إقليم التركستان سنة 519هـ/1152م.

حافظ احمد حمدي: الدولة الخوارزمية والمغول، غزو جنكيز خان للعالم الاسلامي وآثاره

السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية، ص58.

(5) القرمانى: المصدر السابق، 2/483-484.

أما أتابكية فارس بنو سلغر⁽¹⁾، كان الحاكم هو أبوبكر بن سعد⁽²⁾ 628-658هـ/1230-1259م، وقد سقطت في يد المغول سنة 686هـ/1278م. أيضاً هناك أتابكة الموصل بنو زنكي⁽³⁾ بعد وفاة ملك الموصل ناصر الدين محمود⁽⁴⁾ 616-631هـ/1219-1233م تولى الوزير بدر الدين لؤلؤ⁽⁵⁾ 631 - 657هـ/1233 - 1258م الحكم في الموصل ما يقرب من حوالي خمسين سنة حتى وفاته⁽⁶⁾.

أما أتابكة الجزيرة، فكان يتولى الحكم في تلك الفترة الملك مسعود بن محمود 639 - 648هـ/1241 - 1250م، ثم خضعت بعد ذلك للأيوبيين⁽⁷⁾.

(1) سلغر: بفتح الغين أو ضمها. زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، 350/2.

(2) أبوبكر بن سعد: تولى بعد أبيه سعد بن زنكي، واستطاع أن يوسع رقعة بلادها في بلاد البحرين، وأن يخضع جميع جزر الخليج العربي وعند هجرم جنكيزخان على العالم الإسلامي رأى أبوبكر أنه من الحكمة عدم الوقوف في وجه وأرسل إليه الهدايا الثمينة، ولما دخل جنكيزخان بلاده لم يتعرض لسوء وخضعت هذه البلاد بعد ذلك لهولاكو. حسن إبراهيم: المرجع السابق، 92/4.

(3) زامباور: المرجع السابق، 341/2-351.

(4) ناصر الدين محمود: ابن عز الدين مسعود بن نور الدين أرسلان بن شاه قطب الدين بن عماد الدين بن زنكي، وهو آخر ملوك الموصل من البيت الأتابكي كان مولده في سنة 613هـ. العيني: المصدر السابق، 8/4.

(5) بدر الدين لؤلؤ: الملقب بالملك الرحيم، تولى الوصاية على أبناء الأتابكة وهو الذي أزال الدولة الأتابكية عن الموصل.

الصفدي: المصدر السابق، 308/24.

(6) المقرئزي: السلوك، 510/1.

(7) حسن إبراهيم: المرجع السابق، 79/4.

وهناك اتابكة أربل⁽¹⁾ وكان الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري⁽²⁾ 586 - 630هـ/1190 - 1232م هو الحاكم، وبعد وفاته أوصى بأربل للخلفية العباسي المستنصر لأنه لم يكن له أولاد⁽³⁾.
 الأسر المستقلة التالية التابعة للخلافة العباسية هي بنو ارتق⁽⁴⁾ وتعرف باتابكية ديار بكر، وقد شملت ماردين وخرتبرت وميفارقين وبعض الحصون كحصن كيفا، واستمر السلاطين في الحكم حتى عهد الملك المسعود بن مودود⁽⁵⁾ 619 - 629هـ/1222 - 1232م حاكم حصن كيفا بآمد، والذي أثناء فترة حكمه

(1) اربل: بالكسر ثم السكون وباء مكسورة ولام، قلعة حصينة ومدينة كبيرة من أعمال الموصل. الحموي: المصدر السابق، 137/1 - 138.

(2) مظفر الدين كوكبوري: أبوسعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين، الملقب بالملك المعظم، كانت ولادته بقلعة الموصل سنة 549هـ، ودفن بالكوفة، زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الناصر صلاح الدين، وكوكبوري: بضم الكافين بينهما واو ساكنة ثم باء موحدة مضمومة ثم واو ساكنة ثم باء موحدة مضمومة ثم واو ساكنة وبعدها راء، وهو اسم تركي معناه بالعربي ذئب أزرق، يقال أن عمره جاوز مائة سنة، كان كريم الأخلاق كثير الصدقة. ابن خلكان: المصدر السابق، 113/4 - 121.

(3) أبو الفداء: المصدر السابق، 153/3.

(4) بنو ارتق: ارتق بن اكسب كان من مماليك السلطان ملكشاه السلجوقي، وله مقام عالي في دولتهم فأكرمه السلطان وولاه على الفرس وانتقلت تبعية دولتهم من سلاجقة إلى فاطميين إلى أيوبيين. القرمانلي: المصدر السابق، 469/2.

(5) الملك مسعود: ابن الملك الصالح محمود بن محمد بن قرا ارسلان بن داود بن سقمان بن أرتق، ومحمد بن قرا ارسلان المذكور هو الذي ملكه السلطان صلاح الدين أمد، وسبب انتزاع الملك الكامل أمد هو سوء سيرة الملك مسعود وتعرضه لحريم الناس. أبو الفداء: المصدر السابق، 153/3.

شن عليه الملك الكامل الأيوبي حصار وأخذ منه جميع القلاع التي كانت بحوزته⁽¹⁾.

أضف إلى هذا كله كانت توجد أسرات حاكمة تابعة للخلافة العباسية في تلك الفترة الزمنية، إلا أنها كانت صغيرة جداً وليس لها أي تأثير يذكر⁽²⁾.

ثم نأتي إلى الدول المستقلة عن الخلافة العباسية وغير تابعة للحكم في بغداد، ومن أهمها دولة بنو رسول⁽³⁾ في اليمن 626 - 858هـ/1229 - 1454م، إذ خلف بنو رسول الأيوبيين في الحكم⁽⁴⁾ وكان أول حاكم يدعى المنصور⁽⁵⁾ 626 - 647هـ/1229 - 1248م، وكان نائباً للملك الأيوبي المسعود بن الكامل⁽⁶⁾

(1) أبوالفداء: المصدر السابق، 3/152.

(2) زامبور: المرجع السابق، ج1، ج2.

(3) بنو رسول: ينتسبون إلى أول ملوكهم وهو علي بن رسول، الذي ينتهي نسبه إلى الغسانة الذين هاجروا من اليمن إلى الشام بعد انكسار سد مأرب، وقد جاءوا إلى هذه البلاد مع الأيوبيين، وامتد نفوذهم من حضرموت إلى مكة، وظل حكمهم سائداً أكثر من قرنين، حتى سقطت على يد بنو طاهر سنة 585هـ/1454م. حسن إبراهيم: المرجع السابق، 4/203.

(4) حسن إبراهيم: المرجع السابق، 4/215.

(5) المنصور علي: اختلفت الآراء في حكم اليمن فقد ذكر العيني أن الذي استخلفه الأيوبيين على علي اليمن هو والد المنصور علي، ثم أن ابنه هو الذي قام بالملك من بعد وفاة أبيه سنة 630هـ. العيني: المصدر السابق، 4/229.

(6) المسعود ابن الكامل: أقيس أوطسز، السلطان مسعود ابن السلطان الملك الكامل العادل صاحب اليمن ومكة، ملكها تسعة عشر عاماً، وكان أبوه وجده قد جهز معه جيشاً فدخل اليمن وملكها، وكان فارساً ذا سطوة وعسف وظلم وعندما مات عمه المعظم خرج إلى الشام ليأخذها فمرض في الطريق ودفن بمكة. الصفدي: المصدر السابق، 9/185.

612 - 626هـ/1215 - 1228م⁽¹⁾، ثم خلفه من بعده ابنه شمس الدين يوسف⁽²⁾
647 - 694هـ/1248 - 1294م⁽³⁾.

أيضاً هناك أسر مستقلة وغير تابعة للخلافة، ولم يكن لها تأثير في الحياة السياسية منها بنو الرسي (الأئمة الزيديون في صعدة وصنعاء) العهد الثاني 593 - 697هـ/1200 - 1297م⁽⁴⁾.

الدولة الثانية المستقلة عن الخلافة العباسية، ولكنها في المغرب هي دولة الموحدين⁽⁵⁾، وكانت في هذا الوقت بالذات في مرحلة الانحلال والضعف، وبدأت

(1) ابن واصل: المصدر السابق، ص 260/4.

(2) شمس الدين: الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول ابن السلطان الملك المنصور نورالدين صاحب اليمن، تولى الأمر بعد مقتل أبيه عمره ست وأربعون سنة، توفي بقلعة تعز، كان مقصداً للوافدين همماً جيداً عفيفاً عن أموال الرعية.

الصفدي: المصدر السابق، 116/29.

(3) زامباور: المرجع السابق، 184/1.

(4) حسن إبراهيم: المرجع السابق، 216/4؛ كذلك: زامباور: المرجع السابق، 187/1 - 188.

(5) الموحدين: حركة دينية قبل أن تكون سياسية، تأسست في مراكش علي يد المهدي بن تومرت 524 - 558هـ صاحب بلاد إفريقية والمغرب والأندلس، عبد الواحد ذي طه، خليل إبراهيم

السامرائي، ناطق صال مطلوب: تاريخ المغرب العربي، دار المدار الإسلامي، (بيروت، 2004م)، ص 334.

منذ سنة 609هـ/1212م، عند الهزيمة أمام النصارى بقيادة ملك قشتالة⁽¹⁾ ألفونسو الثامن 553 - 611هـ/1158 - 1214م في معركة العقاب⁽²⁾.

واستمرت إلى ما بعدها بسنوات حتى سقوطها حوالي سنة 667هـ/1268م، وبعد الهزيمة ساءت أحوال المسلمين في بلاد الأندلس، وكذلك المغرب وكانت بداية السقوط للدولة وتفكك عرى الوحدة الإسلامية في قتال النصارى، وأصاب حكامها الضعف وحب الدنيا والانشغال عن قضية العقيدة، والانصياع للوزراء وترك الجهاد، مثل ما ابتليت به بعض الدول الإسلامية الأخرى التي سبق ذكرها.

إذا اشتغلت ثورات عديدة في جميع أنحاء الدولة، مثل ثورة بني غانية⁽⁴⁾ في إفريقية وجزر البليار، وثورة ابن مردنيتش⁽⁵⁾ في شرق الأندلس، كذلك ظهور

(1) قشتالة: إقليم عظيم بالأندلس قصبته طليطلة. الحموي: المصدر السابق، 4/352.

(2) العقاب: من أكبر المعارك التي حسمت الصراع بين المسلمين والنصارى لامتلاك شبه جزيرة ايبيريا وانتهت بانتصار الجيوش الصليبية القشتالية بقيادة الفونسو الثامن على المسلمين بقيادة محمد الناصر رابع الموحدين. وجز دائر المعارف الإسلامية، 23/7346 - 7347.

(3) عبد الواحد ذي النون طه وآخرون: تاريخ المغرب العربي، ص 384 - 389.

(4) بني غانية: بتشديد الياء، لأن مؤسس بيتهم محمد المسوفي ينسب إلى أمه وكانت من غانة، فهي غانية، وكانت النسبة إلى الأمهات شائعة لأن الرجال يتزوجون كثيراً فينتسب الأولاد إلى أمهاتهم، تمييزاً لهم بعضهم عن بعض في البيت الواحد.

حسين مونس عوض: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط5، (القاهرة،

2000م)، ص224.

(5) ابن مردنيتش: أبوجميل زيان بن أبي الحملات مدافع بن يوسف بن سعد ابن مردننش الجذامي، قام بثورة سنة 626هـ في بلنسية ضد الموحدين الذين يتبع لهم. ابن الخطيب، لسان

بعض القوى التي تحولت بعد ذلك إلى كيانات سياسية مستقلة تكونت على أثرها دول كبني مرين⁽¹⁾، والحفصيين⁽²⁾، وبنو زيان (بنو عبد الواد)⁽³⁾(4).
الدولة الأخرى المستقلة عن الخلافة في بغداد والتي قامت على أنقاض دولة الموحيدين هي دولة بني مرين بالمغرب الأقصى بفاس⁽⁵⁾، وكان في الحكم أبي سعيد عثمان بن عبد الحق⁽⁶⁾ 614 - 637هـ/1217 - 1238م، إذ دخل في

الدين محمد بن عبد الله السلماني: أعمال الأعلام فيمن بوع قبل الاحتلام، تحقيق وتعليق أ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، (بيروت، 1956م)، ص272.

(1) بني مرين: هم فخذ من قبيلة زناتة البترية من شعوب بني واسن. ابن أبي زرع، علي بن محمد بن أحمد بن عمر الفاسي: الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، (الرباط، 1972م)، ص14.

(2) الحفصيين: نسبة إلى أبي حفص عمر الذي يرجع نسبه إلى حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لذلك حاولوا أن يضيفوا على حكمهم صبغة شرعية بفضل دعواهم بانتسابهم إلى الحفصيين من قريش. حسن إبراهيم: المرجع السابق، 317/4.

(3) بنو عبد الواد: قبائل بربرية نم زناتة. ابن خلدون: المصدر السابق، 97/7 - 102.

(4) محمد العروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، ص239 - 241.

(5) فاس: بالسين المهملة بلفظ فاس النجار، مدينة كبيرة مشهورة على بر المغرب من بلاد البربر وهي حاضنة البحر وأجمل مدنه قبل أن تختط مراكش، وهي مختطة بين تينيتين عظيمتين. الحموي: المصدر السابق، 230/4.

(6) عثمان بن عبد الحق: الأمير أبوسعيد عثمان بن عبد الحق بن محبو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن وزير بن فجوس بن جرماط بن مرين الزناتي ولد سنة 593هـ كان شديد الحزم ذا زعامة وقوة بابعوه قومه بعدما قتل أبوه وأخوه، قتله أحد خدمه غدرًا بحربه في نحره فمات منها على الفور. أبي زرع: الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، ص35 - 37.

صراع مع قبائل عرب رباح وكذلك بقايا الموحدين، حتى استطاع أن يبسط هيمنته على الجميع⁽¹⁾.

ثم تجدد القتال من جديد بين الموحدين والمرينيين الذين عينوا حاكماً جديداً للبلاد هو أبو معروف محمد بن عبدالحق⁽²⁾ 637 - 642هـ/1238 - 1243م⁽³⁾، الذي مشى على خطا سابقه في الصراع مع خصومهم من الموحدين، إذ استطاع أن ينتصر عليهم في بداية الأمر وتمكن من هزيمتهم في المرة الأولى، إلا أن الذي حدث بعد ذلك في العام التالي هو هزيمة المرينيين هزيمة كبيرة وقتل فيها أميرهم، ثم تولى شؤون الدولة بعد ذلك أخوه أبوبكر بن عبد الحق⁽⁴⁾ 642 - 656هـ/1244 - 1258م، الذي في عهده تمكن من الاستيلاء على مكناس⁽⁵⁾

(1) أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء، تحقيق وتعليق: جعفر الناصر ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء، 1954م)، 9/3 - 10.

(2) محمد بن عبد الحق: الأمير أبو معروف محمد بن عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن وزير الزناتي المريني، لما توفي أخاه عثمان اجتمع أشياخ مرين إليه وبايعوه على القيام بأمرهم والسمع والطاعة له، كان بطلاً شجاعاً كثيراً القتال قتل بالقرب من فاس في أحد المعارك مع الموحدين. أبي زرع: المصدر السابق، ص 59 - 62.

(3) الاصري: الاستقصاء، 10/3 - 11.

(4) أبوبكر بن عبد الحق: بن محي بن أبي بكر بن حمامة الزناتي المريني، وكنيته أبو يحيي، أول أول من نهض ببني مرين، أي مرتبة الملك في المغرب الأقصى وبايعه قومه بعد مصرع أخيه محمد. خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط5، (بيروت، 1980م)، 65/2.

(5) مكناس: مدينة بالمغرب في بلاد البربر على البحر الأعظم بينها وبين مراكش أربعة عشر مرحلة نحو الشرق وهي مدينتان صغيرتان على ثنية بيضاء بنهما حصن جواد اختلط أحدهما يوسف بن تاشفين ملك المغرب والأخرى قديمة. الحموي: المصدر السابق، 181/5.

واستطاع أن يستولي على فاس بعد أن ضرب عليها حصاراً طويلاً سنة 648هـ/1249⁽¹⁾.

وتمكن المرينيون من بسط سيطرتهم على بلاد المغرب الأقصى، كما فرضوا سيادتهم على القبائل التي كانت تثير الشغب، كما حاولوا قدر الإمكان تجنب الصراع مع الحفصيين والإقرار بمذهب السنة ومذهب الإمام مالك⁽²⁾ عكس خصومهم الموحدين، سقطت دولتهم سنة 869هـ/1465م⁽³⁾.

الدولة الرابعة هي الدولة الحفصية، إذ تأسست بعد أن انفصل الوالي لأبوزكريا بن عبد الواحد الحفصي⁽⁴⁾ 625 - 647هـ/1228 - 1248م عن الدولة الموحدية، واستقل بحكم إقليم إفريقية سنة 625هـ/1228م⁽⁵⁾.

(1) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهية الأندلس وتاريخ العرب المتصرين، مكتبة الخانجي، ط4، (القاهرة، 1997م)، ص96.

(2) الإمام مالك: مالك بن أنس عالم بالدين، عربي الأصل، عاش بالمدينة، تلقى عن كثير من التابعين، كان محدثاً وفقهياً، يتحرى في الرواية، له كتاب الموطأ جمع فيه ما صح عنده من أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يأخذ في اجتهاده بالكتاب والسنة والإجماع والقياس، انتشر مذهبه في مصروفي أفريقيا والأندلس وبعض بلاد المشرق. محمد شفيق غريال: الموسوعة الميسرة، ص2990.

(3) محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م) - (869هـ/1465م)، دار القلم (الكويت، 1987م)، ص13 - 14.

(4) أبو زكريا بن عبد الواحد الحفصي: يحي بن عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص عمر الهنتاتي، الأمير أبو زكريا صاحب إفريقية وتونس، كان أبوه نائباً لآل عبد المؤمن على إفريقية، فلما توفي والده تغلب على إفريقية وتونس واشتغل عنه بنو عبد المؤمن بأنفسهم، مات بالعراف وهو نازل بجنده على بونة، آخر مدن إفريقية. الكتبي: فوات الوفيات والذيل عليها، 293/4 - 294.

(5) ابن خلدون: المصدر السابق، 380/6.

وقام بالزحف على قسطنطينية⁽¹⁾ سنة 628هـ/1231م، وتمكن من دخولها بعد حصارها، وولى عليها والياً من أتباعه، ثم اتجه نحو بجاية⁽²⁾ فدخلها، وكان انفصال إفريقية ليس ضربة قاصمة للدولة الموحدية فقط بقدر ما كان عاملاً جدياً في إضعاف الدولة الإسلامية في مواجهة النصارى⁽³⁾.

ثم لم يلبث حتى اندلعت في عهده اضطرابات وفتن في بلاد المغرب، ولكنه استطاع أن يصمد ضدها؛ قام بالاستيلاء على تلمسان⁽⁴⁾ سنة 639هـ/1240م، وبالتالي استطاع إخضاع الجزء الشرقي من بلاد المغرب الممتد

(¹) قسطنطينية: بضم أوله وفتح ثانية ثم نون وكسر الطاء وياء مثناة من تحت ونون أخرى بعدها ياء خفيفة وهاء: مدينة قلعة كبيرة وحصينة وهي من حدود إفريقية مما يلي المغرب. الحموي: المصدر السابق، 4/349.

(²) بجاية: بالكسر وتخفيف الجيم وألف وياء وهاء، مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب وقديماً كانت ميناء ثم بنيت مدينة.

الحموي: المصدر السابق، 1/339.

(³) محمد عنان: دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثالث عصر المرابطين الموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، مكتبة الخانجي، ط2، (القاهرة: 1990م)، ص380.

(⁴) تلمسان: بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة، وبعضهم يقول تتلمسان بالنون عوض عن اللام، بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان بناها الملمثون ملوك المغرب واسمها تافزرت. الحموي: المصدر السابق، 1/339.

من طرابلس⁽¹⁾ حتى بجاية، كما دانت له القبائل العربية وأرغمت على الاعتراف بسلطانه ووضع حداً لما تقوم به هذه القبائل من تمرد⁽²⁾.

الدولة الأخيرة هي بنو زيان (بنو عبد الواد) بتلمسان، ففي الوقت الذي ضعفت فيه دولة الموحيدين وتقلص نفوذها بشكل كبير في النصف الأول من القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي شهدت بلاد المغرب الأوسط تحركات بني عبد الواد، الذين كانوا يطمحون في الاستيلاء على تركة الموحيدين والتي منها تلمسان⁽³⁾.

وقد استطاعوا في بداية الأمر أن يكونوا إمارة خاضعة للموحيدين، وبعدها أعلنوا الانفصال، وأول حاكم لهذه الإمارة هو يغمر اسن⁽⁴⁾ بن زياد 633 - 681هـ/ 1234 - 1282م⁽⁵⁾.

(1) طرابلس: بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة ولام أيضاً مضمومة وسين مهملة، ويقال أطرابلس، وهي في الغرب، وطرابلس بالإغريقية والرومية ثلاث مدن وهي على شاطئ البحر وعليها سور صخري جليل البنيان. الحموي: المصدر السابق، 25/4.

(2) ابن الشماخ، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الأدلة البنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم بن محمد المعموري، دار العربية للكتاب (طرابلس الغرب، 1984م)، ص 58-60.

(3) ابن خلدون: المصدر السابق، 105/7.

(4) يغمر اسن: أبي يحيى يغمر اسن بن زيان مولده سنة 603 أو 605هـ، كان كريماً شجاعاً فاضلاً حليماً متواضعاً بويغ له بعد موت أخيه أبي عزة زيدان. ابن خلدون، أبي زكريا يحيى بن أبي بكر: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيبير بونطانة، (الجزائر، 1903م)، ص 110.

(5) زمباروا: المرجع السابق، 118/1.

فقد دخل في صراع ضد الحفصيين وزعيمهم أبو زكريا الحفصي بعد أن تحالف مع الموحيدين، إلا أن بنو زيان تراجعوا عن ذلك بعد هزيمتهم أمام الحفصيين سنة 640هـ/1241م وأسقطوا الخطبة للموحيدين واتفقوا على عداوة بني عبد المؤمن⁽¹⁾.

كما كانت العلاقة مع جيرانه المرينيين عدائية ولم يعرف المغرب الأوسط إلا فترة قليلة من حالات الهدوء بينهم⁽²⁾، فاستغل الخليفة الموحيدي أبو حفص عمر المرتضى⁽³⁾ 646 - 665هـ/1247 - 1266م هذا الصراع لصالحه، ووقف بجانب اسن ضد المرينيين⁽⁴⁾.

أما في الأندلس وفي عهد الفترة الأخيرة من السيادة الإسلامية كان هناك ملوك الطوائف⁽⁵⁾ وهو ما اصطلح عليه بالعهد الثالث ويوجد به ثلاث أسرآت حاكمة⁽¹⁾.

(1) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، 6/392.

(2) محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، ص216.

(3) عمر: المرتضى بن إبراهيم المومني تملك بعد عمه المعتضد وامتدت أيامه، دخل عليه مراکش ابن عمه أبو دبوس اللواتق بالله إدريس فاخنتى المرتضى وهرب فظفر به بعض نواب البلاد فقتلوه بأمر أبي دبوس. الذهبي: دول الإسلام، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت، 1985م)، ص370.

(4) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، 7/112.

(5) ملوك الطوائف: الطوائف في الاصطلاح: اسم دويلات أو إمارات إسلامية قامت على أرض الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية وانهيار حكومتها المركزية التي كانت تربط جميع الولايات الأندلسية الإسلامية مع بعضها البعض، بدأت فترة هذه الدويلات في أعقاب الفوضى التي رافقت سقوط دولة الخلافة في الأندلس بدأ من سنة 424هـ/1031م وقد زاد عددها في بعض الفترات عن عشرين إمارة ومقاطعة، أخذت بالتقلص والانحسار تباعاً أمام التكتل الغربي الذين بدأوا حرب

الأولى في مدينة منورقة⁽²⁾، وحاكمها هو أبو عثمان سعيد الحكم القرشي⁽³⁾
630 - 680هـ/1281 - 1232م⁽⁴⁾.

الأسرة الثانية هي بنو هود في مرسية⁽⁵⁾ وتتداول فيه السلطة عدد من
الحكام حتى سقطت في يد الفرنجة⁽⁶⁾.

كما حكمت هذه الأسرة مدينة بلنسية⁽¹⁾، إذ دخلت في سنة 626هـ/1229م
في طاعة محمد بن بيوسف بن هود⁽²⁾ 625 - 633هـ/1227 - 1235م، الذي

صليبية ضدها منطلقين من الجهة الإسبانية استمرت حتى سقوط دولة بني الأحمر في غرناطة
سنة 898هـ/1492م. مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية،
مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1996م)، ص308.

(¹) زامباور: المرجع السابق، 93/1.

(²) منورقة: بالفتح ثم الضم وسكون الواو وفتح الراء وقاف، جزيرة عامرة في شرقي الأندلس قرب
ميورقة.

الحموي: المصدر السابق، 216/5.

(³) أبوعثمان القرشي: من أهل طليطرة غرب الأندلس، نال الرياسة في منورقة بعد تفريق كلمة
الموحدين، له حظ جليل من رواية الحديث وقرض الشعر وحسن الخط، إلا أنه كان شديد القسوة
والعقاب، مستهيناً بالدماء وبعد وفاته تولى ابنه عمر. ابن الخطيب: أعمال الإعلام فيمن بوبع قبل
الاحتلام، ص ص275 - 276.

(⁴) قسمها زامباور في كتابه من ملوك الطوائف العهد الأول وأشار إلى أن حاكمها كان عامل
أرغونة. زامباور: المرجع السابق، 92/1.

(⁵) مرسية: بضم أوله والسكون وكسر السين المهمله وياء مفتوحة خفيفة وهاء، مدينة بالأندلس
من أعمال تدمير وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها، بناها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن
عبد الرحمن. الحموي: المصدر سابق، 107/5.

(⁶) زامباور: المرجع السابق، 93/1.

كان يحكم في نفس الوقت مرسية، إذ تصدى للجهاد ضد النصارى بعد تردي أوضاع دولة الموحدين، ودخل في حروب مع ملك قشتالة فرناندو الثالث⁽³⁾ 614 - 648هـ/1217 - 1252م، واستطاع أن يحقق النصر في بعض المعارك، إلا أنه خسر الكثير منها خاصة بعد أن توحدت الدول النصرانية مع بعضها البعض ضد المسلمين في ذلك الوقت بالذات⁽⁴⁾، ولم تلبث حتى سقطت في يد النصارى سنة 636هـ/1237م، في عهد زيان بن مردنيش⁽⁵⁾.

الأسرة الثالثة والأخيرة هي بنو الأحمر (بنو نصر) في غرناطة⁽⁶⁾ آخر معقل المسلمين في الأندلس، ومؤسسها هو أبو عبد الله محمد يوسف بن نصر⁽¹⁾

- (1) بلنسية: السين مهملة مكسورة وياء خفيفة، كورة ومدينة مشهورة بالأندلس وهي شرقي تدمير وشرقي قرطبة وهي برية بحرية ذات أشجار وأنهار. الحموي: المصدر السابق، 490/1.
- (2) محمد بن يوسف: بن نصر الجذامي بن هود الملقب بالمتوكل، فرص سيادته على مرسية وغرناطة واشبيلية والفة والميرية، قتل على يد عامله عبد الله الرميحي عامل غرناطة. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشد، ط5، (القاهرة، 2000م)، ص443.
- (3) فرناندو: ابن ملك ليون ألفونسو التاسع، ملك قشتالة منذ سنة 1217م حتى وفاته، وملك ليون منذ سنة 1230م بعد اندماج قشتالة وليون.
- (4) عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92 - 897هـ (711 - 1492م)، دار القلم، ط2، (دمشق، 1981م)، ص525.
- (5) زامباور: المرجع السابق، 93/1.
- (6) غرناطة: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم نون وبعد الألف طاء مهملة، ومعناها رمانة بلسان عجم الأندلس، وهي أقدم مدن كورة البيرة، من أعمال الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها، بينها وبين البيرة أربعة فراسخ وبينها وبين قرطبة ثلاث وثلاثون فرسخ.

630 - 671هـ/1232 - 1272م، إذ تمكن من بسط نفوذه على عدة مدن في وسط الأندلس بعد صراعه مع ابن هود، ولكن لم تتم مبايعته كأmir على غرناطة إلا سنة 635هـ/1237م⁽²⁾.

ولقد كانت هذه الفترة من أصعب الفترات التي مرت على المسلمين فقد بدأت مدن الأندلس تسقط الواحدة تلو الأخرى⁽³⁾، فقد سقطت قرطبة⁽⁴⁾ سنة 633هـ/1234م، ثم بلنسية 636هـ/1237م ثم اشبيلية⁽⁵⁾ 646هـ/1247م، إلا أن هذه المدينة استمرت لأكثر من قرنين ونصف، وكان خلال عهدهم يصارعون في ثلاث ممالك نصرانية قشتالة وأرغونة⁽⁶⁾ والبرتغال⁽¹⁾⁽²⁾.

(1) محمد بن يوسف: بن محمد بن أحمد بن نصر وينسب نفسه إلى سعد بن عبادة سيد الأنصار، نادي بنفسه رئيساً في قريته أرجونه، كان رجلاً جاداً مخلصاً حكيماً حسن التدبير ازدهرت مملكة غرناطة في أيامه ازدهاراً عظيماً. حسين مونس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص444.

(2) عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92 - 897هـ (711 - 1492هـ)، ص517.

(3) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، 4/228.

(4) قرطبة: بضم أوله وسكون ثانية وضم الطاء المهملة والباء الموحدة، وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط البلاد بينها وبين البحر خمسة أيام وهي حصينة بسور من حجارة ولها بابان. الحموي: المصدر السابق، 4/324.

(5) اشبيلية: بالكسر ثم السكون وكسر الباء الموحدة وياء ساكنة ولام وياء خفيفة، مدينة كبيرة ليس بالأندلس أعظم منها وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون فرسخاً قريبة من البحر، يطل عليها جبل الشرف وهو جبل كثير الشجر والزرع والفواكه. الحموي، المصدر السابق، 1/195.

(6) أرغونة: (أرغون) أو أرجونة: مملكة صغيرة في أسفل جبال ألبرت أي البرانس. حسين مونس: المرجع السابق، ص193.

وتعددت علاقة غرناطة بالنصارى في ذلك الوقت، فتارةً فترة من الهدوء وتارة أخرى علاقة معاهدات واتفاقيات وتارةً أخرى الصراع الذي لم يكونوا فيه يقاتلون بمفردهم بل يقف إلى جانبهم إخوانهم المسلمين من المجاهدين من المغرب بالإضافة إلى حلفائهم من الدولة المرينية حتى سقطت سنة 897هـ/1492م، بعد معاهدة مخزية ومذلة للمسلمين في يد الملك فرناندو الثاني⁽³⁾ 875 - معاهدة 948هـ/1479 - 1516م، والملكة إيزابيل⁽⁴⁾ 874 - 908هـ/1469 - 1504⁽⁵⁾.

القوى الثانية هم الكيان الصليبي في البلاد الإسلامية متمثل في مملكة بيت المقدس، التي تعود تبعيتها للإمبراطورية الرومانية، وهي تحت سلطة الملك

(¹) البرتغال: اشتقاق من اسم بورتو كالي وهي اثغر الواقع عند مصب نهر ذويرة. دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الأول عصر المرابطين وبداية الدولة الموحدية، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1990م)، ص 521 - 523.

(²) محمد المطوي: المرجع السابق، ص 243.

(³) فيرناندو: ابن الملك خوان الثاني ملك أراجون والملكة إنريكس، زوجته إيزابيلا، بعد ذلك أصبح يعرف بفرناندو الخامس، لقب بفرناندو الكاثوليكي. ينظر: محمد عنان: دولة الإسلام في الأندلس - العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ص 180 - 184.

(⁴) إيزابيل: زوجة الملك فرناندو الخامس، تتمتع بكثير من الذكاء والحزم، كاثوليكية متعصبة، تولت الحكم بعد وفاة أخيها هنري.

محمد عنان: المرجع السابق نفسه، ص 181 - 184.

(⁵) عبد الرحمن الحجي: المرجع السابق، ص 568.

كونراد الثاني⁽¹⁾ 626 - 652هـ/1228 - 1254م بالاشتراك مع الملك فريديريك الثاني المتوج غير الشرعي⁽²⁾.

ثم إمارة طرابلس⁽³⁾ وهي تحت نفوذ بوهمند (الرابع) 598 - 631هـ/1201 - 1233م وبعد ذلك خليفته بوهمند (الخامس) 631 - 649هـ/1233 - 1251م.

الإمارة الثانية هي انطاكية⁽⁴⁾ والتي تتبع أيضاً بوهمند الرابع، والذي دخل في صراع عنيف مع ليو (الثاني) 583 - 616هـ/1187 - 1119م ملك أرمينيا المطالب بحق ريموند روبين 613 - 616هـ/1216 - 1219م حاكم انطاكية⁽⁵⁾ وبعض المدن كبيروت⁽⁶⁾، وصور⁽¹⁾، وصيدا⁽²⁾، وحيفا⁽³⁾، وعكا⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ كونراد الثاني: يعرف ملك القدس باسم كونراد الثاني 1228 - 1254م وملك ألمانيا باسم كونراد الرابع 1237 - 1254م وملك صقلية باسم كونراد الأول 1250 - 1254م. حسين محمد عطية: إمارة انطاكية الصليبية والمسلمون 1171 - 1268م/567 - 666هـ، تقديم جوزيف نسيم يوسف. بيتر وليام إديبوري، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1989م).

⁽²⁾ محمد طقوش: تاريخ الحروب الصليبية، ص606.

⁽³⁾ طرابلس: وهي في الشام في الإقليم الرابع.

⁽⁴⁾ أنطاكية: بالفتح ثم السكون والياء مخففة، من الثغور الشامية، موصوفة بطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير.

الحموي: المصدر السابق، 1/267.

⁽⁵⁾ نهى فتحى الجوهري: إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع

الهجري، تقديم محمد مؤنس عوض، دار العالم العربي (القاهرة، 2008م)، ص62 - 69.

⁽⁶⁾ بيروت: بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو والتاء فوقها نقطتان، مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق بينها وبين صيدا ثلاثة فراسخ. الحموي: المصدر السابق، 525/1.

بالإضافة إلى بعض القلاع كقلعة عثليت⁽⁵⁾، والخضراء، قلعة مدينة قيسارية⁽⁶⁾، وقلعة عرقة⁽⁷⁾، وحلباء، والقيعا⁽⁸⁾⁽⁹⁾، وقلعة القرين أو مونفورو⁽¹⁰⁾، وهي

- (¹) صور: يضم أوله وسكون ثانيه وآخره راء وهي في الإقليم الرابع مطلة على بحر الشام وهي حصينة جداً. الحموي: المصدر السابق نفسه، 433/3.
- (²) صيدا: بالفتح ثم السكون والذال المهملة والمد، مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ستة فراسخ في الإقليم الرابع. الحموي: المصدر السابق، 437/3.
- (³) حيفا: كأنه تأنيث غير ممدود، حصن على ساحل بحر الشام قرب يافا. الحموي: المصدر السابق، 332/2.
- (⁴) محمود سعيد عمران: الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دي برين على مصر، دار المعارف، (القاهرة، 1985م)، ص368.
- (⁵) قلعة عثليت: بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر لامه وياء مثناة من تحت ساكنة وطاء مثناة أخرى، اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر. الحموي: المصدر السابق، 85/4.
- (⁶) قيسارية: بالفتح ثم السكون وسين مهملة وعبد الألف راء ثم ياء مشددة، بلد على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. الحموي: المصدر السابق، 421/4.
- (⁷) قلعة عرقة: قلعة على جبل، وعرقة بكسر أوله وسكون ثانيه وهو مؤنث المذكور آنفاً، بلدة في شرقي طرابلس الشام بينهما أربعة فراسخ وهي في سفح جبل بينها وبين البحر نحو ميل. الحموي: المصدر السابق، 109/4.
- (⁸) القليعات: بكسر العين ثم ياء ساكنة وطاء مثناة من فوق: موضع كثير المياه. الحموي: المصدر السابق، 391/4.
- (⁹) سعدون نصر الله: رحيل الصليبيين عن الشرق، ص96.
- (¹⁰) قلعة القرين أو مونفورو: تقع على الضفة الغربية لنهر الجليل وعلى الجبال الواقعة شمال شرق عكا، وهي أهم قلاع هيئة التيتون في بلاد الشام وجاءت هذه القلعة بعدة أسماء في المراجع الأجنبية منها Montfort، أما المصادر العربية فقد ذكرتها باسم قلعة القرين، وكانت هذه القلعة مشيدة على نمط قلاع أوروبا العصور الوسطى، كما أنها شيدت على مرحلتين، ففي القرن الثاني

بين صور وعكا وتبعتها للفرسان التيتون⁽¹⁾⁽²⁾، إضافة إلى ذلك الحصون المتناثرة هنا وهناك كحصن المرقب⁽³⁾، ومريقة التابع للاسبتاريين⁽⁴⁾، وهذه كلها يحكمها بعض الأمراء والبارونات.

ولكنها لم تتمكن من إقامة كيان سياسي يضم هذه الممتلكات الصليبية كلها تحت سلطة واحدة، وهذا ما فشل فيه الفرنجة على مدى إقامتهم في الفترة من

عشر كانت عبارة عن قلعة صغيرة ثم قامت بعض فرق الجيش الذي صاحب الملك فريدريك الثاني بتقويتها سنة 1227م. نبيلة إبراهيم مقامي: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة الكتاب الجامعي، (القاهرة، 1994م)، ص 169 - 170.

(¹) الفرسان التيتون: الهيئة نشأت سنة 1190م على يد بعض الحجاج الألمان الذين وجدوا في المعسكر الصليبي أثناء حصار عكا، بهدف تقديم العلاج والعون للجرحى الألمان الذين عجزوا عن التفاهم بلغة الصليبيين السائدة حينذاك وهي الفرنسية.

ينظر: نبيلة مقامي: فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، ص 160.

(²) نبيلة مقامي: المرجع السابق، ص 170.

(³) المرقب: بالضم ثم السكون والقاف وباء موحدة بلد وقلعة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بلنيس.

الحموي: المصدر السابق، 108/5.

(⁴) الاسبتاريين: طائفة من الفرسان الصليبيين نشأت منذ فجر الحروب الصليبية، وبدأ أول الأمر على هيئة جمعية هدفها العناية بمرضى الصليبيين، وإيواء الحجاج ورعايتهم وطبقت مبادئ النيرية البندكتية في فلسطين ولم تلبث أن تخلت عن تبعتها للبندكتية وانتمت للبابوية مباشرة ثم تطورت واكتسبت صفة حربية وارتدى أصحابها زي الرهبان وأخذوا يقاتلون من على ظهور الخيل كالفرسان تماماً ونذروا أنفسهم لقتال المسلمين منذ سنة 531هـ/1137م وأسهمت مع طائفة الداوية في حماية كيان الصليبيين في الشام طوال أكثر من قرن من الزمان. سعيد عبد الفتاح عاشور: الحركة الصليبية، 500/1.

سنة 491 - 689هـ/1097 - 1291م، بسبب أنّ هذه المناطق التي احتلها متفرقة ومتباعدة، أضيف إلى ذلك وجود أراضي إسلامية فاصلة بين مستوطناتهم الصليبية⁽¹⁾، علاوة على ذلك المنازعات بين الفرنجة أنفسهم⁽²⁾.
 وخلال الفترة الممتدة من سنة 627 - 642هـ/1228 - 1243م وقعت في فلسطين حرب اللونغوبارديين⁽³⁾ وهذا الصراع بين الملك فريدريك الثاني الصادر في حقه قرار حرمان من قبل البابا جريجوي التاسع⁽⁴⁾ 625 - 639هـ/1227 - 1241م وخصومه من البارونات المحليين في بلاد الشام، ولم تنته هذه الحروب إلا بخروج بيت المقدس من قبضة الصليبيين وعودته إلى المسلمين من جديد سنة 642هـ/1243م⁽⁵⁾.

(1) أحمد الشامي: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1985م)، ص192.

(2) أرنتس باركر: الحروب الصليبية، نقله إلى العربية السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ط2، (بيروت، د.ت)، ص118.

(3) اللونغوبارديين: مجموعات مرتزقة من ألمانيا وإيطاليا تابعة للإمبراطور فريدريك الثاني من

مقاطعة بيزنطية سابقة تدعى لونغوبارديا، والتي لم تكن مطلقاً من اللومبارديين. هانس ابرهارد ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق عماد الدين غانم، (اللاذقية، 2008م)، ص444.

(4) جريجوري التاسع: تولى البابوية بعد وفاة هنريوس الثالث، رغم أنه كان طاعناً في السن إلا أنه امتاز بإرادة قوية، شهد فترة حكمه توجيه الحملة الصليبية السادسة، كما شهد فترة النزاع بين

البابوية والإمبراطورية. سعيد عاشور: تاريخ أوروبا العصور الوسطى، 1/395 - 396.

(5) ينظر: هانس ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ص444 - 450.

القوى الثالثة في العالم الإسلامي بعد الدولة الإسلامية هي التتار⁽¹⁾، فقد كان المشرق الإسلامي في حالة شديدة من الضعف ويسيطر على جزء كبير من ملوكه المنازعات والأهواء الشخصية، ولم يدرك الحكام المسلمون سواء الخلافة العباسية في بغداد أو حكام الدول الإسلامية خطر التتار إلا بعد أن أغارت هذه الجيوش على الدولة الخوارزمية⁽²⁾.

فبعد موت جنكيز خان⁽³⁾ 603 - 624هـ/1206 - 1227م، تولى الحكم بعده ابنه اوكتاي⁽⁴⁾ 626 - 637هـ/1229 - 1241م، واستمر في الهجوم على الدولة الإسلامية متبعاً سياسة والده، واستطاعت جيوشه من القضاء على جلال الدين منكبرتي سنة 628هـ/1230م بعد أن علموا بكسرتة أمام الملك الأشرف

(1) كان أول ظهور لهم وخروجهم من بلادهم إلى بلاد الإسلام سنة 617 هـ/1220م. ابن الأثير: المصدر السابق، ص 1903.

(2) حسن إبراهيم: المرجع اسابق، 4/134.

(3) جنكيز خان: معناه القوي الجبار وهو الاسم الذي أطلقه هذا الزعيم لنفسه عقب انتصاره على القبائل المغولية والقبائل الأخرى المجاورة، أما اسمه الحقيقي فهو تيموجن ولد سنة 549هـ/1154م. النسوي: سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص 39.

أما "خان" لقب أطلقه المغول على رؤسائهم الذين يتولون جزءاً من الإمبراطورية المغولية وهو يختلف عن لقب خاقان الذي أطلقوه على الرئيس الأعلى لدولتهم، ومعناه الخان الأعظم، وقد استعمل المغول لقب خان أيضاً بمعنى خاقان، وربما كان ذلك من باب الرغبة في الاختصار. فؤاد الصياد: المغول في التاريخ، كذلك ينظر: الصفدي: المصدر السابق، 11/152 - 154.

(4) اوكتاي: ولي عهد والده جنكيز خان وخليفته من بعده، نال قسماً من المملكة في فترة حكم والده تمثل في جبال تار باجاي وأطراف بحيرة الأجول وحوض نهر ايميل غربي منغوليا، تولى الحكم بعد أن ظل العرش خالياً لمدة عامين بعد وفاة والده.

فؤاد الصياد: المرجع السابق، 1/164 - 165.

الأيوبي فقاموا بملاحقته والقضاء على دولته كما تقدم؛ فقد تمكنوا من القضاء على أكبر منافس لهم، فواصلوا تقدمهم واستطاعوا أن يهجموا على بقية العالم الإسلامي بسهولة ويعيثوا في الأرض فساداً، واحتلوا إربل وقتلوا عدداً كبيراً جداً من المسلمين⁽¹⁾.

واتجهوا بعد ذلك إلى مدينة مراغة⁽²⁾، وبعد حصارهم لأهلها أمنوهم على أنفسهم فأذعنوا لهم إلا أن التتار غدروا بهم ودخلوا المدينة، ثم تقدموا باتجاه بدليس⁽³⁾، فقتلوا من فيها كما استولوا على بعض القلاع المحيطة بخلاط، وكانوا كلما يدخلون إلى مكان ويقتلوا أهله وينهبوه، حتى ألقى الله الرعب في قلوب المسلمين منهم⁽⁴⁾.

ثم تقدموا حتى وصلوا شهنور⁽⁵⁾ سنة 626هـ/1229م، عندها أخرج إليهم الخليفة العباسي المستنصر بالله جيشاً فترجعوا⁽⁶⁾.

كما أرسل خاقان⁽¹⁾ التتار أوكتاي في سنة 638هـ/1240م رسالة إلى ملك ملك ميفارقين المظفر شهاب الدين غازي⁽²⁾ 617 - 642هـ/1220 - 1244م

(1) ابن الأثير: المصدر السابق، ص 1945.

(2) مراغة: بالفتح والغين المعجمة، بلدة مشهورة عظيمة من أشهر بلاد أذربيجان. الحموي: المصدر السابق، 93/5.

(3) بدليس: بالفتح ثم السكون وكسر اللام وياء ساكنة مهملة، بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط، ذات بساتين كثيرة. الحموي: المصدر السابق، 358/1.

(4) ابن واصل: المصدر السابق، 320/4.

(5) شهنور: أو شهرزور، كورة واسعة في الجبال بين أربل وهمدان، بها قرى ومدن، أهلها أكرد. القزويني: المصدر السابق، ص 397.

(6) سبط ابن الجوزي، المصدر السابق، 132/13.

يدعوه فيها إلى الدخول في طاعته⁽³⁾، وكان هذا تهديد صريح وقوي وإيذاناً ببداية خطر التتار على الدولة الأيوبية، وبعد موت اوكتاي اضطربت أحوال المغول واختلّفوا على من يخلفه⁽⁴⁾، كما توجه جيش آخر من التتار نحو مدينة تبريز⁽⁵⁾، فسلمت دون مقاومة، ثم عادوا من جديد إلى الجزيرة وحران وقتلوا وسبوا؛ عندها اجتمع الملك الكامل مع أخيه الملك الأشرف على قتالهم فرجع التتار منسحبين⁽⁶⁾، وواصلوا زحفهم حتى وصلوا مدينة سامراء⁽⁷⁾، وأصبحوا قريبين جداً من بغداد فاستعد الخليفة ودعا للجهاد وخرجت الجيوش واستطاعت أن تلحق بهم هزيمة عظيمة⁽⁸⁾.

(1) خاقان: لقب أطلقوه المغول على الرئيس الأعلى لدولتهم ومعناه الخان الأعظم وقد استعملوه خاقان بمعنى خان وهو الرئيس الذي يتولى جزء من الإمبراطورية المغولية. النسوي: المصدر السابق، ص38.

(2) شهاب الدين غازي: بن الملك العادل ملك ميافارقين وأعمالها، وبعد وفاته ملك ابنه الكامل ناصر الدين محمد. ابن ابيك: المصدر السابق، 7/357.

(3) ابن كثير، المصدر السابق، 15/230.

(4) فؤاد صياد: المرجع السابق، 1/194.

(5) تبريز، بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر الراء وياء ساكنة وزاي، أشهر مدن أذربيجان مدينة عامرة ذات أسوار محكمة وفي وسطها عدة أنهار جارية. الحموي: المصدر السابق، 2/13.

(6) ابن تغري: النجوم الزاهرة، 6/247 - 248.

(7) سامراء: مدينة كانت بين بغداد ونكرت على شرقي دجلة وهي في الإقليم الرابع. الحموي: المصدر السابق، 3/173.

(8) ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط وحقق وعلق عليه محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، (دمشق، د.ت)، 5/170.

واصطدم التتار بسُلطان الروم غيئات الدين كيخسروا واستولوا على مدينته ارزان⁽¹⁾ التي سقطت في أيديهم سنة 641هـ/1242م فنهبوا وقتلوا الكثير⁽²⁾. كما هجموا على بغداد سنة 643هـ/1244م، فخرجت جيوش الخليفة المستعصم بالله للتصدي لهم مرة ثانية فرجعوا منهزمين⁽³⁾. وعندما انعقد مجلس القوريلتاي⁽⁴⁾ سنة 644هـ/1246م على ضفاف بحرات منغوليا⁽⁵⁾، اتفق الحاضرون على توليه كيوك⁽⁶⁾ 644 - 1246هـ/1246 - 1248م خانا أعظم للمغول⁽⁷⁾. ويجب الإشارة إلى أن أثناء انعقاد هذا المجلس وصلت إلى المغول سفارات دول غربية ونواب عن البابا انوسنت الرابع، وبالتحديد ما بين سنتي 644 - 645هـ/1245 - 1246م، فقد أرسل البابا سفارتين إلى الخان الكبير في

(1) ارزان: ذكرها القزويني أرزن الروم بدون الألف، وهي مدينة مشهورة من مدن أرمينية بالقرب من خلاط قديمة البناء بينها وبين خلاط موضع يسمى ياسي جمن وبها عين ماء مشهورة. القزويني: المصدر السابق، ص494.

(2) أبوالفداء: المصدر السابق، 171/3 - 172.

(3) ابن واصل: المصدر السابق، 354/5.

(4) القوريلتاي: مجلس يضم جميع الأمراء، وتقام فيه المراسيم التقليدية عند أمراء المغول.

(5) منغوليا: منطقة اسميوية تقع بين مقاطعة سنكيانج بالصين غرباً ومنشوريا شرقاً، وبين سيبيريا شمالاً وسور الصين جنوباً، وهي هضبة عالية تتوسطها صحراء جوبي، أسس فيها المغول إمبراطورية كبيرة بزعامة جنكيز خان. محمد غربال: الموسوعة الميسرة، ص3247.

(6) كيوك: تولى بعد وفاة أبيه، بعد دعم من والدته توراكيئا خاتون، على عكس والده كان مغامراً محارباً، ميالاً إلى الغزو. فؤاد الصياد: المرجع السابق، 195/1 - 198.

(7) فؤاد الصياد: المرجع السابق، 197/1.

منغوليا يعرض عليه فيها اعتناق الديانة المسيحية كذلك استعدادهم لقيام تحالف ضد الدولة الإسلامية عامة والأبوية بصفة خاصة⁽¹⁾.

وبحلول سنة 645هـ/1246م كان التتار قد انتشروا في الشرق كله وأصبح الجميع يخشاهم ويحسب لهم ألف حساب⁽²⁾.

الخاتمة

لقد كانت فترة القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي من أخطر الفترات في تاريخ الدولة الإسلامية على الإطلاق إذ تعين على المسلمين أن يلتزموا جانب الدفاع إزاء الهجوم الذي كانوا يتعرضون له من الشرق والغرب على السواء، ففي الوقت الذي كانت فيه جحافل التتار تستبيح بلدان المشرق الإسلامي وبوادر الحملة الصليبية السابعة تلوح في الأفق، كانت الأندلس تتراجع أمام الهجوم النصراني، حيث كانت دويلاته تسقط الواحدة تلو الأخرى.

كما نلاحظ أن الأحوال الاقتصادية والاجتماعية كان لها دور في مجيء الصليبيين للبلاد الإسلامية في فترات مختلفة.

(1) ستيفن رنسيان: تاريخ الحروب الصليبية، القسم الثاني، 446/3 - 447.

(2) ابن ابيك: المصدر السابق، 362/7.

قائمة المصادر والمراجع

- * ابن الشماخ، أبو عبد الله محمد بن أحمد: الأدلة البنية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق وتقديم بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب (طرابلس الغرب، 1984م).
- * ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد: زبدة الحلب من تاريخ حلب، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية (بيروت، 1996م).
- * ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط وحقق وعلق عليه محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، (دمشق، د.ت).
- * ابن تغري: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة.
- * ابن شاکر الکتبی، محمد بن أحمد: فوات الوفيات والذیل علیها، تحقیق إحسان عباس، دار صادر (بيروت، د.ت).
- * ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، حققه حسنين محمد ربيع راجعه وقدمه سعيد عبد الفتاح عاشور (دم، د.ت).

- * أبي شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي: عيون الروضتين في أخبار الدولتين، النورية والصالحية، حققه أحمد البيسومي دار التراث العربي (دمشق، 1992م).
- * أحمد الشامي: تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، (القاهرة، 1985م)
- * أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء، تحقيق وتعليق: جعفر الناصر ومحمد الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء، 1954م).
- * آرنست باركر: الحروب الصليبية، نقله إلى العربية السيد الباز العريني، دار النهضة العربية، ط2، (بيروت، د.ت).
- * الذهبي: دول الإسلام، منشورات مؤسسة الأعلامي للمطبوعات، (بيروت، 1985م).
- * الذهبي، الحافظ شمس الدين تهذيب سير أعلام النبلاء، تحقيق محمد بن حسن بن عقيل، دار الأندلس الخضراء، ط2 (جدة، د.ت).
- * السيد الباز العريني: الشرق الأدنى في العصور الصليبية (الأيوبيون) دار النهضة العربية (القاهرة، د.ت).

- * العيني، بدر الدين محمود حنفي: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق ودراسة محمود رزق محمود، دار الكتب والوثائق القومية، ط2 (القاهرة، 2007م).
- * القرمانى، أحمد بن يوسف: أخبار الدور وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد، عالم الكتب (بيروت، 1992م).
- * القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي: صحح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1922م) 432/3.
- * النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قميحة (دم، د.ت).
- * جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، راجعها وعلق عليها، حسن مونس، دار الهلال، ط3 (القاهرة، د.ت).
- * جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على بلاد الشام هزيمة لويس التاسع في الأراضي المقدسة، دار المعرفة الجامعية، ط4 (الاسكندرية، 1989م).
- * حامد زيان غانم زيان: الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية، دار الثقافة للنشر والتوزيع (القاهرة، 1983م).

- * حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس 447-656هـ/1055-1255م، مكتبة النهضة المصرية، ط14 (القاهرة، 1996م).
- * حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ط5، (القاهرة، 2000م).
- * حمدي عبد المنعم محمد حسين: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 2000م).
- * خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط5، (بيروت، 1980م).
- * زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ترجمة زكي حسن بك وآخرون، دار الكتب والوثائق القومية، ط2، (القاهرة، 2008م).
- * سعدون عباس نصر الله: رحيل الصليبيين عن الشرق في العصور الوسطى، دار النهضة العربية (بيروت، 1995م).
- * عادل عبد الحافظ حمزة: العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 2001م).

- * عبد الرحمن علي الحجى: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة 92 - 897هـ (711 - 1492م)، دار القلم، ط2، (دمشق، 1981م).
- * عصام محمد شباروا: السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري، السلاجقة والأيوبيين (447-648هـ - 1055-1250م)، دار النهضة العربية (بيروت، 1994م).
- * عفاف سيد صبره: التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية، دار الكتاب الجامعي (القاهرة، 1987م).
- * فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية (بيروت، 1980م).
- * قاسم عبده قاسم، علي السيد علي: الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، 1996م).
- * لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني: أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال، تحقيق وتعليق أ. ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، (بيروت، 1956م).
- * محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب

- المنتصرين، مكتبة الخانجي، ط4، (القاهرة، 1997م).
- * محمد عنان: دولة الإسلام في الأندلس - العصر الثالث عصر المرابطين الموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، مكتبة الخانجي، ط2، (القاهرة: 1990م).
- * محمد عيسى الحريري: تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ/1213م) - (869هـ/1465م)، دار القلم (الكويت، 1987م).
- * محمد مصطفى زيادة: حملة لويس التاسع على مصر، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية (القاهرة، 1961م).
- * محمود سعيد عمران: الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دي برين على مصر، دار المعارف، (القاهرة، 1985م).
- * مصطفى عبد الكريم الخطيب، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1996م).
- * نهى فتحي الجوهري: إمارة طرابلس الصليبية في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، تقديم محمد مؤنس عوض، دار العالم العربي (القاهرة، 2008م).

النفس الإنسانية عند الفارابي

إعداد: أ. سالمة إشتيوي ناجي

المخلص :

تعتبر فلسفة الفارابي ذات طابع فلسفي إسلامي، وهو طابع التوفيق بين الدين والفلسفة فهو أكثر الفلاسفة اهتماماً بفلسفة أفلاطون وأرسطو، ولقد حاول إثبات أنهما لا يختلفان في حقائق الأشياء وإنما خالفهما في المنهج والأسلوب.

ولهذا فإن الفارابي تغلب على فلسفته الطابع الأرسطي، ولذلك فإن مذهبه في النفس يشبه إلى حد كبير مذهب أرسطو حيث كان يرتب النفوس حسب مراتب الوجود، فالنفس الإنسانية على اختلاف قواها تظهر في اتصال قواها بعضها ببعض، وترتيباً يظهر رئاسة بعضها على بعض بحيث تكون الناطقة أعلاها والغادية أدناها، وكما أهتم الفارابي بالبحث عن قوة العقل؛ لأنها تميز الإنسان باعتباره كائناً مفكراً عن غيره من الموجودات، فيتدرج في قوى العقل إلى أن يصل إلى العقل الفعال الذي هو الغاية التي يسعى نحوها الكمال.

Abstract:

Al-Farabi's philosophy is of an Islamic philosophical nature, which is the nature of reconciling religion and philosophy, as he is the most interested philosopher in the philosophy of

Plato and Aristotle, and he tried to prove that they do not differ in the facts of things, but rather in their method and method. For this reason, Al-Farabi overcame the Aristotelian character in his philosophy, and therefore his doctrine of the soul is very similar to the doctrine of Aristotle, where he arranged souls according to the ranks of existence. And Ghadia is the lowest, and as Al-Farabi cared about the search for the power of the mind; Because it distinguishes the human being as a thinking being from other beings, so he graduates in the powers of the mind until he reaches the active mind, which is the goal towards which perfection seeks.

المقدمة:

تعتبر فلسفة الفارابي ذات طابع فلسفي إسلامي، وهو طابع التوفيق بين الدين والفلسفة فهو أكثر الفلاسفة اهتماماً بفلسفة أفلاطون وأرسطو، ولقد حاول إثبات أنهما لا يختلفان في حقائق الأشياء وإنما خلافاً في المنهج والأسلوب.

ولهذا فإن الفارابي تغلب على فلسفته الطابع الأرسطي، ولذلك فإن مذهبه في النفس يشبه إلى حد كبير مذهب أرسطو حيث كان يرتب النفوس حسب مراتب الوجود، فالنفس الإنسانية على اختلاف قواها تظهر في اتصال قواها بعضها ببعض، وترتيباً يظهر رئاسة بعضها على بعض بحيث تكون الناطقة أعلاها والغادية أدناها، وكما أهتم الفارابي بالبحث عن قوة العقل؛ لأنها تميز الإنسان باعتباره كائناً مفكراً عن

غيره من الموجودات، فيتدرج في قوى العقل إلى أن يصل إلى العقل الفعال الذي هو الغاية التي يسعى نحوها الكمال.

فالعقل الفعال مصدر كل أنواع المعرفة لدى الإنسان سواء أكانت حسية أو عقليه، فالعقل الإنساني لا يحصل علي المعرفة باجتهاده وحسب، بل بإشراق العقل الفعال على العقل الإنساني فلولا هذا النور الخاص بالعقل الفعال لما تحصل الإنسان على العلم والمعرفة.

أهداف البحث:

- 1- دراسة النفس الإنسانية.
 - 2- معرفة قوى النفس.
 - 3- الكشف عن اتصال البدن بالجسد.
 - 4- معرفة أنواع العقل وكيفية اتصاله بالعقل الفعال.
- إشكالية الدراسة:

هل النفس تفنى بفناء الجسد أو أن النفس سعادتها وكمالها في أن تصبح عالماً معقولاً؟

منهج الدراسة:

اعتمدت في دراسة هذا الموضوع المنهج التحليلي لتحليل قضية النفس واستنباط النتائج العلمية بعد وضع الحلول للمشكلة المطروحة في البحث.

تقسيمات البحث : يتكون من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة حيث تناولت بيان موضوع البحث، وأهداف البحث، ومشكلته الرئيسية والمنهج المتبع في الدراسة.

المبحث الأول: تحدثت فيه عن حياة الفيلسوف.

المبحث الثاني: خصصته لتعريف النفس الإنسانية والبحث في أنواع قوى النفس وبيان تمايزها عن بعضها البعض، وكما يبحث عن علاقة النفس بالبدن.

المبحث الثالث: يتحدث عن درجات العقل.

أما الخاتمة فتتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، وأخيراً قائمة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث.

أولاً: حياته : (اسمه - لقبه - كنيته)

أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابي ولد في مقاطعة فاراب بتركستان سنة (257 هـ / 870 م وتوفي سنة 339 هـ / 950 م) درس المنطق والفلسفة واللغة والطب والرياضيات والموسيقى، وقام بعدة أسفار وتوفي في دمشق⁽¹⁾

ونظراً للمكانة العلمية التي كانت تحتلها بغداد كمصدر من مصادر إشعاع الثقافة والعلم، فقد توجه إليها الفارابي لكي يكون نفسه علمياً وفكرياً، حيث بدأ تلقى العلوم والمعارف على أيدي كبار المفكرين والعلماء.

وكان الفارابي ميالاً للعزلة زاهداً في متاع الدنيا ميالاً إلى حياة الفكر والتأمل، وقد علل الشيخ مصطفى عبد الرزاق سبب اعتزال الفارابي للناس بقوله (الفارابي إنما كان يعتزل الناس، ويؤثر الوحدة لما رأى أن أمر النفس وتقويمها أول ما يبتدىء به الإنسان، حتى إذا احكم تعديلها وتقويمها ارتقى منها إلى تقويم غيرها)⁽²⁾

كما ترجع مكانته العلمية إلى أنه أنشأ مذهباً فلسفياً وكما لقب بالمعلم الثاني لأنه خير المفسرين للمنطق الأرسطي؛ ولأنه أيضاً أول من أهتم من المسلمين بإحصاء العلوم⁽³⁾ ولقد ترك الفارابي أثراً للذين جاءوا بعده، وقد أطلق عليه هذا اللقب بوجه

¹ - جورج طرابيشي - معجم الفلاسفة - دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت - ط 3 2006م - ص 449

² - رجاء أحمد علي - الفلسفة الإسلامية - دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة - عمان - ط 1 - 2012م - ص 32

³ - المهدي الصابري - الفلسفة الإسلامية - المركز الوطني للتعليم - بدون ط - 2001م - ص 71

خاص بسبب شروحه المتعددة على مؤلفات أرسطو* الملقب بالمعلم الأول، وهذه الشروح التي لا ينقصها الوعي والفهم، تدل على عقلية فلسفية وعالمة ومطلعة على علوم السابقين.

ويعتبر الفارابي المؤسس الحقيقي للفلسفة الإسلامية (فهو أول من حاول فصل الفلسفة عن علم الكلام، فوضع لها الأساس الثابت وأقام لها البناء الضخم الذي ظل يؤثر في الفكر في جميع العصور الإسلامية كانت أو مسيحية)⁽¹⁾ ولذلك نجد الفلاسفة تربطهم رابطته قرابة في الفكر والرأي.

يعد الفارابي فيلسوف المسلمين الأول وذلك نظراً للمكانة التي احتلها الفارابي والدور الذي قام به في نهضة الفلسفة الإسلامية وأثناء الدراسات الفلسفية، وما قام به من نقل الفلسفة اليونانية إلى العربية سواء بالشرح، التحليل، والنقد، والتعليق، والتلخيص، والتفسير⁽²⁾

*- أرسطو ولد في ستافرو سنة (384 ق.م - 322 ق.م) ويعتبر أعظم نوابغ النظر العقلي في

تاريخ الفكر اليوناني وأهم مؤلفاته "الأرغانون- كتاب الخطابة- كتاب ما بعد الطبيعة" (جورج

طرابيشي - معجم الفلاسفة- مرجع سبق ذكره ص52-56)

¹- محمد عبد الرحمن مرحبا- خطاب في الفلسفة العربية الإسلامية- مؤسسة عزالدين للطباعة

والنشر والتوزيع- بيروت- بدون ط - 1993 م- ص91

1- ²- فيصل بديرعون - الفلسفة الإسلامية في المشرق- دار الثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة-

بدون ط- 1980م- ص193

*- أفلاطون ولد سنة (427 ق.م- 347 ق.م) يعتبر أعظم فيلسوف في العصور القديمة وقد

تتلمذ علي يد سقراط وأسس مدرسته التي عرفت بالأكاديمية وترك لنا أفلاطون بعض المحاورات

وللفارابي منبعين أساسيين يستمد منها فلسفته: الأول الإسلام، والثاني الفلسفة اليونانية المتمثلة بأفلاطون* وأرسطو وأتباع المدرسة الأفلاطونية الجديدة المتمثلة بأفلوطين**⁽¹⁾

والفارابي يعتبر مؤسس الفلسفة بمعناها اليوناني الواسع في الثقافة الإسلامية، أما تأثيره بالفلسفة اليونانية يتمثل في ثلاثة اتجاهات فهو (من جهة تلميذ لأفلاطون في الأخلاق والسياسيات والالهيات، ومن جهة ثانية ذو نزعة أرسطية في المنطق والطبيعات وفي مبادئ ما بعد الطبيعة، ومن جهة ثالثة تابع للمدرسة الأفلاطونية الجديدة في نظرية الخلق والصدور)⁽²⁾ ولقد كان تأثير الفارابي وموقفه من الفلسفة اليونانية يتدرج ضمن إطار الموقف الإيجابي ومدى اطلاعه على الإرث اليوناني ومدى قدرة العقل على التوصل إلى الحقيقة واليقين .

وكان للفارابي شأن في فن الموسيقى وكان غرضه شأن غيره من فلاسفة مدرسته (أن يحيط بجميع العلوم ويظهر أنه عالماً بالرياضيات بارعاً وطبيباً، وكتب كذلك

منها " الجمهورية- السياسي- القوانين- ونظرية المثل" (جورج طرابيشي - معجم الفلاسفة- مرجع سبق ذكره ص71-72)

**أفلوطين فيلسوف يوناني ولد سنة (203 ق.م- 270 ق.م) فقد كان مصرياً ويونانياً بتأثير الثقافة الشرقية ومن أهم مؤلفاته "الفلسفة كتعقل للعالم- نقد التجربة الخالصة- التصور الإنساني للعالم" (جورج طرابيشي - معجم الفلاسفة- مرجع سبق ذكره ص76)

¹ - أحمد شمس الدين -الفارابي حياته وفلسفته- دار الكتب العلمية بيروت- ط1- 1990م- ص96

² - المصدر نفسه ص- 97

في العلوم الخفية، كما كان إلى جانب هذا موسيقياً وكما له رسالة عن نظرية الموسيقى الشرقية، وقد أثارت عبقريته أعجاب سيف الدولة⁽¹⁾

إن طابع فلسفته الإسلامية هو طابع التوفيق بين الدين والفلسفة وما جمع بين رأى الحكيمين "أفلاطون وأرسطو" إلا التوفيق بين الدين والفلسفة، فالفلسفة أصبحت واحدة لا اختلاف في معانيها وإنما هي والدين شيء واحد.

ويقول الفارابي (وادعو أن بين الحكيمين المقدمين اختلافاً في أثبات المبدع الأول، وفي أمر النفس والتعلل، وفي كثير من الأمور المدنية والخلقية وأردت أن أشرع في الجمع بين رأييهما ليظهر الاتفاق بين ما كان يعتقدانه، ويزول الشك والارتياب عن قلوب الناظرين في كتبهما)⁽²⁾

يرى الفارابي إن أفلاطون وأرسطو إنما يختلفان في المنهج، وفي العبارة اللغوية، وفي السيرة العملية لكل منهما، أما مذهبهما الفلسفي واحد.

المبحث الثاني: ماهية النفس

أولاً: تعريف النفس

يقول الفارابي (أنت مركب من جوهرين أحدهما مشكل، مصور، مكيف، مقدر، متحرك، ساكن، متحيز، منقسم، والثاني مباين للأول فهذه الصفات، غير مشارك له

¹ - فيصل بديرعون - الفلسفة الإسلامية في المشرق - مرجع سبق ذكره - ص 94

² - محمد علي أبوريان - تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية -

في حقيقة الذات، يناله العقل ويعرض عنه الوهم، فقد جمعت من عالم الخلق ومن عالم الأمر؛ لأن روحك من أمر ربك وبذلك من خلق ربك⁽¹⁾ فالإنسان يشارك العالمين الحسي "عالم الخلق" والعقلي "عالم الأمر" أنه مشارك المحسوسات ببذنه ويشارك المعقولات بعقله وفكره.

الإنسان عند الفارابي مكونه من صورة ومادة، وهو يرى من منطلق أرسطي أن النفس لا وجود لها قبل البدن، ولابد أن تكون ملازمة للبدن وما بين البدن من النفس هو أن هذه لا صورة ولا شكل لها وهي خالدة، بمعنى خاص عند الفارابي من حيث إنه يقصد "النفس الكلية" لأنها من عالم الأمر، أما البدن ففاسد؛ لأنه من عالم الخلق، النفس لا تنقسم ولا تتجزأ.

فالنفس هي (استكمال أول لجسم طبيعي آلي دي حياة بالقوة)⁽²⁾ وهذا هو التعريف الأرسطي للنفس وهي صورة الجسد، والفارابي يؤكد أن النفس هي جوهر بسيط روحاني مباين للجسد وهنا نجدته يتجه اتجاهاً أفلاطونياً واضحاً من حيث طبيعة النفس.

وبما أن النفس تدرك المعقولات، والمعقولات معاني مجردة فلا بد أن تكون طبيعتها من طبيعة موضوعات إدراكها (فالنفس جوهرًا معقولاً وكما أنها تشعر بذاتها مستقلة

1 - فيصل بدير عون - الفلسفة الإسلامية في المشرق - مرجع سبق ذكره - ص 257

2 - محمد علي أبوريان - تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام - مرجع سبق ذكره - ص 251

عن آلتها أي الجسم، فهي تترك الأضداد والمادة لا تقدر على ذلك فهي مباينة للمادة⁽¹⁾

ويعرف أرسطو النفس (بأنها استكمال أول لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة)⁽²⁾ فالكمال هو مجموعة الصفات التي يستكمل بها الشيء نوعه، ولما كانت النفس حسب تعريف أرسطو هي ما نحيا به ونحس، ونعقل ونزرع ونتحرك فلا بد من أن يكون لكل طائفة من الكائنات الحية نفس فتتعدد القوى والوظائف.

ويعرفها أفلاطون (بأنها جوهر عقلي متحرك من ذاته فهي جوهر إلهي روحاني بسيط لا طول له ولا عمق ولا عرض وهي نور الباري، والعالم الأعلى الذي تنتقل إليه نفوسنا بعد الموت)⁽³⁾

وقد أتبع الفارابي نفس التقسيم الذي نادى به من قبل أفلاطون وأرسطو واقصد ذلك التقسيم الثلاثي للنفس إلى نامية وحساسة وناطقه، ثم بين أن هذه القوى منها ما هو مخصص للعقل ومنها ما هو مخصص للعلم، والعمل، وقسمها الفارابي، إلى ثلاثة أقسام: نباتي، وحيواني، وإنساني، أما الإدراك فهو خاص بالحيوان والإنسان فقط.

ومذهب الفارابي في النفس، كما هو واضح، يشبه إلى حد ما مذهب اليونان من حيث إنهم يرتبون النفوس حسب مراتب الوجود (قلعالم نفس ولكل سماء، ثم

¹ - المرجع نفسه- ص251

² - أميرة حلمي مطر - الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها- دار فباء للطباعة والنشر والتوزيع -

القاهرة- ط1- 1998م- ص307

³ - يوسف كرم- تاريخ الفلسفة اليونانية- مطبعة لجنة التأليف والترجمة- القاهرة- بدون ط-

1936م- ص99

للإنسان نفس وللحيوان نفس وللنبات نفس، وهذه النفوس تتفاضل فيما بينها وأعلىها شرفاً هي نفس السموات والعالم، وتتناقص درجة الشرف إلى أن نصل للنفس النباتية⁽¹⁾

ثانياً: قوى النفس:

1- قوى النفس النباتية وتنقسم إلى:

- أ - القوة الغذائية: هي التي تحيل الغذاء إلى مشاكلة الجسم.
- ب - القوة المنمّية: هي التي تبلغ بالجسم كماله في النشوء.
- ج- القوة المولدة: هي التي تولد المثل ليستمر النوع في الوجود.

2- القوة الحيوانية وتنقسم إلى:

- أ- محرّكة (أو نزوعيه أو إرادية) وتنقسم إلى:
 - شهوانية وهي التي تطلب النافع.
 - غضبية وهي التي تدفع الضار.
- ب- مدرّكة: وتنقسم إلى:
 - إما أن تكون بالحواس الخمسة الظاهرة وهي البصر والسمع واللمس والتذوق والشم⁽²⁾

¹ - فيصل بدير عون- الفلسفة الإسلامية في المشرق- مرجع سبق ذكره- ص258.

² - محمد عبد الرحمن مرحبا- خطاب الفلسفة العربية الإسلامية- مرجع سابق-ص144.

- إما أن تكون بالحواس الباطنة، وهي:

1- أما الحس الباطن أو الحس المشترك فقد أعطي له أهمية خاصة من حيث إنه المركز الذي تجتمع فيه احساسات الحس الظاهر فهو الحد المشترك بين الظاهر والباطن، قوة تجتمع فيها جميع ما تدركه الحواس بأسرها، وهي الإحساس بالحقيقة.

2- مصورة وهي التي تستثبت صورة المحسوسات بعد زوالها بعد مسامته الحواس وملقاتها، فتزول عن الحس وتبقى فيها قوة تسمى وهماً.

3- الواهمة وهي القوة التي تدرك من المحسوس ما لا يحس.

4- الحافظة وهي خزانة ما يدركه الوهم كما أن القوة المصورة خزانة ما يدركه الحس.

5- مفكرة وهي التي تتسلط على الودائع في خزانتي المصورة والحافظة، فيخلط بعضها ببعض، ويفصل بعضها عن بعض وإنما تسمى مفكرة إذا استعملها روح الإنسان والعقل، وإذا استعملها الوهم سميت متخيلة⁽¹⁾

وقد اهتم الفارابي بقوتي الحس المشترك والمصورة "المتخيلة" فنجد أن المصورة هي التي تحفظ أشكال المحسوسات بعد غيابها عن الحس للحظات، أما الحس المشترك فهو القوة المميزة على الحقيقة والمدركة على الحقيقة في الحيوان، من حيث إنه يقوم بما يقوم به العقل في الإنسان، فمن طريق الحس المشترك يميز الحيوان بين

¹- فيصل بديرعون- الفلسفة الإسلامية في المشرق - مرجع سبق ذكره- ص260

هذا وذلك، ويربط بين هذا وذلك، فالحس المشترك يقوم بتحليل الاحساسات وترتيبها والحكم من خلالها علي المحسوس، ولهذا نجد أن الفلاسفة السابقين واللاحقين للفارابي قد أهتموا إلى حد كبير بالحديث عن الحس المشترك لأهميته البالغة في عملية الإدراك الحسي.

فالحس المشترك، شأنه شأن الحواس كلها، لا يدرك إلا من خلال المحسوس المختزن في الخيال أو المصورة، وكما يدرك الصورة أي أن إدراكه لا يتخطى أو يتجاوز إدراك الجزئي المحدود، يقول الفارابي (الوهم والحس الباطن لا يدرك المعنى صرفاً بل خلطاً، ولكنه يستثبته بعد زوال المحسوس، فإن الوهم والتخيل أيضاً لا يحضران في الباطن صورة الإنسانية صرفة، بل يمكنه استنبات الصورة الإنسانية المخلوطة عن الحس وأن فارقت المحسوس)⁽¹⁾

3- القوي الإنسانية: هي التي بها يحوز الإنسان العلوم والصناعات وبها يميز بين الجميل والقيح من الأفعال والأخلاق، وبها يُروى فيما ينبغي أن يُفعل أو لا يفعل وهي العقل أو القوة الناطقة والناطقة منها عملية ونظرية⁽²⁾

العقل العملي هي التي بها يعرف الإنسان ما شأنه أن يعمل بإرادته، والعملية منها مهنية ومنها مُروية، فالمهنية هي التي بها تحاز الصناعات والمهن، والمُروية هي التي يكون بها الفكر والرؤية في شيء مما ينبغي أن يُعمل ولا يُعمل.

1- المرجع نفسه- ص261

2- محمد عبد الرحمن مرحبا- خطاب الفلسفة العربية الإسلامية- مرجع سبق ذكره- ص145

أما العقل النظري فهي التي يحوز بها الإنسان علم ما ليس شأنه أن يعمله إنسان أصلاً، وهكذا فإذا كانت النفس كمال الجسم كما مرّ معنا، فإن العقل هو كمال النفس، فما الإنسان إلا العقل على الحقيقة.

وأول ما يحدث في الإنسان من قوى النفس هي: القوة الغادية - القوة الحاسة - القوة النزوعية - القوة المتخيلة - القوة الناطقة.

وقوى النفس الإنسانية من حيث حصولها على المعرفة: القوة النزوعية، القوة الحاسة، القوة المتخيلة، والقوة الناطقة.

1- القوة النزوعية: هي التي يطلب الإنسان الشيء أو يهرب منه، يشنقه أو يكرهه، ونزوع الإنسان هو ما يطلق عليه اسم الإرادة، وجميع قوة النفس مقرونة بالنزوعية؛ لأن النزوعية تخدم الحاسة وتخدم المتخيلة وتخدم الناطقة.

2- القوة الحاسة: هي القوة التي تدرك المحسوسات، والإدراك عند الفارابي إنما هو للنفس، فالنفس تدرك الصورة المحسوسة بالحواس، وتدرك الصور المعقولة بتوسط صورها المحسوسة.

3- القوة المتخيلة: هي التي تحفظ رسوم المحسوسات بعد غيابها عن الحواس، وتركب بعضها إلى البعض، وتفصل بعضها عن بعض في اليقظة وفي المنام.

4- القوة الناطقة: هي خاصة بالإنسان، وهي تمكنه من إدراك المعقولات، والتمييز بين الجميل والقبيح واكتساب الصناعات والعلوم ويقترب بها عند الإنسان نزوع إلى ما يعقله⁽¹⁾

فالنفس الغاذية هي أول مراتب النفوس، فلا يمكن وجود كائن حي من إنسان أو حيوان أو نبات بغير قوة النفس النباتية، ولذلك فهي منبثة فيها جميعاً لا يخلو واحد منها، أما النفس الحيوانية لها قوة أخرى بمقدار الفرق بين الحيوان والنبات، فالنبات ينمو ويتغذى ويولد المثل، وكذلك الحيوان ينزح ويحس ويفعل أفعاله بالآلات الجسمانية.

أما النفس الإنسانية فإن لها ميزة ينفرد بها عن الحيوان والنبات، وهي التفكير فهو إلى جانب أنه يشارك النبات في النمو والتغذي وتوليد المثل، ويشارك الحيوان في النزوع والإحساس، فإن له قوة العقل، فبالعقل يدرك ويتأمل ويستخلص ماهيات الأشياء.

وقوة النفس في نظر الفارابي (متدرجة، فالقوة السفلي هي مادة للقوة العليا، والعليا صورة للسفلي، وأرقى هذه القوة جميعاً الفكر، وهو غير مادي، وهو صورة لجميع الصورة السالفة، والنفس ترتفع عن الموجودات المحسوسة إلى الفكر بقوة التصور

¹ - داود بيروم- الدليل في الفلسفة العربية- دار الكتب الحديثة- بيروت- ط2- 1995م-

والتمثيل وفي كل قوة من قوى النفس يكمن المجهود أو الإرادة ولكل نظرية وجه يناقضها في العمل)⁽¹⁾

ليست قوة النفس الإنسانية، أو أجزاؤها، متساوية الرتبة، في رأي الفارابي، بل بعضها أرقى من بعض، بحيث إن القوة السفلي تشبه أن تكون مادة بالنسبة للعليا، وهذه بمثابة صورة في تلك، وأفضل القوة النفسانية على الإطلاق، وهي القوة الناطقة، ليست مادة لقوة أخرى، وهي صورة لكل الصور التي دونها، والنفس ترتقي من المحسوس إلى المعقول بواسطة القوة المتخيلة.

والفكر يحكم على الخير والشر، ويعطي للإرادة الأسباب التي تعول عليها وهي الفنون والعلوم وكل إدراك أو تمثيل أو فكر لا بد له من مجهود ليصل إلى النتيجة الضرورية، والنفس تكمل وجود الجسم والذي يكمل النفس هو العقل، والعقل هو الإنسان، فتحقيق التجارب والخبرة ليس من فعل الإنسان، ولكنه نتيجة عمل الروح الذي فوق الإنسان، فعلم الإنسان صادر من العلي، وليس علم متحصلاً عليه بمجهود عقلي أي أنه مُعطى من الله .

النفس عند أرسطو:

يقسم أرسطو النفس إلى ثلاثة أنواع لكل منها حياة خاصة بها، وهي:

1- النفس النامية النباتية: وهي مشتركة بين الأجسام الحية ووظيفتها الغذاء والتوليد.

¹ - محمد جمعه لطفى - تاريخ فلاسفة في المشرق والمغرب - المكتبة الثقافية - د ط - 1345هـ -

2- النفس الحاسة الحيوانية، وفيها قوى الغذاء والتوليد، ولها قوى الحركة والإدراك الجزئي، ويشترك فيها الإنسان والحيوان.

3- النفس الناطقة أو الإنسانية، لها قوة الإرادة والعقل، والعقل يدرك ماهية الأشياء، كإدراكه جوهر الإنسان وماهيته المطلقة في كل زمان ومكان⁽¹⁾

وأرسطو في تقسيمه للنفس يرى بأن النفس النامية النباتية تخص جميع الكائنات الحية، أما النفس الحاسة أو الحيوانية فحركتها تكون بدافع من الشهوة أو النزوع، وأما الإدراك يكون عن طريق الإحساس الظاهر بواسطة الحواس الخمس أو الإدراك الباطن، ويتم عن طريق الحس المشترك والمخيلة والذاكرة، أما النوع الأخير وهي النفس الناطقة أو الإنسانية فهي خاصة بالإنسان فقط لقدرته عن النطق والتعقل؛ لأنه صاحب العقل والروية.

النفس عند افلاطون:

لقد أهتم أفلاطون بالطبيعة البشرية، وقد اعتبر أن النفس لا مادية، وهي بالتالي مستقلة عن الجسد، ولكنها تحل فيه خلال الحياة، وإن هذه النفس هي مصدر السلوك الإنساني، فنجدده يقسم النفس البشرية إلى ثلاثة أقسام، ولكل منها فضيلة خاصة بها، وهي:

1- النفس العاقلة ومهمتها التمييز بين أنواع الخير وبلوغ الخير المطلق، وفضيلتها الحكمة.

¹ - يوسف كرم- تاريخ الفلسفة اليونانية- مرجع سبق ذكره- ص 204

2- النفس الغاضبة ومهمتها أن تطيع النفس العاقلة في تحقيق الخير وفضيلتها الشجاعة.

3- النفس الشهوانية وفضيلتها الحكمة والعفة⁽¹⁾

ويفترض أفلاطون أن كل إنسان لديه هذه القوى وهناك قوة عقلية تجره نحو السمو، أما الشهوانية فهي في المرتبة الدنيا وبينها قوة تحرك الموازنة.

ثالثاً- اتصال النفس بالبدن:

يقول الفارابي (إن الإنسان لمنقسم إلى سر وعلن: أما علنه فهو الجسم المحسوس بأعضائه، وقد وقف الحس على ظاهره، ودل التشريح على باطنه، وأما سره فقوى روحه)⁽²⁾

وعند الفارابي، كما هو الحال في الفلسفة اليونانية، نجد أن كمال النفس وسعادتها وبهاؤها هو في أن تصير عالماً معقولاً، وأن تحاكي وتمائل وتتشبه بالعالم المعقول الذي كله خير وعدل وحكمة.

وإن كمال النفس الإنسانية هو أن تكون لديها صورة متكاملة عن العالم المعقول، وأن تكون سعيدة سعادة لا حد لها، وإن غاية ما تسعى إليه النفس هو إدراك الباري تعالى والاتصال به.

- ما مصير النفس بعد فناء البدن ؟ هل هي فانية معه أم باقية ؟

¹ - عزت قرني- الفلسفة اليونانية حتي أفلاطون- جامعة الكويت- د ط- 1993م- ص168

² - فيصل بديرعون- الفلسفة الإسلامية في المشرق- مرجع سبق ذكره- ص258

إن الخلود لا يكون إلا لجوهر روحاني بسيط يدرك الخالد، أما العناصر المادية والأجسام المركبة منها، القوة الفيزيولوجية التي تخدم الجسم بما لا يرتقي إلى عالم الروح فكلها إلي فناء محتمل⁽¹⁾ وبما أن النفس الإنسانية ذات عنصر عقلي قادر على إدراك المعقولات والعوالم المفارقة، فهي وحدها بعنصرها العقلي تخلد دون نفس النبات والحيوان.

فنجذ الفارابي في كتابه "عيون المسائل" يجزم ببقاء النفس؛ لأنها جوهر مفارق ليس فيه قوة قبول الفساد، ويقول بأن لها بعد الموت سعادة وشقا.

يقول الفارابي (إن السعادة التي يتمتع بها أهل المدينة تختلف قدراً ونوعاً تابعاً لدرجة الكمال التي بلغوها في الحياة الاجتماعية التي تتعلق بها درجة السعادة التي ينبغي الوصول إليها)⁽²⁾

للفارابي في خلود النفس رأياً مضطرباً فهو يقول تارة إن القوى التي تدرك المعقولات جوهر بسيط، وهو مفارق للمادة بعد موت البدن، وليس فيه قوة الفساد وهو جوهر أحدي وهو الإنسان على الحقيقة⁽³⁾ ومعنى ذلك أن النفس الإنسانية لا تستطيع البقاء بعد الموت إلا إذا أصبحت عقلاً محضاً قائماً بذاته، وهي لا تنتقل من هذا البدن إلى غيره؛ لأن كل نفس مختصة بمزاج البدن الذي كانت فيه.

أما الأدلة التي ساقها الفارابي على تميز النفس من البدن، فهي أدلة ترجع في جوهرها إلى أفلاطون والأفلاطونية المحدثة وهي:

¹ - حماد فلاح الغزالي - دراسات في الفكر الإسلامي - مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - د ط -

1982م - ص 139

² - محمد جمعه لطفى - تاريخ فلاسفة في المشرق والمغرب - مرجع سبق ذكره - ص 23

³ - داود بيروم - الدليل في الفلسفة العربية - مرجع سبق ذكره - ص 90

1- إن النفس الإنسانية تدرك المعقولات التي هي معانٍ كلية مجردة عن المادة، ومن حيث إن التشبيه يدرك الشبيه، فلا بد أن تكون النفس مجردة من شوائب المادة أي متميزة عن الجسم الحامل لها.

2- إن النفس تدرك الاضداد، بينما نجد أن المادة تتشكل بصورة واضحة فحسب.

3- إن النفس لو لم تكن متميزة عن الجسم لما اختلفت الأجسام فيما بينها من حيث الحركة، ولكننا نشاهد بعض الأجسام يتحرك والبعض الأخير لا يتحرك.

وهذا دليل على وجود قوة في الأجسام المتحركة لا توجد في الأجسام التي لا تتحرك⁽¹⁾

وقد كانت مشكلة خلود النفس موضع جدل كبير عند الفلاسفة الإسلاميين فبعضهم يرى أن الفارابي ينكر خلود النفس والبعض الآخر يقرر أنه يثبت خلودها، والواقع أن موقف الفارابي بهذا الصدد يشبه موقف أرسطو، فأرسطو يذكر في كتاب "النفس" أن الذي يفسد في النفس هي القوة المتعلقة بالبدن وغرائزه، أما العقل بالفعل فهو خالد لا يفنى، والفارابي يذكر أن للنفس قوة الإدراك ولها فروع وقوة منبئة في البدن، والنفس الجاهلة، وهي التي لم تصل إلى حد الكمال بمعرفة الخير الأسمى، وهي التي تفنى بقاء الجسد، لأنها لا تبقى متصلة بمطابقة الجسد ونوازعه الشريرة،

¹ - فيصل بديرعون - الفلسفة الإسلامية في المشرق - مرجع سبق ذكره - ص 261-262

أما النفوس الكاملة وهي التي عرفت السعادة وعملت على بلوغها فهي التي تخلد وتبقى بعد موت البدن.

أما أفلاطون فقد اعتبر النفس جوهرًا مستقلًا عن البدن، وأن لها طبيعة مختلفة عن طبيعة البدن، وأنه ليس بين النفس والبدن علاقة اتحاد.

وبذلك يرى إن نظرية المثل تتضمن القول (بالنفس موجوده قبل اتصالها بالبدن من حيث إن هذه المثل ليست متحققة بالتجربة ولا هي مكتسبة بالحواس فلا بد من قوة روحية تعقلها)⁽¹⁾ وهذا يعني أن القوة الروحية توجد في عالم يماثل عالم المثل، فالنفس هي توافق العناصر المؤلفة للبدن، وليس لها وجود ذاتي فالنفس تدير البدن وتتحكم في الأعضاء وتقاوم البدن بالإرادة، فالنفس حقيقة ويدل على وجودها عالم المثل وحركة الجسم وتديره بمقتضى الحكمة.

وكما يرى أفلاطون في علاقة النفس بالجسم ففي "محاورة فيدون" يحدد النفس (بأنها تارة فكر خالص وتارة أخرى بأنها مبدأ الحياة والحركة للجسم)⁽²⁾ ويعتبرها من جهة فكر خالص، ومن جهة أخرى مبدأ الحياة والحركة لهذا الجسم دون أن يبين ارتباط هاتين الخاصتين، فتارة يعتبرها متميزتين تمام التمايز وتارة أخرى يضع بينهما علاقة وثيقة، فيذهب إلى أن الجسم يشغلها عن فعلها الذاتي "الفكر".

ويقول أرسطو (بأن النفس صورة للبدن، ولكنه لا يقول بفناء النفس بفناء البدن، بل يرى أن للنفوس بعد الموت سعادة وشقاء تبعًا لما جناه أصحابها في الحياة

¹ - يوسف كرم- تاريخ الفلسفة اليونانية- مرجع سبق ذكره- ص 109

² - المرجع نفسه- ص 110

الدنيا)⁽¹⁾ وبهذا إن صورة الجسم الحي توجد بوجوده وتفنى بفنائها، وأنها لا تفارق الجسم.

فالنفس عنده جزء من العلم الطبيعي فيقول: (إن الانفعالات مثل الغضب والخوف والفرح والمحبة والبغض لا يمكن أن تصدر عن النفس وحدها، ولكنها تصدر عن النفس والجسم)⁽²⁾ إن الأفعال النفسية والأجسام متعلقة بالجسم وداخلة في العلم الطبيعي، وكما أن التعقل لو أنه خاص بالنفس يكون مفتقر للتخيل ولا يتحقق من غير الجسم، وأرسطو يضع النفس والجسم جزئين لجوهر واحد متحدين اتحاد الهيولي والصورة.

المبحث الثالث: قوة العقل:

- 1- **العقل بالقوة** فهو قوة من قوى النفس مستعدة لانتزاع ماهيات الأشياء وصورها دون موادها، فتجعلها كلها صورة لها، وتلك الصورة هي المعقول فتكون المعقولات بالنسبة لها قبل أن تعقلها معقولات بالقوة⁽³⁾ ويسمى هذا العقل بالعقل الهيلولاني؛ لأنه شبه المادة الأولى التي تقبل جميع الصور.
- 2- **العقل بالفعل** وهو العقل الذي يتم فيه نقل المعقولات بالفعل، فإذا حصلت المعقولات بالفعل في العقل صارت له ملكة، وأصبح هو عقلاً بالفعل،

¹ - أميرة حلمي مطر - الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها - مرجع سابق - ص 309

² - يوسف كرم - تاريخ الفلسفة اليونانية - مرجع سابق - ص 199

³ - محمد عبد الرحمن مرحبا - خطاب الفلسفة العربية الإسلامية - مرجع سبق ذكره - ص 146

وذلك بالنسبة لما تعقله من معقولات⁽¹⁾ أما إذا لم يعقله منها؛ فإنها تكون بالنسبة له بالقوة، إذ أنه للمعقولات وجودين: وجود بالقوة في الأشياء قبل أن تعقل، ووجود آخر لها في العقل بعد أن يتم تحريرها عن علائق المادة

3- **العقل المستفاد** وحينما تصبح المعقولات قائمة في العقل بحيث يدركها كما لو كانت غير خارجة عن ذاته فإنه في هذه الحالة يسمى عقلاً مستفاداً⁽²⁾ إذ هو العقل بالفعل الذي عقل المعقولات المجردة، وأصبح في استطاعته أن يدرك الصور المفارقة أي تلك التي لم تكن في مادة أصلاً كالعقول السماوية، ولما كان العقل المستفاد في غنى عن المادة إطلاقاً بعكس الهيلواني والعقل بالملكة لهذا فهو وحده الجزء الخالد في النفس، وهو القريب من العقل الفعال.

4- **العقل الفعال**: هو صورة مفارقة لم تكن في مادة ولا تكون أصلاً، وهو بنوع ما، عقل بالفعل قريب الشبه من العقل المستفاد، وهو الذي جعل تلك الذات، التي كانت عقلاً بالقوة، عقلاً بالفعل، وجعل المعقولات التي كانت معقولات بالقوة، معقولات بالفعل⁽³⁾ وهكذا فالعقل الفعال يسميه الفارابي

¹ - محمد علي أبوريان - تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام- مرجع سبق ذكره- ص 255

² - داود بيروم- الدليل في الفلسفة العربية- مرجع سبق ذكره- ص 85

³ - أحمد فؤاد الأهواني- في عالم الفلسفة- مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- د ط-

أيضاً الروح الأمين هو آخر سلسلة العقول السماوية، وهو الذي يخرج المعقولات بالقوة إلى الفعل، ويخرج العقل من القوة إلى الفعل انسياقاً مع المبدأ الأرسطي العام القائم بأن كل ما هو بالقوة، إنما يخرج إلى الفعل بتأثير شيء آخر بالفعل ونسبة العقل الفعال إلى العقل الإنساني كنسبة الشمس إلى العين، فكما أن الشمس تخرج العين من الأبصار بالقوة إلى الأبصار بالفعل، فكذلك العقل الفعال يجعل العقل مدركاً بالفعل بعد أن كان بالقوة.

ويسمي الفارابي العقل الفعال "واهب الصورة" ويقصد بذلك أن هذا العقل يشتمل على المعقولات جميعاً أي صور الموجودات، وهذه هي المثل الأفلاطونية ولكن أفلاطون يجعلها قائمة بذاتها، أما الفارابي فإنه يتابع رأي أفلوطين فيضع المثل في العقل الفعال أو عقل فلك القمر، وكان أفلوطين قد وضعها في العقل الأول الصادر عن الواحد.

وإذا كان العقل الفعال هو الذي يُمكن العقل الأسمى من الانتقال من القوة إلى الفعل، فإن المعرفة الإنسانية تصبح مرتبطة بعامل كوني خارج من النفس.

والعقل في الإنسان له ثلاثة أوجه، وذلك باعتبار كونه عقلاً بالقوة، أو بالفعل، أو متأثراً بالعقل الفعال، ومعني هذا في فلسفة الفارابي أن في الإنسان استعداداً أو عقلاً بالقوة، وهو ينتقل إلى الفعل بواسطة المعرفة المكتسبة من إدراك الأشياء، ويصل إلى معرفة اللامادي الذي فوق الحس، والذي يسبق كل إدراك ويُحدث الإدراك نفسه.

والعقل الفعال واهب الصور لكل الموجودات السفلية يعمل على جمع هذه الصورة المتفرقة في وحدة تؤلف المحبة بين أجزائها، وهو يجمعها أولاً في عقل الإنسان، ولما كان العقل الفعال هو واهب الصورة للمادة، فإن إمكان حصول المعرفة للإنسان، وكذلك صحة هذه المعرفة يتوقفان على أن يهب العقل الفعال للإنسان معرفة هذه الصورة، ثم إن الصور المتفرقة للأشياء يجتمع شملها في العقل الإنساني، فيصير هذا مشابهاً لعقل الفلك الأدنى وغاية العقل الإنساني وسعادته هي أن يتحدى بعقل الفلك، وهذا الاتحاد يقربه من الله.

أما إمكان هذا الاتحاد قبل موت الإنسان فهو عند فيلسوفنا محل للريب، أو ينكره انكاراً تاماً، وأكبر ما نستطيع بلوغه في هذه الحياة هي المعرفة العقلية.

أن تقسيم العقل عند الفارابي يختلف عن أرسطو حيث أرسطو يجعل العقل عقليين هما المنفعل والفعال، بينما الفارابي ومن جاء بعده يجعلون العقول أربعة: العقل بالقوة، العقل بالفعل، العقل المستفاد، العقل الفعال.

ويقول الفارابي: (أما العقل الفعال الذي ذكره أرسطو في كتاب النفس فهو صورة مفارقة لم تكن في مادة، ولا تكون أصلاً، وهو بنوع ما عقل بالفعل، قريب الشبه من العقل المستفاد)⁽¹⁾

ولهذا العقل مراتب يكون مرة عقلاً هيولانياً، ومرة عقلاً بالملكة، ومرة عقلاً مستفاداً، وهذه القوة التي تدرك المعقولات جوهر بسيط وليس بجسم، ولا يخرج من القوة إلى

¹ - أحمد فؤاد الأهواني - في عالم الفلسفة - مرجع سبق ذكره - ص 106

الفعل ولا يصير عقلاً تاماً إلا بسبب عقل مفارق، وهو العقل الفعال الذي يخرج به إلى الفعل وهو مفارق للمادة يبقى بعد الموت البدن، وهو الإنسان.

الخاتمة

لقد أسس الفارابي في الفلسفة العربية والإسلامية مذهباً، وهذا المذهب عرف في الإسلام باسم مدرسة الفلاسفة، وهو مذهب إسلامي ذو صبغة أفلاطونية محدثة، وتميزت فلسفته بالمنهجية، وكما أنه استمد فلسفته من الفلسفة اليونانية والفلسفة الإسلامية.

والفارابي كفيلسوف احتل مكانة مرموقة في تاريخ الفلسفة، وقد أفاد من جاء بعده من الفلاسفة، وكما كان يسعى إلى محاولة الجمع بين مذهبي أفلاطون وأرسطو في مذهب واحد إلا أن هذه المحاولة كانت في زمانها موضع إعجاب وتقدير.

والنتائج التي توصلت إليها:

- 1- تستند فلسفة الفارابي إلى فلسفة أرسطو وأفلاطون، فأرسطو في تعريفه للنفس يقدم تعريفاً محدداً وواضحاً ولا يتعارض مع ديننا إسلامي.
- 2- لم يكتفِ الفارابي في مسألتها تحديد طبيعة النفس، وخلودها بذكر أرسطو بأن النفس صورة البدن، بل أيضاً لجأ إلى أفلاطون بأن النفس جوهر الإنسان المفارق لبدنه، وبالتالي يرفض الفارابي وجود النفس قبل وجود البدن.

- 3- تقسيم النفس إلى إنسانية وحيوانية ونباتية وما يربط بينها من قوى، ويصف النفس الناطقة بأنها أتم الأنفس وأرقاها، فالنفس ترتقي من المحسوس إلى المعقول بواسطة القوة المتخيلة.
- 4- وأهم المواضيع التي شغلت تفكير الفارابي هو موضوع العقل، فالعقول الثلاثة تابعة للإنسان وتكون عقله إلا أنها غير كافية وحدها في تحصيل المعرفة، وبذلك لا بد من وجود عقل آخر خارج الإنسان، وهو العقل الفعال حتى يُخرج النفس من مجرد أدراك الأشياء بالقوة إلى أدراكها بالفعل.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- أحمد شمس الدين- الفارابي حياته، آثاره، وفلسفته- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1990م.
- 2- أحمد فؤاد الأهواني- في عالم الفلسفة- مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة- بدون ط- 2009م.
- 3- أميرة حلمي مطر- الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها- دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع-القاهرة- ط1- 1998م.
- 4- جورج طرابيشي- معجم الفلاسفة- دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت- ط3- 2006م.
- 5- المهدي الصابري وآخرون- الفلسفة الإسلامية- المركز الوطني للتخطيط والتعليم والتدريب- بدون ط- 1993م.
- 6- رجاء أحمد علي- الفلسفة الإسلامية- دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة- عمان- ط1- 2012م.
- 7- داود بيرم- الدليل في الفلسفة العربية- دار الكتب الحديثة- بيروت- ط2- 1995م.
- 8- عزت قرني- الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون- جامعة الكويت- بدون ط- 1993م.
- 9- علي عبد الواحد وافي- المدينة الفاضلة للفارابي- نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- بدون ط- بدون س.

- 10- فيصل بدير عون - الفلسفة الإسلامية في المشرق - دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة - بدون ط - 1980م.
- 11- محمد عبد الرحمن مرحبا - خطاب الفلسفة العربية الإسلامية - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت - بدون ط - 1993م.
- 12- محمد علي أبو ريان - تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام - دار المعرفة الجامعية - الإسكندرية - ط1 - 1990م.
- 13- دي بور ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة - تاريخ الفلسفة في الإسلام - دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت - ط2 - 1948م.
- 14- محمد فلاح الغزالي - دراسات في الفكر الفلسفي - مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - بدون ط 1980م.
- 15- محمد لطفي - تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب - المكتبة الثقافية - بدون ط - 1345هـ.
- 16- هنري كوربان - تاريخ الفلسفة الإسلامية - عويدات للطباعة والنشر - بيروت - ط2 - 1998م.
- 17- يوسف كرم - تاريخ الفلسفة اليونانية - مطبعة لجنة التأليف والترجمة - القاهرة - بدون ط - 1936م.

آلية التعامل التجاري عند العرب قبل الإسلام

إعداد: د. سالم عبد السلام عرفة*

المخلص:

تأثرت البيئة الاقتصادية في بلاد العرب بعاملين أساسيين هما: تنوع المناخ الذي ساهم في تنوع المحاصيل الزراعية، والموقع الجغرافي المهم لبلاد العرب الذي شجع سكانها على ممارسة التجارة الداخلية والخارجية، وهذا ما أدى إلى معرفة العرب بالعديد من المعاملات التجارية مثل: المقايضة والتي تعتبر أقدم وسيلة عرفها الإنسان في التعامل التجاري، وتقوم على أساس الحصول على سلعة مقابل أخرى، والتعامل بأوزان المعادن الثمينة التي تقوم على تقدير أثمان السلع بأوزان الذهب والفضة، والتعامل بالنقود المحلية والأجنبية، والتعامل بالصكوك وهو أمر خطي مدون بمبلغ محدد من المال المدفوع للشخص المكتوب باسمه الصك، والربا وهو الزيادة التي تؤخذ على رأس المال، والمضاربة وهي أن يعطي شخصاً مالاً لغيره للعمل به في التجارة مقابل نسبة معلومة من الربح لصاحب المال بعد إخراج رأس المال والمصروفات والاستدانة والرهن والضرائب.

Abstract:

The Mechanism of Commercial Dealings Among Arabs Prior to Islam

* جامعة طرابلس كلية الآداب

The economic environment in the Arab countries has been influenced by two main factors: the diversity of the climate, which contributed to the diversity of agricultural crops, and the important geographical location of the Arab countries, which encouraged its inhabitants to practice internal and external trade. This is what has led to the knowledge of Arabs about many commercial transactions such as: exchange, which is considered the oldest method known to man in commercial dealing, and it is based on obtaining one commodity in exchange for another, dealing with the weights of precious metals that is based on estimating the prices of commodities by the weights of gold and silver, dealing with local and foreign money and dealing with cheques, which is a written matter written down with a specified amount of money paid to the person whose name the cheque is written for, usury, which is the increase that is taken on the capital. Also, speculation, that's when a person gives some money to someone else to work with in trade in return for a known percentage of the profit to the owner of the money after deducting the capital, expenses, borrowing, mortgage as well as taxes.

المقدمة:

لا بد من الإشارة بدايةً إلى أن البنية الاقتصادية لشبه الجزيرة العربية ارتبطت ارتباطاً لا فكاك منه بظروف الجغرافيا الطبيعية التي تظهر قدراً كبيراً من التباين بين مناطقها، وهذا أدى بدوره إلى تنوع الموارد الاقتصادية في بلاد العرب نتيجة لعاملين أساسيان: العامل الأول يرجع الى تنوع المناخ في أجزاء شبه الجزيرة العربية وما نتج عنه من تنوع طبيعية الأرض من أرض صحراوية لا تصلح إلا للرعي المتنقل، إلى أرض يكثر فيها العشب لفترات طويلة نسبياً، ومن ثم يقترب أهل البادية من الرعاة إلى صفة الإقامة الدائمة في المناطق التي توجد فيها مراعيهم مثل منطقة الهلال الخصيب. وكذلك توجد عدد من العيون أو الينابيع التي تمكن من قدر لا بأس به من الزراعة مثل بعض الواحات الموجودة في بلاد العرب في نجد والحجاز والقسم الشمالي الغربي لبلاد العرب. كما تظهر مناطق أخرى تتميز بتربة خصبة وأمطار موسمية غزيرة مثل القسم الجنوبي لشبه الجزيرة العربية حيث توجد الزراعة في أكثر من موسم.

أما العامل الثاني الذي اتسمت به بلاد العرب فهو موقعها الجغرافي الذي تتخلله عدة طرق برية وبحرية فكان المعبر الطبيعي للتجارة البرية والبحرية بين مناطق الشرقيين الأوسط والأقصى من جهة وبين المناطق المطلة على البحر المتوسط من جهة أخرى. وهذا ما شجع سكانها على احتراف التجارة سواء كانت تجارة داخلية أو خارجية.

لقد ترتب على تنوع المناخ والموقع الجغرافي الهام لبلاد العرب ازدياد الحركة التجارية الداخلية والخارجية في مناطق بلاد العرب، حيث اختلف كل قُطر بما يصدر وينتج، وقد التفت الهداني إلى هذا الاختلاف وعدّه رحمة ولطفاً من الله في

قوله: "ولولا أن الله عز وجل خص بلطفه كل بلد من البلدان وأعطى إقليم من الأقاليم بشيء منعه عن غيرهم، لبطلت التجارات وزهبت الصناعات، ولما تغرب أحد ولا سافر رجل، ولتركوا التهادي وذهب الشراء والبيع والأخذ والعطاء، إلا أن الله أعطى كل صقع في كل حين نوعاً من الخيرات ومنع الآخرين؛ ليسافر هذا إلى بلد هذا ويتمتع قوم بأمّعة قوم، ليعتدل القسم وينتظم التدبير"⁽¹⁾ وقد أدى هذا الاختلاف إلى تنقل العرب داخل بلادهم وخارجها لبيع بضائعهم واستيراد ما يحتاجونه من بضائع الأمصار الأخرى فعرفوا بالتالي العديد من المعاملات المالية والتجارية التي ساهمت في إتمام عمليات التبادل التجاري بين الناس. يكتسب موضوع آلية التعامل التجاري عند العرب قبل الإسلام، أهمية كبيرة في كونه يسلط الضوء علي جانب مهم من النشاط الاقتصادي للمجتمع العربي، فأغلب الكتابات المصدرية تحدثنا عن العديد من المعاملات التجارية التي كان لها أهمية كبيرة في تنمية النشاط التجاري عند العرب قبل الإسلام مثل استثمار أموال التجار، وضمان حقوق البائع والمشتري، مما يعطي إضافة ولو بسيطة للتعريف بتلك المعاملات التي ساهمت في تنشيط الحركة التجارية في بلاد العرب قبل الإسلام.

كما تهدف الدراسة من خلال مجهود تجميعي لآراء المؤرخين المحدثين والقدامى إلى الولوج إلى جوهر المعاملات التجارية المختلفة التي كانت سائدة بين العرب قبل الإسلام والتعريف بها، وتبيان دورها في الحركة التجارية في بلاد العرب قبل الإسلام.

(1) الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد عبد الله النجدي، القاهرة: 1953، ص 121.

وتكمن الإشكالية المطروحة في التعرف على تلك المعاملات التجارية والصعوبات التي واجهت كل معاملة تجارية، والتطرق إلى الحلول التي وضعت لهذه الصعوبات، ووفقاً لتلك الإشكالية تقوم الدراسة على طرح فرضية أن آلية التعامل التجاري عند العرب قبل الإسلام لم تعتمد علي طريقة واحدة ، بل تعددت طرق التعامل التجاري وتطورت عبر التاريخ، وكان لها دور مهم في الحياة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام، كما ساهمت في الارتقاء بالنشاط التجاري داخلياً وخارجياً، ومن أهم المعاملات التي كانت سائدة في تلك الفترة ما يلي:

المقايضة:

هي أقدم وسيلة عرفها الإنسان في التعامل التجاري، وتقوم على أساس الحصول على سلعة مقابل سلعة أخرى أي التبايع بالعروض كالحنطة والشعير والذرة وما أشبه ذلك، وقد استمر العمل بها بصورة أو بأخرى حتى العصور القريبة، وكانت الحنطة والتمر والإبل ورؤوس الغنم عند العرب كالنقود تسدد بها الديون وتقايض بها السلع الأخرى. (1)

وتُعد المقايضة أساس التعامل التجاري بين البدو والحضر، فالبدو يجلبون منتجاتهم ويقايضون بها ما يحتاجونه من أطعمه وملابس من الحضر، كذلك تعد المقايضة أحد أساليب التعامل التجاري في المجتمعات الحضرية خاصة بين سكان المدينة الواحدة، وخاصة قبل سك النقود العربية وتداول النقود الفارسية والرومانية، وقد استعملت المقايضة في التبادل التجاري بين الأفراد حتى في وجود تلك العملات،

(1) الكتالي، عبد الحي بن شمس الأفاق أبو المكارم الفاسي، كتاب الترتيب الإدارية، ب. ط،

بيروت: ب. ت. ج 2، ص 25.

لأن العملة الذهبية أو الفضية كانت لا تساعد على تبسيط الكثير من العمليات التجارية الصغيرة التي لا غنى للناس عنها في الحياة اليومية. (1)

التعامل بأوزان المعادن الثمينة كالذهب والفضة:

يعتمد هذا النوع من التعامل على تقدير أثمان السلع بأوزان الذهب والفضة كأن يدفع قيراطاً من الذهب أو الفضة مقابل سلعة معينة، وهو نظام سابق لنظام النقد الذي يعتبر تطوراً له، وقد كان هذا النوع من التعامل التجاري سائداً داخل بلاد العرب، ويحتل هذا النظام الدرجة الثانية بين الأنظمة المستخدمة في التعامل التجاري في بلاد العرب وخاصة أن كلاً من الذهب والفضة متوفر في بلاد العرب حتى العصور الإسلامية. (2) فعندما اعتقل بنو جدام رجلاً من مكة يدعى حذاقة بن العدوي طالبهم عبد المطلب بإطلاق سراحه قائلاً: "وقد عرفتم تجارتي وكثرة مالي وأنا أحلف لكم لأعطيكم عشرين أوقية ذهب". فأطلقوا سراحه وأوفى لهم عبد المطلب بما وعدهم به (3)، واشترى أبو بكر رضي الله عنه بلال بن رباح من مشركي مكة بخمس أواق ذهب وقيل: ببردة وعشرة أواق من الذهب، وقيل: برطل

(1) علي بن حسن السليمانى، النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية في أواخر العصور الوسطى، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب - قسم التاريخ، 1985، ص 125.

(2) نورة عبد الله العلي النعيم، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث ق. م حتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض: ب. ت، ص 268-269.

(3) البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر: ب. ت. 66/1.

ذهب⁽¹⁾، وقال الحكم ابن هشام: "من قتل محمد صلى الله عليه وسلم فله على مائة ناقة حمراء وسوداء، وألف أوقية من فضة، وكذا من ذهب..."⁽²⁾ وكان في الجاهلية أربعة رجال من قريش يملك كل واحد منهم قنطاراً من الذهب، وهم أبو لهب، وأمّية بن خلف، وأبو أحيحة، وعبد الله بن جدعان⁽³⁾، كذلك أتبع هذا النظام في سداد ثمن البضائع المصدرة من بلاد العرب إلى البطالمة حيث يرى بليني أن سبب انعدام وجود العملة البطلمية في جنوب بلاد العرب هو أن البطالمة كانوا يدفعون ثمن السلع المستوردة من بلاد العرب سبائك الذهب والفضة.⁽⁴⁾

التعامل بالنقود:

يعد التعامل بالنقود تطوراً لنظام البيع بأوزان المعادن الثمينة، وقد عُرف هذا النظام في بلاد العرب منذ القرن الثالث ق.م الذي شهد سك أول عملة محلية بدولة جَمِير⁽⁵⁾. وفي القرن الثاني ق.م لوحظ زيادة كميات النقود الجنوبية لكثرة النماذج النقدية التي عثر عليها من نقود تعود إلى هذه الفترة، ويعود ذلك إلى ازدهار التجارة والحاجة إلى سك عدد كبير من العملات، وفي النصف الأول من القرن الثاني ق.م

(¹) الحلبي، علي بن برهان الدين، من إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية، المطبعة الأزهرية، مصر: 1329 هـ / 360/1.

(²) المصدر نفسه، 362/1.

(³) ابن الزبير، القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، الكويت: 1959، ص 201.

(⁴) نورة عبد الله العلي النعيم، مرجع سابق، 269.

(⁵) Irvin.k. Some notes on old South Arabian Monetary Terminology. TRAS. 1964, P.20.

أصبحت العملات الجنوبية تتبع في وزنها الدينار الروماني، وهذا يبين ازدياد التبادل التجاري بين الإمبراطورية الرومانية والدولة الحميرية. (1)

وقد عرف نظام النقد في جنوب بلاد العرب نظام الفئات العشرية كالنصف والربع والثلث، وكذلك عرف عرب شمال بلاد العرب (الأنباط) نظام الفئات كالنصف والربع، وكانت كل منهما تحمل إشارة تدل على قيمتها (2). فضلاً عن ذلك فقد تعامل العرب بالدنانير الرومانية والدرهم الفارسية، وكانوا يتعاملون بها وزناً وليس عدداً، فكانت قريش تزن الفضة بوزن تسميه درهما وتزن الذهب بوزن تسميه ديناراً. (3)

وعلى الرغم من انتشار النقود الأجنبية بين العرب فإن هذا لا يعني أنهم لم يتداولوا النقود العربية مثل الحميرية (***) والنبطية (**) والتدمرية (***)، حيث أثبتت الحفريات

(1) نقلاً عن نورة عبد الله العلي النعيم، مرجع سابق، 269.

(2) المرجع نفسه، ص 270-271.

(3) البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت: 1987، ص 472.

(*) أقدم الدراهم الحميرية تعود إلى سنة 115 ق.م وكانت تحمل صورة البومة الدراخما الإغريقية وصورة خنجر بجوار البومة مع نقش لاسم الملك ولقبه، وعلى الجهة الثانية من الدرهم الحميري صورة رأس إنسان في وضع جانبي وهو حليق الوجه ومحاط بغصن من الأشجار ينظر: جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت: ب. ت، ص 185.

(**) كان الحارث الثالث أول ملك من الأنباط ضرب النقود في دولته وسماها دينار نقش عليه صورته وصورة جمل وشجرة عطرية، ينظر جرجي زيدان، نفس المرجع، ص 77.

الأثرية وجود نقود وحميرية ونبطية مضروبة، إلا أن تداولها كان بشكل محدد وضيق النطاق على ما يبدو لقلة ما كان يرد للعرب منها أو لانعدام ثقة العرب في نقودهم نتيجة الحروب وعدم الاستقرار السياسي في بلادهم.⁽¹⁾

ونتيجة لكثرة التعامل بالنقود الأجنبية في بلاد العرب، فقد قامت بيوت تجارية بأعمال الصيرفة وتبادل النقود بعد التأكد من وزنها وجودتها⁽²⁾، وإذا اختلفوا على الوزن رجعوا إلى الوزن المقرر المعتمد لديهم حيث كان لقريش أوزان معتمدة للدينار والدرهم، وكان أبو وداعة ابن ضبيرة السهمي يمتلك وزن مثقال في الجاهلية يوزن به للناس.⁽³⁾

وكان للعملة النقدية دور مهم في تسهيل عمليات البيع والشراء ودفع الضرائب والغرامات وتحديد الأسعار، مما أدى إلى ازدهار النشاط التجاري بين العرب والأمم الأخرى، حيث وجدت العملات العربية في مناطق عدة من العالم مثل قبرص وديوربوس وآسيا الصغرى.⁽⁴⁾

(***) كان للدولة التدمرية نقود على أحد وجهيها صورة الملكة زنوبيا وكتب حول الصورة اسمها بالأحرف اليونانية، وعلى الوجه الثاني صورة ثانية، وعثر على نقد آخر للدولة التدمرية عليه صورة رأس وهب اللات واسمه ولقبه، ينظر جرجي زيدان، نفس المرجع، ص 124-125.

(1) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1965، ص 375.

(2) أحمد إبراهيم الشريف، مرجع سابق، ص 575.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص 452.

(4) نورة عبد الله العلي النعيم، مرجع سابق، ص 272-273.

التعامل بالصكوك:

بالإضافة إلى التعامل النقدي عرف العرب قبل الإسلام التعامل بالصكوك أيضاً في العديد من معاملاتهم التجارية والمالية، والصك أمر خطي مدون به مبلغ محدد من المال المدفوع للشخص المكتوب باسمه الصك ويورد محمد كرد نصاً يفيد بوضوح استخدام أهل مكة لتلك الصكوك قبل الإسلام فيقول: "أخرج الحسن بن جمهور مولى المنصور إلى بعض ولد سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب كتاباً كان عبد المطلب بن هاشم قد حرره بخطه ومضمونه: باسمك اللهم. ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل زول صنعاء عليه ألف درهم ... متى دعاه بهما أجابه، شهد الله بذلك المكان"⁽¹⁾ من هذا النص نستنتج أن أهل مكة قبل الإسلام كانوا يودعون لدى التجار الأمانة أموالهم ويأخذون مقابل ذلك صكوك لضمان حقوقهم.

المضاربة:

وهي أن يقترض شخص مالياً من غيره ويستثمره في التجارة، ويكون لصاحب المال نسبة معلومة متفق عليها من الربح بعد إخراج رأس المال والمصروفات من أجور وضرائب وغيرها⁽²⁾ وقد كانت السيدة خديجة بنت خويلد تمارس هذا النوع من المعاملات التجارية، ومن ضمن من ذهب في تجارتها مضاربة محمد صلى الله

(1) محمد كرد، رسائل البلغاء، مطبعة الحلبي، مصر: 1963، ص29.

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت: مكتبة

النهضة، بغداد: 1976، ج 7، ص334.

عليه وسلم قبل مبعثه⁽¹⁾. وكان عثمان بن عفان قبل إسلامه تاجراً يدفع أمواله مضاربه. فقد روى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أن عثمان دفع إليه مالاً مضاربة على النصف.⁽²⁾

الاستدانة (التسليف):

كانت الاستدانة أمراً شائعاً بين العرب قبل الإسلام، حيث استدان أبو طالب مبلغاً من المال من أخيه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه للقيام بواجب السقاية والرفادة لحجاج بيت الله الحرام لموسمين متتاليين، ولما عجز عن سداد الدين في الموسم الثالث تنازل عن شرف السقاية لأخيه العباس، وكان العباس بن عبد المطلب يداين أهل الطائف ويشتري إنتاجهم من الزبيب الذي يستعمل في تحلية الماء لسقاية حجاج بيت الله الحرام⁽³⁾ وكانت أسماء بنت مخربة أم الحكم بن هشام تبيع العطور في مكة فإذا باعت ديناً كتبت مقدار الدين في كتاب.⁽⁴⁾

كما كانت الاستدانة أمراً شائعاً في المعاملات الزراعية عند أهل يثرب، فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يثرب وجدهم يسلفون في التجار السنة والسنتين بمعنى يعطون ثمن الثمار في الحال، ويأخذون السلع في المال. أي أنهم كانوا

(1) الصالحي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق عبد العزيز عبد الحق حلمي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة: 1997، 2/214، ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، دار بيروت، بيروت، 1398هـ، ج8، ص16.

(2) الكتاني، مصدر سابق، ج2، ص25.

(3) الأزقي. أبو الوليد محمد بن عبد الله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي

الصلح ملحس، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة، 2002، ج1، ص ص 112-113.

(4) ابن سعد، مصدر سابق، ج8، ص220.

يسلفون الفلاح الأموال ويشترطون عليه أن يعطيهم الثمار أو يبيعها لهم. وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا النوع من التسليف قائلاً: "من أسلف فلا يسلف إلا في كيل معلوم إلى أجل معلوم".⁽¹⁾

الرهن والعربون:

عرف العرب قبل الإسلام الرهن، فكانوا يبيعون الطعام أو أية سلعة أخرى مقابل رهن يوضع عند البائع حتى يوفى المشتري الثمن كاملاً، ومن ضمن الأشياء التي ترهن الذهب والفضة والحبوب والأرض والدقيق والسلاح والأولاد والرجال.⁽²⁾ ويقال أن الرسول صلى الله عليه وسلم رهن درعاً عند تاجر يهودي بمدينة يثرب وأخذ منه شعيراً لأهله⁽³⁾، ورهنت قريش الحارث بن علقمة بن كلفة بن عبد مناف عند أبي يكسوم الحبشي، ولذلك عرف بين أهل قريش بالرهينة⁽⁴⁾. كذلك رهن عبد المطلب رداءه لقوم بن جذام مقابل إطلاق سراح حذافة بن غانم العدوي، حتى يدفع لهم الأموال التي وعدهم بها⁽⁵⁾، ويفرد ابن هشام بذكر رواية لم نجدها في بقية المصادر، تفيد أن أهل يثرب كانوا يرهنون النساء والأولاد، فيقول أن أبا نائلة بن سلطان بن سلامة جاء إلى أحد أشرف اليهود وتجارهم وهو كعب بن الأشرف وطلب منه أن يبيع له طعاماً مقابل أن يرهن ويوثق له المرهون كتابة، فطلب

(1) البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تقديم أحمد شاکر، دار الجيل، بيروت: د. ت، ج5، ص55.

(2) جواد علي، مصدر سابق، ج5، ص622.

(3) البخاري، مصدر سابق، ج2، ص16.

(4) جواد علي، مرجع سابق، ج5، ص623.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ج1، ص66.

التاجر اليهودي أن يرهنه نساءه، وعندما رفض ابن سلامة هذا الطلب طلب منه اليهودي أن يرهنه أولاده فلم يقبل ابن سلامة بذلك⁽¹⁾ ومن خلال رفض ابن سلامة هذا الطلب من التاجر اليهودي برهن نساءه وأولاده إلا دليلاً على عدم شيوع مثل هذا النوع من الرهن عند العرب.

وكان من حق المرتهن الاستيلاء على الرهن إذا انتهى موعد الرهن المتفق عليه ولم يدفع المشتري الثمن، كما يجوز بيع الرهن ومطالبة الراهن بالفرق المادي إذا لم يستكمل الرهن الثمن المتفق عليه.⁽²⁾ أما العربون فهو مبلغ يقدمه المشتري للبائع حتى يستكمل المشتري دفع المبلغ المتفق عليه، ويستلم سلعته، أي أن العربون عبارة عن ودیعة للائتمان ولقبول المشتري، السلعة وإتمام عملية البيع والشراء، ولا يحق للمشتري فسخ البيع وإلا خسر ما دفعه من عربون وصار من حق البائع.⁽³⁾

الربا:

كان الربا مظهراً من مظاهر الحركة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام، وخاصة بعد ازدهار التجارة المكية التي جنى من خلالها القرشيون الأرباح الوفيرة، وقد عرفه العلماء بأنه الزيادة على أصل راس المال. وأول من أشاع الربا في بلاد العرب هم اليهود الذين اكتسبوا ثروات كبيرة نتيجة لاستغلالهم بالزراعة والصناعة والتجارة، فعملوا على استثمارها في إقراض الناس قروضاً ربوية، فكان العربي إذا

(1) ابن هشام، عبد الملك الجعافري الحميري البصري، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون. دار الكتب العلمية، بيروت: ب. ت، 5/552.

(2) جواد علي، مرجع سابق، ج5، ص552.

(3) جواد علي، مرجع سابق، ج7، ص401.

احتاج إلى المال ذهب إلى اليهود واقترض منهم قرصاً رويماً، وقد حرمت التوراة على اليهود تعاطي الربا فيما بينهم وأحلته بالنسبة لمن لم يكن على دينهم، لا سيما بعد عودتهم من السبي، وصار الربا من أهم الوسائل التي يتكسبون منها. (1)

ولم يقتصر التعامل بالربا على اليهود فقط، بل انتشر بين أغلب العرب، حتى أصبح من المعاملات المالية المألوفة بين التجار وأهل المدن والقرى، ومن الشخصيات القريشية التي اشتهرت بتعاملها بالربا العباس بن عبد المطلب، وأبو لهب، وخالد بن الوليد (2)، وعثمان بن عفان (3)، والوليد بن المغيرة الذي أوصى أبناءه ومنهم خالد بن الوليد حينما حضرته المنية بقوله: "ورباي في ثقيف لا تدعوه حتى تأخذوه" (4). ومن الشخصيات اليتيرية التي تعاملت بالربا أحيحة بن الجلاح الذي كان يقرض الأموال للناس بالربا (5)، وكان أهل يثرب يقرضون المال والطعام من اليهود مقابل ربا فاحش، فقد ورد أن رجلاً من يثرب اقترض ثمانين ديناراً من يهودي وأعطاه ربا بلغ خمسين في المائة من المبلغ المقرض في سنة واحدة. (6)

(1) جواد علي، المرجع نفسه، ج7، ص423.

(2) الأصفهاني. أبو الفرج علي بن الحسن الأغانبي، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، الدار

التونسية للنشر، تونس، دار الثقافة، بيروت: 1983، ج4، ص78.

(3) أحمد الشريف، مرجع سابق، ص214. سعيد الأفغانبي، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام،

دار الآفاق العربية، دمشق: 1960، ص67.

(4) ابن هشام، مصدر سابق، ج2، ص411.

(5) سعيد الأفغانبي، مرجع سابق، ص62.

(6) البخاري، مصدر سابق، ج4، ص34.

وكان في بلاد العرب مرابون محترفون ليس لديهم عمل سوى توظيف أموالهم في قروض ربوية، لأن الربا كان جزءاً لا يتجزأ من معاملاتهم المالية ويحقق لهم أرباحاً مضاعفة، ويزداد تضاعف القرض الربوي عندما يعجز المدين عن سداد دينه في الوقت المحدد، فيقول صاحب المال زد المال حتى أزيدك في الأجل⁽¹⁾، فكلما تأخر المدين عن سداد دينه في الوقت المحدد زادت أرباح صاحب المال، وقد يتكرر التأجيل مرات عديدة حتى تصبح المائة بعد سنين مئات، وهذا ما ينتج عنه أكل أموال الناس بالباطل، وتضييع حقوق الناس مقابل تسديد الديون المتركمة سنوياً.

وقد استهجن بعض القرشيين التعامل بالربا وجني الأرباح عن طريقه، ويتضح هذا من وصية عمرو بن عائد بن عبد بن عمران بن مخزوم للقرشيين أثناء تجديد قريش بناء الكعبة قائلاً لهم: "يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً، لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس".⁽²⁾

والربا عند العرب قبل الإسلام نوعان: ربا التزبيث ويعرف أيضاً بربا النسيئة، وربا النشق ويعرف أيضاً بربا الفضل، فالنوع الأول ربا التزبيث وهو الزيادة التي تؤخذ على الطعام مثل الحنطة والشعير والتمر، أي بيع الصنف بضعفه مثل بيع كيلة الحنطة بكيلتين مثلاً، أما ربا النشق فهو الزيادة التي تؤخذ على النقد من دنائير ودرهم وذهب وفضة⁽³⁾. وكانوا يكتبون الدين ورياه في وثيقة، يكتب كاتبها اسمه فيها ويكتب فيها اسم المدين وإقراره بدينه للدائن، ويبين فيها مقدار الربا، وفي

(1) الأصفهاني، مصدر سابق، ج4، ص80.

(2) الأصفهاني، مصدر سابق، ج2، ص194.

(3) جواد علي، مرجع سابق، ج7، ص ص 422-423.

الغالب أنهم لا يكتبون أصل الدين، بل يكتبون إجمالي المبلغ أصل الدين مع الزيادة أي الربا. ويشهد على ذلك العقد شاهدان. ولهذا لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه. (1)

الضرائب: تشمل الضرائب كل ما كان يفرضه الملوك والحكومات وأصحاب الأرض وسادات القبائل من حقوق مادية على رعاياهم وأتباعهم أو التجار الذين كانوا يتاجرون في أسواقهم حتى يجبرون على دفعها، والضرائب تفرض على ما يتحصل عليه الإنسان من ربح في البيع⁽²⁾، وتتفاوت قيمة الضريبة من مكان إلى آخر ومن سوق إلى سوق، حيث كانت قيمة الضريبة في بعض الأسواق مرتفعة مما أدى إلى تهرب الناس من دفعها كالضرائب التي كانت تفرض على أسواق الحيرة، وتكون في أسواق أخرى قيمتها مناسبة ومشجعة للتجار والصناع على ارتياد تلك الأسواق مثل الضرائب التي كانت تؤخذ من أسواق اليمن⁽³⁾. وفضلاً عن ذلك فإن الضرائب التي تؤخذ من الأسواق التي تخضع لسلطة حكومة مركزية كما هو الحال عن ضرائب أسواق دومة الجندل وأسواق عمان وأسواق اليمن كانت تعود إلى خزينة الحكومة وتصرف على المشاريع العامة وولائم الملك⁽⁴⁾. أما الضرائب التي عرفت

(1) جواد علي، مرجع سابق، 433/7.

(2) جواد علي، مرجع سابق، 472/7-473.

(3) علي كسار غدير الغزالي، صناعات العرب في الجزيرة العربية قبل الإسلام منذ الألف الأول قبل الميلاد حتى عام 622هـ/6م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية- قسم التاريخ، 2001، ص 112.

(4) نورة عبد الله العلي النعيم، مرجع سابق، ص 274.

*الأزد قبيلة عربية تنتمي لكهلان من سبع القحطانية وتنتسب الي الأزدي ابن الغوث بن نَبَيْتُ ابن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، هجروا اليمن بعد تصدع سد

باسم الأتاوى وهي التي تجني من الأسواق التي لا تتبع حكومة مركزية مثل سوق عكاظ فإنها تدفع لأصحاب الأرض أو زعماء القبائل، وقد أشار الأصفهاني إلى ذلك بقوله: "وكان عبد الله بن عجلان سيداً مطاعاً وكانت له أتاوى بعكاظ، ويؤتى بها، ويأتيه بها هذا الحي من الأزد* وغيرهم"، وقد تحدث نتيجة عدم دفع تلك الأتاوى حروب دموية بين القبائل، ومن أشهرها ما وقع بين حجر الكندي وبنو أسد الذين رفضوا دفع الأتاوى، وكانت نتيجة ذلك اندلاع المعارك بينهما وقتل حجر، وطلب ابنه امري القيس بثأره واستمرت المعارك بينه وبين بني أسد فترة طويلة من الزمن.⁽¹⁾ وكانت الضرائب في بلاد اليمن في البداية عبارة عن تبرعات وصدقات يدفعها القادر عن نفسه تقرباً للآلهة حتى ترضى عنه وتمنحه ما يريد، وعند ظهور الملوك أخذت تلك الضرائب بوصفها تعويضاً يعفي دافعها من أعمال السخرة أو التجنيد في القتال، وبعد استقرار الدولة وسيطرة الملوك فرضت الضرائب فرضاً إلزامياً لتكون إيراداً يمون الدولة ما تحتاج له من أموال، وطبقت في البداية على المحاصيل الزراعية ثم على النشاط التجاري والصناعي، حيث شكلت الجزء الأكبر من دخل الحكومات والمعابد⁽²⁾، وأصبحت ضريبة العشر في دولتي قتيبان وسبأ تفرض على كل الأعمال الزراعية والتجارية، وذكر المؤرخ فلينوس أن سكان بلاد العرب الجنوبية كانوا يدفعون ضريبة العشر على اللبان وما تنتجه بلادهم من بخور

مأرب، وانقسموا الي آزد شنؤة ، وآزد السرة ، وآزد عمان ، وآزد غسان ، وتفروعوا الي بطون عديدة مثل الأوس والخزرج وخزاعة . ينظر . سالم حسن عبيدة . تاريخ قبيلة الآزد في الجاهلية والإسلام حتى نهاية العصر الأموي في شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها . رسالة ماجستير غير منشورة . جامعة تشرين ،دمشق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، قسم التاريخ 2015م ،ص20.

(1) الأصفهاني، مصدر سابق، ج4، ص87.

(2) نورة عبد الله العلي النعيم، مرجع سابق، ص 273.

للإله سين. كما كلفت الحكومات العربية الجنوبية جباة يجلسون في مداخل الأسواق لجمع ضريبة العشر المفروضة على التجار، أما عن الضرائب ببلاد الشام فكان التجار العرب إذا دخلوا بلاد الشام عشرهم رجال المكس على الحدود، وإذا دخلوا أسواق بلاد الشام عشرهم العشارون في هذه الأسواق⁽¹⁾، وأصدر حكام تدمر تشريعات تبين القيمة الضريبية المفروضة على السلع المستوردة والقوافل التجارية المارة ببلادهم والمحاصيل الزراعية والأعمال الفنية كالصور البرونزية والتمائيل وغيرها⁽²⁾ كذلك تولى الغساسنة جباية الضرائب في الأسواق الواقعة في نطاق مملكتهم مثل سوق دومة الجندل، حيث كان روح بن زباع ممن يعشر ويفرض الضرائب على من يمر بمشارف الشام⁽³⁾. أما عن الضرائب في منطقة الحجاز فقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن قبيلة جرهم التي سكنت مكة^(*) شرعت ضريبة العشر على التجار الأجانب الوافدين إلى مكة، واستمرت هذه الضريبة إلى عهد قريش، فكان قصي بن كلاب يعشر التجار الوافدين من لخارج مكة من غير أهلها⁽⁴⁾، كذلك كانت قريش تأخذ ضريبة الرؤوس على كل غريب ينزل في بلدة مكة

(¹) نقلاً عن جواد علي، مرجع سابق، ج7، ص 477-478.

(²) علي كسار غدير الغزالي، مرجع سابق، ص113.

(³) جواد علي، مرجع سابق، ج7، ص 478-479.

(*) كان في مكة حكومة من النوع الذي يسميه علماء الاجتماع "الباترياركا" التي تعتمد نظام

الأبوة، أو سيادة الرجل، حيث كان في مكة زعيم بارز يخضع الجميع - ينظر، حسيني

الخربوطي، تاريخ الكعبة، دار الجبل، بيروت: 2004، ص43.

(⁴) الفاسي. تقي الدين محمد بن علي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد

سيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة: ب. ت، ج1، ص146.

وتسمى بضريبة الحريم⁽¹⁾، أما الضرائب الزراعية بمكة فلم تمدنا المصادر عنها بمعلومات وافية، وربما يعود الأمر إلى افتقار مكة للزراعة الكثيفة، كذلك لم تمدنا المصادر التاريخية بمعلومات صريحة عن الضرائب التجارية والزراعية في يثرب وربما يعود الأمر لعدم وجود حكومة أو سلطة تقوم بجباية الضرائب.

الخاتمة

مما سبق يتبين أن العرب قبل الإسلام عرفوا العديد من المعاملات التجارية، بدأت بنظام المقايضة ثم تطورت هذه الآلية إلى التعامل بأوزان المعادن الثمينة، ونتيجة للصعوبات التي واجهت نظامي المقايضة والتعامل بأوزان المعادن الثمينة من حيث الوزن ومعادلة القيمة، توصل العرب في القرن الثالث ق.م إلى التعامل بالنقود المحلية والأجنبية، والتي كان لها دوراً هاماً في تبسيط وتنشيط عمليات التبادل التجاري، فازدهرت التجارة داخلياً وخارجياً، كما بينت الدراسة أن العرب قبل الإسلام عرفوا التعامل بنظام الصكوك والعربون لضمان حقوق البائع والمشتري، كما عمل بعض التجار العرب على استثمار رؤوس أموالهم عن طريق التعامل بالربا حتى أصبح من المعاملات المألوفة بين العرب رغم استهجان بعض القرشيين لتلك المعاملة، وفضلاً عن ذلك عمل التجار العرب على تسهيل عمليات التبادل التجاري عن طريق المضاربة والاستدانة والرهن والعربون مع الحفاظ على حقوقهم عن طريق كتابة الصكوك المالية التي تحفظ حقوق الطرفين.

(1) جواد علي، مرجع سابق، ج4، ص21.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تقديم أحمد شاکر، دار الجبل، بيروت: ب.ت
- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر. بيروت: 1987
- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر: ب.ت.
- الحلبي، علي بن برهان الدين، من إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية المطبعة الأزهرية مصر: 1329هـ.
- ابن الزبير، القاضي الرشيد، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، الكويت: 1959.
- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصلح ملحس، مكتبة الثقافة، مكة المكرمة: 2002
- ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، دار بيروت، بيروت: 1398هـ.
- الصالحى، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في خير العباد، تحقيق عبدالعزيز عبدالحق حلمي، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة: 1997
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسن، الأغاني، تحقيق وإشراف لجنة من الأدباء، الدار التونسية للنشر، تونس، دار الثقافة، بيروت: 1983

الفاسي، تقي الدين محمد بن علي المكي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة: ب.ت.

الكتاني، عبد الحي بن شمس الأفاق أبو المكارم الفاسي، كتاب التراتيب الإدارية، ب.ط. بيروت: ب.ت.

ابن هشام، عبدالملك الجعافري الحميدي البصري، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت: ب.ت.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد عبدالله النجدي، القاهرة : 1953م.

ثانياً: المراجع العربية

الخبروطي، حسيني، تاريخ الكعبة، دار الجبل، بيروت: 2004م.

زيدان، جرجي، العرب قبل الإسلام، دار مكتبة الحياة، بيروت: ب.ت.

الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلي الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، القاهرة: 1965م.

علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت : مكتبة النهضة، بغداد : 1976م.

الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الافاق العربية، دمشق: 1960م.

كرد، محمد، رسائل البلغاء، مطبعة الحلبي، مصر : 1963م.

النعيم، نورة عبدالله العلي، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث ق.م حتى القرن الثالث الميلادي، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض

: ب.ت

ثالثاً: الرسائل العلمية

السليمانى، علي بن حسن. النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية في أواخر العصور الوسطى، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1985م.

عبيدة، سالم حسن، تاريخ قبيلة الأزدي في الجاهلية والإسلام حتى نهاية العصر الأموي في شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تشرين دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2015م.

الغزالي، علي كسار غدير، صناعات العرب في الجزيرة العربية قبل الإسلام منذ الألف الأول قبل الميلاد حتى عام 1 هـ - 622م ، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية، قسم التاريخ، 2001م.

رابعاً: المراجع الأجنبية

Irvin .K.some notes on old south Arabian Monetary Terminology. TRAS 1964.

ظاهرة العنف الرمزي بين الشباب أسبابها - آثارها دراسة نظرية في علم اجتماع

إعداد: د. ميلاد إمام عريشة*

المخلص:

البحث بعنوان (ظاهرة العنف الرمزي بين الشباب أسبابها وأثارها) وأجاب البحث عن التساؤل الآتي ما هو العنف، وما هو العنف الرمزي، وما هي أسبابه وأثاره ومستوياته بين الشباب عبر مواقع التواصل الاجتماعي، وتتمثل أهداف البحث في محاولة الوصول إلى حقيقة الظاهرة المدروسة و محاولة فهم أو معرفة العنف والعنف الرمزي والأسباب و الآثار الحقيقية للعنف الرمزي ومعرفة العلاقة بين وسائل الإعلام المختلفة ومن أهمها وسائل التواصل الاجتماعي والعنف الرمزي ولقد استخدم الباحث المنهج الوصفي وتوصل إلى عدة نتائج منها تبين أن العنف الرمزي يتخفى وراء الدلالات والرموز والمعاني، وهو منتشر بين الشباب في المجتمع الليبي ويتميز العنف الرمزي عبر الفضاء الافتراضي، مثله مثل العنف الرمزي في الواقع، بالتخفي والانسياب في العقل، دون أن يشعر الفرد الضحية بهذه القوة التي تجعله يخضع لها، حيث تترجمه بصورة لا واعية، وتستقر في عقله الباطن على أنها ممارسات طبيعية ومنطقية كما تبين أن العنف الرمزي هو عملية حسية وجدانية ذات تأثير نفسي تستخدم هيمنتها وأساليبها الناعمة بالتأثير على

* أستاذ مساعد جامعة طرابلس كلية التربية جنزور/ قسم علم الاجتماع

Wer222aba@gmail.com

الأفراد برغبتهم أو من دونها، بحيث أن الشخص المُعَنَف يتعرض لهذا العنف ويرضخ لرغبة المُعَنَف تلقائياً، وتبين أن العنف الرمزي في المجتمع الليبي منتشر بين الشباب على اختلاف مستوياتهم العلمية والثقافية، وكما تبين أن العنف الرمزي يترك أثراً نفسي كبير على الضحية سواء كانوا أفراداً أو جماعات وأتضح أن الوعي الديني له تأثير في التقليل من مستوي العنف الرمزي بين الشباب .

Abstract:

The research entitled the phenomenon of symbolic violence among young people, its causes and effect. The research answered the following questions: What is violence? What is symbolic violence? and what are its causes, effects and levels among young people through social media?, The research aims to achieve the following: To reach the truth of the studied phenomenon and an attempt to understand or recognize violence and symbolic violence, the real cause, effects of symbolic violence and knowing the relationship between different media, the most important of which are social media and symbolic violence among the Libyan society.

Symbolic violence in the virtual life, like symbolic violence in reality, is characterized by invisibility and flow in the mind without the victim feeling this force that makes him subject to

it, as it subconsciously programmes it, and settles in his subconscious mind as natural and logical practices, as it turns out that violence. The symbolic is a sensory and emotional process with a psychological effect that uses its hegemony and soft methods to influence individuals with their will or without them, so that the abused person is exposed to this violence and automatically succumbs to the abuser's desire. Symbolic violence has a significant psychological impact on the victims, whether they are individuals or groups, and it turns out that religious awareness has an impact on reducing the level of symbolic violence among youths.

المقدمة :

يمكن اعتبار العنف أشدّ الظواهر الاجتماعية ملازمة للاجتماع البشري، بل وأشدّها غموضاً وأكثرها إثارة للقلق، لما يخلفه من آثار سلبية وخطيرة على المستوى الفردي والجماعي فالعنف مشكلة اجتماعية خطيرة واجهت المجتمع الإنساني منذ أن كان مكوناً من بضعة أفراد ولم تفلح الجهود الإنسانية عبر مراحل التاريخ في القضاء عليه، وتتبع خطورة الظاهرة من مناهضتها للمشاعر الإنسانية وإضرارها بالمصالح العامة والخاصة، و اتخذ العنف على مدار الإنسانية أشكالاً عدة مباشرة وغير مباشرة ، خفية ومعلنة، من العنف الجسدي في أبسط صورته وأكثرها غريزية من خلال استخدام القوة العضلية في الدفاع أو التظلم أو حتى لإشباع غريزة الانتصار

البشرية، إلى العنف الرمزي الذي يتخذ مسارات وطرق عدة، لا تقل خطوره عن العنف الجسدي، بل يمكن أن تتخذ أبعاداً أوسع وأعمق، ليشمل كل أشكال العنف غير المادي التي تلحق الأذى بالآخر سواء عن طريق الكلام أو اللغة أو مختلف الأشكال التعبيرية، يبقى العنف ظاهرة معقدة، تتشابك فيها الكثير من العوامل والمسببات، تتراوح بين الجوانب النفسية والاجتماعية، وتتقاطع فيها العديد من الميادين من السياسة إلى الاقتصاد إلى التربية، كما تساهم فيها العديد من المؤسسات الاجتماعية، من المدرسة التي هي الحاضن الأساس لثقافة السلم أو ثقافة العنف، إلى المؤسسات الإعلامية بصفتها أهم المؤسسات الثقافية الناقلة للمعايير المجتمعية، بل تعتبر في كثير من الأحيان أهم المؤسسات المساهمة في ظاهرة العنف، وذلك بنشرها وفق أطروحات تجعل الوسائط الإعلامية مدارس لتكريس وتعليم العنف وأطروحات أخرى تجعل من الوسائط الإعلامية أهم مؤسسات الضبط الاجتماعي بالمساهمة في الحد من الظاهرة.

ولأنّ العنف ظاهرة اجتماعية بالأساس، على اعتبار أنّها إشكالية لا تحمل طابعاً أكاديمياً فقط، وإنّما سياسياً أيضاً، ففيها تتقاطع وتتعمق أكثر المواضيع السياسية والاقتصاد والأخلاق والقانون والتاريخ وعلم النفس والموازين العالمية والثورة العلمية والتكنولوجية، فإنّ أيّ دراسة لظاهرة العنف يجب ألا تتأى عن فهم ومحاولة سيقنة الظاهرة في إطارها الاجتماعي العام، حيث تؤكد معظم الدراسات العلمية الأكاديمية أنّ التربية والثقافة والعلاقات الاجتماعية تلعب دوراً هاماً في جعل بعض الأفراد أو الشعوب أكثر ميلاً إلى استخدام العنف من غيرهم من الشعوب فالعنف يرتبط بالتنظيم الاجتماعي للمجتمع، وإذا كانت ممارسة العنف أو التعرض له لا تقتصر على فئة اجتماعية دون غيرها، إلا أنّها لدى فئة الشباب تتخذ منحرجات خطيرة، بل

ويمكن أن تكون أسلوباً للتعايش والتعبير وإثبات الذات، لما للشباب من اندفاع ورغبة في إظهار القوة .

وتحتل وسائل الإعلام بمختلف أشكالها دوراً بارزاً في المنظومة الاجتماعية، ويكاد يكون لها دور محوري في هذه الظاهرة الاجتماعية بالذات، ليست فقط كشريك، إنّما كمسؤول عنها كذلك، فالواقع الذي تطلّعون عليه وسائل الإعلام يحمل طابعاً متناقضاً، لأنّه انعكاس للواقع وبديل عن مرجعيته في الوقت ذاته، أو يقوم مقامها، فوسائل الإعلام تبدو أنّها تعيد إنتاج الواقع بينما تقوم بتشكيله قطعة قطعة، ليملك مظاهر صورة طبق الأصل، ويشكل تمثلاً له في آن واحد بمعنى أنّ وسائل الإعلام لا تقوم فقط بتغطية أخبار العنف، أو تناوله إعلامياً، إنّما أيضاً تساهم في بلورته من خلال تشكيل صور وتكريس ممارسات تساهم في نشر ثقافة العنف لدى متلقي الرسالة الإعلامية

تحديد مشكلة البحث :

أدت وسائل الإعلام الجديدة إلى تغييرات متسارعة في سلوكيات مستخدميها بشكل يظهر عنفاً رمزياً بصورة اللفظية وغير اللفظية، وذلك لدعم السلوك المعادي والمتكرر من قبل فرد أو جماعة بهدف السيطرة بالقوة والكذب، وإيذاء الآخرين، مما يُشكل بيئة إعلامية عدائية ومُحبطة تقوم على الرفض والتهديد والإحساس بالغرابة ، بما يؤثر في نظرة الأفراد لذواتهم بوصفها الموجه الرئيس لسلوكياتهم ونظرتهم للآخرين في المواقف المختلفة، وبشكل ينعكس على مستوى شعورهم بالأمن النفسي، والعنف الرمزي يتغلغل في مختلف أشكال الحياة السياسية والدينية والفكرية والاجتماعية إذ يأخذ هذا النوع من العنف صورة رمزية واضحة تمكن ممارستها من

الوصول إلى غايته وتحقيق ما يصبو إليه من سيطرة دون اللجوء إلى القوة الواضحة والمعلنة .

وإذا كانت ممارسة العنف أو التعرض له لا تقتصر على فئة اجتماعية دون غيرها، إلا أنّها لدى فئة الشباب تتخذ منحرجات خطيرة، بل ويمكن أن تكون أسلوباً للتعايش والتعبير و إثبات الذات، لما للشباب من اندفاع ورغبة في إظهار القوة والعنفوان .

وتتعدد مظاهر العنف ومسبباته لدى فئة الشباب، منها الأسباب الذاتية و الاجتماعية والنفسية مثل البطالة، والفقر وغيرها، تلقي بهذه الفئة في غياهب الجريمة والعنف إلى الأسباب الموضوعية المتعددة التي تساهم في نشر وتكريس ثقافة العنف، عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية مثل الأسرة والمدرسة ووسائل التواصل الاجتماعي .

وضمن استخدامات وسائل الإعلام الجديدة، تأخذ الشبكات الاجتماعية ومواقع التواصل الاجتماعي النصيب الأكبر من انشغال الشباب، لما توفره من خدمات متعددة فبالإضافة إلى مساهمتها في تقوية العلاقات الاجتماعية وتسهيل التواصل، تعتبر الشبكات الاجتماعية منابر حرة لإبداء الرأي ومناقشة القضايا بحرية بالغة بعيداً عن الإكراه والحدود التي يرسمها المجتمع ووسائل إعلامه التقليدية في الواقع، و من هنا يمكن اعتبار الشبكات الاجتماعية فضاءً هاماً لدراسة سلوكيات الشباب وأنماط تفكيرهم، وقياس مدى ممارستهم للعنف بكافة تجلياته عبرها وعليه فقد تحددت مشكلة البحث الحالي في دراسة ظاهرة العنف الرمزي بين الشباب .

ويمكننا صياغة مشكلة البحث في التساؤل الرئيسي التالي :

ما هو العنف، وما هو العنف الرمزي؟ وما هي أسبابه وأثاره ومستوياته بين الشباب عبر مواقع التواصل الاجتماعي؟

ومن هذا التساؤل يمكن صياغة التساؤلات الفرعية الآتية :

ما هي الآثار المترتبة عن العنف الرمزي بين الشباب عبر مواقع التواصل الاجتماعي؟ .

ما علاقة العنف الرمزي بوسائل الإعلام المختلفة ومن أهمها وسائل التواصل الاجتماعي؟ .

أهداف البحث:

- محاولة الوصول إلى حقيقة الظاهرة المدروسة.

- محاولة فهم أو معرفة العنف والعنف الرمزي والأسباب والآثار الحقيقية للعنف الرمزي .

- معرفة العلاقة بين وسائل الإعلام المختلفة ومن أهمها وسائل التواصل الاجتماعي والعنف الرمزي .

- فتح مجالات مستقبلية لدراسة الموضوع من جوانب مختلفة، كالبحث في أبعاد أخرى مختلفة للعنف الرمزي.

أهمية البحث:

- تكمن أهمية هذا البحث في فهم موضوع العنف الرمزي عبر مواقع التواصل الاجتماعي وارتباط هذا العنف ارتباطاً مباشراً بمظاهر الحياة الاجتماعية.
- كما وتتبع أهمية هذا البحث في كونه يدرس ظاهرة من أهم الظواهر الإعلامية المعاصرة حيث استطاعت التكنولوجيا الجديدة أن تغير العديد من المفاهيم في المجتمع، وأمام الإيجابيات اللافتة التي تقدمها بات موضوع تأثيرها في مختلف المناحي من الحياة واضحاً سيما علي التفاعل الاجتماعي .
- نظراً لقلّة الدراسات التي تتناول موضوع العنف الرمزي عبر مواقع التواصل الاجتماعي يمكن أن يكون هذا البحث بمثابة إثراء للدراسات الإعلامية والاجتماعية.

المنهج المستخدم في البحث :

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التحليلية، لأنها تعني بحصر العوامل المختلفة المؤثرة في موضوع الدراسة، حيث تعدّ البحوث الوصفية التحليلية الخطوة الأولى نحو تحقيق الفهم الصحيح للواقع، ويعدّ هذا المنهج من المناهج الأساسية التي تستخدم في الدراسات الوصفية حيث يمكن من خلاله الحصول على المعلومات المطلوبة المرتبطة بظاهرة العنف الرمزي بين الشباب عن طريق التعمق في الوصف التحليلي لها⁽¹⁾.

¹ - عبدالباسط محمد حسين، أصول البحث الاجتماعي، (ط14)، منشورات مكتبة وهبة، القاهرة،

مفاهيم البحث :

1- العنف:

هو تعبير عن القوة الجسدية التي تصدر ضد النفس أو ضد أي شخص آخر بصورة متعمدة أو إرغام الفرد على إتيان هذا الفعل نتيجة لشعوره بالألم بسبب ما تعرض له من أذى وتشير استخدامات مختلفة للمصطلح إلى تدمير الأشياء والجمادات (مثل تدمير الممتلكات) ويستخدم العنف في جميع أنحاء العالم كأداة للتأثير على الآخرين، كما أنه يعتبر من الأمور التي تحظى باهتمام القانون والثقافة حيث يسعى كلاهما إلى قمع ظاهرة العنف ومنع تشبيها ومن الممكن أن يتخذ العنف صورًا كثيرة تبدو في أي مكان على وجه الأرض، بدايةً من مجرد الضرب بين شخصين والذي قد يسفر عن إيذاء بدني وانتهاءً بالحرب والإبادة الجماعية التي يموت فيها ملايين الأفراد⁽²⁾.

2- العنف الرمزي: Symbolic violence

يعرفه بورديو بأنه عنف نائم خفي هادئ لا مرئي ولا محسوس حتى بالنسبة لضحاياه و يعني أن يفرض المسيطرون طريقتهم في التفكير و التعبير، والتصور

2- نعيمة رحمانى- زينب دهيمة ، الانترنت - العالم الافتراضي - والعنف الرمزي ، (مجلة علوم

الإنسان والمجتمع ، جامعة بسكرة ، العدد 11، الجزائر) 2014 ، ص 33.

3- أحمد عادل عبد الفتاح ، العنف الرمزي المدرك بوسائل الإعلام الجديدة وعلاقته بمفهوم الذات والأمن النفسي لدى الشباب المصري، دراسة ميدانية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية النوعية ، جامعة المنصورة ، 2018، ص 4 .

الذي يكون أكثر ملائمة لمصالحهم، معتمداً على الرموز بوصفها أدوات في السيطرة والهيمنة، كاللغة والصورة و الإشارات والدلالات⁽³⁾.

وبذلك فإن تلك الوسائل الجديدة باتت تبسط سيطرتها، وتستغل بذكاء التقنيات لتمرر هذا العنف بصوره (اللفظية كالسب والسخرية والتجريدية كعدم السماح للآخرين بالتعبير عن أفكارهم كالتقليل من شأن الآخرين والتشكيك في قدراتهم⁽¹⁾ . ويعرف العنف الرمزي أيضاً بأنه : العنف الذي تقوم به مجاميع بسبب عرقي او طائفي او ثقافي والذي يأخذ صفة التحقير او الاقصاء⁽²⁾ .

- وعرفه ابو زهري و اخرون (2008) بأنه سلوك يوجه إلى تحقير الآخرين أو استقزازهم كالامتناع عن رد السلام أو تجاهل الفرد والانتزاع والسخرية من خلال الحركات أو النظرات وغيرها⁽³⁾ .

- وعرفته وطفة (2009) بأنه القدرة على فرض الرموز والمعاني للسيطرة على الاخر وفرض الهيمنة عليه بوصفها دلالات ومعاني شرعية، و إخفاء علاقات القوة التي ترتكز عليها تلك القدرة ويحدث بتواطؤ الضحية التي يقع عليها⁽¹⁾.

¹ - عايد على حسين، العنف الرمزي المدرك وعلاقته بالعجز المتعلم لدى طلبة الجامعة (مجلة دراسات الكوفة، العدد 337)، العراق، 2016، ص 20.

² - فاتن عبد الجبار الخرجي، العنف الرمزي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب جامعة بغداد، 2018، ص 18.

³ - نفس المرجع السابق ص 19.

3- الشباب :

إن تحديد مرحلة الشباب بدايتها ونهايتها تختلف من مجتمع لآخر حسب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية السائدة في تلك المجتمعات ولا يوجد تعريف واحد للشباب، وهناك صعوبة في إيجاد تحديد واضح لهذا المفهوم، وعدم الاتفاق على تعريف موحد شامل يعود لأسباب كثيرة أهمها اختلاف الأهداف المنشودة من وضع تعريف وتباين المفاهيم والأفكار العامة التي يقوم عليها التحليل السيكولوجي والاجتماعي الذي يخدم تلك الأهداف .

تعريف مفهوم الشباب من خلال عديد الاتجاهات:

أ- الاتجاه البيولوجي : وهذا الاتجاه يؤكد الحتمية البيولوجية باعتبارها مرحلة عمرية أو طور من أطوار نمو الإنسان، الذي فيه يكتمل نضجه العضوي الفيزيقي، وكذلك نضجه العقلي والنفسي والذي يبدأ من سن 15 - 25 وهناك من يحددها من 13-30⁽²⁾.

ب - الاتجاه السيكولوجي : يرى هذا الاتجاه أن الشباب حالة عمرية تخضع لنمو بيولوجي من جهة، ولثقافة المجتمع من جهة أخرى بدءاً من سن البلوغ وانتهاء بدخول الفرد إلى عالم الراشدين الكبار، حيث تكون قد اكتملت عمليات التطبيع

¹ - على أسعد وطفة، الطاقة الاستلابية للعنف الرمزي، دار العروبة للنشر، الكويت، 2010، ص 9 .

² - وجدي محمد بركات، أفق التنمية لدي الشباب وتأثير المجتمع (رؤية أمنية اجتماعية معاصرة)، الأكاديمية الملكية للشرطة ، مركز البحوث الأمنية ، البحرين، 2008، ص 8 .

الاجتماعي، وهذا التعريف يحاول الدمج بين الاشتراطات العمرية والثقافة المكتسبة من المجتمع .

ج - الاتجاه السوسولوجي (الاجتماعي) ينظر هذا الاتجاه للشباب باعتباره حقيقة اجتماعية وليس ظاهرة بيولوجية فقط ، بمعنى أن هناك مجموعة من السمات والخصائص إذا توافرت في فئة من السكان كانت هذه الفئة شباباً⁽¹⁾.

فحسب علماء الاجتماع تبدأ مرحلة الشباب من خلال دخول الفرد إلى المجتمع الذي يسعى بدوره إلى إدماجه وتأهيله ليقوم بمهامه المختلفة داخله، وإنّ من الصعوبات التي تواجه أيّ باحث هي تحديد مرحلة الشباب في أيّ سن تبدأ وأي سن تنتهي فهو مفهوم ليس له حدود مضبوطة وواضحة فحسب بيار بورديو Pierre Bourdieu الحدود بين الأعمار أو الشرائح العمرية هي حدود اعتباطية، ونحن لا نعرف من أين ينتهي الشباب لتبدأ الشيخوخة مثلما لا يمكننا أن نقدّر أين ينتهي الفقر ليبدأ الغنى فالفئات العمرية حسب بورديو هي نتاج بناء مجتمعي يتحدد بشروط اجتماعية معينة ويتطوّر عبر التاريخ ويتخذ أشكالاً ومفاهيم في ارتباط وثيق بالأوضاع والحالات الاجتماعية⁽²⁾.

1 - نفس المرجع السابق ص 8 - 9.

2 - نفس المرجع ص 10.

4- العلاقات الافتراضية:

نقصد بها تلك العلاقات التي تنشأ بين مستخدمي الشبكات الاجتماعية، من خلال الاتصالات المتكررة التي تتحول إلى رابط اجتماعي، يمكن أن يتحول حتى إلى علاقة حقيقية في الواقع (1).

5-الإعلام الجديد :

يعرف قاموس التكنولوجيا الرفيعة الإعلام الجديد بشكل مختصر ويصفه بأنه اندماج الكمبيوتر وشبكات الكمبيوتر والوسائط المتعددة " وبحسب ليستر الاعلام الجديد باختصار هو مجموعة تكنولوجيات الاتصال التي تولدت من التزاوج بين الكمبيوتر والوسائل التقليدية للإعلام والطباعة والتصوير الفوتوغرافي والصوت والفيديو (2).

6-الاتصال الوسيطي :

هو أي شكل من أشكال مشاركة ونقل الرسائل عن طريق وسيط بدلا من نقلها وجها لوجه، ونقصد بالاتصال الوسيطي في هذه الدراسة الاتصال عن طريق مواقع

1 - نريمان نورمان، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية دراسة عينة من مستخدمي موقع الفاييبوك في الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج الخضر، باتنة، كلية الاعلام والاتصال، 2012، ص 9 .

2 - عباس مصطفى صادق، الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات، دار الشروق، عمان ، 2008، ص 31.

الشبكات الاجتماعية وتحديدًا موقع الفيسبوك "الذي يعتبر كوسيط لنقل الرسائل بين المتفاعلين في الفضاء الافتراضي" (1).

الإطار النظري للبحث (النظريات المفسرة والدراسات السابقة)

أولاً (النظريات العلمية المفسرة للعنف:

نظرية" بورديو Bourdieu للعنف الرمزي :

توصل " بورديو " إلى أنّ العنف الرمزي يظهر بشكل غير مباشر عبر علاقات الأفراد ويتوقف تأثيره على الدلالات والتصورات الرمزية التي توجّه عبر خطابات الأفراد للآخرين، من أجل إخضاعهم والتحكم في سلوكياتهم بدرجة كبيرة لذا فإن هذا العنف لا يُلحقُ الأذى البدني بالأفراد وإنما يصيبهم بالضرر النفسي، ويمكن قياسه من خلال إدراك الأفراد لما يواجهونه من ممارسات عنيفة، كالحرمان والتعنيف في حياتهم الاجتماعية، ويمارسه الغير عبر عدة أساليب هي تبخيس قيمة الأفراد والتعالي عليهم، وإنكار قدراتهم ، واستلاب حقوقهم، وحرمانهم من التعبير عن أنفسهم (2).

1 - نريمان نورمان، مرجع سبق ذكره ص 10.

2- أحمد عادل عبدالفتاح ، العنف الرمزي المدرك بوسائل الإعلام الجديدة وعلاقته بمفهوم الذات والأمن النفسي لدى الشباب المصري، مرجع سبق ذكره ، ص 5 .

ظرية التفكك الاخلاقي:

تشير هذه النظرية إلى أن العنف الرمزي يظهر في المؤسسات التعليمية والاجتماعية التي توجد في مجتمعات تعاني من التفكك والانهيار في النظام الاخلاقي السائد، إذ ترى أنه عندما تغيب العلاقات الانسانية الايجابية بين الافراد وتتعدم مظاهر احترام حقوق الانسان وهيمنة بعض الفئات الاجتماعية والطبقية في المجتمع، فان ذلك يؤدي إلى تآكل قيم المجتمع وانهيار اواصره وروابطه الاخلاقية التي تؤكد على الحب والتسامح والعيش المشترك، مما يسمح بظهور العنف الرمزي بوصفه عنفاً مشروعاً بين الافراد في المجتمع، والذي يتم التعبير عنه في ضوء التنافس السلبي، ومحاولة هيمنة بعض الافراد أو أصحاب النفوذ على من هم اقل مكانة وشيوع مظاهر العداوة والتسلط الاجتماعي والاستغلال الانساني، لذا فإن العنف الرمزي دائماً ما يظهر بعد ضعف الاندماج الاجتماعي⁽¹⁾.

وحاول الباحث أن يضع إطاراً تصورياً يمكن في ضوءه تحليل وتفسير نتائج البحث وقد أشتمل هذا التصور على بعض النظريات التي تكشف عن أسباب العنف الرمزي وهي نظرية بورديو للعنف الرمزي ونظرية التفكك الاخلاقي، وذلك للكشف عن أسباب العنف الرمزي و انعكاساته على الفرد والمجتمع .

ثانياً (الدراسات السابقة :

دراسة **حلمي خضر ساري (2008)** بعنوان تأثير الاتصال عبر الانترنت في العلاقات الاجتماعية دراسة ميدانية في المجتمع القطري هدفت إلى معرفة تأثيرات

¹ - الفاتح سليمان قاسم ، الضبط الاجتماعي، دار السلم للطباعة، الرياض، 2003 ،ص 241.

الاتصال عبر الإنترنت في العلاقات الاجتماعية في المجتمع القطري، ومن أجل تحقيق هذا الهدف تم اختيار (471) فرداً من دولة قطر بطريقة عشوائية وزعت عليهم إستانته تتألف من (21) سؤالاً وأما متغيرات الدراسة فكانت: النوع الاجتماعي، العمر، المستوى التعليمي والوضع المهني والحالة الاجتماعية وعدد ساعات استخدام الإنترنت في اليوم، فضلاً عن سنوات الخبرة في الاستخدام.

وقد توصلت الدراسة إلى أن أفراد العينة من كلا الجنسين يستخدمون الإنترنت في حياتهم اليومية بنسب متفاوتة، لكن تأثير الإنترنت في الإناث كان أكثر من تأثيره في الذكور كما تبين أيضاً أن لمتغيري التعليم وعدد ساعات الاستخدام أثراً في هذا التأثير وتبين أيضاً أن الاتصال عبر الإنترنت ترك تأثيراً في اتصال أفراد العينة الشخصي المباشر مع أسرهم بنسبة (44.4%) وتأثيراً في اتصالهم بأصدقائهم ومعارفهم بنسبة (43%) كما تبين أن هناك قدرة للاتصال عبر الإنترنت في تكوين علاقات عاطفية قوية جعلت ما نسبته (28.8%) منهم لا يمانع في فكرة الزواج عبر الإنترنت، وتوصلت الدراسة أيضاً إلى وجود تأثير للإنترنت في نسق التفاعل الاجتماعي بين أفراد العينة وبين أقاربهم تمثل في تراجع عدد زيارات أقاربهم بنسبة (44.7%) وتراجع في نشاطهم الاجتماعي بنسبة (43.9%) و يشعر مانسبته (40.3%) منهم بالاعتراب عن المجتمع المحلي ومن النتائج الأخرى التي توصلت إليها الدراسة قدرة الإنترنت على توسيع شبكة العلاقات الاجتماعية لأفراد العينة بنسبة (64.5%)⁽¹⁾.

¹ - حلمي خضر ساري، تأثير الاتصال عبر الإنترنت في العلاقات الاجتماعية دراسة ميدانية في المجتمع القطري، (مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العدد الأول والثاني) 2008، ص 295.

دراسة يامين بودهان (2009-2010) بعنوان الآثار النفسية والاتصالية لتعرض الشباب الجزائري لمضامين الأنترنت، انطلقت الدراسة من الإشكالية التالية:

ما هي الآثار النفسية الاتصالية التي تظهر على الشباب الجزائري أثناء تعرضه لمضامين شبكة الأنترنت الاتصالية ؟ ولقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي وعلى استمارة المقابلة، ومن أهم النتائج التي توصل إليها هي إقبال الذكور على استخدام الأنترنت أكثر من إقبال الإناث، وما نسبته (54%) من مجموع مستخدمي شبكة الأنترنت من الشباب يلجئون إلى مواقع الشبكة بشكل دائم، كما تبين أن ما نسبته (62.5%) من الذكور يستخدمون مواقع الأنترنت لمدد زمنية تتراوح من ساعة إلى ثمانية ساعات يومياً، دون فرق كبير مع فئة الإناث حيث تستعمل (60) مفردة من الإناث الشبكة أيضاً لنفس المدة الزمنية، كما تبين أن نسبة (30%) من الشباب المستجوب تستخدم الأنترنت لغرض البحث عن المعلومات والتتقيف يليها لغرض الحصول على الأخبار و الاتصال بالآخرين باستخدام البريد الالكتروني أو المحادثة الالكترونية الآنية بنسب متقاربة، على التوالي (23%) و (21%) فيما أشار (11%) من المبحوثين أنهم يلجئون للمواقع الدينية والإسلامية، ثم يليه لغرض الاستماع إلى الأغاني و الأفلام و الألعاب الالكترونية وتحميلها وكذلك الدخول للمواقع الرياضية بنفس عدد التكرارات وبنسبة (6%) من مجموع مفردات العينة، كما تبين من خلال نتائج تحليل الاستمارة أن اغلب الذكور يستخدمون شبكة الأنترنت من أجل التواصل الالكتروني المحادثة والدرشة، وبنسب (51%) وتستعمله الإناث في مرتبة ثانية مقارنة بالذكور، لكن بنسبة مقاربة (49%) وتقارب نسب الاستخدام بين الجنسين مؤشر دال على أهمية الاتصال الالكتروني في حياتهما، ويبدو أيضاً من البيانات أعلاه أن الفتيات أكثر

استخدام الانترنت لغرض البحث عن المعلومات والتثقيف بنسبة (58,5%) وتبين أن الفئة الغالبة من الشباب، وبنسبة (59%) تعتقد إن هذه الوسيلة ضرورية في حياتهم اليومية وتحقق لهم حاجات ورغبات معرفية ووجدانية واندماجية لا يستطيعون تحقيقها بوسائل أخرى، ويتضح أن النسبة الغالبة من الشباب الجزائري تستخدم الجانب التواصلية للانترنت من أجل إرسال البريد الإلكتروني بنسبة (27%)، ثم تليها نسبة (24%) تستخدمها من أجل المحاوراة والدرشة الإلكترونية، عبر غرف الشات الخاصة والعامة التي توفرها بعض المواقع، كما أظهرت الدراسة أن أغلبية الشباب وبنسبة (66%) من مجموع مفردات العينة يستخدمون أسماء مستعارة بينما أظهر ما نسبته (34%) أنهم لا يخفون أسمائهم⁽¹⁾.

كما تبين أن النسبة الغالبة من الشباب المدروس لا يجدون حرجاً من إجابة طلبات درشة الكترونية مع أشخاص غرباء لا يعرفونهم من قبل، وقد يفسر هذا السلوك بميل نفسي لدى هؤلاء باستكشاف عوالم أشخاص آخرين بالتعرف على ثقافتهم وعاداتهم و انماط عيشهم وربما لإقامة علاقات تواصلية مع الجنس الآخر، كما أتضح أن فئة من الشباب الجزائري كان دافعها الأساسي للدرشة مع أشخاص غرباء تكوين علاقات غرامية مع الجنس الآخر.

وتبين أيضاً أن ما نسبته (43%) من الشباب الجزائري المبحوث يعترفهم إحساس بالفراغ و افتقاد شيء ما حينما تفرض عليهم ظروف معينة عدم استخدام شبكة

¹ - - بودهان يامين، تحولات الإعلام المعاصر، دار البازوري، عمان، 2012، ص 76

الانترنت، و ما نسبته (17%) ذكروا أنهم يشعرون بالقلق والاضطراب النفسي حين لا يستخدمون الانترنت⁽¹⁾.

ولاحظ الباحث من خلال استعراض الدراسات السابقة بأنها دراسات قديمة، كما أنها لم تتناول ظاهرة العنف الرمزي بشكل مباشر ولم يجد الباحث أية دراسة محلية تناولت ظاهرة العنف الرمزي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وعليه فإن الباحث قد استفاد من الدراسات السابقة من حيث مادتها العلمية ومنهج البحث ولقد ساعدت الباحث في صياغة بعض الاهداف والتساؤلات والمقارنة بين نتائج الدراسات السابقة والدراسة الراهنة، علاوة على إثارة بعض القضايا التي أغفلتها تلك الدراسات السابقة.

خصائص العنف الرمزي :

العنف الرمزي ذو قوة، وله تأثير كبير استناداً إلى طريقتة وإلى جملة الرموز والمعاني التي يحملها، كما أنه يتخذ عدة أشكال وعدة خصائص وأهمها الترميز، ويهدف إلى فرض السلطة والنفوذ بطريقة تعسفية واستبدادية⁽²⁾.

أساليب العنف الرمزي :

للعنف الرمزي مظاهر وأساليب عديدة، من أبرزها عند بورديو :

1 - المرجع السابق، ص 77.

2 - عائشة الصلح، العنف الرمزي عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات، الجزائر، 2016، ص 9.

1- التبخيس : سلوك يتسم بالتهالي والتميز، وتقليل قيمة وشأن الأفراد الآخرين أو ممن هم أقل مكانة، والازدراء والتصغير والإبعاد الاجتماعي والمهني، ويمكن تصنيف تسميات: بلدان العالم الثالث، البلدان النامية، بلدان الجنوب، البلدان المتخلفة، تحت هذا العنوان التبخيسي للهوية ومما لا شك فيه أن هذه التسميات وغيرها، التي أطلقت على الشعوب المغلوبة، تمثل أحكاما قيمية غامضة ترمز إلى تقدم المجتمعات الغربية وتفوقها.

2- الإنكار القيمي : يتمثل بإنكار قدرات ومهارات الأفراد، وذلك من أجل السيطرة عليهم وتحديد قدراتهم وكبت طاقاتهم ومواهبهم التي يتمتعون بها.

3- الاستلاب النفسي : يتمثل في استلاب حقوق الأفراد وما يتمتعون به من امتيازات اجتماعية ومهنية مشروعة، فضلا عن حرمانهم من فرصة التعبير عن أفكارهم وآرائهم واتجاهاتهم الخاصة.

4- التعبير العدائي المعلن : يتمثل في استخدام الرموز والإشارات اللفظية والتعبيرات الجسمية التي تدل على قوة المعتدي ورفضه وفرض هيمنته الوظيفية والاجتماعية على الآخرين (1) .

¹ - علي أسعد وطفة، من الرمز والعنف الى ممارسة العنف الرمزي قراءة في الوظيفية البيداغوجية للعنف الرمزي في التربية المدرسية، مجلة الشؤون، مجلة الشؤون الاجتماعية، العدد 104، الامارات العربية. 2009ص66.

العوامل التي تساعد على تنامي العنف الرمزي :

1- العنف الرمزي يتنامى وتتعاظم مشروعيته في المجتمعات التي تتألف من طبقات اجتماعية وأعراف وديانات ومذاهب مختلفة وبخاصة في المراحل الانتقالية الناتجة عن المتغيرات الاقتصادية والسياسية⁽¹⁾.

2- الاستعمار الخارجي : لقد دأبت السياسات الاستعمارية على توظيف التبخيس والتدمير الثقافي للهوية ضد الشعوب المستعمرة، وذلك تحت ذريعة التنوير والتبشير والديمقراطية، ويمكن تصنيف تسميات: بلدان العالم الثالث، البلدان النامية، بلدان الجنوب، البلدان المتخلفة، تحت هذا العنوان التبخيسي للهوية.

ويقول بورديو أنّ الشريحة التي تمارس العنف الرمزي في حد ذاتها تقع تحت السيطرة المفروضة، وأنّ ما تردّ به هذه الشريحة على ذلك التعسف القائم عليها هو ما يُسمّى العنف الرمزي، وبتحليل العنف الرمزي يتضح أنّه يحدث وفقاً لعدة أسباب ، فهو في الأساس تعبير عن المشاكل التي تعاني منها فئة ما - الشباب خصوصاً - من فقر وبطالة و تهيمش وتحقير وتضييق في حدود حرية التعبير، وما إلى ذلك من الدوافع التي تتجسّد في العنف الرمزي.

فالتهميش يُولد حالة من الصراع تبرز في العنف الرمزي كرد فعل في محاولة لفرص شرعية ممارسة العنف انطلاقاً من جملة الإشارات والرموز المعبّرة عن تلك المطالب بطرق متعددة كالكتابات والرموز مثلاً .

¹ - عائشة الصلح، العنف الرمزي عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية، مرجع سبق ذكره ، ص

مجالات العنف الرمزي :

1- في مجال الإعلام :

في مجال الإعلام ركز (بورديو) على التلفزيون باعتباره أداة إعلامية خطيرة تمارس العنف ضد المواطنين، إذ تقدم لهم ما تشتهيه السلطة المهيمنة التي تستغل وسائل الإعلام لتحقيق مصالحها وأهدافها، ومن ثم يتلاعب التلفزيون بعقول الناس، وينشر بينهم إيديولوجية الدولة المهيمنة، وأفكار الطبقة الحاكمة، وهذا يهدد فعلا الثقافة والفن والديمقراطية الحقيقية، وينطبق هذا الحكم نفسه على الصحافة التي صارت من الوسائل الخطيرة التي تشارك الفئات الحاكمة في ممارسة العنف الرمزي ضد الآخرين (1).

ويرى الباحث أن التلفزيون من أهم وسائل الاعلام حيث يعد من أبرز أساليب التنقيف الجماهيري ومحو الامية ونقل المعلومات والأخبار في مختلف أرجاء العالم مما جعله من أهم الاساليب في تكوين الرأى العام حول كثير من المواضيع السياسية ذات الأهمية المشتركة لشعب ما أو لعدة شعوب، غير أنه إذا ما استخدم استخدماً سليماً فقد يعطى نتائج عكسية وربما يؤدي إلى نشر ظاهرة العنف الرمزي بدلاً من مكافحتها فهو كما يقال سلاح ذو حدين .

2- في مجال التربية والتعليم :

وفي مجال التربية والتعليم وطبقاً لبورديو تتضمن الأنشطة التربوية القائمة على تلقين المعلومات، موضوعياً نوعاً من العنف الرمزي، وذلك بوصفها فرضاً من قبل

¹ - على أسعد وطفة، الطاقة الاستلابية للعنف الرمزي، مرجع سبق ذكره ، 2010، ص 54 .

جهة عليا تسعى لتوطيد هيمنة رؤى الطبقة المسيطرة، وإعادة إنتاج موروث العنف الرمزي الاجتماعي الذي يرسخ الطبقية والتبعية للكثير من الآراء، وكذلك تمايز مستويات المدارس وفرص الطلبة في الانتساب إليها، لاعتبارات اقتصادية و طبقية اجتماعية يخضع الطلبة لامتحانات مركزية موحدة في بعض المراحل الدراسية، ونتيجة طبيعية أن تكون فرصة شريحة معينة من الطلبة في النجاح وتحصيل قدر أكبر من الدرجات أكثر من فرصة الطلبة في شرائح اجتماعية أخرى هذه النتائج تنطوي على عنف رمزي مشروع يعيشه الجميع دون أن يدركوا خطورته⁽¹⁾.

مواقع الشبكات الاجتماعية :

منذ الظهور الأول لمواقع شبكات التواصل الاجتماعية تعددت وتتنوعت بين شبكات شخصية وعامة تطمح لتحقيق أهداف محددة" تجارية مثلاً"، ومنذ بداياتها اختلفت المواقع التي تنصدر القائمة بين سنة و اخرى فتاريخياً كان لموقع " سيكس دقريز " أهمية كبيرة وصدى واسع مع بداياته الأولى وكذلك موقع " أو ماي نيوز" و غيرها، ومع تطور الشبكات الاجتماعية أصبح تصنيفها يأتي بالنظر إلى الجماهيرية، حيث تنصدر القائمة عدد من الشبكات وهي " فيسبوك"، " تويتر " "يوتيوب" وهي من أهم شبكات التواصل الاجتماعي في الوقت الحالي وذلك بالنظر إلى اختلاف تخصص كل موقع، وسنتحدث عن الفيسبوك باعتباره من أهم مواقع التواصل الاجتماعي في ليبيا وأكثرها انتشاراً .

¹ - المرجع السابق ، ص 66.

موقع "الفيسبوك" :

يعتبر موقع "الفيسبوك" واحداً من أهم مواقع التواصل الاجتماعي، وهو لا يمثل منتدى اجتماعياً فقط وإنما أصبح قاعدة تكنولوجية سهلة بإمكان أي شخص أن يفعل بواسطتها ما يشاء.

ويعرف قاموس الإعلام والاتصال "فيسبوك" facebook على أنه "موقع خاص بالتواصل الاجتماعي أسس عام (2004) وقد وضع في البداية لخدمة طلاب الجامعة وهيئة التدريس والموظفين لكنه اتسع ليشمل كل الأشخاص".

بدأ فيسبوك كفكرة بسيطة لأحد طلبة هارفارد" مارك زوكربيرج الذي أصبح فيما بعد أصغر ملياردير في العالم، فكرة" زوكربيرج "كانت تقضي بإنشاء موقع انترنت بسيط يجمع من خلاله طلبة هارفارد في شكل شبكة تعارف بغية تعزيز التواصل بين الطلبة والإبقاء على الروابط بينهم بعد التخرج وبالفعل جسد فكرته هذه التي رأت النور في (4) أبريل (2004) ومع انطلاق الموقع حقق نجاحاً كبيراً ليصبح اليوم من أهم مواقع الشبكات الاجتماعية وأكثرها استخداماً على الإطلاق، وبلغ عدد مستخدمي"الفيسبوك" النشطين في العالم إلى غاية 2011 حوالي (800) مليون مستخدم، ونشير الإحصائيات أن (11%) من سكان العالم يملكون حساب في "الفيسبوك"، يدخل (50%) إلى الفيسبوك "يومياً، ومتوسط عدد الأصدقاء للمستخدم الواحد (130) و (80) صفحة⁽¹⁾.

¹ - عباس مصطفى صادق، الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات ، مرجع سبق ذكره ،

وتشير الإحصائيات أن (20) مليون تطبيق يسجل يوميا في " الفيسبوك" وتبين أن (50%) من المشتركين الذين تتراوح أعمارهم بين (18 و34) سنة يفتحون صفحة " الفيسبوك" بمجرد استيقاظهم من النوم، وحسب إحصائيات موقع Socialbacker.com المتخصص في متابعة شبكات التواصل الاجتماعي على الانترنت، تأتي الولايات المتحدة الأمريكية في أول القائمة من حيث عدد مستخدمي "الفيسبوك" وذلك بأكثر من (157) مليون مستخدم، تليها اندونيسيا والهند بأكثر من(41) مليون مشترك ثم البرازيل بأكثر من (35) مليون مشترك، أما في العالم العربي فتصدر مصر القائمة بعدد مستخدمين فاق تسعة ملايين مشترك ثم السعودية والمغرب بأكثر من (4) ملايين تليها الجزائر في المرتبة الرابعة بما يقارب الثلاثة ملايين مستخدم ثم تونس والإمارات بأكثر من مليوني مستخدم (1).

العنف الرمزي عبر شبكات التواصل الاجتماعي :

في هذا المحور يركز الباحث على أكثر الوسائل التي يتجلى العنف الرمزي من خلالها وهي موقع "فيسبوك" الأكثر انتشاراً عربياً، حيث ينقسم العنف الرمزي فيه إلى عنف لفظي وآخر غير لفظي، ويتجلى اللفظي فيه من خلال العلاقات والمنشورات التي تحمل دلالات مختلفة لكنها تمثل توجهات فردية أو جماعية في قراءة قضايا مجتمعية مختلفة أو ضمن حوار مجتمعي ما ويمكن إبراز العديد من الأمثلة على هذا العنف، منها العديد من الصفحات والتي دون وعي عميق بآثار فعلها، تنتشر الكثير من النكت العنصرية و التقريمية لشخصية المواطن الليبي أو العربي، وهذه النكت وإن كانت متداولة بين عامة الشعب على أرض الواقع إلا أنّ

¹ - المرجع السابق ص 219.

أثرها ووقوعها قد يتضاعف على الشبكة بسبب سرعة انتشارها وكثرة تداولها ووصولها إلى الفئات الصغيرة من المجتمع التي ستبني صورة سيئة عن الشخصية الليبية أو العربية، وهناك أمثلة أخرى، منها التوجه العام لصفحات مختلفة، قد تسيء للمرأة في المجتمع من خلال نظرة استلابية تنشرها، قد تكون متعصبة دينياً أو عنصرية مستخدمة عنفاً غير لفظي من خلال الصور مثلاً.

كما تطرح بعض وسائل الإعلام وجهات أخرى، كمّاً متنوعاً من الإشاعات والأخبار التي لا تحمل مصداقية أو مهنية، فتنسب في ممارسة العنف الرمزي المتبادل بين المتلقين وهو عنف أشد وطأة، لسرعة وسهولة انتشاره وتداوله وتناقل عدواه⁽¹⁾.

ويرى الباحث أن ظاهرة العنف اللساني والإعلامي لم تعد مشهداً عابراً، وإنما أضحت جزءاً من الواقع المعاش، يعكس انكسار البنية القيمية في الممارسات الاجتماعية على أرض الواقع وفي ثنايا الشبكات الافتراضية، فمواقع التواصل الاجتماعي وتطبيقات الإنترنت بصفة عامة، تُعدّ تحدياً ثقافياً بارزاً فيما يخص الرسائل الثقافية المضمنة فيها، وأساليب حوارنا عبرها وممارساتنا الثقافية والاجتماعية من خلالها، حيث إن لم تستند هذه الممارسات إلى الجانب القيمي، فإنها تحيد عن الحق، وتصبح ساحات للغوغائية والعنف بكل أشكاله وألوانه.

¹ - أحمد عادل عبد الفتاح ، العنف الرمزي المدرك بوسائل الإعلام الجديدة وعلاقته بمفهوم الذات والأمن النفسي لدى الشباب المصري، مرجع سبق ذكره ، ص 67.

دور وسائل الإعلام الجديدة في تكريس العنف اللفظي :

إن لوسائل الإعلام بمختلف أشكالها دورًا بارزًا في المنظومة الاجتماعية، كما أن لها دورًا محوريًا في تكريس ظاهرة العنف اللفظي، ليس كشريك فقط، وإنما كمسئول عنها كذلك بمعنى أن وسائل الإعلام لا تقوم فقط بتغطية أخبار العنف، أو تناوله إعلاميًا، إنما تسهم في بلورته من خلال تشكيل صور وتكريس ممارسات تساهم في نشر ثقافة العنف لدى متلقي الرسالة الإعلامية، وهذا ما يتجلى بصورة واضحة أكثر في وسائل الإعلام الجديدة، رغم قلة الاهتمام بالربط بين العنف وهذا النمط الاتصالي الجديد، الذي أخذ العنف عبره أشكالًا أوسع تدخلًا في إطار العنف الرمزي بكافة تجلياته، وفي إطار استخدام وسائل الإعلام الجديدة، تأخذ الشبكات الاجتماعية ومواقع التواصل الاجتماعي، النصيب الأكبر من انشغال الشباب واستخداماته، وتعد منابر حرة لإبداء الرأي ومناقشة القضايا بحرية بالغة، ومن هنا يمكن اعتبارها فضاء يعبر عن سلوك الشباب وأنماط تفكيرهم، ومعياريًا لممارستهم العنف بكافة تجلياته عبرها⁽¹⁾.

لقد كسرت وسائل الإعلام الجديدة وصاية الإعلام التقليدي، وأعدت هيكله مفهوم الاتصال بتقريبه من معناه الاجتماعي أكثر من معناه المؤسساتي، ومع التنوع الذي وفرتة هذه الوسائل فإنها سمحت للفرد بالانعتاق من القيود الفيزيائية، ومنحته حرية

¹ - سليمة وقريبي قسيمة، العنف اللفظي في مواقع التواصل الاجتماعي تويتر نموذجًا دراسة وصفية تحليلية لطلبة الإعلام والاتصال بجامعة قاصدي مرياح ورقلة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال، الجزائر، 2016، ص

التعبير، في فضاء لغوي رحب، سواء للمطالبة بالحقوق المهضومة، أو التعبير عن رفض الواقع المعاش، أو رد الاعتبار تجاه ظلم لحق به، لكنها في الوقت ذاته باتت منبراً للعنف اللفظي، الذي يتجلى في عدد من الممارسات خلال هذه الوسائل، ومنها مثلاً النكت العنصرية، أو نشر الشائعات مع ما تحمله من آثار خطيرة، أو تكريس بعض الصور النمطية في المجتمع مثل احتقار المرأة، ولعل الأخطر في كل ذلك ما نقرأه على صفحات التواصل من كلمات بذينة وعبارات نابية، باتت تنتشر بصورة خارج السيطرة بسبب عدم وجود رقابة أو سلطة رادعة، وتكمن خطورتها أكثر في تقبل ظهورها أو تداولها عند شريحة واسعة، وهو ما يهدد بتحولها إلى ألفاظ مقبولة في مجتمعاتنا مع الوقت، وهو ما يصطلح على تسميته في الدراسات الإعلامية "إضعاف الحساسية ضد الممنوعات الثقافية"⁽¹⁾.

لقد تسللت إلى لغة التواصل بين جيل من الشباب مصطلحات تبريرية للعنف، أسهمت وسائل الإعلام في تسويقها وتكريسها، مما أدى إلى استساغة القتل، بل شرعنته أحياناً، تسويقاً لتبرئة النفس وإدانة الآخر، وصولاً إلى سيادة ثقافة الموت، وهو أمر يعقد الوصول إلى حل للأزمات المتراكمة، ويجب علينا البحث عن حلول لتأسيس أرضية مشتركة للانطلاق نحو بناء دولة تضم مكوناتاً متعددة مختلفة، لا يعمل أحدها على إلغاء الآخر أو تهميشه، أو الانتقاص من حقوقه .

¹ - المرجع السابق ص 81 .

العنف الرمزي يشكل تهديداً خطيراً على تماسك المجتمع :

العنف ظاهرة اجتماعية بالأساس، على اعتبار أنها إشكالية لا تحمل طابعاً أكاديمياً فقط، وإنما سياسياً أيضاً، ففيها تتقاطع وتتعمق أكثر المواضيع السياسية حده في السياسة والاقتصاد والأخلاق والقانون والتاريخ وعلم النفس والموازين العالمية والثورة العلمية والتكنولوجية وإن أي فهم لظاهرة العنف يجب أن يتم في إطار سياقه وإطاره الاجتماعي، حيث إن التربية والثقافة والعلاقات الاجتماعية تلعب دوراً مهماً في جعل بعض الأفراد والشعوب أكثر ميلاً إلى استخدام العنف من غيرهم، ويمكن للعنف الرمزي أن يسود متنكراً بلباس القيم التي تحمل في ظاهرها معاني تتعلق بالوطنية أو البطولة أو الالتزام الديني، بينما في جوهرها تحمل بذرة العدم ودمار المجتمع وتفككه، وأي مواجهة لهذا النوع من العنف بعنف مضاد، تزيد من تغوله، وتحوله إلى ثقافة سائدة ومسلمات تصعب مع الوقت معرفة جذورها، كمحاولة لتفكيكها وإحلال قيم أخلاقية نافعة، تعيد للغة دورها الأساسي في توحيد المجتمع بدلاً من تفريقه، وهي التي شكلت على مر العصور عامل جمع لا تفريق، ونلفت هنا إلى دور المؤسسات الحاكمة والأنظمة في تسويق بعض المصطلحات وضخها عبر الأجيال ما شكّل التربة الخصبة لنمو هذا النوع من العنف، مثل قيم التضحية والجهاد المقدس ضد الآخر والانتماء الوطني، وهو ما أوصلنا إلى نتائج مأساوية كما لعب الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي والعولمة دوراً مهماً في تحويل ظاهرة العنف إلى ممارسة شاملة ومستترة⁽¹⁾.

¹ - عبد الكريم سليم على، العنف الرمزي، مجلة الوطن العدد العاشر، العراق، 2016، ص 98 .

غياب الرادع الأخلاقي والقانوني تربة خصبة للعنف الرمزي :

إنّ غياب قدرة الدولة على أداء مهمتها الأساسية في توفير الحماية والأمن لمواطنيها دليل على وجود خلل بنيوي، يسهم في سيادة الفوضى التي ينتقي معها تأمين أي شكل من أشكال الحياة الطبيعية المتعلقة بالأمن و الرفاه والحياة في ظل حكم القانون، فيفقد المجتمع الشعور بمعنى وجوده في غياب آليات رادعة للعنف، ويحدث خلل ثقافي تغذي فيه الكيانات الداخلية العنف وتحوله إلى نمط وسلوك مجتمعي عبر التفاوضي عنه، بل وتشكل حاضنة له من أجل تحقيق مصالح خاصة أو ذاتية، ونتيجة غياب الرادع الأخلاقي حيناً، أو تملك أحد الفرقاء حالة من الغضب، تطفو إلى السطح أفاظ كانت مدفونة، أو ممنوعة قانوناً أو عرفاً، وقد يسوق أحد طرفي الخلاف الطرف الآخر إلى اللجوء لهذا الاستعمال، مدفوعاً برغبة في التعبير عن غضبه بطريقة مماثلة لتلك التي يستخدمها المقابل له وهنا يجب التنبيه إلى أن السعي لإهانة الرأي الآخر فيه الكثير من التعظيم للنفاهة والتعويض للبداءة والعنصرية، وما يرافق ذلك من إهمال متعمد لكل قضية هامة تخص المجتمع والدولة والمستقبل، فتسود تعبيرات البلطجة والهجوم العنصري والشخصي، سعياً لاغتيال الشخصية ضمن آلية ممنهجة، ولإبعاد الناس عن المجال العام وإخفاء الحقائق، وهو ما جعل العنف اللفظي بسوقيته وتتمره انعكاساً لسعي الكثير من الأنظمة العربية لتغطية فشلها، وتعبيراً عن محدودية تعامل النظام العربي مع الاختلاف وتجسيداً لموقفه من الحريات وضيق صدره بالرأي النقدي⁽¹⁾.

¹ - حلمي خضر ساري، تأثير الاتصال عبر الانترنت في العلاقات، مرجع سبق ذكره ، ص 93

سيادة العنف الرمزي في غياب المنظومة التعليمية والأخلاقية :

إن تراجع المنظومة التعليمية، وغياب الوعي النقدي، يسهم في تغذية خطاب العنف فيسود فهم مغلوط لمفهوم القوة التي أضحت مرتبطة ارتباطاً كلياً بإضعاف الآخر تمهيداً لسحقه و الاستقواء بالعدد وسطوة النفوذ، وهو ما يظهر جلياً في ممارسات السلطة ضد المعارضة أو في السائد على مستوى التجمعات العرقية أو الدينية، وعلى مستوى النخب التي ترى نفسها فوق الجميع في نظرة استعلاء تعبر عن قناعات مريضة .

إن الاحتقان النفسي، وهو من أشد العوامل تأثيراً على تفاقم العنف في مجتمع يعاني أساساً من الحرمان، تعززه سطوة فئات نفعية سعت بجميع الوسائل، للاستحواذ على أكبر قدر من المكاسب عن طريق أقصر الطرق، ولو اقتضى الأمر التضحية بكافة القيم الإنسانية وللإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي دور مهم في ذلك، عبر عرض نماذج من الرفاهية والبذخ، لا يمكن توفيرها للجميع، وفي ظل غياب عملية تثقيف منهجية تعمل على مقاومة هذا السلوك انتشر العنف في المدارس والجامعات و فاقمه الإحساس بمصادرة حق الشخص الأكثر كفاءة على المستوى المعرفي والمهني، لصالح أشخاص يتمتعون بعلاقات جيدة مع أصحاب القرار، وهو ما أنتج نظاماً متحيزاً قائماً على التقسيم والمحسوبية، غابت فيه ثقافة الاحتكام للقانون، وتحول دور المؤسسات التشريعية إلى رعاية هذا التشوه المجتمعي وتجاهله⁽¹⁾ .

النتائج

¹ - عائشة الصلح، العنف الرمزي عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية، مرجع سبق ذكره، ص

من خلال قراءتنا السابقة للعنف الرمزي عبر صفحات الفيسبوك نخلص إلى أنّ هذا الشكل من العنف يتخفى وراء الدلالات والرموز والمعاني، ويتجلى في الممارسات الثقافية والتربوية السائدة في حياتنا الاجتماعية وهو منتشر بين الشباب في المجتمع الليبي .

ويتميز العنف الرمزي عبر الفضاء الافتراضي، مثله مثل العنف الرمزي في الواقع بالتخفي والانسياب في العقل، دون أن يشعر الفرد الضحية بهذه القوة التي تجعله يخضع لها حيث تبرمجه بصورة لا واعية، وتستقرّ في عقله الباطن على أنّها ممارسات طبيعية ومنطقية.

غير أنّ خصوصية الوسيط الاتصالي الجديد شبكات التواصل الاجتماعي خلقت أشكالاً وممارسات جديدة من العنف الرمزي في هذا الفضاء الحر، باعتبارها فضاءات حرّة للتعبير والاتصال، فشبكة الفيسبوك سمحت للفرد با لانعتاق من القيود التي ترسم إلى حد بعيد آراء المرء ووجوده، ممّا فتح المجال واسعاً لحرية التعبير من خلالها، وبالتالي يمكن أن تكون فضاء رحباً للعنف والعنف المضاد.

فظاهرة العنف اللساني والإعلامي لم تعد مشهداً عابراً، إنّما أضحت جزءاً من الواقع المعاش يعكس انكسار البنية القيمية في الممارسات الاجتماعية على أرض الواقع وفي ثنايا الشبكات الافتراضية، فمواقع التواصل الاجتماعي وتطبيقات الإنترنت بصفة عامة تُعدّ تحدياً ثقافياً بارزاً فيما يخصّ الرسائل الثقافية المضمنة فيها، وأساليب حوارنا عبرها، وممارساتنا الثقافية والاجتماعية من خلالها، حيث إن لم تستند هذه الممارسات إلى الجانب القيمي فإنّها تحيد عن الحق وتصبح ساحات للعنف بكلّ أشكاله وألوانه .

أن العنف الرمزي هو عملية حسية وجدانية ذات تأثير نفسي تستخدم هيمنتها وأساليبها الناعمة بالتأثير على الأفراد برغبتهم أو من دونها، بحيث أن الشخص المُعنف يتعرض لهذا العنف ويرضخ لرغبة المُعنف تلقائياً .

وتبين أن العنف الرمزي في المجتمع الليبي منتشر بين الشباب على اختلاف مستوياتهم العلمية والثقافية، وكما تبين أن العنف الرمزي يترك أثراً نفسياً كبيراً على الضحية سواء كانوا أفراداً أو جماعات وأضح أن الوعي الديني له تأثير في التقليل من مستوى العنف الرمزي بين الشباب .

التوصيات

بناءً على ما جاءت به نتائج البحث الحالي يتوجب على الجهات القانونية إعادة النظر في القانون والحفاظ على حقوق كافة أفراد المجتمع، وتجريم إساءة استخدام مواقع الفيسبوك وسن القوانين الصارمة لكل من يستعمل العنف الرمزي ضد أي شخص آخر، وعلى الجهات الدينية ان تقوم بدورها الصحيح في بناء المجتمع وأن يكون خطابها معتدل لا يبغض حق احد او يتجاوز على الاخرين ويتهم عليهم وأن لا تدعم الظالم وتجد له المبررات لانتهاكاته واستبداده ويكون دورها مقتصر على التوجيه وبت روح التسامح والمساواة بين افراد المجتمع والابتعاد عن السياسة والسياسيين .

وأن ترفع من مستوى خطابها في توعية الشباب لخطورة وسائل التواصل الاجتماعي على دينهم وديناهم وتحتهم على الدخول للمواقع ذات الفائدة الدينية والعلمية والابتعاد عن خطاب الكراهية والفتنة .

في إطار ما يتعرض له الشباب من محاولات لاختراق عقولهم وتشجيعهم على ممارسة العنف الرمزي أثناء استخدامهم وسائل الإعلام الجديدة معتمدين في ذلك على انتشار ثقافة الاستعراض بينهم لصورهم ومعلوماتهم الشخصية الأمر الذي يوقعهم في براثن العنف الإلكتروني، والذي يحتاج لتضافر كافة الجهود، لمناهضة تلك الظاهرة وتقديم سبل علاج تتسم بالمرونة والتطبيق والتوصل لإعلام جديد بلا عنف رمزي، عن طريق الاهتمام بالتربية الإعلامية التي تركز على تعليم الأفراد كيفية التعامل الواعي مع تلك الوسائل، وإعداد أفراد قادرين على حماية أنفسهم بالبيئة الافتراضية، في ضوء الاهتمام بالجوانب التشريعية والدينية والثقافية والاجتماعية، يتطلب ذلك حزمة من الآليات التي تساعد الأطراف الفاعلة تنفيذ هذا التصور.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- أحمد عادل عبد الفتاح ، العنف الرمزي المدرك بوسائل الإعلام الجديدة وعلاقته بمفهوم الذات والأمن النفسي لدى الشباب المصري، دراسة ميدانية ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية النوعية ، جامعة المنصورة ، 2018 .
- 2- الفاتح سليمان قاسم ، الضبط الاجتماعي، دار السلم للطباعة، الرياض، 2003 .
- 3- بودهان يامين، تحولات الإعلام المعاصر ، دار البازوري، عمان، 2012.
- 4- حلمي خضر ساري، تأثير الاتصال عبر الانترنت في العلاقات الاجتماعية دراسة ميدانية في المجتمع القطري،(مجلة جامعة دمشق،المجلد 24 ، العدد الأول والثاني) 2008 .
- 5- سليمة وقربي قسيمة، العنف اللفظي في مواقع التواصل الاجتماعي تويتر نموذجاً دراسة وصفية تحليلية لطلبة الإعلام والاتصال بجامعة قاصدي مرباح ورقلة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال، الجزائر، 2016.
- 6- عبدالباسط محمد حسين، أصول البحث الاجتماعي ،(ط14) ، منشورات مكتبة وهبة، القاهرة، 2011.
- 7- عباس مصطفى صادق، الإعلام الجديد المفاهيم والوسائل والتطبيقات ، دار الشروق، عمان ، 2008.
- 8- عبد الكريم سليم على، العنف الرمزي، مجلة الوطن العدد العاشر،العراق، 2016 .

- 9- عائشة الصلح، العنف الرمزي عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات، الجزائر، 2016.
- 10- عايد على حسين، العنف الرمزي المدرك وعلاقته بالعجز المتعلم لدى طلبة الجامعة (مجلة دراسات الكوفة، العدد 337)، العراق، 2016.
- 11- على أسعد وطفة، الطاقة الاستلابية للعنف الرمزي، دار العروبة للنشر، الكويت، 2010 .
- 12- علي أسعد وطفة، من الرمز والعنف الى ممارسة العنف الرمزي قراءة في الوظيفية البيداغوجية للعنف الرمزي في التربية المدرسية، مجلة الشؤون الاجتماعية، العدد 104، الامارات العربية المتحدة. 2009.
- 13- فاتن عبد الجبار الخزرجي، العنف الرمزي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب جامعة بغداد، 2018.
- 14- نريمان نورمان، استخدام مواقع الشبكات الاجتماعية وتأثيره في العلاقات الاجتماعية دراسة عينة من مستخدمي موقع الفايستوك في الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج الخضر، باتنة ، كلية الاعلام والاتصال، 2012 .
- 15- نعيمة رحمانى- زينب دهيمة ، الانترنت - العالم الافتراضي - والعنف الرمزي ، (مجلة علوم الإنسان والمجتمع ، جامعة بسكرة ، العدد 11، الجزائر) 2014.
- 16- وجدي محمد بركات، أفاق التنمية لدى الشباب وتأثير المجتمع (رؤية أمنية اجتماعية معاصرة)، الأكاديمية الملكية للشرطة ، مركز البحوث الأمنية ، البحرين، 2008.

شرح نظم " الذريعة إلى فهم مقاصد الشريعة "

لناظمها الشيخ الدكتور فرج علي الفقيه

إعداد: د. جمال عمران سحيم*

المُلخَص :

لم تخل ليبيا في عصر من العصور من وجود علماء كانت لهم إسهامات علمية في التأليف والتدريس في مجال العلوم الشرعية واللغوية، ومن هؤلاء العلماء الشيخ الدكتور فرج علي الفقيه، قام الشيخ بتأليف نظم في علم مقاصد الشريعة، جاء في (200) بيت ضمنه عدداً من المباحث المهمة في علم المقاصد بدأ ببيان معنى المقاصد ونشأتها ومصدرها، والمقصد الشرعي من التشريع، ومن خلق الإنسان ثم المقصد الشرعي من الصلاة، والزكاة والصوم والحج والزواج وغيرها من المقاصد التي يحتاجها المسلم في حياته وجاءت بها الشريعة الإسلامية.

فقدت بشرحها والتعليق عليها في شرح مؤخر مع بيان المعاني اللغوية للنظم مستنداً بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية على كلام الناظم.

الكلمات المفتاحية:

نظم - مقاصد الشريعة - الناظم - الشاطبي - ابن عاشور - الصلاة - الصيام - الزكاة - الحج - النكاح - الكون.

* عضو هيئة تدريس بكلية الآداب - الخمس

Abstract:

Throughout the ages, many Libyan scholars have contributed to Sharia and Linguistic sciences either by teaching or writing books. For example, among these scholars was Dr Farj Ali Al-Faqih who put much effort and contributed significantly to the Islamic and Arabic world. Dr Al-faqih explained the main purpose of Sharia law where he wrote 200 verses in the form of poetry (text). The poetry verses started by elucidating the definition, origination and where these purposes of Sharia law came from. Furthermore, other key topics such as the purpose of human creation, prayer, zhaka, fasting, pilgrimage (Hajj), and marriage were discussed. The rules and principles of fiqh and other important topics that touch the daily life of Muslims based on Sharia law were discussed as well. Finally, in the presented paper, the author briefly clarified and commented on these verses. Also, the author used the holy Quran and the prophet Mohammed's saying and teaching (peace be upon him) as a reference to explain the linguistic meaning of some of the mentioned in Al-Faqih's text.

المقدمة :

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد.

فإن بلدنا ليبيا لم تخل في عصر من العصور من وجود علماء من الفقهاء والمحدثين واللغويين، كانت لهم إسهامات علمية في التأليف والتدريس في العلوم الشرعية واللغوية، ومن هؤلاء العلماء الشيخ الدكتور فرج علي الفقيه، حيث قام بتأليف نظم في علم مقاصد الشريعة، جاء في (200) مائتي بيت، ضمّنه عددا من مباحث هذا العلم.

ورأيت أن هذا النظم⁽¹⁾ بحاجة إلى شرح وإيضاح، فاستأذنت الشيخ - حفظه الله - في ذلك فشجعتني على هذا العمل العلمي وبعث إلي - جزاه الله خيرا - بنسخة من هذا النظم.

أهداف البحث:

-حاجة الناس عامة وطلبة العلم خصوصا إلى التعرف على المقاصد الشرعية ووسائلها المتعلقة بها.

(1) نظرا لأن أعداد الأبيات التي نظمها الشيخ بلغت 200 بيت، فمن الصعوبة بمكان أن أقوم بشرحها في بحث مستقل، فإنني اقتصرت على شرح الأبيات من بداية النظم حتى نهاية مبحث " مقصد الحج " وأرجأت شرح الأبيات الأخرى إلى بحث آخر في عدد من أعداد المجلة الأخرى - بمشيئة الله - .

- جمع وشرح هذا النظم في بحث أو بحثين ليستفيد منه الدارس لمقاصد الشريعة.

- من بين الآثار الإيجابية لحفظ النظم سهولة استحضار الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا العلم.

وقد اقتضت طبيعة العمل في هذا البحث تقسيمه إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة.

المبحث الأول: ذكرت فيه حياة الشيخ، اسمه، ونسبه، ومولده ومؤلفاته، والتعريف بالنظم والمباحث المتعلقة به.

المبحث الثاني: قمت فيه بشرح وإيضاح النظم.

كما وضعت في آخر البحث خاتمة وفهارس للمصادر والمراجع التي استعنت فيها بالشرح والتعليق على هذا النظم.

المبحث الأول: في حياة الناظم

هو الشيخ الدكتور فرج علي حسين الفقيه، من مواليد مسلاته 1943م، نشأ الشيخ في قرية القرقاشية التي تبعد عن مدينة مسلاته حوالي 13 كم، وبيته من بيوتات العلم والفضل، حفظ القرآن الكريم بجامع ميزران بمدينة طرابلس على يد الشيخ المهدي الهنشيرى، والشيخ مفتاح أبو عزة الساحلي.

ثم تدرج الشيخ في دراسة التعليم الديني في معهد ميزران الديني، وكان نظام الدراسة في ذلك الوقت هو نظام الحلقات الذي يعتمد على حفظ المتون

العلمية، والجلوس بين يدي العلماء، تحصّل الشيخ على الشهادة الثانوية من جامعة الأزهر سنة 1975م، كما تحصّل على الشهادة الجامعية (الليسانس) من جامعة بنغازي، ونال شهادة الإجازة العالية (الماجستير) في جامعة طرابلس سنة 1983م، وأخيراً شهادة الدكتوراه في جامعة الزاوية سنة 1999م.

شيوخه:

لا شك أن الشيخ تتلمذ على عدد من مشايخ العلم الذين كان لهم دور كبير في نبوغه في العلم، نذكر منهم: الشيخ: أحمد الخليفي، والشيخ الهادي سعود، والشيخ علي بن حسن العربي، والشيخ خليل المزوغي، والشيخ الطيب المصرتي، والشيخ المهدي أبو شعالة، والشيخ إمام الكراتي شقيق المترجم له، والشيخ محمد هرودة البركي.

الوظائف الإدارية والعلمية التي تولّاها الشيخ:

تولّى العمل بمصلحة السجل المدني بمدينة مسلاته في الفترة 1961- وحتى 1968م، كما تولّى وظيفة أمين عام بلدية مسلاته في الفترة 1973 وحتى 1977م.

كما عمل مدرساً ومفتشاً تربوياً في مدارس التعليم، ثم انتقل إلى التعليم الجامعي سنة 2000م وقام بالتدريس في كل من: كلية الدعوة الإسلامية، والجامعة الأسمرية، وجامعة المرقب، وكلية المعلمين بترهونة، وكلية العلوم الشرعية بمسلاته وتولّى وظيفة عميد كلية العلوم الشرعية حتى تقاعده، كما تولّى وظيفة أمين الشؤون العلمية بكلية الشريعة بمسلاته، وكلية المعلمين بترهونة.

أحيل الشيخ إلى التقاعد في سنة 2006م

أشرف الشيخ وناقش عدداً من رسائل الماجستير ما يقرب من مائة رسالة حتى كتابة هذا البحث، وحدثني بذلك - حفظه الله - مشافهة.

من مؤلفاته:

تنوعت تأليف الشيخ بين تفسير لكتاب الله، وإجادة في نظم العلوم الشرعية والحديثية واللغوية:

- أحكام الطهارة والصلاة.
- أسس العقيدة الإسلامية.
- الوقف الممنوع عند الهبطي وأسبابه.
- أحكام العبادات، مطبوعات الجامعة المفتوحة.
- اختلاف الفقهاء وأسبابه.
- تأملات في آيات من القرآن الكريم، الهيئة العامة للأوقاف طرابلس.
- تفسير قصار المفصل، سلسلة أنوار القرآن (2) مطابع شهداء المرقب الخمس.
- مع لطائف وأحكام فقهية.
- دراسات في الثقافة الإسلامية، مع آخرين، مطابع شهداء المرقب الخمس.
- الرحمة في القرآن الكريم.
- في رحاب القرآن الكريم.
- مظاهر التيسير ورفع الحرج في الشريعة الإسلامية، دار قتيبية سوريا.
- النحو الميسر وتدرجات على الإعراب.

- الوجيز في اللغة العربية.
- اليتيم في القرآن الكريم، مطابع الثورة بنغازي.
- تفسير سورة الفاتحة مع لطائف وأحكام فقهية.
- أحكام المواريث في الشريعة الإسلامية، طبع 2012م.
- المختصر في علم الفرائض للشيخ امحمد علي الفقيه الكراتي: شرح وتعليق.
- الأوامر والنواهي والأحكام في سورة الحج.
- الآداب الاجتماعية في سورتي النور والحجرات، دار النخلة سنة 2014م.
- الرهن والانتفاع بالمرهون في الشريعة الإسلامية.
- قبسات من علم التفسير والتفسير الموضوعي.
- قاموس كلمات القرآن.
- ومن المنظومات العلمية التي نظمها الشيخ في عدة فنون من العلوم:
- منظومة في مصطلح الحديث تحتوي علي (170) بيتاً.
- منظومة في شرح تطبيقات القواعد الفقهية في نحو (263) بيتاً.
- منظومة في مقاصد الشريعة، في (200) بيت، وهي التي أقوم بشرحها.
- اللآلئ المنظومة في (2700) بيتاً، وهي في جانب العقيدة، والفقه والفرائض، شرح الدكتور إمام الزائدي باب أحكام الحج والعمرة، دار إيمان للطباعة والنشر، طرابلس، ط أولى 2021م وشرحت الباحثة: سعاد أوصيلة باب المعاملات ونشرته الهيئة العامة للثقافة، كما شرح بعض الطلبة أبواباً منها بجامعة غريان، كلية الآداب الأصابع، لنيل درجة الماجستير، عدد اثنان، كما

شرح أبواباً منها بعض الأساتذة في بحوث علمية محكمة وهي منشورة بمجلات كلية الآداب جامعة المرقب، وبني وليد، والعلوم الشرعية بمسلاته.

- نظم في السياسة الشرعية في (275) بيتاً.
- المرشد في النحو في (500) بيت، وتولى شرح المنظومة الدكتور بناصر الفيتوري.
- مع عدد كبير من البحوث والمقالات وتشطير القصائد ولا تزال مطبوعة على الحاسوب أو بخط اليد، مع عشرين كتاباً في انتظار الطبع.

التعريف بنظم " الذريعة إلى فهم مقاصد الشريعة "

تعد الأنظام العلمية من الوسائل التعليمية، ومن طرق التدريس التي كانت منتشرة في المعاهد الدينية والزوايا العلمية وخاصة في ليبيا، وكانت الغاية منها تيسير العلوم وحفظها، ولتكون حاضرة في الأذهان كما يقول الشيخ في نظم اللآلئ الفقهية فالنظمُ يبقى عالِقاً في الذَاكِرَة يُلقَى به الحُجَّة دوماً حاضِرُه كما كانت لعلماء

ليبيا عناية واهتمام في نظم العلوم الشرعية واللغوية والأصولية والفقهية، أذكر منها

- منظومة الشيخ محمد الفطيسي بعنوان " الضوء المنير المقتبس على مذهب مالك بن أنس " .

- " جواهر الفقه " للشيخ محمد قريو ، وهي نظم على أقرب المسالك .

- سفينة الوصول إلى علم الأصول، للشيخ الدكتور فاتح زقلام - رحمه الله .

- اللآلئ المنظومة في الفقه المالكي ، للشيخ الدكتور فرج علي الفقيه، للشيخ المترجم له.

المباحث التي ضمنها الشيخ - حفظه الله - نظم الذريعة إلى فهم مقاصد الشريعة:

معنى المقاصد، نشأتها، مصدرها، الكليات الخمس، مصادر التشريع، الحاجة إلى القياس، المقصد الشرعي من التشريع، المقصد الشرعي من خلق الإنسان، المقصد الشرعي من خلق الكون، المقصد الشرعي من الصلاة، المقصد الشرعي من الزكاة، المقصد الشرعي من الصوم، المقصد الشرعي من الحج، المقصد الشرعي من الزواج، المقصد الشرعي من القصاص والحدود، تعليق حد القطع عام الرمادة، اختلاف الفتوى باختلاف الوقائع، المقصد من الغسل يوم الجمعة، الاستئذان في دخول البيوت المسكونة، الفطر عمدا في رمضان، تمييز مقامات الأقوال والأفعال، زكاة الفطر، النهي عن بعض البيوع، بيع الطعام قبل قبضه، الاحتكار والتسعير، الضروريات الخمس، المصالح والمفاسد، العرف والعادة والشرط، الوسائل والمقاصد، الحاجة إلى معرفة المقاصد، الخاتمة.

المبحث الثاني: في شرح النظم والتعليق عليه

يقول الناظم - حفظه الله:

الحمدُ لله العظيم المُنزل ***	شُرْعًا تَنَاهَى فِي الْكَمَالِ الْأَكْمَلِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْمُسْتَمِرُّ ***	عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى خَيْرِ الْبَشَرِ
وَبَعْدُ فَاللهُ هُوَ الْمَسْئُولُ ***	أَنْ يَجْعَلَ الصَّوَابَ مَا أَقُولُ
نَظْمُهُ لَيْسَتْفِيدَ الطَّلِبَةِ ***	وَكُلُّهُمْ وَجَدَ فِيهِ مَارِيَهُ
وَسَمْتُ هَذَا النَّظْمَ بِالذَّرِيْعَةِ ***	تَعِي بِهَا مَقَاصِدَ الشَّرِيْعَةِ
عَلَّمَ الْمَقَاصِدَ عَظِيمُ النَّفْعِ ***	وَقَدْرُهُ مُعْظَمٌ فِي الشَّرْعِ

أَنْزَلَهُ الرَّحْمَنُ شَرْعاً وَارْتَضَى ***	وَبِهِ	نَلْنَا	كَمَالَاتِ	الرَّضَى
فَهُوَ لِفَهُمٍ صَائِبٍ يَقُودُ ***	بِهِ	جَلِيّاً	يَطْهَرُ	المَقْصُودُ
يَحْتَاجُهُ الْمُقْتِي وَمَنْ يُرِيدُ ***	فَهُمْ	العِبَارَةِ	فَيَسْتَفِيدُ	
وَأَيُّ مَا حُكْمٌ يَنَافِي المَقْصِدَ ***	فَهُوَ	ضَلَالٌ	لَا	يُجُوزُ أَبَداً
لِكُلِّ حُكْمٍ مَقْصِدٌ وَحِكْمَةٌ ***	يُدرِكُهَا	حَبْرٌ	لَدِيهِ	أَلْفُدرَةٌ
وَمَنْ يَكُنْ يَسْتَنْبِطُ الأَحْكَامَ ***	مُتَّجِداً	فُدُوتُهُ	الأَعْلَامَ	
تَفَاوُتُ العُقُولُ والأَفْهَامُ ***	دَلِيلٌ	فُدْرَةٌ	عَلَى	الدَّوَامِ
وَالْعِلْمُ يُعْلِي رُتْبَةَ المَمْلُوكِ ***	حَتَّى	تُسَاوِي	رُتْبَةَ	المَلُوكِ

معنى كلمة (الحمد) أي الحمد كله مقصور على الله عز وجل، أي لا يستحقه إلا الله.

(تتاهي) أي بلغ الغاية في الكمال⁽¹⁾، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾⁽²⁾.

(الصلاة والسلام) أي نطلب من الله دوام الصلاة والسلام المستمر في كل وقت وحين.

(1) التَّهْيَةُ - بالضم - الاسم منه، وغاية الشيء مأخره كالتَّهْيَةُ، وانتهى الشيء وتناهى ونهَى تنهية: بلغ نهايته، القاموس المحيط 4/458.

(2) سورة المائدة، الآية [3].

طلب الناظم من الله سبحانه وتعالى أن يجعل الصواب فيما كتبه في هذا النظم، وقد وضع الناظم هذا النظم ليستفيد منه طلبة العلم، ويجدوا فيه مأربهم، أي حاجتهم، والمأرب: الحاجة.

وسمى الشيخ هذا النظم " الذريعة إلى فهم مقاصد الشريعة " .

ثم ذكر الناظم أن علم المقاصد هو عظيم النفع، وقدره معظم في الشريعة، أنزله الله شريعة وارتضاه لنا، وبه ينال البشر كمال الرضى، يحتاجه المفتي وغيره، وأن أي حكم يكون خالياً من المقصد الشرعي فهو ضلال لا يجوز، ولا يوجد حكم إلا وله مقصد وحكمة أرادها الشارع يدركها من لديه القدرة على استنباط الأحكام، متخذاً في ذلك قدوته الأئمة الأعلام من أعلام الأمة.

وأي ما حُكِمَ يُنَافِي الْمَقْصِدَ *** فهو ضَلَالٌ لا يَجُوزُ أَبَدًا

وفي هذا يقرر الإمام الشاطبي: " كل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له فقد ناقض الشريعة، وكل من ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في التكاليف ما لم تشرع له فعله باطل "(1).

فالشارع إذا شرع الأحكام فقد قصد بها تحقق مصالح العباد الضرورية وما يلحق بها من حاجية وتحسينية، وهذا لا يتحقق إلا بأن يقصد المكلف إلى قصد الشارع.

ونخلص من هذا فنقول: هل للشريعة مقاصد من التشريع؟

وللإجابة عن السؤال نقول: إنه قد وقع الاتفاق على أن الشريعة لها مقاصد في كل ما شرعته، وأن هذه المقاصد معقولة ومفهومة في الجملة، بل معقولة ومفهومة

(1) الموافقات 2/252.

تفصيلاً إلا في بعض الأحكام التعبدية المحضة، والتي كان من الحكمة المعقولة أيضاً ألا يعرف تفصيل ما وراءها من أسرار، وما يقال في شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يقال في كل شريعة شرعت للناس من قبل الله عز وجل. ومن يَكُنْ يستنبطُ الأحكامَ *** متخذاً قُدوته الأعلامَ

والمكلف إما أن يكون مقلداً أو مجتهداً، فإن كان مقلداً فالأصل فيه أن يتلقى الشريعة بدون معرفة مقاصدها التي ترمي إليها تفصيلاً؛ لأن معرفة المقاصد نوع دقيق من أنواع العلم لا يخوض فيه إلا من بلغ درجة كبيرة من العلم واستقامة الفهم. فقول الناظم - حفظه الله - " متخذاً قُدوته الأعلام " أن المقلد لا بد له من قائد يقوده، وحاكم يحكم عليه، وعالم يقتدى به، ولا يجوز للعاقل تقليد الغير في أمر مع علمه بأنه ليس من أهل ذلك الأمر، كما أنه لا يمكن أن يسلم المريض نفسه إلى أحد يعلم أنه ليس بطبيب إلا إذا كان فاسد العقل.

فالعقول تتفاوت، وكذلك الأفهام في مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى على الدوام.

والعلم يعلى رتبة المملوك

معنى المقاصد: قال الناظم:

تَعْنِي الْمَقَاصِدُ بَيَانَ الْحِكْمَةِ *** فِي كُلِّ حُكْمٍ ثَابِتٍ فِي الشَّرْعَةِ

نُزِرَهُ الْخَالِقَ عَنْ أَنْ يَغْبِثَ *** وَتَظْهَرُ الْحِكْمَةُ فِيمَا أُحْدِثَ

يَعْلَمُهَا الرَّحْمَنُ مُنْذُ الْأَزَلِ *** وَيُوقِعُ الْجَهْلُ بِهَا فِي الرَّزْلِ

ذكر الناظم أن المقاصد هي بيان الحكمة في كل حكم ثابت في الشرع،

والحكمة تطلق عند علماء الأصول بإطلاقين⁽¹⁾:

• **الأول:** أن الحكمة هي المعنى المقصود من شرع الحكم، وذلك هو المصلحة التي قصد الشارع بتشريع الحكم جلبها أو المفسدة التي قصد الشارع بتشريع الحكم درأها أو تقليلها.

• **الثاني:** أن الحكمة يراد بها المعنى المناسب لتشريع الحكم أي المقتضي لتشريعه كالمشفقة في السفر، والإطلاق الأول أعم وأشمل.

وعرفها ابن عاشور بقوله: "هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغايتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معانٍ من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام، ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"⁽²⁾.

وأن كل شريعة شرعها الله سبحانه للناس لا بد وأن تكون أحكامها المشروعة ترمي إلى مقاصد مرادة لمشرعها الحكيم - سبحانه وتعالى - وإلا كان عبثاً، وقد ثبت بالأدلة القطعية أن الله سبحانه لا يفعل شيئاً عبثاً فقال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾⁽³⁾.

(1) ينظر نظرية مقاصد الشريعة عند الشاطبي ص16.

(2) المقاصد، ص55.

(3) سورة المؤمنون، الآية [115].

نشأتها:

تلازم الأحكام منذ نزلت *** شريعة الإسلام حتى انتصرت

بدأت المقاصد⁽¹⁾ من زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث بعث الله محمداً - صلى الله عليه وسلم - رحمةً للعاملين، فجاء بكل ما يصلح البشر، وحرّر من كل أوجه الفساد، وليس هناك شيء يصلح للمعاش والمعاد إلا جاء به، وليس هناك شيء يجلب الفساد في المعاش أو المعاد إلا حرّر منه، وقد آتاه الله القرآن ومثله معه، وجعل شريعته ناسخة لكل الشرائع، وجعل اتباعه فرضاً على كل من سمع به، فلا يسمع به أحد ثم لا يؤمن به إلا كان من أهل النار.

مصدرها:

مصدرها القرآن ثم السنة *** وفي كليهما تكون الحكمة

يُعد القرآن الكريم المصدر الأول لمقاصد الشريعة، وهو كلام الله تعالى المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - بلسان عربي مبين، تبياناً لما به صلاح الناس في دنياهم وأخراهم، وهو عمدة الشريعة وأصل أدلتها. وقد جعله الله معجزة رسوله الكبرى، وتعبّد المؤمنون بتلاوته، وألهمهم حفظه وكتابته في المصاحف، ويسرّ أمر نقله إلى الأجيال المتتالية بالتواتر، تحقيقاً لوعده في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽²⁾.

فالقرآن: "عمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه"⁽¹⁾.

(1) -

(2) سورة الحجر، الآية [9].

وقد كانت المقاصد تُبين في القرآن، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽²⁾.

وقوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾⁽³⁾.

وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾⁽⁴⁾.

الأصل الثاني: السنة: وهي في اللغة الطريقة⁽⁵⁾، فإذا أضيفت إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - لفظاً أو دلالة كان المراد بها ما أثر عنه من قول، أو فعل، أو تقرير.

فالسنة هي الأصل الثاني من أصول الأحكام الشرعية، فالكتاب مقدم وهي تالية له؛ لأن القرآن كلام الله تعالى الموحى به إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - والمتعبد بتلاوته، والمنقول إلينا بالتواتر، فهو وحي بلفظه ومعناه، ومقطوع به جملةً وتفصيلاً، وهو عمدة الملة، وكلى الشريعة، وأصل أصولها، أما السنة فلفظها غير متعبد به، والمقطوع به جملتها لا تفصيلها، وإليه مرجع الاعتداد بها، ثم هي بيان للكتاب، ولاشك في أن البيان مؤخر من المبين.

والسنة فيها الكثير من النصوص التي نبهت على مقاصد الشرع ومراعاة جلب المصالح ودرء المفاسد، من ذلك قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: ((يا عائشة، لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة وألزقتها بالأرض، وجعلت

(1) الموافقات، 3/257.

(2) الذاريات، الآية [56].

(3) سورة النساء، الآية [164].

(4) البقرة، الآية [184].

(5) لسان العرب، 5/399، مادة سنن.

لها بابين باباً شرقياً وباباً غربياً، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة⁽¹⁾.

فالسنة فيها قواعد عظيمة لمقاصد الشريعة، قال الإمام النووي⁽²⁾ - رحمه الله -: "وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام، منها: إذا تعارضت المصالح، أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أن نقض الكعبة وردّها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم عليه السلام مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه، هي خوف فتنة بعض من أسلم قريباً، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيماً فتركها - صلى الله عليه وسلم -".

الكليات الخمس التي جاء الإسلام لحفظها:

والكَلِيَّاتُ الحَمْسُ حَفْظُ العَقْلِ *** والمالُ والدينُ وحفظُ النَّسْلِ

كذلكَ حَفْظُ النَّفْسِ فالنَّهَائِيَةُ *** واجعلهُ حَفْظَ الدِّينِ في البِدَائِيَةُ

لحَفْظِهَا شُرِعَتْ الحُدُودُ *** كي لا يَزْتَكِبُوا ولا يَعودُوا

(1) البخاري، ص292، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنائها، رقم (1585)، مسلم، ص497،

كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم (401).

(2) شرح النووي 322/4

سميت الكليات الخمس: بسبب أنها تعمّ كل الناس والأمم وتشمل كافة مجالات حياتها وأحوال آخرتهم، وتسمى بالضروريات لأنها ضرورية لازمة وحتمية في قيام مصالح معاشهم ومعادهم، فهي أساسية لا بد منها.

وهي: حفظ العقل، ومعناه: حفظ عقول الناس من أن يدخل عليهم خلل؛ لأن دخول الخلل إلى العقل مؤدّب إلى فساد عظيم من عدم انضباط التصرف، فدخول الخلل على عقل الفرد مُفضّ إلى فساد جزئي، ودخوله على عقول الجماعات وعموم الأمة أعظم، ولذلك يجب منع الشخص من السكر ومنع الأمة من تفشي السكر بين أفرادها، وكذلك تفشي المفسدات مثل: الحشيشة، والأفيون، والمورفين، والكوكايين، والهروين، ونحوها مما كثر تناوله في هذا العصر.

وأما حفظ المال فهو حفظ أموال الأمة من الإلتلاف ومن الخروج إلى أيدي غير الأمة بدون عوض، وحفظ أجزاء المال المعتبرة عن التلف بدون عوض. ثم إن حفظ الأموال الفردية يؤول إلى حفظ مال الأمة، وبه يحصل حصول الكل بحصول أجزائه.

حفظ الدين: ومعناه: حفظ دين كل أحد من المسلمين أن يدخل عليه ما يفسد اعتقاده وعمله واللاحق بالدين، وحفظ الدين بالنسبة إلى عموم الأمة، أي دفع كل ما من شأنه أن ينقض أصول الدين القطعية.

ومعنى حفظ النسل: هو المحافظة على عملية التناسل والتوالد بين الزوجين من أجل إعمار الكون، يقول الشاطبي: "ولو عدم النسل لم يكن في العادة بقاء"⁽¹⁾.

ومعنى حفظ النفس: هو حفظ الأرواح من التلف أفراداً وجماعات، ومنه مقاومة الأمراض السارية، وقد منع عمر بن الخطاب الجيش من دخول الشام لأجل طاعون

(¹) الموافقات، 14/2.

عمواس، ويلحق بحفظ النفوس من الإيتلاف حفظ بعض أطراف الجسد من الإيتلاف⁽¹⁾، ولحفظ هذه الكليات شرع الله الحدود لردع المعتدين كحد الزنا والسرقة والحراية والخمر، وحتى لا يعود مرتكبو هذه الاعتداءات إلى ارتكابها.

مصادر التشريع المجمع عليها:

الْقُرْآنُ	وَالسُّنَّةُ	وَالْإِجْمَاعُ	***	ثُمَّ	الْقِيَاسُ	نَصُّهَا	يُطَاعُ
وَاخْتَلَفُوا	مِنْ	أَخَذِ	وَمَانِعٍ	***	فِي	الِاسْتِحْسَانِ	السَّيِّئِ
كَذَلِكَ	الْمَصَالِحُ	الْكُبْرَى	الَّتِي	***	تُوصَفُ	عِنْدَ	الْكَلِّ
قَوْلُ	الصَّحَابِيِّ	خَبْرُ	الْأَحَادِ	***	أَعْمَالُ	أَهْلِ	يَثْرَبِ
وَالِاسْتِصْحَابِ	وَهُوَ	عِنْدَ	الشَّافِعِيِّ	***	دَعِ	كُلَّ	شَيْءٍ
مَصَادِرُ	التَّشْرِيعِ	قَدْ	تَعَدَّدَتْ	***	لَكِنَّهَا	مِنْ	الْكِتَابِ
فَكُلُّهَا	تَعُودُ	لِلْقُرْآنِ	***	مِنْهُ	نَمَتْ	بِالْفِعْلِ	كَالْأَغْصَانِ

ذكر الناظم هنا مصادر التشريع المجمع عليها، وبدأ بالأولى هما: القرآن والسنة، وقمت بتعريفهما وبيانهما، وأما الإجماع فهو في اللغة مصدر "أجمع"، فهو يتعدى بنفسه، فيكون بمعنى العزم، وقد يتعدى بحرف الجر "على" ويكون معناه الاتفاق، يقال: أجمع القوم على كذا بمعنى اتفقوا، وأما في اصطلاح أهل الأصول فهو "اتفاق المجتهدين من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - على حكم شرعي في عصر غير عصر الرسول - صلى الله عليه وسلم -" ⁽²⁾.

(1) المقاصد لابن عاشور، ص 88 - 89.

(2) الوجيز في أصول الفقه، د. أبوناجي، ص 125.

وأما القياس فهو في اللغة التقدير⁽¹⁾، يقال: قاس الثوب بالذراع إذا قدره به. وفي اصطلاح الأصوليين⁽²⁾: هو مشاركة مسكوت عنه لمنصوص على حكمه الشرعي في علة هذا الحكم، وإحاقه به فيه. الاستحسان: هو "الأخذ بالمصلحة الجزئية الكائنة في مقابل دليل كلي"⁽³⁾، وقيل: هو العدول عن حكم الدليل إلى العادة لمصلحة الناس⁽⁴⁾. سدّ الذرائع: جاء في كتاب الحدود للباقي⁽⁵⁾ "الذرائع ما يتوصل به إلى محذور العقود من إبرام عقد أو حله". وعند ابن رشد الجد "الذرائع: هي الأشياء التي ظاهرها الإباحة، ويتوصل بها إلى فعل المحذور"⁽⁶⁾، وعرفها البرهاني بقوله: "عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه قويت التهمة في أدائه إلى فعل محذور"⁽⁷⁾، وأقرب التعريفات هو تعريف القرطبي: "الذريعة عبارة عن أمر ممنوع لنفسه يخاف من ارتكاب الوقوع في الممنوع"⁽⁸⁾.

(1) لسان العرب، 740/8، مادة (قيس).

(2) ينظر مفتاح الوصول للتلمساني ص 652، وشرح التنقيح للقرافي ص 383.

(3) الموافقات، 149/4.

(4) ينظر: إرشاد الفحول، ص 786، والإحكام للآمدي، 190/2.

(5) ص 68.

(6) التهمة - بالضم - الاسم منه، وغاية الشيء مأخره كالنهاية، وانتهى الشيء وتناهى ونهذى تنهية: بلغ نهايته، القاموس المحيط 458/4.

(7) سدّ الذرائع، ص 80.

(8) تفسير القرطبي، 40/2.

المصالح الكبرى: والمعبر عنها بالمصالح المرسلّة، وهي الوصف المناسب الذي جهل اعتبار الشارع له بأن لم يدل دليل على اعتباره أو إلغائه⁽¹⁾.
 قول الصحابي: هو مذهبه في المسألة سواء كان هذا المذهب قولاً أو فعلاً⁽²⁾، خبر الآحاد: ما كان من الأخبار غير مُنتهٍ إلى حد التواتر⁽³⁾.
أعمال أهل يثرب: المقصود به عمل أهل المدينة، والمراد به: أهل المدينة الذين يحتج بعملهم وهم الفقهاء السبعة: سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وخارجة بن زيد، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وسليمان بن يسار، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، وهم في نظر مالك أهل الاجتهاد في عصرهم دون سواهم⁽⁴⁾.
 والاستصْحَابُ وَهُوَ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ *** دَعُ كُلُّ شَيْءٍ مِثْلَ مَا كَانَ دَعُ

الاستصْحَابُ: وهو على نوعين: النوع الأول: استصحاب العدم الأصلي، النوع الثاني: استصحاب ثبوت ما دل الشرع على ثبوته لوجود سببه حتى يثبت نفيه، فالأول: هو المسمى بالبراءة الأصلية، وهو انتقاء الأحكام الشرعية في حقنا حتى يدل دليل على ثبوتها، والنوع الثاني من الاستصحاب هو معنى قول الفقهاء: الأصل بقاء ما كان على ما كان عليه، ومعناه أن الشيء الذي دل الشرع على

(1) الجواهر الثمينة، ص 249.

(2) قول الصحابي، د. زقلام، ص 53.

(3) الإحكام للآمدي، 4/2.

(4) أصول الإمام مالك، د. زقلام، ص 132.

ثبوته لوجود سببه يجب الحكم باستصحابه حتى يدل دليل على نفيه، كثبوت الملك لوجود سببه الذي هو الشراء⁽¹⁾.

ثم ختم الناظم كلامه عن مصادر التشريع والحكمة من تعددها:
مَصَادِرُ التَّشْرِيعِ قَدْ تَعَدَّدَتْ *** لَكُنْهَا مِنْ الْكُتَابِ نَبَعَتْ
فَكُلُّهَا تَعَوُّدٌ لِلْقُرْآنِ *** مِنْهُ نَمَتْ بِالْفِعْلِ كَالْأَغْصَانِ

الحاجة إلى القياس:

قال فيه الناظم - حفظه الله -:

لا بَدَّ مِنْ تَرْتِيكِ المَصَادِرِ *** بَحِيثٌ تَجْعَلُ القِيَاسَ آخَرَ
فَهُوَ الَّذِي يَأْتِي إِلَيْهِ المَجْتَهِدُ *** إِنْ طَلَبَ النَّصَّ وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْ
وغيرُ مَنْصُوصٍ عَلَيْهِ أَلْحَقَ *** بِمَا عَلَيْهِ النَّصُّ قَدْ تَحَقَّقَ
لَعَلَّةٌ تَظْهَرُ فِي كِلَيْهِمَا *** تُعْطِيكَ نَفْسَ الوَصْفِ فِي حُكْمِهِمَا
مِثْلَ المَخْدِرَاتِ وَالسِّخْرِ وَمَا *** شَاكَلَهَا لَا حَكْمَ لِلْمُسَمَّى
جَمِيعَهَا عُلَّتْهَا مُشْتَرَكَةٌ *** إِفْسَادُ عَقْلِ وَأَسَاسِ التَّهْلُكَةِ
فَكُلُّ مَا يُذْهِبُ عَقْلاً يَحْرُمُ *** مَا نَعَلِمُ مِنْهُ وَمَا لَا نَعَلِمُ
نُلْحِقُهَا بِالخَمْرِ فِي التَّحْرِيمِ *** وَالنَّصُّ مَا بَشَرَعْنَا أَحْكَامَ
فِيالْقِيَاسِ تَشْمَلُ الأحْكَامَ *** جَمِيعَ مَا يَحْتَاجُهُ الأَنَامُ

(1) أصول الفقه، د. أبوناجي، ص223، إيصال السالك، ص83 - 85.

يعتبر القياس دليلاً من أدلة الأحكام الشرعية، ويأتي بعد القرآن، والسنة، والإجماع - وإن كان وجوده معاشياً لها - إلا أنه متأخر عنها في الاستدلال، فهو آخر المصادر الأربعة المتفق عليها، وإذا تعدّر على المجتهد والقاضي والمفتي البحث في حادثة معينة الإتيان بدليل، وجب عليهم أن يعمدوا إلى القياس متى توفرت فيه شروطه المطلوبة، ففيه تلبية لمطلب البشر كلهم، ومتسع لكل ما ضاق عنه الغير، ولذا قيل في شأنه:

إذا أعيأ الفقيه وجوداً نصّ *** تعلق لا محالة بالقياس

- والقياس في اللغة: التقدير⁽¹⁾، يقال: قست الثوب بالمتر، أي قدرته به.
- وفي الاصطلاح: عرّف بعدة تعريفات لا تخلُ من مناقشة واعتراضات، وأجودها تعريف ابن الحاجب في المختصر⁽²⁾: "مساواة فرع الأصل في علة حكمه" أو هو "إلحاق واقعة لا نص على حكمها بواقعة ورد نص بحكمها في الحكم لتساويهما في العلة".

ومثّل له الناظم بالمخدرات وكل مسكر ومذهب للعقل، وقد ورد النص بتحريم الخمر لعلّة الإسكار - وبعد البحث تبين أن هذه العلة ليست قاصرة على الخمر بل موجودة في أمور أخرى، كالتبيذ وغيره - فيلحق التبيذ وغيره - فيلحق النبيذ وغيره بالخمر، ويعطى حكم الخمر وهو التحريم، وكذا ورد النص بتحريم إتيان الزوج

(1) تقدم تعريفه لغة في ص 11.

(2) المختصر مع شرح العصد، ص287، شرح العصد القاضي عضد الملة والدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت: 756هـ) على مختصر المنتهي الأصولي لابن الحاجب، (ت: 646هـ)، ضبطه ووضع حواشيه فادي نصيب وطارق يحيى، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ، 2000م.

زوجته في حال الحيض لعله الأذى، وهذه العلة موجودة في النفاس مثلاً فيلحق به بالحكم.

وهذا الشرط اتفق عليه علماء أصول الفقه على صحة التعليل بالعلة التي يتوفر فيها الشرط الآتي: وهو ألا تكون العلة وصفاً قاصراً على الأصل؛ لأن أساس القياس يقوم على مشاركة الفرع للأصل في العلة، فإذا لم تكن العلة متعددة فإنه لا يمكن القياس.

المقصد الشرعي من التشريع:

- في كُلِّ تشريعٍ سَمَاوِيٍّ حَكْمَةٌ *** وِغَايَةٌ عَظْمَى حَمَتَهَا الشَّرْعَةُ
- لِيَسَعِدَ الْإِنْسَانَ فِي الْحَيَاةِ *** وَيَضْمَنَ الْفَلَاحَ فِي الْمَمَاتِ
- إِنْ لَمْ تَكُنْ ظَاهِرَةً تَعْبُدِي *** وَالْفَوْزَ لِلْمُدْعِينَ فَهُوَ الْمُهْتَدِي
- كَعَدَةِ الزَّوْجَةِ وَهِيَ عَاقِرٌ *** أَوْ مَا بَدَتْ بَعْجُهَا تُجَاهِرُ
- فَلَيْسَ سَبَبًا بَرَاءَةٌ الرَّجْمِ *** وَإِنَّمَا أَمْرٌ لَدَيْنَا مَا عِلْمٌ
- لَعَلَّهُ الْوَفَاءُ أَوْ لَعَلَّهُ *** لِسَبَبٍ لَا ضَيْرَ أَنْ تَجْهَلَهُ
- وَمَثَلُهُ كَذَلِكَ التَّيْمُمُ *** طَهَارَةٌ أَسْرَارَهَا لَا نَعْلَمُ
- وَالْوَقْتُ حَيْثُ حَلَّ فِي الصَّلَاةِ *** وَعَدَدٌ قَدْ جَاءَ فِي الرُّكُوعَاتِ
- وَالسِّرُّ وَالْحِجْرُ وَمَسْحُ الْخُفِّ *** وَالْمَسْحُ فِي أَسْفَلِهِ لَا يَكْفِي
- بَلْ مَسْحُ أَعْلَاهُ وَلَوْ تُرْكْنَا *** لِعَقْلِنَا أَسْفَلَهُ مَسْحَنَا
- لَكِنَّ فَهْمَ الْعَقْلِ مَحْدُودٌ وَقَدْ *** عَوَّضْنَا اللَّهَ بِشَرِّهِ قَدْ وَرَدَ

ذكر الناظم - حفظه الله - أن في كل الشرائع السماوية حكمة وغاية عظمى حمتها الشرعية، وذلك لإسعاد الناس في حياتهم الدنيوية، ولضمان الفلاح والفوز عند الممات، وفي هذا يقول الإمام الشاطبي: "وضع الشارع للشرعية لتحقيق مقاصد الشارع في قيام مصالحهم في الدين والدنيا معاً، وليست التكاليف موضوعة لمجرد إدخال الناس تحت سلطة الدين، وروعي في كل حكم منها إما حفظ شيء من الضروريات الخمسة (الدين والنفس والعقل والنسل والمال) التي هي أسس العمران المرعية في كل ملة، والتي لولاها لم تجرِ مصالح الدنيا على استقامة، ولفأنت النجاة في الآخرة، وإما حفظ شيء من الحاجيات كأنواع المعاملات، التي لولاها لوقع الناس في ضيق وحرَج وإما حفظ شيء من التحسينات التي ترجع إلى مكارم الأخلاق ومحاسن العادات..."⁽¹⁾.

كما تعرّض الشاطبي لمقاصد الصلاة وفوائدها المشروعة، فذكر أن مقصودها الأول هو الخضوع لله سبحانه بإخلاص التوجه إليه، والانتصاب على قدم الذلة بين يديه وتذكير النفس بالذكر له"⁽²⁾.

ويقول: " فالنوع الأول معناه وضع نظام كافل للسعادة في الدنيا والآخرة لمن تمسك به، والرابع أن الشارع يطلب من العبد الدخول تحت هذا النظام والانتقاد له لا لهواه... "⁽³⁾.

والقاعدة الغالبة - كما يبدو من كلام الناظم - في العبادات التسليم وعدم إدراك الحكمة من مشروعيتها على كيفية خاصة دون غيرها، فإن أحكامها مبناه

(1) الموافقات، 3/1.

(2) الموافقات، 303/2.

(3) الموافقات، قصد الشارع في وضع الشرعية.

التحكم المحض وعدم التعليل، ولعل الحكمة من إخفاء وجه المصلحة فيها الابتلاء والاختبار؛ ليمتاز من يمتثل الأمر الصادر إليه من ربه دون سؤال: لماذا كان كذلك؟ ممن لا يمتثل ولا يقبل إلا إذا علم وجه المصلحة فيما أمر به، فيحرم مرتبة الطاعة المطلقة التي يتحقق بها كمال العبودية.

وهذه الْحِكْمُ - إن لم تكن ظاهرة - فيكفي العبد أن يُدْعَنَ لها، وضرب الناظم عدة أمثلة، منها عدة المتوفى عنها زوجها وهي عاقر، لماذا شرعت لها العدة وهي عقيم لا تتجب؟ ولعل الراجح في حكمة العدة أنها الوفاء للرابطة الزوجية التي جمعت بين اثنين بميثاق غليظ، ثم لم يكتب لها الاستمرار والبقاء، كما هو الأصل في إنشائها، أو لسبب لا تضر جهالته كما ذكر الناظم.

لَعَلَّةُ الْوَفَاءِ أَوْ لَعَلَّةٌ لِسَبَبٍ لَا ضَيْرَ أَنْ نَجْهَلَهُ

وأخفى الله أسرار وِجْهٍ بعض العبادات على عباده مثل التيمم، وتحديد مواعيد كل وقت من أوقات الصلاة، وعدد ركعات الصلوات الخمس، ومواضع الجهر والإسرار في كل ركعة من ركعات الصلاة، وكان مسح أسفل الخف أولى من أعلاه حتى ورد عن علي - رضي الله عنه - أنه قال: ((لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه))⁽¹⁾.

أخفى الله كل ذلك؛ لأن عقل الإنسان قاصر ومحدود كما ذكر الناظم، وخفف الله سبحانه على عباده بعض العبادات وأمرهم بعبادة أخرى، فعند فقد الماء، وعدم القدرة على استعماله، وخوف خروج الوقت، وغير ذلك شرع لهم التيمم، وسكت عن أشياء رحمة بهم، وهذا ما ذكره الناظم في قوله:

(1) سنن أبي داود، 117/1، كتاب الطهارة، باب كيف المسح رقم (162).

عوضنا الله بشرع قد ورد

وقد

المقصد الشرعي من خلق الإنسان:

- كَي نَعْمَرَ الْكَوْنَ وَنَعْبُدَ الصَّمَدَ *** هذا هُوَ الْمَقْصِدُ إِذْ خُلِقَ وَجُدَ
- لَا يَبْرُكُ اللَّهُ عِبَادَةَ سُدَى *** بَلْ بَيَّنَّ الْحَقَّ وَزَادَهُمْ هُدَى
- وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ وَبِالْعَدْلِ أَمْرٌ *** كَمَا نَهَى عَنْ كُلِّ مَا فِيهِ ضَرَرٌ
- وَالْمَقْصِدُ الشَّرْعِيُّ هُوَ نَفْعُنَا *** وَلَيْسَ نَفْعُهُ بِمَا كَلَّفْنَا
- مَا ضَرَّ مُلْكَ اللَّهِ فِعْلُ الْخَلْقِ *** لَا فَسْقُ فَاسِقٍ وَلَا تَقْوَى تَقِي
- كَي مَا يَعِيشَ الْعَبْدُ فِي أَمَانٍ *** وَقَدْ وَقَى النَّفْسَ أَدَى التَّيْرَانِ

ذكر الناظم أن المقصد الحقيقي من خلق الإنسان هو عمارة الكون وعبادة الله سبحانه وتعالى، ولم يتركهم هملاً وسدى، وبيّن لهم طريق الحق وأرشدهم إليه وأرسل لهم الرسل لإقامة الحجة عليهم، كما قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَاسٍ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾⁽¹⁾، وأمر بإقامة العدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾⁽²⁾، ونهى عن كل ما فيه ضرر، والمقصد الشرعي الذي أراده الله سبحانه لعباده هو نفعهم، ولا يضره فسق فاسق ولا تقوى تقي، كل ذلك شرعه الله تعالى ليعيش العباد في أمان ويقيهم من أذى النيران.

(1) سورة النساء، الآية [164].

(2) سورة النحل، الآية [90].

هذا وقد ذكر علّال الفاسي أن المقصد العام للشريعة هو عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها، واستمرار صلاحها بصلاح المستخلفين فيها، وقيامهم بما كلفوا به من عدل واستقامة، ومن صلاح في العقل وفي العمل، وإصلاح في الأرض، واستنباط لخيراتها، وتدبير لمنافع الجميع⁽¹⁾.

المقصد الشرعي من خلق الكون:

وَنَشْكُرُ	أَرْزَقَنَا	وَنَنْتَقِي	***	نَعْتَبِرُ	كَيْ	هَذَا	الْكَوْنَ	كَيْ	خَلَقَ
وَقَفْنَا	بِفَضْلِهِ	وَاللَّهُدَى	***	رَزَقَنَا	الَّذِي	اللَّهُ	الَّذِي	رَزَقَنَا	وَنُعْبُدُ
وَالْأَنْجُمَا	وَبَثَّ	دَعَائِمَ	***	رَفَعِ	السَّمَاءَ	وَنُذْرِكَ	الْقُدْرَةَ	فِي	وَنُذْرِكَ
وَالظُّلُمَاءِ	وَفِي	غُبَابِ	***	الصَّخْرَاءِ	فِي	يَهْدِي	بِهَا	السَّائِرَ	يَهْدِي
وَالثِّمَارِ	وَمَا	عَلَى	***	أَسْرَارِ	مِنَ	وَمَا	بِطْنِ	الْأَرْضِ	وَمَا
وَأُبْحُرُ	عَدِيدَةٌ	وَأَنْهَرُ	***	تُبْصِرُ	لَا	مَفَاوِزُ	غَايَاتِهَا	لَا	مَفَاوِزُ
وَالْمَجِيدِ	الْقَادِرُ	وَقَدْرَةٌ	***	وَالتَّوْحِيدِ	وَالِإِعْجَازِ	دَلَالَتُ	الإِعْجَازِ	وَالتَّوْحِيدِ	دَلَالَتُ

خلق الله هذا الكون وما فيه من نظام بديع للاعتبار والتفكير في ملكوت الله، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽²⁾، وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾⁽³⁾، ولكي ينتقي ويختار العباد أرزاقهم ويشركوا الله

(1) مقاصد الشريعة لعلال الفاسي، ص151، دراسة وتحقيق: إسماعيل الحسني، دار السلام، ط1، 1432هـ - 2011م.

(2) سورة الأعراف، الآية [185].

(3) سورة الروم، الآية [41].

تعالى على ما أنعم وتفضل به عليهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾⁽²⁾، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾⁽³⁾.

وعن التفكير في قدرة الله تعالى في خلق السماء بغير عمد قال: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾⁽⁴⁾، كما نشر فيها الأنجم ليهتدي بها العبد التائه في الصحراء وفي البحار، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾⁽⁵⁾، ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾⁽⁶⁾.

كل ذلك دليل على إعجاز الله وقدرته ووحدانيته وعظمته، والمفاوز: جمع مفازة، وهي الصحراء⁽⁷⁾.

(1) سورة البقرة، الآية [171].

(2) سورة الملك، الآية [15].

(3) سورة فاطر، الآية [3].

(4) سورة الرعد، الآية [2].

(5) سورة الأنعام، الآية [98].

(6) سورة النحل، الآية [16].

(7) المفاوز والمفازة: البرية القفر، لسان العرب، 8/348، والمفازة: الفلاة لا ماء فيها، مختار

القاموس، ص 486.

المقصد الشرعي من الصلاة:

المَقْصِدُ الشَّرْعِيُّ مِنَ الصَّلَاةِ ***	فِي الْعَنْكُبُوتِ فَأَقْرَأَ الْآيَاتِ
نُقِرُّبُ الْعَبْدِ مِنَ الرَّحْمَنِ ***	وَهُوَ يُنَاجِي خَالِقَ الْإِنْسَانِ
يُوحِّدُ اللَّهَ وَيَسْتَعِينُ ***	بِهِ فَلَيْسَ غَيْرُهُ يُعِينُ
وَيَطْلُبُ الْهُدَى إِلَى الصَّوَابِ ***	وَالْأَخْذَ بِالسُّنَّةِ وَالْكِتَابِ
مُبْتَهَلًا فِي الرَّفْعِ وَالسُّجُودِ ***	حَتَّى يَفُوزَ بِرِضَا الْمَعْبُودِ
تَنْتَهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَفَعَلَ الْمَنْكَرَ ***	وَهِيَ تَعِينُنَا عَلَى التَّصَبُّرِ

ذكر الناظم أن المقصد الشرعي للصلاة هو ما جاء في قوله تعالى: في سورة العنكبوت: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ»⁽¹⁾، وهي تقرب العبد من ربه، وفيها مناجاة الإنسان لخالقه كما جاء في الحديث: ((إِنَّ الْمُصَلِّيَّ يُنَاجِي رَبَّهُ))⁽²⁾، وفي الصلاة توحيد الله والاستعانة به في جميع أموره، ويطلب الهداية إلى صراط الله المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، يذكر الله ويعظمه ويمجده في ركوعه وسجوده، لكي يفوز برضا مولاه، والصلاة تعين العبد على الصبر، كما قال تعالى: «وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ»⁽³⁾.

وفي الركوع تسبيح وابتهاج إلى الله وهو أن يقول "سبحان ربي العظيم وبحمده" أو نحو ذلك من ألفاظ التسبيح، وفي سجوده يقول: "سبحانه ربي الأعلى"،

(1) سورة العنكبوت، الآية [45].

(2) صحيح الجامع الصغير، 394/1، 1951، الألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط3، 1408هـ، 1988م.

(3) البقرة، الآية [44].

لقوله - صلى الله عليه وسلم - ((اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ)) عندما نزلت سورة الأعلى، وفي الصلاة جميع أركان الإسلام، ففيها الشهادات وهي نفس الركن الثاني، وفيها التفرغ بجزء من الوقت لأدائها، والوقت ظرف المال، وفيها أرقى أنواع الصوم، إلا عن ذكر الله، وفيها من الركن الخامس التوجه للكعبة وبيت الله الحرام، والتعلق به.

المقصد الشرعي من الزكاة:

وَمَقْصِدُ الزَّكَاةِ	بِالتَّحْدِيدِ	***	فِي	سُورَةِ التَّوْبَةِ	بِالتَّكْوِينِ
تَطَهَّرُ	الْمَالَ	تُعِينُ	الْفُقْرَاءَ	***	وَتَجَلِبُّ
فَالْمَالَ	مَالِ	اللَّهِ	وَالْفَضْلُ	لَهُ	***
وَهُوَ	مَعَ	التَّوْفِيقِ	يُعْطِي	ال-	***
لَسْتَ	بِذِي	مَالٍ	وَلَا	حَوْلَ	لَكَ
				لَوْلَا	هَذَايَةِ
				بِهَا	وَقَفَّكَ

أما المقصد الشرعي من الزكاة فقد ذكره الله في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾⁽¹⁾، وفيها تطهير للمال من الشح والبخل، فالمال إذا أدبت زكاته نما وكثر وبارك الله فيه لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾⁽²⁾، وفي الحديث ((ما تَقَصَّ مَالٌ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ))⁽³⁾، وتجلب الخير ليحصل العبد على الأجر من الله، فالمال كله لله

(1) سورة التوبة، الآية [104].

(2) سورة سبأ، الآية [39].

(3) جزء من حديث أخرجه الترمذي في الجامع الكبير، 153/4، أبواب الزهد، باب: مثل الدنيا

مثل أربعة نفر، رقم (2325).

يوفق العبد للحصول على المال الحلال، ويعطي الأجر مضاعفاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُمَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾⁽¹⁾، فلولاً توفيق الله سبحانه لم يحصل الإنسان على المال، وما أعظم نعم الله: فهو يعطي المال، ويوفق العبد إلى الإنفاق، ويضاعف الأجر.

المقصد الشرعي من الصوم:

وَمُقَصِّدُ الصِّيَامِ بِالْفَصِيلِ ***	أَتَى بَنَانِي سُورَ التَّنْزِيلِ
يُحَقِّقُ التَّقْوَى وَيُحْيِي الرَّحْمَةَ ***	فِي قَلْبِ صَائِمٍ يُعَانِي الْجَوْعَةَ
يَحْسِنُ بِالْفَقِيرِ وَالْمَحْرُومِ ***	وَحَاجَةَ الْمَضْطَّرِّ وَالْمَهْمُومِ
فِيبْذُلُ الْمَالَ بِطَيْبِ نَفْسٍ ***	إِذْ صَارَ بِالصَّوْمِ رَفِيقَ الْحَسَنِ
وَيَجْعَلُ الْعَبْدَ يَخَافُ رَبَّهُ ***	وَإِنْ يَكُنْ فِي خَلْوَةٍ لَمْ تَرَهُ
يِرَاقِبُ الْخَالِقَ فِي خَلْوَتِهِ ***	وَذَاكَ أَقْوَى الْخَوْفِ مِنْ خَشْيَتِهِ
وَلَوْ يِرَاقِبُ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ ***	كَمَا بِصَوْمِهِمْ لَنَالُوا قُرْبَهُمْ
وَأَمَّنُوا تَسَلَّطَ الشَّيْطَانِ ***	مُلْتَمِساً لِلضَّعْفِ فِي الْإِنْسَانِ

يذكر الناظم هنا أن مقصد الصيام أتى في سورة البقرة، وهي ثاني سور القرآن كما ذكر الناظم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾⁽²⁾.

(1) سورة الحديد، الآية [17].

(2) سورة البقرة، الآية [184].

ومن مقاصد الصيام أنه يحقق التقوى، أي الخوف من الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى في آية الصيام بعد أن أمر به وفرضه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽¹⁾.
ومن مقاصده أيضاً أنه يحيي في قلب الصائم الذي يعاني الجوع الرحمة، فيتذكر عندها حال العبد الفقير الذي لا يملك قوت يومه، فهو محروم من الحاجات الضرورية أحياناً.

وعندما يتذكر الصائم ذلك يتصدق ويبذل المال بطيب نفس منه؛ لأنه أصبح رفيق الحس مرهفاً.

ومن مقاصد الصوم: أنه يجعل العبد خائفاً وجللاً من مولاه، يراقب الخالق في خلوته؛ لأن ذلك أقوى درجات خشية الله كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الحديث القدسي: ((الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ))⁽²⁾. فلو قام العباد بمراقبة ربهم كما في صومهم لنالوا القرب منه سبحانه وتعالى ولأمنوا تسلط الشيطان عليهم؛ لأنه يلتمس ضعف الإنسان.

المقصد الشرعي من الحج:

والمقصدُ الشرعي من الحج أتى *** في سورة الحج صريحاً مثبتاً
يُحَقِّقُ المنافع الكثيرة *** لكل من كانت له بصيرة
يستشعرُ الحجاجُ عمقَ الصلوة *** تجمعهم أواصرُ الأخوة
أخوة الدين وتلك أقوى *** ينافسون بعضهم في التقوى
ويشعرون بالمساواة التي *** تجعل من ملوكهم كالسوقة

(1) البقرة، الآية [182].

(2) البخاري، كتاب الصوم، باب: فضل الصوم رقم (1894).

لا فرق بينهم فكلُّ مُفْتَقِرٍ *** لرحمة الرحمن فهو المُفْتَقِرُ

يذكر الناظم هنا أن المقصد الشرعي أتى في سورة الحج في قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾⁽¹⁾. فكما أن الحج مظهر من مظاهر العبودية الكاملة لله تعالى فهو أيضاً مظهراً من مظاهر الوحدة والقوة بين المسلمين، فهم يستشعرون عمق الصلة فيما بينهم، وأقوى الروابط التي تجمعهم هي رابطة الأخوة، وهي أخوة الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾⁽²⁾، ومن منافعها أنه تجتمع إسلامي كبير للتشاور والتعاون، وتبادل الخبرات والتجارب، وأنهم كلهم مفتقرون لرحمة الرحمن، لا فرق بين غني وفقير ورئيس ومرؤوس، وعربي وعجمي، وأبيض وأسود، فالكل سواء، لا فرق بين الملوك والسُّوق وهم عامة الناس، فكلهم في لباس واحد، وعلى صعيد واحد، ومناسك واحدة، والمحظورات واحدة على الجميع، وهنا تبدو المساواة في أجلى صورها.

(1) سورة الحج، الآية [26].

(2) سورة الحج، الآية [10].

الخاتمة

- وبعد توفيق الله - سبحانه - وفي نهاية هذا البحث أسجل النتائج الآتية:
- إن هذا النظم من المنظومات الجيدة التي لم يسبق لعالم من علماء ليبيا أن وضع نظماً في علم مقاصد الشريعة الذي هو بحاجة إليه في هذا العصر.
 - إن هذا النظم هو شرح لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم متعلق بأفعال المكلفين، ومتصل بحياة المسلمين.
 - حوى هذا النظم مباحث علم المقاصد، وفي شرحها فائدة عظيمة لطلاب العلم الشرعي.
 - أكد هذا البحث دور علماء ليبيا في التأليف والتحقيق والعناية بوضع المنظومات العلمية لتيسير حفظها واستحضارها لطلبة العلم.
- والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص.
- الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي (ت 631هـ) تعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، طبعة أولى 1424هـ - 2003م.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني ، حققه محمد صبحي حلاق، دار ابن كثير، ط الثالثة 1428هـ - 2007م.
- إيصال السالك إلى أصول مذهب الإمام مالك، محمد بن يحيى الولاتي (1330هـ) اعتنى به أبو عبد الله الندرومي، دار البشائر، ط أولى 2010م.
- الأصول التي اشتهر انفراد إمام دار الهجرة بها، د. فاتح زقلام، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طبعة أولى 1996م.
- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت 671هـ) تحقيق سالم البدري، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، ط أولى 1420هـ - 2000م.
- سد الذرائع في الشريعة الإسلامية، محمد هشام البرهاني، تصوير 1995م عن الطبعة الأولى 1985م.
- سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت 275هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط أولى، 1433هـ-2012م.

- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت279هـ) تحقيق د. بشار عواد معروف، طبعة أولى، دار الغرب الإسلامي 1998م.
- سنن ابن ماجه، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت275هـ) حقق نصوصه محمد فؤاد عبد الباقي ، دار التراث العربي 1395هـ-1975م.
- شرح تنقيح الفصول للقرافي (ت 684هـ) دار الفكر، طبعة أولى 1418هـ-1997م.
- شرح صحيح مسلم للنووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ) ضبط النص محمود نصار، دار الكتب العلمية بيروت، طبعة أولى 1421هـ - 2001م.
- صحيح الجامع الصغير ، للألباني، أشرف على طبعه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، طبعة ثالثة 1408هـ - 1988م.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، ضبط النص محمود نصار ، طبعة أولى 1421هـ - 2001م.
- القاموس المحيط ، للفيروز أبادي، دار الكتب العلمية، طبعة أولى 1420هـ-1999م.
- قول الصحابي، د. فاتح زقلام، طبعة أولى 2009م
- لسان العرب، بن منظور (711هـ) تصوير دار صادر بيروت.

- مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، للتلمساني (ت 771هـ) حقيقه محمد فركوس، المكتبة المكية - مؤسسة الريان، الطبعة 2، 1424هـ-2003م.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، للعلامة محمد الطاهر بن عاشور (ت 1393هـ-1973م) دار السلام ، الطبعة الخامسة (1433هـ - 2012م).
- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، للشيخ علال الفاسي، دار السلام، الطبعة الأولى 1432هـ 2011م.
- المقدمات الممهדות، لابن رشد (ت 520هـ) تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1998م.
- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت 790 هـ) شرحه وخرج أحاديثه الشيخ عبد الله دراز، دار التب العلمية ، ط. د ن.
- نظرية المقاصد عند الشاطبي، د. أحمد الريسوني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى 1412هـ - 1992م.

عداوة الشيطان للإنسان وكيفية النجاة منه

إعداد: د. محمد حسين الشريف*

المخلص :

هذا البحث يتحدث عن عدو أزلي قديم موغل في القدم، عدو متفرغ متربص للإنسان، عدو لا يعرف اليأس إلى درجة أنه حتى في اللحظات الأخيرة من حياة الإنسان لا يكف عن إغوائه محاولاً إخراجهم من الدنيا على غير التوحيد، وقد حاولت في هذا البحث الإشارة إلى معرفة هذا العدو وأساليبه في الغواية والإضلال، وبيان أفعاليه وتلبساته، ووساوسه وأثرها على الإنسان. وقد تضمن هذا البحث خصائص هذا العدو، أساليبه، مداخله وحيله، ومكائده، وأسلحته، كما أشرت إلى بعض الأمور التي تعين الإنسان على النجاة من حيله ومكره، وخدعه، وذكرت بعضاً من الأسباب التي يستطيع الإنسان من خلالها والاعتصام بها أن ينجوا من كيده سائلاً الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على أنفسنا ويصرف عنا كيد الشيطان إنه على ذلك لتقدير.

Abstract:

This research talks about an old, eternal enemy deep in the past, a full-time enemy lurking for man, an enemy that does not know despair to the extent that even in the last moments

* قسم التفسير والحديث بكلية علوم الشريعة جامعة المرقب / الخمس

of a person's life he does not stop seducing him trying to get him out of the world on something other than monotheism, and I have tried in this research to point to knowing This enemy and its methods of seduction and misguidance, revealing its tricks and deceptions, and its whispers and their impact on man.

This research included the characteristics of this enemy, its methods, its entrances, its tricks, its plots, and its weapons, as I indicated some of the things that help a person to escape from his tricks, cunning, and deceit, and mentioned some of the reasons through which a person can and adhere to them to be saved from his plot, asking God Glory be to Him, to help us against ourselves and to divert from us the plots of Satan, for He is capable of that.

المقدمة:

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده حمدا يعيدنا الله به من الشيطان ووساوسه، ونرقى به إلى مراتب الصدق معه والدخول في دائرة ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾⁽¹⁾ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد ،،

فإن أعظم نعمة منحها الله سبحانه وتعالى للإنسان هي نعمة العقل فهو آلة المعرفة، وسبب الوصول إلى تصديق الرسل، وهي نعمة الإكرام التي أكرم الله بها هذا المخلوق الإنساني الضعيف، وميزه بها عن غيره من المخلوقات التي خلقها في هذا الكون، لكن هذا الإنسان على الرغم من هذه النعم فإنه يواجه عدوا هو من أشرس الأعداء، وأشدّه فتكًا، وأحرصه على إهلاكه وتدميره، وهذا العدو هو الشيطان.

فالشيطان يمثل الشر في الأرض، ويعمل دائمًا على تدمير حياة الإنسان بزحزحته عن هداية الله، وإبعاده عن منهج الحق والرشاد.

لهذا حذرنا الله من كيده، وأخبرنا بعداوته، ودعانا إلى مقاومته بكل وسيلة حتى يضعف سلطانه، وتخف شروره وأثامه، فقال: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾⁽²⁾ إن عداوة الشيطان للإنسان قديمة منذ عهد أبيه آدم عليه السلام فهو ما زال يكيد لهذا الإنسان لإهلاكه كما قال لربه: ﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ

1 (سورة الحجر الآية : 42

2 (سورة فاطر الآية 6

الْفَيْكَمَةَ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١﴾ ومن أعظم ما يكيد به الشيطان للإنسان كشف العورات لما يجبر إليه من الوقوع في الفاحشة وفساد الأخلاق وضياع الحياء والحشمة، فكاد لآدم وزوجه بالأكل من الشجرة التي نهيا عن الأكل منها:

﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾ (1) فصلت من آدم عليه السلام الخبيثة ولما عاتبه الله في ذلك تاب إلى الله فتاب الله عليه، وقطع خط الرجعة على الشيطان، لكن بقيت آثار المعصية بإخراجه من الجنة، فزاد ذلك من توبة آدم إلى ربه واجتهاده في طاعته ﴿ثُمَّ أُجْتَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (2) ففات على الشيطان غرضه، وحصل لآدم من الإكرام، وحسن العاقبة ما لم يتوقعه الشيطان، لكن هذا العدو قال متحديا: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (3) تهديد صريح، وموقف عدائي واضح، وهو أمر يدعو الإنسان أن ينتصر فيه لنفسه، وأن يجزى إبليس، ويتحدى سفاهته، ويقف منه موقف العدو لعدوه، في ميدان القتال. وهذا ما سنتناوله هذه الدراسة في هذا البحث الموسوم بـ(عداوة الشيطان للإنسان وكيفية النجاة منه)

إشكالية البحث:

إشكالية البحث تكمن في غفلة الناس عن هذا العدو والجهل بحيله، ومعرفة مكائده وكيفية مواجهتها، والانتصار عليه، والنجاة من حيله ومكائده.

1 (سورة الأعراف الآية 20

2 (سورة طه الآية 122

3 (سورة الأعراف الآية 16

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية الموضوع من مادته وموضوعه فهو يتكلم عن أخطر عدو للإنسان إنه إبليس الذي يوسوس ويغوي، ويغري، ولا يكف عن ذلك حتى يرى جميع أبناء آدم عصاة لله، ويبراهم في النار خالدين معه.

أهداف البحث:

إبراز مكايد الشيطان، وكيفية النجاة منها.

بيان خاطر النفس والخواطر الشيطانية.

بيان هدف الشيطان من هذه العداوة.

أسباب اختيار الموضوع:

1- فهم النص القرآني الذي يحذر من موالة الشيطان.

2- معرفة هذا العدو وأساليبه في الغواية والإضلال.

3- كشف ألعابيه وتلبيساته، ووساوسه وأثرها على الإنسان.

4- معرفة ما حقق من انتصارات على بني آدم.

منهج البحث:

جمع هذا البحث بين مناهج متعددة كي يحقق هدفه المنشود فقد تنوعت مناهجه

بين الاستقراء، والوصف التحليلي، والنقلي والاستنباط لكي يصل إلى استخدام

أفضل للنص القرآني.

هيكلية البحث:

يتكون البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع .

المبحث الأول: ويتضمن خصائص هذا العدو، أساليبه في الغواية والإضلال،

مداخله

المبحث الثاني: ويتضمن حيل الشيطان، مكائد الشيطان، هدف الشيطان.
 المبحث الثالث: ويتضمن خطيئة آدم، سلاح الشيطان.
 المبحث الرابع: ويتضمن كيفية النجاة منه، الأسباب التي يعتصم بها العبد من الشيطان.

تمهيد

لقد تعددت الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية المبينة لعدواة الشيطان والمحذرة من اتباع خطواته، كما تعددت الآيات والأحاديث النبوية الموضحة كيفية الانتصار عليه واتقاء شره، لكننا قبل أن نتتبع دلالة الآيات كان لابد من معرفة معنى اللفظ الدال على هذا المخلوق (الشيطان) (إبليس) مع بيان عدد وروده في القرآن الكريم.
أولاً - لفظ الشيطان:

الشَّيْطَانُ فَعْلَانٌ فِي قَوْلٍ مِنْ قَالَ: إِنَّ اشْتِاقَهُ مِنْ شَاطِءٍ، وَاحْتَنَفُوا فَعِيلٌ: بِمَعْنَى احْتَرَقَ، وَقِيلَ: بِمَعْنَى هَلَكَ، وَقِيلَ: بِمَعْنَى ذَهَبَ، وَقِيلَ: بِمَعْنَى بَطَلَ؛ لِأَنَّ مِنْ أَسْمَائِهِ الْمُذْهَبُ وَالْبَاطِلُ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قِرَاءَةُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَالْأَعْمَشِ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَأَبُو الْبَرَّهَسَمِ، وَطَاوُوسٍ، (وما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ) وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ فَعِيَالٌ مِنْ شَطْنٍ، إِذَا بَعُدَ. (1)

وذكر صاحب لسان العرب أن لفظ الشيطان أصلية كان من الشطن البعد أي بعد عن الخير أو من الحبل الطويل كأنه طال في الشر وإن جعلتها زائدة كان من شاط يشيط إذا هلك أو من استشاط غضباً إذا احتد في غضبه والتهب قال والأول أصح (2).

¹ (ينظر تاج العروس من جواهر القاموس مادة شطن (19 / 431)

2 (ينظر لسان العرب مادة شطن (4 / 2266)

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم بمختلف الاشتقاقات (88) مرة.⁽¹⁾

ثانياً - لفظ (إبليس)

وَأَبْلَسَ الرَّجُلُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ: يَبْسُ. فِي حُجَّتِهِ: انْقَطَعَ. وَقِيلَ: أَبْلَسَ، إِذَا دَهَشَ وَتَحَيَّرَ، قَالَهُ ابْنُ عَرَفَةَ، مِنْهُ اشْتِقَاقُ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّهُ يَبْسُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَتَدِيمٍ، وَكَانَ اسْمُهُ مِنْ قَبْلُ عَزَازِيلَ، أَوْ هُوَ أَعْجَمِيٌّ مَعْرِفَةً، وَلِذَا لَمْ يُصْرَفْ.⁽²⁾

وذكر صاحب لسان العرب أن لفظ (إبليس) من بلس أبلس الرجل فُطِعَ به عن ثعلب وأبلس سكت وأبلس من رحمة الله أي يبس وتدِيم ومنه سمي إبليس وكان اسمه عزازيل وفي التنزيل العزيز يومئذ يبلس المجرمون وإبليس لعنه الله مشتق منه لأنه أبلس من رحمة الله⁽³⁾ وقد تعدد ورود هذا اللفظ في القرآن الكريم (11) مرة وورد اسم (آدم) (25) مرة فقط⁽⁴⁾ وورد اسم (الإنسان) (65) مرة.⁽⁵⁾

يتضح من خلال العرض السابق أن الشيطان اجتمع فيه أمران : الأمر الأول : أنه مطرود ومُبعد من رحمة الله. والأمر الثاني أنه يائس من رحمة الله، وفي كل شر. بعد معرفة معنى اللفظ يتضح أن هذا المخلوق قد طرده الله سبحانه وتعالى من رحمته بسبب تكبره وتجراه على الله سبحانه وتعالى.

1 (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم 382

2 (ينظر تاج العروس من جواهر القاموس (15 / 464)

3 (لسان العرب مادة بلس (1 / 343)

4 (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم 25

5 (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم 93

المبحث الأول - النص القرآني:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ اِنِّيْ خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِيْنٍ * فَاِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِيْ فَقَعُوْا لَهٗۤ وَسَلٰجِدِيْنَ * فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ اٰجْمَعُوْنَ * اِلَّا اِيْلٰسَ اَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ * قَالَ يٰۤاٰيْلٰسُ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِیَدَيَّ اَسْتَكْبَرْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ الْعٰلِيْنَ * قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِيْ مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِنْ طِيْنٍ * قَالَ فَاخْرَجْ مِنْهَا فَاِنَّكَ رَجِيْمٌ * وَاِنَّ عَلٰیكَ لَعْنَتِيْ اِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ * قَالَ رَبِّ فَاَنْظِرْنِيْ اِلَى يَوْمِ يُبْعَثُوْنَ * قَالَ فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَ * اِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوْمِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ اٰجْمَعِيْنَ * اِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُحْصِيْنَ ﴾ (1)

هذه الآيات من سورة (ص) تعود بنا إلى لحظة البداية من وجودنا، وتبين أننا لسنا أزليين، وأنا ضيوف في هذا الكون.

هذه الآيات تستحضر لنا أصلنا، وفي نفس الوقت تذكرنا بتمييزنا، وبتكريم الله لنا، وبطبيعتنا المركبة من تراب الأرض، ومن نفخة من روح إلهنا، نحن كائنات مميزة ليس لأن نفخة الروح القدسية تسري في جسدنا الترابي فتجعل نفوسنا تتوق إلى الترقى في مراتب القرب من الله سبحانه وتعالى، بل لأن الله كرمنا وفضلنا، وشرّفنا وأكرمنا.

نحن كائنات مميزة لأننا نحمل أمانة الاستخلاف على هذه الأرض.

هذه الآيات إلى جانب تذكيرها إيانا بأصل خلقتنا تصور لنا الرهان القديم والتحدي الذي قام به الشيطان حين تجرأ على الله بقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ يخبرنا الله سبحانه وتعالى في القرآن عن عداوة الشيطان لنا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (1) إنه يتكلم عن أخطر عدو للبشرية الشيطان الذي وسوس لآدم وزوجه حتى أخرجهما من الجنة، نلاحظ في الآية أنها تضمنت إخباراً وأمرًا أخبرنا أنه عدو، وأمرنا أن نتخذه عدواً ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ (2) حذر الخالق من الشياطين، وبين عداوتهم للإنسان: لقد جاءت تحذيرات القرآن المتكررة من الشياطين، في آيات يصعب حصرها في هذا المقام لكن لابد أن يعلم المسلم ابتداءً أن الشيطان عدوه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (3).

خصائص هذا العدو:

هذا العدو ليس ككل عدو، إنه عدو من نوع آخر، إنه عدو مضل مبين، وانتصاره علينا يترتب عليه خسران مبين لنا لا يعوض أبداً، ويتميز هذا العدو عن غيره بـ

- بمميزات:
- أنه عدو لا يرجى صرف عداوته.
- أنه يرانا هو وقبيله من حيث لا نرونهم.

1 (سورة فاطر الآية 6

2 (سورة فاطر الآية 6

3 (سورة الإسراء الآية 53

أنه متفرغ متربص لإغواء بني آدم ولا مجال للصالح معه. (1)
أنه عدو تنساه ولا ينسأك.

أنه لا يَكَلِّ ولا يَمَلِّ في حربه معنا، وأن شغله الشاغل هو نحن فهو متفرغ لإغوائنا.
أنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ويتخلل داخل نفس الإنسان ليقتذف الوسوس بدخله.

أن عداوته مستحكمة منذ أمر بالسجود لأبينا آدم فأبى، فطرده الله - سبحانه وتعالى - فهي عداوة ممزوجة بحسد وحقد وغل، عداوة أعمته حتى عن طاعة ربه، التجرؤ عليه سبحانه والرد عليه ومراجعته.

أن هذا العدو له عميل بداخلك، وهو النفس، فهي تمكنه من الدخول والتسلل إلى داخلك، وهذا العميل لا تستطيع أن تخرجه؛ فإن الشيطان لا يستطيع أن يلج إلى القلب موسوساً إلا بقدر ما تسمح له النفس الأمانة بالسوء، وكيف تسمح له النفس الأمانة بالسوء؟ تسمح له بما لديها من الشهوات والأطماع والمخاوف .

أساليبه في الغواية والإضلال:

يتنوع أسلوب الشيطان مع الإنسان ويتعدد فهو يستخدم أساليب متنوعة منها:

1- أسلوب التخويف أحياناً وهو يستخدمه مع الجبناء: يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (2)
القاعدين عن الخروج إلى ملاقاته العدو حتى لا يجاهدوا في سبيل الله وهو أعظم القربات (3).

1 (تلبس إبليس ص 8

2 (سورة آل عمران الآية 117 .

3 (البحر المديد لابن عجيبة (1 / 542)

- 2- أسلوب التزيين أحياناً يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ﴾ (1) أعمالهم ما كانوا فيه من الشرك وعبادة الأصنام ومسيرهم إلى بدر وعزمهم على قتال رسول الله - ﷺ - ويقول الله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُزِينَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (2). لأزينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور (3)
- 3- الوعد بالفقر يقول الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (4) أشار السمرقندي في هذا المعنى أن الشيطان يأمركم بشيئين والله تعالى يأمركم بشيئين، أما الشيطان فإنه يعدكم الفقر ويقول: لا تتفق ولا تتصدق كأنك تحتاج إلى ذلك، ويأمركم بالفحشاء يمنع الزكاة، ويقال: جميع الفواحش مثل الزنى، وقول الزور وغير ذلك والله يعدكم مغفرة منه، لذنوبكم يعني المغفرة من الله وفضلا يعني خلفا في الدنيا والله واسع الفضل عليم بما تنفقون ويقال عليم بمواضع الصدقات. (5)
- 4- الوعود الكاذبة والأمانى الخادعة يقول الله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (6) يعدهم (ما لا ينجزه) ويمنيهم (ما لا ينالون) وما

1 (سورة الأنفال الآية 48.

2 (سورة الحجر الآية 39

3 (أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (3 / 371)

4 (سورة البقرة الآية 268

5 (تفسير السمرقندي (بحر العلوم) (1 / 203)

6 (سورة النساء الآية 120

يعدمهم الشيطان إلا غرورًا وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد إما بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه. (1)

5- إيقاع العداوة والبغضاء يقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ ﴾ (2). إلى غير ذلك من حيل الشيطان وطرقه.

6- وأحياناً يستعمل أسلوب الاستحواذ على الإنسان يقول الله تعالى ﴿ أَسْتَحْوِذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ (3). فإن الاستحواذ يقتضي أنه صيرهم من أتباعه. (4)

مداخل الشيطان

مداخل الشيطان كثيرة ومتعدد فهو عدو مبين، وعداواته قديمة ومتأصلة، ولديه الكثير من الحيل التي يستطيع الدخول من خلالها، يشير الفخر الرازي إلى المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها فيقول: "إن المداخل في الأصل ثلاثة: الشهوة، والغضب، والهوى، فالشهوة بهيمية، والغضب سبعية، والهوى شيطانية، فالشهوة آفة، لكن الغضب أعظم منه، والغضب آفة، لكن الهوى أعظم منه فقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ^طإِذَا الصَّلَاةُ تَنَهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ^ق ﴾ (5) المراد آثار الشهوة وقوله: (المنكر) المراد منه آثار الغضب وقوله: (والبغي) المراد منه آثار الهوى فبالشهوة يصير الإنسان ظالماً لنفسه وبالغضب يصير ظالماً لغيره

1 (أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (2 / 256)

2 (سورة المائدة الآية 91

3 (سورة المجادلة الآية 19

4 (التحرير والتوير . (28 / 55)

5 (سورة العنكبوت الآية 45

وبالهُوى يتعدى ظلمه إلى حضرة جلال الله تعالى ولهذا قال عليه السلام: (الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله أن يتركه. فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضاً والظلم الذي عسى الله أن يتركه هو ظلم الإنسان نفسه) (1) فمُنشأ الظلم الذي لا يغفر هو الهوى ومُنشأ الظلم الذي لا يترك هو الغضب ومُنشأ الظلم الذي عسى الله أن يتركه هو الشهوة ثم لها نتائج: فالحرص والبخل نتيجة الشهوة والعجب والكبر نتيجة الغضب والكفر والبدعة نتيجة الهوى فإذا اجتمعت هذه الستة في بني آدم تولد منها سبع - وهو الحسد - وهو نهاية الأخلاق الذميمة. كما أن الشيطان هو النهاية في الأشخاص المذمومة ولهذا السبب ختم الله مجامع الشرور الإنسانية بالحسد وهو قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (2) كما ختم مجامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة وهو قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوسَّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (3) فليس في بني آدم أشر من الحسد كما أنه ليس في الشياطين أشر من الوسواس بل قيل: الحاسد أشر من إبليس لأن إبليس روي أنه أتى باب فرعون وقرع الباب فقال فرعون من هذا؟ فقال إبليس: لو كنت إليها لما جهلتني فلما دخل قال فرعون: أتعرف في الأرض شراً مني ومنك؟ قال: نعم الحاسد. (4) ومن مداخل الشيطان أيضاً إلى جانب الغضب والشهوة العجلة وتترك الثبوت فكثيراً ما يفوت المرء على نفسه مصالح كثيرة وسببها العجلة وعدم التريث، ذلك أن الشيطان يروج

1 (ذكره عبد الرزاق الصنعاني في المصنف - باب الذنوب - (11 / 183) برقم 20276

2 (سورة الفلق الآية 5

3 (سورة الناس الآية 6

4 (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي (1 / 214)

شره على الإنسان في تلك الحال، وإذا ما تبصر المرء في أمر نفسه، ودرسه من جميع جوانبه، فحينئذ لا يستطيع الشيطان على فعل أي شيء، ولهذا أرشدنا النبي -

ﷺ إلى هذا السلوك فقال: (الْأْتَاةُ مِنَ اللَّهِ وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ). (1)

وأيضاً من مداخل الشيطان التي يدخل من خلالها على الإنسان: الشيع من الطعام، ذلك أن الإكثار من الطعام - وإن كان حلالاً - يقوي الشهوات، والشهوات أسلحة الشيطان. يقول - ﷺ - : (مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكَلَاتٌ يُعْمَنُ صُلْبُهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلْتْ لِبَطْنِهِ وَتُلْتْ لَشِرَائِهِ وَتُلْتْ لِنَفْسِهِ). (2)

وأشار الإمام الغزالي إلى أن في كثرة الأكل ست خصال مذمومة:

أولها - أنه يذهب خوف الله من قلبه.

الثاني - أنه يذهب رحمة الخلق من قلبه لأنه يظن أنهم كلهم شباع.

الثالث - أنه يتقل عن الطاعة.

الرابع - أنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له رقة.

الخامس - أنه إذا تكلم بالموعظة لا يقع في قلوب الناس.

السادس - أنه يهيج فيه الأمراض. (3)

هذا كله في حالة الإكثار من الطعام الحلال، أما الحرام فالأمر أشد وأنكى .

1 (أخرجه الترمذي في سننه من حديث سهل ابن سعد باب ما جاء في التآني والعجلة (8 / 28) برقم 2144

2 (أخرجه الترمذي في سننه من حديث مقدم بن معد يكره باب كراهية كثرة الأكل (4 / 590) برقم 2380

3 (إحياء علوم الدين للغزالي (4 / 30)

إلى جانب ما ذكرنا من مداخل الشيطان هناك مدخل آخر وهو: رفقاء السوء فللشيطان مدخل عن طريق رفقة السوء، فرفقاء السوء يزينون المنكرات ويبغضون الطاعات وكم من لبيب أودت به رفقة السوء إلى سفاسف الأمور بدل أن كان يعيش في معاليها، والرسول - ﷺ - يصف الجليس السوء بنافخ الكير الذي إن لم يحرق ثيابك أصابك من رائحته الكريهة.

المبحث الثاني- حيل الشيطان:

هذا العدو لا يأتي بالمواجهة، وهو أشد من العدو الذي يواجهك وتراه، وإنما هذا العدو يستعمل الحيل في حربه، ومن عظيم حيله أن يشغل الإنسان عن نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود: جلس قوم يذكرون الله تعالى فأتاهم الشيطان ليقيمهم عن مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع، فأتى رفقة أخرى يتحدثون بحديث الدنيا فأفسد بينهم فقاموا يقتتلون - وليس إياهم يريد - فقام الذين يذكرون الله تعالى فاشتغلوا بهم يفصلون بينهم، فتفرقوا عن مجلسهم، وذلك مراد الشيطان منهم. (1)

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله مجامع حيل الشيطان التي يوقع بها بني آدم في حبائله، وهي مما ينبغي لكل عبد أن يتفكر فيه ويتنبه له، ومن هذه الحيل:

1- إيقاع المرء في الكفر والنفاق على اختلاف أنواعه، وفيه قرّة عين الشيطان، ولا يقع في حبائل هذه الحيلة إلا كل مخذول مرذول.

2- فإن اعتصم الإنسان بالتوحيد أعمل العدو الحيلة في إلقائه في البدعة على اختلاف أنواعها، ولا يقع فيها إلا من أسلم نفسه للشبهات، ولم يدرك حقيقة قوله:

"أشهد أن محمداً رسول الله"، وأنها تقطع كل الطرق إلى الله إلا طريق نبيه عليه السلام.

3- فإن تمسك الإنسان بالسنة وهجر البدعة، حاول أن يلقيه في الكبائر، وزين له فعلها بكل طريق، ولا يقع في هذه إلا من أسلم نفسه للشهوات، فانساق وراء نزواته.
4- فإن أعجزته هذه الحيلة، وعظم وقار الله في قلب العبد، هون عليه الصغائر، وقال: له إنها تقع مكفرةً باجتناب الكبائر حتى كأنها لم تكن، وهذه التي يقع فيها عامة الموحدين.

5- فإن عجز عن ذلك نقله إلى الفضول من أنواع المباحات والتوسع فيها، كالتوسع في المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك، فينغمس القلب في ملاذ الدنيا وإن كانت من المباحات، ويتباعد عن الآخرة شيئاً فشيئاً، وهذه حيلته مع الأتقياء الصالحين.
6- فإن عجز عن ذلك نقله إلى الطاعات المفضولة الصغيرة الثواب؛ ليشغله بها عن الطاعات الفاضلة الكثيرة الثواب، وهذه حيلته مع العباد، ولا يقع فيها إلا من لم يأخذ من العلم بحظ وافر. (1)

مكائد الشيطان:

أشار الإمام الغزالي في الإحياء إلى ما نصه فقال: "إن هذا العدو لا يقتصر إغواؤه على الحيل بل يستعمل الكيد والمكر وإن من مكائده أن يعرض الشر في معرض الخير، والتميز في ذلك غامض وأكثر العباد به يهلكون، فإن الشيطان لا يقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير، كما يقول للعالم بطريق الوعظ: أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار؟ أما لك رحمة على عباد الله تتقدهم من المعاطب بنصحك

ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة؟ فكيف تكفر نعمة الله وتتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الخلق إلى الصراط المستقيم؟ وهو لا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجره بلطيف الحيل إلى أن يشتغل بوعظ الناس، ثم يدعوه بعد ذلك إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له: إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق. ولا يزال يقرر ذلك عنده وهو في أثناءه يؤكد فيه شوائب الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة الأتباع والعلم والنظر إلى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك، فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصده الجاه والقبول، فيهلك بسبب وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو من الذين قال فيهم رسول الله - ﷺ - إن الله ليؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك روي أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى بن مريم عليه السلام فقال له: " قل لا إله إلا الله. فقال: كلمة حق ولا أقولها بقولك. لأن له أيضاً تحت الخير تلبيسات، وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تنتاهي وبها يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والأغنياء وأصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لأنفسهم الخوض في المعاصي المكشوفة". (1)

هدف الشيطان:

كل ما فعله الشيطان عبر التاريخ، وكل ما يفعله الآن، وكل ما سيظل يفعله حتى الوقت المعلوم هو لهدف واحد، وهو أن يُثبت أنه كان على حق عندما شذ عن بقية الكون، فرفض أن يعترف بآدم كخليفة جديد في هذه الأرض.

كل شرور الشيطان وكيدته وفتته، كي يثبت أن المخلوق من نار هو خير من المخلوق من طين، حتى لو كانت فيه نفخة من روح الله .
كل سعيه لإغوائنا وإضلالنا، والانحراف بنا عن وظيفتنا الأساسية في هذه الحياة، كي يثبت أن بني آدم غير جديرين بالإرادة الحرة. فهل نجح الشيطان وانتصر وحقق ما يريد؟

إن أهم إنجازات الشيطان وأعظم انتصاراته تكون حينما يجعلك لا تحس بوجوده عندما تظن أن عدوك الأزلي غير موجود عندما يجعلك هذا الرجيم تنسى أن تستعيز بالله منه، أو تظن أنه مجرد فكرة رمزية، أو تصور فلسفي لقوى الشر، لذلك فإن الله سبحانه وتعالى دائما يذكرنا مرارا وتكرارا أن الشيطان كائن حقيقي، وأنه عدو مبين لفظ ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ تكرر عدت مرات في القرآن بل قوله تعالى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾⁽¹⁾ بهذا اللفظ وبهذا الأمر الصريح تعدد ورودها في القرآن عدت مرات ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ يعني عدو بين لا شك ولا خلاف ولا لبس في وضوحه مبين بمعنى أن الشيطان ليس كائن خرافيا، وليس أسطورة من أساطير الأولين، وليس معنى مجازيا أو فكرة فلسفية.
إنه كائن حقيقي، وموجود، ومخلوق من نار، مخلوق قديم؛ لأنه من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم.

المبحث الثالث - خطيئة آدم:

خطيئة آدم ليس الأكل من الشجرة، فالأكل من الشجرة ليس الخطيئة الأولى، ولا الخطيئة الكبرى، فإله الحليم الرحيم أرحم من أن يعاتب مخلوقه الذي

خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة أن يعاتبه على الخطيئة الأولى، وهي أكله من الشجرة، لكن الأكل من الشجرة هي القشة التي قصمت ظهر البعير، الأكل من الشجرة هو العلامة الأخيرة، العلامة النهائية الصارخة التي تكشف حدوث خطايا متراكمة أكبر سبقت هذا الفعل إنه العرض وليس المرض.

خطيئة آدم وأبنائه من بعده أنهم لم يتخذوا الشيطان عدواً، لقد رأى آدم العداء الصارخ الذي صرّح به إبليس ، لقد كان الوحيد الذي عصى أمر السجود له.

الله سبحانه وتعالى قد حذر آدم عشرات المرات من الشيطان وبيّن أنه عدوّ مضلّ مبين لكن مع كل هذا أعطى آدم عدوه المبين تأشيرة كي يدخل إلى جنته، بل سمح لنفسه بالتحاور معه والاستماع لفحيحه، وصدّق قَسَمَهُ حين أقسم أنه له من الناصحين. والأخطر من ذلك أنه استدرجه كي يسيء الظن بالله فظن أنه ما نهاه ربه عن هذه الشجرة إلا أن يكون ملكاً، أو يكون من الخالدين.

أخطر الأمراض وأشدّها فتكا هي الأمراض الصامتة، ومن رحمة الله بنا أن الشيطان في حربه المستمرة على قلوبنا ليس له السلطان أو القدرة أن يقوم بدور القاتل الصامت لأننا إن أجدنا استعمال بوصلتنا الداخلية نستطيع أن نرصد وقع خطواته أثناء محاولته التسلل إلى مجالنا الروحي، فالقلوب التي اتصلت بالله تستطيع أن تسمع صوت فحيحه قبل أن يجول في خواطرها.

سلاح الشيطان:

ورد في الصحيح أن رسول الله - ﷺ - قال: (يقول الله: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك)، قال يقول: (أخرج بعث النار قال: وما بعث النار ؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) فذاك حين يشيب الصغير ﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ

عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿١﴾ فاشتد ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله: أينما ذلك الرجل؟ قال: (أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجلا ثم قال والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة). قال فحمدنا الله وكبرنا ثم قال: (والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرقمة في زراع الحمار) (2)

ويقول عليه الصلاة والسلام: "إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم". (3)

يخبرنا النبي - ﷺ - في الحديث أن الشيطان نجح في إغواء هذه المليارات من بني آدم من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين كيف نجح هذا الشيطان في إغواء هذه المليارات من بني آدم؟ ما هو السلاح الخطير الذي استطاع الشيطان أن يحقق به انتصاراته، ويملاً جهنم من بني آدم؟

الشيطان في حربه ضدنا لديه سلاح واحد فقط ، وهو الوسوسة ، وسلاح الوسواس هو سلاح فعال يستطيع الشيطان به أن يغزو صدورنا إنه (الفكرة) لكن السؤال المطروح هل الفكرة مؤثرة وفتاكة إلى درجة أن الشيطان يستطيع بواسطتها أن يغو هذا الكم الهائل من البشر ويكون سببا في إدخالهم النار؟ الجواب: نعم فكما يضخ

1 (سورة الحج الآية 2

2 (أخرجه البخاري في صحيحه باب قوله عز وجل: إن زلزلة الساعة شيء عظيم (5 / 392)

برقم 6165

3 (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان باب في محقرات الذنوب - (5 / 455) حديث رقم 6274

القلب العضوي الدم يضخ القلب النفسي الأفكار ويستوردها، والإنسان لا يستطيع أن يملك نفسه عن التفكير أو استقبال الأفكار؛ لأنه مفطور ومجبول على التفكير، ولا خيار له في ذلك، لكنه يملك أن يضع فلترا على هذه الأفكار يقول الدكتور مصطفى محمود: "الأغبياء يفكرون بالأشياء، والعوام يفكرون بالأشخاص، والعلماء يفكرون بالأفكار". (1)

والنفس يجول فيها نوعين من الأفكار والخواطر:

أفكار وخواطر من إنتاج داخلي مصدرها نفسك وذاتك.

أفكار وخواطر خارجية مصدرها الآخرون سواء من البشر أو غيرهم.

فالخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعاً أنه داع إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة. وإلى ما يعلم أنه داع إلى الخير فلا يشك في كونه إلهاماً، وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو من لمة الشيطان؟ يستعمل الشيطان سلاح الفكرة لإغوائنا؛ لأنه إن استطاع توجيه تيار أفكارنا بالاتجاه الذي يريده هو، وإفساد نوعية خواطرنا فهذا يعني أنه أفسد كيانا كله يقول عليه الصلاة والسلام (...ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب). (2) كيف نميز بين خاطر النفس وال خاطر الشيطاني؟ الإنسان تتوارد عليه خواطر كثيرة يلتبس عليه التمييز بينها، ولكي يستطيع التمييز بينها إذا ورد عليه هذا خاطر فعليه بأمرين الأمر الأول الذكر أن يذكر الله وينظر هل ذهب هذا خاطر، هل هذا خاطر يدفعه الذكر والاستعاذة بالله والاستعانة به؟ بمعنى إذا ذكرت الله واسترسلت في الذكر هل ينصرف هذا خاطر؟ فإذا لم ينصرف وظل ملحا عليك

1 (كتاب فلسفتي في الحياة ص87

2 (أخرجه مسلم في صحيحه باب أخذ الحلال وترك الشبهات برقم 4178 (10 / 409)

فهو خاطر نفسي من النفس وهواها لأن النفس لا يصرفها الذكر لأنها موجودة بداخلك.

الأمر الثاني ينظر هل هذا الخاطر يصر على معصية بعينها ؟ أم أنها يوسوس لك عمل المعصية الفلانية فإذا امتعت وأصررت على عدم فعلها جاءك بمعصية أخرى فتفرض فيأتيك بأخرى وهكذا ، فإن كان الوسواس يصر على ارتكاب معصية بعينها فهو من النفس، فإذا وجدته ينوع بين المعاصي كلما رفضت خاطر معصية يأتيك بخاطر آخر ومعصية أخرى فهو خاطر شيطاني؛ لأن الشيطان لا يهيمه بماذا تهلك، الذي يهيمه هو أن تهلك بينما لو وجدت هذا الخاطر يصر ويلج على معصية بعينها فهو في الغالب من هوى النفس لأنها هي التي تهوى ، وما دامت تهوى تتقوى عندها الإرادة والإصرار. (1)

براعته من أتباعه

﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَّ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْلَا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِيَّايَ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (2)

(لما قضى الأمر) أي أحكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قام خطيباً في محفل الأشقياء من الثقلين إن الله وعدكم وعد الحق أي وعدا من حقه أن ينجز فأنجزه أو وعدا أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم أي

1 (منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين للإمام الغزالي ص 112

2 (سورة إبراهيم الآية 22

وعد الباطل وهوان لا بعث ولا جزاء ولئن كان فالأصنام شفاعوكم . هذه هي نهاية العلاقة بين الشيطان وبين الإنسان التي أضلها من أولها إلى آخرها إلا من نجى الله تعالى من حباله من عباده المخلصين، ويقال: إنه يقف خطيباً فيهم بهذا الكلام ويتبرأ منهم ويتبرؤن منه فيستغيثون به فلا ينجدهم وهو لا يجد صريخاً منهم.⁽¹⁾

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾⁽²⁾.

المبحث الرابع - كيفية النجاة منه:

كيف أتعامل مع حيل الشيطان والوسواس الذي يأتي منه؟ أشار بعض العلماء إلى أن الشيطان إذا انشغلت به فإنك لا تخرج من وسوسته، ولا تتجوا من حيله، بل على العكس تجعله يولع بك أكثر، وقد شبهوه بأنه مثل الكلب إذا أخذت تشاغله يزداد رغبة في أن يهاجمك، كلما اشتغلت بمهاجمته ودفعه يرجع إليك، ويكون أشرس في كل مرة، لكن إذا أردت أن تكفى شر كلب تعرض لك استعن بالله تعالى وهو يكفيك شر الشيطان.⁽³⁾

كيف ننجوا من هذا العدو؟ إن الذي اختبرنا بوجوده وجعله محلاً للبلاء أعطانا العلاج والدواء سبحانه وتعالى، أولاً أدخل إلى قلوبنا الاطمئنان فأخبرنا أنه مع شراسة هذا العدو وتمكنه منا ذكر لنا أن أول صفات كيد الضعف فقال تعالى:

1 (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود - (5 / 42)

2 (سورة الحشر الآية 16

3 (رسالة المسترشدين للمحاسبى - (1 / 16)

﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ (1) هو كيد واسع ومتنوع لكنه مع ذلك ضعيف.

الأمر الثاني جعل الالتجاء إليه سبحانه وتعالى نجاة ونصرا يعني تستعيز بالله تعالى منه فيعيدك الله منه ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ (2) أن تكثر من ذكر الله سبحانه وتعالى: قال رسول الله - ﷺ -: (الشَّيْطَانُ جَائِمٌ عَلَى قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ حَنَسَ وَإِذَا غَفَلَ وَسْوَسَ). (3) وفي رواية (الشيطان يلتقم قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس عنده، وإذا نسي الله التقم قلبه). (4)

الأسباب التي يعتصم بها العبد من الشيطان:

1) المداومة على ذكر الله

يقول الله - سبحانه وتعالى - : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (5) والشيطان يعيش بمعزل عن الذي يذكر الله تعالى، ذلك لأن الذكر يحوط الإنسان ويحفظه، ومثله - كما جاء في الحديث -: (كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره فأتى حصنا حصينا فأحرز نفسه فيه، وإن العبد أحسن ما يكون من الشيطان إذا كان في ذكر الله تعالى) (6)

1 (سورة النساء الآية 86

2 (سورة المؤمنون الآية 97

3 (أخرجه ابن الإثير في جامع الأصول من حديث ابن عباس (2 / 899) برقم 899

4 (ذكره السيوطي في الجامع الصغير من حديث البشير النذير - (2 / 29) برقم 4972

5 (سورة الرعد الآية: 28.

6 (أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده - (4 / 130) برقم 17209

وفي اللحظة التي يتخلى الإنسان فيها عن الذكر يسלט الله عليه الشيطان ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ فَقِصُّ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (1) وإذا تسلط الشيطان على الإنسان أنساه ذكر الله: ﴿ أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (2)

وذكر الله ينبغي للمرء أن يلازمه في كل حال من أحواله قائماً وقاعداً، وعلى جنبه، وفي الشارع، وفي منزله، وأثناء العمل.

(2) المحافظة على الاستغفار:

وهذه نعمة كبرى تستطيع عن طريقها تقويت الفرصة على الشيطان يقول - ﷺ - :
(إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي لا أزال أعفر لهم ما استغفروني)⁽³⁾
فأي شيء يكلفك الاستغفار سوى أن تقول: (أستغفر الله) وتحضر قلبك لما تقول، والله يقول: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (4)

(3) التعوذ بالله من الشيطان:

يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا يَتَزَعَّنَاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعٌ فَأَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (1)

1 (سورة الزخرف الآية : 36.

2 (سورة المجادلة الآية : 19.

3 (أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (17 / 337) برقم 11237

4 (سورة النساء الآية: 110.

واسمع إلى هذه القصة وهدى الرسول - ﷺ - فيها: عن سليمان بن سرد - رضي الله عنه - قال: كنت جالساً مع النبي - ﷺ - ورجلان يستبان فإحدهما قد احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي - ﷺ - : (إني لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان، ذهب عنه ما يجد)⁽²⁾. ومما يفيد في حال الغضب تغيير الحالة التي عليها الإنسان، فإن كان قائماً فليجلس فإن ذهب وإلا فليضطجع، وإن كان يتكلم فليسكت.

(4) قراءة القرآن

يقول الله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَكَّلُونَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهٖ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ (3)

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. بعد هذا العرض لمكائد الشيطان وحيله يتضح لنا أن الشيطان قد غلبت عليه شقوته، وأعماه حسده لأبناء آدم وعداوته لهم وقد ذهل عن هذا، في سبيل الانتقام لنفسه، وما يحمل للإنسان من عداوة وحسد، لما كان من تكريم الله لآدم، وأمر الملائكة بالسجود له، واستعلاء إبليس واستكباره عن أن يكون من الساجدين، فلعنه الله وطرده من عالم الملائكة فخرج بهذه اللعنة، وهو على عزيمة بأن ينتقم من آدم

1 (سورة الأعراف الآية : 200).

2 (أخرجه البخاري في صحيحه باب صفة إبليس وجنوده (3 / 1195) برقم 3108

3 (سورة النحل الآية: 98-100

ومن ذريته، ولو كان في ذلك هلاكه!! كما يتبين لنا أن الشيطان ليس بين يديه قوة قاهرة، ملك بها أمر هؤلاء الذين أضلهم وأوقعهم في شباكه، إنه أشبه بالصادق الذي ينصب شباكه للطير، ويضع فيها الحب فتسقط عليها، وتعلق بها، وتصبح صيدا في يده! لقد دعاهم الشيطان إليه، وزين لهم الضلال وأغراهم به، فاستجابوا له، دون أن يستخدموا عقولهم التي وهبها الله لهم، ودون أن يستمعوا لكلمات الله على لسان رسله، يحذرونهم هذا العدو المتربص بهم، ويدعونهم إلى الفرار من وجهه، إلى حيث النجاة والسلامة، في حمى الله رب العالمين. فإذا كان هناك من يستحق اللوم فهو هم، لا الشيطان.

إن الشيطان يعمل لنفسه، ويؤدى رسالته فيهم، أما هم فقد غفلوا عن أنفسهم، وباعوها لهذا العدو الذي وسوس في الصدور، وأغرى بالعصيان، وزين الكفر، وصددهم عن استماع الدعوة. نسأل الله أن يعيذنا منه ومن وسوسته ويكفيننا شره ومكره إنه على كل شيء قدير.

التوصيات

- 1- دوام الصلة بالله والاجتهاد في العبادة.
 - 2- الإكثار من ذكر الله.
 - 3- دوام الطهارة فالوضوء سلاح المؤمن.
 - 4- المداومة على قراءة القرآن واتخاذ وردا بذلك فهو الدافع لشر الشيطان.
 - 5- الإكثار من الاستعاذة بالله فهي الحصن الحصين والملجأ الأمين.
- هذه بعض الوسائل التي تيسر جمعها، ولا شك أن هناك الكثير غيرها، وأخيراً فاحرص أن يكون لك -يا أخي المسلم- نصيب من هذه الإرشادات التي قصد منها أن تكون علامات تهتدي بها في ظلمة الطريق.. وأن تكون إشارات تبصرك على

مقاومة هذا العدو اللعين، فعليك أن تسجل منها ما تحتاج إلى استنكاره، وإنه لمن علامة الخير أن تلتزم بتلك التوجيهات أو على الأقل ببعضها، وأن تقدمها إلى غيرك ليستفيد منها، هذا إن كنت ممن يشكو عداوة الشيطان و يبحث عن العلاج، أما إن كنت لم تشعر بعداوته لك، فلعل هذه الكلمات أن توقظك من رقدتك وتهديك إلى طريق ربك.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم رواية حفص عن عاصم

- 1- إحياء علوم الدين تأليف: محمد بن محمد الغزالي أبو حامد الناشر: دار الفكر العربي.
- 2- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم تأليف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود الطبعة/ بلا: دار إحياء التراث العربي - بيروت
- 3- إعلام الموقعين عن رب العالمين تأليف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية 751هـ دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة 1388هـ/1968م
- 4- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي دار الفكر - بيروت
- 5- بحر العلوم . تأليف : أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي تحقيق: د.محمود مطرجي دار النشر : دار الفكر - بيروت
- 6- البحر المحيط . تأليف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض دار النشر : الطبعة : الأولى- 1422 هـ - 2001 م دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت
- 7- التحرير والتنوير . تأليف : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - 1997 م
- 8- البحر المديد . تأليف : أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس دار النشر / الطبعة الثانية / 2002 م . 1423 هـ/ دار الكتب العلمية . بيروت

- 9- تاج العروس من جواهر القاموس تأليف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية.
- 10- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي الطبعة الأولى ، 1410 دار الكتب العلمية - بيروت
- 11- تلبيس إبليس تأليف : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي الطبعة الثانية 1422هـ - 2001 المكتب الثقافي / الأزهر
- 12- جامع الأصول في أحاديث الرسول تأليف : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى : 606هـ) تحقيق : عبد القادر الأرنبوط الطبعة : الأولى 1389 هـ ، 1969 م دار البيان
- 13- رسالة المسترشدين لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البصري / تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية دار النشر حلب - سوريا سنة النشر 1391 - 1971م
- 14- سنن الترمذي تأليف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون . دار إحياء التراث العربي - بيروت
- 15- شعب الإيمان تأليف : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول
- 16- صحيح البخاري تأليف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق : د. مصطفى ديب البغا الطبعة الثالثة ، 1407 - 1987 دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت

- 17- صحيح مسلم تأليف : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة :
1421هـ - 2000م دار الكتب العلمية /بيروت
- 18- لسان العرب تأليف : محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري الناشر :
دار صادر - بيروت
- 19 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي الطبعة:
الأولى- 1406 هـ - 1986 م دار الفكر.
- 20 - مسند الإمام أحمد بن حنبل تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون الطبعة: الثانية
1420هـ، 1999م مؤسسة الرسالة بيروت
- 21- منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين تأليف محمد بن محمد بن محمد
الغزالي تحقيق محمود مصطفى جلاوي مؤسسة الرسالة.
- 22-الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير تأليف : جلال الدين عبد
الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق : يوسف النبهاني الطبعة : الأولى -
1423هـ - 2003م دار الفكر/بيروت
- 23- فلسفتي في الحياة تأليف د. مصطفى محمود الطبعة: السابعة دار المعارف
1972م
- 24 - المصنف عبد الرزاق تأليف : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق
: حبيب الرحمن الأعظمي الطبعة الثانية ، 1403 المکتب الإسلامي - بيروت.

السياق والمقام والموقف ومقتضى الحال تعدد المصطلحات وتداخل المفاهيم

د. ميلود مصطفى عاشور*

الملخص:

مع أن اللسانيات بفروعها ليست وليدة العصر إذ لا يخفى ما لها من جذور تراثية تتجلى أمام المتأمل في تراثنا العربي، ومع هذا فإن تحديد المفاهيم النظرية والإجراءات المنهجية هي من سمات الدراسات اللسانية الحديثة. حيث شهدت في العصر الحديث ازدهاراً ملحوظاً أسهم بشكل كبير في تطور الدراسات اللغوية والممارسات النقدية وبالأخص فيما يتعلق بالمفاهيم والمصطلحات. من هنا استوجب تحديد بعض المفاهيم بما يلائم أصولها التراثية؛ إذ لا إشكال فيما استحدث من مصطلحات وما يقابلها من مفاهيم حديثة، كالتناص والعتبات النصية مثلاً، لكن الإشكال يقع في بعض المصطلحات الأدبية والنقدية القديمة قدم الأدب والنقد العربيين مثل مصطلحات: السياق، والمقام، والموقف، ومقتضى الحال، ومما يؤكد أهمية هذا الأمر أننا نجد بعض الباحثين يستعملون هذه المصطلحات استعمالاً عاماً دون أدنى تدقيق، ومنهم من يستعملها على سبيل المرادفات.

الكلمات المفتاحية: السياق، المقام، الموقف، مقتضى الحال.

Abstract:

Although linguistics with its branches is not entirely new, it has ancient roots in Arabic literature, but the theoretical aspect and

methodological procedures are related to modern linguistic studies. Where there is the development of studies of linguistic phenomena and monetary practices, especially concerning concepts and terminology. From here we want to define some ideas by their heritage. And there is no problem in modern terms, such as the context and text thresholds, for example, however, in some ancient literary and monetary terms. but there are problems with context, position, and situation, and appropriate there is no precise definition of their conceptual framework that illustrates the characteristics of each concept. There is also confusion about the use these by researchers.

Keywords: context, situation, appropriately

المقدمة :

تكمن أهمية الوعي بمفاهيم (السياق والمقام والموقف ومقتضى الحال) في أنها أبرز المكونات التي يستند إليها المحلل والناقد أثناء دراسته للنص الأدبي؛ وتزداد أهمية الوعي بمفاهيم هذه المصطلحات عند دراستنا للنص من الوجهة التداولية؛ لأن الدراسة التداولية تُعنى بجميع مكونات إنتاج النص؛ حيث إنها تسعى إلى الكشف عن مقومات تأويل المعنى التواصلي؛ ولذلك فإن الدراسات التداولية تتجاوز حدود التحليل الأسلوبي، وتتجاوز مستوى الدراسة البنوية للنص إلى مستويات جديدة، تكشف أبعاد مقصدية النص بالنظر إلى نظام التواصل، وسياق الاستعمال، ليكون الاهتمام فيها بدراسة المعنى الذي يرمي إليه صاحب النص من خلال التركيز على

"أفعال الكلام، واستكشاف العلامات المنطقية الحجاجية، والاهتمام بالسياق التواصلي والتنفذي"⁽¹⁾

ومن هنا فإن النص بكل مقوماته اللغوية، بما تحمله من قواعد التركيب، وسنن التعبير التي تمثل عُرْفاً لغوياً بين المخاطب والمخاطب، وكذلك صاحب النص، والحال الداعية لإنشاء النص، ونوع الجنس الأدبي، والبيئة الزمانية والمكانية، وأحوال المتلقين، وكل الظروف والملابسات والمعتقدات الدينية والعادات الاجتماعية والثقافة التي تشكل الإطار العام للمعرفة المشتركة بين صاحب النص وجمهور المتلقين، كل ذلك يدخل في مجال الدرس التداولي؛ ومعنى ذلك أن دراسة نص ما تداولياً هي في حقيقتها دراسة للحدث اللغوي قيد الاستعمال، الأمر الذي يحتم ضرورة وعينا بالأنماط والهيئات التي جاء عليها النص (في بنيته اللسانية وسياقه اللغوي) إضافةً إلى وعينا بالأحوال والظروف غير اللسانية التي أحاطت بالنص أي في مقامه الخارج عن تلك الهيئة النصية التي جاء عليها.

إن كل ذلك يستدعي وقوف المحلل والناقد -ابتداءً- على مصطلحات: "السياق والمقام والموقف ومقتضى الحال والإلمام بمفاهيمها، وإدراك الفرق بينها، تقادياً للخلط فيما بينها، أو إغفال بعضها، على مثل ما نرصده في عدد من الدراسات والأبحاث التي سنعرض لبعضها في هذا البحث، على سبيل التمثيل والاستشهاد، في محاولة منا لإضاءة حدود المفاهيم التي تعبر عنها هذه المصطلحات.

إذ -الملاحظ - أنه على الرغم من أن هذه المصطلحات قديمة قدم النقد الأدبي - مع ذلك - لا نكاد نقف على تعريف دقيق يفي بخصائص كل مفهوم منها ويحدد

(1) جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، الطبعة الأولى، دار الألوكة. 2015، ص: 4

ما يميزه عن غيره، مما أسهم في الاتساع في استعمالها استعمالاً عاماً، بل إننا نلاحظ أن بعض الباحثين قد استعمالها على سبيل الترادف دون أن يولي اهتماماً بالفرق بين هذه المصطلحات.

مشكلة البحث

إن المنتبِع لأصل استعمال هذه المصطلحات (السياق، والمقام، والموقف، ومقتضى الحال) في كتب البلاغة يدرك أنها مفاهيمها متغايرة ولا يمكن إطلاقها على سبيل الترادف، وفي حين نلاحظ غياباً واضحاً لمصطلح السياق عند البلاغيين، مقارنةً بحظوظ مصطلحات: المقام ومقتضى الحال، والموقف التي كانت حاضرة بقوة في الدرس البلاغي. فإننا في الوقت ذاته نلاحظ أن مصطلح السياق قد طغى استعماله عند الباحثين في العصر الحديث، حتى اتسعت دلالاته عند بعض هؤلاء الباحثين لتشمل: المقام، والموقف، والحال، ومقتضى الحال؛ مما أدى إلى خلط مفاهيمي لعل سببه الاعتماد على تقسيم شائع للسياق بالنظر إلى ما هو داخل النص، وما هو خارجه.

ومن هنا بدأت سطوة مصطلح السياق، حتى شاع في عديد الدراسات والبحوث، ومن تم أدى ذلك - لاحقاً - إلى الاكتفاء بالحديث عن السياق باعتباره مؤثراً في دلالة النص، فصار المقصود بالسياق عند بعض الباحثين يشمل سياق المفردات اللغوية كما يشمل - أيضاً - المقام الخارجي (غير اللغوي) الذي ولد فيه النص على حدٍ سواء. فأسهم كل ذلك في غياب واضح لاستعمال مصطلح المقام ومكوناته، وعوّضَ عنه بمصطلح مركب هو (السياق الخارجي).

الدراسات السابقة

أشارت بعض الدراسات والأبحاث إلى فوضى استعمال مصطلحات: السياق والمقام والموقف لعل من أهمها:

دراسة الدكتور محمد إسماعيل وفاطمة بلة⁽¹⁾ بعنوان: ملامح نظرية السياق في درس اللغوي الحديث، حيث خلاصا فيها إلى أنه رغم تأثر علماء العرب المحدثين بالنظرية السياقية لـ (فيرث Firth) إلا أنهم يقرون في كتبهم بأصالة مفاهيمها عند علمائنا القدامى، وكذلك فإن مالىنوفسكي لم يكن يعلم وهو يصوغ مصطلحه الشهير (situation of Context) بأنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها، وإن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتبهم تحت اصطلاح (المقام)، ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالىنوفسكي من تلك الدعاية، بسبب انتشار نفوذ العالم الغربي في كل الاتجاهات.

مقال الدكتور ثائر العذاري⁽²⁾ بعنوان: المقام والسياق في التداولية "قوضى المصطلحات" خلص فيه إلى أن مفهوم (Context) من المفاهيم المركزية في درس التداولي، وأن الترجمة الصحيحة لكل من (السياق، والمقام) مع تأكيده على أن مصطلح (المقام) ينتمي إلى المنظومة الاصطلاحية الخاصة بالبلاغة العربية التقليدية، ولا ينبغي استعماله إلا داخل هذه المنظومة، حسب رأيه.

أولاً: مفهوم السياق

(1) مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد الثامن عشر، صيف 2014، الصفحات: 1 إلى 18

(2) مقال إلكتروني، صحيفة الصباح الجديد، آراء وأفكار، أعمدة الكتاب، تاريخ النشر: 15 يوليو

2017، <http://newsabah.com/newspaper/127890>

السياق في اللغة: إذا تتبعنا دلالة الجذر (س. و. ق) في معاجم اللغة نلاحظ أن دلالاته أقرب ما تكون حسية تعبر عن حدث مادي له بداية ونهاية، يصف نمطاً، أو تتابعاً، أو انتظاماً من نوع ما. وأقدم نص عربي -شعري- وردت فيه كلمة "سياق" بحسب ما ورد في معجم الدوحة التاريخي للغة العربية⁽¹⁾، هي في قول الشاعر صخر الغي الخيثمي، من شعراء بني هذيل حيث قال يصف سحباً ذات برقٍ ورعدٍ: وأقبلَ مرّاً إلى مجدلٍ سِياقَ المُقَيِّدِ يَمْشِي رَسِيْفًا

فدلالة كلمة سياق في البيت تصف تتابع الغيث وما اشتمل عليه من رعد وبرق ومطرٍ منهمرٍ حيث تتابع انهمازه على مواضع متجاورة. وبقوله "سياق المقيد" أضاف صفة القيد للسياق فدل على تقارب الخطوات وتمائلها وتتابعها بانتظام معين يمكن معه تقدير سرعة التنقل ونمط الحركة، ويفسر ذلك كلمة الرسيّف، لأنها تدل على "تقييد الدابة لكي تتقارب خطواتها وتبطنّ سرعتها"⁽²⁾، أي أن نمط حركة السحب وتتابعها يشبه مشي الرسيّف المكبل بالقيود فأوحي الشاعر بأنه قد عرف وقدر المواضع التي يتجه إليها الغيث.

وكأنه يرمي إلى القول بأن هذه السحب جاءت لتتهمر على مواضع بعينها لا يمكن أن تخطئها، موضعاً تلو موضعٍ، برقاً، ورعداً، وغيثاً غزيراً، وعلى وتيرة واحدة، في كل تلك الأنحاء. وهذا ما تدل عليه باقي القصيدة التي أتى فيها الشاعر على

(1) الموقع الإلكتروني لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية،

<https://www.dohadictionary.org>

(2) محمد الشنقيطي، ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1965:

ذكر عدة مواضع لديار الهذليين في ذلك العصر منها: وادي العمق، والمر، ومجدل والمنيف وغيقة، ويلملم، وجبل سيطاع، وجبل عمر.

ثم توالى النصوص التي ورد فيها استعمال لفظ "سياق" لتدور حول معنى التتابع والانتظام، "وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت"⁽¹⁾ في المسير، وسوق الغنم حضاً وتوجيهها إلى اتجاهٍ معينٍ، وتساوق الرجلان إذا تتابعا، و"سياق المرأة" مهرها، لأنه يساق إليها، "وفلانٌ في السياق" أي على فراش الموت، بمعنى أن روحه تكاد تساق إلى بارئها.

كما جاء في أساس البلاغة قولهم: "فلان يسوق الحديث أحسن سياق"، و"إليك يساق الحديث"⁽²⁾، ومن هنا فإن أغلب دلالات الجذر (س و ق) تؤول إلى التتابع، والسوق إلى غاية أو نهاية. وهذه الدلالة إذا أسقطناها على نمط التتابع بين مفردات النص وجمله، تعني أن النص مقيد بأسلوب كاتبه، الذي يسوق مفردات النص وتراكيبه، إلى تأدية معنىٍ محددٍ.

أما اصطلاحاً: فإن المفهوم الذي ارتبط باستعمال مصطلح السياق متضمن للمعنى الوضعي - إلى حد كبير - دلالة القيد، والربط، والسوق نحو جهة ما؛ إذ نلاحظ أن أغلب المفاهيم التي يدل عليها هذا المصطلح، تشير إلى أن المقصود به: الإطار العام للنص، والنمط التتابعي للمفردات والتراكيب داخل النص، بحيث يشكل هذا النمط مساراً يسير فيه النص نحو هدفٍ محددٍ، أو يقود إلى معنى معينٍ. لذلك "

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ: 10/166

(2) أبو القاسم محمود الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1998: 1/484

فالمقصود بالسياق: التوالي، ... توالى العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك" (1)

أي 'نه ذلك الإطار العام الذي تنتظم فيه عناصر النصّ ووحداته اللغوية بكل مكوناتها.

ويعد الجرجاني -رحمه الله- من النقاد السابقين لاستعمال مصطلح السياق للدلالة على كل ما يتعلق برصف جمل النص، وطريقة نسج التراكيب، حيث ورد مصطلح السياق في معرض حديثه عن نظم القرآن الذي أعجز الفصحاء عندما قال: "فقيل لنا: قد سمعنا ما قلتم، فخبرونا عنهم، عماذا عجزوا؟ أعن معان ...؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه؟ فإن قلتم: عن الألفاظ. فماذا أعجزهم من اللفظ؟ أم ما بهرهم منه؟ فقلنا: أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها" (2) فقله: "وخصائص صادفوها في سياق لفظه" يفي بأن يكشف عن مفهوم السياق عنده. إذ إن إضافة السياق للفظ تدل على وعي الجرجاني بأن السياق يكون لما هو لغوي أساساً.

وقد عبر الجرجاني عن هذا المفهوم في أكثر من موضع في مثل قوله: "وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟" (3) أي أن درجة فصاحة اللفظ ناتجة عن مدى ملاءمتها للسياق الذي يتشكل مع جاراتها ليكون معنىً مخصوصاً.

(1) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط5، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2006: 375

(2) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاکر، ط3،

مطبعة المدني بالقاهرة، 1992: 39/1

(3) نفسه: 44 / 1

ومن المصطلحات التي استعملها الجرجاني للدلالة على مفهوم السياق: التركيب، والتأليف، والنسق، والضم، والرصف، والتعالق، والتعليق⁽¹⁾.

ثانياً: المقال والمقام

استناداً إلى ما شاع في أوساط البلاغيين والنقاد وأئمة النحو من قولهم: " لكل مقام مقال"⁽²⁾ فالظاهر أن المقصود بالمقال بنية النص ومكوناته اللغوية، وأن المقصود بالمقام كل ما هو خارج النص من مكونات غير لغوية، وإذا سلمنا بصحة هذا فإننا نخرج من إشكال تعدد المصطلحات التي يُعبر بها على ما هو خارج بنية النص اللغوية، فعلاوة على اعتمادنا مصطلحاً أصيلاً، ذي جذورٍ تراثيةٍ، فإننا نخرج من لبس وخطب نشأ باستعمال عدد من الباحثين للعديد من المصطلحات، منها ما هو جزء من المقام للدلالة على المقام، كاستعمالهم لمصطلح الموقف، أو مصطلح مقتضى الحال، ومنها ما استعمل مرادفاً للمقام بكل مكوناته مثل: الحال الحاضرة، ومسرح الحدث، وواقع الحال⁽³⁾.

قال ابن الأثير واصفاً ما يكون خارج النص: "وجملة الأمر في ذلك أن الشاعر أو الكاتب ينظر إلى الحال الحاضرة، ثم يستنبط لها ما يناسبها من المعاني"⁽⁴⁾. فعبر ابن الأثير بالحال الحاضرة وجعلها مرادفاً لمقتضيات الحال الداعية للتكلم.

(1) ينظر: محمد الرفاعي، الدرس السياقي في نظرية النظم، مجلة كلية كيركالي للعلوم الإسلامية المجلد 2، العدد 4 سنة 2017 ص: 27: 40

(2) الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط5، مكتبة الخانجي، مصر. 1424هـ: 3/

(3) ينظر: كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1994: 100

(4) أبو الفتح نصر الله بابن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد

محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1420 هـ، 1/ 307

إن المتتبع لأصل استعمال هذين المصطلحين (السياق والمقام) في كتب البلاغة يدرك أنهما متغايران، ولا يمكن إطلاقهما على سبيل الترادف. لكن، لعل محل الإشكال الذي سبب الخاط، وأوقع بعض الباحثين في الغلط، كان مرده إلى عدم شيوع مصطلح (السياق) في تراثنا البلاغي، علاوة على الغياب التام للتعريف الشافي الذي يحدد مفهوم السياق في كتب التراث، على عكس ما نلاحظه من كثرة استعمال البلاغيين لمصطلح (المقام) الذي غالباً ما أطلق للحال الداعية للتكلم، ومدى موافقة القول لمقامات المتباينة وأحوال السامعين المختلفة.

وبالرجوع إلى صحيفة بشر بن المعتمر باعتبارها من أقدم الآثار المكتوبة التي تضمنت أهم معايير بلاغة الخطاب، وأسس أدائه، وطرائق فهمه، نجد أن بشر بن المعتمر قال: " وما يجب لكل مقامٍ من المقال " (1) فذكر فيها مصطلح المقام، وأراد به المفهوم المتعارف عليه بين الباحثين إلى يومنا هذا، أما مصطلح السياق فلم يرد على في هذه الصحيفة، غير أن المراد بقوله: (المقال) هو السياق والهيئة التي يكون عليها نسج النص، وأسلوب بناء عباراته، بحيث يصيب الخطيب هدفه، لأن بشر أوصى الشاعر والكاتب بتجنب التعقيد والتكلف في صياغة النص، وأن يحترز كل منهما بأن يكون اللفظ رشيماً عذباً، أو فخماً سهلاً، " ويكون معنك ظاهراً مكشوفاً، وقريباً معروفاً، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، ... وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال " (2)، فالصحة والصواب تكون بموافقة قوانين اللغة وأنماط التعبير، وأساليب

(1) أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، 1424هـ، دار الكتب العلمية،

بيروت، 128/1

(2) نفسه

التركيب والتصوير، أما موافقة الحال فتكون وفق ما يناسب المقام الذي نشأ فيه، والغرض المأمول منه، تبعاً لأحوال التلقي، وكذلك فمستويات جمهور السامعين أو القراء، قصدها ابن المعتمر وأشار إلى ضرورة مراعاتها من خلال تفريق الشاعر والكاتب بين ما يناسب جمهور العامة من المتلقين، وما يليق بمستويات الخاصة من أساليب فخمة، وتعبير جزلة، ومعاني نبيلة تناسب مقاماتهم السامية.

ثالثاً: مصطلحا السياق والمقام، ومصطلح Context

في حين نلاحظ غياباً واضحاً لمصطلح السياق عند البلاغيين، مقارنةً بحظوظ مصطلح المقام الذي كان حاضراً بقوة في الدرس البلاغي. فإننا في الوقت ذاته نلاحظ أن مصطلح السياق قد طغى استعماله عند الباحثين في العصر الحديث، حتى اتسعت دلالاته لتشمل: المقام، والموقف، والحال، ومقتضى الحال؛ مما أدى إلى خلط مفاهيمي سببه الاعتماد على تقسيم شائع للسياق بالنظر إلى ما هو داخل النص وما هو خارجه، ومن هنا بدأت سطوة مصطلح السياق حيث شاع في عديد الدراسات والبحوث ومن تم أدى لاحقاً إلى الاكتفاء بالحديث عن السياق باعتباره مؤثراً في دلالة النص، مع أن المقصود بالسياق عند هؤلاء يشمل سياق المفردات اللغوية، ويشمل أيضاً المقام الخارجي (غير اللغوي) الذي ولد فيه النص على حدٍ سواء. فأسهم ذلك في غياب واضح لاستعمال مصطلح المقام، وعوض عنه بمصطلح مركب هو (السياق الخارجي).

وبحسب تمام حسان "فقد جرى الاصطلاح (السياق / Context) على أقلام الكثيرين من الكتاب في دراسة المعنى بمعان مختلفة، باختلاف فرع المعرفة، الذي يستخدم

فيه الاصطلاح، وأحياناً باختلاف الكتاب في نفس الفرع، حتى لقد لحقه بعض الغموض⁽¹⁾.

ولعل هذا الغموض كان منشأ استعمال كثير من الباحثين حديثاً للمصطلح استعمالاً عاماً، دون مراعاة للفرق الذي بينه وبين مصطلحات: المقام، والموقف، ومقتضى الحال... بل إننا نلاحظ أن كثيراً من الباحثين يستعمل هذه المصطلحات على سبيل الإضافة نحو قولهم: سياق المقام، وسياق الموقف، وسياق الحال، أو حتى على سبيل التسوية والترادف - عند بعضهم - دون مسوغ؛ بل إن من الباحثين من نجده يسوّى بين مصطلحي (السياق والمقام) ويستعملهما على سبيل التخيير "السياق أو المقام"⁽²⁾، في إشارة إلى أنه يعاملهما كأنهما شيء واحد.

ومن الباحثين من جعل القرينة والموقف والمقام بمعنى واحد⁽³⁾. وأيضاً ذهب بعض الباحثين إلى أن مفاهيم السياق والمقام في الدرس التداولي مترادفان، وأنهما الترجمة الصحيحة للمصطلح الغربي (Context)⁽⁴⁾.

ويشير تمام حسان إلى أن فيرث (Firth) صاحب النظرية السياقية هو من أوائل من استعمل مصطلح السياق Context استعمالاً عاماً لكل مكونات عملية التواصل، حيث قال تمام حسان: "يستعمل فيرث هذا الاصطلاح، باعتباره دالاً على عناصر موقف كلامي كامل، كالمتكلم، والسامع، أو السامعين، والكلام، وكل

(1) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1990: 261

(2) ينظر: أحمد موهوب، المقام أو السياق بين المفهوم العربي والغربي، مجلة الآداب والعلوم

الإنسانية، مجلد 11، عدد 22، 2017، صفحات 107: 130

(3) ينظر: كريم زكي، التحليل الدلالي: إجراءاته ومناهجه، ط1، دار غريب، مصر، 2000: 45

(4) ثائر العذاري، مقال إلكتروني، صحيفة الصباح الجديد، آراء وأفكار، أعمدة الكتاب، تاريخ

النشر: 15 يوليو 2017، <http://newsabah.com/newspaper/127890>

ما يحدث في أثناء الكلام من انفعالات، واستجابات، ومسالك، وكل ما يتصل بالموقف ويؤثر فيه، من قريب أو بعيد⁽¹⁾.

وكذلك نجد كمال بشر عندما ترجم كتاب ستيفن أولمان (Stephen Ullmann) المسمى دور الكلمة في اللغة، نقل لنا مفهوم السياق عند أولمان فقال: "كلمة السياق Context قد استعملت حديثاً في عدة معانٍ مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا الحقيقية هو معناها التقليدي؛ أي النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم. بأوسع معاني هذه العبارة، إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلها، والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من الوجوه كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن"⁽²⁾ فبعد أن وصف أولمان السياق بأنه يُعنى بكل ما يتعلق بنظم الألفاظ ومواقعها في الجملة وكامل النص، أشار إلى أنه يتعلق أيضاً بالعناصر غير اللغوية المتصلة بالنص، وبذلك يكون مفهوم السياق عند أولمان شاملاً لما هو داخل النص وما هو خارجه، على حد سواء.

لقد أشار العديد من الباحثين المعاصرين إلى ضرورة التفريق بين السياق والمقام، وأكدوا على أن السياق ينحصر "في العلاقات بين الوحدات اللسانية داخل التركيب

(1) تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1990: 262

(2) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر مكتبة الشباب، ط1، 1975م، ص:

سياق كلمة أو وحدة صوتية مثلاً⁽¹⁾ بينما يتسع المقام ليشمل جميع الشروط الخارجية المحيطة بعملية إنتاج الخطاب، وبالأخص مراعاة أقدار السامعين وما تقتضيه أحوالهم،⁽²⁾. وأن السياق هو مجرى الكلام وتسلسله، واتصال بعضه ببعض.

وأما المقام فهو الحالة التي يقال فيها الكلام، وذلك كأن يكون المقام مقام حزنٍ وبكاءٍ، أو مقام فرحٍ وسرورٍ، ومقام التهويل، ومقام التوبيخ ...⁽³⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن تمام حسان من أبرز الباحث الذين أشاروا إلى ضرورة التفريق بين مصطلحي السياق والمقام من خلال كتابه اللغة العربية معناها ومبناها، حيث اعتنى بدراسة التراكيب والصيغ وساق الشواهد والأمثلة التي بين فيها أنظمة اللغة التي تؤثر على تشكل المعنى المستنبط من سياق النص اللغوي، وكذلك المكونات التي يتشكل على إثرها المعنى بالنظر إلى المقام الذي يوطر للدلالة الاجتماعية للنص. لأن المعاني التي في هذه الأنظمة الثلاثة الصوتي، والصرفي، والنحوي، هي في حقيقتها وظائف تؤديها المباني، فالوقف وظيفه السكون، والفاعلية وظيفه الاسم المرفوع، والمطاوعة وظيفه الانفعال.

أما المعنى المقامي: فهو معنى منبثق من الدلالة الاجتماعية، التي لا تظهر بالاختصار على تحليل لغة المقال، ولا بمعنى كلماته المفردة، وإنما تظهر من خلال

(1) محمد العمري، المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي، مجلة دراسات سيميائية

أدبية لسانية، العدد: 5، 1991، الصفحات: 8

(2) نفسه

(3) ينظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1،

2000: 63 وما بعدها.

فهم النص وفقاً لمقامه. (1)، أي إن المعنى السياقي هو المعنى الذي "تكتسبه المفردة اللغوية من موقعها الذي تحمله داخل النص الذي ترد فيه". (2)

ومن هنا فإن مكونات السياق يمكن حصرها في إنها تشمل مجموع الوحدات اللسانية، المترابطة والمتتابعة وفق نمطٍ معينٍ داخل النص. أما مكونات المقام فهي تلك المكونات غير اللغوية، التي تتعلق بكل من المخاطب، والمخاطب، والخطاب، وهي مكونات تؤثر على تكوين النص من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى تتحكم في تعيين المراد وتساعد على الفهم.

ولعله لأسباب تعليمية تنامت فكرة تقسيم المكونات التي يتم الاستناد إليها في دراسة النص الأدبي إلى قسمين: قسمٌ يرجع إلى ما هو في النص ذاته، وقسمٌ يرجع إلى ما هو خارج عنه. ثم بالرجوع إلى محصلة ما قدمه علماء البلاغة المتقدمين من بشر بن المعتمر والجاحظ وصولاً إلى الجرجاني الذي صاغ نظرية النظم وبيّن فيها الأبعاد المؤثرة في بيان معنى النص. انطلاقاً من أن لكل مقامٍ ما يناسبه من المقال؛ حتى استقر الحال حديثاً على تقسيم السياق بالنظر إلى اللغة؛ إذ يكاد يكون هناك إجماع على هذا التقسيم للسياق في الدراسات الحديثة، والمتمثل في:

السياق اللغوي: ويشمل كل جزئيات النص الملفوظة أو المكتوبة بما فيها من أصوات، وكلمات، وجمل، "تنتابح في حدث كلامي أو نصّ لغوي" (1). فتلك

(1) ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط5، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2006:

(2) مقبول، إدريس الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، ط1، عالم

الوحدات الدلالية المكونة للنصّ عندما تقع مجاورة لوحدات لغوية أخرى يتشكل المعنى وفقاً لها مجتمعةً، وهذا المفهوم قديم عبّر عنه بمصطلح حديث هو السياق اللغوي.

أما السياق غير اللغوي: فيشمل كل مكونات الجو الخارجي الذي يحيط بالكلام من ظروف وملابسات⁽²⁾. أو بعبارة أخرى يشمل كل ما هو خارج اللغة مادة النص. وهذا أيضاً مفهوم المقام قديماً.

رابعاً: المقام والموقف والحال

بما أن المقام يضم كل من " المتكلم، والسامع، والظروف، والعلاقات الاجتماعية، والأحداث الواردة في الماضي والحاضر، ثم التراث، والفلكلور، والعادات والتقاليد، والمعتقدات وغيرها من القرائن الحالية، لذلك يرى الدكتور تَمَّام حسان أنّ هناك فرقا بينه وبين الموقف، فالمقام أكثر تعقيداً وأكثر تركيباً من الموقف، فالمقامات غالباً ما تكون: متعددة، ومحتملة، وتتزاحم حول النص، مما يشكل صعوبةً في الجزم بقصدية المؤلف أو المتكلم إلا مع قرائن حالية تعيّننها، فهذه القرائن هي المرجح الذي يصف المقام، "وكلما كان وصف المقام أكثر تفصيلاً كان المعنى الدلالي الذي نريد الوصول إليه أكثر وضوحاً"⁽³⁾، أما الموقف فهو لحظي، ضيق، ويكاد يكون ذي طابعٍ فرديّ خاص، عكس المقام الذي يشمل الفرديّ باعتباره اجتماعي عام.

(1) حلمي خليل، الكلمة، دراسة لغوية معجمية، ط2، دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية، مصر،

1993م: 161

(2) كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي، دار الثقافة العربية، القاهرة، 1994: 83

(3) اللغة العربية معناها ومبناها: 346

أما الحال والموقف فمترادفان وهما يمثلان شيئاً واحداً، وهما أخص من المقام لأنهما جزءٌ من أجزاءه، ومكوّنٌ من مكوناته. ومن الباحثين من يستعمل مصطلح السياق مضافاً إلى الحال (سياق الحال) ويجعله مرادفاً للمقام، نحو ما استعمله محمود السعران في كتابه المسمى علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، حيث استعمل مصطلحات: السياق، والحال، والموقف الكلامي، والحال الكلامية،⁽¹⁾ على سبيل التوسع للدلالة على مفهوم مصطلح واحدٍ هو المقام - في ذات الموضوع - قائلاً: بأن "أهم خصائص سياق الحال إبراز الدور الاجتماعي الذي يقوم به المتكلم وسائر المشتركين في الموقف الكلامي"⁽²⁾. فالسعران هنا استعمل كل هذه المصطلحات (سياق/ حال/ موقف) للدلالة على ما هو متعارف عليه بالمقام. ولعل وجه الاختلاف بين المقام والحال يكمن في أن المقام يستعمل للعموم أما الحال فخاصة، وإلى هذا أشار ابن يعقوب المغربي مفرقاً بين الحال والمقام تفريقاً منطقياً عقلياً، عندما شرح تلخيص المفتاح حيث ذهب إلى أن المقام والحال "يختلفان في الاستعمال، ... فإذا توهّم في سبب ورود الكلام بخصوصية ما كونه زماناً لذلك الكلام سُمّي حالاً لتحوّل الزمان بسرعة، وإذا توهّم فيه كونه محلاً له سُمّي مقاماً"⁽³⁾.

(1) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت: 311

(2) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي: 311

(3) ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ط1، دار الكتب العلمية،

بيروت، 2003م: 125/1

أما مقتضى الحال فقد عده تمام حسان جزءاً من المقام وجعله مرادفاً لمصطلح وضعه هو عبر عنه بـ(غاية الأداء) ففطن بذلك - تمام - للبعد التداولي الذي يعنى به هذا المفهوم عند البلاغيين القدامى قائلاً: "ولعل البلاغيين العرب حين تكلموا عن مقتضى الحال كانوا يقصدون شيئاً قريباً مما أطلقنا عليه هنا (غاية الأداء)، ومن هنا يكون مقتضى الحال كما نفهمه جزء من المقام وليس المقام كله"⁽¹⁾.

خامساً: اضطراب هذه المفاهيم في معاجم مصطلحات اللغة والأدب

إن الازدهار الملحوظ الذي شهدته الدراسات اللغوية والأدبية في العصر الحديث بانفتاحها على مصطلحات غربية تمت ترجمتها دون عناية، أسهم في إرباك المشهد النقدي من خلال إطلاق مصطلحاتٍ عدةٍ لمفهومٍ واحدٍ، إضافةً إلى ذلك فقد أسهم تعدد المصطلح في الاضطراب في استعمالها، وإسقاط بعضها على بعض وجعلها من قبيل المترادفات، مثل ما نراه من استعمال عدد من الباحثين لمصطلحات: السياق، والمقام، والموقف، ومقتضى الحال، استعمالاً، يرقى إلى أن جعل بعضها مرادفاً لبعض.

ويتبع مصطلحي السياق والمقام في معاجم المصطلحات التي عنيت بالحقل اللغوي والأدبي، فإننا نلاحظ أن مفهوم السياق في بعض المعاجم الحديثة للمصطلحات الأدبية اتصف بالتوسع، ليشمل كل جزئيات عملية التواصل، فمثلاً يقول إبراهيم فتحي⁽²⁾ في معجمه الذي وضعه للمصطلحات الأدبية: "هو بنية الكلام ومحيطه

(1) اللغة العربية معناها ومبناها: 370

(2) معجم المصطلحات الأدبية، التعاقدية العمالية، صفاقس، تونس، ط1، 1986م: 201

وقرائنه⁽¹⁾، وبعد أن فسر بنية الكلام بقوله: "بناء كامل من الفقرات المترابطة، ودائماً ما يكون سياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط، فلا يقتصر على إلقاء الضوء على معاني الكلمات المفردة فحسب، بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها"⁽²⁾، بعد ذلك نجده يؤكد على أن المحيط الخارجي جزء من السياق حيث قال: "وكثيراً ما يغير المحيط الذي توجد فيه العبارة من المعنى الذي كان واضحاً في العبارة ذاتها أو يوسعه أو يعدله. وهناك فقرات في كثير من الروائع الأدبية تبدو بذاتها قاسية أو بديئة، لكنها تصيح ذات معانٍ مختلفة إذا أخذت في سياقها"⁽³⁾، وحاصل كلامه أن مصطلح السياق عام يشمل كلاً من البنية النصية (اللغوية) وكل ما أحاط بها من ملابسات وقرائن، وعوامل خارجة عن بنية النص اللغوية. وشيء من هذا المفهوم العام للسياق نجده في معجم تحليل الخطاب إذ جاء فيه أن "سياق عنصر ما (س) هو كل ما يحيط بهذا العنصر"⁽⁴⁾.

كما نلاحظ التفاوت في الترجمات التي تؤسس لإدراك حدود هذه المصطلحات في معاجم اللغة والأدب، فمثلاً نجد أن مجدي وهبة يضع ترجمة لمصطلح (context) تحصره في القرينة الحالية، حيث قال: "context, contexte، القرينة الحالية، السياق: هي تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرةً، ويتحدد من خلالها

(1) نفسه: 202

(2) نفسه

(3) نفسه

(4) باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، ترجمة حمادي صمود، وعبدالقادر المهيري، دار سيناترا،

المعنى المقصود، وينطبق هذا التعريف على القرينة الحالية في العربية، كقول البحتری يصف مبارزة الفتح ابن خاقان للأسد:

هزيرٌ مشى يبغى هزيراً وأغلبٌ ... من القوم يغشى باسل الوجه أغلباً⁽¹⁾

ثم نجد مجدي وهبة يؤكد على هذه الدلالة للمصطلح في معجمه الذي ألفه بالاشتراك مع كمال المهندس وذلك حين ترجم اصطلاح "context" إلى "القرينة". ثم عرفها بأنها "هي ما يمنع إرادة المعنى الأصلي في الجملة وقد تكون قرينة لفظية، ... أو قرينة حالية"⁽²⁾، أما مصطلح المقام، فلم يُذكر في كلا المعجمين سوى ترجمة "stylistic propriety" إلى: مطابقة الكلام لمقتضى الحال⁽³⁾، على أنها سمة بلاغية للأسلوب الأدبي.

أما معجم البلاغة العربية لبديوي طبانة، فلم يأت على ذكر مصطلحات: السياق، والموقف، والمقام. بينما ذكر مصطلحي الحال ومقتضى الحال. فالحال "هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام على هيئة مخصوصة"⁽⁴⁾. وأما مقتضى الحال: فسماه: "الاعتبار المناسب، وهو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة، مثلاً المدح حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز، فكل من المدح والذكاء حال. وكل من الإطناب والإيجاز مقتضى"⁽⁵⁾.

(1) معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، 1974: 89

(2) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984: 288

(3) نفسه.

(4) بديوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة، السعودية، 1988م: 182

(5) بديوي طبانة، معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة، السعودية، 1988م: 548

ومن المعاجم التي أغفت كل تلك المصطلحات المعجم المفصل في اللغة والأدب حيث لم نقف فيه على أيٍّ من هذه المصطلحات⁽¹⁾.

وكذلك نجد جبور عبد النور في معجمه الأدبي يفسر مفهوم مصطلح السياق بأنه "مجرى الأحداث في رواية أو مسرحية أو تسلسل أحداث مترابطة"⁽²⁾، وقال بأن وحدة السياق هي قاعدة وضعها أرسطو، ويقصد بها أن يكون للمسرحية أو الرواية حبكة واحدة، ثم قال " ولغوياً: من الكلام وأسلوبه الذي يجري عليه"⁽³⁾، ولم يأت على ذكر المقام والموقف وغيرهما من المصطلحات.

أما محمد التونجي فقد أورد مصطلحي السياق والموقف في معجمه المفصل في الأدب. فالسياق هو "مجرى أحداث عملٍ أدبيٍّ وثيق الترابط، يسهل عملية ربط الكلام وبناء النص بناءً محكماً؛ في بدئه وخاتمته والحبكة بينهما. وإذا اقتطع من السياق كلام بدا في غير مكانه، حتى إذا أعيد إلى مكانه من النص بدا مهماً وربطاً للفقرات. وكثيراً ما يكون الكلام غامضاً، ولكنه يُفهم من السياق، أي من سير الأحداث سيراً منسقاً"⁽⁴⁾. أما الموقف: فعرفه بأنه "منهج الأديب في بسط مواد عمله الأدبي، ولا سيما ما يعكس إدراكه وتفسيره لبعض الأمور. ويعبر بالموقف اليوم عن الاتجاه الذي يختطه الأديب لنفسه"⁽⁵⁾. وهذا تفسير للموقف بالنظر إلى الرؤى والأفكار والمعتقدات والثقافة.

(1) إيميل بعقوب، ومشيل عاصي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.

(2) جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط2، 1984: 142

(3) نفسه: 143

(4) محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، ط2، 1999: 535

(5) نفسه: 841

ومن المعاجم التي حوت تفسيراتٍ عامةٍ للسياق والموقف:

معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لسعيد علوش، حيث قال "يفترض في السياق إعطاء دلالة دقيقة عن العلامة / الخبر / الإنتاج. ومن هنا جاء إطلاق السياق الموضوعي على حالة شيء / مرسل / متلقى.. وقد يكون السياق الموضوعي، هو السياق الوحيد -أحياناً- بل والسياق الضروري -غالباً-، لرفع الإبهام، بحيث لا يكفي السياق العادي وحده، لرفع هذا الإبهام. وهكذا نقول: السياق اللغوي، والسياق الموسيقي، والسياق الأدبي، للدلالة على حقول بعينها"⁽¹⁾، وكذلك كان مفهوم الموقف - عنده - عاماً حيث تناوله من زاوية تلقي العمل الأدبي بشكلٍ عامٍ. أما في معجمه المسمى مصطلحات النقد الأدبي المعاصر فلم يذكر أي مصطلح من هذه المصطلحات⁽²⁾.

أما نواف نصار فقد ترجم مصطلح "context" إلى السياق وعرفه بأنه: "ذلك الجزء من الكلام المكتوب أو المقول الذي يتبع كلمة ما في القطعة يؤدي إلى المعنى، وبدونه لا يمكن أن يفهم ذلك المعنى"⁽³⁾ أما مصطلحات المقام والموقف فلم يأت على ذكرهما.

ولعل من أهم المعاجم التي وقفت عند تفاصيل دقيقة في مفهوم السياق معجم المصطلحات اللغوية لرمزي منير البعلبكي، فقد ترجم البعلبكي "context" إلى سياق / أو قرينة، وعرفه بأنه "ما يسبق العنصر اللغوي أو يليه في كلام أو نص،

(1) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1985: 118

(2) سعيد علوش، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1،

2019م

(3) نواف نصار، معجم المصطلحات الأدبية، ط1، 2011: 160

سواء أكان صوتاً أم كلمة أم جملة ...⁽¹⁾ وكذلك فإن مصطلح "situation" هو سياق الحال ومصطلح "context of situation" عنده هو السياق الاجتماعي⁽²⁾ وقد أشار بعض واضعي المعاجم والقواميس التي تعنى بترجمة مصطلحات الأدب والنقد إلى هذا الاضطراب في تحديد مفهوم السياق تحديداً دقيقاً حيث قال: "إن معنى السياق نفسه لم يستقر بعد في الدراسات اللسانية والسيميائية"⁽³⁾.

الخاتمة

لعله لأسباب تعليمية تنامت فكرة تقسيم المكونات التي يتم الاستناد إليها في دراسة النص الأدبي إلى قسمين: قسم يرجع إلى ما هو في النص، وسُمي بالسياق اللغوي، وقسم يرجع إلى ما هو خارج النص، وسُمي بالسياق غير اللغوي. ومهما يكن فإن النص حال تبلوره ونشأته ينشأ معه سياقه اللغوي نتيجة تعلق جملة، وتماسك أجزائه، في حين أن المقام بيئة زمانية، ومكانية، سابقة للنص، وتفرض سلطتها عليه، بحيث لا يستساغ النص مالم يوافق مقامه، ويناسب الحال الداعية لنشأته. أما الموقف فهو يكاد يكون فردياً، متعدداً، بتعدد المتلقين؛ لذلك فهو يتبلور بعد النص، أي بعد التلقي.

كما أن التدقيق في مكونات المقام تؤكد ضرورة التمييز بينه وبين السياق اللغوي، ففي حين يتمحور السياق حول كل ما هو لغويّ: منطوقاً أو مكتوباً، فإن الموقف يتسع ليشمل الظروف الاجتماعية، والزمان والمكان، والأشخاص، والمعرفة المشتركة بين الكاتب والمتلقي، تلك المعرفة التي يحكمها العرف اللغوي، وثقافة

(1) رمزي البعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1990: 119

(2) نفسه

(3) لطي زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار ناشرون، بيروت، لبنان، 2002م: 110

المجتمع، والمعتقدات، والإرث المعرفي، التاريخي والإنساني بكل مكوناته. وفي حين يمكننا أن نحصر مكونات السياق، فإننا قد لا نتمكن من تحديد مكونات المقام تحديداً دقيقاً، وهذا أحد الأسباب التي تجعل من المقام أبرز آليات التأويل، بدليل أن النص استناداً إلى الدلالة التي يقدمها سياقه اللغوي قد يستسيغه متلقٍ ويرفضه آخر.

3.1. النتائج

استناداً إلى مفاهيم التداولية واستئناساً بما قدمته الدراسات اللسانية من متطلبات التحليل النصي فإنه يمكن التفريق بين المقام والسياق والموقف وفقاً لما يلي: إن المقام متغيرٌ؛ ولهذا يستلزم التمييز بين مقام التلقي، ومقام الإنشاء. فالمقام الذي يفرض نفسه على المنشئ ويلتزم به المنشئ مراعيّاً فيه مقتضيات خاصة، يختلف عن مقام التلقي المتغير؛ ففي حين يعد الأول معياراً لجودة النص، ومقياساً لبلاغته، فإن مقام التلقي متغيرٌ ويتصف بالتحول والتبدل تبعاً للعوامل الزمانية والمكانية والثقافية، أي أنه فضاءٌ رحبٌ قابلٌ للتأويل.

إن العرف اللغوي يحكم كيفية تشكل سياق النص، ويعين على استنباط الدلالة، حيث يطفو على سطح النص معنى معين اقتضته قرائن لغوية بعينها. أما المقام فلا يحكمه شيء بل هو الحاكم المتسلط على النص، فهو سابقٌ والنص لاحقٌ. إن أغلب مكونات المقام الذي ولد فيه النص ثابتةٌ ويمكن أن تتكرر، إلا ما كان منها متعلقاً بالمتلقي فهي متغيرةٌ بتغير المتلقين.

كما يمكن تصنيفها بالنظر للتأثير في النص وفقاً لما يلي

السياق يولد مع النص ويصنعه الكاتب زمن الكتابة، بينما المقام سابق للنص. السياق تفسيري أما المقام دلالي.

السياق لغوي، أما المقام اجتماعي. السياق خاص بنص معين لا يمكن أن يتكرر، أما المقام فهو عام يستوعب نصوص عدة، ويمكن أن يتكرر، فهو بيئة سابقة ثم تتجدد. سياق النص هو محور التعليل والتفسير، على أساس لغويٍّ جماليٍّ. أما مقام النص فهو محور التأويل وأساسه اجتماعيٌّ، لذلك فإن تفسير النص سياقي، وتأويله مقامي.

قائمة المصادر و المراجع

أولاً: الكتب

- إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، ط1، 1986م، التعاضدية العمالية، صفاقس، تونس
- ابن منظور، لسان العرب، ط3، 1414هـ. دار صادر، بيروت
- ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح، ط1، 2003م. دار الكتب العلمية، بيروت،
- أبو الفتح نصر الله بابن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، 1420 هـ. المكتبة العصرية، بيروت. لبنان.
- أبو القاسم محمود الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل، ط1، 1998. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، ط5، 1423هـ، مكتبة الخانجي، مصر.
- أبو عثمان الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام هارون، ط2، 1424هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- إدريس مقبول، الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، ط1، 2011، عالم الكتب الحديث، اريد، الأردن.
- إيميل بعقوب، ومشيل عاصي، المعجم المفصل في اللغة والأدب، ط1، 1987م. دار العلم للملايين، بيروت،

- باتريك شارودو، ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ط1، 2008، ترجمة حمادي صمود، وعبدالقادر المهيري، دار سيناترا، تونس
- بدوي طبانة، معجم البلاغة العربية، 1988م، دار المنارة، جدة، السعودية،
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط5، 2006، عالم الكتب، القاهرة، مصر
- تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ط1، 1990، مكتبة الأنجلو. القاهرة، مصر
- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ط2، 1984 دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب، ط1، 2015م دار الألوكة.
- حلمي خليل، الكلمة، دراسة لغوية معجمية، ط2، 1993م، دار المعرفة الإسكندرية، مصر.
- رمزي البعلبكي، معجم المصطلحات اللغوية، ط 1، 1990، دار العلم للملايين، بيروت
- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ط1، 1975م، ترجمة: كمال بشر مكتبة الشباب.
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ط1، 1985، دار الكتاب اللبناني. بيروت، لبنان
- سعيد علوش، معجم مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، ط1، 2019م، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط3، 1992م، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة
- فاضل السامرائي، معاني النحو، ط1، 2000م. دار الفكر للطباعة عمان الأردن.

كريم زكي، التحليل الدلالي: إجراءاته ومناهجه، ط1، 2000م، دار غريب، مصر
 كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، 1994 دار الثقافة العربية، القاهرة.
 لطفي زيتوني، معجم مصطلحات الرواية، ط1، 2002، مكتبة ناشرون، لبنان.
 مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، ط1، 1974م، مكتبة لبنان، بيروت.
 مجدي وهبة، وكمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2،
 1984م، مكتبة لبنان، بيروت.
 محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ط2، 1999 دار الكتب العلمية
 بيروت.

محمد الشنقيطي، ديوان الهذليين، ط1، 1965م، الدار القومية، القاهرة، مصر.
 محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت
 نواف نصار، معجم المصطلحات الأدبية، ط1، 2011، دار المعتز الأردن
ثانياً: الدوريات

محمد العمري، "المقام الخطابي والمقام الشعري في الدرس البلاغي" مجلة
 دراسات، سيميائية أدبية لسانية (1991)، العدد: 5، الصفحات، 7: 24
 محمد الرفاعي، "الدرس السياقي في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ومن
 سبق من مصادر بحث في إعجاز القرآن"، مجلة كلية كيركالي للعلوم الإسلامية
 المجلد 2، العدد 4 سنة 2017 ص: 27: 40
 محمد إسماعيل وفاطمة بلة: "ملاحح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث"،
 مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد الثامن عشر، صيف
 2014، الصفحات: 1 إلى 18

أحمد موهوب، "المقام أو السياق بين المفهوم العربي والغربي"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 11، عدد 22، 2017، صفحات 107: 130

ثالثاً: الرسائل الجامعية

إيهاب سلامة، قرينة السياق ودورها في التقعيد النحوي والتوجيه الإعرابي في كتاب سيبويه، رسالة دكتوراه. كلية البنات، جامعة عين شمس، القاهرة

رابعاً: المقالات الإلكترونية

الموقع الإلكتروني لمعجم الدوحة التاريخي للغة العربية،

<https://www.dohadictionary.org>

عبد الرحمن، بودرع، (2016) أثر السياق في فهم النص القرآني، موقع الرابطة

المحمدية للعلماء، [/https://www.arrabita.ma](https://www.arrabita.ma)

ثائر العذاري، " (المقام) و(السياق) في التداولية ... فوضى المصطلحات"،

صحيفة الصباح الجديد، آراء وأفكار، أعمدة الكتاب، تاريخ النشر: 15 يوليو

2017، <http://newsabah.com/newspaper/127890>

صياغة الخليل بن أحمد للمصطلح النحوي في معجمه (العين)

إعداد: أ. نورية صالح إفريج*

المخلص:

معظم المصطلحات التي استقرت في النحو العربي هي مصطلحات وضعت على أيدي الخليل وشيوخه وتلميذه سيبويه، ونظراً لما وضعه الخليل من قواعد ومصطلحات وحركات فهو يعد الواضع الأول للنحو العربي. واشتمل معجم العين للخليل على قدر كبير من هذه المصطلحات، وقد درست الباحثة بعضاً منها؛ حتى تتمكن من الوقوف على طبيعتها عنده، ومدى تأثيره في صياغة المصطلح النحوي .

وقد استعمل الخليل في صياغة المصطلح صيغاً متعددة للدلالة على مفهوم واحد، كاستعمال مصطلح المجاوز والواقع والمتعدي، وقد يحمل المصطلح أكثر من مفهوم كمصطلح الجر، إذ يطلقه لقباً للكلمات المعربة والمبنية على حدٍ سواء، كما أن هذه المصطلحات تحمل توافقاً بين مدلولها اللغوي ومدلولها الاصطلاحي.

Abstract:

Most of the terms that have settled in Arabic grammar are terms that were put by Al-Khalil, his *sheikhs*, and his student Sibawayh, and due to what Al-Khalil put in terms of rules,

* قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب/ الخمس

terms, and cases, he is considered the first author of the Arabic grammar.

The *Al-Ain Dictionary of Al-Khalil* included a large number of these terms, and the researcher studied some of them so that she can stand on its nature, and the extent of their influence on the formulation of the grammatical term.

In the formulation of the term, Al-Khalil used multiple formulas to denote a single concept, such as the use of the term (passing, reality, and transgresses) (*Almujawiz, Alwaquei and Almutaaddi*). The term also may have more than concept as the (*Al-Jarr Term*). It is given as a title for the Arabized and constructed words equally. Moreover, these terms have a consonance with its linguistic and terminological concepts.

المقدمة:

اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات وملء الأرض
وملء ما شئت من شيء بعد، والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج
المنير، سيدنا وحبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

أهمية البحث:

نالت قضية المصطلح اهتمام الباحثين، وشغلت قضاياها حيزاً كبيراً في الدراسات الحديثة؛ نظراً إلى كونه الوسيلة التي يفهم بها كل علم، فمبادئ العلوم تُبنى على مصطلحاتها، وقد زخر تراثنا العربي بكم هائل من المصطلحات النحوية والبلاغية والصوتية وغيرها، ويعد المصطلح النحوي في مجال الدراسات النحوية من أهم مكونات هذه الدراسة ومصادر إثرائها، وسنتناول في بحثنا هذا المصطلح النحوي عند علم من أعلام النحو العربي، ألا وهو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، الذي أرسى قواعد النحو العربي، والذي كان له الأثر الواضح في كتاب سيبويه، وذلك بدراسة مصطلحاته النحوية في معجمه العين.

مشكلة البحث:

وردت عن الخليل العديد من المصطلحات في معجمه العين، وقد حاول الباحث الكشف عن دور الخليل بن أحمد الفراهيدي في وضع المصطلح النحوي، وطبيعة هذه المصطلحات عنده؛ أي هل تتعدد مفاهيمها؟ وهل يعبر عن المفهوم الواحد بأكثر من مصطلح؟ وهل هناك علاقة دلالية بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي؟

الدراسات السابقة:

لم أعثر على دراسة مفصلة لهذا الموضوع، وإنما وجدت دراسة تحمل عنوان: (المصطلح النحوي عند الخليل في معجم العين) على موقع المنظومة، واقتصر الموقع على عرض واجهة البحث دون صفحاته، التي تقع في ست عشرة صفحة، كما هو مبين على الواجهة، ولم اطلع على هذه الدراسة؛ لصعوبة الحصول عليها، وهناك دراسة أخرى تحمل عنوان: (آراء الخليل النحوية في ضوء كتاب

العين)، تطرق الباحث فيها إلى مصطلحات الخليل ضمن موضوعات بحثه، إلا أنها تشكك في نسبة معجم العين للخليل، وتستدل على ذلك بوجود مصطلحات كوفية فيه، ولم تتناول بالتحليل إلا خمسة مصطلحات، بالإضافة إلى أنها لم تتعمق في هذا التناول.

منهجية البحث:

جاء اختيار المصطلحات في هذا البحث على أساس وجود أكثر من مصطلح للمفهوم الواحد، أو العكس قياساً إلى مصطلحات الخليل الأخرى، ابتداءً من لفيف الذال إلى لفيف اللام، وقد قمت بدراسة هذا الموضوع دراسة وصفية تحليلية.

هذا واحتوى البحث على ثلاثة مباحث يسبقها تمهيد، تناولت في الأول منها المصطلحات المتعلقة بعلامات الإعراب، وفي الثاني المصطلحات المتعلقة بالأسماء، وفي الثالث المصطلحات المتعلقة بالأفعال والحروف، ورتبت هذه المصطلحات في كل مبحث وفق ورودها في شروح الألفية، وذلك وفق الآتي:

المبحث الأول: (المصطلحات المتعلقة بعلامات الإعراب)

المطلب الأول: الرفع.

المطلب الثاني: النصب.

المطلب الثالث: الجر.

المطلب الرابع: الجزم.

المبحث الثاني: (المصطلحات المتعلقة بالأسماء)

المطلب الأول: التثنية.

المطلب الثاني: الجمع.

المطلب الثالث: الضمير.

المطلب الرابع: الظرف .

المطلب الخامس: الحال.

المبحث الثالث: (المصطلحات المتعلقة بالأفعال والحروف).

أولاً: المصطلحات المتعلقة بالأفعال.

أ . المصطلحات المتعلقة بأزمنة الفعل.

المطلب الأول: الماضي ومضى.

المطلب الثاني: الفعل الغابر والحاضر والمستقبل.

المطلب الثالث: الفعل الأمر.

ب . المصطلحات المتعلقة بتعدي الفعل ولزومه:

المطلب الأول: الفعل المجاوز.

المطلب الثاني: الفعل الواقع.

ثانياً . المصطلحات المتعلقة بالحروف:

المطلب الأول: النفي.

المطلب الثاني: حروف الجر.

المطلب الثالث: الزيادة.

تمهيد :

قبل أن نتعرض لدراسة المصطلح عند الخليل لا بد أن نحدد مفهوم المصطلح لغوياً وعلمياً.

المفهوم اللغوي و العلمي للمصطلح:

عند البحث عن مفردة " مصطلح " في المعاجم العربية القديمة، فإننا نجد أن

(المصطلح) في المفهوم اللغوي يأتي من أصل المادة (صلح)، وهو مصدر ميمي

للفعل (اصطلاح)، قال الخليل: "الصلاح نقيض الطلاح ورجل صالح في نفسه ومصالح في أعماله وأموره والصلاح تصالح القوم بينهم"¹.
وقال أبو منصور الأزهري (ت370هـ): "الصُّلْحُ: تَصَالُحُ الْقَوْمِ بَيْنَهُمْ، وَالصَّلَاحُ: نَقِيضُ الْفُسَادِ، وَالْإِصْلَاحُ: نَقِيضُ الْإِفْسَادِ، وَرَجُلٌ صَالِحٌ: مُصْلِحٌ، وَالصَّالِحُ فِي نَفْسِهِ، وَالْمُصْلِحُ فِي أَعْمَالِهِ وَأُمُورِهِ... وَتَصَالِحُ الْقَوْمُ وَاصْطَلَحُوا بِمَعْنَى وَاحِدٍ"².

وقال ابن منظور (ت711هـ): "الإصلاح ضد الفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أقامه، والصلاح، تصالح القوم بينهم"³.
وكان مفهوم المصطلح عند الجرجاني (ت816هـ) أكثر وضوحاً، فقال: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول"⁴.

فالمفهوم اللغوي لمادة (صلح) في المعاجم العربية هو التصالح والاتفاق، وهذا المعنى يقترب من المفهوم العلمي للمصطلح، "فالمصطلح العلمي هو "ما اصطلاح عليه الناس، أي ما اتفقوا على معناه من ألفاظ أو تعابير في عصر معين، وفي مكان معين، فكل مبحث مصطلحاته التي يفهمها أصحابه ويتداولونها بينهم، بل قد يتعذر ولوج مبحث من المباحث الحديثة دون مصطلحاته"⁵.

¹ العين 3 / 117 صلح

² تهذيب اللغة 4/143.142 صلح

³ لسان العرب 2/517 صلح

⁴ التعريفات 1/28

⁵ المصطلحات الأدبية الحديثة، محمد عناني ص6

وعرف د. علي القاسمي علم المصطلح بقوله: "هو العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي يعبر عنها"¹.

المصطلح النحوي قبل الخليل:

مرت المصطلحات النحوية بالمراحل التي مر بها النحو العربي، فكانت الفترة الممتدة من عهد تلاميذ أبي الأسود (ت 69 هـ)، إلى عهد ظهور الخليل بن أحمد فترة تهيئة لظهور المصطلح النحوي ونستطيع أن نمثل لها بإشارة أبي الأسود لمفهوم الحركات دون ذكر مصطلحاتها، والمرحلة التي تبدأ من عبد الله ابن أبي اسحق (ت 117 هـ)، وتنتهي بأبي عمرو بن العلاء (ت 145 هـ) كانت مرحلة التعرف إلى المصطلح؛² "أي أن الدراسة النحوية في هذه الفترة كانت "تقف عند اللمحة إلى الاصطلاح دون التصريح به"³.

ويعد مصطلح "العربية" هو المصطلح الأول الذي أطلقته الطبقة الأولى من النحاة، وقصدت به النحو، ويرى د. محمد خير حلواني أن مصطلح العربية ومصطلح النحو قد ظهرا في وقت واحد منذ القرن الأول الهجري، ثم زال الأول مع الأيام، وبقي الثاني" وكانوا يعنون به فرعا من فروع العربية يختص بالإعراب⁴، واستدل على رأيه بما نقله بن سلام (ت 231 هـ). عن أبيه عن يونس بن حبيب)

¹ المعجم والقاموس (دراسة تطبيقية في علم المصطلح) د. علي القاسمي، مجلة اللسان العربي، ص 19

² ينظر المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض القوزي المقدمة ص ل

³ المرجع السابق 64 وقد ذكر العديد من الشواهد التي تدل على استنباطهم للمفاهيم دون الحديث عن مصطلحاتها ينظر في ذلك ص 54 وما بعدها

⁴ المفصل في تاريخ النحو العربي ص 13 15

182 هـ)، " قَالَ: وَقَلتْ لِيونس: هَل سَمِعْت من ابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ شَيْئاً، قَالَ: قَلتْ لَهُ: هَل يَقُولُ أَحَدُ الصَّوِيقِ؛ يَعْنِي الصَّوِيقِ، قَالَ: نَعَم عَمَرُو بِن تَمِيم تَقُولُهَا، وَمَا تُرِيدُ إِلَيَّ هَذَا، عَلَيْكَ بَبَابٍ مِنَ النَّحْوِ يَطْرُدُ وَيَنْقَاسُ"¹.

وقيل: إن أول من استعمل النحو بمعناه الاصطلاحي هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وقيل: الخليل، عند ما مدح أستاذه عيسى بن عمر (ت 149 هـ) فقال:

بطل النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر

وذكر د. محمد خير حلواني أن هذا المصطلح استعمل قبلهما².

وهذا هو الراجح؛ لأن هذا المصطلح أطلقه الإمام علي بن أبي طالب عندما قال لأبي الأسود: انحو هذا النحو، ومما يستدل على ذلك أن الخليل نسب إلى أبي الأسود وضع هذا المصطلح، فقال: "النحو: القصد، نحوت نحوه؛ أي قصدت قصده. وبلغنا أن أبا الأسود وضع وجوه العربية، فقال للناس: انحوا نحو هذا؛ فسَمِّي نحوًا"³.

وذكر د. عوض القوزي أن ألسنة النحاة تداولت في نهاية القرن الهجري الأول وبداية القرن الثاني مصطلحات أخرى هي: "الكلام، واللحن، والإعراب، والمجاز"⁴ والراجح أن ظهور مصطلح اللحن كان في الربع الأول من القرن الأول الهجري، لظهور اللحن على ألسنة الناس، أما مصطلح الكلام فقد ورد ذكره في

¹ طبقات فحول الشعراء 1/15

² المفصل في تاريخ النحو العربي ص 14

³ العين 3/302 نحو

⁴ المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ص: 19 .

الصحيفة التي أعطاها الإمام علي بن أبي طالب لأبي الأسود ، ففيها "الكلام كله اسم وفعل وحرف " ، وطلب منه أن يضع للناس ما يجنبهم الوقوع في اللحن في القرآن الكريم ، وبناء على ذلك فقد استعمل في النصف الأول من القرن الأول الهجري.

المصطلح النحوي عند الخليل:

هياً جهد النحاة من عهد أبي الأسود إلى عهد أبي عمرو بن العلاء لجيل تلاميذه ، وأبرزهم يونس بن حبيب ، والخليل بن أحمد الفراهيدي ، وتلميذه سيبويه (180هـ) ، _ وضع مصطلحات هذا العلم على النحو الذي نراه في كتابه ، فمعظم المصطلحات النحوية التي استقرت في النحو العربي هي مصطلحات وضعت على أيدي علماء هذه المرحلة.

فالكتاب تضمن جهد سيبويه وجهد شيوخه، فقد ورد فيه ذكر عيسى بن عمر عشرين مرة، ويونس بن حبيب مائتين وسبع عشرة مرة، و الخليل ستمائة وثمانين مرات ، مما حدا بالبعض لاعتبار ذلك دليلاً على أن سيبويه لم يبتدع المصطلحات التي كان يستعملها¹ ؛ لأن آراء الخليل تمثل العمود الفقري للكتاب؛ إذ روى عنه في خمسمائة واثنين وعشرين موضعاً، وذكر أبو الطيب اللغوي (ت 351 هـ) أنّ سيبويه عقد أبواب كتابه بلفظه، ولفظ الخليل،² ؛ لأنّ سيبويه قد لازم الخليل أكثر ممّا لازم غيره من شيوخه، ولهذا كان أثره واضحاً.

¹ . ينظر التفكير النحوي قبل كتاب سيبويه ص 39، هامش 7

² مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ص65

ونظرا لما وضعه من قواعد ومصطلحات وحركات ، يمكن أن يعدّ الواضع الأول للتحو بوصفه علما له قواعد وأصول وبمعناه الدقيق¹.

وقد أسهم الخليل بن أحمد إسهاماً كبيراً في وضع مصطلحات النحو العربي في مراحلها الأولى، فالمصطلح "قلق على يدي الخليل في حين ثمره سيوييه في كتابه"². قال د. محمد خير حلواني: "ولعل الخليل هو الذي اصطلح في علم اللغة على الجهر والهمس والمخرج، وربما كان أول من أطلق على القرينة اللفظية التي تصاحبها حركة إعرابية خاصة مصطلح العامل، ونقلوا عنه قوله: أنا من سمى الأوعية ظروفاً"³.

ومن المصطلحات التي أسهم الخليل في ظهورها : الابتداء- الخبر -الفاعل- المفعول به- الظرف - الاستثناء- النداء -الاستغاثة- الندبة- الترخيم -التوكيد- التمييز -البدل -العطف... إلخ⁴ ، "وهو الذي سمى علامات الإعراب في الأسماء باسم الرفع والنصب والخفض، وسمى حركات المبنيات باسم الضم والفتح والكسر، أما سكونها فسماه الوقف، وسمى الكسرة غير المنونة باسم الجر، كما سمى السكون الذي يقع في أواخر الأفعال المضارعة المجزومة باسم الجزم"⁵.

¹ المدارس النحوية أحمد شوقي ضيف ص 5 ، ص 56

² المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض القوزي ص 79

³ المفصل في تاريخ النحو 1 / 253

⁴المرجع السابق 1 / 105. 108

⁵ المدارس النحوية أحمد شوقي ضيف ص 35

ولم يؤلف الخليل كتاباً في النَّحو، والمؤلفات النحوية التي نسبت له اتضح عدم صحة نسبتها له¹؛ لذلك فمعجم العين هو كتاب الخليل الوحيد الذي وصل إلينا، وهو زاخر بالعديد من المصطلحات النحوية والصرفية والصوتية، وفيما يلي دراسة اشتملت على مجموعة من المصطلحات النحوية في معجم العين، ولكي ندرس هذه المصطلحات يجب أن نتناول مصطلح الكلام وأقسامه عند الخليل في العين .

لم يتطرق الخليل في العين إلى شرح مصطلح الكلام وذكر أقسامه، لكنه ذكر مرادفاً للمعنى الاصطلاحي فقال: "فلما ذلقت الحروف الستة ومذل بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام"² وقال: "وإنما أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام؛ لتكون الألف عماداً وسلاماً للسان إلى حرف البناء؛ لأن اللسان لا ينطلق بالساكن من الحروف فيحتاج إلى ألف الوصل"³ .

ورد الكلام مرادفاً للكلمة كما في قوله: " وأصل الكلام العين والطاء والواو، ولكن الواو إذا بنيت منه فعل قلت: عظمي مثل رضي، فالياء هو الواو وكسرتة الضاد المكسورة، والدليل عليه الرضوان"⁴ .

وكذلك الاسم والفعل لم يضع لهما حداً، لكن يوردهما قسيماً لبعضهما، كما في قوله: "وليس للعرب بناء في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم فاعلم أنها زائدة على البناء"⁵،

¹ ينظر كتاب المؤلفات المنسوبة للخليل بن أحمد الفراهيدي وحقيقة نسبتها إليه د. محمد عبد الفتاح العمراوي

² العين 1 / 52 المقدمة

³ المصدر السابق 1 / 49 المقدمة

⁴ المصدر السابق 2 / 87 عنظ

⁵ العين 1 / 49 المقدمة

وقوله: "وهاء التأنيث أصل بنائها من التاء، ولكنهم فرقوا بين تأنيث الفعل وتأنيث الاسم، فقالوا في الفعل: فعلت، وفي الاسم فعلة"¹.

وهذا راجع لكون العين مصنف لغوي لا نحوي، فتنقسم الكلام فيه ينصب على الأبنية: قال الخليل: "كلام العرب مبني على أربعة أصناف: على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، فالثنائي على حرفين نحو: قد، لم، هل، لو، بل، ونحوه من الأدوات والزجر، والثلاثي من الأفعال نحو قولك: ضرب، خرج، دخل، مبني على ثلاثة أحرف، ومن الأسماء نحو: عمر، وجمل، وشجر، مبني على ثلاثة أحرف"².

ويقول الخليل في تعريف الحرف: "الحرف من حروف الهجاء، وكل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني تسمى حرفاً، وإن كان بناؤها بحرفين أو أكثر، مثل: حتى، وهل، وبل، ولعل، وكل كلمة تقرأ على وجوه من القرآن تسمى حرفاً، يقال: يقرأ هذا الحرف في حرف ابن مسعود؛ أي في قراءته"³.

واستعمل الخليل مصطلح الحرف للتعبير عن حروف الهجاء، قال الخليل: الاسم لا يكون أقل من ثلاثة أحرف، حرف يبتدأ به، وحرف يحشى به الكلمة وحرف يوقف عليه، فهذه ثلاثة أحرف مثل: سعد، وعمر، ونحوهما من الأسماء"⁴. أما الحرف الذي هو قسيم الاسم والفعل فهو: "كل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام؛ لتفرقة المعاني"¹.

¹ المصدر السابق 355/3 هن

² المصدر السابق 48/1 المقدمة

³ المصدر السابق 3 / 210. 211حرف

⁴ المصدر السابق 49 /1 المقدمة

واستعمل الخليل مصطلح الأداة في العين في مقابل مصطلح الحرف، وتبعه الكوفيون، قال الخليل: "فالتثائي على حرفين، نحو: قد، لم، هل، لو، بل، ونحوه من الأدوات والزجر"² و"ومن ومن حرفان من أدوات الكلام"³ .

ومثل ذلك قوله: "والحوب زجر البعير ليمضي، وللناقة حل، والعرب تجره ولو رفع أو نصب لجاز؛ لأن الزجر والأصوات والحكايات تحرك أواخرها على غير إعراب لازم، وكذلك الأدوات التي لا تتمكن في التصريف، فإذا حول منه شيء إلى الأسماء حمل عليه الألف واللام وأجري مجرى الاسم"⁴ .

ولعل استعماله المصطلحين راجع إلى تمييزه بين حروف الهجاء وحروف المعاني، إذ نجده في بعض الأحيان يقرن المصطلحين معاً؛ للدلالة على أنه حرف لمعنى، كما في قوله: "و كل حرف أداة إذا جعلت فيه ألفاً ولأما صار اسماً، فقوي وثقل"⁵، وقوله: "كيف حرف أداة ونصبوا الفاء؛ فرارا من الياء الساكنة؛ لئلا يلتقي ساكنان"⁶ .

وقوله: "الاسم إذا جاءت في آخره واو بعد فتحة حملت على الألف، وإنما يحسن في (لو)؛ لأنه حرف أداة وليست باسم"⁷ .

¹ المصدر السابق 3 / 210 حرف

² المصدر السابق 1 / 48 المقدمة

³ المصدر السابق 8 / 375 من

⁴ العين 3 / 310 حوب، وينظر 7 / 284 وسد

⁵ المصدر السابق 3 / 352 هل

⁶ المصدر السابق 5 / 414 كيف

⁷ المصدر السابق 8 / 144 توو

واستعمل ذلك في تعريفه، فقال: "وكل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام؛ لتفرقة المعاني تسمى حرفاً"¹، فكل أداة هي حرف من حيث الاصطلاح النحوي، وليس كل حرف هو أداة .

المبحث الأول: (المصطلحات المتعلقة بعلامات الإعراب)

نقل الخوارزمي (ت387هـ) عن الخليل عدداً من المصطلحات، بما في ذلك المصطلحات المتعلقة بعلامات الإعراب، فنجده يحدد مصطلح الرفع ويفرق بينه وبين الضم والتّوجيه بقوله: "الرفع ما وقع في أعجاز الكلم منوناً، نحو قولك: زيدٌ، والضم ما وقع في أعجاز الكلم غير منون، نحو: يفعلُ، والتّوجيه: ما وقع في صدور الكلم نحو: عينُ عُمر، وقافُ فُتم"² وكذلك يحدد مصطلحات النصب والفتح والقعر، بقوله: " والنصب ما وقع في أعجاز الكلم منوناً، نحو: زيداً والفتح ما وقع في أعجاز الكلم غير منون، نحو: باءُ ضربٍ، والقعر: ما وقع في صدور الكلم نحو ضادُ ضربٍ"³ وميز بين مصطلحات الخفض والكسر والإضجاع بقوله: "الخفض: ما وقع في إعجاز الكلم منوناً نحو: زيدٌ، والكسر: ما وقع في إعجاز الكلم غير منون، نحو: لامُ الجمل، والإضجاع: ما وقع في أوساط الكلم نحو: باءُ الإبل، والجر: ما وقع في إعجاز الأفعال المجزومة عند استقبال ألف الوصل، نحو: يذهبُ الرجل"⁴، ويفرق بين مصطلحات الجزم والتسكين والتوقيف بقوله: "والجزم: ما وقع

¹ المصدر السابق 3 / 210 حرف

² مفاتيح العلوم ص65

³ المصدر السابق 65

⁴ المصدر السابق 65

في إعجاز الأفعال المجزومة، نحو: باء اضرب، والتسكين: ما وقع في أوساط الأفعال، نحو: فاء يفعل، والتوقيف: ما وقع في إعجاز الأدوات، نحو: ميم نعم¹. يضع الخليل في النص السابق مفاهيم لمصطلحات الرفع والنصب والخفض، ويحدد علاقاتها بمصطلح الكلم، ويبين اختلافها عن مصطلح الضم، والفتح، والكسر، فالمصطلحات الأولى يقصد بها حركات الإعراب، والمصطلحات الأخرى يقصد بها حركات البناء، كما ميز بين الحركات التي تشكل بنية الكلمة، فتظهر في بداية أو وسط الكلمة، فوضع لها مصطلحات التوجيه والقرع والإضجاع، كما وضع مصطلح الجر قاصداً به حركة الكسر في آخر الفعل إذا جاءت بعده همزة وصل؛ تفادياً لالتقاء ساكنين، موضحاً مفهوم تلك المصطلحات بالأمثلة، كما جعل السكون مصطلحاً يطلق على تسكين وسط الفعل، والجزم مصطلحاً على سكون آخر الكلمة، نجد ذلك أيضاً في الكتاب في قول سيبويه: "وقال الخليل رحمه الله: اللهم نداءً، والميمُ ها هنا بدلٌ من (يا)، فهي ها هنا فيما زعم الخليل -رحمه الله- آخر الكلمة بمنزلة (يا) في أولها، إلا أن الميم ها هنا في الكلمة، كما أن نون المسلمين في الكلمة بُنيت عليها، فالميم في هذا الاسم حرفان أولهما مجزومٌ، والهاء مرتفعةٌ؛ لأنه وقع عليها الإعراب"².

فمفهوم المصطلحات السابقة تغير؛ لأن المصطلحات لا تستقر في علم من العلوم إلا بعد نزوجه، وعلم النحو مازال في تلك الفترة في طور الوضع والتكوين.

وفيما يلي دراسة لمصطلحات الإعراب عند الخليل في معجم العين:

المطلب الأول: الرفع

¹ مفاتيح العلوم ص 66.65

² الكتاب 196/2

مفهوم الرفع عند الخليل نقيض الخفض،¹ وقد استعمل هذا المصطلح تارة مفهوماً للبناء؛ لضبط بنية الكلمة، وتارة مفهوماً للإعراب، ومن أمثلة إطلاقه مفهوماً للبناء مرادفاً للضم قوله: "ومنعمهم أن يرفعوا الياء التي في التصغير؛ لأن هذه الأحرف دخلت عماداً للسان في آخر الكلمة، فصارت الياء التي قبلها في غير موضعها؛ لأنها بنيت للسان عماداً، فإذا وقعت في الحشو لم تكن عماداً"² وقوله: "قال من رفع الألف جعله اقتداء بسنة ملكه، ومن جعل (إمّة) مكسورة الألف جعله ديناً من الائتمام، كقولك: انتم بفلان إمّة"³.

ومثال استعماله لقباً إعرابياً للكلمات المعربة قوله: "وسئل الخليل عن قول العرب: كيف أنت لو أقبل قبلك، قال أراه مرفوعاً؛ لأنه اسم وليس بمصدر، كالقصد والنحو، إنما هو كيف أنت لو استقبل وجهك بما تك"⁴، وقوله: "والأخت كان حدها (أخّة) ، والإعراب على الهاء والخاء في موضع الرفع، ولكنها انفتحت لحال هاء التأنيث؛ لأنها لا تعتمد إلا على حرف متحرك بالفتحة، وأسكنت الخاء، فحول صرفها على الألف، وصارت الهاء تاء، كأنها من أصل الكلمة، ووقع الإعراب على التاء، وألزمت الضمة التي كانت في الخاء الألف"⁵.

المطلب الثاني: النصب

¹ العين 2 / 125 رفع

² المصدر السابق 8 / 143 تاو

³ المصدر السابق 8 / 428 أم

⁴ العين 5 / 166 قبل

⁵ المصدر السابق 4 / 320 خطف

مفهوم النصب عند الخليل "ضد الرفع في الإعراب"¹؛ ولأنه أكثر علامات الإعراب استعمالاً في النحو العربي، قال الخليل عنه: "النصب خزانة النحو والبصرة خزانة العرب؛ أي معولهم عليه أكثر من سائرهم، النصب في الحال، والقطع، والوقف، وإضمار الصفات"².

وكما هو الحال في الرفع يطلق الخليل النصب لقباً للكلمات المبنية والمعربة على حد سواء، فيستعمل مصطلح النصب للفتح، فيقول: "أين وقت من الأمكنة، تقول: أين فلان؟ فيكون منتصباً في الحالات كلها"³، وقال في (سياح): "يجوز في السين النصب والكسر"⁴، وقال الخليل في فتح الحرف الثاني في التصغير: "وجميع التصغير صدره مضموم، والحرف الثاني منصوب، ثم بعدها ياء التصغير"⁵، وقال في العنصر: أصل الحسب، إنما جاء عن الفصحاء مضموم العين، منصوب الصاد"⁶.

وقد يطلق مصطلح النصب للدلالة على مفهوم إعرابي، كقوله: "والعرب تقول: أفةً له، مؤنثة مرفوعة، لا يقال ذلك إلا بالتثوين، إما مرفوعاً، وإما منصوباً

¹ المصدر السابق 7 / 135 نصب

² المصدر السابق 4 / 209 خزن

³ المصدر السابق 8 / 404 أين

⁴ المصدر السابق 2 / 203 سبع

⁵ المصدر السابق 8 / 143 تاو

⁶ المصدر السابق 2 / 337 عنصر

،والنصب على طلب الفعل ، أْفَنْتُ أَقَاً ¹، وقوله: "وروي عن أبي عمرو إذا جاء الحَزْنُ منصوباً؛ فتحوه؛ أي فتحوا الحاء"².

ومثل قوله: "من قال في جمعه الطَّسَّات، فهذه التاء مع التأنيث بمنزلة التاء التي تجيء في جماعة المؤنث المجرورة في موضع النصب"³.
فالخليل أطلق مصطلح النصب، ليدل على مفهومين: حركة البناء(الفتح)، وعلامة الإعراب.

المطلب الثالث: الجر

استعمل الخليل هذا المصطلح ،بالإضافة إلى استعماله لمصطلح الخفض ،ومفهوم الخفض عنده: نقيض الرفع⁴، وهو خاصية من خصائص الأسماء، يطلقه أحياناً كمفهوم إعرابي، وأحياناً أخرى كمفهوم بنائي، فمثال استعماله لمصطلح الخفض كعلامة إعراب قوله: "إذا أَلْقَيْت عليه (من) صار في حد الأسماء، كقولك: من بعد زيد، فصار (من) صفة وخفض (بعد) ؛لأن (من) حرف من حروف الخفض"⁵.

ومثال استعماله لمصطلح الخفض كعلامة بناء؛ لضبط بنية الكلمة، قوله :
"وعلو كل شيء أعلاه، ترفع العين وتخفض"⁶، وقال: "معنى قَطْنِي: كفاني ،النون

¹ المصدر السابق 410/8 أف

² المصدر السابق 160/3 حزن

³ المصدر السابق 7 /182 طست

⁴ العين 178/4 خفض

⁵ المصدر السابق 166/5 قبل

⁶ المصدر السابق 246/2 علو

في موضع النصب، مثل: نون كفاني؛ لأنك تقول: قَطَّ عبد الله درهم، وقال أهل البصرة: الصواب فيه الخفض، على معنى حسب زيد، وكفي زيد¹. وهذا الاضطراب في المفاهيم يطال الجر أيضاً، فهو يستعمله مصطلحاً تارة للبناء، وتارة للإعراب، فقال عن حذام وهي المبنية على الكسر إنها: "جرتها العرب في موضع الرفع والنصب، وكذلك فَجَارٍ وفساقٍ وخبَاثٍ، ولم يلقوا عليها صرف الكلام؛ لأنه نعت مؤنث معدول عن جهته، وهي: حَادِمَةٌ وفاجرةٌ وفاسقةٌ وخبينةٌ، فلما صرف إلى فَعَالٍ كسرت أواخر الحروف؛ لأنهم وجدوا أكثر حالات المؤنث الكسر، كقولهم: أنتِ عليكِ إليك، وفيه قول آخر يقال: لما صرف عن جهته حمل على إعراب الأصوات والحكايات والزجر ونحوه مجروراً².

ومثل ذلك قوله: "الحَوْبُ زجر البعير ليمضي، وللناقة حلٍ والعرب تجره، ولو رفع أو نصب لجاز؛ لأن الزجر والأصوات والحكايات تحرك أواخرها على غير إعراب لازم، وكذلك الأدوات التي لا تتمكن في التصريف، فإذا حول منه شيء إلى الأسماء حمل عليه الألف واللام، وأجري مجرى الاسم³، وكقوله في القط: "وأما القطُّ الذي في موضع ما أعطيته إلا عشرين درهماً قط، فانه مجرور؛ فرقاً بين الزمان والعدد⁴.

فأطلق مصطلح الجر لمفهوم البناء على الكسر، وقد يستعمله لقباً إعرابياً للكلمات المعربة، فقال: "وقد يقال للإنسان حَلَا يَحْلُو حُلُوًّا: إذا لزم مكانه فلم يبرح

¹ المصدر السابق 14/5 قط

² المصدر السابق 3/ 204 حذم

³ المصدر السابق 3/ 310 حوب

⁴ المصدر السابق 5/ 15 قط

،وما في الدار خلا زيداُ نصب وجر، فإذا أدخلت (ما) فيه، لم تجر؛ لأنه قد بين الفعل وما أردت مساءتك خلا أي وعظتك؛ أي إلا أي وعظتك".¹

فمصطلحي الجر والخفض يطلقهما لقباً للكلمات المعربة والمبنية على حد سواء، وكذلك مصطلح الكسر، فنجده يعبر بالكسر والجر في نفس الموضع عن مفهوم بنائي، فقال: "ورجل نَحِبٌ في معنى منخوب من الجبن، الخاء مكسورة، ويقال للمنخوب: النَّحِبُ، النون مجرورة، والخاء منصوبة، والباء شديدة، والجميع منخوبون، ويقال في الشعر: على مَنَاجِبٍ".²

فيطلقها على الحروف التي تشكل بنية الكلمة، وقد كثر مثل هذا لديه في معظم كتابه، وقد يعبر به عن مفهوم إعرابي، فقال في (هو دافِي): "وخفف وكسر على كسرة دافِفٍ، وحذف الفاء"³

وقد يطلقه على مفهوم البناء، إذ يقول: "أمسٍ ظرف مبني على الكسر، وينسب إليه إمسيٌّ".⁴

واستعماله لمصطلح الكسر كمفهوم بنائي أكثر من استعماله كمفهوم إعرابي، ويرى د. مهدي المخزومي أن (الجر) و(الخفض) من مصطلحات الخليل بن أحمد، "إلا أن الكوفيين توسعوا في الخفض، فاستعملوه في الكلمات المنونة وغير المنونة، بعد أن كان الخليل لا يستعمله إلا في المنون، وأن البصريين نقلوا الجر من كونه حركة يستعان بها. عند الخليل. على التخلص من التقاء الساكنين،، في نحو: لم

¹ العين 308/4 خلى

² المصدر السابق 279/4 نخب

³ المصدر السابق 11 /8 دف

⁴ المصدر السابق 225 /7 أمس

يذهب الرجل، إلى كونه حركة خاصة بالأسماء المعربة، سواء أكانت منونة أم غير منونة¹.

وقد اعتمد في رأيه هذا على ما أورده الخوارزمي في مفتاح العلوم،² والحقيقة أن الخليل توسع في استعمال مصطلحي: (الجر) و(الخفض) أكثر مما ذكره الخوارزمي والمخزومي، والناظر في كتاب العين يدرك ذلك، وقد ذكرنا أمثلة لذلك.

المطلب الرابع: الجزم

يذكر الخليل مفهومًا للجزم عند تعرضه لشرح مدلول لفظ (جزم) وهو: "الحرف إذا سكن آخره"³، ولكننا نجد في ثنايا المعجم يعبر بهذا المصطلح عن مفهومين: علامة الإعراب، وسكون البناء لضبط عين الكلمة أو لامها، ومن أمثلة استعماله كمفهوم بنائي قوله: "وبلغنا في تفسير طه مجزومة؛ أنه بالحشوية يا رجل"⁴، ومن ذلك قوله: "والشَّنْفُ مجزوم ومتحرك: معلاق في قوف الأذن؛ أي في أعلى الأذن"⁵. ومن أمثلة إطلاقه كمفهوم إعرابي قوله: "وإنما يقاس حرف التضعيف على الحركة والسكون بالأمثلة من الفعل، فحيثما سكنت لام الفعل فأظهر حرفي التضعيف على ميزان ما كان في مثاله، نحو قولك للرجل في الأمر: افعل مجزومة اللام، فتقول في باب التضعيف غُضِّي وقرِّي وإني وجدي، فإذا تحركت لام الفعل فمثال ذلك من التضعيف مدغم الحرفين يقال للمرأة: افعلي فتحركت اللام، قلت:

¹ مدرسة الكوفة ص 311

² ينظر مفتاح العلوم ص 66

³ المصدر السابق 6/73 جزم

⁴ العين 3/347 طه

⁵ المصدر السابق 6/297 شنف

غضي وقرى وإني وجدي ،فهذا قياس المجزوم كله في باب التضعيف¹، وقوله: "والفعل يَرَّ يَبْرُ يَبْرَأُ، وتقول في الجزم: يَبْرُ"².

ولعل اضطراب مصطلحات ومفاهيم الإعراب والبناء عند الكوفيين مرجعه إلى تأثرهم بالخليل، فقد ذكر النحاة استعمالهم مصطلحات الإعراب للبناء ، وعلى العكس، فقال ابن يعيش(ت643هـ): "واعلم أنّ سبويه فصل بين ألقاب حركات الإعراب وألقاب حركات البناء... وقد خالفه الكوفيون"³ ، وقال الرضي (686هـ): "وأما الكوفيون فيذكرون ألقاب الإعراب في المبني وعلى العكس ولا يفرقون بينهما"⁴ وقال في موضع آخر: "والكوفيون يطلقون ألقاب أحد النوعين على الآخر مطلقاً"⁵. مطلقاً"⁵.

وعلل د. شوقي ضيف ذلك برغبتهم في مخالفة البصريين⁶، وتبعه عوض القوزي في المصطلح النحوي⁷، ولكن الناظر في معجم العين يدرك أن أغلب مصطلحات الكوفيين هي من ابتكار الخليل، ولا غرابة في ذلك فعلى يديه تتلمذ الكوفيون.

ويذكر د. مهدي المخزومي أن علامات الإعراب هي من نتاج الخليل، فلم تكن قبله إلا نقطا توضع فوق الحرف أو تحته أو بين يديه، على الشكل الذي

¹ المصدر السابق 8 /399 أن جزم

² المصدر السابق 8/305 يبرر

³ شرح المفصل 1/ 72

⁴ شرح الكافية 2/ 399،

⁵ المصدر السابق 1 / 71

⁶ المدارس النحوية ص 168

⁷ ص 196

وضعها عليه أبو الأسود، والخليل هو الذي وضع لها مصطلحاتها، فقال د. المخزومي: "وقد سمى الخليل هذه العلامات بأسماء، هي نفس الأسماء التي أخذ بها الكوفيون لولا اختلاف في نطاق استعمالها"¹.
ولعل حداثة تلك المصطلحات عند الخليل هو السبب في اضطراب مفاهيمها عنده، وهذه طبيعة كل أمر جديد؛ لأنه يكون غير واضح المعالم .

المبحث الثاني: المصطلحات المتعلقة بالأسماء

المطلب الأول : التنوين

ذكر الخليل مصطلح التنوين مبيناً وظيفته، وهو التمييز بين الاسم والفعل في قوله: "التنوين يميز بين الاسم والفعل، ألا ترى أنك تقول (تفعل) فلا تجد التنوين يدخلها، وألا ترى أنك تقول: رأيتُ يَدَكَ، وهذه يَدُكَ، وَعَجَبْتُ من يَدِكَ ، فتعرب الدال وتطرح التنوين، ولو كان التنوين هو الإعراب لم يسقط"².
ومن وظيفته تقوية الاسم إذا بقي على حرفين فقال: "وبقيت الخاء . في أخ . على حركتها فجرت على وجوه النحو لقصر الاسم، فإذا لم يضيفوه قووه بالتنوين، وإذا أضافوه لم يحسن التنوين"³، فلا يجتمع التنوين والإضافة في الاسم.

ومثل لتنوين العوض بدون ذكر مصطلحه معللاً سبب تنوين يد ودم وأمثالهما ، بقوله: "وقد تجيء أسماء لفظها على حرفين، وتماهما ومعناها على ثلاثة أحرف ،مثل: يدٍ ودمٍ وقَمٍ؛ وإنما ذهب الثالث لعله أنها جاءت سواكن وخلقتها السكون ،مثل: ياء يَدِي وياء دَمِي في آخر الكلمة ،فلما جاء التنوين ساكناً اجتمع ساكنان،

¹ مدرسة الكوفة ص257

² العين 51/1 المقدمة

³ المصدر السابق 320/4 خطف

فثبت التتوين؛ لأنه إعراب وذهب الحرف الساكن، فإذا أردت معرفتها فاطلبها في الجمع والتصغير، كقولهم: أيديهم في الجمع، ويُدَيِّة في التصغير¹.
 واستعمل مصطلح الصرف للتعبير عن التتوين أو عدمه، فقال: "ولا يقال: رجل عُذْرٌ ؛ لأن عُدر عندهم في حد المعرفة، وإذا كان في حد النكرة صرف، فتقول: رأيت عُدرًا من الناس"²، وقال: "وكل شيء من موقوف الرجز فإن العرب تنونه مخفوضاً، وما كان غير موقوف فعلى حركة صرفه في الوجوه كلها"³ وقال: "لظى من أسماء جهنم لا ينون؛ لأنها اسم لها وكذلك سقر اسم لها، وأسماء الإناث لا تصرف في المعرفة؛ فرفقا بين الذكر والأنثى"⁴، ومن ذلك قوله: "ومنهم من يصرف ذُفْرَى البعير، فينون؛ كأنهم يجعلون الألف أصلية"⁵، وقوله: "جاءوا مثلى لا يصرف وثئى وثئى أيضا"⁶، وقال عن ابن آوى: "لا يصرف على حال، ويحمل على (أفعل) مثل: أحوى"⁷.

كما عبر عن الصرف و التتوين بمصطلح يجرى ولا يجرى نحو قوله: "الاسم المؤنث في المعرفة لا يجرى، ومصر هي اليوم كورة معروفة بعينها لا تصرف"⁸.

¹المصدر السابق 1/ 50 المقدمة

² المصدر السابق 4/ 390 عُدر

³ المصدر السابق 3/ 345 صه

⁴ المصدر السابق 8/ 169 لظى

⁵ العين 8/ 181 ذفر

⁶المصدر السابق 8/ 243 ثئى

⁷ المصدر السابق 8/ 438 أوى

⁸ المصدر السابق 7/ 123 مصر

ورجح الدكتور عوض القوزي زيادة الفراء في استعمال هذا المصطلح ، مدعماً قوله بثلاثة أمور :

"الأول: لأنه هو الذي صنع أكثر مصطلحات الكوفيين.

الثاني: لأنه عقد له باباً خاصاً في كتابه (الحدود النحوية).

الثالث: لاستعماله هذا المصطلح كثيراً"¹.

ومن الواضح أن هذا المصطلح من ابتكار الخليل، فهو أول من استعمله.

أما مصطلح التتوين فقد ظهر على يد تلاميذ أبي الأسود وبالتحديد نصر بن عاصم(89هـ)، وساهم الخليل في تثبيت هذا المصطلح والتمييز بينه وبين الغنة، ثم بينه وبين النون"²، فالغنة عنده: "صوت فيه ترخيم نحو الخياشيم يغور من نحو نحو الأنف يعون من نفس الأنف"³.

وعلى العموم فإن مصطلح التتوين والصرف مازالا مستعملين إلى يومنا هذا في

حين اختفى ذكر مصطلح يُجرى ولا يُجرى.

المطلب الثاني: الجمع

استعمل الخليل مصطلح الجمع والجميع والجماعة وجمع الجمع للدلالة على

هذا المعنى، فمثال مصطلح الجمع قوله: "الصحف جمع الصحيفة يخفف ويتقل،

مثل :سفينة وسفن نادران، وقياسه: صحائف وسفائن"⁴،ومثال مصطلح الجميع

قوله: "وإنما أرادوا بها(التي) الألف واللام المعرفة،والجميع اللاتي واللواتي جمع

¹ المصطلح النحوي نشأته وتطوره ص166

² المرجع السابق ص46

³ العين 248/4 غن

⁴ المصدر السابق 3 /120صف

اللاتي"¹، ومثال مصطلح الجماعة قوله: "البيض معروف، ودجاجة بيوض، وهن بيوض، للجماعة مثل: حُيِدَ جمعُ حَيُود، وهي التي تحيد عنك"²، وقوله: "الضَّبَعان الذكر من الضباع، ويجمع على ضِبْعانات، لم يرد بتاء التأنيث إنما هو مثل قولك: فلان من رجالات الدنيا، قال الخليل: كلما اضطروا إلى جماعة فصعب عليهم، واستقبح ذهبوا به إلى هذه الجماعة، تقول: حمام وحمامات، كما يقولون: فلان من رجالات الدنيا"³، ومثال مصطلح جمع الجمع قوله: "الإثناء ممدود واحد الآنية والأواني جمع الجمع، جمع فِعال على أفعلة، ثم جمع أفعلة على أفاعل"⁴. و قوله: "جمع الأهل أهلون وأهلات، والأهالي جمع الجمع، وجاءت الياء التي في الأهالي من الواو التي في الأهلون"⁵.

كما عبر عن جمع المذكر السالم بالجمع بالنون أو بالجمع بالواو والنون، أو بالواو واستعمل مصطلح العدد بالتاء، وجماعة المؤنث؛ للتعبير عن جمع المؤنث السالم، فقال في مصطلح الجمع بالنون: "المقاتية هم الخدام، والواحد مقتوي، وإذا جمع بالنون خفف، فقول: مَقْتَوُونَ، وفي الخفض مَقْتَوِينَ، مثل: أشعرين"⁶. وقال في مصطلح الجمع بالواو والنون: "فكانت الذال في (الذي) مفردة في (اللذ) ، فلما قويت بالياء ثم جمعت بالواو والنون ، غلبت الياء والواو فثبتت وأزلت

¹ المصدر السابق 8/ 142 باب الليف من التاء

² المصدر السابق 7/ 68 بيض

³ العين 284/1 ضبع

⁴ المصدر السابق 8/ 402 أنا

⁵ المصدر السابق 4/ 89 أهل

⁶ المصدر السابق 5/ 199 قنو

الواو عن موضعها"¹، ومثال استعماله مصطلح الجمع بالواو قوله: "إن قال قائل ألا قالوا: اللذو، والجميع بالواو، فقل أن الصواب ذلك في القياس"²، وقال في مصطلح العدد بالتاء: "والفَقَارَةُ والفِقْرَةُ ويجمعان الفَقَارُ والفِقْرُ، والعدد بالتاء فِقْرَاتٌ"³، ومن أمثلة استعماله مصطلح جماعة المؤنث قوله: "ومن قال في جمعه: الطَّسَات، فهذه التاء مع التأنيث بمنزلة التاء التي تجيء في جماعة المؤنث المجرورة في موضع النصب"⁴.

المطلب الثالث: الضمير

استعمل الخليل مصطلح كناية للدلالة على هذا المصطلح، فقال: "وأما هو فكناية التذكير، وهي كناية التأنيث"⁵، وقال:

" يا حسنه عبد العزيز إذا بدا يومَ العروبة واستقر المنير⁶

كنى عن عبد العزيز قبل أن يظهره ثم أظهره"⁷.

ونجد بين المصطلحين مناسبة في المعنى؛ قال الخليل: "الإكنان ما أضمرت في ضميرك، قال الله عز وجل: ﴿أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾⁸ يعني الضمير¹، وقال: وقال: "كنى فلان يكنى عن كذا وعن اسم كذا إذا تكلم بغيره"².

¹ المصدر السابق 8 / 210 نو

² المصدر السابق 8/209 نو

³ المصدر السابق 5 / 150 فقر

⁴ المصدر السابق 7/182 طست

⁵ المصدر السابق 4 / 105 هوى

⁶ -البيت من الكامل، بلا نسبة في العين 2/128 عرب، ومقاييس اللغة لابن فارس 4/301 عرب

⁷ العين 2/128 عرب

⁸ سورة البقرة: 235

ورغم أن دلالتها واحدة عند الكوفيين إلا أن استعمال مصطلح كناية ومكنى أكثر شيوعاً بينهم، قال ابن يعيش: "لا فرق بين المضمرة والمكنى عند الكوفيين، فهما من قبيل الأسماء المترادفة فمعناها واحد، وإن اختلفا من جهة اللفظ، وأما البصريون، فيقولون: المضمرة نوع من الكنايات، فكل مضمرة مكنى، وليس كل مكنى مضمرة".³

فالكنايات أعم من المضمرة عند البصريين؛ لذلك يدرج الخليل أسماء الإشارة ضمن مصطلح كناية، فقال: "وأما **ذِه** و**ذِي** و**ذَا** في هذه وهذي وهذا فأسماء مكنيات، وليس في البناء فيها غير **الذال** و**الألف** التي بعدها زائدة".⁴ ويستعمل الخليل مصطلح المضمرة للدلالة على حذف الفعل، فيقول: "وقوله: مرحباً؛ أي انزل في الرحب والسعة، قال الليث: وسئل الخليل عن نصبه، فقال: فيه كمين الفعل أراد انزل أو أقم، فنصب بفعل مضمرة، فلما عرف معناه المراد أميت الفعل"، وقال: "قال الأعشى:

قالوا البقية والهندي يحددهم ولا بقية إلا الثأر فأنكشفوا⁵

نصب البقية بفعل مضمرة أي ألقوا".⁶

¹ العين 282/5 كن

² المصدر السابق 5 / 411 كني

³ شرح المفصل 2 / 292

⁴ العين 8 / 209 ذو

⁵ البيت من البسيط للأعشى في ديوانه ص123، وفي العين 3 / 112 حصد، وفي اللسان

151/3 حصد

⁶ العين 3 / 112 حصد

وقد يكون المحذوف اسماً كقوله: "وأما قولك قد أسرع فإنه فعل مجاوز يقع معناه مضمرًا، على مفعول به، أي أسرع المشي وغيره؛ لمعرفته عند المخاطبين استغني عن إظهاره، فأضمر"¹.

المطلب الرابع: الظرف

عبر الخليل عن هذا المصطلح بمصطلح الصفة، مستعملًا إياهما معًا كما في قوله: "الصفات نحو: أمام وقدام تسمى ظروفًا، تقول: خلفك زيد إنما انتصب؛ لأنه ظرف لما فيه وهو موضع لغيره"² و قوله: "عند حرف الصفة، فيكون موضعاً لغيره ولفظه نصب؛ لأنه ظرف لغيره"³.

وقد يكتفي بذكر أحدهما دون الآخر، كما في قوله: "أمس ظرف مبني على الكسر"⁴ و قوله: "الْفَوْقُ نقيض التحت، وهو صفة واسم، فإن جعلته صفة نصبته، فقلت: تحت عبد الله، وفوق زيد، نصب؛ لأنه صفة، وإن صيرته اسماً رفعت، فقلت: فَوْقَهُ رأسه، صار رفعا ههنا؛ لأنه هي الرأس نفسه رفعت كل واحد منهما بصاحبه"⁵.

والصفة لغة: من الوصف، يقال: "وصف الشيء له وعليه وصفاً وصفة حلاه

"⁶.

¹ المصدر السابق 330/1 أسرع

² المصدر السابق 157/8 ظرف

³ العين 43/2 عند

⁴ المصدر السابق 325/7 أمس

⁵ المصدر السابق 224/5 فوق

⁶ لسان العرب 356/9 وصف

ونسب ابن السراج (ت 316 هـ) مصطلح الصفة إلى الكسائي فقال: "وأعلم أن الأشياء التي يسميها البصريون ظرفاً يسميها الكسائي صفة، والفراء يسميها محال".¹

والذي أراه أن استعمال الخليل لمصطلح الصفة، خص به الظروف المكانية، نحو: أمام، وقدام، وخلف، وفوق، عند، أما الظروف الزمانية، الساعة، والعشية، واليوم، والبارحة، وأمس؛ فأطلق عليها تارة مصطلح الوقت من الزمان، فقال: "والحين وقت من الزمان، تقول: حان أن يكون ذلك يَحِينُ حَيْثُوتَةً"²، وقال: "والمذهبُ يكون مصدراً كالذهاب، ويكون اسماً للموضع، ويكون وقتاً من الزمان"³، وتارة يستعمل مصطلح الظرف إذ قال: "أمس ظرف مبني على الكسر، وينسب إليه إمسي".⁴

وقد يطلق على الظروف المكانية مصطلح الوقت من الأمكنة، فقال: "أين وقت من الأمكنة، تقول: أين فلان؟ فيكون منتصباً في الحالات كلها".⁵

وقد وجد اصطلاح الظرف طريقه إلى كتب المتأخرين، ولم يكن ذلك إلا لكونه أدق في الاستعمال من غيره.

المطلب الخامس: الحال

¹ الأصول 1/204

² العين 3/304

³ المصدر السابق 4/41

⁴ 7 المصدر السابق / 225 أمس

⁵ المصدر السابق 8/404 أين

ظهر مفهوم هذا المصطلح على يد عيسى بن عمر¹، وقد استعمل الخليل هذا المصطلح، بالإضافة إلى استعماله لمصطلح القطع، إلا أن المتأمل لقول الخليل: "النصب خزانة النحو والبصرة خزانة العرب؛ أي معلوم عليه أكثر من سائره، النصب في الحال، والقطع، والوقف، وإضمار الصفات"²، يلاحظ أنه يريد بالقطع غير الحال، ولو تتبعنا المعنى اللغوي لكل منهما، لوجدنا أن المعنى اللغوي للقطع، ينصب على المخالفة والترك، والفصل، قال الخليل: "قَطَعْتُهُ قَطْعًا وَمَقْطَعًا فَانْقَطَعَ، وَقَطَعْتُ النَّهْرَ قُطُوعًا... وَأَقْطَعْتِي نَهْرًا وَنَحْوَهُ، وَأَقْطَعْتُ فُلَانًا: أَي جَاوَزْتُ بِهِ نَهْرًا وَنَحْوَهُ... وَالْفَرَسَ الْجَوَادَ يَقْطَعُ الْخَيْلَ تَقْطِيعًا إِذَا خَلَّفَهَا وَمَضَى... وَيُقَالُ لِقَاطِعِ الرَّحِمِ: إِنَّهُ لَقُطِعَ وَقُطِعَتْ، مِنْ قَطَعَ رَحِمَهُ، إِذَا هَجَرَهَا"³.

وقال الخليل: " وحال الشيء يحول حوولاً في معنيين: يكون تغييراً ويكون تحويلاً، وحولت كسائي إذا جعلت فيه شيئاً، ثم حملته على ظهري، والاسم الحال، والحائل كل شيء يتحرك من مكانه، أو يتحول من موضع إلى موضع، ومن حال إلى حال، والحال تؤنث فيقال: حال حسنة، وحالات الدهر وأحواله: صروفه، والحال: الوقت الذي أنت فيه"⁴.

فالمعنى اللغوي للحال لا يبتعد كثيراً عن القطع، فكلاهما يفيد التغيير والتحويل، فالمقصود من القطع قطع الكلمة عما قبلها في الإعراب، وفي معنى

¹ ينظر طبقات فحول الشعراء 20/1

² العين 209/4 خزن

³ العين 137.136.135/1 قطع

⁴ h المصدر السابق 298/3 . 299 حول

القطع قال ابن السراج : "ومعنى القطع أن يكون أراد النعت ، فلما كان ما قبله معرفة وهو نكرة ، انقطع منه وخالفه"¹؛ أي قطع عن التبعية إلى النصب .
وقد سمي الخليل الحال قطعاً ؛ لأنه لم يتابع صاحبه في حركة إعرابه، وسُمي الحال حالاً باعتباره وصفاً يبين هيئة وحالة صاحبه .

ومن أمثلة استعمال مصطلح الحال في العين قول الخليل: " الفرصاُءُ شجر معروف ، وأهل البصرة يسمون الشجرة فرصاداً ، وحمله التوت وأنشد:

كأنما نَفْضَ الأحمالِ ذاويةً **على جَوانبِهِ الفرِصاُءُ والعنب**²

...ذواوية نصب على الحال والعنب كذلك، شبه أبعاد البقر بحب الفرصاد والعنب"³، ومن أمثلة القطع قوله:

دَاوَتَ لَهُ لِتَأْخُذَهُ **فَهَيْهَاتَ الفَتَى حذراً**⁴

نصب حذراً على القطع".⁵

ويحتاج هذا المصطلح إلى دراسة مزيد من الأمثلة لمعرفة الفرق بينه وبين الحال، وهذا يستلزم إفراده ببحث مستقل، وربما يكون عدم وضوحه سبباً في اضمحلاله رغم شيوعه لفترة عند الكوفيين، الذين انتقوه من الخليل، وسيادة مصطلح (الحال) إلى وقتنا الحالي.

¹أصول النحو 216/1

² البيت من البسيط بلا نسبة في العين 7 / 179.178 فرصد، والتتهذيب 189/12 فرصد، واللسان 334 /3 فرصد

³العين 7 / 179.178 فرصد

⁴البيت من مجزوء الوافر بلا نسبة في العين 8/95 دأى، والتتهذيب 14/160 دأو

،والصاحح 6/2265 أدا، واللسان 14/24 أدا

⁵العين 8/95 دأى

المبحث الثالث: (المصطلحات المتعلقة بالأفعال والحروف)

أولاً: المصطلحات المتعلقة بالأفعال .

أ . المصطلحات المتعلقة بأزمنة الفعل:

استعمل الخليل للتعبير عن أزمنة الفعل المصطلحات الآتية :

المطلب الأول : الماضي ومضى

الماضي لغة من مضى ، وَمَضَى الشيءُ يَمْضِي مَضِيًّا. ومضاء ومضوا : خلا

وذهب¹

وأطلق الخليل هذا المصطلح مريداً به الفعل إذا كان على وزن فعل، نحو قوله:

"وأهل النحو يقولون: . في عسى . هو فعل ناقص، ونقصانه أنك لا تقول منه فعل

يفعل، و (ليس) مثله ألا ترى أنك تقول: لست ولا تقول: لاس يليس ،وعسى في

الناس بمنزلة لعلّ ،وهي كلمة مطمعة ،ويستعمل منه الفعل الماضي ،فيقال: عَسَيْتَ

وعَسَيْنا وَعَسَوْا وَعَسَيْا وَعَسَيْنَ - لغة - وأميت ما سواه من وجوه الفعل، لا يقال

يفعل ولا فاعل ولا مفعول"².

وسمي الفعل الماضي: ماضياً؛ لوقوعه في الزمان الماضي، و هو مصطلح

مشترك بين البصريين والكوفيين.

المطلب الثاني: الفعل الغابر والحاضر والمستقبل

استعمل الخليل للتعبير عن الفعل المضارع مصطلح الغابر نحو قوله: "ومنهم

من يقول في الماضي: رأيت في معنى ظننت، وهو خُلْفٌ في القياس، كيف يكون

¹ ينظر العين 71/7 مضى، واللسان 283/15 مضى

² المصدر السابق 200/2. 201 عسى

في الماضي معروفاً، وفي الغابر مجهولاً من فعل واحد في معنى واحد¹، وقوله: "ولكن العرب لما حذفوا هَمْزَةَ يُؤْفَعِلُ كان في ضمه بيان وفصل بين غابر (فَعَل) و (أَفْعَل) ، (بضمة الياء وفتحها) فأمنوا اللبس، واستخفوا ذلك، فتركوا الهمزة"²، وقوله: "أنكرته إنكاراً، ونكرته (ماضي ثلاثي) لغة لا يستعمل في الغابر، ولا في أمر ولا نهي ولا مصدر"³.

وإذا بحثنا عن المعنى اللغوي لكلمة (غابر) في المعاجم العربية، لوجدنا " أن الغابر الباقي، والغابر الماضي وهو من الأضداد"⁴، وهذا المعنى ذكره الخليل فقال: "عَبَّرَ الرجل يَعْْبُرُ عُبُوراً؛ أي مكث، والغابر في النعت كالماضي، وغبر الليل آخره... والغابر الباقي من قوله تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾"^{5 6}.

لهذا يجوز أن نطلقه على (الفعل الماضي) و(المضارع) الذي عبر عنه الخليل بمصطلح (الفعل المستقبل)، و(الحاضر) إلا أن الخليل أطلقه مصطلحاً على المضارع، وخاصة المجزوم بلم؛ لأن الجزم بها يقلب زمن الفعل إلى الماضي، فيتحقق فيه المعنيين، إذ يوافق لفظه المضارع، ومعناه معنى الماضي؛ ولهذا قال الخليل: " ولم: عزيمة فعلٍ قد مَضَى، فلما جعل الفعل معها على حد الفعل الغابر جزم، وذلك قولك: لم يَخْرُجْ زيدٌ، وإنما معناه لا خرج زيد، فاستقبحوا هذا اللفظ في الكلام، فحملوا الفعل على بناء الغابر، فإذا أعيدت لا ولا مرتين أو أكثر حسن

¹ المصدر السابق 8 / 311

² المصدر السابق 8 / 245 ثقي

³ المصدر السابق 5 / 355

⁴ اللسان 5 / 3

⁵ سورة الصافات / 135

⁶ العين 4 / 413. 414 (غير)

حينئذ ،لقول الله عز وجل: ﴿ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴾¹؛ أي لم يصدق ولم يصل² و قوله: " والعرب لا تقول : وَدَعْتُهُ ، فأنا وادع في معنى تركته، فأنا تارك، ولكنهم يقولون في الغابر: لم يدع وفي الأمر دعه، وفي النهي لا تدعه"³.
ولعل اندثار هذا المصطلح يرجع إلى عدم دقة مفهومه، فهو من الأضداد؛ لأن الاشتراك والتضاد يؤدي إلى وقوع اضطراب بين المفاهيم، فيجب أن نبتعد عنه في وضع المصطلحات.

أما مصطلح الفعل المستقبل فقد تلقفه الكوفيين من الخليل، وشاع عندهم⁴، ومعناه لمستقبل الزمان ومستأنفه، فالمعنى اللغوي يوافق المعنى الاصطلاحي، قال أبو منصور الأزهري: " قَبَلْتُ الشَّيْءَ ودبرته: إذا استقبلته أو استدبرته. وقابل عام ودابر عام. فالدَّابِر: المَوْلَى الَّذِي لَا يَرْجِع. والقابل: المُسْتَقْبَل"⁵، قال الخليل: " إذ لما مضى ،وقد يكون لما يستقبل وإذا لما يستقبل"⁶، وقال: "قولهم: ما زيل فلانٌ يَفْعَلُ ذلك لا يُرادُ به مَعْنَى مَفْعُولٍ مجهول، ولكن يُرادُ به معنى فَعَلَ فكسروا الزَّاي مع الياء، وبيان ذلك أنهم لا يقولون في المستقبل ما يُزالُ، ولكن يَرُدُّونه إلى يَزَالُ"⁷.

¹ سورة القيامة/ 31

² العين 321/8 لم

³ المصدر السابق 224/2 ودع

⁴ المدارس النحوية ، خديجة الحديثي ص 284

⁵ العين 138/9 قبل

⁶ المصدر السابق 8 / 204 باب الليف من الذال

⁷ العين 7 / 387 زيل

ولم يقتصر الخليل على استعمال هذا المصطلح فقط بجانب مصطلح (الفعل الغابر)، بل هنالك مصطلح آخر يطلقه على المفهوم نفسه، وهو مصطلح الحاضر، من ذلك قوله: "والعرب قد أماتت المصدر من (يَدْرُ) والفعل الماضي، واستعملته في الحاضر والأمر".¹

إلا أن المدلول الزمني مختلف لكل من هذه المصطلحات، فمدلول الحاضر يدل على الحال، ويقابل الفعل الماضي، والفعل المستقبل عند الكوفيين يدل على الاستقبال دون الحال، أما عند البصريين فيدل على الحال والاستقبال²، وقال ابن السراج: " فإذا قلت: سيفعل أو سوف يفعل دل على إنك تريد المستقبل، وترك الحاضر على لفظه؛ لأنه أولى به"³.

المطلب الثالث: الفعل الأمر

مفهوم الأمر عند الخليل نقيض النهي⁴، وقد استعمل هذا المصطلح مريداً به الأمر بصيغة (افعل) نحو قوله: وإذا أمرت من الأمر قلت: أوْمُر يا هذا، فيمن قرأ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾⁵، لا يقال: أوْمُر ولا أوْخُذ منه شيئاً، ولا أوْكل، إنما يقال: مُرْ وَخُذْ وَكُلْ في الابتداء بالأمر؛ استنقالاتاً للضمتين، فإذا تقدم قبل الكلام واو أو فاء قلت: وأْمُرْ، فأْمُرْ، كما قال عز وجل: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾⁶.

¹ العين 196/8 وذر

² ينظر مصطلحات النحو الكوفي، عبد الله الخثران ص 74. 75

³ الأصول 39/1

⁴ العين 297/8 أمر

⁵ سورة طه/132.

⁶ العين 297/8 أمر

ومن ذلك قوله: "فأما أهل الحجاز فيكسرون الظاء على كسرة اللام التي أقيت، فيقولون: ظَلْنَا وَظَلُّنْمْ، والمصدر الظلول، والأمر منه ظَلَّ وَاطْلَلْ، وقال الله - جل وعز -: ﴿ ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾، وقرئ: ﴿ ظَلَّتْ عَلَيْهِ ﴾¹،² ومن استعمال هذا المصطلح قوله: "المهاتاه من قولك: هات، يقال: اشتقاقه من (هَاتِي يُهَاتِي) الهاء فيه أصلية، ويقال: بل الهاء في موضع قطع الألف من آتى يُوَاتِي، ولكن العرب أماتوا كل شيء من فعلها إلا (هَاتِ) في الأمر، وقد جاء في الشعر قوله: لله ما يعطي وما يهاتي؛ أي ما يأخذ"³.

كما أطلق الخليل هذا المصطلح على الاسم الدال على طلب الفعل، وهذا ما يسميه النحاة باسم الفعل، نحو قوله: "(حَذَارٍ من أرماحنا حَذَارٍ) جرت للجزم الذي في الأمر وأنت؛ لأنها كلمة يقال: سمعت حذار فيعسكرهم ودعيت نزال بيئهم"⁴.

ب . المصطلحات المتعلقة بتعدي الفعل ولزومه:

واستعمل الخليل للتعبير عن تعدي الفعل ولزومه المصطلحات الآتية:

المطلب الأول: الفعل المجاوز

استعمله الخليل للتعبير عن الفعل المتعدي، نحو قوله: "ورَدَّمْتَهُ أَرْدُمُهُ ، وقل ما يستعمل إلا بفعل مجاوز"⁵.

¹ سورة طه، 97. وقراءة ﴿ ظَلَّتْ ﴾ بكسر الظاء هي قراءة ابن مسعود وقتادة والأعمش بخلاف عنه ، وأبو حيوة وابن أبي عبيدة وابن يعمر بخلاف عنه. البحر المحيط 379/7 .

² العين 149/8 ظل،

³ المصدر السابق 80/4 هتي،

⁴ العين 200/3 حذر

⁵ المصدر السابق 185/8 رذم

وجعل في مقابله اللازم نحو قوله: " الوقف مصدر قولك: وقفت الدابة، ووقفتُ الكلمةَ وقفاً، وهذا مجاوز، فإذا كان لازماً قلت: وقفتُ وقفاً" ¹، وقوله: "كف الرجل عن أمر كذا يكفُّ كفاً، وكففته كفاً، اللازم والمجاوز مستويان" ² وقوله: " الدُّهُنُ: الاسم. والدَّهْنُ: الفعل المجاوز، والادَّهَانُ الفعل اللازم" ³.

كما جعل في مقابله غير المجاوز، نحو قوله: " رَحَبَ الشَّيْءُ رُحْباً وَرَحَابَةً... وقال نصر بن سيار: أَرَحْبُكُمُ الدخول في طاعة الكِرْمَانِي؛ أي أَوْسَعِكُمْ؟ هذه كلمة شاذة على فعل مجاوز، وفعل لا يجاوز أبداً" ⁴.

وتسمية الفعل المتعدي بالمجاوز للمعنى المشترك بينهما، فالمتعدي في اللغة اسم فاعل من الفعل تعدى، بمعنى تجاوز، يقول الخليل: " عدا يعدو عدواً وعدواً، مثقلة، وهو التعدي في الأمر، وتجاوز ما ينبغي له أن يقتصر عليه" ⁵، وعدى تعدياً؛ تعدياً؛ أي جاوز إلى غيره... وتقول للفعل المجاوز يتعدى إلى مفعول بعد مفعول، والمجاوز مثل: ضرب عمرو بكرةً" ⁶، فالخليل يرجع إليه الفضل في وضع هذا المصطلح ووضع مفهوم له، وقد تابعه الكوفيون في استعمال هذا المصطلح.

¹ المصدر السابق 223/5 وقف

² المصدر السابق 283/5 كف

³ المصدر السابق 27/4 دهن

⁴ المصدر السابق 215/3 رحب

⁵ المصدر السابق 214/2 عدى

⁶ المصدر السابق 215/2 عدى

كما استعمل مصطلح التعدي فقال: " فأما الترائي في الظن فإنه فعل قد تعدى إليك من غيرك ، فإذا جعلت ذلك في الماضي وأنت تريد به معنى ظننت قلت: رُئِيتُ ¹"

ومصطلح المتعدي من المصطلحات النحوية البصرية التي شاع استعمالها عند النحاة المتأخرين، ويقابله اللازم .

المطلب الثاني: الفعل الواقع

استعمل الخليل هذا المصطلح للتعبير عن مفهوم التعدية، نحو قوله: " لا تحرك مصدره؛ لأنه فعل واقع، ومثل: هذا لا يحرك مصدره، وأما وأما عَجَلَ عَجَلًا وَنَدِمَ نَدَمًا فَيَحْرَكُ؛ لأنك لا تقول: عَجَلْتُ الشيء ولا نَدِمْتُه؛ لأن هذا فعل غير واقع ²"، وقوله: " وكل فعل واقع لا يحرك مصدره نحو: الطَّعْمُ، لأنك تقول: طَعِمْتُ الطَّعَامَ ، وما لم يقع يحرك مصدره، مثل: نَدِمَ، لأنك لا تقول: نَدِمْتُ الشيء ³." واستعمل هذا المصطلح علماء الكوفة كالكسائي والفراء؛ للتعبير عن مفهوم التعدية أيضاً.

وبعد فإن تناول الخليل لمصطلحات النحو على هذا النحو يبين مدى معرفته الدقيقة باللغة، وكيفية التعبير عنها، فأطلقه مصطلح الواقع لكون الفعل المتعدي واقعاً على المفعول به.

ثانياً: المصطلحات المتعلقة بالحروف:

المطلب الأول: النفي

¹المصدر السابق 310/8 رأي

²العين 1 / 166لعق

³المصدر السابق 2 / 25 طعم

استعمل الخليل للتعبير عن النفي في الحروف مصطلح الجحد، وقام الكوفيون باستعماله في مصنفاتهم، ومن أمثلة ذلك قوله في (إن): "إن خفيفة حرف مجازة في الشرط وجود بمنزلة (ما) قولك: إن لقيت ذاك؛ أي ما لقيت" وقوله: "وأما ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ ﴾¹، فمن خفف فهو بلغة الذين يخفون ويرفعون، فذلك وجه، ومنهم من يجعل اللام في موضع (إلا)، ويجعل (إن) جحدا على تفسير ما هذان إلا ساحران"² ومن حروف الجحد عنده بالإضافة إلى (إن)، (ما، أما، ولم) يتضح ذلك من قوله: " (ما) حرف يكون جحدا، كقوله تعالى: ﴿ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ﴾³ ومن قوله: " (أما) استفهام جحد، تقول: أما تستحي من الله؟، أما عندك زيد؟"⁵، ومن قوله: " (لم) خفيفة من حروف الجحد بنيت كذلك".⁶

فحروف النفي التي قصر عليها الخليل مصطلح الجحد هي: (ما، ولا، ولم، وإن الخفيفة)، بالإضافة إلى الفعل (ليس) قال الخليل: و" (ليس) كلمة جحد".⁷ وقد يستعمل الخليل المصطلحين معا أو مصطلح النفي لوحده، كقوله: " (لا) حرف ينفي به ويجحد، وقد تجئ زائدة"⁸، وقوله: " وأما (لات) فإنها ينفي بها كما ينفي ب (لا)، إلا أنها لا تقع إلا على الأزمان".¹

¹ سورة طه/ 63

² العين 8/397 أن

³ سورة النساء: 66

⁴ العين 8/434 أما

⁵ المصدر السابق 8 / 435 أم

⁶ المصدر السابق 8 / 213 لم

⁷ المصدر السابق 7 / 300 ليس

⁸ العين 8/349 باب اللغيف من اللام

و"أما (لن) فهي (لا أن)، وصلت لكثرتها في الكلام؛ ألا ترى أنها تشبه في المعنى (لا)، ولكنها تؤكد، تقول: لن يكرمك زيد معناه؛ كأنه يطمع في إكرامه، فنفيت عنه ووكدت النفي بلن، فكانت تؤكد من (لا)".²

و"أما (بلى) (بلى) فجواب استفهام فيه حرف نفي، كقولك: ألم تفعل كذا؟ فتقول: بلى".³

وبين المعنى اللغوي والاصطلاحي مناسبة، فنفي الشيء لغة جَدَهُ⁴، والجحد لغة: "ضد الإقرار كالإنكار والمعرفة"⁵، فهو إنكار للشيء مع العلم به، فيسمى الكلام بالنفي والجحد إذا كان النافي كاذباً، ويقتصر على تسميته بالنفي إذا كان النافي صادقاً، "فكل جحد نفي، وليس كل نفي جحداً".⁶

ويرى الدكتور مهدي المخزومي أن الجحد مصطلح "يساير روح اللغة أكثر من مصطلح النفي الذي يساير روح الفلسفة"⁷، والصحيح أن الاصطلاحين بتفسيريهما اللغوي يعتمدان على نفس المعنى، واللفظ في كل منهما عربي صحيح، إلا أن النفي أعم معنى، وأوضح تعبيراً؛ لذلك كتب له البقاء؛ "لأنه يشمل أنواع النفي سواء كان النافي صادقاً أم كاذباً، عالماً بصدق حديثه أم غير عالم".⁸

¹ المصدر السابق 8/ 369 لات

² المصدر السابق 8/ 350 لن

³ المصدر السابق 8/ 340 بلو

⁴ اللسان 15/337 نفي

⁵ العين 3/72 جحد

⁶ ينظر البرهان في علوم القرآن للزركشي 2/376، ومصطلحات النحو الكوفي ص 147

⁷ مدرسة الكوفة ص 309

⁸ مصطلحات النحو الكوفي ص 149

لمطلب الثاني: حروف الجر

عبر الخليل عن مصطلح الجر بالصفة، من ذلك قوله: "إلى حرف من حروف الصفات"¹، وقوله: " في حرف من حروف الصفات".²

فمصطلح الصفة استخدمه الخليل للدلالة على الظرف المكاني وحرف الجر. وعبر الكوفيون أيضاً بحروف الصفات عن حروف الجر، قال ابن يعيش معللاً سبب التسمية: "وقد يسميها الكوفيون حروف الصفات؛ لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات"³، وقال ابن عقيل (ت 769هـ): "والكوفيون يسمونها حروف الإضافة؛ لإضافتها الفعل إلى الاسم، وحروف الصفات؛ لأنها تحدث صفة في الاسم"⁴.

كما استعمل الخليل مصطلح حروف الخفض فقال: "قولك هو بعد زيد قادم، فإذا ألقيت عليه (من) صار في حد الأسماء، كقولك: من بعد زيد، فصار (من) صفة وخفض (بعد)؛ لأن (من) حرف من حروف الخفض"⁵.

ورغم أن النحويين استعملوا ثلاثة مصطلحات في هذا الباب، إلا أن مصطلح حروف الجر هو السائد اليوم، فهو الأكثر استعمالاً.

المطلب الثالث: الزيادة

¹ العين 356/8 إلى

² المصدر السابق 409/8 في

³ شرح المفصل 454/4.

⁴ المساعد على تسهيل الفوائد 245/2 .

⁵ العين 52/2 بعد

استعمل الخليل للتعبير عن هذا المصطلح مصطلح الصلة، كما استعمل مصطلح الحشو، وإن كان استعماله أقل من سابقه، و"الصلة لغة من وصل الشيء بالشيء وصلًا وصلَّةً، بالكسر والضم، بَلَغَهُ وانتهى إليه، وأوصلَهُ واتَّصلَ لم يَنْقَطِعْ"¹، فمثال استعماله مصطلح الصلة قوله في (ألا): " (ألا) معناها في حال هلا، وفي حال تنبيهه، كقولك: ألا أكرم زيداً، وتكون (ألا) صلة بابتداء الكلام، كأنها تنبيه للمخاطب"²، ومن وصفه لحرف (لا) صلة قوله: "وقوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾³ بمعنى أقسم و(لا) صلة"⁴ ويصفها تارة بالزيادة نحو قوله: و"لا حرف ينفى به ويجدد، وقد تجئ زائدة"⁵. ويعتبر الهاء في (أيها وأيتها) صلة فيقول: "أيها الرجل، الهاء صلة فيه للتأنيبه، وبيان ذلك قولهم: يا أيتها المرأة، لو لم تكن الهاء صلة ما حسن أن يجيء قبلها تاء التأنيث"⁶.

وأشار إلى أن مفهوم اللغو والحشو هو الزيادة، يوضح ذلك من خلال قوله: "والغيت هذه الكلمة أي رأيتها باطلاً، وفضلاً في الكلام وحشواً، وكذلك ما يلغى من الحساب، وفي حديث: إياكم وملغاة أول الليل؛ يريد به اللغو"⁷، وذكر الخثران أن المراد بحروف الزيادة: حروف المعاني في الاصطلاح النحوي، وهي ستة حروف هي: الباء، ومن، وما، وإن، وأن، ولا.¹

¹ ينظر اللسان 11 / 726 وصل

² العين 8 / 353 ألا

³ سورة القِيَامَةِ/1

⁴ العين 5/86 قسم

⁵ المصدر السابق 8 / 349 لا

⁶ المصدر السابق 4/108 أيه

⁷ المصدر السابق 8/449 لغا

أما الغرض من هذه الزيادة فهي التأكيد، قال الخليل: "وأما (مهما) فإن أصلها ماما، ولكن أبدلوا من الألف الأولى هاء ؛ ليختلف اللفظ ف (ما) الأولى هي ما الجزاء ،و(ما) الثانية هي التي تزد؛ تأكيدا لحروف الجزاء ،مثل: أينما، ومتى، وما ،وكيفما ،والدليل على ذلك أنه ليس شيء من حروف الجزاء إلا وما تزد فيه ،قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا تَنَفَّقْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ ﴾² ،الأصل : إن تَنَفَّقْتَهُمْ³ .

وعلل الرضي هذه التسمية بقوله: "وإنما سميت حروف الصلة؛ لأنها يتوصل بها إلى زيادة الفصاحة أو إلى إقامة وزن أوسع أو غير ذلك"⁴ .

لهذا يرى الخثران أن مصطلح الصلة" أنسب في التعبير عن هذه الحروف من مصطلح الزيادة؛ لما فيها من دلالة على جانب من المعنى، ولما لها من وظائف في التعبير"⁵

وقد استعمل الفراء مصطلح الصلة بمعنى الحشو والزيادة ،وهو من المصطلحات التي تتردد في كتب الكوفيين⁶ .

فالناظر إلى هذه المصطلحات يجدها قد استعملت من قبل الكوفيين أكثر من البصريين ،مما يدل على الأثر البالغ الذي تركه الخليل فيهم ،خاصة وأن من الكوفيين من تتلمذ على يديه، كالكسائي الذي يرجع إليه الفضل في طبع مدرسة الكوفة بطابعها الخاص.

¹ ينظر مصطلحات النحو الكوفي 41

² سورة الأنفال/ 57

³ العين 358/3 مه

⁴ شرح الكافية4/433

⁵ مصطلحات النحو الكوفي ص44

⁶ المرجع السابق ص38،والمصطلح النحوي نشأته وتطوره ص177

الخاتمة

- يعتبر المصطلح من الأسس الأولى التي رافقت ظهور علم النحو، ويعد الخليل العلم الأهم في هذا؛ فإليه يعود الفضل في استنباط مصطلحاته وقواعده.
- للخليل جهود عظيمة في وضع أهم المصطلحات النحوية، فكان نقطة الارتكاز التي انطلق منها المذهبان الكوفي والبصري، فهو المؤسس الأول لمصطلحات الكوفيين، والواضع لأغلب مصطلحات البصريين.
- يتضح من دراسة هذه المصطلحات عدم استقرار المصطلح في هذه الفترة، فقد يتعدد المصطلح النحوي في المفهوم الواحد، أو العكس عند الخليل؛ لأن الهدف من تأليفه المعجم رصد أفاظ العرب، ولم يكن يسعى إلى العمل النحوي بمفاهيمه ومصطلحاته؛ لذلك يوجد بعض المصطلحات النحوية في معجم العين استغنى عن استعمالها النحاة وانتقوا مصطلحات أخرى؛ لأنها لم تستطع أن تتغلب على غيرها، فتفرض كثرة استعمالها.
- أغلب المصطلحات عند الخليل نلمس فيها علاقة ترادف بين المدلول اللغوي والمدلول الاصطلاحي، وهذا ليس غريباً على الخليل فهو لغوي متمكن من لغته، يعتمد على المعنى اللغوي في صياغة المصطلح النحوي، فلا بد أولاً أن يحمل المصطلح عنده معنى لغوياً مقارباً لمفهوم المصطلح .
- ينبغي تتبع المصطلحات النحوية في المعاجم اللغوية، للوصول إلى أصول المصطلح النحوي العربي.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

1. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل المعروف بابن السراج (ت 316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت
- 2- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ)، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ط1420
- 3- البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)
- تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط1، 1376 هـ - 1957 م
- 4- تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ-1987م.
- 5- التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني (ت816هـ)، تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، 1983م
- 6- تهذيب اللغة، للأزهري، محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001 م
- 7- شرح الرضي على الكافية، لرضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت686هـ)، تحقيق يوسف حسن عمر، جامعة قارونس، بنغازي، 1978م.
- 8- شرح المفصل، لابن يعيش النحوي، توزيع مكتبة المنتبي، القاهرة
- 9- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي، أبو عبد الله (ت 232هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة

- 10- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- 11- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408 هـ - 1988 م.
- 12- لسان العرب لمحمد بن منظور الأنصاري (ت 711هـ)، دار صادر، بيروت، 1968م.
- 13- المدارس النحوية أسطورة وواقع، الدكتور إبراهيم السامرائي، دار الفكر عمان، الطبعة الأولى، 1987 م.
- 14- المدارس النحوية، أحمد شوقي ضيف، 1426هـ، دار المعارف
- 15- المدارس النحوية، خديجة الحديثي، دار الأمل، أريد، الأردن، ط3، 2001
- 16- مدرسة الكوفة د. مهدي المخزومي، ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 1958
- 17- مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي (351)، تحقيق د. محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر، القاهرة
- 18- المساعد على تسهيل الفوائد، بهاء الدين عقيل، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق، 1980
- 19- المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم إنجليزي عربي، محمد عناني ط3، دار نوبار، القاهرة- مصر، 2003.
- 20- مصطلحات النحو الكوفي دراستها وتحديد مدلولاتها، عبد الله الخثران، هجر للطباعة والنشر، ط1، 1990.

- 21-المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض القوزي، عمادة شؤون المكتبات، الرياض، ط1980، 1
- 22-مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الخوارزمي (ت 387هـ) تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي ، ط.2
- 23-المفصل في تاريخ النحو العربي، محمد خير الحلواني، مؤسسة الرسالة
- 24-مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م.
- البحوث:
- التفكير النحوي قبل كتاب سيبويه، دراسة في تأريخ المصطلح النحوي، رافي ظلمون ، مجلة الكرمل . أبحاث في اللغة والأدب . العدد 5، 1984.

مصطلحات الفراء في كتابه معاني القرآن ولسان العرب نموذجاً

إعداد: أ. فائزة محمد الكوت

المُلخَص:

يناقش البحث منهجية الفراء في صياغة المصطلح النحوي واستخدامه، في كتابه "معاني القرآن"، من خلال طائفة من المصطلحات النحوية مما نسب إليه، أو شارك فيه البصريين، والبحث معني بالدرجة الأولى بالمفردات التي استخدمها الفراء في تعامله مع المصطلح النحوي بشكل خاص، ومن ثمّ تتبع استخداماته لذلك المصطلح، متقنياً علاقة المصطلح بالمفهوم المراد تحديده. وقد أفاد البحث من جهود السابقين في دراسة الفراء، وعلى رأسهم د. أحمد مكي الأنصاري، و د.شوقي ضيف، وتناولها بالنقد والتحليل؛ لأنها ساهمت في ترسيخ الكثير من الآراء في الفراء و"معانيه".

Abstract:

This research discusses al-Farra' methodology in forming the syntactical term in his book (Ma'ani al-Quran) (The Meaning of Noble Quran). This discussion focuses on a group of syntactical terms which were related to al-Farra' or to the Busri syntacticians. This research firstly concentrates on gleaning al-Farra's methodology regarding the syntactical

term. Secondly it concentrates on analyzing al- Farra's usage of the syntactical term and the relationship between that syntactical term and the intended meaning. The researchers made use of the efforts made by earlier researchers in studying al- Farra', such as Ahmed Zakaria al-Ansari and Shawqi Dhaif. The researchers criticizes and analyses these studies because they highly contributed to emphasizing many views on al-Farra' and his book.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد

فالمصطلح النحوي قام في البداية بفكرة استهدفت حماية الألسنة من الوقوع في اللحن سواء في القرآن الكريم، أو في أساليب العرب المتبعة في كلامها، إلا أن المصطلحات النحوية لم تكن من الوضوح والظهور الجلى .

فلا يمكن فهم القاعدة النحوية إلا بعد معرفة الحدود الدقيقة للمصطلح النحوي، ونظراً لأهمية الموضوع ولارتباطه بوجوه القراءات القرآنية، وبتحديد المعنى والهدف .

وسبب اختياري لهذا الموضوع؛ أننا في حاجة إلى معرفة المفردات في كتاب الفراء (إعراب القرآن)، وإستعمال ابن منظور لهذه المفردات - مفردات الفراء- في كتابه (لسان العرب) الذي استخدم فيه بعض من هذه المفردات

وسبب اختياري لهذا الموضوع؛ لأنني في حاجة إلى معرفة هذه المفردات معرفة متعمقة تحتاج إلى طول التدبر، وعمق التفكير، والشيء الوحيد الذي دفعني إلى كتابة هذا البحث هو قول بعض الدارسين: أن بعض المصطلحات النحوية الكوفية قد أُمِيَّتْ ولم يُعُد لها ذكْرٌ، لذا أردتُ أن أُبيِّن أنَّ المصطلحات الكوفية التي استخدمها الفراء قد وردت على نطاق واسع في الكتب النحوية وحتى في المعاجم العربية، وهذا ما وجدته عند ابن منظور (ت 711هـ) في معجمه لسان العرب، فقد تناولت بالدراسة نماذج من مصطلحات الفراء التي استخدمها في معاني القرآن كذلك استخدمها ابن منظور في معجمه.

وقسمت البحث إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول: مصطلحات الاسم.

المبحث الثاني: مصطلحات الفعل.

المبحث الثالث: مصطلحات الأساليب.

المبحث الرابع: المصطلحات العامة.

الخاتمة : وذكرت فيها النتائج والتوصيات التي توصلت إليها.

الدراسات السابقة:

الآراء النحوية التي تفرد بها الفراء من خلال كتابه معاني القرآن، فكرة لنيل درجة الماجستير، إعداد: فتيحة زغاش بلغدوش إشراف: د سالم علوي، سنة : 2002 /2003م.

الصعوبات التي واجهتني في البحث منها:

1_ ضيق الوقت، فلم استطع إيجاد الوقت المناسب والملائم للبحث في هذا الموضوع والتعميق فيه.

2_ قلة الدراسات السابقة التي كنت ساستند عليها في بحثي فالموضوع جديد ويحتاج المزيد من الجهد.

وأخيراً أشكر الله وأحمده حمداً كثيراً على هذه النعمة التي أكرمني بها، كما اشكر كل من ساعدني على إتمام هذا البحث.

التمهيد

التعريف بالفراء:

الفراء هو يحيى بن زياد الدَّيْلَمِيُّ، فارسيُّ الأصل، وُلد بالكوفة سنة 144هـ تقريباً، ونشأ فيها، وكان متديناً ورعاً باراً بأهله وقومه يصون نفسه عن التَّبَدُّل، وكانت الكوفة آنذاك بلد القراءات والحديث ورواية الأخبار والشعر والأدب، وقد نهل الفراء من ذلك كله، أما النحو فقد أخذه عن الرُّؤَسِيِّ، وكان أستاذه الكسائي قد أخذ عنه أيضاً، وكان الفراء نحوياً كوفياً، وهو أشهر الكوفيين وأكثرهم اطلاعاً على علوم النحو واللغة وفنون الأدب، وكان في منهجه مكثرًا من الرواية مهتمًا بالنقل فكان يقف على دقائق اللغة والاختلافات الصوتية⁽¹⁾.

¹ينظر وفيات الأعيان 276/2، غاية النهاية 371/2

شيوخه ووفاته:

شيوخ الفراء في الكوفة كثر بيد أن الرواسي أبرزهم، ولما اشتد عوده طلب بغداد قبلة العلماء آنذاك، فوافى الكسائي فيها فأعجب بعلمه، ولازمه وأخذ عنه كثيراً، ثم قصد البصرة ليأخذ عن علمائها فوافى يونس بن حبيب يتصدر للتدريس بعد وفاة الخليل، فأخذ عنه، ثم عاد إلى بغداد، وقد اتصل بالخليفة المأمون على يد ثمامة بن الأشرس، فقربه ووكل إليه تأديب ولديه، ومكث فيها إلى أن وافته منيته سنة 207 هجرية⁽¹⁾، وقيل في 215 هجرية، واختلف المحققون في مكان وفاته فجماعة قالوا: توفي في بغداد، وبعضهم قال: إنه توفي في طريقه إلى مكة⁽²⁾. وقد روي عنه أنه لما مات وعرض أثاثه للبيع، وجد الناس (كتاب سيبويه) تحت وسادته⁽³⁾

تلاميذه:

من تلاميذه في القراءات: هارون بن عبدالله، ومحمد بن عبدالله بن مالك، وأبو جعفر محمد بن قادم، وأبو عبدالله الطوال، وعمر بن بكير، وابن سعدان وجودي بن عثمان، وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهم.

¹ ينظر إنباه الرواة على أنباه النحاة 14/7، ارشاد الأريب 276/7

² مراتب النحويين 898/6

³ مراتب النحويين 39/1

مؤلفاته:

للفراء مؤلفات عديدة غير أن أبرزها (معاني القرآن) الذي ألفه لأحد أصحابه، ليُرد به على أسئلة الأمير الحسن بن سهل، ثم ما لبث أن أملاه على الناس فُبيل وفاته⁽¹⁾ وهو على هذا انضح مؤلفاته، وأكثرها استيعاباً لآرائه، وهو يحمل الكثير من ملامح النحو الكوفي، وإن كان يخالف الكسائي في كثير من المواضع. وكذلك من مؤلفاته: كتاب الحدود، وكتاب الوقف والابتداء وكتاب الجمع والتنثية في القرآن، وكتاب المفاخر، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب الأيام والليالي والشهور، وكتاب المنقوص والممدود .

ثناء العلماء عليه:

كان للإمام الفراء تأثيراً كبيراً في البيئة الفكرية التي عاش فيها وأثر بصورة جلية في كثير من البيئات التي نهلت من علمه وأساليبه مما جعله يحتل مركزاً سامياً ومنزلة جلييلة في نفوس العلماء والأئمة وحدثهم على مدحه والثناء عليه حتى بعد صيته وغدا بحق إمام عصره ونسيج وحده ويحكي عن ثغلب أنه قال: (لولا الفراء لما كانت العربية).

لأن الفراء خلصها وضبطها وقد اشتهر الفراء بلقب (أمير المؤمنين في النحو) لعظم مكانته بين العلماء².

¹بغية الوعاة 33/2²معجم الأدباء 2814/6

وقد قال أبو بكر الأنباري: (لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس).¹

ومصادر الفراء كما تبدو من كتابه هي القراءات المختلفة في المحل الأول، ثم ما نُقل عن العرب شعر ونثر، غير أن منهجه وإن التقى مع منهج الكسائي في الخطوط العامة فهو يختلف معه في معالجة كثير من القضايا، فأثر ثقافة الفراء وإطلاعه على الفلسفة وعلم الكلام يبدو بيتاً في غير موطن من المعاني.

أما مصطلحات الفراء في (معاني القرآن) و(لسان العرب)⁽²⁾ فليس لها آلية محددة يمكن استشرافها، كحال علماء عصره إذ هي خليط من مصطلحات البصريين والكوفيين، فضلاً على ما ينسب إليه منها، وقد يُشرك غير مفهوم في المصطلح الواحد، كما يستخدم جملة مصطلحات للمفهوم نفسه. وكثير من الدارسين عدّه المؤسس الحقيقي للمدرسة الكوفية بناء على هذه المصطلحات⁽³⁾.

من يُمعن النظر في كتاب الفراء (معاني القرآن) يصل إلى أن قضية المصطلح لم تكن تُورق الفراء، على الرغم من ابتداعه عدداً من المصطلحات، والكلام على وعي الفراء التام بهذه المسألة لا يخلو من المبالغة.

¹ معجم الأدياء 6/ 2814

² من قضايا المصطلح اللغوي العربي عالم الكتب الحديث إرد، الأردن، طبعة 39/2003 وما

بعدها

³ المدارس النحوية 196

يقول النحويون الفراء يبني للمدرسة الكوفية صورتها بما أبداه من آراء، وما اعتمده من مقاييس وتفسير للظواهر اللغوية، والأمر المهم هو وضعه مصطلحات نحوية خالف بها البصريين، والفراء يخالف الخليل وسيبويه، في كثير من المسائل؛ لأنه يبني مدرسة جديدة هي مدرسة الكوفة التي تقابل مدرسة البصرة .

فالفراء مهتم بالدرجة الأولى بصياغة المفهوم في محاولة لتحديده، لذلك نجده يذكر المصطلحين للمفهوم الواحد في السياق نفسه، والمصطلحات للمفهوم الواحد في غير سياق، كما يشرك بالمفهومات المصطلح الواحد، فضلاً على الاستخدام اللغوي لهذه المصطلحات، وهو بعد ذلك خالف الكسائي في كثير من المسائل والفراء لم يكن حفيماً بمخالفة البصريين، على الرغم من بعض مصطلحاته التي تؤسم بالجدّة . ولو قصد الفراء إلى شيء مما نسب إليه في هذا الصدد. فهو لا يأنف من استخدام الكثير من مصطلحاتهم إلى جانب مصطلحه الجديد، وإذا لم يكن من اليسير تعليل استخدامه للكثير من هذه المصطلحات، وإصراره على استخدام بعضها ينم عن وفائه لفكره اللغوي ولعل ابرز مثال على ذلك ما رأيناه من رفضه استخدام مصطلح الفعل المضارع، واستخدامه لـ(المستقبل) أو (يفعل) أو حتى الفعل الذي أوله (الياء، أو التاء، أو النون، أو الألف) وذلك أن سيبويه يعده مضارعاً لاسم الفاعل بينما يعده الكسائي والفراء(اسم الفاعل) فعلاً .

المبحث الأول: مصطلحات الاسم:

التفسير والمفسر

ورد هذا المصطلح عند الفراء ويعني به التمييز⁽¹⁾، واستعمل ابن منظور هذا المصطلح بقوله: "واشتعل غضباً: هاج على المثل، واشتعلته أنا . واشتعل الشيب في الرأس: انقد، على المثال، وأصله من اشتعال النار، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾⁽²⁾

ونصب شيئاً على التفسير وإن شئت جعلته مصدرًا⁽³⁾ ذكر الدكتور إبراهيم السامرائي: إن أباحيان ذكر إن الفراء أول من استعمل هذا المصطلح⁽⁴⁾، وعند المراجعة وجد أن أباحيان لم يعد أول من استعمل لفظة (أول)⁽⁵⁾، وسبقه إلى ذلك سيبويه⁽⁶⁾.

وذكر عوض القوزي أن اصطلاح التفسير والتبيين من ابتكارات الخليل⁽⁷⁾ واستخدم الخليل التبيين والتفسير استخداماً لغوياً لا يرقى إلى الاصطلاح⁽⁸⁾ وكذلك سيبويه وليس من المستبعد أن يكون الكسائي والفراء قد أفادا من هذه الإشارات اللغوية.

¹معاني القرآن 138، 308، والمصطلح النحوي: 164

²سورة مريم الآية 4

³لسان العرب مادة (سعل) : 45 / 354

⁴المدارس النحوية: 201

⁵البحر المحيط: 52/2

⁶الكتاب: 173/2

⁷المصطلح النحوي 165

⁸الكتاب 2 / 172-173

وذكر الأنصاري ((المفسر)) وعده من ابتكارات الفراء⁽¹⁾، وتبعه شوقي ضيف⁽²⁾ أما الفراء في (المعاني) فجنده يستخدم مصطلحي التفسير والمفسر⁽³⁾ على سبيل الاصطلاح بشكل بين والفراء يُجيز أن يكون التمييز معرفة⁽⁴⁾

وقد ذكر الفراء التفسير بمعناه اللغوي كثيراً⁽⁵⁾، كما ذكر التمييز بمعناه اللغوي أيضاً⁽⁶⁾، وقد أطلق على التمييز المترجم وكرر ذلك غير مرة⁽⁷⁾، على أن الفراء لم يقتصر في إطلاقه (التفسير) على التمييز⁽⁸⁾ بل أشرك فيه البديل⁽⁹⁾، كما أطلق أطلاق الأخص على التمييز التفسير⁽¹⁰⁾.

العماد والاسم المجهول:

أطلقهما الفراء على ضميري الفصل والشأن لدى البصريين⁽¹¹⁾، وقد أفرد سيبويه باباً لضمير الفصل⁽¹⁾ وهو ما يقابل العماد لدى الكوفيين.

¹ الأنصاري 449

² المدارس النحوية 201

³ معاني القرآن 49/2-169/34، 1-33/2-55/1

⁴ معاني القرآن 79/1

⁵ معاني القرآن 472-92-77-72/1

⁶ معاني القرآن 389/1

⁷ معاني القرآن 104/2

⁸ دراسة في النحو الكوفي 226

⁹ معاني القرآن 69/2، 348/1 (وقد أطلقه خمس مرات) ودراسة في النحو الكوفي 226

¹⁰ معاني القرآن 209/1

¹¹ معاني القرآن 113/2، 409/1

قالوا يسمونه عماداً لكونه حافظاً لما بعده، حتى لا يسقط عن الخبرية⁽²⁾، كالعماد للبيت الحافظ للسقف من السقوط، واستخدم ابن منظور هذا المصطلح قال: (والفصل عند البصريين بمنزلة العماد عند الكوفيين. كقوله تعالى: ﴿كَانَ هَذَا هُوَ أَلْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ﴾⁽³⁾ فقوله هو فصل وعماد ونصب الحق؛ لأنه خير كان ودخل هو للفصل)⁽⁴⁾

وهذه المسألة من أدل الأشياء على خطئه في مسألة المصطلحات، ذلك الخلط الذي أخذ فيه محققو (المعاني) فالفراء يطلق على ضميري الفصل والشأن مصطلح (العماد) غير أنه يجعل لكل منهما مفهوماً مستقلاً.

فهو يستخدم مفهوم الفصل كما يستخدمه البصريون، وإن لم يشر إلى ذلك بشكل جلي، أما ضمير الشأن فقد أوضح مفهومه عند كلامه على قوله تعال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾⁽⁵⁾ إذ يقول: وقال الكسائي كلاماً لا أراه شيئاً. قال: هو عماد، مثل قوله: ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ﴾⁽⁶⁾ فجعل (أحد) مرفوعاً بالله، وجعل (هو) بمنزلة الهاء في (إنه)، ولا يكون العماد مستأنفاً به، حتى يكون قبله "إِنَّ" أو بعض أخواتها، أو "كان" أو "ظن"⁽⁷⁾ والذي يوضح هذا بشكل جلي، ما نقله ثعلب على لسان الفراء، إذ

¹ الكتاب 379/2

² الموفى في النحو الكوفي 93

³ سورة الأنفال الآية 32

⁴ لسان العرب مادة (فصل) 524/47

⁵ سورة الإخلاص الآية 1

⁶ سورة النمل الآية 9

⁷ معاني القرآن 299/3

يخطي ما ذهب إليه سيبويه والكسائي من أن "هو" في الآية المذكورة "عماد"، أي ضمير شأن، ويعلق قائلاً: هذا خطأ من قبل أن العماد لا يدخل إلا على الموضع الذي يلي أفعاله، ويكون وقاية للفعل مثل ((إنه قادم زيد))... والأصل في هذا ((إنما قام زيد))، فالعماد "ما" وكل موضع فعلي هذا جاء بقي الفعل، وليس ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ شيء يقية⁽¹⁾.

والكلام ها هنا واضح فضمير الشأن لا يكون إلا حيث لا تصلح هذه الأدوات التي ذكرها الفراء أن تباشر الفعل، وليس هذا سبيل ضمير الفصل، وكل ما ذكره الفراء تعليقاً على هذين الضميرين لا يخرج عن هذا، على الرغم من أنه يطلق عليهما مسمى واحداً هو (العماد)، فيطلق العماد على ضمير الفصل⁽²⁾، ويطلقه على ضمير الشأن⁽³⁾.

ولم يكتفِ الفراء بهذا بل أطلق على ضمير الشأن مصطلحاً آخر هو الاسم المجهول⁽⁴⁾، وقد نقل عنه ذلك ثعلب أيضاً. قال الرضي: "يسميه الكوفيون ضميراً للمجهول؛ لأن ذلك الشأن مجهول؛ لكونه مقدرًا⁽⁵⁾" ولا يستوي عنده هذا

¹ مجالس ثعلب

² معاني القرآن 1/51-104

³ معاني القرآن 1/230

⁴ مجالس ثعلب 1/230

⁵ شرح الكافية 2/230

الاطلاق، بل نجده يطلق الاسم المجهول على الاسم غير المعروف عند العرب (1).

وقد أطلق الكسائي (العماد) على ضمير الفصل (2) وعلى الشأن (3) وقد نقل عنه ذلك ثعلب أيضاً كما أطلق ثعلب المجهول على ضمير الشأن. المبحث الثاني: مصطلحات الفعل

-المستقبل: ذكر الفراء هذا المصطلح في معانيه ويعني به الفعل المضارع (4) قال أحمد مكي: "ولم اعثر على مصطلح المضارع عند الفراء وربما كان مرد ذلك على أنه لا يتفق مع البصريين في زمن الفعل" (5) وورد هذا المصطلح في اللسان قال ابن ابن منظور: "تقول: هَبْ زيدًا منطلقًا بمعنى: أحسب يتعدى إلى مفعولين، ولا يستعمل منه ماضٍ ولا مستقبل في هذا المعنى" (6). وفضلاً عن هذا المصطلح استخدام الفراء، (7) وابن منظور، (8) مصطلح يفعل للدلالة على المضارع، وقد يلجأ إلى التفصيل فيتبعه بالفعل الذي أوله الياء أو التاء أو النون أو الألف (9).

¹معاني القرآن 289/2

²اعراب القرآن للنحاس 407/2

³اعراب القرآن للنحاس 261/2

⁴ينظر معاني القرآن 165/1، 261، 342/2،

⁵أبوزكريا الفراء ومذهبه في النحو: 440

⁶لسان العرب (مادة وهب) 408/6، 24 /7

⁷معاني القرآن 64/1، 26/2

⁸لسان العرب 16 / 27، 617/20،

⁹اعراب القرآن للنحاس 163/1، 273،

ويستخدم الفراء فعل مضارع على سبيل الاستخدام اللغوي⁽¹⁾ وكذا ضارع وتضارع⁽²⁾ أما الكسائي فقد استخدم المستقبل .

مالم يسم فاعله:

يعني الفراء بهذا المصطلح الفعل المبني للمجهول واستخدم ابن منظور المصطلح نفسه قال: (ورجل مُسَهَّبٌ: ذاهب الفعل من لدغ حية أو عقرب تقول منه: أسهب على مالم يسم فاعله)⁽³⁾

وأطلقه الفراء على ما يسمى عند النحويين المبني للمجهول، وهذه تسمية متأخرة لم يعرفها سيبويه، وربما أطلق عليه (فُعِل)⁽⁴⁾ .

قال الفراء: وقد قرأ بعضهم : ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيَّ كُفْرًا﴾⁽⁵⁾ ولا يجوز هنا إلفح إلفح (الميتة والدم)؛ لأنه فعل لم يُسم فاعله⁽⁶⁾ وقال في موطن آخر: (لأن مالم يسم فاعله إذا خلا باسم رفعه)⁽⁷⁾ وعلى هذا المعنى جاء⁽⁸⁾ وربما أطلق هذا المصطلح على نائب الفاعل، إذا يقول في قوله تعالى: ﴿لَا يَهْدِي مَنْ

¹ اعراب القرآن للنحاس 3/ 191

² اعراب القرآن للنحاس 1/ 459 ، 175

³ لسان العرب مادة (سهب) 4/ 476، 6/ 789

⁴ الكتاب سيبويه 1/ 343 ، 1/ 41-42

⁵ سورة البقرة الآية 172 وسورة النحل الآية 115

⁶ معاني القرآن 1/ 102

⁷ معاني القرآن 2/ 210

⁸ معاني القرآن 1/ 112، 146، 357

يُضِلُّ ۞ ﴿ وَلَا يُهْدِي مَن يُضِلُّ ۞ ﴾ وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمر وابن عامر والحسن⁽¹⁾.

ومن قال " يُهدى " كانت رفعا، إذا لم يسمى فاعلها⁽²⁾. وقد عدّه الأنصاري من ابتكارات الفراء،⁽³⁾ وتبعه شوقي ضيف⁽⁴⁾، وعض القوزي⁽⁵⁾، وقد جرى هذا المصطلح على السنة المتأخرين كما نرى عند ابن جنى⁽⁶⁾ وابن عقيل⁽⁷⁾، عقيل⁽⁷⁾، وابن هشام⁽⁸⁾.

المبحث الثالث: مصطلحات الأساليب

الجحد والإقرار

استخدم الفراء مصطلح الجحد ويعني به النفي⁽⁹⁾ وأورد ابن منظور هذا المصطلح في اللسان أيضاً، قال ابن منظور: (هاده الشيء هيدا وهادا أفزعه وكَرَّبه، وما يهيدده ذلك أي: ما يكثر له ولا يزعه، تقول ما يَهْتُدِّي ذلك أي: ما

¹البحر المحيط 5/ 476

²معاني القرآن 2/ 99

³أبوزكريا الفراء، الأنصاري 444

⁴المصطلح النحوي ضيف 200

⁵المصطلح النحوي 143

⁶الخصائص: 2/ 219

⁷شرح ابن عقيل 113

⁸مغني اللبيب 632 ، 659

⁹معاني القرآن 1/ 203، 2/ 331

يزعجني⁽¹⁾ قال يعقوب: لا ينطق بهيد إلا بحرف جَدِّ (2) وورد هذا المصطلح في
في العين كذلك⁽³⁾.

والجد والإقرار مصطلحان استخدمهما الفراء ليدلا على ما شاع عند
البصريين بالنفي والإثبات، ويبدو من كلام الأنصاري أنهما للفراء، وأنه اقتصر
عليهما، وذكر أنهما مصطلحان مُوفقان وعلى الأخص الجَدُّ، لأنه يساير روح
اللغة أكثر من مصطلح النفي الذي يساير روح الفلسفة⁽⁴⁾.

كما يبدو ذلك أيضاً من كلام شوقي ضيف⁽⁵⁾، وعض القواري⁽⁶⁾،
والمختار ديره⁽⁷⁾ أما فيما يتعلق باقتصار الفراء على الجَدِّ والإقرار كما يذكر
الأنصاري فقد وجدته يستخدم الجَدِّ كثيراً⁽⁸⁾ وأقل منه الإقرار⁽⁹⁾ والنفي⁽¹⁰⁾ ونقل
الأنباري استخدام البصريين للجَدِّ في مناظراتهم⁽¹¹⁾ ونقل أيضاً الأنباري محمد بن

¹ البحر المحيط 6/ 350

²: 411/440، 29/15 لسان العرب مادة (هيد)

³ كتاب العين 3/ 285

⁴ أبو زكريا الفراء 442

⁵ المدارس النحوية 200

⁶ المصطلح النحوي عوض القوزي 171

⁷ دراسة في النحو الكوفي المختار ديره 626

⁸ معاني القرآن الفراء 1/ 8-52-298

⁹ معاني القرآن الفراء 1/ 52-53

¹⁰ معاني القرآن الفراء 1/ 159-166، 43/2 هـ

¹¹ الانصاف 1/ 74-78

القاسم (ت 327هـ) عن الفراء استخدامه الجحد، والزجاجي استخدامه "التحقيق" للثبات (1).

المبحث الرابع: المصطلحات عامة

الأداة

ذكر الفراء في معانيه مصطلح (الأداة)⁽²⁾ وجعل هذا المصطلح في مقابل ما يسميه البصريون بحروف المعاني⁽³⁾ قال الدكتور مهدي المخزومي: إن التسمية الكوفية هنا أقرب إلى ما يتطلبه المصطلح من دقة في الدلالة واختصار في اللفظ (4) واستخدم ابن منظور هذا المصطلح، فقال: (وقال: بعضهم حتى: فعلى من أَلَحَّتْ وهو الفراغ من الشيء مثل سَنَى من الشَّتِّ، قال الأزهرى: وليس هذا القول مما يُعَرِّجُ عليه، لأنها لو كانت فعلى من أَلَحَّتْ كانت الإمالة جائزةً ولكنها حرف أداة وليس باسم ولا فعل)⁽⁵⁾

وورد هذا المصطلح في العين⁽⁶⁾، والكتاب⁽⁷⁾ جاء في كلام الفراء على قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾⁽¹⁾ قال: ولو

¹ الاضداد محمد بن قاسم الانباري 10/ 215-216-310

² معاني القرآن 1/ 276، 2/ 376-122-207

³ أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة 445، الإنصاف 45-48

⁴ مدرسة الكوفة 311

⁵ لسان العرب مادة (حنتت) 7/ 24، 53/ 619

⁶ العين 8/ 349-343

⁷ الكتاب 3/ 496

ولو قرئت يفتح (أن) على معنى إذ لم يؤمنوا ... لكان صواباً، تأويل (أن) في موضع نصب؛ لأنها إنما كانت أداة بمنزلة (إذا)⁽²⁾ والأداة عند الأنصاري من مبتكرات الفراء التي تميز بها من النحو البصري بالاختصار والدقة⁽³⁾ متابعاً في ذلك د. مهدي المخزومي في كتابه الدرس النحوي في بغداد . الفراء يطلق الأداة أيضاً على نوني المثني وجمع المذكر السالم، أو الذي في منزلتهما⁽⁴⁾، وقال تعليقا على قوله ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَّا نَذِيرٌ﴾⁽⁵⁾، ولاتصح هاهنا نعم أداة⁽⁶⁾ وقال المختار ديره: "وما كان من هذه الحروف للمعاني سماه أداة، وما جاء لمعنى آخر اطلق عليه تسمية أخرى⁽⁷⁾" وقال أيضا: "فهولا يطلق تسمية الأداة على حرفي الجواب (نعم) و(بلى) وقد زاد هذا كلام الفراء غموضاً. ويطلق الأداة على اسم الفعل⁽⁸⁾، كما يستخدم (لحرف المعنى) مصطلح الحرف⁽⁹⁾، ويطلق على أسماء الاستفهام حروفاً⁽¹⁰⁾، وعلى الظرف⁽¹⁾، وعلى الاسم⁽²⁾، كما أطلق الحرف على الكلمة⁽³⁾، وعلى الاسم المكني⁽⁴⁾ ويستخدم (الحروف)

¹سورة الكهف الآية 06

²معاني القرآن 58/1

³أبو زكريا للفراء الأنصاري 445

⁴معاني القرآن 10/1، 396/2

⁵سورة الملك الآية 8-9

⁶معاني القرآن 52/1

⁷دراسة في النحو الكوفي 274

⁸معاني القرآن 235-236/2

⁹معاني القرآن 27/1-40-68

¹⁰معاني القرآن 177-85/1

لحروف المبني⁽⁵⁾، وللظروف وحروف الجر معاً⁽⁶⁾، وللقراءة القرآنية⁽⁷⁾.

مصطلحات الفراء في معاني القرآن ولسان العرب:

ويجب أن ننوه إلى أن الخليل وسيبويه قد سبقا الفراء في استخدام بعض المصطلحات لكنها عُدت كوفية، لأن الفراء كان أكثر استخداماً لهذه المصطلحات منهما وقد قمت بجمع هذه المصطلحات ورتبتها في جدول على الشكل التالي:

مصطلحات الاسم وتشمل	مصطلحات الاساليب وتشمل	مصطلحات الفعل وتشمل	مصطلحات عامية وتشمل
التفسير والمفسر	الجدد والاقرار	المستقبل	الأداة
الترجمة	الف الاستفهام	الصرف	الإلغاء
القطع والخروج	مدعو	مالم يسم فاعله	الأدميون وغير الأدميين
التبرئة	التقريب	الفعل الواقع	الرّفعة
الخفض			النصب على

¹معاني القرآن 467/1

²معاني القرآن 100-95-94/1

³معاني القرآن 355/260، 2-254 /1

⁴معاني القرآن 386/2

⁵معاني القرآن 204- 10/1

⁶معاني القرآن 123/1

⁷معاني القرآن 95/2، 16/1

الجواب			
فعل يحتاج إلى شيئين			الصفة
			ياء الإضافة
			إضافة الشيء إلى نفسه
			المرافع
			الإضمار والضمير
			ما يجري وما لايجري
			غير مصمود
			المكنى (الكناية)
			الاسم المجهول
			العماد
			الموضع
			اسم ما يعتمل به
			رد (المردود)
			النسق
			صلة
			المؤقت وغير المؤقت

الخاتمة:

الحمد لله وحده وصلى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

النتائج:

تلکم جملة النتائج المستخلصة من هذا البحث، تتبعاً ودراسة لأشهر عبارات الفراء لاتخلو من الغموض، وهو لم يكن بدعاً من علماء عصره في هذا الصدد¹ فهو لا يُقدّم لنا شرحاً يُبيّن حقيقة استخدامه لهذه المصطلحات، ويوضّح جوانبها، إلا في القليل النادر كالصرف والتقريب وهو لايمتلك آلية محددة لصياغة المصطلح.

أما الآلية العامة لمصطلحاته فتقوم بالدرجة الأولى على وصف المفهوم بالمصدر كالفعل، والجدد، والاقرار، والتقريب، والصرف، والخروج، والنسق وهي مصطلحات تتعلق بسبب متين من المعنى اللغوي للمصطلح .

ويأتي في المرتبة الثانية وصف المفهوم باسم الفاعل، واسم المفعول، كالدائم، والمُرافع والمؤقت، والمردود، والمكنى.

ثم يأتي في المرتبة الثالثة الوصفُ بالعبارة الدالة على المفهوم نحو: الفعل الواقع، الفعل الذي أوله (الياء، أوالتاء، أوالنون، أوالألف) وما لم يُسمَّ فاعله، والمنصوب

¹ من قضايا المصطلح النحوي 83، 84،

على نزع الخافض، وما يجرى وما لا يجري، و(لا) التبرئة، وأقل من ذلك كله الوصف بنقل الاسم الجامد من معناه الأصلي إلى معنى جديد نحو: الأداة وفي نهاية القول إن قضية المصطلح عند الفراء لا تختلف عما نراه عند غيره ممن سبقه، فهي قضية لم تكن تؤرقهم، بالقدر الذي كان يؤرقهم تحديد المفهوم، وتَجَلِيَّتُهُ، معتمدين على السياق بالدرجة الأولى .

ولابد من الإشارة في نهاية البحث إلى أن الفراء له شخصية مميزة طبعت مؤلفاته بطابع خاص، لم يميزه من البصريين وحسب، بل ومن الكوفيين أيضاً .

التوصيات:

وفي نهاية الموضوع لا يسعنا إلا أن نقول أن هذا الموضوع جديد بدراسة أوسع فكتاب (معاني القرآن) للفراء موسوعة ضخمة حَوّت مسائل كثيرة ومتنوعة، يمكن لأي باحث أن يرجع إليها فبحثي هذا لم يغطِ إلا جزءاً ضئيلاً من هذا الكتاب، وأن أملي كبير في أن يكون هذا العمل وتيق الصلة بأعمال النحاة الكبيرة والتي كان هدفها صون اللغة وكل ما اتمناه هو أن أكون قد انصفت الرجل ووفيت الموضوع حقه.

فإن كان لي ذلك فهذا فضل الله، وإن قصرت فلم يكن عمداً وارجو التوجيه وأكون من الشاكرين بإذن الله تعالى.

والله ولي التوفيق، وهو نعم المولى ونعم النصير.

قائمة المصادر والمراجع

1. أبو زكريا ومذهبه في النحو واللغة - د.أحمد مكي الانصاري .
المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية القاهرة
1960/، دط.
2. الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين
- كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن سعيد الأنباري النحوي
(ت 577هـ) تحقيق . محمد محي الدين عبد الحميد -المكتبة
التجارية الكبرى مصر / 1961 م ، دط.
3. الاضداد محمد بن القاسم الأنباري (ت 328 هـ) تحقيق محمد
أبوالفضل إبراهيم - المكتبة العصرية 1987 م، دط
4. بغية الوعاة جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) تحقيق محمد
أبو الفضل إبراهيم ط2، دت
5. البحر المحيط والتفسير الكبير - أبوحيان الأندلسي (ت754 هـ)
ط1 مطبعة السعادة مصر ، دت.
6. الجامع لأحكام القرآن -القرطبي - مصر 1935 م، دط
7. دراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء والمختار
أحمد ديره - دار قتيبة - بيروت 226 هـ، دط

8. درس النحو في بغداد - د.مهدي المخزومي - بغداد /1974
م ،
دط
9. شرح ابن عقيل تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - المكتبة
العصرية 1990 م، دط
10. العين .الخليل بن أحمد الفراهيدى (ت 175 هـ) - د.مهدي
المخزومي ود.إبراهيم السامرائى - بغداد /1980 ، 1958 م، دط.
11. الكتاب سيبويه (ت 180 هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون دار
القلم الهيئة المصرية للكتاب 1977 م ،دط.
- 12.الموفى في النحو الكوفى - صدر الدين الكنفراوي الاستانبولى
(ت1329 هـ) شرحه محمد بهجة البيطار - المجمع العلمي العربي
-دمشق دط،دت
13. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب - تحقيق مازن المبارك دار الفكر
بيروت - ط 6 -1986 م
14. إنباه الرواة على أنباه النحاة -أبو الحسن علي بن يوسف القفطى
(ت 646 هـ) تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم -القاهرة دط، دت.
15. مراتب النحويين -أبو بكر الزبيدي (ت 397 هـ) دار المعارف
دط،دت.
16. المدارس النحوية شوقي ضيف دار المعارف -مصر دط،دت.

17. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو - د.مهدي
المخزومي ط2 -1958 م
18. المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري -
عوض القوزي ط1 -الرياض / 1981 م
19. معاني القرآن -أبوزكريا الفراء (ت 207 هـ) دار السرور - بيروت
لبنان -تحقيق الجزء الأول محمد نجاتي، ومحمد علي النجار تحقيق
الجزء الثاني محمد علي النجار - تحقيق الجزء الثالث عبد الفتاح
إسماعيل شلبي ط،د،ت.
20. من قضايا المصطلح اللغوي العربي عالم الكتب الحديث إريد ،
الأردن ط 1 - 2003 م

الخطاب القرآني الموجه إلى الرسول ﷺ دراسة صوتية دلالية

(نماذج مختارة من القرآن الكريم)

إعداد: د. نجات صالح اليسير*

الملخص:

ورد في القرآن الكريم_ الذي هو كتاب الله الخالد على مرّ العصور، والذي أعجز الفصحاء والبلغاء أن يأتوا بمثله_ الكثيرُ من الآيات التي خاطب فيها الله أنبياءه الكرام_ عليهم السلام_ ومنهم رسول الله ﷺ ، وهو أفضلهم وأكرمهم عند الله ؛_تعالى_ من أجل التوجيه والتعليم والإرشاد والتكليف والتنبيه والتحذير واللوم والعتاب وغير ذلك.

وقد وقع اختياري على دراسة بعض آيات الخطاب القرآني الموجّه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ودراستها دراسة صوتية دلالية لبيان عظمة القرآن الكريم، وما اشتمل عليه من إعجاز لغوي كبير؛ حيث وظّف التعبير القرآني الأصوات تعبيراً يُشعرنا بدلالة السياق عن طريق إحياءات الأصوات، وكان السبب وراء اختيار هذا الموضوع هو الرغبة الشديدة في دراسة مثل هذه المواضيع المهمة المتعلقة بكتاب الله سبحانه وتعالى.

وقد جاء البحث في مقدمة ، وأربعة مباحث، وخاتمة

* قسم اللغة العربية وآدابها/ كلية الآداب/ الخمس

أما المقدمة فتحدّثت فيها عن أهمية الموضوع، وسبب اختياري له، وتقسمي له إلى أربعة مباحث، وفي المباحث الأربعة درست أنواع الخطاب النبوي، ثم ذكرت بعض الآيات التي يختص بها كل نوع من هذه الأنواع، ودرستها دراسة صوتية دلالية. ثم الخاتمة التي عرضت فيها أهم ما توصلتُ إليه من نتائج وتوصيات.

Abstract:

In the Holy Quran which is the immortal book of God throughout the ages, and which the eloquent and eloquent have failed to come up with many verses in which God addressed His honorable prophets peace be upon them including the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, and he is the best and most honorable of them with God the Almighty for guidance, education, guidance and commissioning Alert, warning, blame, admonition, and so on.

I chose to study some of the verses of the Quran discourse addressed to the Messenger, may God's prayers and peace be upon him, and to study them as an audio-semantic study to demonstrate the greatness of the Holy Quran, and the miracles it contained.

senior linguist Where the Quran expression employed the sounds expressively to make us feel the significance of the context through the sounds' hints, and the reason behind choosing this topic was the strong desire to study such important topics related to the Book of God Almighty.

The research came in an introduction, four topics, and a conclusion

As for the introduction, he talked about the importance of the topic, the reason for my choice of it, and my division of it into four topics. In the four topics, I studied the types of prophetic discourse, then I mentioned some verses that are specific to each type of these types, and I studied them in an audio-semantic study.

Then the epilogue that was offered It contains the most important findings and recommendations.

المقدمة:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

إن الأنبياء والرسل _ عليهم السلام _ هم صفوة الله من خَلْقِهِ، اصطفاهم اصطفاءً، واختارهم اختياراً، وربّاهم تربية ربّانية خاصة، فكانوا أفضل الخلق، وخير الناس، وحفظهم الله بحفظه، وعصمهم من الوقوع في المعاصي والذنوب والأخطاء، وصانهم عن المخالفات والمُنكرات والفواحش، ومن فعل الكبائر والصغائر، وهذا قبل نُبُوَّتِهِمْ وبعدها إلى أن توفّاهم الله _ تعالى _.

وقد ورد في القرآن الكريم_ الذي هو كتاب الله الخالد على مرّ العصور، والذي أعجز الفصحاء والبلغاء أن يأتوا بمثله_ الكثيرُ من الآيات التي خاطب فيها الله أنبياءه الكرام _ عليهم السلام _ ومنهم رسول الله ﷺ ، وهو أفضلهم وأكرمهم عند الله ؛ _تعالى_ من أجل التوجيه والتعليم والإرشاد والتكليف والتنبيه والتحذير واللوم والعتاب وغير ذلك.

ولأهمية القرآن الكريم وفضله، وما اشتمل عليه من أنواع مختلفة من الخطاب، وما يعطيه كل وجه من معنى أحببتُ أن أتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة؛ لبيان عظمة القرآن الكريم، وما اشتمل عليه من إعجاز لغوي كبير.

واللغة العربية، والتي تشرّفت بنزول خير الكتب السماوية، تمتاز باتساع في الأبنية، وكثرة الصيغ التي تستوعب المعاني، وقد وظّف التعبير القرآني الأصوات تعبيراً

يُشعرنا بدلالة السياق عن طريق إحياءات الأصوات، ومن هنا ينطلق هذا البحث لدراسة مستويين من مستويات الدرس اللغوي، هما: المستوى الصوتي، والمستوى الدلالي لبعض الآيات التي اختصت بخطاب الرسول ﷺ أكرم الخلق أجمعين.

ومن خلال اطلّاعي على بعض الدراسات السابقة وجدت أن هناك العديد من الدراسات التي تناولت موضوع الخطاب القرآني بأنواعه، من بين هذه الدراسات:

- الخطاب القرآني الموجه إلى الرسول ، أعدها شهيد راضي حسين، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، 2000م

- الخطاب في القرآن الكريم، أعدتها نجبه غلام نبي، ونشرتها في مجلة فكر وإبداع، العدد السابع والثمانون أغسطس 2014.

- الخطاب القرآني وأنواعه، أعدها خالق داد مالك، ونشرها في مجلة القسم العربي، العدد الثاني والعشرون، 2015م.

غير أن المطلّع على هذه الدراسات سيدرك الفرق بينها وبين هذا البحث، متمثلاً في طريقة العرض والتحليل والاستفادة من المصادر المختلفة.

هدف البحث وأهميته:

الاطلاع على بعض مظاهر الإعجاز القرآني، فالأساليب القرآنية في بيان الهدايات والتشريعات تتنوع حسب مقتضيات المواقف وإحداث الأثر في نفوس المخاطبين، وهذا التنوع جزء من الإعجاز البياني للقرآن الكريم، وعليه يُطرح الإشكال الآتي: ما المظاهر التي تميّز بها الخطاب القرآني الموجه إلى الرسول الكريم محمد ﷺ عن باقي أنواع الخطاب، سواء أكان هذا الخطاب موجهاً للأنبياء والرسل أم لغيرهم من البشر؟

سبب اختيار هذا الموضوع:

أما سببُ اختياري هذا الموضوع هو الرغبة الشديدة في دراسة مثل هذه المواضيع المهمة الشيقة والمتعلقة بكتاب الله _سبحانه وتعالى_.

وقد اعتمدتُ في هذه الدراسة على أهم المعاجم اللغوية، مثل: لسان العرب لابن منظور، والتفاسير القرآنية، مثل: تفسير ابن كثير، بالإضافة إلى الكتب اللغوية القديمة والحديثة.

ولم يكن الغرض تتبُّع كل آيات الخطاب القرآني الموجهة إلى الرسول الكريم محمد ﷺ ، ليس لعدم أهمية ذلك؛ وإنما لأن الأمر يتطلب وقتاً أكبر، وإذعاناً لشروط النشر في المجالات العلمية التي تتطلب عادةً بحثاً غير موسَّعة، فكانت هذه الدراسة تحت عنوان: الخطاب القرآني الموجه إلى الرسول ﷺ دراسة صوتية دلالية (نماذج مختارة من القرآن الكريم).

وقد قسَّمتُ بحثي على مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

تناولتُ في المقدمة أهمية الموضوع، وتقسيمي له، وفي المباحث الأربعة درستُ أنواع خطاب الله _سبحانه وتعالى_ لنبيه محمد ﷺ في القرآن الكريم، وقد اقتصرْتُ على بعض الآيات التي تناولت الخطاب القرآني الموجه إلى الرسول ﷺ، ودرستها دراسة صوتية دلالية.

أما الخاتمة: فقد جعلتها لبيان أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال البحث.

وأخيراً: أسألُ الله _تعالى_ أن يوفقني لخدمة دينه وقرآنه العزيز، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم.

الخطاب لغةً واصطلاحًا:

الخطاب لغةً: مصدر خطب، والخطبُ: الأمر الذي يقع فيه، والمخاطبة: هو الكلام بين متكلم وسماع، ومنه اشتقاق الخطبة، والخطبة عند العرب: الكلام المنثور المُسجَع ونحوه، والخطاب والمُخاطبة: مُراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبةً وخطابًا⁽¹⁾.

أما الخطابُ اصطلاحًا: فهو توجيه الكلام إلى حاضر، وأصل الخطاب أن يكون لمُعَيّن واحدًا كان أو أكثر⁽²⁾.

أنواع الخطاب:

هناك العديد من الخطابات المختلفة، وأشرف هذه الخطابات وأنفعها الخطاب القرآني، موضوع بحثي هذا.

يُعدُّ القرآن الكريم من أحد أهم وأقدم الخطابات، وهو وحي سماويّ إلهيٍّ له خصوصيته، يُوجّه للمكلفين بوساطة الوحي على لسان نبيّه محمد ﷺ طلبًا ونهيًا، وترغيبًا وترهيبًا، ووعدًا ووعيدًا، وإخبارًا وتذكيرًا، واعتبارًا وإنذارًا، إلى غير ذلك من العبارات التي تدلُّ على تعدد وتنوع الخطابات القرآنية⁽³⁾.

1 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر_ بيروت، 3/ 163.

2 ينظر: سعد الدين التفتازاني، مختصر المعاني، دار الفكر، الطبعة/ الأولى، 1411هـ، 1/ 43.

3 ينظر: أحمد خليل، دراسات في القرآن، دار النهضة، بيروت، 1969م، ص: 13_ 15.

ويتميز الخطاب القرآني عن الخطابات الأخرى في المستوى الصوتي والمعجمي والتركيبي والتداولي⁽¹⁾.

وقد تحدى سبحانه وتعالى بالقرآن أهل الفصاحة والبيان من العرب على أن يأتوا بمثله فعجزوا عن ذلك، فقال سبحانه وتعالى في مُحكم كتابه العزيز: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 23).

أنواع الخطاب القرآني الموجه إلى الرسول ﷺ:

هناك الكثير من الآيات التي حُوِّطَ بها الرسول الكريم ﷺ تعييناً، أي أن الخطاب كان موجهاً إليه بالذات، وتضمنت أنواعاً خطابية عدة منها:

المبحث الأول: خطاب النَّصْح والإرشاد:

النصيحة لغة:

النصيحة اسم من نَصَحَه، ونصح له، كمنعه، نُصْحًا ونَصَاحَةً ونَصَاحِيَّةً، يقال: نَصَحَ الشَّيْءُ: خَلَصَ، والنَّاصِحُ: الْخَالِصُ مِنَ الْعَسَلِ وَغَيْرِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ خَلَصَ، فَقَدْ نَصَحَ، فأصل النَّصْحِ فِي اللُّغَةِ: الْخُلُوصُ، وَالنُّصْحُ: نَقِيضُ الْغِيْشِ⁽¹⁾.

1 ينظر: أحمد خليل، دراسات في القرآن، ص: 13_15، منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب (مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي) دمشق، دار العرب للدراسات والنشر والترجمة، 2012م، ص: 9 وما بعدها، محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 2008م، 1/ 11_12.

وقال آخرون إن النَّصْح هو: "بُذُلُ المودَّة والاجتهاد في المشورة"⁽²⁾.

وبالنظر إلى ما ذُكر يمكننا أن نخرِّجَ بمعنى جامع لهذه المفردة، وهو إرادةُ الخير وطلبه للمنصوح.

أما اصطلاحاً: فقد عُرفت بأنها: "كلمة جامعة يُعْبَرُ بها عن جملة، وهي: إرادة الخير للمنصوح له، أو حيازة الحظ للمنصوح"⁽³⁾.

فالنصيحة عملية يتم من خلالها طلب تغيير فكر أو عمل الفرد أو مجموعة الأفراد إلى جهة الخير والصلاح من خلال التوجيه والموعظة والتذكير.

وهناك آيات قرآنية كثيرة تحمل معنى النَّصْح والإرشاد والتوجيه، منها ما كان موجهاً للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ومنها ما كان موجهاً لعموم الناس، وسأقتصر هنا على الحديث عن بعض آيات النَّصْح والإرشاد والتوجيه الموجهة إلى الرسول الكريم محمد ﷺ، ومن هذه الآيات:

سورة المدثر الآيات [1 _ 7]

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ * وَثِيَابِكَ فَطَهِّرْ * وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ
تَسْتَكْتَرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾

1 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 5/571.

2 ابن دريد، الجمهرة، دار العلم للملايين، 1988م، 1/544.

3 عباس كاشف الغطاء، الدين النصيحة، دار العلوم للتحقيق والطباعة، بيروت، ص: 3.

المستوى الصوتي:

تبدأ هذه السورة الكريمة بنداء عالي النبرة للدلالة على تحمل تبعات هذا الأمر الذي أُكِّلَ به سيدنا محمد ﷺ وجاء في تفسير القرطبي عند قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ملاحظة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبر عنه بصفته، ولم يُقَل: يا محمد ويا فلان؛ ليستشعر اللين والملاطفة من ربه⁽¹⁾.

وكانت الفاصلة الغالبة في هذه السورة الكريمة هي الرّاء بطبيعتها الصوتية التي تُحدثُ تكرارًا وتتابعًا سريعًا ليحاكي تَكَرُّرها صوتَ أجراس الإنذار والتّنبية لإيقاظ الرسول ﷺ من نومه وتدنّره ليدع الراحة ويبدأ رحلة شاقّة في سبيل الدعوة إلى الله _سبحانه وتعالى_.

فلفظ (المُدَّثِّرُ) أصله: (المُدَّثِرُ)⁽²⁾ إذ يُلاحظ التّناسب بين صفات الصوت ومعنى الكلمة، من خلال ذلك التّشديد بعد قلب التاء من جنس ما بعدها؛ ليدل على الخفاء والستر، وهو أدل بجرسه الصّوتي التّكراري على تصوير نفسيته _عليه الصلاة والسلام_ الخائف المرتبك من المفاجأة الغريبة، وهذا الموقف إلى الإطالة في الحروف وفي الأداء القرآني، وفي القرآن الكريم يحدث أن يحتلّ صوت مكان صوت، أو يُدغم صوت في صوت، فيشكلان صوتًا واحدًا، ويكون الصوت المنطوق هو الأقوى في الإبانة والإظهار.

1 القرطبي، أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الريان للتراث، د. ت، 6853 /10.

2 الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ط/ 3، 1423هـ، 2002م، ص: 308.

ولجس الكلمة ووقوعها موقعها اللائق بها إعجازٌ مصورٌ للمعنى في كلمة (المُدَّنَر) التي جسدت بإدغام حروفها حالة الرعب والفرع والمبالغة في تخفي الرسول الكريم ﷺ في الأغطية، وحاكت بمقاطعها الصوتية المغلقة توقعات يد حانية تُرَبَّت على ظهره ﷺ لتشييع في نفسه الطمأنينة والهدوء بعد الخوف والارتباك⁽¹⁾.

أيضا المقطع القصير المغلق هو من أكثر المقاطع تكرارًا في هذه الآيات الكريمة؛ وعلّة ذلك تسهيل النطق، وطلب الخفة، وسرعة التأثير، فالمقاطع المغلقة تستغرق في نطقها زمنًا أقل من الزمن الذي تستغرقه المقاطع المفتوحة، ومن هنا كان استخدام المقاطع المغلقة لونها من التعبير لا تؤتيه المقاطع المفتوحة⁽²⁾.

كما يلاحظ أنّ استخدام الجمل القصار واتفاق الأصوات استجابة لسياق حاد منذر متوعد، فالموقف جد لا هزل، والتبعية ثقيلة، والأمر شاق، والنص يحتوي الأمر بالقيام والاستعداد لهذه المهمة العسيرة، وفي مثل هذا السياق يغلب طابع التأثير الوجداني والانسجام المعبر الأسر الذي هو إحدى أدوات التأثير والتصعيد، وقد تجمعت في هذه الآيات الكريمة من مظاهر الانسجام والإحكام ما جعلها توقع على أوتار القلوب وتختلب الأسماع.

كما أن التناصب بين الجمل في هذا المقطع، والتوازن بين الأصوات والمقاطع يبدو كأن القرآن يقصد إليه قصدًا، والدليل على ذلك تلك الفاء التي انتظمت في الآيات

1 إبراهيم السعافين وآخرون، أساليب التعبير الأدبي، ط/ 3، عمان، دار الشروق، 2000م، ص: 34.

2 محمود نحلة، دراسات قرآنية في جزء عم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م، ص:

الأربع: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ وقد أدت هذه الفاء دورها الدلالي في اشتراط الثبات والإصرار سبيلا إلى نجاح المُبْلَغ بما يتضمنه من معنى الجزاء، وبزيادتها بين المفعول وفعله في الآيات الثلاث الأخيرة تحقق الانسياب والتوازن بين المقاطع الصوتية للجمل، بحيث لو حذفت لأحسست بتنافر بين الكلمات، وإذا كانت الفاء بزيادتها قد أحدثت هذا التوازن فإن حذف مفعول الإنذار في الآية الثانية قد أحدث الأثر نفسه بإسهامه في وحدة الفواصل والتناسب بين أوزان القرائن، إلى جانب ما أضافه الحذف من شمول الإنذار لكل ما خلق الله من الإنس والجن.

كما تنوعت مصادر الحرص في الآيات الكريمة، وتجاوبت أصواته مع جرس الكلمات و اتفاق فواصلها في التعبير عن مقاصد السورة، ونشر أجواء النذر وترجيع أصدائها، وتصوير المعاني بالحركات والحروف، فكلمة (الرِّجْزِ) المعبّر بها عن العذاب أو الإثم تشيع بجرسها وأصول مادتها جواً من النفور واستنقذار المعصية؛ لأنّ من دلالاتها معنى القدر، وذلك يتناسب مع الأبرار الذين تنفر طباعهم من المعاصي، وهو السر الذي من أجله عبّر بالهجر بدلا من التترك في قوله تعالى: ﴿وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ﴾؛ لأن الهجر يشير إلى القطيعة والتدابير⁽¹⁾.

المستوى الدلالي:

تضمنت السورة الكريمة في مطلعها ذلك النداء العلوي بانتداب النبي ﷺ لهذا الأمر الجلل، أمر الدعوة إلى الله -تعالى- والجهاد في سبيله، وإنذار البشر من عذابه

1 ينظر: إبراهيم السعافين ، وآخرون، أساليب التعبير الأدبي، ص: 24.

وعقابه، وتوجيهه إلى طريق الخلاص قبل فوات الأوان، مع توجيهه ﷺ إلى التهيؤ لهذا الأمر العظيم، والاستعانة عليه بهذا الذي وجهه الله تعالى إليه.

وفي قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الْمُذْتَرُّ﴾ ملاحظة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب، إذ ناداه بحاله، وعبر عنه بصفته، ولم يقل: يا محمد، ويا فلان؛ ليستشعر اللين والملاطفة من ربه⁽¹⁾.

والمُذْتَرُّ: وأصله: المتدثر، أدغمت التاء في الدال وشددت، يقال: دترته فتدثر، والدتُّار: ما يتدثر به من ثوب وغيره⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ أي: قُمْ نذيراً للبشر، أي: تهيئاً لذلك. والإنذار هو أظهر ما في الرسالة، فهو تنبيه للخطر القريب، والمراد بهذا الإنذار العموم، دون تقييده بمفعول محدد، ويدل عليه قوله تعالى في سورة سبأ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾⁽³⁾، والفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَنْذِرْ﴾ مع كونها عاطفة للترتيب، فإنها تدل على وجوب إيقاع الإنذار بتبليغ الرسالة، عقب التهيؤ له مباشرة دون مهلة، وفي ذلك دليل على أن الإنذار فرض واجب على الرسول ﷺ لا بد منه، وهو فرض على الكفاية، فواجب على الأمة أن يبلغوا ما أنزل على الرسول ﷺ، وأن يُنذروا كما أنذر⁽⁴⁾. والتهيؤ للإنذار المعبر عنه بصيغة الأمر (قُمْ) لا يكون إلا بفعل

1 ينظر: القرطبي، 10 / 6853.

2 ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى - 1418هـ، 5 / 394.

3 الآية 28.

4 ينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1413هـ - 1993م، 8 / 362.

ما تلا هذه الآية من توجيهات للرسول ﷺ، فبعد أن كلفه سُبْحانه وتعالى_ بإنذار الغير، شرع سبْحانه بتوجيهه في خاصة نفسه، فوجهه أولاً إلى توحيد ربه وتنزيهه عمّا لا يليق بجلاله وكماله، حيث قال تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾. والغرض من تقديم قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ﴾ هو التخصيص⁽¹⁾، ووجهه ثانياً إلى تطهير قلبه ونفسه وخلقِه وعمله، حيث قال تعالى: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، ووجهه ثالثاً إلى هجران الشرك وموجبات العذاب، حيث قال تعالى: ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، أي: فاهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من الشرك، وغيره من القبائح، والرجز في الأصل هو العذاب، ثم أصبح يُطلق على موجبات العذاب وهو من باب التخصيص_ وأصله الاضطراب، وقد أُقيم مقامه سببه المؤدي إليه من المآثم والقبائح، فكأنه قيل: اهجِر المآثم والمعاصي وكل ما يؤدي إلى العذاب⁽²⁾.

والرَّجْزُ: بكسر الراء: العذاب، وبضمها: الصنم، والرَّجْزُ والرُّجْزُ بالكسر والضم معناهما واحد، وهو العمل الذي يؤدي إلى العذاب⁽³⁾، والرسول الكريم ﷺ كان هاجراً للشرك وموجبات العذاب قيل النبوة، فقد عافت فطرته السليمة ذلك الانحراف، وهذا الركام من المعتقدات السخيفة، وذلك الرجس من الأخلاق والعادات، فلم يُعرف عنه أنه شارك في شيءٍ من خوض الجاهلية، ولكن هذا التوجيه يعني المفاصلة وإعلان التميّز الذي لا صلح فيه ولا هوادة، فهما طريقان مفترقان لا يلتقيان، كما يعني هذا التوجيه التحرُّر من دنس ذلك الرجز، ووجهه رابعاً إلى إنكار ذاته بعدم المنّ بما يقدمه من الجهد في سبيل الدعوة، وهذا ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُنَّنْ

1 ينظر: السابق نفسه، الصفحة نفسها.

2 ينظر: القرطبي، 10/ 6858.

3 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 4/ 74 _ 75.

تَسْتَكْبِرُ»، ووجهه خامساً وأخيراً إلى الصبر لربه، حيث قال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾، أي: اصبر لربك على أذى المشركين، والأحسن حمله على العموم، فيفيد الصبر على كل مصبور عليه، ومصبور عنه⁽¹⁾.

سورة الضحى الآية 3:

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾

المستوى الصوتي:

استعمل جَلَّ وعلَا لفظ (ما) والفعل الماضي بمقطعها الطويل المفتوح، (ص ح ح)، وليس (لم) أو (لن)؛ للدلالة على إطلاق النفي وعدم تقييده، وقد حذف مفعول (قلَى) اختصاراً للعلم به، وحفاظاً على الفاصلة، فضلاً عن مراعاة الظرف الحساس للنبي ﷺ، فمولاه عَزَّ وِجَلَّ يتحاشى مخاطبته بقوله: (قلاك) لما في (القلَى) من شعور بالطرد والإبعاد وشدة البغض⁽²⁾.

وقد جاءت الفاصلة بطريقة منتظمة أحدثت نوعاً من التوافق الصوتي، بالإضافة إلى أنها أضفت على الآية معاني وأبعاداً جديدة لم تكن لتحدث لولا التكرار، ويمكن حصر هذه الأبعاد فيما يأتي:

1. تعزيز المعنى العام للسورة بمعانٍ جزئية.
2. العمل على جعل القارئ يعيش جو السورة وواقعها.

1 ينظر: أبو حيان، تفسير البحر المحيط، 8/ 364.

2 ينظر: عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية، دار المعارف، ط/ 2، مصر، 1987م، ص: 169.

3. إكساب السورة تناسبًا صوتيًا مؤثرًا.

المستوى الدلالي:

تبدو لنا دقة استعمال لفظ (ودَّع) و (قلَى) بدل (ترك) و (بغض) لما في (ودَّع) من التوديع المصاحب للمحبة بين المتوادعين، فالمودع هو من يفارق وهو متعلق بمن ودَّعه ولم يكره لقاؤه⁽¹⁾، علمًا أنه لم يودعه _سبحانه_ لأنه لم يتركه أصلاً، فضلاً عن أن الوداع منه الوديعة، وهي ما تستودعه غيرك ليحفظه لك⁽²⁾، فهي أمانة يُحافظ عليها، وقد ألمح في ظلال الآية معنى أنه لم يدَعك أو يُودِّعك أو يُودِّعك وديعة عند أحد، فكيف به يتركك؟ والتَّرك لا يحوي هذه المعاني، بل منه التركة التي تُقسم بين الورثة، وشتان ما بين الاثنين من فارق.

سورة الشرح من الآية 1 _ 4:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ* وَوَضَعْنَا عَنكَ* وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ* وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

1 ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، 8 / 480 _ 481.

2 ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، حقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005م، ص: 1740، الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص: 861.

المستوى الصوتي:

في هذه الآيات الكريمة خطاب مباشر للنبي ﷺ والمتضمن الامتتان عليه بشرح الصدر، ووضع الوزر، ورفع الذكر. والفاصلة في هذه الآيات تمثل جزءاً من تركيب الآية مكملاً لبنيتها، فلا يتم المعنى إلا به.

فالكلمات (صدرك، وزرك، ظهرك، ذكرك) لا يمكن للآية الاستغناء عنها؛ لأنها جزء لا يتجزأ من تركيب الآية، تماثلت حروفها في الحرفين الأخيرين، وفي هذا يقول تمام حسان في كتابه (البيان في روائع القرآن): "فكلُّ آية من هذا القبيل تنتهي بكلام ذي علاقة عضوية بما سبق، فهي مفتقرة إليه لشدة الارتباط بينه وبين بقية أجزائها"⁽¹⁾.

كما أن كلمتي: (وزرك، ذكرك) القراءات فيها تدور بين تفخيم الراء وترقيقها، فقد رقق الراء فيهما ورش⁽²⁾، وقال الجزري في كتابه النشر بعد أن تحدّث عن جميع أنواع الراء المفتوحة_ والتي فيها الراء في (وزرك، وذكرك) وحال العلماء معها من الترقيق والتفخيم: "فهذه أقسام الراء المفتوحة بجميع أنواعها، وأجمعوا على تفخيمها في هذه الأقسام كلها إلا أن تقع بعد كسرة أو ياء ساكنة، والراء مع ذلك وسط

1 ط / 2، دار الكتب، القاهرة، 2000م، ص: 196.

2 ينظر: القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني، البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من

طريقي الشاطبية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط / 1، 1981م، 1 / 367.

الكلمة أو آخرها. فإن الأزرق له فيها مذهب خالف سائر القراء، وهو الترقيق مطلقاً⁽¹⁾.

وواضح أن الخلاف هنا يدور حول تفخيم الراء وترقيقها في (وزرك، ذرك) دون أن يكون له أثر على المعنى، فمعنى الآيات لا يختلف سواء أكانت الراء مرققة أم مفخمة.

المستوى الدلالي:

تبدو العلاقة بين جانبي الدلالة والصوت واضحة، فهما يتكاملان معا ويتطابقان في هذه الآيات الكريمة؛ فبعض الدلالات كانت تستدعي نوعاً معيناً من الأصوات، كما أن بعض الأصوات كانت تُعبر عن نوع معين من الدلالات.

وتعدُّ الكلمات أو الألفاظ من الأهمية بمكان في دراسة النصوص؛ لأنها تمثل الوحدات الصغرى التي يتشكل منها النص، وخصائص استعمالها تقودنا إلى الخروج بتصور واضح عن البنية الكلية، أي عن الوحدة الكبرى التي هي النصُّ أو السورة، فلا يُستغنى إذن عن دراسة الألفاظ في محاولة فهم النص "وليس ثمة ما يثير الدهشة أو الغرابة في هذه المكانة التي تتفرد بها الكلمات، فهي أصغر نواقل المعنى، أو أصغر الوحدات ذات المعنى في الكلام المتصل"⁽²⁾.

1 ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية_ بيروت، ط/ 2، 1423 هـ _ 2002م، 2 / 70.

2 ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجم: كمال بشر، ط/ 12، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، ص: 19.

وللألفاظ في القرآن الكريم مكانة خاصة، إذ تنفرد عن غيرها بدقة متناهية، وهي تتسجم تمام الانسجام مع السياق الذي تردُّ فيه، بحيث لو حاولت أن تستبدل بكلمة ما كلمةً أخرى لاختلَّ المعنى وانتقض التعبير؛ لذا فإنَّ ألفاظ القرآن الكريم تقع "ضمن الأسلوب البياني الرائع، ونعتقد مؤمنين أنَّ كل لفظ في القرآن له معنًى قائم بذاته، وفيه إشعاع نوراني يتضافر مع جملة" (1).

ولا شكَّ أن للسياق الذي ترد فيه الألفاظ دورًا هامًا في البحث في مستوى الدلالة، إذ لا يصح الاعتماد على مجرد النظرة الفردية في كل كلمة دون معرفة مواقعها من السياق الذي ترد فيه.

وقد فطن علماءنا القدامى لذلك وتنبهوا إليه، قال الجرجاني: "وهل تجد أحدًا يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جارتها وفضل مؤانستها لأخواتها" (2).

وفي قوله تعالى: ﴿الْمُ نَشْرُحْ لَكَ صَدْرَكَ* وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ* وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ يُحار المتأمل في معاني هذه الآيات الكريمة التي يخاطب فيها المولى عزَّ وجلَّ نبيُّه الكريم من هذه الدقة التي تميِّز ألفاظها بحيث تؤدي المعنى بطريقة فريدة، وكأنَّ هذه الألفاظ ما خُلقت إلا لهذه المعاني، ومن سمات ألفاظ هذه الآيات الكريمة ومميزاتها الدقة في الاختيار، إذ تعتبر سمة بارزة نندوقها في ألفاظ القرآن الكريم جميعها، فنجد أن اللفظ قد وقع في مكانه المناسب، وعبر عن المعنى المطلوب تعبيرًا دقيقًا، ومن مظاهر هذه الميزة في هذه

1 محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، 1970م، ص: 104.

2 الجرجاني، دلائل الإعجاز، مطبعة المدني، ط/3، 1413 هـ _ 1992م، ص: 44.

الآيات الكريمة التعبير بـ (نشرح) دون (أشرح) نكتة عظيمة " لَمْ قَالَ: أَلَمْ تَشْرَحْ، ولم يُقَلْ: أَلَمْ أَشْرَحْ؟ والجواب: إنْ حملناه على نون التعظيم، فالمعنى أن عظمة المنعم تدل على عظمة النعمة، فدلَّ ذلك على أن الشرح نعمة لا تصل العقول إلى كنهه جلالتها، وإن حملناه على نون الجميع، فالمعنى: كأنه _تعالى_ يقول: لم أشرحه وحدي بل أعملت فيه ملائكتي، فكانت ترى الملائكة حواليك وبين يديك حتى يقوى قلبك فأديت الرسالة وأنت قوي القلب، ولحقتهم هيبة لم يجيبوا لك جوابًا، فلو كنت ضيق القلب لضحكوا منك، فسبحان مَنْ جعل قلبك جيبًا فيهم، وانشرح صدرك ضيقًا فيهم" (1).

﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾: امتتان يحمل بين ثناياه كلَّ ما تحتل هذه الآية من معنى، سواء أكان بمغفرة ما سلف من الذنوب وتقل أيام جاهلية، أم بحط الهم الحاصل للنبي ﷺ من التفكير في أمته، أو بالكناية عن عصمته من الذنوب على سبيل المبالغة، أو بتخفيف أعباء الدعوة إلى الله. "وإسناد (أنقَضَ) إلى الوزر مجازٌ عقلي (2)، وتعديته إلى الظهر تبع لتشبيهه المشقة بالحمل، فالتركيب تمثيل لمتجشم المشاق الشديدة بالحمولة المثقلة بالإجمال ثقيلًا شديدًا حتى يُسمع لعظام ظهرها فرقة وصرير، وهو تمثيل بديع؛ لأنه تشبيه مركب قابل لتفريق التشبيه على أجزائه، ووصف الوزر بهذا الوصف تكميل للتمثيل بأنه وزر عظيم" (3).

1 الرازي، التفسير الكبير، المكتبة التوقفية، د. ت، 32/ 4 _ 5.

2 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، د. ت. د. ط. 30/ 410.

3 السابق نفسه، الصفحة نفسها، أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 8/ 484.

والمبالغة في وصف الوزر وتصويره بهذه الصورة العظيمة تظهر لنا في الصورة المقابلة لهذا الوزر العظيم، صورة الرحمة الأعظم منه، والتي أدت بمن حلت به إلى تجاوز كل هذه المشاق والأوزار والأثقال والتعب، ليصل إلى مرحلة يطمح إلى الوصول إليها كل إنسان، وهي انشراح الصدر الذي حصل له ﷺ.

﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾: جاءت الآية الكريمة معطوفة على سابقتها المتضمنة وضع الوزر عنه ﷺ، وعطفَ (وَضَعْنَا) و (رَفَعْنَا) بصيغة المضي على الفعل (تَشْرَح) بصيغة المضارع؛ لأنَّ (لَمْ) قلبت زمن الحال إلى المضي، فعطف عليه الفعلان بصيغة المضي لأنهما داخلان في حيز التقرير، فلما لم يقترن بهما حرف (لم) صير بهما إلى ما تفيده (لم) من معنى المضي⁽¹⁾. وأي ذكر بعد ذكر الله -تعالى- أرفع من ذكره، وقد جاء الرفع من قبيل قيوم السماوات والأرض: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ "هو أن قرنه بذكره -تعالى- في كلمة الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب، وفي غير موضع من القرآن، وفي تسميته نبي الله ورسول الله، وذكره في كُتُبِ الْأَوَّلِينَ، والأخذ على الأنبياء وأمهم أن يؤمنوا به"⁽²⁾.

المبحث الثاني: خطاب التحذير: الحذر في اللغة يدل على التَّحَرُّز من الوقوع في المَحْذُور. قال ابن فارس: "الحاء والذال والراء أصلٌ واحدٌ في الحرز والتَّيَقُّظ، وهو

1 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، د. ت. د. ط، 363 / 30.

2 أبو حيان، تفسير البحر المحيط، 484 / 8.

من التَّحَرُّزِ والتَّيَقِظِ، ويقال: حَذَرَ يَحْذُرُ حَذْرًا، ورجلٌ حذرٌ وحذورٌ وحذريانٌ: متيقظٌ متحرِّزٌ، وحذرٌ بمعنى احذر⁽¹⁾.

والحذرُ في الاصطلاح: اجتناب الشيء خوفًا منه، وقولهم: خذ الحذر من الشيء تعبيرٌ مجازي، قال ابن عاشور رحمه الله: "لأنَّ أخذ الحذر مجاز، إذ حقيقة الأخذ التناول، وهو مجاز في التلبس بالشيء والثبات عليه"⁽²⁾.

وخلاصة القول: إن المعنى اللغوي والاصطلاحي يتمثلان في التيقظ والتأهب، وأخذ الحيطة والاحتراس من الضرر.

وقد تتبعتُ الآيات الكريمة التي ورد فيها (الحذر) في القرآن الكريم فوجدتها في عشرين موضعًا في تصاريف مختلفة، وسوف أقتصرُ على بعض آيات التحذير الموجهة إلى الرسول الكريم ﷺ ومن هذه الآيات:

سورة المائدة الآية 51:

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾

المستوى الصوتي: نزلت هذه الآية الكريمة حين قال رؤساء اليهود لبعضهم لبعض: انطلقوا إلى محمد لعلنا نفتنه فنرده عما هو عليه، فأتوه، وقالوا له: قد علمت أننا إن

1 معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، 1404هـ. ص: 235.

2 التحرير والتنوير، 2/ 186.

اتَّبِعْنَاكَ اتَّبَعَكَ النَّاسُ، ولنا خصومة، فاقضِ لنا على خصومنا إذا تحاكمنا إليك، ونحن نؤمن بك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، وأنزل الله هذه الآية الكريمة⁽¹⁾.

ومن مظاهر إعجاز القرآن الكريم وبلاغته وبيانه اختيارُ اللفظ المناسب في المكان المناسب، فلفظ (أَهْوَاءُهُمْ) اسم جمع فيه استطالة من خلال اقتران صوت الواو بالألف، وهذا يتناسب ومضمون الآية التي تشتمل على زيادة من التحذير من اتباع أهواء هؤلاء المشركين.

كذلك لفظ (احذرهم) هذا الأمر من الله -عزَّ وجلَّ- لنبيه محمد ﷺ، وهو أمرٌ لأمته ما لم يرد دليل على تخصيص الأمر بالنبي ﷺ دون غيره، وقد اشتمل هذا اللفظ على مزيج من الأصوات المهموسة والمجهورة، وكان ذلك متناسبًا مع سياق الآية؛ وذلك لبيان أهمية الحذر في الآية الكريمة، كما أن إلحاق النون بحرف المد في نهاية الآية أحدث تناسبًا جميلًا ينشرح له الصدر، ويهفو له القلب، وتستلذه الآذان، إنها بحق ظاهرة صوتية تُثير فينا الشعور بالمتعة والجمال.

المستوى الدلالي:

الخطاب الموجّه للرسول ﷺ موجّه لأمته، إلا ما دلَّ الدليل على تخصيصه بالرسول ﷺ؛ لأنَّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وعلى هذا يكون الأمر بتحكيم الشرع موجه لكل ولاة المسلمين، وقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ تضمّنت النهي الصريح عن اتباع أهواء أهل الكتاب الذين لا يريدون الحق، بل يسعون إلى تحقيق أهوائهم بضلالهم وزيف قلوبهم بكل ما أوتوا من حيلة، وفيها تربية قرآنية

1 ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مكتبة مصر، دار الكتاب العربي -

بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة - 1407هـ، 2/ 34.

صريحة للنبي ﷺ بالاستقامة على طريق الله الذي أراده له ولأمته من بعده. قال محمد رشيد رضا رحمه الله: " ولا تتبع أهواءهم بالاستماع لبعضهم وقبول كلامهم ولو لمصلحة في ذلك وراء الحكم، كتأليف قلوبهم وجذبهم إلى الإسلام، فإن الحق لا يتوسل إليه بالباطل"⁽¹⁾.

ومعلوم أن النبي ﷺ لن يتبع أهواءهم لأنه معصومٌ، والمراد بخطابه في هذه الآية التشريع لأمته بالنهي عن اتباع أهواء الذين خالفوا دين الله، ثم جاء التحذير من الله تعالى لنبيه ﷺ، وفي هذا التحذير تربية للرسول ﷺ، وكل أمته بأخذ أشد الحذر من جميع أعداء دين الله من اليهود والنصارى وغيرهم، وفيه دلالة واضحة على أنهم يترصون بالمسلمين ويريدون إضلالهم، ومن أجل هذا جاء التحذير الإلهي، وإن كان هذا التحذير موجهاً للنبي ﷺ، وهو التقي التقي، فغيره من باب أولى ممن هو أقل إيماناً، وإذا كان هذا التحذير الإلهي نزل في زمن الرسول ﷺ وزمن الصحابة، وهم خير القرون، فزماننا به أولى.

سورة الأحزاب، الآية 52

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ زَوْجًا وَّلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾

خُتِمَتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ للتحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله وحرامه، وقدّم متعلق خبر كان: عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ لتحقيق

1 تفسير المنار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 6/ 421.

أمرين: أولهما: تأكيد عموم مراقبته سبحانه، والثاني: تحقيق التناسب برعاية الفاصلة⁽¹⁾.

المستوى الدلالي:

تميّزت سورة الأحزاب بكثرة استعمال أسلوب القصر بطرائقه المختلفة، لا سيما أسلوب الاستثناء بعد النفي، كما هو موجود في هذه الآية الكريمة، فقد جاءت ألفاظ هذه الآية مرتبطة بجو السورة في ضرورة الفاصلة التامة في الحدود والعلاقات، فلا ضبابية ولا رمادية في المواقف والمشاعر والحاجات، ولا مكان للمجاملات والرغبات إزاء الأوامر والتواهي الربّانية، والمعنى: لا يُباح لك النساء بعد نسائك اللاتي في عصمتك، واللّاتي أبجناهُنَّ لك، ومَنْ كانت في عصمتك من النساء لا يحل لك أن تطلقها مُستقبلاً، وتأتي غيرها بدلاً منها، ولو أعجبك جمالها، وأما الزيادة على زوجاتك من غير تطلق إحداهن فلا حرج عليك، وأما ما ملكت يمينك من الإماء فحلل لك منهن مَنْ شئت، وكان الله على كل شيء رقيباً لا يغيب عنه علم شيء⁽²⁾.

1 ينظر: علي أبو القاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن، دار المدار الإسلامي، ط/ 1، 2006م، 2/ 498.

2 ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر، 1420هـ - 1999م، 6/ 275.

المبحث الثالث: خطاب التنبيه :

التنبيه لغة: هو عبارة عن الإنذار أو الإعلام⁽¹⁾.

أما اصطلاحاً: فهو أسلوب الغرض منه تنبيه السامع والمخاطب لمعنى يُراد تقريره عليه، أو لأمر يُقصد تذكره به⁽²⁾.

وقد استعمل القرآن الكريم لطف الأساليب في تنبيه الرسول الكريم ﷺ وكان في منتهى التلطف والتكريم، ومن آيات التنبيه الموجهة إلى الرسول الكريم ﷺ:

سورة التوبة الآية 73:

﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

المستوى الصوتي:

اشتملت الآية الكريمة على مادة صوتية مكثفة من الأصوات الانفجارية الشديدة، وهذه الأصوات الشديدة تتناسب وسياقات السورة التي لم تخلُ في الغالب من الحملة على المشركين والمنافقين، مما يتطلب نوعاً من الغلظة والشدة في نطق الكلمات والحروف، وهو الأمر الذي يكون أشد وقعاً على المنافقين.

1 ينظر: الجرجاني، معجم التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403 هـ - 1983 م، ص: 54.

ج

2 ينظر: المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

المستوى الدلالي:

يقول الله - سبحانه وتعالى - لنبيه الكريم ﷺ: ﴿يَأْيُهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: بالغ في جهادهم والغلظة عليهم حيث اقتضت الحال الغلظة عليهم، ومعنى (الغلظة) في هذه الآية الكريمة (الشدة)، قال ابن عاشور: "وإنما وجه هذا الأمر إلى الرسول ﷺ لأنه جُبِلَ على الرحمة، فأمر أن يتخلى عن جِبَلَّتِهِ في حق الكفار والمنافقين، وأن لا يغضى عنهم كما كان شأنه من قبل"⁽¹⁾.

وقال: "والمقصد من ذلك إلقاء الرعب في قلوب الأعداء حتى يخشوا عاقبة التصدي لقتال المسلمين، ومعنى أمر المسلمين بحصول ما يجده الكافرون من غلظة المؤمنين عليهم، هو أمر المؤمنين بأن يكونوا أشداء في قتالهم، وهذه مبالغة في الأمر بالشدّة؛ لأنه أمر لهم بأن يجد الكفار فيهم الشدّة، وذلك الوجدان لا يتحقق إلا إذا كانت الغلظة بحيث تظهر، وتتل العدو فيحس بها"⁽²⁾.

سورة الحجر الآية 94:

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾

المستوى الصوتي:

بدأت الآية الكريمة بفعل أمر حروفه تدلّ بجرسها على معاني القوة والشدّة، فالصا د مفعمة، والدال مجهورة انفجارية شديدة، والعين مجهورة، وفي حال سكونها تزداد

1 التحرير والتوير، 10 / 267.

2 السابق نفسه، 11 / 63.

جهرًا ووضوحًا في السمع⁽¹⁾، ثم إنه فعل أمر، وهذا مما يزيد من ثقل الكلمة وقوتها وتأثيرها في النفوس والقلوب.

المستوى الدلالي:

تعددت أقوال المفسرين في تحديد المعنى اللغوي لأصل الصّدع في الآية، إلا أن معنى القوة يُداخل كل تلك التعريفات، قال صاحب أضواء البيان: "قوله: (فاصدع) قال بعض العلماء أصله من الصدع بمعنى الإظهار، ومنه قولهم: انصدع الصبحُ: انشق عنه الليل...، وقال بعض العلماء: أصله من الصدع بمعنى التفريق والشق في الشيء الصلب كالزجاج والحائط... وعلى هذا القول ﴿فَاصدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي: فرق بين الحق والباطل بما أمرك الله بتبليغه"⁽²⁾.

سورة الغاشية الآية 22:

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾

المستوى الصوتي:

الراء صوت لثوي مكرر مجهور، ينتج عن تكرار ضربات اللسان على اللثة تكرارًا سريعًا؛ ولذلك سُمِّي صوت الراء الصوت المكرر، ويكون اللسان حالة نُطقه

1 ينظر: محمود السمران، علم اللغة العام، (مقدمة للقارئ العربي)، ط/ 2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م، ص: 128 وما بعدها.

2 محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، إضواء البيان في إيضاح القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، 3/ 151، 152.

مُسترخياً في طريق الهواء الخارج من الرئتين، وتتذبذب الأوتار الصوتية عند نطقه⁽¹⁾.

ولعيوب خلقية في اللسان ينطقُ بعض الناس صوت الراء مثل صوت الغين أو اللام، وتسمّى لثغة.

وقد يكون السرُّ في اختيار هذا الصوت لهذه الآيات الكريمة أنّ أمر التذكير أمرٌ يحتاج إلى المداومة والصبر، فعندما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ أشار إلى أنّ كل من تولّى عن دعوة النبي ﷺ وكفر بها سوف يعذبه الله العذاب الأكبر، والراء من صفاتها التكرار والجهر، وقد أمر النبي ﷺ أن يجهر بالتذكير ويداوم عليه، والمداومة على الأمر: المواظبة عليه⁽²⁾.

والمسيطر والمسيطر: المسلط على الشيء، ليتعهد أحواله ويكتب عمله⁽³⁾، وقال الراغب: يقال: تسيطر فلان على كذا، وسيطر عليه: إذا قام عليه قيام سطر، يقول: لست عليهم بقائم وحافظ. كما أن لفظ (مسيطر) مادته الأصلية: (س، ط، ر)، حدث فيها عدول صوتي من خلال إبدال السين بالصاد⁽⁴⁾، وتتجلى المناسبة بوضوح بين طبيعة الصوت المفخم، والوقف الذي تعبر عنه الآية، فالمولى عز وجل يوجه خطابه إلى رسوله محمد ﷺ قائلاً: ليست بمتسلط ولا متجبر عليهم

1 كمال بشر، علم اللغة والأصوات، الطبعة الأولى، دار غريب للنشر، القاهرة_ مصر، ص: 129.

2 الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ، 2009م، ص: 395.

3 ابن منظور، لسان العرب، 4/ 576.

4 مفردات ألفاظ القرآن، ص: 410.

تُكرههم على الدخول في دين الله بالقوة، فهذه دعوة من الله _ سبحانه وتعالى_ إلى الابتعاد عن كل أشكال التجبر والتسلط على الناس؛ لأن الهداية لا تكون إلا من عند الله، وبما أن السيطرة دليل على القوة والتجبر وردت بالصاد المفخمة المناسبة للموقف بدلا من السين المهموسة التي تتلاءم في أغلب الأحيان مع الرقة والليونة.

المستوى الدلالي:

بعد استعراض الآيات المبنوثة في الكون، وما يجده الإنسان في أعماق نفسه وعقله من آثار بديع صنع الله _ سبحانه وتعالى_ وما سخره له، وبعد كل ما سبق من ترهيب وترغيب، وحث للنظر والتأمل، فيتفاعل بعض الناس مع آيات الله المقروءة المبنوثة، ويمضي بعضهم في غيه مكابرا معاندا، فتأتي الحاجة إلى من يتولى الدعوة إلى الله والتمثل بالرسول الكريم ﷺ في المقام الأول، وقد أوضحت الآيات الكريمة: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ الفاء لترتيب الأمر بالتذكير على ما يبنى عنه الإنكار السابق من عدم النظر، أي: فاقصر على التذكير ولا تلح عليهم، ولا يهملك أنهم لا ينظرون، ولا يتذكرون⁽¹⁾.

والذكر: "الحفظ للشيء تذكره وأذكره إياه: ذكَّره، والاسم: الذكرى... تكون الذكرى بمعنى الذكر، وتكون بمعنى التذكُّر في قوله تعالى: ﴿وَذَكَّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، والذُّكْرُ والذِّكْرَى نقيض النسيان"⁽²⁾؛ فكل من غفل عن النظر في الآيات

1 ينظر: محمود بن عبد الله الألويسي، روح المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 15/

331، محمد بن محمد العماري أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر

العربي، بيروت، 5/ 866.

2 ابن منظور، لسان العرب، 3/ 512.

الكونية فهو في حالة نسيان لابدً من تذكيره وتبنيه، فما على الداعي إلا البلاغ: «إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ» قصرٌ وحصرٌ لوظيفة النبي ﷺ في قيامه بالتذكير، كقوله تعالى: «إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ» (الشورى: 48) والقصرُ هنا قصرٌ موصوفٌ على صفة، و(إِنَّمَا) مع إفادتها القصر، تفيد التعريض بمن لا يتذكرون، «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ»: تثبيتٌ وتحقيقٌ لمعنى الإنذار، أي: لست بمُسلطٍ عليهم تجبرهم على ما تريد⁽¹⁾، كقوله تعالى: «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ» (ق: 45)، فواجب الداعي التذكير والبيان فحسب، أما النتيجة فليس بمسؤول عنها، والله عز وجل يتولى مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْحَقِّ وَأَدْبَرَ.

المبحث الرابع: خطاب العتاب:

العتابُ لغةً: العتاب في عُرف اللغة يأتي من مادة (ع ت ب)، يقال: عتاب عليه عتاباً، من بابي (ضرب وقتل)، ومعتباً أيضاً: لامةً في تسخُّطٍ، فهو عاتبٌ وعتابٌ مبالغةً⁽²⁾.

فالعتاب لغةً: هو بمعنى اللوم والتسخط من فعل الشيء.

أما اصطلاحاً: فلا يخرج المعنى الاصطلاحي للعتاب عن المعنى اللغوي المذكور سابقاً، فالعتاب: هو اللوم وما يكون على صدور المكروه من التأديب⁽³⁾.

1 ينظر: الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص: 410.

2 الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت، 2/391.

3 ينظر: أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط/ 1، عالم الكتب، 1429هـ، 2008م، 2/ 1453.

وهناك نوعان من العتاب:

عتابٌ شديدٌ: ومن هذا عتاب الحقِّ سبحانه وتعالى لرسوله الكريم ﷺ في سورة الكهف: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ* وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ الآية 24.

وعتابٌ لطيفٌ: حيث يستعمل القرآن الكريم ألفاظ وأرقها في معاتبات رسوله الكريم ﷺ، ومن بين الأساليب الرقيقة التي استخدمها الحقُّ سبحانه وتعالى عتابه بشأن حادثة عبد الله بن مَكثُوم، وقد جاء العتاب في سياق الغيبة لتخفيف وطأة المعاتبة على نفسه، كما أنّ في توجيه العتاب المباشر مواجهةً وتجريحاً وإزالة لحاجب التقدير والتكريم، والتدرج من الغيبة إلى الخطاب تهيئةً للنفس لاستقبال الموقف.

*نموذج للعتاب الشديد:

سورة الكهف من الآية 24: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾

المستوى الصوتي:

ينتشل النبر الثانوي في العادة بعد أن تدخل اللواحق الصوتية فتغير من موقع النبر الأولي لتخلق نبراً ثانوياً يُشكل تأثيراً صوتياً في السمع⁽¹⁾، ويظهر أثر النبر الأولي والثانوي على اتفاق الأصوات وانسجامها حسب التقارب والتباعد بينهما، فكما

1 ينظر: محمود السعران، علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي، ص: 190، عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، شركة الشرط الأوسط للطباعة، الأردن، ط/ 1، 1998م، ص: 119، ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1999م، ص: 143.

تقاربت أعداد المقاطع بين النبرين أو انتظم اختلاف بعضها عن بعض حسن تأثيرها، وهذا ما نجده في قوله _تعالى_: «وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا»، فيظهر في الآية الكريمة أثر اللواحق الصوتية في (تَقُولَنَّ) على التغير في النبر فَنَشْكَلُ نَبْرًا ثَانَوِيًّا نتيجة للحذف المتأني مع الإدغام في (إِنِّي) إذ لو جاءت (إِنِّي) لَخَفَّ الأثر الصوتي، وذهب ملمح القوة الذي يظهره من يدّعي القدرة على المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله _سبحانه وتعالى_ (1).

المستوى الدلالي:

هذه الآية الكريمة موجهة للرّسول ﷺ، حيث عاتب الله _تعالى_ نبيه الكريم ﷺ على قوله للكفار حين سأله عن الرّوح والفتية وذي القرنين: غَدًا أُخبركم بجواب أسئلتكم، ولم يستثن في ذلك، وقوله _تعالى_: «إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» في الكلام حذف يقتضيه الظاهر ويُحسّنه الإيجاز، تقديره: إلا أن تقول إلا أن يشاء الله.

والمتأمل في أسلوب القرآن الكريم يجد أنّه وظّف كل إمكانات التعبير المحتملة والموجودة في اللغة لإبصال رسالته الاعتقادية التشريعية في أحسن صورة وفي أروع تعبير، كما بدا ذلك الثراء الدلالي والبلاغي في سورة الكهف، وقوله _تعالى_: (وَلَا تَقُولَنَّ) أسلوب نهّي، ومن المعروف أن صيغة النهي قد تخرج عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى تُفهم بقرائن من سياق الكلام (2)، قال الزمخشري: "ولا تقولَنَّ لشيءٍ

1 ينظر: صباح دالي، البنية اللغوية في سورة الكهف، دراسة لسانية تطبيقية، رسالة دكتوراه، 2013م _ 2014م، ص: 209، 210.

2 ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، 1424هـ، 2003م، 2/ 159.

تعزم عليه إني فاعلٌ ذلك الشيء غداً إلا أن يشاء الله، متعلق بالنهي لا بقوله: إني فاعل؛ لأنه لو قال: إني فاعل كذا إلا أن يشاء الله، وكان معناه: إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله، وذلك مما لا مدخل فيه للنهي⁽¹⁾.

ومجمل الجمل الطلبية التي وردت في السورة قد خرجت إلى معانٍ بلاغية، وقد كثرت صيغ الأمر والاستفهام بأغراض مختلفة، وأبرز ما يُلاحظ كثرة مجيء الجمل الخبرية المؤكدة وغير المؤكدة عقب الصيغ الإنشائية في الأمر والنهي والاستفهام، وهذه الجمل تضمنت التعليل والبيان لما يتضمنه السياق القرآني خاصة القصصي منه من صور الإنشاء، فيبدو الأثر اللغوي جلياً بين أجزاء الكلام⁽²⁾.

نموذج للعتاب اللطيف أو الرقيق: سورة عبس الآيتان 1، 2:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾

المستوى الصوتي:

هذه الآية أفصحت عن السبب الذي من أجله عبس النبي ﷺ وتولى، وقد جاءت فاصلتها (الأعمى) وصفاً لابن أم مكتوم الذي أقبل عليه ﷺ يسأله عن الخير ويطلبه مزيداً من التوجيه والهداية.

والمتأمل في اختيار القرآن الكريم لهذا اللفظ تحديداً وإيثاره فاصلة للآية الكريمة يُدرك مظهراً من مظاهر إعجاز القرآن الكريم وبلاغته وبيانه، حيث جاءت هذه الفاصلة مستقرة في مكانها، مطمئنة في موقعها، دقيقة في دلالتها، لا يمكن لأي

1 الكشاف، 3/ 59.

2 ينظر: صباح دالي، البنية اللغوية في سورة الكهف، ص: 213.

فاصلة غيرها أن تحلّ محلّها، مع ما أضافته من انسجامٍ صوتي تناسب مع بقية آيات المشهد، وانسجم مع جو السورة وموضوعها الرئيس، وفي الأصوات الداخلية لهذه الفاصلة ما يتناسب مع دلالتها والجو العام للمشهد الذي ورد فيه، فالألّف والعين يخرجان من الحلق، الأول من أقصاه والثاني من وسطه، ولا تخفى الصعوبة التي يلاقيها الناطق لهذين الحرفين؛ حيث يبذل جهداً في إخراجها لا يماثله جهد في بقية الحروف، ولعل هذا مما يتناسب مع المشقّة والشدّة التي لاقاها ابن مكتوم ﷺ في وصوله إلى النبي ﷺ ليسأله عن الخير والهداية، كما تتسجم مع قوة هذا العتاب وشدّته وصعوبته على نفس الرسول ﷺ⁽¹⁾.

المستوى الدلالي:

أما من حيث الجانب الدلالي فقد أثر القرآن الكريم هذه اللفظة دون غيرها لما تحويه من دلالات التسهيل والنّهية وإتاحة كل ما من شأنه أن يساعد الإنسان في هذه الحياة، ويمنحه الراحة، ويبعده عن الكلفة والتعب والمشقة. وإذا اقترب المتأمل أكثر من هذا اللفظ سيلحظ مجموعة من الأسباب الدلالية والجمالية التي جعلت القرآن الكريم يؤثر على غيره، حيث يفصح هذا الوصف عن شدة ضعف ابن أم مكتوم ﷺ وحاجته الشديدة إلى الإرشاد والتوجيه، وتجشّمه العناء في هذا المجيء، وهذا ما يؤكد عتاب المولى _ سبحانه وتعالى_ الذي بُنيت عليه السورة الكريمة.

1 ينظر: عمر بن عبد العزيز المحمود، جماليّات التركيب والإيقاع في سورة (عبس)، مجلة العلوم العربية، العدد الخامس والثلاثون، ربيع الآخر، 1436هـ، ص: 315.

الخاتمة

من خلال هذا البحث توصلت إلى:

- إن الخطاب بشكل عام هو الكلام الموجه للآخر على وجه الإنشاء أو الإخبار، أما الخطاب القرآني فهو كلام الله الموجه للمكلفين بواسطة الوحي على لسان نبيه محمد ﷺ، طلبًا، ونهيًا، وترغيبًا، وترهيبًا، ووعدًا، ووعيدًا، وإخبارًا، وتذكيرًا، واعتبارًا، وإنذارًا، إلى غير ذلك من العبارات التي تدل على تعدد وتنوع الخطابات القرآنية.
- إن الخطاب القرآني الموجه إلى نبينا الكريم محمد ﷺ يتميز عن باقي أنواع الخطاب سواء أكان الخطاب الموجه للأنبياء والرسل، أم كان لغيرهم من البشر.
- بيان مدى فاعلية الصوت في تحديد المعاني. فقد توصلت من خلال هذه الدراسة إلى أن هناك علاقة وطيدة تربط الصوت بالدلالة والعكس صحيح، فكل واحد منهما يخدم الآخر ويتأثر به، فالإيحاء الصوتي المنبعث من النص القرآني كان نتيجة لتوافق الصوت مع المعنى عبر العلاقة بين شكل اللفظة وطبيعة النسق داخل الآية، فالصوت يقوم بنصرة المعنى، وقد ظهر ذلك بوضوح من خلال التشكيلات الصوتية المختلفة للمعنى القرآني.

*التوصيات:

الربط بين مستويات اللغة والاهتمام بتمثل هذا النوع من الدراسات، والحرص على أن تكون تلك الدراسات في السياق القرآني باعتباره المصدر الأول لهذه اللغة، والحافظ لها على مر العصور والأزمان.

ولعلي بهذا أكون قد وُفِّتُ في ذلك، فإن كان ذلك فهو من فضل الله عليّ ومِنِّيهِ، وإلا فحسبي أنّي حاولتُ قدر إمكانني أن لأكون خادمةً للغتي العربية في بيان جانبين من جوانب ارتباطها بكتاب الله العزيز.

قائمة المصادر والمراجع

- أولاً_ القرآن الكريم
 - ثانياً_ الكتب
1. إبراهيم السّعافين وآخرون، أساليب التعبير الأدبي، ط/ 3، عمان، دار الشروق، 2000م.
 2. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، 1999م.
 3. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية_ بيروت، ط/ 2، 1423 هـ _ 2002م.
 4. ابن دريد، الجمهرة، دار العلم للملايين، 1988م.
 5. ابن عاشور، التحرير والتوير، الدار التونسية للنشر، د. ت. د. ط.
 6. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، 1404 هـ.
 7. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر، 1420 هـ – 1999م
 8. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر_ بيروت، د. ت. د. ط .
 9. أبو حيان، تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية، تحقيق: عادل أحمد، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت_ لبنان، 1413 هـ – 1993م.

10. أحمد خليل، دراسات في القرآن، دار النهضة، بيروت، 1969م.
11. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط/ 1، عالم الكتب، 1429هـ، 2008م.
12. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى - 1418هـ.
13. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ط/ 2، دار الكتب، القاهرة، 2000م.
14. الجرجاني، دلائل الإعجاز، مطبعة المدني، ط/3، 1413هـ - 1992م.
15. الجرجاني، معجم التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
16. الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، دار الحديث، القاهرة، 1430هـ،
17. الرازي، التفسير الكبير، المكتبة التوقيفية، د. ت. د. ط.
18. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، ط/ 3، 1423هـ، 2002م.
19. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مكتبة مصر، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة - 1407هـ.

20. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجم: كمال بشر، ط/ 12، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر.
21. سعد الدين النفتازاني، مختصر المعاني، دار الفكر، ط/ 1، 1411هـ.
22. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، 1424هـ، 2003م.
23. صباح دالي، البنية اللغوية في سورة الكهف، دراسة لسانية تطبيقية، رسالة دكتوراه، 2013م _ 2014م.
24. عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق، دراسة قرآنية لغوية وبيانية، دار المعارف، ط/ 2، مصر، 1987م.
25. عباس كاشف الغطاء، الدين النصيحة، دار العلوم للتحقيق والطباعة،
26. عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، شركة الشرط الأوسط للطباعة، الأردن، ط/ 1، 1998م.
27. عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، شركة الشرط الأوسط للطباعة، الأردن، ط/ 1، 1998م.
28. علي أبو القاسم عون، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن، دار المدار الإسلامي، ط/ 1، 2006م.

29. عمر بن عبد العزيز المحمود، جماليّات التركيب والإيقاع في سورة (عبس)، مجلة العلوم العربية، العدد الخامس والثلاثون، ربيع الآخر، 1436هـ.
30. الفيروز أبادي، القاموس المحيط، حقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005م.
31. الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، د. ط، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
32. القاضي ، عبد الفتاح بن عبد الغني، البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/ 1، 1981م .
33. القرطبي، أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الريان للتراث، د. ت.
34. كمال بشر، علم اللغة والأصوات، الطبعة الأولى، دار غريب للنشر، القاهرة_ مصر.
35. محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار لفكر العربي، 1970م.

36. محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، إضواء البيان في إيضاح القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.
37. محمد بن محمد العماري أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر العربي، بيروت.
38. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
39. محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، 2008م.
40. محمود السعران، علم اللغة العام، (مقدمة للقارئ العربي)، ط/ 2، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م.
41. محمود بن عبد الله الألوسي، روح المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ، 331 / 15، محمد بن محمد العماري أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الفكر العربي، بيروت.
42. محمود نحلة، دراسات قرآنية في جزء عم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م.
43. المعجم الوسيط، د.ت، دار الدعوة، د.ت.
44. منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب (مقاربة توصيفية لجمالية السرد الإعجازي) دمشق، دار العرب للدراسات والنشر والترجمة، 2012م

المصطلح النحوي في الأندلس اتِّباعًا وتجديدًا

إعداد: أ. عبير إسماعيل الرفاعي*

الملخص:

تناولتُ في هذا البحث المصطلح النحوي في الأندلس اتِّباعًا وتجديدًا، مع دراسة لبعض مصطلحات ابن مالك الأندلسي في بعض مؤلفاته، كـ (كتاب تسهيل الفوائد وشرحه، وكتاب الكافية الشافية وشرحه، وأرجوزة الخلاصة الموسومة بالألفية)، ويهدفُ البحثُ إلى التعرفُ على طبيعة المصطلح النحوي في تلك المدة، ومعرفة أبرز النحاة الأندلسيين، وأهم ما تركوه من آثار علمية، كما يهدف إلى معرفة طبيعة المصطلح النحوي عند الأندلسيين من حيث الاتِّباعُ والتجديدُ، وقد اخترتُ من علماء الأندلس الإمام ابن مالك الأندلسي (ت672هـ) كنموذج لبيان التأثير الذي أحدثه نحاة الأندلس فيما يخص المصطلح النحوي من حيث التطويرُ والتجديدُ، وذلك من خلال البحث في مؤلفاته التي اعتمدها، مع عقد مقارنة بين مصطلحاته ومصطلحات السابقين له، وقد جاء البحثُ في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة. المبحث الأول تناولتُ فيه نبذة عن الحركة العلمية في الأندلس، وأشهر أعلام الأندلس، وبيان أبرز ما برعوا فيه.

أما المبحث الثاني فتضمن معنى المصطلح في اللغة والاصطلاح، والفرق بينه وبين الاصطلاح.

* قسم اللغة العربية وآدابها/ كلية الآداب/الخمس

والمبحث الثالث عقدهُ للمصطلح النحوي عند ابن مالك الأندلسي، وتضمن: التعريف بابن مالك، ودوره في تطوير المصطلح النحوي، وموقفه من المصطلحات البصرية والكوفية، مع ذكر لبعض المصطلحات التي انفرد بها، ثم الخاتمة التي عرضتُ فيها أهم ما توصلتُ إليه من نتائج.

Abstract:

In this research, I dealt with the grammatical term in Andalusia, following and renewing, with a study of some of the terms of Ibn Malik al-Andulusi in some of his works "Books", such as, (Facilitating the Benefits and its Explanation, Argoza Al-khulasa- taged with the Millennium).

The research aims to identify the nature of the grammatical term in that period and gets to know the most prominent Andalusian grammarians and the most important left heritage in this field. It also aims to mark the nature of the grammatical term among Andalusians in terms of following and renewing. I chose from the Andalusian scholar, Imam Ibn Malik Al-Andulusi (672 AH) as a model to illustrate the influence that the grammarians of Andalusia had on the grammatical term in terms of development and renewal. This was done by studying his writings that I have adopted with a comparison between his terminology and the terms of his predecessors. The

research came in an introduction, three chapters and a conclusion. The first chapter dealt with an overview of the scientific movement, and the most famous scholars in Andalusia and what they excelled at. The second chapter included the meaning of the term in the language and terminology and the difference between them.

The third chapter dealt with the grammatical term according to Ibn Malik Al-Andalusi, and it included short introduction about Ibn Malik and his role in the development of the grammatical term, and his point of view in Basri and Kufi terms with mention of some terms that are unique to him. And last but not least the conclusion in which I presented the most important findings.

المقدمة:

الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، فعلم الإنسان ما لم يعلم، وأودع فيه العقل ولطائف الحكم، وميزه عن سائر خلقه من الأمم، والصلاة والسلام على نبينا الخاتم، المبعوث للعالم، وعلى آله مصابيح الظلم، ومفاتيح الحكم، وسادة الأمم.

أمّا بعدُ:

فإنَّ البحثَ في المصطلح النحوي يُعدُّ من أهم الدراسات اللغوية؛ ذلك لأن المصطلح هو الصورة المُصَغَّرَة لمادة الموضوع ومعانيه، إذ يُلَخَّصُ المعاني الكثيرة بلفظ مفردٍ أو لفظين.

مشكلة البحث:

- هل يمكن تسمية الحركة العلمية في الأندلس باسم المدرسة؟
- هل كان الأندلسيون تابعين لمن سبقهم في وضع قواعدهم اللغوية عامة والمصطلح النحوي خاصة أم كانت لهم مصطلحاتهم الخاصة بهم والتي خالفوا بها من سبقهم؟
- علام قام منهج الأندلسيين في وضع القواعد النحوية؟
- ما تعليل ابن مالك لرفضه بعض مصطلحات السابقين واعتراضه عليها؟ وهل استخدم هو هذه المصطلحات التي اعترض عليها؟
- ما أهم المصطلحات التي انفرد بها ابن مالك؟

وتكمن أهمية البحث في كونه قائماً على دراسة المصطلح النحوي في الأندلس ورصد التطور الذي طرأ عليه منذ بداية التأليف في هذا العلم حتى وصل إلى هذا الوقت، وتسليط الضوء على عالم فذ من علماء الأندلس، هو ابن مالك الأندلسي (ت672هـ)، والبحث في منهجه في التعامل مع المصطلح، وذكر بعض المصطلحات التي تناولها في مؤلفاته، وبيان مدى اتفاق المصطلح النحوي عنده مع مصطلحات السابقين له، وعرض مبسط لتطور المصطلح عنده، مع ذكر بعض المصطلحات التي انفرد بها ولم يُسبق إليها من قبل، وأهم سماتها التي تتميز بها،

ولم تكن دراستي حصرية لمصطلحات ابن مالك بقدر ما كانت انتقائية لبعض مصطلحاته مع عرض مقارنة بين مصطلحاته ومصطلحات السابقين له والوصول إلى نتيجة توضح إذا ما كان تابعا فقط لمن قبله أم مطوّراً ومُجدِّداً للمصطلح، وقد اعتمدتُ في دراستي على بعض المصادر الخاصة بابن مالك وكذلك السابقة له لغرض رصد التطور الذي طرأ على المصطلح النحوي منذ الخليل وسيبويه وصولاً إلى ابن مالك، ومنها: العين للخليل، والكتاب لسيبويه، ومعاني القرآن للفراء، والمقتضب للمبرد، والأصول في النحو لابن السراج، والمفصل للزمخشري، إلى جانب مصادر أخرى أثبتتها في موضعها.

منهج البحث:

لقد اتبعتُ في هذا البحث المنهج الاستقرائي، حيث اقتضت طبيعة البحث تتبُّع المصطلح النحوي عند ابن مالك من خلال بعض مؤلفاته، وكذلك المنهج الوصفي، حيث تناولت مصطلحاته بالشرح والوصف، كما اتبعتُ طريقة المقارنة والموازنة بين مصطلحات ابن مالك ومصطلحات السابقين له لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف ومدى الدقة في اختيار مصطلح دون آخر.

وكانت خُطتي في البحث أن جاء مقسماً إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث:

المقدمة: وعرضت فيها ما قمت به من عمل في هذا البحث

المبحث الأول: نبذة عن الحركة العلمية في الأندلس، مع عرض لأشهر أعلام الأندلس وأبرز ما برعوا فيه.

المبحث الثاني: وفيه بيان معنى المصطلح لغة واصطلاحاً.

المبحث الثالث: المصطلح النحوي عند ابن مالك، وتضمن التعريف بابن مالك، وبيان دوره في تطور المصطلح النحوي، وموقفه من المصطلحات البصرية والكوفية، وذكر بعض المصطلحات الجديدة التي انفرد بها ولم يسبق إليها.

الخاتمة: وعرضتُ فيها أبرز وأهم ما توصلتُ إليه من نتائج من خلال البحث.

ثبتت المصادر والمراجع: وضعت في المصادر التي استعنت بها على خدمة هذا البحث.

المبحث الأول: نبذة عن الحركة العلمية في الأندلس:

كان منهج الأندلسيين في النحو كمنهج البغداديين قبلهم، قائماً على الانتخاب من الآراء التي سبقهم أصحابها، فقد انتخب الأندلسيون من المدارس الثلاث: البصرية والكوفية والبغدادية، وتأثروا بها، فكان تأثرهم بالمدرسة البصرية ظاهراً في اهتمامهم بكتاب سيبويه، حيث جعلوه المصدر الأول من مصادر الدراسة النحوية عندهم، وقد رحل بعض علماء الأندلس إلى الشرق طلباً لكتاب سيبويه ودُرِّسَ لطلبة العلم في موطنهم، وبلغ من عناية الأندلسيين بكتاب سيبويه أن اشتهر جماعة من النحويين منهم بحفظه، منهم: حمدون النحوي (ت200هـ)، ووصف الطنطاوي عنايتهم بكتاب سيبويه بقوله: "لكتاب سيبويه عندهم منذ فجر النهضة العلمية بينهم المكانة المقدسة، فجدُّوا وتحملوا المشاق والأخطار في ارتحالهم من بلادهم إلى المشرق للحصول على صورة منه، وإنها لمثقة لا تسهل إلا على هؤلاء الذين أحبوا العلم للعلم، والرغبة الخالصة لا يحول دونها حاجز، وإن تعذر اجتيازُه"⁽¹⁾. إلا أن دخول

1 نشأة النحو للطنطاوي ص221.

كتاب سيبويه إلى الأندلس يُعدُّ متأخرًا مقارنةً بكتاب الكسائي الذي كان أول كتاب نحو يدخل الأندلس ويلقى إقبال المتعلمين على دراسته وتدريسه، واتباع آرائهم واستعمال مصطلحاتهم النحوية، ولعل هذا يفسر السبب في كون النحو الأندلسي قد بدأ بنزعة كوفية.

وكما رحل الأندلسيون إلى الشرق هاجر بعض المشاركة، ممن لهم اهتمام باللغة والنحو، إلى الأندلس، منهم: أبو علي القالي (ت 356هـ) الذي كان وجوده في الأندلس كسبًا ثقافيًا لهذه البلاد، وذلك المكسب يتجلى في الكتب التي جلبها، وفي الأخبار التي رواها، وفي المؤلفات التي كتبها في الأندلس. أما النحو البغدادي فقد وصل بعد مدة، يمكن القول إنها طويلة، إذا ما قيست بالنحو الكوفي والبصري، ومعلومٌ أن النحو البغدادي قائم على الانتخاب من آراء البصريين والكوفيين، فكذا كان نهج الأندلسيين في أخذهم عن البغداديين، حيث مزجوا بين آراء المدارس الثلاث، فانتهجوا نهج البصريين والكوفيين، وأضافوا إلى ذلك اختيارات من آراء البغداديين وبخاصة آراء الفارسي (ت 377هـ) وابن جني (ت 392هـ)، إلا أن تأثر الأندلسيين بالمذهب البغدادي قد بدأ فعليًا في القرن الخامس الهجري، إذ ظهر انغماسهم في النحو البغدادي عند ابن سيده (ت/458هـ)⁽¹⁾.

_ أشهر أعلام الأندلس:

جودي بن عثمان النحوي (ت 198 هـ).

حمدون النحوي (ت 200 هـ).

1 انظر: المدارس النحوية لشوقي ضيف ص 292.

- الأقشنيق القرطبي (ت 307 هـ).
دَرَوْدُ القرطبي (ت 324 هـ).
الرياحي الأزدي (ت 358 هـ).
أبو بكر الرُّبَيْدِي (ت 379 هـ).
ابن سيده (ت 458 هـ).
الأعلم الشنتمري (ت 476 هـ).
ابن السَّيِّدِ البطليوسي (ت 521 هـ).
ابن الطراوة (ت 528 هـ).
ابن هشام اللّخمي (ت 577 هـ).
ابن مضاء القرطبي (ت 592 هـ).
ابن خروف الإشبيلي (ت 609 هـ).
أبو علي الشَّلَوِيْن (ت 645 هـ).
ابن هشام الخضراوي (ت 646 هـ).
ابن عصفور (ت 663 هـ).

ابن مالك الطائي الأندلسي (ت672 هـ)⁽¹⁾.

ـ أبرز ما برع فيه نحاة الأندلس:

إن معالم النحو الأندلسي لم تكن واضحة بسبب التأثير بمذاهب النحو الأخرى، فهو لم ينم ولم يزهدهر إلا في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، ولم يصبح مذهباً نحوياً قائماً بذاته ولم تكتمل سماته إلا في القرن السابع الهجري، فكان ازدهاره بفضل بعض النحاة أمثال: السهيلي (ت581هـ)، وابن مضاء (ت592هـ)، وابن مالك الأندلسي (ت672هـ)، وأبي حيان (ت745هـ)، وغيرهم، وهذا جعل النحو الأندلسي يظهر بسمات خاصة ميزته عن نحو السابقين، منها: كثرة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، والنفور من التعليل، والدعوة إلى إلغاء العلل الثواني والثالث، وظهر ذلك جلياً عند ابن مضاء وأبي حيان، ومن أبرز ما برع فيه نحاة الأندلس:

ـ تأليفهم في حروف المعاني: حيث يُعد كتاب رصف المباني في حروف المعاني للمالقي (ت702هـ) المرجع الرئيس لكل من بحث في حروف المعاني، فقد ترك الكتاب أثراً واضحاً في الكتب التي أُلفت بعده في الحروف، مثل: الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي (ت749هـ).

ـ تأليفهم في الضرورة: يُعدُّ كتاب ضرائر الشعر لابن عصفور (ت663هـ) من أهم ما أُلف في هذا الموضوع، وقد كان هذا الكتاب من المصادر الرئيسة التي اعتمد عليها البغدادي (ت1093هـ) في كتابه خزانة الأدب.

1 انظر: المدارس النحوية لشوقي ضيف ص288 وما بعدها.

_ وضع المتون النحوية: حيث وضع علماء الأندلس المتون النحوية المتنوعة، المنشور منها والمنظوم، والتي جمعت قواعد النحو العربي تيسيراً على طلاب العلم وحفظ قواعده، منها: المقدمة الجُزُولية، لأبي موسى الجزولي البربري، وعُرفت بـ (قانون النحو)، والدرة الألفية في علم العربية المعروفة بألفية ابن معطٍ (ت628هـ)، ومنتن الكافية الشافية، ومنتن الخلاصة الشهيرة بالألفية لابن مالك الطائي الأندلسي (ت672هـ)⁽¹⁾.

كما زخرت أغلب مؤلفات النحو بآراء علماء الأندلس، مما يدل دلالة ظاهرة على تغلغل النحو الأندلسي في الدراسة والتصنيف، مثل: مغني اللبيب لابن هشام (ت761هـ)، وشرح الأشموني (ت900هـ)، والتصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري (ت905هـ)، ويُعدُّ كتاب همع الهوامع للسيوطي (ت911هـ) مصدرًا رئيسًا للنحو الأندلسي، فقد جمع السيوطي فيه أسماء كثيرة لنحاة الأندلس، كالزبيدي، والأعلم الشنتمري، وابن الطراوة، والسهيلي، وأبي بكر بن طاهر، وابن السِّدِّ البطليوسي، وابن سيده، وابن بادش، وابن الحاج، وابن معطٍ، والجزولي، وابن خروف، وابن عصفور، وابن مالك⁽²⁾.

المبحث الثاني: معنى المصطلح لغةً واصطلاحًا:

المصطلح لغةً: المدلول المعجمي لهذه المادة (ص ل ح) هو التصالح والتسالم، فكأنَّ الناس اختلفوا عند ظهور مدلولٍ جديدٍ على تسميته، فذهب فريق من القوم إلى إعطائه اسمًا، واقترح فريقٌ آخرُ اسمًا مُغايرًا، وارتأى فريقٌ ثالثٌ تسميةً مُباينةً، وكان

1 انظر: المدرسة الأندلسية، سهاد صياد ص9.

2 انظر: المصدر نفسه ص9، 10.

من نتيجة هذا اختلاف القوم فيما بينهم، إلى أن تصالحوا وتسالموا على تسمية واحدة لهذا المدلول.

والمصطلح مصدر ميمي من الفعل (اصطَلَحَ)، نُقِلَ إلى الاسمِية بتخصيصه بهذا المدلول الجديد، وقد يكون اسم مفعول لهذا الفعل على تقدير متعلق محذوف، أي: مصطلح عليه، وتكاد المعاجم تُجمع على أنه ضد الفساد، جاء في كتاب العين: "الصَّلَاحُ: نقيض الطلاح، ورجل صالح في نفسه ومُصْلِحٌ في أعماله وأُمُوره، والصُّلْحُ: تَصَالُحُ القوم بينهم، وأصلحْتُ إلى الدابة: أحسنتُ إليها"⁽¹⁾، وعند الرازي: "الصَّلَاحُ ضد الفساد... وقد اصْطَلَحَا وتَصَالَحَا واصَّالَحَا بتشديد الصاد، والإصْلَاحُ ضد الإفساد، والمَصْلُحَةُ واحدة المَصَالِحِ والاسْتِصْلَاحُ ضد الاستفساد"⁽²⁾.

وقال ابن منظور: "الصَّلَاحُ ضدَّ الفساد، والصُّلْحُ السِّلْمُ، وقد اصْطَلَّحُوا وصالحووا واصَّالَحُوا وتَصَالَحُوا واصَّالَحُوا"⁽³⁾.

فالمعنى اللغوي يدور بين الاتفاق واجتتاب الفساد، فإصلاحُ الفسادِ بين القوم لا يتمُّ إلا باتفاقهم، وقد ورد هذا المصطلح بهذا المعنى مرتين في القرآن الكريم، قال تعالى في سورة الرعد: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾⁽⁴⁾، وقال

1 كتاب العين (صلح) 3/ 117.

2 مختار الصحاح، باب الصاد، 1/ 375.

3 لسان العرب (صلح) 4/ 2479.

4 سورة الرعد من الآية 25.

جَلَّ شَأْنُهُ فِي سُورَةِ غَافِرٍ: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾⁽¹⁾.

اصطلاحاً: من المعنى اللغوي نستمدُّ التعريف الاصطلاحي لكلمة المصطلح، فقد نقل الجرجاني (ت816هـ) مجموعة من تعريفات المصطلح، حيث قال: "الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد، وقيل: الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين"⁽²⁾.

ومن أول ما وصل إلينا عن استعمال الفعل المزيد (اصطلاح) ما جاء عن الجاحظ (ت255هـ) في حديثه عن المتكلمين أنَّهم "اصطَلَحُوا عَلَى تَسْمِيَةِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ اسْمٌ"⁽³⁾.

فتسمية المصطلح لم تستقر في لغتنا إلا بعد قرون، فابن منظور (ت711هـ) صاحب لسان العرب، والفيروزآبادي (ت817هـ) صاحب القاموس المحيط لم يذكرها، إلا أنَّ الجرجاني (ت861هـ) قد ذكر له تعريفاً، ولكنه سمَّى كتابه: التعريفات ولم يُسمِّه الاصطلاحات أو المصطلحات، مع أنَّ كتاب التعريفات هذا يُمكن عدُّه من المُعْجَمَاتِ المُبَكَّرَةِ لِلْمِصْطَلِحَاتِ.

1 سورة غافر من الآية 7.

2 التعريفات للجرجاني ص44.

3 البيان والتبيين 1/ 88.

وقد وصلتنا مؤلفات تحملُ اسم المصطلح، منها: كتاب التعريف بالمصطلح الشريف للشهاب العُمري (ت749هـ)⁽¹⁾، وكتاب: مصطلح الإشارات في القراءات الزوائد الثلاث عشرة المروية عن الثقات لمحمد القاحص العذري (ت801هـ)⁽²⁾، وكتاب: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانويّ (ت1185هـ) الذي يُعدُّ أشهرَ مَنْ رَوَّجَ هذا اللفظ⁽³⁾، فالمعاصرون لم يستعملوا إلاّ لفظ (مُصطلح)، وجرياً عليه سمّي مَجْمَع اللغة العربية بالقاهرة ما وضَعَهُ من كلمات: (مجموعة المصطلحات التي أقرّها المَجْمَع)، واستعمل اللفظ في وصف قراراته، مثل: (استعمال مصطلحات المجمع في التدريس)، و: (شرح المصطلحات قبل عرضها على المجمع)، و: (إضافة مصطلحات البلاد العربية)، و: (طريقة النظر في المصطلحات وتسجيلها ونشرها)، وغيرها⁽⁴⁾.

ومما تقدّم يمكن أن نطمئنَ إلى أنّ المصطلح هو: لفظٌ منقول من معناه اللغوي إلى معنى آخر، مُتَّفَقٌ عليه بين طائفةٍ مخصوصةٍ. فاللفظية، ونقل المعنى، والاتفاق أهمُّ أركان المصطلح.

والاصطلاح يتطلب الاتفاق؛ لأنّ التسمية الجديدة لا يمكن أن تدخل حيّز اللغة إلاّ إذا كانت محل اتفاق أصحاب هذه اللغة.

1 انظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة 420/1.

2 انظر: المصدر نفسه 1711/2.

3 انظر: معجم المطبوعات العربية 1/ 645.

4 انظر: جملة قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

المبحث الثالث: المصطلح النحوي عند ابن مالك الأندلسي

_ التعريف بابن مالك:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله، جمال الدين الطائي الجياني الشهير بابن مالك، من أبرز أعلام المدرسة الأندلسية في النحو، أهم من يُحسب في الأندلسيين، وإن عاش زمنًا طويلًا في المشرق، وُلِدَ بجيَّان سنة (600هـ أو 601هـ)، وأخذ العلوم من علماءها، انتقل إلى المشرق وسكن حلب، ثم انتقل إلى دمشق وأقام فيها، كان إمامًا في النحو واللغة، وعالمًا بالقراءات ورواية الحديث وأشعار العرب، له مؤلفات كثيرة شهدت بطول باعه في علوم العربية، وقد نظّمها بعضهم في قصيدة، قال السيوطي: "وأما تصانيفه فرأيت في تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم أن بعضهم نظمها في أبيات، قال الشيخ تاج الدين: وقد أهمل أشياء أخر من مؤلفاته، فذيلت عليها"⁽¹⁾، منها: الكافية الشافية وشرحها، والخلاصة الموسومة بالألفية، وتسهيل الفوائد وشرحها، والضرب في معرفة لسان العرب، وإيجاز التعريف في علم التصريف، وعمدة الحافظ وعدة اللافظ، وإكمال الإعلام بمثلث الكلام وغيرها⁽²⁾.

قال عنه التلمساني: "وأما النحو والتصريف فكان فيهما ابن مالك بحرًا لا يشقُّ لُجُّه، وأما اطلاعه على أشعار العرب التي يستشهد بها على النحو واللغة فكان أمرًا عجيبيًا، وكان الأئمة الأعلام يتحIRON في أمره، وأمَّا الاطِّلاعُ على الحديث فكان فيه آية؛ لأنه كان أكثر ما يستشهد بالقرآن، فإن لم يكن فيه شاهد عدل إلى

1 انظر مزيدًا من ترجمته في بغية الوعاة 1/ 130.

2 بغية الوعاة 1/ 131.

الحديث، وإن لم يكن فيه شيء عدل إلى أشعار العرب، هذا مع ما هو عليه من الدين والعبادة وصدق اللهجة وكثرة النوافل وحسن السمات وكمال العقل⁽¹⁾.

وجاء في مقدمة التسهيل: "ابن مالك قام بأكبر عملية تصفية تمت في تاريخ النحو، وخطأ به الخطوة الأخيرة التي استقرَّ بعدها في صورته الثابتة إلى اليوم"⁽²⁾.

توفي ابن مالك ثاني عشر شعبان سنة اثنتين وسبعين وستمائة، ورتاه شرف الدين الحصني بقوله:

يَا شَتَاتِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ بَعْدَ مَوْتِ ابْنِ مَالِكِ الْمِفْضَالِ
وَأَنْحِرَافِ الْحُرُوفِ مِنْ بَعْدِ ضَبْطِ مِنْهُ فِي الْإِنْفِصَالِ وَالْإِتِّصَالِ
مُضْذَرًّا كَانَ لِلْعُلُومِ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ شُبْهَةٍ وَمِحَالِ⁽³⁾

• دور ابن مالك في تطوير المصطلح النحوي:

ابن مالك من المؤلفين الذين لاقت مؤلفاتهم حظوة وإقبالاً قراءةً وشرحاً وتعليقاً، والحقيقية إن الحديث عن ابن مالك ومؤلفاته يطول جداً ولا يتسع المقام له هنا، وله مضانه. والذي يهمنا هنا (مصطلحاته) التي تُعد بحق ذخراً للغة العربية، ومادة دسمة للدارسين والباحثين؛ نظراً لعبقريته الفذة التي شهد له بها كل من تبخر في مؤلفاته وسبر غورها، والتي أتاحت له كل هذا التقدم والتميز.

1 نفع الطيب 2/ 223.

2 ص 3.

3 بغية الوعاة 1/ 134.

تُعد جهود ابن مالك مرحلة مهمة من مراحل تطور المصطلح النحوي، ويظهر ذلك من خلال نقده لمصطلحات السابقين واعتراضه عليها من ناحية الصحة النحوية أو الدلالية أو لأسباب أخرى، وقد كان لابن مالك دور في تجديد بعض مفاهيم المصطلحات واعتراضه عليها لقصورها عن التعبير بدقة عن المعنى المقصود، وقد تحزّرت الدقة في اختيار المصطلح، من ذلك نقده لـ (مصطلح الترخيم)، فقد عبّر ابن مالك عن باب الترخيم بقوله:

(باب ترخيم المنادى)، وقد علّل هذه التسمية في بداية الباب بقوله: "يُستعمل لفظ الترخيم في التصغير كما يُستعمل في النداء، والمرادان مختلفان⁽¹⁾؛ فلذلك قيّدت هنا الترخيم بإضافته إلى المنادى، ولم أُطلق فأقول: باب الترخيم"⁽²⁾.

موقف ابن مالك من المصطلحات البصرية والكوفية:

عاش ابن مالك في عصرٍ متأخّرٍ من بداية علم النحو، وبالتالي لم يكن هناك مجال كبير لتغيير المصطلحات، ولكن المجال كان واسعاً لترجيح مصطلح بصري أو كوفي باستعماله أو إيثاره، أو لارتضاء المصطلحين معاً واستعمالهما، ورغم ذلك فقد كان لابن مالك مصطلحات نحوية جديدة لم يستخدمها أحد قبله، مثل: النائب عن الفاعل، وكان جمهور النحاة قبله يسمونه: المفعول الذي لم يُسمَ فاعله، وتسميات أخرى سوف أُفصّل القول فيها في موضعها لاحقاً، ومنها أيضاً: البذل

1 الترخيم في النداء: أن يُحذف من آخر الاسم حرف أو أكثر. ينظر: شرح قطر الندى 1/ 213، أما الترخيم في التصغير: فهو أن تحذف حروف الزيادة من الاسم المراد تصغيره. ينظر: شرح التصريح على التوضيح 2/ 560،

2 شرح التسهيل لابن مالك 3/ 421.

المطابق، بدلا من قول النحاة السابقين له: بدل كل من كل، و(المعرّف بأداة التعريف) بدلا من (التعريف بأل)، فابن مالك استخدم المصطلحات البصرية والكوفية، إلى جانب وضعه لمصطلحات جديدة خاصة به. واستعمل ابن مالك كلا المصطلحين البصري والكوفي، إلا أنه أكثر من استعمال المصطلح البصري؛ لأنه أكثر شيوعاً، وهذا لا يعني أنه بصري المذهب؛ لأنه قد عارض المذهب البصري في مواضع كثيرة، فهو لم يكن بصريا بحثاً، ولا كوفياً بحثاً، بل كان يرجح رأي الكوفيين في مواضع عدة؛ لأنه لا يعتمد على التعليل والتأويل كما هو الحال عند البصريين، من ذلك قوله: "إذا قصد المتكلم أن يستعظم السامع حديثه، فقبل الأخذ فيه افتتحه بالضمير المسمى ضمير الشأن عند البصريين، وضمير المجهول عند الكوفيين"⁽¹⁾.

ومن المصطلحات البصرية التي استعملها ابن مالك:

المفعول معه:

جاء في لسان العرب (مَع) بتحريك العين: كلمة تَضُمُّ الشَّيْءَ إِلَى الشَّيْءِ، وهي اسم معناه الصُّحْبَةُ، وأصلها: معاً⁽²⁾.

وعرّفه الشريف الجرجاني بقوله: "هو المذكور بعد الواو لمصاحبة فعل لفظاً وتقديراً، نحو: استوى الماء والخشبة"⁽³⁾.

1 شرح التسهيل لابن مالك 1/ 163.

2 لسان العرب (م ع ع).

3 التعريفات 1/ 288.

والمفعول معه من المصطلحات البصرية، ويقابله عند الكوفيين مصطلح شبه المفعول، والكوفيون ليس عندهم مفعولٌ إلا المفعول به.

قال سيبويه: "هذا باب ما يظهر فيه الفعلُ وينتصبُ فيه الاسم لأنه مفعولٌ معه...، وذلك قولك: ما صنعت وأباك، ولو تركت الناقَةَ وفصيلها، فالفصيلُ مفعول معه وكذلك الأب"⁽¹⁾.

واستعمل ابن جني مصطلح المفعول معه وعرفه بقوله: "ما فعلت معه فعلا، وذلك قولك: قمتُ وزيدا، أي مع زيد"⁽²⁾.

وعبر عنه الزمخشري بـ: "المنصوب بعد الواو الكائنة بمعنى مع"⁽³⁾.

واستعمل ابن يعيش مصطلح المفعول معه عند شرحه لتعريف الزمخشري، حيث قال: "اعلم أنَّ المفعول معه لا يكون إلا بعد الواو، ولا يكون إلا بعد فعل لازم أو منتهٍ في التعدي، نحو قولك: ما صنعتُ وإياك"⁽⁴⁾.

وعرفه ابن الحاجب بقوله: "المفعول معه المذكورُ بعد الواو لمصاحبة معمول فعل"⁽⁵⁾، وقد وافقه الرضيُّ على هذا الاستعمال عند شرحه لنصّه⁽⁶⁾.

1 الكتاب 1 / 297.

2 اللمع في العربية ص 90.

3 المفصل ص 73

4 شرح المفصل لابن يعيش 1 / 237.

5 شرح الرضي على الكافية 1 / 515.

6 انظر: المصدر نفسه 1 / 515.

وعبّر عنه ابن عصفور بقوله: "هو الاسم المنتصب بعد الواو التي بمعنى (مع) المُضْمَن معنى المفعول به"⁽¹⁾.

وقد أفرد ابن مالك باباً في كتابه (التسهيل) سمّاه باب (المفعول معه) وعرفه بقوله: "وهو الاسم التالي واواً تجعله بنفسها في المعنى كمجرور مع، وفي اللفظ كمنصوب مُعَدَّى بالهمزة"⁽²⁾، واستعمل المصطلح نفسه في شرحه فقال: "وقد يُطلق المفعول معه في اللغة على المجرور بمع أو بالباء التي للمصالحة، وعلى المعطوف المراد به المصاحبة، وعلى المنصوب بعد الواو بالشروط المذكورة"⁽³⁾.

ومن خلال هذا العرض يمكن القول إن مصطلح المفعول معه جاء في استعمال النحويين تبعاً لما ذهب إليه البصريون في اصطلاحهم، وإنه هو الذي بقي مُستعملاً، وإن مصطلح الكوفيين (شبه المفعول) قد أُميت في الاستعمال النحوي.

ومن المصطلحات الكوفية التي استعملها ابن مالك:

النعته:

النعته لغةً: وصفك الشيء، تتعنه بما فيه، وتبالغ في وصفه، ومن معانيه أيضاً: الجيد من كل شيء⁽⁴⁾.

1 المقرب 1/ 157.

2 ص 99.

3 شرح التسهيل لابن مالك 2/ 247.

4 انظر: لسان العرب (ن ع ت).

وفي الاصطلاح: اختصاص نفس المنعوت، وإخراج له من إبهام وعموم إلى ما هو أخص منه، فالنكرات المنعوتة يُخرجها النعت من نوع إلى نوع أخص منه، وأمّا المعارف فيُخرجها النعت من شخص متراك الاسم عند وقوع اللبس منه⁽¹⁾.

ومصطلح النعت من المصطلحات التي كُتِبَ لها الشيوخ والقبول عند النحاة، وقد تُسبب إلى الكوفيين، ويقابله عند البصريين (الصفة)، وذكر شوقي ضيف أن الفراء هو أول من اصطاح على تسمية النعت باسمه⁽²⁾، إلا أن مصطلح النعت قد ورد في كتاب العين للخليل، حيث قال في باب (ش ع ث): "ويجوز امرأة شعناء في النعت"⁽³⁾، وجاء في كتاب سيبويه: "هذا باب مجرى النعت على المنعوت، والشريك على الشريك، والبدل على المبدل منه وما أشبه ذلك"⁽⁴⁾، وقال في موضع آخر: "ومن النعت أيضاً: مررتُ برجلٍ مثلك"⁽⁵⁾ ولعلّ كثرة استعمال نحاة الكوفة لهذا المصطلح دون غيره دفع بالكثير من الباحثين إلى نسبته إلى أهل الكوفة⁽⁶⁾.

ولعلّ اختيار الكوفيين لمصطلح (النعت) للتعبير به عن (الصفة) راجع إلى أنّ البصريين قد أطلقوا لفظ (النعت) وهم يريدون به الصفة مرة، كما مرّ عند الخليل وسيبويه، وقد يطلقونه قاصدين عطف البيان، وقد يطلقونه قاصدين التوكيد، ولعلّ

1 انظر: شرح كتاب سيبويه للسيرافي 50/6.

2 انظر: المدارس النحوية لشوقي ضيف ص202.

3 كتاب العين للخليل باب (ش ع ث).

4 الكتاب لسيبويه 1 / 421.

5 نفسه 1 / 423.

6 انظر: المصطلح النحوي من منتصف القرن السادس الهجري إلى القرن الثامن الهجري،

ص100.

هذا ما دفع الكوفيين إلى تخبُّر مصطلح (النعْت) ليدلُّوا به على الصفة، وقد نقل السيوطي عن أبي حيان قوله: "والتعبير به، أي النعت اصطلاح الكوفيين، وربما قاله البصريون، والأكثر عندهم الوصف والصفة"⁽¹⁾.

وقد فسَّر أبو هلال العسكري (ت395هـ) الاختلاف بين النعت والصفة بقوله: "ولم يستدل على صحة ما قاله من ذلك بشيء، والذي عندي أن النعت هو ما يظهر من الصفات ويشتهر ولهذا قالوا: هذا نعت الخليفة كمثل قولهم الأمين والمأمون والرشيد، وقالوا: أول من ذكر نعتة على المنبر الأمين ولم يقولوا صفتة، وإن كان قولهم الأمين صفة له عندهم؛ لأن النعت يفيد من المعاني التي ذكرناها ما لا تفيده الصفة، ثم قد تتداخل الصفة والنعت فيقع كل واحد منهما موضع الآخر لتقارب معناهما، ويجوز أن يقال الصفة لغة، والنعت لغة أخرى، ولا فرق بينهما في المعنى، والدليل على ذلك أن أهل البصرة من النحاة يقولون: الصفة وأهل الكوفة يقولون: النعت ولا يفرقون بينهما، فأما قولهم: نعت الخليفة، فقد غلب على ذلك كما يغلب بعض الصفات على بعض الموصوفين بغير معنى يخصه فيجري مجرى اللقب في الرفعة ثم كُثِرَ حتى استعمل كل واحد منهما في موضع الآخر"⁽²⁾.

وقد اشتهر استعمال المصطلحين معاً، وتواتر عند أكثر النحويين، وقلَّما نجد عالماً استعمل أحدهما دون الآخر، وكذلك في المعجمات، فقد فسروا النعت بالصفة، فهما مترادفان أُسْتُخِدا للدلالة على مسمّى واحد.

1 همع الهوامع 3/ 145.

2 الفروق اللغوية 544، 545.

وقد استعمل سيويوه لفظي النعت والصفة كمصطلح نحوي، وأطلق على التوكيد مصطلح الصفة، حيث قال: "وأما كُلُّهُم وجميعُهُم وأجمعُونَ وعامَّتُهُم وأنفسُهُم فلا يَكُنُّ أبداً إلا صفة"⁽¹⁾، وقال: "هذا باب ما تكون فيه أنت وأنا ونحن وهو وهي وهم وهنَّ وأنتن وهما وأنتما وأنتم وصفاً... وليس وصفاً بمنزلة الطويل إذا قلت: مررتُ بزيد الطويل، ولكنه بمنزلة نفسه إذا قلت: مررت به نفسه"⁽²⁾.

وممن استخدم مصطلحي النعت والصفة ابن السراج (ت316هـ)، حيث قال: "كما أن حق الصفة أن تكون بعد الموصوف"⁽³⁾، وقال في موضع آخر: "فأما التتابع فنحو: النعت والتأكيد والبدل والعطف"⁽⁴⁾.

وكذلك استخدم الزمخشري (ت538هـ) المصطلحين، حيث قال في موضع: "وقد نزلوا نعت الشيء بحال ما هو سببه منزلة نعتة بحاله هو"⁽⁵⁾، وقال في موضع آخر: "ولا يجوز إضافة الموصوف إلى صفته ولا الصفة إلى موصوفها"⁽⁶⁾.

وقد جمع السهيلي (ت581هـ) بين المصطلحين في تعريف النعت، حيث قال: "النعتُ تخصُّص الاسم بصفة هي له أو لسبب يُضافُ إليه"⁽⁷⁾.

1 الكتاب 1/ 377.

2 المصدر نفسه 2/ 385.

3 الأصول في النحو 1/ 109.

4 المصدر نفسه 1/ 69.

5 شرح المفصل لابن يعيش 1/ 19.

6 النصدر نفسه 1/ 16.

7 نتائج الفكر ص158.

بينما مال الجُزولي (ت607هـ) إلى استخدام مصطلح النعت، حيث قال في تعريفه: " النعتُ يُجاءُ به للفرق بين المشتركين في الاسم، وربما جاء به توكيداً، وربما لمجرد المدح أو الذم في الاسم"⁽¹⁾.

ويرى ابن يعيش (ت643هـ) أنه لا فرق بين الصفة والنعت، حيث قال: " والصفةُ والنعت واحد"⁽²⁾، وقد عبر بالمصطلحين في قوله: "والغرضُ بالنعت تخصيص نكرة، أو إزالة اشتراك عارض في معرفة، فمثال صفة النكرة قولك: هذا رجلٌ عالمٌ"⁽³⁾.

بينما استخدم ابن عصفور (ت669هـ) المصطلحين أيضاً، حيث قال في حدّ النعت: "النعت اصطلاحاً عبارة عن اسم أو ما هو في تقديره من ظرف أو مجرور أو جملة يتبع ما قبله لتخصيص نكرة"⁽⁴⁾، وقال في موضع آخر: "ولا يجوزُ الوصفُ بما هو في حكم المشتق"⁽⁵⁾.

وقد مال ابنُ مالك إلى استخدام مصطلح (النعت)، فقد استعمله في الألفية في وضع حده، حيث قال:

فَالنَّعْتُ تَابِعٌ مُتَمِّمٌ مَا سَبَقَ

بِوَسْمِهِ أَوْ وَسْمِ مَا بِهِ اعْتَلَقَ

1 المقامة الجزولية 2، 142.

2 شرح المفصل لابن يعيش 1/ 16.

3 نفسه 1/ 16.

4 المقرب 1/ 219.

5 شرح المفصل لابن يعيش 1/ 16.

وأفرد بابًا في كتابه التسهيل سمّاه: باب النعت، وعرّفه بقوله: " وهو التابع المقصود بالاشتقاق وضعا أو تأويلا، مسوقا لتخصيص أو تعميم أو تفصيل أو مدح أو ذم أو ترحم أو إبهام أو تأكيد"⁽¹⁾.

واستعمله في شرح التسهيل، حيث قال: "التابع يعمُّ التوكيد والنعت والعطف والبدل"، وقال في موضع آخر: "متبوع النعت يعمُّ ذا النعت الجاري عليه لفظاً ومعناه لما بعده"⁽²⁾.

قال: "والأكثر أن يكون النعت دون المنعوت في الاختصاص"⁽³⁾.

وقال: "ومن المنعوت به في حال دون حال: رجل، فإنه يُنعت به في حالين"⁽⁴⁾.

وقال: "يُفرق نعتٌ غير الواحد بالعطف إذا اختلف"⁽⁵⁾.

وقال: "من الأسماء ما يُنعت به ويُنعت كاسم الإشارة"⁽⁶⁾.

وقال: "ومما لا يُنعت ولا يُنعت به، المصدرُ"⁽⁷⁾.

1 شرح التسهيل لابن مالك 3/ 305.

2 شرح التسهيل لابن مالك 3/ 307.

3 نفسه 3/ 307.

4 نفسه 3/ 313.

5 نفسه 3/ 316.

6 نفسه 3/ 320.

7 نفسه 3/ 321.

فمصطلح النعت من المصطلحات التي كُتِبَ لها الاستقرار في الاستعمال عند النحويين، وهذا الاستقرار تجاوز حدود نسبة المصطلح والقول ببصريته أو كوفيته.

كما استعمل ابن مالك بعض المصطلحات بالمسمى البصري والكوفي لها، فذكر المصطلح البصري وذكر معه المصطلح الكوفي، مثل قوله عن ضمير الفصل المسمى عماداً: "من المضمرات المسمى عند البصريين فصلاً وعند الكوفيين عماداً"⁽¹⁾.

وذكر هذه التسمية في موضع آخر، عند حديثه عن المواضع التي تدخل فيها لام الابتداء على إن المكسورة حيث قال: "يجوز دخول لام الابتداء بعد إن المكسورة على اسمها المفصول، وعلى خبرها المؤخر عن الاسم، وعلى معموله مقدما عليه بعد الاسم، وعلى الفصل المسمى عماداً"⁽²⁾.

وكذلك في ضمير الشأن عند البصريين والضمير المجهول عند الكوفيين، حيث قال: "إذا قصد المتكلم أن يستعظم السامع حديثه فقبل الأخذ فيه افتتحه بالضمير المسمى ضمير الشأن عند البصريين وضمير المجهول عند الكوفيين"⁽³⁾.

وفي هذا دليل على اهتمام ابن مالك بتسميات المصطلحات والإشارة إلى مدارسها الخاصة بها.

1 نفسه 1 / 167.

2 شرح التسهيل لابن مالك 2 / 25.

3 نفسه 1 / 163.

مصطلحات انفرد بها ابن مالك:

تُعد جهود ابن مالك مرحلة مهمة من مراحل تطور المصطلح النحوي، وقد نُسبت إليه بعض المصطلحات النحوية، بعضها أوحى نصوصه بأسبقيته إليها، وبعضها نسبها إليه المتأخرون، ومن هذه المصطلحات:

• مصطلح الشبه الوضعي:

وافق ابن مالك المحققين من النحويين في أن الاسم يُبنى لمشابهته الحرف، ثم فصلَّ أوجه الشبه، فقال في الألفية:

كَالشَّبهِ الوُضْعِي فِي اسْمِي جِنْتَا

وَالْمَعْنَوِي فِي مَتَى وَفِي هُنَا

وَكِنْيَابَةٍ عَنِ الْفِعْلِ بِـلَا

تَأْتُرُ وَكَافْتِقَارِ أُصْلَا

فتضمنت هذه الأبيات أربعة أنواع من الشبه: الشبه الوضعي، والشبه المعنوي، والشبه الاستعمالي، والشبه الافتقاري.

مصطلح المعرف بالأداة، أو المعرف بأداة التعريف، أو ذو الأداة:

عقد ابن مالك باباً في كتابه التسهيل سماه: باب المعرف بالأداة⁽¹⁾، وعبر عن هذا التعريف في باب المعرفة والنكرة حين عدَّ أنواع المعارف بـ (ذو الأداة)⁽²⁾، وقال في

1 شرح التسهيل لابن مالك 1/ 253.

2 نفسه 1/ 116.

شرح الكافية الشافية: فصل المعرّف بالأداة⁽¹⁾، وقريباً من هذا التعبير ما ذكره في الألفية؛ إذ عنون له بقوله: المعرّف بأداة التعريف⁽²⁾.

ومصطلحات ابن مالك هذه تقابل ما اصطلح السابقون له على تسميته (المعرّف بالألف واللام)، أو: (المعرّف باللام)، أو (المعرف بأل)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن ابن مالك في تعبيره بهذه المصطلحات يتوخّى الدقة في التعبير عن المصطلح ويخرج به من الخلاف المشهور بين النحويين حول (ماهية المعرّف)، قال في شرح التسهيل: "قد اشتهر عند المتأخرين أنّ أداة التعريف هي اللام وحدها، وأنّ المعبر عنها الألف واللام"⁽³⁾، فمن النحويين من يرى أن أداة التعريف هي الألف واللام، ومنهم من يرى أنها اللام وحدها، ومنهم من يرى أنها الهمزة وحدها، وتعبير ابن مالك (المعرف بالأداة) أو (بأداة التعريف) يُخرجُ هذا المصطلح من هذا النزاع.

وقد لاقت مصطلحات ابن مالك القبول ممن جاء بعده، فقد استخدمها النحويون في تعبيراتهم، كأبي حيان (ت745هـ) الذي عقد باباً في ارتشاف الضرب عنوانه: باب المعرّف بالأداة، وكذلك ابن هشام (ت761هـ) قال في الباب الخامس من أنواع المعارف: ذو الأداة⁽⁴⁾، وعنون السيوطي (ت911هـ) في كتابه (همع الهوامع) للنوع الرابع من أنواع المعرفة بقوله: أداة التعريف⁽⁵⁾.

1 الكافية الشافية لابن مالك 102 / 1.

2 شرح ابن عقيل 177 / 1.

3 253 / 1.

4 شرح قطر الندى 112 / 1.

5 ينظر: 306 / 1.

• مصطلح النائب عن الفاعل:

النائب عن الفاعل هو كل مفعول حُذِفَ فعلُهُ، وأُسْنِدَ إليه فعل مبني للمجهول وأُقيِمَ المفعول مُقَامَ الفاعل المحذوف، وهو رفعٌ دائماً دون سائر المفعولين، قال ابن مالك: "قد يحذف الفاعل لكونه معلوماً، أو مجهولاً، أو عظيماً، أو حقيراً أو لغير ذلك، فينوب عنه فيما كان له من رفع واعتناء وغير ذلك المفعول به مسنداً إليه فعل مهياً بهيئة تنبئ عن النيابة، أو اسم في معناه، وتهيئة الفعل لذلك بضم أوله مطلقاً وفتح ما قبل آخره إن كان مضارعاً، وبكسره إن كان ماضياً، ويشترك في الضم ثاني ما أوله تاء المطاوعة ك: تُعلم العلم، وتُسْرِلُ القميص، وثالث ما أوله همزة وصل ك"انطلق بزيد، واستمع الحديث، واستخرج الشيء، واستحلي المشروب"⁽¹⁾.

اختلف النحاة قبل ابن مالك في تسمية هذا المصطلح، فقد كانت مصطلحاتهم تعتمد على التعبير الوصفي للدلالة على المفهوم، ولم يستقر استعمال مصطلح نائب الفاعل إلا بعد القرن السادس الهجري، وقد طرح النحاة جملةً من المصطلحات لهذا المفعول، فسماه سيبويه (ت180هـ): المفعول الذي لم يتعدَّ إليه فعل فاعل، ولم يتعدَّ فعله إلى مفعول آخر⁽²⁾، وسماه في موضع آخر: المفعول الذي تعداه فعله إلى مفعول⁽³⁾، وهذا المصطلح خاص بباب الفعل الناصب لمفعولين، نحو: كسى، وأعطى، وقد حاول النحويون بعد سيبويه التعبير بمصطلح

1 شرح الكافية الشافية لابن مالك 2/ 603.

2 الكتاب 1/ 42.

3 المصدر نفسه 1/ 41.

أكثر دقة وتحديداً، فقد عبّر عنه الفراء بمصطلح (ما لم يُسمَّ فاعله إذا خلا باسم رفعه).

ومن تسمية الفراء نعلم أنّ مصطلح (ما لم يُسمَّ فاعله) هو مصطلح كوفي وقد استخدمه بعده كثير من نحاة البصرة، فالمبرد (ت285هـ) عبّر عنه المفعول الذي لا يُذكر فاعله⁽¹⁾، وسمّاه ابن السراج (ت316هـ): "المفعول الذي لم يُسمَّ من فعل به"⁽²⁾، وقال عنه ابن جني (ت392هـ): "المفعول الذي جعل الفعل حديقاً عنه، وهو ما لم يُسمَّ فاعله"⁽³⁾، واستعمل الزمخشري (ت538هـ) مصطلح: "المفعول الذي أُقيم مقام الفعل وأُسندَ إليه الفعل"⁽⁴⁾، وسمّاه الأنباري (ت577هـ): ما لم يُسمَّ فاعله⁽⁵⁾، وأطلق عليه ابن يعيش (ت643هـ) مصطلح: ما لم يُسمَّ فاعله، وما يجري مجرى الفاعل، حيث قال في شرح مصطلح الزمخشري: "ويقال لفعلٍ ما لم يُسمَّ فاعله، وما ها هنا موصولة بمعنى الذي، والتقدير: فعل المفعول الذي لم يُسمَّ فاعله؛ لأنّ الذي صيغَ له قد كان مفعولاً، وكان له فاعل مذكور"⁽⁶⁾.

وكذلك أطلق عليه ابن عصفور (ت669هـ) مصطلح: ما لم يُسمَّ فاعله⁽⁷⁾.

1 المقتضب 4 / 50.

2 الأصول في النحو 1 / 27.

3 اللع في العربية ص33.

4 المفصل 1 / 343.

5 أسرار العربية 1 / 95، 180، 313.

6 شرح المفصل لابن يعيش 4 / 306.

7 المقرب لابن عصفور 1 / 79.

والذي يبدو من تتبع تطور هذا المصطلح أنّ ابن مالك هو أول من عبّر عنه بنائب الفاعل، ويُفهم هذا المصطلح من خلال صياغته له في الألفية، حيث قال:

ينوب مفعول به عن فاعل

فيما له، كنيل خير نائل

وقد أكد الخُضري (ت1287هـ) نسبة هذا المصطلح لابن مالك، حيث قال في مطلع باب النائب عن الفاعل: "هذه الترجمة مصطلح المصنف، وهي أولى وأخصر من قول الجمهور: المفعول الذي لم يسم فاعله؛ لأنه لا يشمل غير المفعول مما ينوب كالظرف. إذ المفعول به هو المراد عند الإطلاق، ولأنه يشمل المفعول الثاني في نحو: أُعطي زيد ديناراً، وليس مراداً"⁽¹⁾.

إلا أنّ أغلب شراح الألفية متمسكون بالإرث المصطلحي القديم لا يتجاوزونه، فابن الناظم (ت686هـ) يُعلّق في شرحه لهذين البيتين قائلاً: "وقد بيّن يشير إلى ابن مالك_ كيفية بناء الفعل لما لم يُسم فاعله"⁽²⁾.

وقال ابن عقيل (ت769هـ) في شرحه للمثال الوارد في بيت الألفية: "فخير نائل مفعول قائم مقام الفاعل والأصل نال زيد خير نائل"⁽³⁾، وقال في موضع آخر: "يضم أول الفعل الذي لم يسم فاعله مطلقاً أي سواء كان ماضياً أو مضارعاً"⁽⁴⁾.

1 حاشية الخُضري على شرح ابن عقيل 1/ 373.

2 شرح ابن الناظم ص167.

3 شرح ابن عقيل 1/ 112.

4 المصدر نفسه 1/ 113.

واستعمل الأزهرى (ت905هـ) المصطلح نفسه حيث قال: "يضم أول فعل المفعول الذي لم يُسمِّ فاعله مطلقاً سواء كان ماضياً أم مضارعاً"⁽¹⁾.

إلا أن بعض النحويين يرى أن مصطلح المفعول الذي لم يُسمِّ فاعله أصدق في التعبير وأدق في الاستعمال من نائب الفاعل⁽²⁾، ومنهم من يرى أن مصطلح نائب الفاعل أخصر وأصدق وأشمل في التعبير، قال ابن هشام (ت761هـ): "ينبغي للمعرب أن يتخير من العبارات أوجزها وأجمعها للمعنى المراد فيقول في نحو ضُربَ: فعل ماض لم يسم فاعله ولا يقول: مبني لما لم يسم فاعله لطول ذلك وخفائه، وأن يقول في المرفوع به: نائب عن الفاعل، ولا يقول: مفعول ما لم يسم فاعله لذلك ولصدق هذه العبارة على المنصوب من نحو: أعطي زيد ديناراً، ألا ترى أنه مفعول لأعطي وأعطي لم يسم فاعله، وأما النائب عن الفاعل فلا يصدق إلا على المرفوع"⁽³⁾.

وقد استعمل ابن هشام (ت761هـ) مصطلح ابن مالك (نائب الفاعل)، إلى جانب استعماله مصطلح ما لم يُسمِّ فاعله، فمن استعماله لمصطلح ابن مالك قوله في توضيح قوله _تعالى_: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ﴾⁽⁴⁾ مردود بأن الفاء لا

1 شرح التصريح على التوضيح للأزهرى 1/ 449.

2 انظر: ارتشاف الضرب 3/ 1058.

3 مغني اللبيب لابن هشام 1/ 871.

4 سورة البقرة من الآية 179.

تُحذف إلا ضرورة: "والوصية في الآية نائب عن فاعل كتب وللوالدين متعلق بها لا خبر والجواب محذوف"⁽¹⁾.

ومن استعماله لمصطلح السابقين قوله: "وَأَنَّ فَعَلَ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ مَضْمُومٌ الْأَوَّلُ"⁽²⁾.

ويمكن القول إن مصطلح (ما لم يُسمَّ فاعله) قد أُستُخدم من قبل النحويين ولكن مصطلح نائب الفاعل هو الذي بقي واستمر إلى الآن، ولعل السبب في ذلك يعود إلى النزعة التعليمية القائمة على الميل إلى الاختصار.

مصطلح بدل المطابق أو: بدل الموافق:

البدل عند النحويين ستة أنواع: بدل كل من كل، وبدل بعض من كل، وبدل الاشتمال، والبدل المباين، ويشمل: بدل الإضراب، وبدل الغلط، وبدل النسيان، وابن مالك اختزل الأنواع الستة وجعلها أربعة فقط⁽³⁾.

قال ابن هشام: "وقد ظهر أن الغلط متعلق باللسان، والنسيان متعلق بالجنان، والناظم وكثير من النحويين لم يفرقوا بينهما فسموا النوعين بدل غلط"⁽⁴⁾.

والبدل والمبدل منه من مصطلحات البصريين، وكان سيبويه يُسمِّي عطف البيان بدلا، وعلى الرغم من استعمال سيبويه لمصطلح البدل للدلالة على عطف البيان إلا

1 مغني اللبيب لابن هشام 1/ 133.

2 المصدر نفسه 1/ 876.

3 انظر: الكافية الشافية 3/ 1276، 1277.

4 أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك 3/ 403.

أنه يوجد في كتابه بابًا يحمل دلالة البديل، قال في عنوان هذا الباب: "هذا باب من الفعل يُستعمل في الاسم ثم يُبدل مكان الاسم اسم آخر، فيعمل فيه كما عمل في الأول، وذلك قولك: رأيتُ قومك أكثرهم"⁽¹⁾.

والكوفيون يُطلقون عليه الترجمة والتبيين والتكرير والمردود⁽²⁾، وعبر عنه الفراء بالتفسير،

حيث قال في تفسير قوله _تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾⁽³⁾: "إن شئت جعلت الجِنَّ تفسيرًا للشركاء، وإن شئت جعلت نصبه على: جعلوا الجِنَّ شركاء لله تبارك وتعالى"⁽⁴⁾.

وقد اختلف النحويون في تسمية النوع الأول: (بديل كل من كل)، وهو الذي يستوي فيه البديل والمبدل منه، فقد عبر عنه سيبويه بوصفٍ طويل، حيث قال: "هذا بابٌ من الفعل يستعملُ في الاسم ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسمَ آخرَ فيعملُ فيه كما عملَ في الأول"⁽⁵⁾.

ثم كانت شهرة الوضع الاصطلاحي على يد ابن جني الذي سمّاه: (بديل الكل)⁽⁶⁾، ثم زاده بعض النحويين تحديداً فعبروا عنه بـ (بديل الكل من الكل)، ثم وجدوا في هذا

1 الكتاب 1/ 150.

2 انظر: المدارس النحوية أسطورة وواقع لإبراهيم السامرائي ص 135.

3 سورة الأنعام من الآية 101.

4 معاني القرآن للفراء 1/ 348.

5 الكتاب 1/ 150.

6 انظر: الخصائص 1/ 188.

التعبير نوعاً من الخطأ اللغوي، وهو دخول أداة التعريف على لفظ (كل)، فسموه (بدل كل من كل)، قال ابن هشام: "وإنما لم أقل بدل الكل من الكل حذراً من مذهب من لا يجيز إدخال أل على كل وقد استعمله الزجاجي في جملة واعتذر عنه بأنه تسامح فيه موافقة للناس"⁽¹⁾.

أما ابن مالك فقد استخدم مصطلحين في التعبير عنه:

الأول منهما: في الكافية الشافية والألفية، وهو مصطلح بدل المطابق أو المطابقة، إذ قال عند ذكره أنواع البديل: "ثم أشرت إلى أقسام البديل فذكرت منها (المطابق)، والمراد به ما يريد النحويون بقولهم (بدل الكل من الكل)، وذكر المطابقة أولى؛ لأنها عبارة صالحة لكل بدل يساوي المبدل منه في المعنى"⁽²⁾.

والثاني: بدل موافق من موافق، وذكره في شرح التسهيل، إذ قال معللاً نصّه: "وعبّرت عن هذا النوع ببديل كل من كل جرياً على عادة النحويين، وهي عادة غير مطردة، فإن المراد بها أن يكون مسمى البديل والمبدل منه واحداً، فيدخل في ذلك ما لا يطلق عليه كل نحو: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهُ﴾ فالعبارة الجيدة أن يقال: بدل موافق من موافق"⁽³⁾.

1 شرح قطر الندى 1/ 309.

2 شرح الكافية الشافية 3/ 1277.

3 شرح التسهيل لابن مالك 3/ 333.

وقد استقرَّ مصطلح البدل وشاع على ألسنة النحاة في كُتُبهم بعد الفترة التي أعقبت ابن مالك، حيث سار كثير من النحاة على خُطى ابن مالك فيما يخص تسمية البدر وضروبه، منهم: ابن الناظم⁽¹⁾، وابن هشام⁽²⁾، وابن عقيل⁽³⁾، وأبو حيان⁽⁴⁾.

مصطلح تمييز الجملة:

قسّم النحاة التمييز إلى نوعين: تمييز النسبة، وتمييز المفرد، أما عند ابن مالك فهو ينقسم إلى: تمييز المفرد، وتمييز الجملة، وجعل تمييز المفرد شاملاً لبعض صور تمييز النسبة، قال في شرح التسهيل عند تعريفه للتمييز: " وهو ما فيه معنى (من) الجنسية، من نكرة منصوبة فضلة غير تابع، وتميّز إمّا جملة وستين، وإمّا مفرداً عدداً"⁽⁵⁾.

ومن ضمن جهوده في تطوير المصطلح النحوي محاولته إلباس بعض المصطلحات لباس الدقة والإحاطة للتعبير عن المفهوم المراد، من ذلك مصطلح باب الترخيم، وقد سبقت الإشارة إليه، وكيف أثر استعمال باب الترخيم في النداء ولم يُطلق فيقول: باب الترخيم.

1 انظر: شرح ابن الناظم ص393.

2 انظر: شرح قطر الندى 1/ 283.

3 انظر: شرح ابن عقيل 3/ 247.

4 انظر: ارتشاف الضرب 4/ 1961.

5 2/ 378.

ومنه أيضًا مصطلح المستغاث به الذي عبّر به سيبويه وغيره، بينما عبّر ابن مالك بـ **المستغاث**، قال: "والنحويون يقولون: استغاث به، فهو مستغاث به، وكلام العرب بخلاف ذلك"⁽¹⁾، وعُلّل هذه التسمية بأن الفعل استغاث يتعدى بنفسه.

وقد سبقه الزمخشري في هذه التسمية⁽²⁾، قال في المفصل عند كلامه عن حذف حرف النداء: "ويجوز حذف حرف النداء عما لا يوصف به أي. قال الله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾"⁽³⁾، وقال تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾"⁽⁴⁾... ولا يحذف عما يوصف به أي فلا يقال رجل ولا هذا... ولا عن المستغاث والمندوب وقد التزم حذفه في اللهم لوقوع الميم خلفاً عنه"⁽⁵⁾.

وقد يكون لابن مالك فضل تعليل هذه التسمية، إلا أنه مع اعتراضه على النحويين السابقين في استعمالهم مصطلح المستغاث به نجده يبرر لهم هذا الاستعمال في كتابه شرح عمدة الحافظ، قال: "وَمَنْ قَالَ مُسْتَغَاثٌ بِهِ لَمْ يُصِْبْ، لَكِنَّ رُودَ ذَلِكَ عَنِ الْعَرَبِ حُمِلَ عَلَى تَضْمِينِ اسْتِغَاثٍ مَعْنَى اسْتِعَانٍ"⁽⁶⁾.

لاحظتُ أن ابن مالك قد برّر للعرب استخدام مصطلح (مستغاث به) ووجد لهم مُسوِّغاً ولكنه لم يستخدم المصطلح الذي اعترض عليه في كتابه (شرح عمدة

1 شرح التسهيل لابن مالك 3/ 409.

2 المصدر نفسه 2/ 378.

3 سورة يوسف من الآية 29.

4 سورة الأعراف من الآية 143.

5 8/ 1

6 شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ص 287.

الحافظ)، ولكنه استخدمه في (شرح الكافية الشافية)، وذلك في خمسة مواضع، حيث قال في الموضع الأول: "لأن عطف مصحوبها على المستغاث به يدل على أنه مستغاث به، فأغنى عن فتح اللام الداخلة عليه"⁽¹⁾.

وقال في الموضع الثاني: "وقد تلي "يا" اللام المكسورة، فيتسدل بكسرها على أن المستغاث به محذوف"⁽²⁾.

وقال في الموضع الثالث: "وجاز حذف المنادى المُستغاث به للعلم به"⁽³⁾.

وقال في الموضع الرابع: "وبعاقب لام الاستغاثة ألف تلي آخر المستغاث به، إذا وجدت عدت اللام، وإذا وجدت اللام عدت هي"⁽⁴⁾.

وقال في الموضع الخامس: "وقد يخلو المستغاث به من اللام، ومن الألف"⁽⁵⁾.

واستعمال ابن مالك لمصطلح (المستغاث به) في هذه المواضع رغم اعتراضه عليه كان قد مهّد له منذ بداية الباب، حيث قال في بداية باب الاستغاثة: "إذا

1 شرح الكافية الشافية 3/ 1334.

2 المصدر نفسه 3/ 1336.

3 نفسه 3/ 1336.

4 نفسه 3/ 1337.

5 نفسه 3/ 1338.

تُودي المُنَادَى لِيُخَلِّصَ مِنْ شِدَّةٍ، أَوْ يُعَيِّنُ عَلَى مَشَقَّةٍ فَنَدَاؤُهُ اسْتِغَاثَةٌ، وَهُوَ مُسْتِغَاثٌ، أَوْ مُسْتِغَاثٌ بِهِ⁽¹⁾.

الخاتمة وأبرز النتائج

الحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر له _سبحانه_ على نعمه السابغات.

خِتَامًا أَحْمَدُ اللَّهَ _تَعَالَى_ الَّذِي مَنْ عَلَيَّ بِإِنهَاءِ هَذَا الْعَمَلِ، وَأَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

إتمامًا لهذا البحث، وتأكيدًا لما وردَ فيه لابدَّ من وقفة قصيرة أُخِصَّ فيها أبرز أفكارِي التي جاءت فيه، وأظهرُ أبرزَ النتائجِ التي توصلتُ إليها، فقد أسفرَ البحثُ في المصطلحِ النحويِّ في الأندلسِ عامةً وعند ابن مالك خاصةً، عن نتائج عدة، أهمها:

1. المصطلحات هي جوهر الموضوع وغرضه، وهي مفاتيح المعاني والمفاهيم، لذا فهي جديرة بالدراسة قبل الخوض في أي موضوع لأي علم من العلوم.
2. انفرد الأندلسيون بآراء جديدة تأثر بها من أتى بعدهم، ظهر ذلك واضحًا في مؤلفات ابن هشام، والمرادي، والسيوطي، والأشموني، والأزهري.

3. ظهرت في الأندلس ظواهر نحوية جديدة، مثل قول ابن مضاء بإلغاء العامل وإلغاء العِللِ الثواني والثالث.
4. عادةً ما يُنسب المصطلح في كُتُبِ النحو إلى الفرقة التي كُثِر استعمالها له، دون أن يعني ذلك اقتصارها عليه، أو عدم استعمالها للمصطلح المناظر، وذلك كما في نسبة مصطلح (النعْت) للكوفيين خاصة، بينما أظهر البحث استعمال الخليل وسيبويه له، بوروده في كتاب العين، وكتاب سيبويه.
5. لابن مالك جهده المتميز والمتفرد في تجديد وتطوير المفاهيم القديمة لبعض المصطلحات؛ لما امتازت به المصطلحات الجديدة من دقة في الدلالة على المفهوم المراد.
6. لابن مالك براعة فائقة في التدقيق في المصطلح الذي يريد التعبير به عن مفهوم معين، وتتميزُ مصطلحاته بالشمول والاختصار والإحاطة بالمفهوم.
7. لم يكن ابن مالك تابعًا لآراء السابقين له ولا مجرد ناقلٍ لما وضعوه من مصطلحات، بل كان باحثًا مُدققًا، وناقِدًا بارعًا.
8. اعتراض ابن مالك على بعض مصطلحات المتقدمين ليس لمجرد الاعتراض والنقد، ولا هو طعن فيمن سبقه، بل هو نتيجة حرصه على أن يكون المصطلح عاريًا عن اللبس محاطًا بالشمول غير قاصر عن بيان كل ما يتعلق بالمفهوم الذي ينطوي تحته.

9. صاغ ابن مالك مصطلحاتٍ جديدةً لم يُسبقُ إليها، أوْحَتْ نُصُوصُهُ بأسبقيتهِ إليها، ونسبَ إليه المتأخرون بعضَهَا.
10. كثرة مؤلفات ابن مالك ووزارة تأليفه ووضعه لبعض المصطلحات الجديدة كان له أثر في نسبة بعض المصطلحات إليه مع أنه مسبوقةٌ إليها.
11. استعمل ابن مالك كلا المصطلحين البصري والكوفي، إلا أنه أكثر من استعمال المصطلح البصري لأنه أكثر شيوعاً.
12. حرص ابن مالك على إلباس بعض مصطلحات المتقدمين لباس الدقة والإحاطة للتعبير عن المفهوم المراد، مثل ما حصل في مصطلح باب الترخيم.
13. سار أغلب النحاة بعد ابن مالك على خطأه في استعمالهم لبعض مصطلحاته التي وضعها وفي اتباع تقسيماته لبعض أبواب النحو، نحو اتباعهم له في كون أنواع البدل أربعةً وليست ستةً أنواع كما كان التقسيم قيل ابن مالك.
14. لاحظتُ أنّ ابن مالك قد يعترض على مصطلحٍ ما ثم يستعمله في كتبه، مثل اعتراضه على مصطلح المستغاث به واستعماله.
15. قد يسوقُ ابنُ مالك اعتراضَه على مُصطلحٍ للمتقدمين، ثم يبيرر لهم هذا الاستعمال.

قائمة المصادر والمراجع

1. ارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبي حيان النحوي، محمد بن يوسف ابن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني، النفزي، أثير الدين، أبي حيان، تحقيق: رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1998م.
2. أسرار العربية، كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعد الأنباري (577هـ)، تحقيق: محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقى، دمشق، 1975م.
3. الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1987م.
4. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف، أبو محمد جمال الدين، ابن هشام، دار الفكر للطباعة والنشر، (د. ط. د.ت).
5. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية 1979م.
6. البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، 1968م.
7. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك، تحقيق: محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي، 1387هـ - 1967م.

8. جملة قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المكتبة العربية الكبرى.
9. حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تأليف: محمد بن مصطفى الخضري الشافعي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان _ بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ، 2003م.
10. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية _ بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ، 1997م.
11. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تأليف: ابن الناظم أبي عبد الله بدر الدين، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ - 2000م.
12. شرح ابن عقيل، لابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، (د.ت. د.ط).
13. شرح التصريح على التوضيح، أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، تأليف: خالد بن عبد الله الأزهري، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1421هـ - 2000م.

14. شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، المؤلف: محمد بن الحسن الإسترابادي النجفي الرضي، تحقيق: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، ويحيى بشير مصطفى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1417هـ - 1966م.
15. شرح الكافية الشافية، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين، دار الكتب العلمية، (د.ت. د. ط.).
16. شرح كتاب سيبويه، الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي أبو سعيد، تحقيق: أحمد حسن مهدي - علي سيد علي، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008م.
17. شرح المفصل، ليعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبي البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2001م.
18. شرح تسهيل الفوائد، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبي عبد الله، جمال الدين، تحقيق: د. عبد الرحمن السيد، و د. محمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى (1410 هـ - 1990م).
19. شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، لجمال الدين محمد بن مالك، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، وزارة الأوقاف، الجمهورية

- العراقية، دار إحياء التراث الإسلامي، مطبعة العاني، بغداد، 1397هـ، 1977م.
20. شرح قطر الندى وبل الصدى، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، مصر، الطبعة الحادية عشرة، 1383م.
21. الفروق اللغوية، تأليف: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد أبي هلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع.
22. الفهرست، لمحمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، دار المعرفة - بيروت، لبنان، 1398هـ - 1978م.
23. كتاب العين، المؤلف: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: 8.
24. كتاب اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية - الكويت، (د. ط)، 1972م.
25. الكتاب، لعمر بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبي بشر، الملقب بسبيويه، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة.

26. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ-1992م.
27. كلمة "مصطلح" بين الصواب والخطأ، للدكتور: عبد العلي الودغيري، بحث منشور بمجلة اللسان العربي، العدد (48) لسنة 1999م.
28. لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفرقي المصري، دار صادر_ بيروت.
29. مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، طبعة جديدة، 1415هـ - 1995م.
30. المدارس النحويّة أسطورة وواقع، تأليف: د. إبراهيم السامرائي، دار الفكر، الأردن، الطبعة الأولى، 1987م.
31. المدارس النحوية، أحمد شوقي عبد السلام ضيف، الشهير بشوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
32. المدارس النحوية، الدكتورة خديجة الحديثي، دار الأمل _ الأردن، الطبعة الثالثة، 1422هـ، 2001م.
33. المدرسة الأندلسية، د. سهام صياد، كلية اللغة العربية، بحث منشور في اللسانيات العربية، القاهرة، مصر.
34. المصطلح النحوي من منتصف القرن السادس الهجري إلى القرن الثامن الهجري، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، إعداد: فتحي

- محمد سلامة الزيدانيين، إشراف الأستاذ الدكتور: عادل بقاعين، جامعة مؤتة، اليمن، 2014م.
35. معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشليبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، الطبعة الأولى.
36. معجم التعريفات، للعلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة . القاهرة.
37. معجم المطبوعات العربية والمعربة، تأليف: يوسف بن إليان بن موسى سركييس (ت 1351هـ)، مطبعة سركييس بمصر، 1346 هـ - 1928م.
38. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تأليف: الإمام ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية . صيدا بيروت، 1992م.
39. المفصل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)، تحقيق: د. علي بو ملح، مكتبة الهلال - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1993م.

40. المقتضب، تأليف: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الشمالي الأزدي، أبي العباس، المعروف بالمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب. بيروت_لبنان، 1999م.
41. المقدمة الجُزئية في النحو، تأليف: عيسى بن عبد العزيز الجزولي، تحقيق: شعبان عبد الوهاب محمد، راجعه: حامد أحمد نيل - فتحي محمد أحمد جمعة، مطبعة أم القرى.
42. المقرب، لعلي بن مؤمن بن عصفور، تحقيق: أحمد الجوارى، وعبد الله الجبوري، دار إحياء التراث الإسلامي، بغداد_العراق، الطبعة الأولى، 1392هـ_1972م.
43. نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت_لبنان.
44. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تأليف: محمد الطنطاوي، دار المعارف، مصر_القاهرة، 1995م.
45. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المؤلف: أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر-بيروت، 1968م.
46. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

ابن الصائغ والمسائل الثلاث التي حنّف ألا يُفتي فيها بقول مالك.

الأولى: خيار المجلس

الثانية: جنسية القمح والشعير

الثالثة: التدمية البيضاء

إعداد: د. إمام عبد السلام الدعبوش*

المُلخَص:

إن الناظر في هذا البحث يدرك أن موضوعه يدور حول ثلاث مسائل من مسائل الفقه؛ الأولى: خيار المجلس في قسم المعاملات، كتاب البيوع، باب الخيار. والثانية: جنسية القمح والشعير كتاب البيوع، باب الربا، والثالثة: التدمية البيضاء كتاب الجنایات، باب القسامة، ويلاحظ أن ابن الصائغ خالف إمام المذهب في هذه المسائل، وله أدلته واجتهاده مع موافقته للجمهور في اثنين منها.

وقد ترك الإمام مالك العمل بحديث خيار المجلس مع أنه حديث متفق عليه وقد رواه في الموطأ. وأشار إلى بعض الأسباب التي منعت من العمل به في قوله: وليس لهذا عندنا حد معروف ولا أمر معمول به فيه، لأن خيار المجلس لم يحدد بحد معروف. وأما كون القمح والشعير جنساً واحداً: فقد استدلت له مالك ببعض الآثار التي ليس فيها شيء مرفوع، وقد دلت

*الجامعة الأسمرية كلية العلوم الشرعية/ مسلاتة قسم الشريعة.

الآحاديث الصحيحة على أنهما جنسان مختلفان ، كاختلافهما مع التمر والملح، وأما التدمية البيضاء: فقول الإمام مالك له قوته واتجاهه وإن خالف بعض أصحابه في ذلك.

Abstract:

The beholder of this research realizes that its subject revolves around three issues of jurisprudence;

The first: the choice of the council in the transactions section, the book of sales, the option section. The second: The nationality of wheat and barley, the book of sales, the chapter on usury, and the third: Al-Tadrimiyah Al-Bayda, the book of felonies.

Imam Malik abandoned the hadith of the council's choice, although it is a hadith agreed upon and it was narrated in the Muwatta'. He pointed to some of the reasons that prevented him from acting upon it in his saying: We do not have a known limit for this, nor an order in force in it, because the council's choice was not determined by a known limit. As for the fact that wheat and barley are one genus: Malik inferred for him some traces in which there is nothing traceable, and the authentic hadiths indicate that they are two different types, such as their differences with dates and salt.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد: فإن الله سبحانه وتعالى شرع لنا ديناً قويمًا، وأنعم علينا نعمًا جزيلاً، ومن النعم التي أنعم الله تعالى بها علينا أن هياً لنا على مر الأزمان رجالاً قد خصهم برحمة منه وفرغهم للاشتغال بعلوم الدين قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ - التوبة: 111 بالأخص المشتغلون بعلم الفقه، هذا العلم الجليل الذي به يعرف الإنسان المسلم ما يحل له وما يحرم عليه وما يجب عليه وما لا يجب، وقد امتدح الرسول صلى الله عليه وسلم من يسلك طريق الفقه بقوله: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) (1). وقد وفقني الله عز وجل للكتابة في موضوع فقه، يختص باختيار إمام من أئمة المالكية في بعض مسائل الفقه.

وسبب اختياري لهذا الموضوع إبراز شخصية الشيخ عبد الحميد الصائغ والتعريف به من خلال دراسة اختياراته الفقهية ، تقديراً لهذا الإمام لما له من جهود كبيرة في إثراء الفقه الإسلامي.

أهمية البحث: تكمن في:

- التعرف على الجهد الكبير الذي بذله الفقهاء في استنباط الأحكام الفقهية من الأدلة التفصيلية وطريقة التعامل مع هذه الأدلة بما لا يخرجها عن مرادها .

(1) - صحيح البخاري (6 / 2667) .

- تسليط الضوء على اختلاف الفقهاء في ثلاث مسائل من أبواب متفرقة من الفقه الإسلامي.

- أن هذا البحث يحتوي على مسائل يحتاج إليها الناس تتعلق بالمعاملات المالية والدماء.

- من مسائل هذا البحث مسألة (التدمية البيضاء) التي لم نعثر لها على دراسة وافية؛ لأنها مصطلح خاص بالمذهب المالكي.

أهداف البحث:

- جمع ودراسة المسائل الفقهية التي خالف فيها الشيخ عبد الحميد الصائغ إمامه.

- بيان وتوضيح لهذه المسائل، ودراستها دراسة مقارنة.

- معرفة أسباب الاختلاف بين الفقهاء، وبيان الراجح منها.

- تحديد اجتهاد آراء الفقهاء، وتكييفهم الفقهي لمبدأ الاختلاف في المسائل الفقهية.

إشكالية البحث:

يمكن صياغة إشكالية البحث في ثلاثة أسئلة:

الأول: هل تشترط المفارقة في الأقوال أو الأبدان في مسألة خيار

المجلس؟.

الثاني: هل البر والشعير جنسان، أم هما جنس واحد؟.

الثالث: هل التدمية البيضاء معتبرة أم لاغية؟.

خطة البحث:

و قد جاء هذا البحث في مقدمةٍ وأربعةٍ مباحثٍ - كل مبحث له مطلبان - وخاتمةٍ.

تحدثت في المبحث الأول عن التعريف بابين الصائغ، ويشتمل على مطلبين: الأول: مولده ونشأته، رحلاته، شيوخه وتلاميذه، آثاره العلمية، وثناء العلماء عليه، وفاته. والثاني: تأصيل المسائل الثلاث التي حلف عليها ابن الصائغ بذكر المصادر التي نقلت لنا هذه الحادثة.

والمبحث الثاني خصصته لدراسة المسألة الفقهية الأولى - خيار المجلس - ويشتمل على مطلبين: الأول: التعريف بخيار المجلس لغة واصطلاحًا. والثاني: دراسة المسألة الفقهية - خيار المجلس - دراسة فقهية مقارنة.

والمبحث الثالث: دراسة المسألة الفقهية الثانية - جنسية القمح والشعير - ويشتمل على مطلبين: الأول: أ - الأجناس التي نُصَّ عَلَى تَحْرِيمِ الرِّبَا فِيهَا - والإجماع عليها. ب - حكمة تحريم الربا في المطعومات المذكورة في الحديث.

والثاني: دراسة المسألة الفقهية - جنسية القمح والشعير - دراسة فقهية مقارنة.

والمبحث الرابع: دراسة المسألة الفقهية الثانية - التدمية البيضاء - ويشتمل على مطلبين: الأول: التعريف ببعض المصطلحات التي لها علاقة

مباشرة بالمبحث . والثاني: دراسة المسألة الفقهية - التدمية البيضاء - دراسة فقهية مقارنة.

الكلمات المفتاحية (ابن الصائغ ، المسائل ، حلف، مالك ، يفتي)

والباحث اتبع في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي المقارن، حيث تتبع المسائل الثلاث داخل المذهب - المالكي - ومقارنتها بأقوال المذاهب الفقهية الأخرى، ثم يذكر سبب الخلاف، وأدلة كل قول مع مناقشة الأقوال التي من الممكن أن تناقش، والإجابة على تلك المناقشات، ويختم الباحث المسألة بذكر القول الراجح منها مع ذكر أسباب الترجيح غالباً.

المبحث الأول: التعريف بابن الصائغ، - ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بابن الصائغ⁽¹⁾: مولده ونشأته ، شيوخه وتلاميذه، آثاره العلمية، وثناء العلماء عليه، محنته، وفاته.

عبد الحميد بن محمد المقرئ المعروف بابن الصائغ، القيرواني ثم السوسي: الإمام المحقق الفهامة الحافظ العلامة الجيد الفكر القوي العارضة.

(¹) ينظر ترجمته في ترتيب المدارك للقاضي عياض(8/105) ، الديباج المذهب لابن فرحون(2/25) ، شجرة النور لمخولف(1/174) ، تاريخ الإسلام للذهبي(33/177) ، الفكر السامي للحجوي(2/251) ، تراجم المؤلفين التونسيين(3/225).

مولده: لم يتعرض لمولد ابن الصائغ أحد من مترجميه. إلا أنهم أشاروا إلى أنه أدرك أبا بكر بن عبد الرحمن المتوفى سنة (431هـ). وأبا عمران الفاسي المتوفى سنة (430هـ) فيكون سنه حوالي خمس عشرة سنة عند وفاة أبي عمران؛ إذ هو أقل سن التلقي غالبًا أي حوالي سنة (415هـ) - ويكون قد عمّر حوالي سبعين سنة. غاية ما ذكروا أنه قيرواني ثم سكن سوسة بعد خراب القيروان. كان فقيها نبيلًا فهما فاضلا أصوليا زاهدا نظارا، جيد الفقه. ويجمع بين الفقه والتضلع في علم الأصول.

شيوخه: أدرك صغيرا أبا بكر بن عبد الرحمن، وأبا عمران الفاسي، وتفقّه بأبي حفص العطار وابن محرز، والسيوري وأبي إسحاق التونسي وأبي الطيب الكندي وغيرهم.

تلاميذه: به تفقه الإمام المازري وكان أقرب تلامذته إليه وكثيرًا ما ينوّه به ويعتمده ويستطلع رأيه. ومع ذلك فإن هذا التقدير والاعتراف بالفضل لم يمنع المازريّ من مناقشة شيخه. و من تلاميذه أيضًا: أبو علي حسان البربري وأبو الحسن الحوفي وأخذ عنه من أهل الأندلس أبو بكر بن غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عطية والد المفسر عبد الحق حين مروره بالمهدية روى عنه المدونة سنة (479هـ).

آثاره العلمية: له تعليق على المدونة أكمل به الكتب التي بقيت على أبي إسحاق التونسي، وفتاوى مطبوعة.

ثناء العلماء عليه: ذكرت التراجم أن أصحاب ابن الصائغ كانوا يفضلونه على اللخمي قرينه تفضيلا كثيرا.

محنته ووفاته: لما أراد المعز بن باديس تولية أبي الفضل بن شعلان

قضاء المهديّة

اشترط عليه تولية ابن الصائغ الفتيا فأجابته لذلك وجلبه، فانتفع الناس به، ودارت فتواه عليه، ثم لما قام أهل سوسة على تميم بن المعز قبض على جماعة منهم: ومن بينهم ولده وضربه وضرب عليه غرامة باع فيها الشيخ كتبه، وانقبض على الفتوى ورجع إلى سوسة ملازما بيته ستة أعوام لا ينتفع به أحد. ثم رجع لحالته وأفتى ودرس وحصل النفع به إلى أن توفي سنة (486هـ) وقبره بها معروف.

المطلب الثاني: تأصيل المسائل الثلاث التي حلف عليها ابن الصائغ

بذكر المصادر التي نقلتها إلينا.

هذه العبارة التي نقلتها إلينا كثير من المصادر جاءت بألفاظ متقاربة، فالشيخ الحطاب في مواهب الجليل شرح مختصر خليل ذكرها مرتين؛ الأولى: عند شرحه لقول خليل "وكفمخٍ وشعيرٍ وسلت، وهي جنس" حيث قال: "وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ إِحْدَى الْمَسَائِلِ الثَّلَاثِ الَّتِي حَلَفَ عَلَيْهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ الصَّائِغُ بِالْمَشْنِيِّ إِلَى مَكَّةَ أَنْ لَا يُفْتَى فِيهَا بِقَوْلِ مَالِكٍ، وَالثَّانِيَةُ خِيَارُ الْمَجْلِسِ، وَالثَّلَاثَةُ التَّدْمِيَةُ الْبَيْضَاءُ"⁽¹⁾.

والشيخ العدوي في حاشيته على شرح الخرشي على مختصر خليل

ذكر العبارة عند قول خليل في المختصر: "كحب وشعير وسلت"⁽²⁾.

(1) ينظر مواهب الجليل شرح مختصر خليل (347/4).

(2) حاشية العدوي على شرح الخرشي على مختصر خليل (58/5).

كما ذكر الشيخ عليش في منح الجليل شرح مختصر خليل العبارة ذاتها عند قول خليل: "في البيع بشرط الخيار" (1).

والشيخ ابن غازي في كتابه شفاء الغليل في حل مقفل خليل ذكر العبارة أيضًا عند شرحه لقول خليل: "إنما الخيار بشرط" (2).

ونقل الشيخ الزرقاني في شرحه على مختصر خليل العبارة نفسها عند شرح قول خليل: "إنما الخيار بشرط" (3).

فهذه المصادر التي نقلت عن الشيخ عبد الحميد ابن الصائغ قوله تؤكد لنا جليًا صحة العبارة ونسبتها إليه، وقد نظمها بعضهم فقال:

عبد الحميد خالف الإماما ... لدى ثلاث هاكها نظاما

جنسية القمح مع الشعير ... تدمية بيضا بلا نكير

ترك خيار مجلس وقد حلف ... بالمشي لايفتي بقول من سلف (4).

المبحث الثاني: دراسة المسألة الفقهية الأولى - خيار المجلس -

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بخيار المجلس لغة واصطلاحًا.

(1) منح الجليل شرح مختصر خليل (113/5).

(2) شفاء الغليل في حل مقفل خليل (653/2).

(3) شرح الزرقاني على مختصر خليل (198/5).

(4) لوامع الدرر في هتك أستاذ المختصر (407 /8).

الخيار في اللغة: اسم مصدر من (الاختيار) وهو الاصطفاء والانتقاء ، والفعل منهما (اختار). وقول القائل : أنت بالخيار ، معناه : اختر ما شئت . وخيره بين الشيئين معناه : فوض إليه اختيار أحدهما. (1)

والخيار في الاصطلاح : له تعريفات كثيرة إلا أنها في الغالب تناولت هذا اللفظ مقرونا بلفظ آخر لأنواع الخيارات دون أن يقصد بالتعريف (الخيار) عموما ، على أنه يمكن استخلاص تعريف للخيار، والمراد به هنا أن يكون للمتعاقد الخيار بين إمضاء العقد أو عدم إمضائه بفسخه إن كان الأمر أمر خيار رؤية أو شرط أو عيب⁽²⁾. والخيار يتنوع إلى خيار المجلس، وخيار الشرط، وخيار النقيصة فهذه ثلاثة أنواع للخيار⁽³⁾.

المجلس: بكسر اللام، موضع الجلوس، والمراد هنا مكان التبايع⁽⁴⁾. خيار المجلس هو: "أن يثبت الخيار للمتبايعين مدة جلوسهما معا حتى يفترقا"⁽⁵⁾.

المطلب الثاني: دراسة المسألة الفقهية - خيار المجلس - دراسة فقهية مقارنة.

(1) ينظر : مقاييس اللغة لابن فارس مادة : " خير " (232/2) ، وأساس البلاغة للزمخشري ، والقاموس ، وتاج العروس ، ولسان العرب ، (كلهن مادة خير) ، والكليات لأبي البقاء /214 .

(2) روضة الطالبين وعمدة المفتين (193/3).

(3) ينظر الذخيرة للقرافي(20/5).

(4) ينظر مطالب أولي النهي(83/3).

(5) مواهب الجليل للحطاب(409/4).

صورة المسألة أو تحرير محل النزاع: إذا تباع شخصان وتم العقد بينهما ولم يتفرقا ولم يختارا لزوم العقد، أ يكون العقد لازما لهما بمجرد تمامه، أو أن كلا من المتعاقدين له خيار فسخ العقد ما داما في المجلس؟.

من هنا اختلف الفقهاء في خيار المجلس على مذهبين:

المذهب الأول:

إن خيار المجلس لا يثبت للمتعاقدين، وعقد البيع ملزم بمجرد الإيجاب والقبول ، ولا خيار لهما بعده، وهو قول إبراهيم النخعي وربيعة ورواية عن شريح ، وإليه ذهب الحنفية والمالكية⁽¹⁾.

المذهب الثاني:

يثبت للمتعاقدين خيار المجلس ما داما مجتمعين لم يتفرقا عنه ، وهو قول جمهور الصحابة والتابعين، وهو مذهب الجمهور من الشافعية والحنابلة والظاهرية، وقول ابن حبيب من المالكية، واختيار أبي القاسم السيوري وتلميذه عبد الحميد الصائغ⁽²⁾.

(1) ينظر : شرح فتح القدير(5/460) ، بدائع الصنائع (5/228) ، مواهب الجليل (4/409)، القوانين الفقهية (180) ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري(4/397) ، شرح النووي على صحيح مسلم (10/173).

(2) ينظر : مواهب الجليل (4/409) ، المجموع (9/174) ، شرح النووي على صحيح مسلم (10/173)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري(4/397) ، المغني والشرح الكبير (7/4) ، المحلى (8/351) ، نيل الأوطار(5/291) ، البحر الزخار(4/346).

سبب الاختلاف:

- اختلف الفقهاء في حكم خيار المجلس في البيوع من حيث ثبوته ومنعه، وذلك تبعاً لاختلافهم في فهم الدلالة اللفظية "التفرق" الواردة في الكتاب والسنة .

- الإمام أبوحنيفة ومالك - رحمهما الله - ذهبا إلى منع خيار المجلس، وذلك مراعاة لأصلهما ومنهجهما، حيث إن أبا حنيفة يقدم الرأي على الخبر الواحد، والإمام مالك يقدم عمل أهل المدينة على حديث الأحاد.

الأدلة:

استدل أصحاب المذهب الأول القائل بعدم ثبوت خيار المجلس للمتعاقدين بأدلة كثيرة من القرآن والسنة والقياس تقتصر منها على الآتي:

أولاً: القرآن الكريم:

1- قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (1).

وجه الدلالة: " أن الأملاك المبيعة تنتقل بتمام اللفظ بالبيع على ما يتراضى عليه المتبايعان وإن لم يفترقا بأبدانها" (2). والرضا المذكور في الآية هو من الأمور القلبية التي لا يمكن معرفتها إلا بالتصريح بالإيجاب

(1) النساء : (29) .

(2) ينظر المقدمات الممهدة (96/2).

والقبول، وبعد الصيغة تصدق التجارة عن تراض من غير توقف على الخيار⁽¹⁾.

وأجيب عن هذا بما يلي :

أ . إن قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ)⁽²⁾ عام خصصته الأحاديث الصحيحة؛ كحديث ابن عمر، وحكيم بن حزام، وعمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده⁽³⁾.

2- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾⁽⁴⁾.

وجه الدلالة: أَنَّ المرأة إِذَا طَلَّقَهَا الرجل عَلَى مَالٍ، تَحْصُلُ الْفُرْقَةُ بِقَبُولِهَا فالتفرق ههنا إنما هو كناية عن الافتراق بالقول لا التفرق بالأبدان⁽⁵⁾.

ثانيا: السنة النبوية:

1 - عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (من ابتاع طعاماً فلا يبيعه حتى يستوفيه - وفي رواية - حتى يقبضه)⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ ينظر شرح فتح القدير (464/5).

⁽²⁾ سورة النساء من الآية (29) .

⁽³⁾ ينظر : المجموع(178/9) ، وينظر حديث عمرو بن شعيب في : فتح الباري بشرح صحيح البخاري(394/4-397) ، سنن الترمذي (243/2) ، شرح النووي على صحيح مسلم (173/10) .

⁽⁴⁾ سورة النساء. من الآية(130).

⁽⁵⁾ ينظر بداية المجتهد(171/2) ، تبين الحقائق(225/10).

⁽⁶⁾ صحيح البخاري(90/3) ، صحيح مسلم(8/5).

وجه الدلالة : أن الحديث أجاز التصرف بالمبيع بمجرد القبض ، ولم يرد اشتراط التفريق ، فدل على عدم ثبوت خيار المجلس⁽¹⁾ .

2 - عن ابن عمر⁽²⁾ قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنت على بكر صعب⁽²⁾ لعمر⁽²⁾ فكان يغلبني فيتقدم أمام القوم فيزجره عمر⁽²⁾ ويرده ، ثم يتقدم فيزجره عمر⁽²⁾ ويرده ، فقال النبي ﷺ لعمر⁽²⁾ : (بعنيه) ، قال : هو لك يا رسول الله قال : (بعنيه) فباعه من رسول الله ﷺ فقال النبي ﷺ : (هو لك يا عبد الله ابن عمر تصنع به ما شئت)⁽³⁾ .

وجه الدلالة : أن هذا الحديث دل على لزوم البيع بمجرد الإيجاب والقبول من غير تفرق بالأبدان ، بدليل أنه ﷺ تصرف بالمبيع مباشرة قبل التفريق ، ولو كان التفريق لا بد منه للزوم العقد؛ لما وهب الجمل لعبد الله إلا بعد التفريق⁽⁴⁾ .

ونوقش: بأن هذا خبر لا حجة لهم فيه: لأنه وإن لم يكن فيه تفرق، فيه التخيير بعد العقد، وليس السكوت عنه بمانع ؛ لأن صحة البيع تقتضيه ولا بد.⁽⁵⁾

(¹) ينظر تحفة الأحوذى (243/2) ، عون المعبود (345/6) ، مسائل من الفقه المقارن (12/2) .

(²) بكر هو ولد الناقة أول ما يركب ، وصعب أي : نفور ، ينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري (336/3) .

(³) صحيح البخاري (85/3) .

(⁴) ينظر شرح البخاري لابن بطال (242/6) .

(⁵) ينظر المحلى (361/8) .

4 - استدل المالكية على عدم الأخذ بخيار المجلس بأن هذا التفرق الوارد في الحديث فيه جهالة، وليس له وقت معلوم، فيكون كبيع الملامسة والمناذرة، وكبيع على خيار إلى أجل مجهول، وما كان كذلك فهو فاسد قطعاً⁽¹⁾.

ثالثاً: القياس:

قياس البيع على النكاح والخلع والرهن والعتق والكتابة . وجه القياس: أن كلاً منها عقد معاوضة يتم بمجرد اللفظ الدال على الرضا، ولا يتوقف على الخيار، وليس لخيار المجلس أثر فيها بالاتفاق، فكذاك البيع يجب أن يتم بلا خيار المجلس⁽²⁾.

أدلة المذهب الثاني

استدل أصحاب هذا المذهب القائل بأنه يثبت للمتعاقدین خيار المجلس ما دام مجتمعين لم يتفرقا عنه بأدلة كثيرة من السنة.

أولاً: من السنة:

1 - حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا أو قال حتى يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما ⁽³⁾ .

ينظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (31/14) ، مواهب الجليل شرح مختصر ⁽¹⁾ خليل (302/6).

⁽²⁾ ينظر فتح القدير لابن الهمام (196/14).

⁽³⁾ - صحيح البخاري : (2 / 732) ، صحيح مسلم : (3 / 1164) .

2 - عن ابن عمر رضي الله عنهما : عن النبي ﷺ قال : "كل بيعين لا بيع بينهما حتى يتفرقا إلا بيع الخيار" (1) ، وفي لفظ : "المتبايعان كل واحد منهما بالخيار على صاحبه ما لم يفترقا إلا بيع الخيار" (2) ، وفي لفظ: "إذا تباع المتبايعان بالبيع فكل واحد منهما بالخيار من بيعه ما لم يتفرقا، أو يكون بيعهما عن خيار، فإذا كان بيعهما عن خيار فقد وجب" زاد ابن عمر ﷺ في روايته قال نافع: فكان إذا بايع رجلا فأراد أن لا يقبله قام فمشى هنيهة ثم رجع إليه" (3).

وجه الدلالة:

هذه الأحاديث تدل دلالة صريحة على ثبوت خيار المجلس للمتعاقدين ما لم يتفرقا ؛ أي بأن يذهب أحدهما عن الآخر ويفارقه ببذنه.

يقول الماوردي في كتابه الحاوي الكبير(4): دلت هذه الأخبار كلها بصريح القول ودليله على ثبوت خيار المجلس للمتعاقدين معا ما لم يتفرقا بالأبدان، أو يجعل أحدهما لصاحبه الخيار ، فيختار.

ونوقش " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا". باعتراضين للأحناف

والمالكية

أولاً: الأحناف: يقول الكاساني: فإن ثبت؛ أي: هذا الحديث مع كونه خبر آحاد مخالفا لظاهر الكتاب، فإنه لا يقوى على معارضة غيره مما هو

(1) - صحيح البخاري (2 / 744).

(2) - سنن أبي داود (2 / 294) ، سنن النسائي (7 / 248).

(3) - هنية وفي بعضها هنيهة ، أي : شيئا يسيرا ، ينظر : صحيح مسلم : (3 / 1163).

(4) (54/5).

أقوى منه، أو معارضة القياس ، وقد ورد فيما تعم به البلوى، والخيار المذكور فيه محمول على خيار الرجوع والقبول ما دام في التبابع⁽¹⁾.

وأجيب عن هذا الاعتراض: بأن الحديث مشهور فيعمل به⁽²⁾.

ثانياً: المالكية: قال الإمام مالك معقّباً على هذا الحديث: "وليس لهذا عندنا حد معروف ولا أمر معمول به فيه"⁽³⁾.

ويقول الشيخ النفراوي في الفواكه الدواني⁽⁴⁾: "وقال مالك في الموطأ بعد ذكره حديث: "المتعاقدان بالخيار ما لم يتفرقا" والعمل عندنا على خلافه، وإنما قدم مالك العمل على الحديث الصحيح؛ لأنه خبر آحاد، وعمل أهل المدينة كالخبر المتواتر".

وأجيب عن هذا الاعتراض بقول النووي: وأما قول مالك فهو اصطلاح له وحده منفرد به عن العلماء فلا يقبل قوله في رد السنن؛ لترك فقهاء المدينة العمل بها، وكيف يصح هذا المذهب مع العلم بأن الفقهاء ورواة الأخبار لم يكونوا في عصره ولا في العصر الذي قبله منحصرين في المدينة ولا في الحجاز، بل كانوا متفرقين في أقطار الأرض مع كل واحد قطعة من الأخبار لا يشاركه فيها أحد فنقلها ووجب على كل مسلم قبولها"⁽⁵⁾.

(1) ينظر بدائع الصنائع(467/11).

(2) ينظر فتح الباري لابن حجر(330/4).

(3) الموطأ(671/2).

(4) (129/2).

(5) المجموع شرح المذهب(186/9).

والراجع في هذه المسألة - والله أعلم :-

بعد سرد هذه الأدلة للمذهبيين، كان لزاماً علينا أن نقول إن لكل رأي من آراء علمائنا الأماجد حظاً من النظر ودوافعه النبيلة وأهدافه السامية، ومع كل دليل احتجوا به له قوته التي ينهض بها لإثبات الحكم الشرعي، وإن تفاوتت تلك الأدلة قوة وضعفاً. فأبو حنيفة ومالك ومن وافقهم هدفهم إكساء العقد قوة في إلزامه بحيث يكون محكماً في إثباته، متيناً في إبرامه. والشافعي وأحمد ومن وافقهما نظروا إلى المقصد الشرعي من وراء إجراء هذا العقد، وهو الرفق بالمتبايعين بإتاحة الفرصة لهما للتروي والتفكير والتؤدة، ولا ينتزع منهما الرضا والقبول انتزاعاً، وإنما يكون بطيب نفس ورضا تام، وهو الذي يرحبه الباحث لكثرة الأدلة وقوتها وهو رأي جمهور علماء هذه الأمة، واختيار الشيخ عبد الحميد الصائغ.

المبحث الثالث: دراسة المسألة الفقهية الثانية - جنسية القمح

والشعير - ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: أ - الأجناس التي نص على تحريم الربا فيها

والإجماع عليها:

الأجناس التي نص على تحريم الربا فيها ستة وهي : الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح ، وقد ورد النص عليها في أحاديث كثيرة ، من أتمها حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه وهو قوله: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن بيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير

بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح إلا سواء بسواء عينا بعين فمن زاد أو ازداد فقد أرى" (1).

قال القرطبي: "أجمع العلماء على القول بمقتضى هذه السنة ، وعليها جماعة فقهاء المسلمين ، إلا في البر والشعير فإن مالكا جعلهما صنفا واحدا ، فلا يجوز منهما اثنان بواحد ، وهو قول الليث والأوزاعي ومعظم علماء المدينة والشام ، وأضاف مالك إليهما السُّلْتُ" (2).

وفائدة تخصيص هذه الأجناس الستة بالذكر في الحديث: أن عامة المعاملات يومئذ كانت بها على ما جاء في الحديث: "كنا في المدينة نبيع الأوساق ونبتاعها" (3) والمراد به: ما يدخل تحت السوق مما تكثر الحاجة إليه، وهي الأجناس المذكورة (4).

ب - حكمة تحريم الربا في المطعومات المذكورة في الحديث:

من حكمة الله سبحانه وتعالى: أن جعل الدنيا مطية الآخرة، وبسرَّ للإنسان سبل السعادة بشريعة محكمة لا تضيق فيها ولا نصب، ففي هذا الجانب - الروايات - نرى أن مقصد الشارع لايعتبر في المطعومات إلا ما

(1) صحيح مسلم (1210/3).

(2) الجامع لأحكام القرآن (349/3). قال ابن منظور: والسُّلْتُ بالضم ضرب من الشعير وقيل هو الشعير بعينه وقيل هو الشعير الحامض وقال الليث: السُّلْتُ شعير لا قُشْرَ له أَجْرَدُ زاد الجوهري كأنه الحنطة. لسان العرب (45/2) ، وانظر الصحاح للجوهري: (275/2) ، المحيط في اللغة (296/8) ، المصباح المنير (148/1).

(3) سنن النسائي (482/13).

(4) ينظر الموسوعة الفقهية الكويتية (64/22).

كان عماد الأقوات للناس، ومقيم بُنيتهم، غير آبه لقانون الجودة والرداءة؛ لأنه في نظره داعية إلى السرف والترف.

المطلب الثاني: دراسة المسألة الفقهية - جنسية القمح والشعير - دراسة فقهية مقارنة.

صورة المسألة أو تحرير محل النزاع:

أجمع الفقهاء على أن الربا يجري في القمح والشعير، واختلفوا هل القمح والشعير صنفاً واحداً فلا يجوز التفاضل بينهما، أم أنهما صنفان يجوز بينهما التفاضل؟ على قولين:

القول الأول:

البر والشعير صنفان مختلفان، يجوز التفاضل بينهما إذا كان يداً بيد، وهذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من الحنفية⁽¹⁾ والشافعية⁽²⁾ والحنابلة⁽³⁾، وهو اختيار الشيخ عبد الحميد الصائغ من المالكية⁽⁴⁾.

القول الثاني:

البر والشعير صنف واحد، لا يجوز التفاضل بينهما، وهو مذهب المالكية⁽⁵⁾ والأوزاعي⁽⁶⁾، وقول الإمام أحمد⁽¹⁾

(1) ينظر حاشية رد المحتار (300/5)، الجوهر النيرة (302/2)، فتح القدير (307/15).

(2) ينظر المجموع (175/10)، الحاوي الكبير (216/5)، مغني المحتاج (315/6).

(3) ينظر المغني (30/8)، الإنصاف (69/8).

(4) ينظر حاشية العدوي على شرح الخرشي على مختصر خليل (58/5).

(5) ينظر شرح الخرشي (446/14)، منح الجليل (73/10).

(6) ينظر نيل الأوطار (306/8).

سبب الاختلاف:

- تعارض اتفاق المنافع فيها واختلافها، فمن غلب الاتفاق قال: صنف واحد، ومن غلب الاختلاف قال: صنفان أو أصناف⁽²⁾.

- اختلافهم في اللفظ الوارد في حديث معمر بن عبد الله⁽³⁾ (الطعام) (هل هو لفظ مشترك عام يشمل كل مطعوم، أم أنه عام دخله التخصيص، فلا يشمل كل مطعوم؟).

الأدلة:

استدل أصحاب القول الأول القائل بأن البر والشعير صنفان بالسنة

والمعقول:

أولاً: السنة:

1 - عن عبادة بن الصامت⁽¹⁾ قال قال رسول الله⁽³⁾ "الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل سواء بسواء يدا بيد فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد"⁽⁴⁾.

(1) ينظر المغني (30/8)

(2) ينظر بداية المجتهد (110/2).

(3) صحيح مسلم (1214/3).

(4) صحيح مسلم (44/5).

وجه الدلالة:

يقول الإمام النووي في شرحه على مسلم⁽¹⁾: "هذا دليل ظاهر في أن البر والشعير صنفان".

ويقول الإمام الصنعاني في سبل السلام⁽²⁾: قوله: "فإذا اختلفت الأصناف فبيعوا كيف شئتم" بعد عدّه للبرّ والشعير فدل على أنهما صنفان".

2 - عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الذهب بالذهب تبرها وعينها، والفضة بالفضة تبرها وعينها، والبر بالبر مُدِّيٌّ بِمُدِّيٍّ، والشعير بالشعير مُدِّيٌّ بِمُدِّيٍّ، والتمر بالتمر مُدِّيٌّ بِمُدِّيٍّ، والملح بالملح مُدِّيٌّ بِمُدِّيٍّ، فمن زاد أو ازداد فقد أربى، ولا بأس ببيع الذهب بالفضة - والفضة أكثرهما - يدا بيد، وأما نسيئة فلا، ولا بأس ببيع البر بالشعير - والشعير أكثرهما - يدا بيد، وأما نسيئة فلا"⁽³⁾.

قال الخطابي في معالم السنن: ⁽⁴⁾: "وفيه أن البر جنس والشعير جنس غيره، ولولا أنهما جنسان مختلفان لم يجز التفاضل بينهما يداً بيد، كما لا يجوز ذلك في الجنس الواحد.

ثانياً: من المعقول:

1 - البر والشعير لم يشتركا في اسم خاص؛ أي: لكل اسمه، فلم يكونا جنسا واحدا كالتمر والحنطة⁽¹⁾.

(1) (448/5).

(2) (39/3).

(3) سنن أبي داود (248/3).

(4) (70/3).

2 - سمي النبي ﷺ الأصناف الستة، وقد أوتي جوامع الكلم، فلا يخفى عليه إذا كانا جنسا واحدا أن يكتفي بذكر أحدهما؛ فتسميتهما تدل على أنهما جنسان كسائر المذكورات.

3 - الشعير مخالف للبر في خلقته وصفته ومنفعته، وإن قاربه من وجه، فمحلّه من البر محل الزبيب من التمر، فاقترضى أن يكونا جنسين كما أن الزبيب من التمر جنسان⁽²⁾.

أدلة القول الثاني القائل بأن البر والشعير جنس واحد.

استدل أصحاب القول الثاني بالسنة والمعقول:

أولاً: السنة:

1 - "أن معمر بن عبد الله أرسل غلامه بصاع قمح، فقال: بعه ثم اشتر به شعيرا، فذهب الغلام فأخذ صاعا وزيادة بعض صاع، فلما جاء معمرا أخبره بذلك، فقال له معمر لم فعلت ذلك؟ انطلق فرده ولا تأخذن إلا مثلا بمثل، فإني كنت أسمع رسول الله ﷺ يقول: (الطعام بالطعام مثلا بمثل) قال: وكان طعامنا يومئذ الشعير، قيل له فإنه ليس بمثله، قال إني أخاف أن يضارع"⁽³⁾.

(¹) ينظر المغني لابن قدامة (30/8).

(²) ينظر الحاوي للماوردي (216/5).

(³) صحيح مسلم (1214/3).

وجه الدلالة:

قال القاضي عياض في إكمال المعلم⁽¹⁾: فيه حجة للمالكية في جعل الشعير مع القمح صنفاً واحداً، ولا يجوز التفاضل بينهما لتقارب المنفعة فيه.

ونوقش من عدة وجوه:

الأول: بأن هذا الحديث لا حجة فيه؛ لأنه لم يصرح بأنهما جنس واحد، وإنما خاف من ذلك فتورع عنه احتياطاً⁽²⁾.

الثاني: أن معمرًا - صاحب الحادثة - قال في آخر الحديث: وكان طعامهم يومئذ الشعير، فلفظ الطعام عام يعم كل أجناسه، إلا أن العرف المقارن للخطاب يخص الطعام المذكور بالشعير، والمقرر في أصول الإمام مالك: أن العرف المقارن للخطاب من المخصصات المنفصلة التي يخصص بها العام قال في مراقي السعود⁽³⁾ في ذلك:

والعرف حيث قارن الخطابا ... ودع ضمير البعض والأسبابا

2 - عن مالك أنه بلغه أن سليمان بن يسار قال: فني علف حمار سعد بن أبي وقاص فقال لغلامه: خذ من حنطة أهلك فابتع بها شعيراً، ولا تأخذ إلا مثله.

(1) (145/5).

ينظر شرح النووي على صحيح مسلم (20/11)، شرح الزركشي على مختصر

(2) الخرقى (23/2).

(3) ينظر نثر الورود على مراقي السعود (204).

3 - عن مالك عن نافع عن سليمان بن يسار أنه أخبره: أن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث فني علف دابته فقال لغلامه: خذ من حنطة أهلك طعاما فابتع بها شعيرا، ولا تأخذ إلا مثله⁽¹⁾.

وجه الدلالة:

يقول صاحب أضواء البيان⁽²⁾: هذه الآثار هي عمدة مالك في كون القمح والشعير جنسا واحدا، وعضد ذلك بتقارب منفعتهما .

قال أبو عمر (ابن عبد البر): "معلوم أن الحنطة عندهم هي البر، فقد كره سعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن أسود أن يباع البر بالشعير إلا مثلا بمثل"⁽³⁾.

ثانياً: من المعقول:

- البر والشعير يتقاربان في المنفعة والمشاهدة فجريا مجرى شامي وحبشاني.

- البر والشعير يُغسُّ أحدهما بالآخر لتشابههما، فكانا جنساً واحداً⁽⁴⁾.

والذي يترجح - والعلم عند الله - قول الجمهور أنهما جنسان، وهو اختيار الشيخ عبد الحميد الصائغ وذلك لصحة وقوة أدلتهم، وسلامة الأدلة من المعارضة.

(1) ينظر الموطأ(4/934) ، رقم(2377).

(2) (367/7).

(3) التمهيد(19/117).

(4) ينظر الحاوي للماوردي(5/215).

المبحث الثالث: دراسة المسألة الفقهية الثالثة - التدمية البيضاء -
ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف بعض المصطلحات التي لها علاقة بهذا
المبحث (القسامة، اللوث، التدمية الحمراء، التدمية البيضاء).

1 . القسامة لغة: القَسَمُ: مصدر قَسَمْتُ الشيء فانْقَسَمَ، والموضع مَقْسَمٌ. والقِسْمُ: الحظُّ والنصيبُ من الخير. وأقْسَمْتُ: حلفتُ. (1).

واصطلاحاً: الأَيْمَانُ المُكْرَرَةُ فِي دَعْوَى الْقَتْلِ (2). وعرفها ابن حجر في الفتح (3) بقوله: الأيمان تقسم على أولياء القتيل إذا ادعوا الدم، أو على المدعى عليهم الدم، وقال الماوردي في الحاوي (4): "سميت قسامة لتكرار الأيمان فيها، واختلف فيها هل هي اسم للأيمان أو للحالفين بها؟ فقال بعضهم: هي اسم للأيمان؛ لأنها مصدر من أقسم يقسم قسامة، وقال آخرون: هي اسم للحالفين بها؛ لتعلقها بهم وتعيدها إليهم". وصورتها: "أن الأيمان تقسم على خمسين رجلاً من أهل البلد أو القرية التي يوجد فيها القتيل، لا يعلم قائله، ولا يدعي أولياؤه قتله على أحد بعينه" (5).

(1) ينظر الصحاح (77/2).

(2) ينظر المغني لابن قدامة (10/3).

(3) (31/12).

(4) (13/5).

(5) سبل السلام للصنعاني (253/3).

2 - اللوث لغة: اللوث: البُطءُ في الأمر، لوثَ لوثًا وأثاثَ وهو ألوثُ، وَرَجُلٌ ذُو لُوْثَةٍ: بَطِيءٌ مُتَمَكِّتٌ ذُو صَعْفٍ، وَالْأَلُوْثُ: الْأَحْمَقُ، وَلاَثُ الشَّيْءِ لُوْثًا: أَدَارُهُ مَرَّتَيْنِ كَمَا ثَلَاثُ الْعِمَامَةِ⁽¹⁾.

واصطلاحًا: شبهة يغلب الظن بالحكم بها⁽²⁾، وعرفه الإمام مالك بأنه: الأمر الذي ليس بقوي ولا قاطع؛ أي: ما يغلب على الظن، وما يكون شبهة يتطرق بها إلى حراسة الدماء، ولم يشترطوا في القسامة الشهادة القاطعة ولا العلم البت، وإنما طلبوا شبهة. وسُمِّي لوثًا؛ لأنه يلطخ المدعى عليه، ويوجب الشبهة، التي يتطرق بها إلى حراسة الأنفس وحقق الدماء⁽³⁾.

صوره كثيرة منها: 1 - قول القاتل قبل موته: إن فلانا قتله. 2 - شهادة شاهدين. 3 - شهادة واحد عن معاينة، 4 - شهادة العدل عن معاينة. 5 - ادعاء الزوجة على زوجها أنه قتلها. 6 - التلطخ. 7 - العداوة. 3 - التدمية الحمراء: مِنْ دَمِيئِهِ تَدْمِيَةٌ: إِذَا حَرَبْتُهُ حَتَّى حَرَجَ مِنْهُ دَمٌ، وَمِثْلُهُ أَدْمِيئُهُ⁽⁴⁾.

واصطلاحًا: إن كان بالمقتول دم من جرح ونحوه، وأثر الضرب أو السم منزل منزلة الجرح⁽⁵⁾.

4 - التدمية البيضاء: هي التي ليس معها جرح ، ولا أثر ضرب⁽¹⁾.

(1) ينظر المحكم لابن سيده (213/10).

(2) سبل السلام (353/3).

(3) ينظر التمهيد (222/23) ، الاستنكار (182/9).

(4) ينظر لسان العرب (267/14).

(5) ينظر الشرح الكبير للدردير (288/4).

المبحث الثاني: دراسة المسألة الفقهية - التدمية البيضاء - دراسة
فقهية مقارنة.

صورة المسألة أو تحرير محل النزاع

حديث القسامة أصل من أصول الشرع، وقاعدة من قواعد الأحكام، وركن من أركان مصالح العباد، وبه أخذ كافة الأئمة، والسلف من الصحابة والتابعين وفقهاء الأمصار. وإن اختلفوا في صورة الأخذ به. واتفقوا أنها لا تجزئ بمجرد دعوى الأولياء حتى يقترن بها شبهة يغلب الظن بالحكم بها؛ أي: اللوث.

واختلفوا في الشبه الموجبة للقسامة، ومما اختلفوا فيه شبهة التدمية البيضاء⁽²⁾؛ أي التي ليس معها جرح، ولا أثر ضرب على قولين:

القول الأول:

إذا قال المقتول دمي عند فلان، أو قتلني فلان، وليس به جرح ولا أثر ضرب، لا يقبل قوله إلا بالبينة على ذلك، وهذا القول هو مذهب الحنفية⁽³⁾، والمالكية⁽⁴⁾، والشافعية⁽⁵⁾، والحنابلة⁽⁶⁾.

(1) ينظر حاشية الصاوي على الشرح الصغير (172/10)،

(2) هذا المصطلح خاص بالمالكية

(3) ينظر بدائع الصنائع (473/16)، تبين الحقائق (72/18).

ينظر الشرح الكبير على المختصر للدردير (288/4)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (260/6).

(5) ينظر مغني المحتاج (109/4)، الوسيط للغزالي (398/6).

(6) ينظر المغني لابن قدامة (3/10)، شرح الزركشي على مختصر الخري (68/3).

القول الثاني:

قول المقتول دمي عند فلان، أو قتلني فلان، وليس به جرح ولا أثر ضرب، يقبل قوله ويكون لوثاً توجب فيه القسامة، وهذا القول هو اختيار بعض الحنابلة⁽¹⁾، وبعض المالكية⁽²⁾، وهو اختيار الشيخ عبد الحميد الصائغ⁽³⁾.

الأدلة:

استدل أصحاب القول الأول بالسنة والمعقول:

أولاً: السنة:

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه⁽⁴⁾.

وجه الدلالة:

فيه حجة عدم القسامة مع قول الميت : دمي مع فلان ؛ لأن هذا الحديث يدل على صيانة الدماء عن الانتهاء بالدعوى⁽⁵⁾.

(1) ينظر المبدع شرح المقنع (32/9).

(2) ينظر البيان والتحصيل (524/15).

(3) ينظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (260/6).

(4) صحيح مسلم (128/5).

(5) ينظر إكمال المعلم (288/5).

ثانياً: من المعقول:

1 - إذا لم يكن لوث ولا شاهد فالقول قول المدعى عليه مع يمينه؛ لأن اليمين انما جعلت في جنبه المدعى عند اللوث لقوة جنبته باللوث، فإذا عدم اللوث حصلت القوة في جنبه المدعى عليه؛ لأن الاصل براءة ذمته وعدم القتل، فعادت اليمين إليه⁽¹⁾.

2 - قول المقتول دمي عند فلان، أو فلان قتلني، خبر يحتمل الصدق والكذب، ولا خلاف أن دم المدعى عليه معصوم ممنوع إباحته إلا بيقين، ولا يقين مع الاحتمال، فبطل اعتبار قول المقتول دمي عند فلان⁽²⁾.

3 - أجمع العلماء على أن قول الذي تحضره الوفاة لا يصدق على غيره في شيء من الأموال، فالدماء أحق بذلك، ومن باب أولى⁽³⁾.

استدل أصحاب القول الثاني بالقرآن الكريم وبالمعقول:

أولاً: القرآن الكريم: قال تعالى: { لولا أخرجتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين } سورة المنافقون الآية 10.

وقوله { حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن } سورة النساء الآية 18.

(1) ينظر المجموع شرح المذهب (209/20).

(2) ينظر تفسير القرطبي (493/1).

(3) ينظر التمهيد (220/23).

وجه الدلالة:

المعروف من طبع الناس عند حضور الموت وهو الوقت الذي يندم فيه النادم ويقنع فيه الظالم لا يتجاسرون على الكذب في سفك الدم، بل الإنابة والتوبة والندم على ما سلف من العمل السيء، فهذا معهود من طبع الإنسان، ولا يعلم من عادته أن يدع قاتله ويعدل إلى غيره، وما خرج عن هذا نادر في الناس لا حكم له⁽¹⁾.

ثانياً: من المعقول:

مدار الأحكام على غلبة الظن، ولأن الغالب على القاتل إخفاء القتل على البيئات، فاقتضى الاستحسان أن يقبل قوله⁽²⁾.

الترجيح:

والذي يترجح - والعلم عند الله - قول الجمهور أن التدمية البيضاء غير مقبولة، وذلك لما يلي:

- صحة وقوة أدلتهم.
- قول جمهور هذه الأمة.

(1) شرح الزرقاني على الموطأ (4/261).

(2) ينظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (6/260).

الخاتمة

- توصل الباحث إلى نتائج عدة من خلال هذا البحث من أهمها :
- الشيخ عبد الحميد الصائغ علم من أعلام المتأخرين، له شخصيته المستقلة، ومكانته العلمية، يبدي رأيه الذي يدل على شخصيته واستقلالته بشجاعة وثبات.
 - الشيخ عبد الحميد الصائغ إذا ظهر له الحق - في نظره - اتبعه ولو خالف إمامه، فهو يستدل على الحكم باجتهاده ، دون أن يلزم نفسه بقول إمام أو مذهب.
 - الشيخ عبد الحميد الصائغ خالف إمامه في ثلاث مسائل، وحلف ألا يفتي فيها إلا بما رآه صوابا، ومن وجهة نظر الباحث أنه أصاب في مسألتين. وقد نبه الشيخ الشنقيطي على ذلك في أضواء البيان.
 - العلماء يختلفون في بعض المسائل نظرا لاختلاف الفهم وقوة الاطلاع، ولكن هذا لا يفسد للود قضية.
 - التدمية البيضاء مصطلح خاص بالمتأخرين من علماء المذهب المالكي، لا يوجد عند غيرهم.
- أهم التوصيات:**
- الاعتناء بدراسة الفقه المقارن؛ لأنه يزود الطالب بمهارة الاطلاع على المسائل الفقهية، والنظر في الأدلة، والترجيح بينها.

هذه أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج ، وتوصيات، نسأل الله تعالى أن يجعل ما كتبناه خالصا لوجهه الكريم ، و أن ينفع به المسلمين ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا وحبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. "ابن الهمام الحنفي". كمال الدين محمد بن عبد الواحد(ت681هـ). شرح فتح القدير. دار الفكر. بيروت. ط بلا.
2. ابن العربي. القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي (ت: 543هـ). أحكام القرآن. راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا. الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة: الثالثة، 1424 هـ - 2003 م.
3. ابن بطال. أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ). شرح صحيح البخارى . تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض. الطبعة: الثانية، 1423 هـ - 2003 م.
4. ابن حجر. أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي(852هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري. الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ.
5. ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري ، (ت : 456هـ) ، المحلى دار الفكر .
6. ابن رشد . أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرطبي الأندلسي(ت595هـ) . بداية المجتهد ونهاية المقتصد. دار الفكر/ بيروت / 1415 هـ - 1995 م .

7. ابن سيده. أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت: 458هـ) .
المحكم والمحيط الأعظم. المحقق: عبد الحميد هنداوي الناشر: دار الكتب
العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 2000 م.
8. ابن عابدين. ، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي
الحنفي. رد المحتار على الدر المختار (ت: 1252هـ). الناشر: دار الفكر -
بيروت. الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م.
9. ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري(463هـ) ،
الاستنكار. دار الكتب العلمية/ بيروت /ط1/1421هـ - 2000م ، تحقيق :
سالم محمد عطا و محمد علي معوض ، عدد الأجزاء : 8 .
10. ابن عبد البر. أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري(463هـ) ، التمهيد
لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. وزارة عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية/ المغرب ، 1387 ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد
عبد الكبير البكري .
11. ابن غازي، محمد بن أحمد بن محمد(ت919هـ). شفاء الغليل في حل
مقفل خليل. مركز نجيبويه، المكتبة التوفيقية، مصر، ط2.
12. ابن قدامة. أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد
الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت:

- 620هـ). المغني الناشر: مكتبة القاهرة. الطبعة: بدون طبعة. تاريخ النشر: 1388هـ - 1968م.
13. ابن قيم الجوزية. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر. إعلام الموقعين عن رب العالمين. تحقيق: عصام الدين الصباطي. دار الحديث. القاهرة. طبعة سنة 2004م
14. ابن مفلح ، إبراهيم بن محمد بن عبد الله الحنبلي أبو إسحاق ، (ت 884هـ) ، المبدع في شرح المقنع. المكتب الإسلامي/ بيروت/1400هـ ، عدد الأجزاء : 10 .
15. ابن نجيم. زين الدين الحنفي، (ت 970هـ)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق. دار المعرفة/بيروت.
16. أبو داود. سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ). سنن أبي داود المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد. الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
17. البابر تي. ، أكمل الدين محمد بن محمد بن محمود ، (ت: 786هـ) ، العناية في شرح الهداية. دار الكتب العلمية . بيروت- لبنان. ط1/1424هـ-2003هـ.

18. البخاري. أبو عبد الله محمد إسماعيل (256هـ). صحيح البخاري. تحقيق: مصطفى ديب البغا. دار ابن كثير. دمشق. سوريا. ودار اليمامة. دمشق. بيروت. ط5. 1993م.

19. الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: إميل يعقوب. دار الكتب العلمية. ط1.
20. الخطاب. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف ب الرعيني المالكي (ت: 954هـ). مواهب الجليل في شرح مختصر خليل الناشر: دار الفكر. الطبعة: الثالثة، 1412هـ - 1992م..

21. الدردير ، أبو البركات أحمد بن محمد العدوي ، الشهير بالدردير ، (ت : 1201هـ) . الشرح الكبير شرح مختصر خليل

22. الدسوقي . محمد بن أحمد بن عرفة المالكي (ت: 1230هـ). حاشية الدسوقي على الشرح الكبير. الناشر: دار الفكر. الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

23. الرملي. شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة شهاب الدين (ت: 1004هـ). نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج. الناشر: دار الفكر، بيروت . ط أخيرة - 1404هـ/1984م.

24. الزركشي ، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله المصري الحنبلي ، (ت : 772هـ) ، شرح الزركشي على مختصر الخرقى قدم له ووضع حواشيه : عبد المنعم خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية / لبنان/ بيروت/ 1423هـ - 2002م ، عدد الأجزاء : 3 .
25. الزيلعي. فخر الدين عثمان الزيلعي(ت743هـ). تبين الحقائق. شرح كنز الدقائق دار الكتاب الإسلامي. مصر. ط بلا.
26. السرخسي محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت: 483هـ). المبسوط. الناشر: دار المعرفة - بيروت . الطبعة: بدون طبعة. تاريخ النشر: 1414هـ - 1993م.
27. الشريبي ، محمد الخطيب(ت977هـ)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج. دار الفكر/بيروت ، عدد الأجزاء : 4 .
28. الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (ت : 1393هـ) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان
29. الشوكاني ، محمد بن علي(ت1250هـ)، نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار . تحقيق : محمد صبحي بن حسن حلاق. دار ابن الجوزي - المملكة العربية السعودية . ط1. 1427هـ .

30. الشوكاني. محمد بن علي(ت1250هـ). فتح القدير. راجعه: هشام البخاري. وخضر عكاري. المكتبة العصرية. بيروت. ط1. 1997م
31. الصاوي ، أحمد بن محمد المالكي ، حاشية الصاوي على الشرح الصغير. خرج أحاديثه وفهرسه د. مصطفى كمال وصفي ، دار المعارف القاهرة.1986م
32. عlish. محمد عlish(ت1299هـ). شرح منح الجليل على مختصر خليل. دار صادر. ط بلا.
33. القاضي عياض. أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي(ت544هـ). إكمال المعلم بفوائد مسلم . تحقيق: يحيى إسماعيل. دار الوفاء. المنصورة. مصر. ط2. 2004م.
34. القاضي عياض. أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي(ت544هـ).. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك.. تحقيق: علي عمر. مكتبة الثقافة الدينية. القاهرة. ط1. 2009م.
35. القرطبي .أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخرزجي شمس الدين (ت: 671هـ). الجامع لأحكام القرآن . تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة. الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.

36. القشيري. أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري(ت261هـ). صحيح مسلم تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار عالم الكتب. الرياض. ط1. 1996م.
37. الكاساني. علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الحنفي (ت: 587هـ). بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع الناشر: دار الكتب العلمية. الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م.
38. الماوردي ، للعلامة أبو الحسن الماوردي(ت450هـ ، الحاوي الكبير. دار الفكر. بيروت . .
39. المباركفوري . ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا(ت1353هـ) ، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي . دار الكتب العلمية. بيروت ، عدد الأجزاء : 10 .
40. المجلسي ، محمد بن محمد الشنقيطي(ت1302هـ)، لوامع الدرر في هتك أستار المختصر. دار الرضوان، نواكشوط، موريتانيا، ط1. 2015م. عدد الأجزاء15.
41. المرادوي. علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت: 885هـ). الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف الناشر: دار إحياء التراث العربي. ط: الثانية - بدون تاريخ.

42. النسائي. ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن(ت303هـ)، سنن النسائي الكبرى دار الكتب العلمية .بيروت .ط1/1411هـ - 1991م ، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري و سيد كسروي حسن.
43. النفراوي ، أحمد بن غنيم بن سالم ، (ت 1126هـ)، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني. المكتبة الثقافية. بيروت. ط. 2005م
44. النووي . محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف (ت 676هـ). . شرح صحيح مسلم. تحقيق: محمد عبدالعظيم. دار التقوى. القاهرة. ط بلا.
45. النووي ، محي الدين يحيى بن شرف: (ت 676هـ). ، روضة الطالبين وعمدة المفتين . تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و على محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، عدد الأجزاء : 8 .
46. النووي. محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ). المجموع شرح المذهب (مع تكملة السبكي والمطيعي). الناشر: دار الفكر.

العلاج النفسي بإبطال الحساسية بحركة العين (EMDR) وإعادة المعالجة في التخفيف من حدة الصدمة النفسية الناجمة عن الإصابة بالسرطان.

إعداد: د. أحمد محمد معوال

أ. أمال سالم مسعود

المخلص:

يهدف البحث إلى الكشف عن مدى تأثير العلاج النفسي بإبطال حركة العين وخفض المعالجة وإعادة المعالجة (EMDR) في التخفيف من حدة الصدمة النفسية الناجمة عن الإصابة بالسرطان، وذلك في محاولة للدمج بين العلاج النفسي والطبي في علاج الأورام باعتبار أن العلاج النفسي عن طريق خفض الحساسية بحركة العين وإعادة المعالجة يعد مقارنة علاجية أكثر شمولاً واثراً وتكاملاً وشمولاً لأغلب المدارس النفسية العلاجية متجاوزاً بذلك ثنائية النفس والجسد وشفافياً لهما معاً، كما أنه علاج تكاملي فعال يجمع بين أهم المدارس النفسية ويشمل أكثر الفئات المرضية، آخذاً بعين الاعتبار خصوصية المرض، المراحل، الزمن.

وقد اتبع الباحثان في هذا البحث خطوات المنهج التحليلي الاستقصائي الذي يعتمد في جمع بياناته على استعراض الدراسات السابقة والأدب النظري إلى تناول هذا الموضوع في بيانات مختلفة.

الكلمات المفتاحية: العلاج النفسي . السرطان . الصدمة النفسية . خفض الحساسية وإعادة المعالجة بحركة العين . تقنية (EMDR).

This research aims to reveal the extent of the effect of psychotherapy by desensitizing eyes, desensitizing and reprocessing (EMDR) in alleviating psychological trauma caused by cancer, in an attempt to combine psychological and medical treatment in the treatment of tumors, considering that psychological treatment sensitivity and reprocessing after a more enriching, integrated and comprehensive treatment approach for most psychotherapeutic schools, bypassing the isolation of the soul and the body and the body and healing for both. It is also an effective integrative treatment that combines the most important psychological schools and includes the most pathological group, taking into account the specificity of the disease, stages, time.

In this research, the two researchers followed the steps of the analytical and investigative method, which depends in collecting its data on a review of previous studies and theoretical literature to address this topic in different data.

Keywords: psychotherapy. Cancer. Psychological trauma. Eye Movement Reduction and Reprocessing (EMDR) Technology

المقدمة:

أصبحت الأورام السرطانية اليوم من المشكلات الصحية التي تواجه الإنسان حتى أنها تصدرت اهتمام الكثير من المؤسسات الطبية والنفسية والأكاديمية والتطبيقية، ومن معالم تلك الأهمية أن أصبحت موضوعاً بارزاً للدراسة داخل فرع علم النفس العيادي وعلم الصحة النفسية، والذي يستهدف دراسة التغيرات النفسية المرتبطة بالأمراض البدنية، ويتضح هذا الاهتمام من خلال تشجيع الجمعية الأمريكية للسرطان الباحثين على إجراء بحوث ودراسات في مختلف المجالات المعرفية ومنها الميدان السيكلوجي من أجل التوصل إلى طرق فعالة للتكفل الجيد بالمصابين بهذا الداء.⁽¹⁾

يعتبر مرض السرطان هو المرض الأكثر تهديداً لحياة الانسان في القرن الحادي والعشرون، حيث قدرت الإحصائيات العالمية أن مرض السرطان يعد المسبب الثاني للوفاة بعد أمراض القلب، وأنه يتم تشخيص أكثر من مليون ونصف

¹ ليلي ، منصورى ، بشير جلطي (2022) : الصدمة النفسية للمرأة المصابة بسرطان الثدي ، دراسة ميدانية ، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية ، جامعة وهران 02 ، المجلد 11، العدد 01.

مليون حالة سنوياً مريضة بالسرطان ويتم وفاة أكثر من نصف مليون من هؤلاء المرضى¹

وفي ظل غياب المعلومات في ليبيا، يبقى الوضع معقداً حول عدد المصابين بأمراض سرطانية، فيما تقول أحدث إحصائية أممية أن (6077) شخصاً ينضمون لسجلات المرضى المصابين بالسرطان في ليبيا سنوياً.

وقد تناولت عدة علوم نفسية مرض السرطان وعلى رأسها علم الأورام النفسي، وعلم المناعة النفسية العصبية، لكن تبقى وجهة النظر السيكوسوماتية رائدة لعدة عقود من الزمن رغم اختلاف تياراتها النظرية، موضحة ارتباطات المرض بين العرض والسبب وعلاقة الجسد بالنفس، ولأن الأبعاد النفسية لمرض السرطان معقدة، متداخلة وعميقة، تعيق حياة الفرد والمحيطين به بل تهدد وجوده كإنسان، كان ولا بد اقتراح علاج تكاملي فعال يجمع بين أهم تقنيات المدارس النفسية وشمل أكثر الفئات المرضية، وعلى الخصوص الضعيفة اقتصادياً، يأخذ بعين الاعتبار خصوصية المرض، المراحل والزمن، فوق الاختيار الأمثل على العلاج النفسي بخفض الحساسية بحركات العين وإعادة المعالجة لاعتراض منظمة الصحة العالمية

¹ محمد ، عبد الستار محمد إبراهيم (2019): المناعة النفسية وعلاقتها بنمو ما بعد الصدمة لدى المصابات بمرض السرطان ، مجلة الدراسات التربوية والإنسانية ، جامعة دمنهور ، المجلد الحادي عشر ، العدد الرابع ، الجزء الأول .

بفاعليته وتفوقه على العلاجات النفسية الحديثة الأخرى، كالسلوكية ، المعرفية في الأثر والمدة.¹

إن تقنية EMDR علاج نفسي تبناه الأطباء الأمريكيان للسيطرة على الدماغ والتحكم بأعراض الصدمة وبعض الاضطرابات النفسية. وعرفتھا جمعية EMDR- FRANCE بأنها "علاج بالإدماج العصبي الانفعالي عن طريق الإثارة ثنائية الجانب (حركات العينين أو غيرها)، وهي تقنية علاجية اكتشفتها الأخصائية النفسية الأمريكية F.SHAPIRO" في عام 1987، حيث تسمح EMDR بإستئناف المعالجة التكميلية الطبيعية للمعلومات المؤلمة المكبوحة، كما تسمح بتحريك الإمكانات النفسية، وترميم تقدير الذات المنخفض".²

مشكلة البحث:

تشكل المعالجة النفسية جزءاً مهماً وفعالاً جداً من جانب معالجة السرطان بإعتبار أن الأستسلام لهذا المرض يمنع المريض من الأستجابة للعلاج العضوي ، وبناءاً

¹ عمراوي ، نبيل ،فريد بوتعنى ،فطيمة نفيسة (2021) : العلاج النفسي بخفض الحساسية بحركات العين وإعادة المعالجة بين علم النفس الجسدي وعلم الأورام النفسي ، مجلة الروائز ، المجلد 05. ، العدد 01.

² نبيلة ، عتيق (2013) : واقع علاج اضطراب ضغط ما بعد الصدمة (PTSD) بتقنية إزالة الحساسية وإعادة المعالجة بحركات العين (EMDR) بالجزائر ، دراسة ميدانية بالجمعية الجزائرية للبحث السكولوجي SARP بدالي إبراهيم ، وخليّة الصدمات بالبليدة ، جامعة فرحات عباس ، سطيف ، الجزائر .

على ذلك فقد انبثقت مشكلة هذا البحث من محاولة استعراض طريقة (EMDR) في معالجة هذا المرض العضال ، وقد تحددت المشكلة في التساؤلات الآتية :

1- ما مفهوم طريقة (EMDR) كمنهج نفسي متبع في معالجة مرض

السرطان جنباً إلى جنب مع العلاج العضوي ؟

2- ما أهم الافتراضات والأهداف التي تقوم عليها تقنية (EMDR) ؟

3- ما مفهوم المعالجة التكييفية وعلاقته بتقنية (EMDR) ؟

أهمية الدراسة: تبرز أهمية هذا البحث من خلال استعراض بحوث شابيرو في العلاج النفسي لمرض السرطان ومحاولة الاستفادة منها في الأثرء العلمي للبحوث المحلية وبالتالي الإنطلاق من هذه الدراسة لبناء برامج علاجية عملية وإثبات فعالية تقنية (EMDR) في التخفيف من حدة اضطراب ما بعد الصدمة الناتج عن الإصابة بالسرطان، .

وهدفت الدراسة إلى: توضيح الإطار النظري للتدخل العلاجي النفسي بخفض الحساسية بحركات العين وإعادة المعالجة في علاج الأورام السرطانية، وتبيان تأثير الصدمة على نظام AIP ودور تقنية EMDR في معالجة المعلومات والانفعالات، إضافة إلى توضيح الدليل العلمي حول فعالية العلاج ب(EMDR) مع الاضطراب الكربي التالي للصدمة PTSD

العلاج النفسي بتقنية EMDR:

وهو من أحدث التقنيات العلاجية، ظهرت على يد SHAPIRO في نهاية الثمانينات من القرن العشرين، ووجهت أساساً لعلاج الذكريات الصدمية واضطراب

PTSD. ومع مرور الوقت أصبحت هذه التقنية تطبق في علاج اضطرابات أخرى حيث تكون الأعراض ناتجة عن خبرة سابقة مربكة.

وقد أثارت هذه التقنية جدلاً كبيراً حول الأساس النظري الذي تقوم عليه وحول العنصر الفعال، إلا أن ذلك لم يمنع من إقبال العياديين على التدريب عليها وممارستها في مختلف أنحاء العالم، خاصة بعد أن ثبتت فعاليتها، وقد اعترفت بذلك عدة هيئات علمية عالمية. وعرفت جمعية EMDR-FRANCE بأنها "علاج بالإدماج العصبي الانفعالي عن طريق الإثارة ثنائية الجانب (حركات العينين أو غيرها)، وهي تقنية علاجية اكتشفها الأخصائية النفسية الأمريكية F.SHAPIRO في عام 1987 وطورتها في عام 1989. يستند هذا العلاج على فرضية وجود ذكريات وعواطف وأحاسيس عاطلة يعانيها مرضى هذا الاضطراب بشكل رئيسي بسبب الحزن غير الملائم للحدث الصدمي المؤلم والمستقر في ذاكرة المريض الضمنية. فعند القيام بالتحفيز الثنائي (بضمنها حركات العينين) فإنها تساعد في معالجة هذه الذكريات الضمنية وانتقالها إلى الذاكرة الواضحة بما يجعلها ذاكرة طبيعية يمكن التعلم منها. وعن طريق الدراسات العديدة التي أجريت باستعمال هذه الطريقة استنتجوا بأنها تساعد في معالجة هذا الاضطراب من حيث الأفكار والأحاسيس اللذان يرتبطان بهذه الذاكرة العاطلة.¹

¹ الكبيسي ، ناطق ، علي التميمي (2016) : اختبار فعالية منهج إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، جامعة بغداد ، العدد (48).

وهي مختصر للكلمات الانجليزية التالية EYE MOVEMENT
DESENSITIZATION AND REPROCESSING
وبالفرنسية DESENSIBILISATION ET RETRAITEMENT PAR LES
MOUVEMENT OCULAIRE

وبالعربية فتعني: علاج إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العينين.¹

افتراضات طريقة عمل EMDR:

تعددت العناصر في تفسير ال(EMDR)، والتي اتفق عليها أغلب العلماء، والتي أكدت "شابيرو" على تبنيها وإدراجها، كما تستند الفرضيات على دور استجابة توجيهية، وفقاً لثلاثة نماذج مختلفة لتصور العلاج: المعرفة الإدراكية، البيولوجيا العصبية، السلوكية.

إن الصياغة والتكامل بين العواطف والأحاسيس الجسدية والمرتبطة بالذكريات المؤلمة، إذا أعيد معالجتها بDMER يمكن تجهيزها بكفاءة لإعادة تشكيلها وإعادة دمج عناصرها الأكثر إثارة للقلق، سواء المتعلقة بالمرض أو تجارب الحياة المؤلمة الماضية.

¹ عثمانى ، سمية ، سناء بلحاج طاهر (2018) : دور تقنية إزالة الحساسية وإعادة المعالجة بحركة العين (EMDR) في العلاج النفسي للمرأة المصابة بسرطان الثدي ،رسالة ماجستير (غير منشورة) في علم النفس العيادي ، المركز الجامعي - بلحاج بوشعيب - عين تموشنت ، بجمهورية الجزائر .

. افترضت شابيرو، أنه عند حدوث حادث صادم أو سلبي للغاية، قد تكون معالجة المعلومات للتجربة في الذاكرة غير مكتملة.

. تسبب الصدمة اضطراباً في معالجة المعلومات التكيفية العادية مما يؤدي إلى اختلال المعلومات غير المعالجة في شبكات الذاكرة.

. أن EMDR تسمح للعميل خلال معالجة مكونات الذكريات المؤلمة المساهمة بالوصول إلى الذكريات السلبية وإعادة معالجتها (مما يؤدي إلى انخفاض الإثارة النفسية المرتبطة بالذاكرة)، وهو ما يعرف باسم نموذج معالجة المعلومات التكيفية.

. حركة العين الأفقية تؤدي إلى نهج توجيهي تطوري في الدماغ، يستخدم في مسح البيئة بحثاً عن التهديدات.

وضعت "فرانسين شابيرو" منهجية ال EMDR النفسية العلاجية الممثلة لعلاج نفسي تكاملي مستند لعدة نظريات نفسية كانت معروفة من قبل مثل: نظرية التحليل النفسي، والعلاج السلوكي والعلاج المعرفي، بعد أن لاحظت أن بعض حركات العين تساعد في تخفيض كثافة الفكرة المثيرة للقلق، حيث خبرت ذلك بنفسها أثناء تجولها في شوارع نيويورك، وهي مثقلة بحمولة نفسية كبيرة من جراء خبر إصابتها بالسرطان والذي سبب لها شعور بقلق وحيرة غير معهودين لديها، عندما كانت تعاني من فكرة مزعجة وعيناها كانتا تتحركا لا إراديا وبسرعة.

فوفقاً لشابيروا، عند حدوث تجربة قاسية أو مؤلمة، قد تغطي آليات المواجهة المعرفية والعصبية العادية، ثم تتم معالجة الذاكرة والمحفزات الكافية المرتبطة، والمخزنة في الذاكرة في شبكة منعزلة.¹

وبناءً على بحوثها المتعددة طورت شابيرو نظرية معالجة البيانات التكيفية لتفسير التأثيرات العلاجية التي تترافق مع استعمال إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين (EMDR). وتقوم النظرية على أن للبشر نظام تشغيل بيانات مؤسس بشكل فسلجي، ذلك أن الدماغ حسب هذه النظرية يعالج عناصر متعددة من تجاربنا ويخزن الذكريات في شكل مفيد وسهل الوصول إليه. ففي الصدمات عالية الكرب يضطرب نظام الدماغ في معالجة وخن الذكريات بحيث تخزن في حالتها غير المعالجة بما يجعل من الصعب بمكان على العقل التعامل مع هذه الذكريات بطريقة صحيحة بما ينتج عنه آثار وأعراض الاضطراب الكربي التالي للصدمة (PTSD).²

لقد اقترحت شابيرو بأن إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين يمكن أن يساعد في تخفيف الأعراض السريرية بنجاح بمعالجة الذكريات المخزنة أو الصادمة (صغيرة كانت أو كبيرة) المساهمة في تسبب المرض أو ماتدعى "الذاكرة الهدف".

¹ شعبان حسن ، مرسلينا (2017) :مقاربات الرؤية من منظور مختلف ، حركة العينين السريعة والمتتابة وإعادة المعالجة في الاضطرابات التالية للصدمة ،مجلة دراسات نفسية ، المجلد 11، العدد ، 52-53.

² وليد خالد ، عبد الحميد (2019): علاج إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين بتقنية (EMDR) ، بصائر نفسية ، العدد 25.

معالجة البيانات يحدث متى ارتبطت الذاكرة الهدف بالمعلومات الأكثر تكيفاً في العقل.

أهداف EMDR:

. تفكيك الذكرى عن الانفعال عن طريق حركات العينين باتباع حركات اصابع المعالج، ووضع شعور ايجابي بدلا من السلبي، إضافة إلى تعديل المعتقدات والسلوكيات، وتخفيف الأعراض السريرية بنجاح بمعالجة مكونات الذكريات المخزنة أو الصدمية المساهمة سواءً كانت صغيرة أم كبيرة.¹

. تخفيف أعراض اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD) ويستخدم EMDR للأفراد الذين عاشوا خبرة الصدمة الشديدة والتي لاتزال دون حل، تحقيق الراحة والهدوء لدى المريض.(شعبان،2016:18)²

مبادئ تقنية ال EMDR:

1. تستند EMDR على ملاحظة أن مجرد ذكرى الصدمة ليست كافية بل على الشخص المصدوم أن يتذكر قلب المشهد.

¹ بسمينة ، ناجي (2015): مساهمة تقنية (EMDR) في التخفيف من حدة الصدمات النفسية،رسالة ماجستير (غير منشورة) في علم النفس العيادي ، دراسة حالة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر بسكرة .

² المرجع السابق ص. 18

2. بروتوكول EMDR مطمئن، ولذلك يمكن أن يرافق الشخص المصدوم إلى نواة الصدمة.
3. تذكير الشخص المصدوم لا يركز فقط على اللفظ بل التصورات والادراكات والعواطف والأحاسيس الجسدية.بالإضافة إلى الحواس (حركة العين).¹
4. يهتم EMDR بالشخص كله، بكل أبعاده وما يتعلق بالمظاهر النفسية والسلوكية والجسدية.
5. يركز العلاج على الماضي الصادم والمشغلات الحالية ونمذجة مايمكن اعتباره هاماً في المستقبل.
6. نظرة المعالج للمريض لابد أن تكون فورية، واعتباره شريك في العملية العلاجية، وبذل قصارى جهده لمعالجته.
7. إذا كان المريض لايتطور بالسرعة التي يتبغي أن تكون، فذلك لايرجع إلى أن المريض لايقاوم، ولكن قد يكون سبب فيتأثير العوامل المحيطة.
8. تمنح EMDR القدرة على التعبير عن المشاعر المرافقة للصدمة واسترجاع الموقف كله.

¹ المرجع السابق. ص. 15.

9. تنتظم تقنية EMDR وفق نظام تكيفي فطري يسمى AIP وهو ميول الذهن للراحة والصحة النفسية مثله مثل الجسم، وهذا ما أطلقت عليه شابيرو "التعافي الذاتي النفسي"، وتعتبر الشبكات الذكورية العنصر الحيوي في نظام AIP وهي أساس الأفكار والمشاعر والانفعالات والسلوكيات الحالية للفرد، وتنتظم الذكريات حول أقدم حدث، ولذلك ترتبط الخبرات والسلوكيات الحالية بالسلوكيات والخبرات الماضية، وبالتالي تسمح التقنية بالوصول للسلس للذكريات الصدمية وتسهيل معالجتها، و إيجاد حل تكيفي لتلك الذكريات.

10. تقنية EMDR تعتبر المريض فوق كل شيء بمثابة الأنا.

نموذج المعالجة التكيفية: (Adaptive Information Processing) (model)

إن الفهم الجيد لتقنية EMDR يتطلب منا استيعاب نموذج AIP، لأنه يمثل الأساس النظري الذي تقوم عليه مقاربة EMDR، وهو افتراض حول الطرق التي يمكن أن يستعملها الدماغ لمعالجة الخبرات (المعلومات) والوصول إلى حل تكيفي، مما يساهم في ترسيخ معنى الكفاءة (Worth)، الراحة (wellbeing)، والفعالية (Effectiveness) للفرد.

ونموذج AIP هو نموذج عصبي فيزيولوجي في طبيعته، ولذلك نجد Shapiro استعانت بمصطلحات معالجة المعلومات العصبية الفيزيولوجية (Information Processing Neurophysiological) التي أدخلها العالم BOWER (1981) والعالم LANG (1979) وكذا مفاهيم علم النفس الفيزيولوجي مثل الشبكة العصبية

الفيزيولوجية أو الشبكات العصبية (Neuronetworks)، وقد رأت أن استعمال مصطلحات ليس لديها مرجعية أو دلالة عصبية فيزيولوجية محددة ودقيقة هو أمر هام جداً في التأكيد على فكرة أن فعالية EMDR لا تقوم على صدق وصحة النموذج الفيزيولوجي المقدم، لأن فيزيولوجية الدماغ مازالت غير مفهومة وغير واضحة بعد.

"شابيرو" أول من طور إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين ترجمة ل (EMDR)، الطريقة التي وجهة لمعالجة الصدمات النفسية بصفة خاصة وفي فترة لاحقة لعلاج الاضطرابات الأخرى، والتي أصبحت فعاليته معترف بها في أغلب الدول في الوقت الحاضر، وتقوم على فرضية النموذج النظري (Adaptive Information Processing AIP) أي المعالجة التكيفية للمعلومات. ويتم شرح ذلك من خلال عرض جزء من الوظائف الرئيسية المكتشفة في علم النفس العصبي البيولوجي. لقد فصلت "شابيرو" النموذج الذي يشرح عمل العلاج النفسي إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين أو ال (EMDR) عن طريق النموذج الفطري لمعالجة المعلومات التكيفي (Adaptive Information Processing) حيث يستوعب المتنوع تجارب جديدة ويخزنها آلياً في شبكات الذاكرة الحالية، بأسلوب علاجي يخضع لطريقة فطرية، ترتبط هذه الشبكات بالأفكار والصور والمشاعر والأحاسيس المرتبطة بالتجارب. ووفقاً لنموذج (AIP)، تنشأ الأمراض عندما تتم معالجة المعلومات الجديدة بشكل غير كاف ثم تخزينها في وضع غير مؤهل في شبكات الذاكرة، إلى جانب الأفكار والمشاعر والعواطف المشوهة المرتبطة بها. وهكذا فإن التحفيز الخارجي يمكن أن يؤدي إلى ظهور الأحاسيس والصور من الحدث الصادم حتى يعيد الشخص تجربة المشاعر أو الاحساس الجسدي الماضي،

بشرط إذا ظلت هذه الذكريات غير معالجة، تصبح بذلك أساساً لأعراض اضطراب ما بعد الصدمة. وعلى العكس يفترض نموذج (AIP) أن معالجة الذكريات تتم بشكل مناسب فيمكن القضاء على الأعراض ودمجها. فاقترح "شابيرو" أن ال(EMDR) يمكن أن يساعد في معالجة الذكريات الصادمة، وأن أشكال مختلفة من التحفيز الثنائي مثل (EM,S) من شأنه تسهيل هذه المعالجة.

وبكلمات أبسط أكدت Shapiro على أن النموذج المفسر لفعالية تقنياتها لا يتمتع بالصدق التام، وهذا راجع لكونه يقوم على معلومات فيزيولوجية عصبية مرتبطة بالدماغ غير كافية وغير صحيحة وغير دقيقة، إلا أن هذا النموذج لا يتناقض مع ما توصل إليه العلم إلى حد الآن حول فيزيولوجية الدماغ، إذ أن البحث في مجال فيزيولوجية الدماغ مازال ضعيفاً، والنتائج المتوصل إليها غير أكيدة وغير كافية، وعليه فإن فعالية EMDR لا تتوقف على صحة النموذج المفسر.

وقد كررت Shapiro هذه الفكرة وأكدت عليها في قولها: قدمت نموذجاً نظرياً وهو (نموذج AIP) لتفسير التأثيرات العيادية ل (EMDR) وليس لإثبات وجود آليات خاصة، وصرحت أن النموذج يبقى مجرد فرضية، وهو قابل للتغيير القائم على الملاحظات المخبرية والعيادية¹

¹ نبيلة ، عتيق (2013) : واقع علاج اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة (PTSD) بتقنية إزالة الحساسية وإعادة المعالجة بحركات العين (EMDR) بالجزائر ، دراسة ميدانية بالجمعية الجزائرية للبحث السكولوجي SARP بدالي إبراهيم ، وخبلة الصدمات بالبلدية ، جامعة فرحات عباس ، سطيف ، الجزائر .

افتراضات نموذج المعالجة التكيفية للمعلومات:

هذه الافتراضات اتفق عليها اغلب العلماء وتساعد في الفهم الجيد لنموذج AIP، وعليه فإن افتراضات هذا النموذج تم حصرها فيما يلي:

1. يوجد لدى كل شخص نظام فيزيولوجي لمعالجة المعلومات، تتم من خلاله معالجة الخبرات والمعلومات الجديدة بصورة طبيعية وهذا مايقود إلى حالة تكيفية، فهو نظام فطري يعمل على تحويل المعلومات (المدخلات) المربكة نحو الانحلال التكيفي والاندماج النفسي السليم.

2. مثلما لدى الجسم ميل طبيعي نحو الصحة، كذلك الذهن لديه ميل طبيعي للراحة، والصحة النفسية/ العقلية، وهذا ما تطلق عليه شايبرو مفهوم "التعافي الذاتي النفسي"، وهو مفهوم فطري في نموذج AIP مستوحى من فكرة التعافي لدى الجسد على إثر التعرض لإصابة جسدية.

ذلك أن هناك سلسلة من الأحداث المشابهة تقع في السيرورة الذهنية إذ أن معالجة المعلومات تميل طبيعياً للتحرك نحو الصحة النفسية، فإذا تعطل نظام AIP أو اختل توازنه على إثر صدمة نفسية فستظهر استجابات غير تكيفية، لكن إن تم استبعاد ذلك العطل في النظام فإن المعالجة تستأنف عملها وتتم بطريقة فطرية، ويمكن للمعلومات أن تصل إلى حل تكيفي، ويحدث إدماج وظيفي، وهذا ما تشبهه بهضم المعلومات في النظرية المعرفية.

3. تعتبر الشبكات الذكورية (Memory networks) العنصر الحيوي في نظام AIP، وهي "تمثل أساس الأفكار، المشاعر، السلوكيات التي يقوم بها الفرد في الوقت الحالي"، والشبكات الذكورية عبارة عن نظام مترابط من المعلومات، ونستطيع أن نشبهها بشبكة من القنوات التي يتم على مستواها تخزين الذكريات والأفكار والانفعالات والأحاسيس الجسدية المترابطة ببعضها البعض. وتنتظم الشبكات الذكورية حول أقدم حدث مرتبط بها، ولذلك تتأثر السلوكيات والخبرات الحالية بالسلوكيات والخبرات الماضية. (Shapiro.F,2001)

4. خلال إحدى مراحل النمو الحرجة، يتسبب التعرض إلى صدمة أو إلى ضغوط مستمرة في تعطل (Blockage) نظام AIP، وبالتالي فإن المعلومات المرتبطة بالخبرة الصدمية أو الخبرة المسببة للإرباك (Disturbing experience) يتم تخزينها بطريقة غير وظيفية وتظل على شكلها الأصلي دون معالجتها، وهذا ما يخلق لاحقاً ردود أفعال غير وظيفية. (Dysfunctional Reactions) لدى الفرد على إثر تعرضه لمثيرات حالية لها علاقة بالخبرة الصدمية، أو بالحدث الأصلي.

5. عندما يفقدنا الحاضر إلى الشبكات الذكورية فإن مظهرات الذكريات القديمة غير المهضومة تعود من جديد.

6. تسهل إجراءات EMDR الوصول إلى الذكريات الصدمية، كما تسهل معالجتها وبالتالي التوصل إلى حل تكيفي لتلك الذكريات. إذ أن EMDR يعمل على تنشيط نظام AIP بعد أن كان معطلاً بسبب الصدمة، فيستعيد نشاطه ويقوم بمعالجة تلك المعلومات الصدمية المخزنة بطريقة غير تكيفية.

7. ينتج عن المعالجة التكيفية للمعلومات ثلاث فوائد وهي : التعلم، التخلص من الضيق الانفعالي والجسدي، وتمكن الفرد من الاستجابة الوظيفية، وهنا نقول أن المعلومات الصدمية، قد وصلت إلى حل تكيفي.¹

تأثير الصدمة على نظام AIP ودور تقنية EMDR في معالجة المعلومات والانفعالات:

تعتبر الصدمة أكثر خطورة قد يتعرض إليها الفرد في حياته مما قد تؤدي به إلى حدوث ضرر في جسمه أو في إحدى أنظمتها العقلية أو كلها، فهي تسبب له خلل أو تعطل في الدماغ وبهذا سوف تعيق عمل نظام المعالجة التكيفية للمعلومات من خلال يقوم بتخزين هذه المعلومات بطريقة عشوائية وغير منتظمة، وبالتالي تظل هذه المعلومات بشكلها الخامد بحيث لاتخضع للمعالجة وترجمة وتفسير، وهذا مايدل على أن هناك اختلال في الجهاز العصبي. وبالتالي فإن أي مثير داخلي أو خارجي له علاقة بالمعلومات الصدمية قد يوقضها أو يثيرها وهنا في هذه الحالة سوف يؤدي إلى ظهور أعراض PTSD، صدمة قوية وعنيفة تؤدي إلى خلل في عمل نظام AIP مما يسبب اختلالاً في الجهاز العصبي، والذي بدوره يخزن المعلومات الصدمية بطريقة غير تكيفية في شبكة ذكروية معزولة، مما يصعب عليه استدعاؤها، مسببة ظهور أعراض PTSD (كوابيس، أفكار اقتحامية...).

ويعمل EMDR على إعادة تنشيط نظام AIP مما يؤدي في الأخير إلى معالجة

¹ المرجع السابق ص ص (51-52) .

المعلومات الصدمية والوصول إلى حل تكيفي، ذلك أن الوصول إلى الذكريات غير الوظيفية المجمدة يؤدي إلى إثارة نظام معالجة المعلومات، وتحريك المعلومات نحو حل تكيفي، مؤدياً إلى نتائج أهمها: التخفيف من الاضطراب، الاستبصار، حدوث تغيرات في الاستجابات الانفعالية والجسدية.

وعليه فإن عناصر EMDR حسب ماسبق تتمثل فيما يلي:

1. الوصول إلى الذكريات غير الوظيفية المجمدة: نبه العالم LANG وزملاؤه إلى أن الخطوة الأولى في تغيير الشبكة (الشبكة الذكورية الصدمية) تتمثل في التمكن من الوصول إليها، وهناك تعاريف كثيرة للوصول (Access) إلا أننا نفضل التعريف الذي قدمه H.LIPKE وهو: استحضار الشبكة جزئياً إلى الوعي دون تواجد أي مظهر من تلك الشبكة بإمكانه أن يتسبب في إحداث كف كبير في الوعي وفي الإدراك. ويحدث الوصول إلى الذكريات غير الوظيفية المجمدة خلال مرحلة إزالة الحساسية، حيث يركز المريض انتباهه على المواد المستهدفة المحددة في مرحلة التقييم.

2. إثارة نظام معالجة المعلومات: بعد الوصول إلى تلك المعلومات غير الوظيفية المجمدة تتم إثارة وتثبيته نظام معالجة المعلومات، ويرجح العياديون إن العنصر المسؤول على تنشيط نظام معالجة المعلومات المعطل سابقاً هو الإثارة ثنائية الجانب (BLS)، أو مايسمى الانتباه الثنائي. وهنا نشير إلى نقطة هامة، فعندما نقول أن نظام AIP معطل بسبب الصدمة فهذا لايعني أنه تعطل عن معالجة أي معلومة يستقبلها وعن معالجة الوضعيات والمواقف المختلفة التي يواجهها الفرد،

وإنما يقصد بذلك AIP تعطل فقط عن معالجة المواقف الصدمية أو التي ترتبط بها لاحقاً.

3. تحريك المعلومات نحو حل تكيفي: على أثر تنبيه نظام معالجة المعلومات يعود هذا الأخير للقيام بعمله حيث يقوم بتحريك المعلومات المعطلة والتوصل إلى حل تكيفي. ويقصد بالحل التكيفي حسب Shapiro أن تتكون ارتباطات للذكرى الصدمية (المعزولة) مع باقي التجمعات الذكروية العادية الأخرى، وأن الفرد يستفيد بطريقة بناءة من التجربة (الصدمية) ويقوم بإدماجها ضمن مخطط انفعالي ومعرفي ايجابي، والمهم أن ما هو مفيد تم تعلمه، ويمكن توظيفه مستقبلاً، أي أن النجاح في معالجة المعلومات الصدمية يستدل عليه من خلال انخفاض حدة الاضطراب، وحدث استبصار لدى المريض، وتغييرات ملموسة في استجاباته الانفعالية والجسدية، كما يمكن أن تطفو الذكريات الايجابية المرتبطة بالصدمة، وهذا ما تمت ملاحظته في حالة DOUG الذي عالجه Shapiro، فقد تذكر بعد 20 سنة أول رحلة إلى الفيتنام حيث شبه جمال طبيعة البلد بجنة الفردوس.

كما تعمل تقنية EMDR على انخفاض في مستوى التوتر العاطفي والانفعالي المصحوب مع الصدمة أو الذكرى المؤلمة المخزنة في الدماغ، وهنا تكون من خلال التركيز على الجانب الأيمن في الدماغ (جانب الانفعالات) بحيث تقوم اللوزتين (Amygdale) بإرسال رسائل الخطر إلى الدماغ مما تجبر العقل على قيام الهمسفرين على الحوار مما تؤدي إلى التحرر منه. وبالتالي يتم تغيير نظام المعلومات وإعادة توازن الجهاز العصبي مما يجعل مستوى التوتر الانفعالي و العاطفي للصدمة ينخفض ، كما تجعل الذاكرة غير مرتبطة بنفس المحتوى العاطفي

الذي كانت عليه في السابق أي قبل تطبيق EMDR أي لم يعد نفس التمثيل المؤلم الذي كان متمركزاً في دماغ الفرد أو المريض.¹

التدخل العلاجي النفسي بخفض الحساسية بحركات العين وإعادة المعالجة في علاج الأورام السرطانية

عرف فرانك (1988) العلاج النفسي، التخفيف من الضيق أو العجز لدى شخص ما بواسطة شخص آخر تلقى تدريباً، استناداً إلى نظرية أو نموذج معين. وقد تبين مدى أهمية علاقة جهاز المناعة بالاضطراب النفسي المزمن وبالأورام السرطانية والعلاج النفسي السلوكي وخصوصاً التخيل، وأن استمرار الرعاية بمرضى السرطان خاصة من الأسرة والارتباط بأفراد ذوي علاقة حميمة والتكيف مع المخاوف والتخلص من القلق والاكنتاب، لها أهمية في التحكم بالمرض، يتضاءل الورم نتيجة شعور المريض بالوجود الأفضل وجود الحياة، لاستخدام الأطباء أساليب كالتدعيم والمساندة، الاسترخاء، التمارين السلوكية، تحديد أهداف الحياة، إدارة الألم، بعث النقاؤل، التصور، برامج التغذية.

إن العلاج النفسي EMDR لمرضى السرطان، يفحص كل مرحلة من مراحل المرض، يساعد في فهم العلاقة بين النفس والجسم، ومهمة EMDR كيف يمكن تصحيح الخلل، وشرح بروتوكول EMDR لمرضى السرطان خطوة بخطوة، بالتفصيل، وموضحة إكلينيكيًا، وقد وضعت شابيرو، بروتوكول EMDR للأمراض والاضطرابات الجسدية وعلى رأسها السرطان، وتبرر ذلك، أن البروتوكول جاء

¹ المرجع السابق ص 28 .

للتأكيد على حقيقة أن ضحايا المرض الجسدي يعانون أيضاً من صدمة نفسية، في حين يتم تشخيص الاستجابات، كاضطراب مابعد الصدمة بسهولة لدى العملاء الذين لديهم معاناة من الاغتصاب أو الاجهاد....، لا يدرك العديد من المعالجون ذلك الاعتراف على نفسية العميل ربما يكون بنفس القدر أو حتى أكثر شدة عندما ينظر إلى الجاني على أنه جسم العميل نفسه. فالسرطان يعطل الوجود، من خلال فرض تعديلات نفسية متكررة على حياة المرضى (الفحوصات، الإعلان عن التشخيص، الكشوفات، العلاجات، مرحلة الفتور، النكوص المحتمل، العلاج بالمضادات، نهاية الحياة)، يواجهون أسئلة أساسية تتعلق بالهوية، ويعيدون تكوين العلاقة التي تربطهم بذواتهم، وأسرههم وبالعالم.

و يهدف EMDR إلى معرفة الآثار النفسية المرضية التي يفرضها السرطان للمريض هذا على الخصوص، كالاكتئاب واضطرابات القلق والصدمة النفسية، كما يتكفل EMDR ويساهم مساهمة حقيقة في رعاية مرضي السرطان. ففي البداية يتعامل مع مشكلة المواجهة بين المرضى عند إعلان المرض، ومرافقتهم خلال المراحل المختلفة من المرض والعلاجات، فبالإضافة إلى الصدمة الافتتاحية للإعلان والتكفل بها، سينظر في "علاج" يساعد المريض طول فترة الرعاية. إضافة إلى العلاج المقترح (EMDR) يركز ليس فقط على الأحداث التي تتخلل الحياة اليومية للمرضى، ولكن أيضاً على توقعات المريض الكبيرة من الجراحة أو العلاج الكيميائي أو العلاج الإشعاعي. ثم سوف يستحضر مسألة خمود حدة المرض، أي علامة على نهاية المرض (زوال الآثار أكثر وضوحاً) تبقى هذه الفترة على المستوى النفسي صعبة بشكل خاص، ليس فقط لأن المرضى يأخذون قياس مامروا به، ولكن لأنهم يصارعون تخوفهم من النكوص، وظروفه المخيفة مع القلق،

فمراحل العلاج والانتكاس لدى مرضى السرطان، عادة ماتخللها فترات من خمول المرض واحدة أو متعددة، لها آثار على المستوى النفسي، وهي معركة أخيرة تشير إلى فشل التدخلات العلاجية مولدة ضائقة كبيرة: الانتقال إلى الرعاية التطبيقية. ويحاول العلاج النفسي EMDR وضع الأساس لما يمكن أن يساهم به، وأخيراً يقترح التفكير في التفكير بمرضى السرطان، من خلال نموذج عالمي يمكن اعتباره إطاراً عاماً يمكن أن يدعم الممارسين في اختياراتهم للعلاج النفسي.

وتقوم فلسفة شابيرو العلاجية، على دور التخيل الموجه في تقوية جهاز مناعة الجسم وخلق صورة ذهنية إيجابية بما يسمى Positive cognition (الفكر الإيجابي) عند المصاب بالورم الخبيث يمكن تثبيته في ذاكرته بحركات العين (فالخلايا السرطانية عموماً أضعف من الخلايا القاتلة لها من نوع T4)، ونموذج التخيل المناهض للخلايا السرطانية لـ "سيمونتر" القائم على تخيل المريض لجهاز المناعة كقوة فائقة، في حالة حرب مع الخلايا السرطانية بالعدو الضعيف، والاعتقاد بهذا التخيل من المريض شرط أساسي لفعالية هذا العلاج أو السيناريو العلاجي وسعى الكثير من البحاث في تطوير الفكرة من خلال استدخال بروتوكولات علم النفس الإيجابي وتثبيتها خلال التكفل العلاجي ب EMDR للمرضى الذين يعانون الأمراض المزمنة كالسرطان.¹

**الدليل العلمي حول فعالية العلاج بال EMDR مع الاضطراب الكربي التالي
للصدمة PTSD**

¹ المرجع السابق ص 213 .

علاج إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين (EMDR) علاج نفسي أساسه الدليل العلمي في معالجة الإضطراب الكربي التالي للصدمة (PTSD). هذا الدليل العلمي وحسب أهم وأكبر قاعدة بيانات للدراسات العشوائية المقارنة، قاعدة بيانات كوكران في جامعة أوكسفورد في المملكة المتحدة، يتألف من 38 دراسة منها 15 دراسة مقارنة عشوائية أظهرت كفاءة هذا العلاج في تخفيض وإزالة أعراض الإضطراب الكربي التالي للصدمة. وقد أظهرت الدراسات نتائج مشابهة لتلك التي تتحقق مع العلاج المعرفي السلوكي ولكن النتائج العلاجية كانت أبقى وأثبتت في دراسات المتابعة. كما أن هناك أيضاً دعم من دراسات حديثة لإستعمال هذا العلاج في معالجة اضطرابات نفسية أخرى، تتضمن مشاكل الصحة العقلية المختلفة، وأعراض جسدية.

منذ 1999 وقد أصبح علاج إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين (EMDR) مقبولاً بشكل كبير كمعالجة فعالة للإضطراب الكربي التالي للصدمة (PTSD) حسب ما دلت عليه التجربة والدراسات السريرية. والآن يتركز البحث على مقارنة التأثير العلاجي وكفاءة إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين مع العلاجات النفسية المختلفة. وفي الدراسة المقارنة الأكبر لإبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين مقارنة بعلاج التعرض لحد الآن، والتي دامت لأطول فترة متابعة بحثية. تضمنت الدراسة التعيين العشوائية ل 105 حالة من مرضى الاضطراب الكربي التالي للصدمة بين علاج إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين وعلاج التعرض مع إعادة الهيكلة المعرفية وقورن العلاجين مع عينة مسيطرة من قائمة الإنتظار للعلاج. كلا العلاجين أظهرتا مكاسب سريرية هامة إحصائياً مقارنة مع عينة قائمة الإنتظار، بدون اختلافات هامة في التأثير

بين مجموعات المعالجة. ولقد أظهرت الدراسة أن علاج إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين احتاج إلى عدد أقل من الجلسات العلاجية متوسط عدد الجلسات 4.2 جلسة بالمقارنة مع متوسط عدد جلسات 6.4 جلسة في علاج التعرض.

وفي تحليل نتائج 61 دراسة لمعالجة مرض الاضطراب الكربي التالي للصدمة (PTSD)، فإن تحليل تلوي (meta-analysis) قارن حجوم تأثيرات الأدوية المختلفة والعلاجات النفسية، بما في ذلك إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين (EMDR) والعلاج السلوكي. مجموعة العلاج النفسي كانت قد أظهرت نسب أقل لترك العلاج مقارنة بالعلاج الدوائي (14% مقابل 32%) عموماً، كان العلاج النفسي مساوي في الفعالية للمعالجة العقاقيرية (SSRIs and carbamazepine) ولكن على المدى البعيد كان العلاج النفسي أكثر فعالية في تخفيض الأعراض المرضية بينما كانت المعالجة العقاقيرية كانت أكثر فعالية في معالجة الكآبة المصاحبة لمرض الاضطراب الكربي التالي للصدمة.

في تحليل تلوي (meta-analysis) للدراسات على العلاج النفسي للاضطراب الكربي التالي للصدمة بين الأعوام 1980 و 2003 وجد بأن إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين من جهة والعلاج السلوكي الإدراكي (CBT) من جهة أخرى كان كلاهما فعالين في معالجة الاضطراب وكانا متساويين في الفعالية على حد سواء. إن إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين (EMDR) في شكله الحالي، يعتبر أحد المعالجات الأساسية لمعالجة الاضطراب الكربي التالي للصدمة (PTSD) واستعماله مدعوم من قبل دليل تجريبي يرقى إلى

مستوى التحليلات التلوية (meta-analysis) والتي تظهر بأنه فعال كفعالية العلاج المعرفي السلوكي المركز على الصدمة (trauma-focused) المعيار الذهبي لمعالجة الاضطراب الكربي التالي للصدمة. وهناك مجال كبير لهذا العلاج أن يكون مع تقنيات العلاج المعرفي مع كونه أكثر سهولة ووصول للأطباء السريريين للتدريب عليه¹

الخاتمة

استعملت شابيرو في العلاج بEMDR عدة مقاربات من السيكودينامية إلى العلاج المعرفي السلوكي بحكم توجهها، كذلك الاسترخاء والعلوم العصبية والعلاج الجشطلتي، وأصبحت بهذا علاج ادماجي. والدمج بين عدة مداخل علاجية سبق اليها "جون نوركوس" مستنداً إلى العوامل المشتركة التي تسهل نتائج العلاج.

تأخذ تقنية EMDR حيزاً مهماً في العلاجات الموجهة للصددمات النفسية ومعالجة الذكريات المثبّطة ضمن تعليمات بسيطة وعلاقة آمنة بين المعالج والمتعالج.

حركات العينين يمكن أن يكون لها أثر كاف على الضغط في علاقة متبادلة بحيث يمكن للضغط الكثيف أن يكف حركات العينين. وأن EMDR تنبيه تنائي للمفحوص يتمثل في إعادة معايشة الماضي وملاحظة ما يحدث له عندما يتذكر ذلك، مما يساعده على تبني صلة بين وعيه وموقع المعلومة . كما يحدث ارتباط على المستوى المعرفي والانفعالي عن إعادة المعالجة للمعلومة المضطربة.

¹ المرجع السابق ص 90.

جوهر التغيرات النفسية في تقنية سلب الحساسية وإعادة المعالجة عن طريق حركات العينين قائم على تسهيل المعالجة المناسبة للمعلومة مايعني خلق اتصالات جديدة أكثر فائدة.

قاعدة التطبيق العيادي لهذه التقنية لها مظاهر خاصة بالمعلومة المخزنة، تستخدم كأهداف في حصة العلاج وهي: الصورة، الأفكار، الانفعالات، الأحاسيس الجسدية المرتبطة بالحدث الصدمي.

حققت تقنية (EMDR) خطوات عملاقة خلال سنوات قليلة، حيث بدأت باستهجان كبير من طرف العلماء وانتهى بها المآل إلى الاعتراف بها وبفعاليتها خاصة في مجال الصدمات النفسية، مما حقق انتشارها الواسع عبر مختلف الدول والقارات، ولو أن هناك تفاوت كبير في عدد ممارسي هذه التقنية من بلد لآخر بناءً على عدة عوامل. إلا أن مناصري (EMDR) ومعارضيهما يتفقون على أن التقنية ذات فعالية علاجية معتبرة، ولا يمكن تجاهلها خاصة في حالة الضيق المرتبط بالذكريات الصدمية، وكذلك أعراض PTSD عموماً. وقد اعترف معارضو التقنية أنها بدأت تكتسب تدريجياً ملامح علمية حقيقية خاصة مع الجهود الجبارة التي تبذلها SHPIRO ومناصروها. وقد حققت هذه التقنية العلاجية نتائج رائعة في علاج مرضى الصدمات النفسية وهي تتميز عن باقي العلاجات الأخرى بدراسات علمية تجريبية، أثبتت فعاليتها في مثل هذا الاضطراب، وأنها غير مكلفة، ولا تتطلب إمكانيات مادية، إضافة إلى أنها سريعة وفعالة ولا تستغرق فترات طويلة من الزمن.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- شعبان حسن ، مرسيلينا (2017) :مقاربات الرؤية من منظور مختلف ، حركة العينين السريعة والمتابعة وإعادة المعالجة في الاضطرابات التالية للصدمة ،مجلة دراسات نفسية ، المجلد 11، العدد ، 52-53.
- 2- عثماني ، سمية ، سناء بلحاج طاهر (2015) : دور تقنية إزالة الحساسية وإعادة المعالجة بحركة العين (EMDR) في العلاج النفسي للمرأة المصابة بسرطان الثدي ،رسالة ماجستير (غير منشورة) في علم النفس العيادي ، المركز الجامعي - بلحاج بوشعيب - عين تموشنت ، بجمهورية الجزائر.
- 3- عمراوي ، نبيل ، عاجب بومدين (2020): العلاج النفسي بخفض الحساسية بحركات العين وإعادة المعالجة المدمج ببروتوكولات علم النفس الإيجابي في التكفل النفسي بمرضى السرطان ، مجلة آفاق علمية ، المجلد 13، العدد 04 .
- 4- عمراوي ، نبيل ،فريد بوتعنى ،فطيمة نفيسة (2021) : العلاج النفسي بخفض الحساسية بحركات العين وإعادة المعالجة بين علم النفس الجسدي وعلم الأورام النفسي ، مجلة الروائر ، المجلد 05. ، العدد 01.
- 5- الكبيسي ، ناطق ، علي التميسي (2016) : اختبار فعالية منهج إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين ، مركز البحوث التربوية والنفسية ، جامعة بغداد ، العدد (48).

- 6- ليلي ، منصورى ، بشير جلطي (2022) : الصدمة النفسية للمرأة المصابة بسرطان الثدي ، دراسة ميدانية ، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية ، جامعة وهران 02 ، المجلد 11، العدد 01.
- 7- محمد ، عبد الستار محمد إبراهيم (2019): المناعة النفسية وعلاقتها بنمو ما بعد الصدمة لدى المصابات بمرض السرطان ، مجلة الدراسات التربوية والإنسانية ، جامعة دمنهور ، المجلد الحادي عشر ، العدد الرابع ، الجزء الأول .
- 8- نبيلة ، عتيق (2013) : واقع علاج اضطراب ضغوط ما بعد الصدمة (PTSD) بتقنية إزالة الحساسية وإعادة المعالجة بحركات العين (EMDR) بالجزائر ، دراسة ميدانية بالجمعية الجزائرية للبحث السكولوجي SARP بدالي إبراهيم ، وخلية الصدمات بالبلدية ، جامعة فرحات عباس ، سطيف ، الجزائر .
- 9- وليد خالد ، عبد الحميد (2019): علاج إبطال التحسس وإعادة المعالجة بحركات العين بتقنية (EMDR) ، بصائر نفسية ، العدد 25.
- 10- يسمينة ، ناجي (2015): مساهمة تقنية (EMDR) في التخفيف من حدة الصدمات النفسية ،رسالة ماجستير (غير منشورة) في علم النفس العيادي ، دراسة حالة ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر بسكرة .

تقييم الخدمات التعليمية لمرحلة التعليم الأساسي بمدينة الخمس

إعداد: أ. ليلي حسن الأبييض*

الملخص :

تشهد مدينة الخمس نمو سكاني ملحوظ خلال السنوات الأخيرة، مما يشكل ضغط على المؤسسات التعليمية الموجودة (التعليم الأساسي) فأصبحت معظم المدارس تعاني من أعداد كبيرة في حجم الطلاب، بشكل يفوق طاقتها الاستيعابية، مع العلم بأن عدد من المدارس غير مؤهلة كأماكن للدراسة، ومع هذا فإن الدولة وضعت عدة معايير للدراسة لمعرفة مدى كفاءة وكفاية هذه المؤسسات التعليمية، ولقد تم دراسة وتطبيق هذه المعايير لمعرفة أهم المشاكل التي تعانيها هذه المؤسسات، وذلك لمحاولة حل هذه المشاكل والتقليل منها بقدر الإمكان وصولاً إلى مستوى أفضل للعملية التعليمية في المستقبل القريب.

Abstract:

The city of Alkhomes has witnessed aremarkable population growth in recent years, which puts pressure on the educational institutions that exist in basic education, Most school suffer from large numbers of students that exceed their capacity, knowing that the number of school is not qualified as places to

* عضو هيئة تدريس - كلية الآداب الخمس قسم الجغرافيا

study, with this the state has set several standards of study to know efficiency and adequacy of these educational institutions, these standards have been studied and applied to identify the most important problems experienced by these institutions and try to solve these problems and reduce them as much as possible to a better level of the educational process in the near future.

المقدمة:

العلم والتعليم هما الحاجة الأسمى للبشرية به تنهض المجتمعات وتزدهر الأمم، فدراسة مستوى التعليم في أي دولة في العالم له أهمية كبرى، إذ أنه من مقومات الحياة، فهو عنصر مهم في سعادتها واستقرارها، فالتعليم والتعلم مقومات، كما أن لانعدام التعلم سلبيات تترتب وتنعكس على الجميع، إذا فالاهتمام بقطاع التعليم وبخدماته من المستلزمات المهمة لأي دولة وعليها يعتمد تطور تلك الدول، وبناء نهضتها الحضارية، فهي من الأمور البالغة الأهمية في تخطيط وتحقيق التنمية الشاملة لتلك الدول، إذ يقاس مستوى تقدم الدول بتطور كافة خدماتها التي منها التعليمية.

وأن الاهتمام بدراسة هذه الخدمات وربطها بالحيز المكاني الموجودة فيه من اهتمامات الجغرافيون بالدرجة الأولى إذ يتناولونها بالدراسة والتحليل، فدراسة السكان ومؤسساتهم التعليمية تمثل علامة بارزة في مظهر المدينة الحضري، ومن هنا نشعر بأهمية التخطيط الأمثل لمثل هذه الخدمات الأساسية لتلافي أي مشاكل، وليبيا من إحدى الدول التي أعطت الاهتمام بمثل هذه الخدمات لكي تكون في

المستوى الأمثل، لأن الاهتمام بهذه الخدمات يعكس الصورة الحقيقية للدولة من حيث توزيع هذه الخدمات على كافة أرجاء مدن الدولة ومحاولة أن تكون ذات كفاءة وكفاية عالية، ومثل هذه النتائج تكون بعد التخطيط الأمثل لهذه الخدمات ومدينة الخمس من المدن الليبية التي كان لها نصيب من هذه الخدمات التعليمية حيث أنها من المدن التي شهدت نمو سكاني خلال فترات زمنية وترتب على هذا النمو ضغط على الخدمات الأساسية ومنها التعليمية فقد توزعت فيها الخدمات بكافة أنواعها والتي منها خدمات التعليم الأساسي، التي سوف تركز الدراسة عليها ونقتصر على دراسة المدارس التابعة للقطاع العام للدولة فقط. فشملت محلات المدينة الأربعة [لبدة، بن جاج، المرقب، البلدية]، وقد توزعت في المدينة خمس عشرة مدرسة للتعليم الأساسي، وروضة واحدة فقط لسنة 2022م وكانت جميع المدارس مختلطة ما عدا مدرسة واحدة غير مختلطة، وهي مدرسة واقعة في محلة بن جاج، وهنا الدراسة سوف تركز على توزيع هذه الخدمات ومدى مطابقتها للمعايير التخطيطية التي وضعتها الدولة لمعرفة مدى المشاكل التي تعانيها المؤسسات التعليمية.

مشكلة الدراسة:

إن هذه الدراسة تتناول دراسة الخدمات التعليمية وتوزيعها داخل المدينة ومعرفة مدى كفاءتها وكفايتها.

ومشكلة الدراسة تدور في طرح التساؤلات الآتية:

1- تشهد مدينة الخمس نمو سكاني ملحوظ، فهل هناك علاقة بين توزيع السكان وتوزيع الخدمات التعليمية؟

2- كيف يتم دراسة مدى كفاءة وكفاية الخدمات التعليمية؟

- 3- هل هناك زيادة في عدد المدرسين بالمدارس؟
- 4- إن وجد خلل في عدم مراعاة المعايير التخطيطية الموجودة، فهل إيجاد الحلول لها يكون على عاتق أصحاب المدينة نفسها أم الدولة؟

الفرضيات:

- سوف نحاول في هذه الدراسة تحديد مدى إمكانية قبول أو رفض الفرضيات الآتية:
- 1- هناك علاقة إيجابية بين النمو السكاني وتوزيع المؤسسات التعليمية.
 - 2- عدم كفاءة المدارس أدى إلى انخفاض المستوى التعليمي للطلبة.
 - 3- هناك زيادة في عدد المدرسين بالمدارس داخل منطقة الدراسة.
 - 4- عدم مراعاة المعايير التخطيطية السليمة للعملية التعليمية أدى إلى انخفاض مستوى التعليم بشكل عام في الوقت الحالي.

الأهداف:

- تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:
- 1- معرفة العلاقة بين النمو السكاني والتوزيع الجغرافي للمؤسسات التعليمية.
 - 2- التعرف على مدى كفاءة وكفاية الخدمات التعليمية بالمدينة.
 - 3- وضع برنامج تنموي لمحاولة النهوض بمستوى هذه الخدمات وتقديمه للجهات ذات الاختصاص.
 - 4- توفير المعلومات والبيانات عن الخدمات التعليمية في المدينة خلال فترة الدراسة وتوضيح التوزيع المكاني للمؤسسات التعليمية.

الأهمية:

تكمن أهمية هذه الدراسة في الآتي:

- 1- الاطلاع على طبيعة حال المؤسسات التعليمية داخل المدينة.
- 2- إبراز شخصية الباحث الجغرافي ومكانته العلمية.
- 3- إثراء المكتبة العلمية بمثل هذه الدراسات لما لها من أهمية في التخطيط المستقبلي لمؤسسات تعليمية جديدة.

مجالات الدراسة:

أولاً: المجال المكاني:

يشمل البحث بالدراسة والتحليل خدمات التعليم الأساسي بمدينة الخمس، التي تقع في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا، حيث تبعد حوالي 120 كلم إلى الشرق عن مدينة طرابلس، وتقع بين دائرتي عرض 52 ° 36 و 32 ° 32 و 44 ° ، 40 ° ، 32 شمالاً، وخطي طول 49 ° 16 و 14 ° و 11 ° 18 و 14 شرقاً⁽¹⁾. ويحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الجنوب طريق السكة الحديدية المقترح، ومن الغرب وادي تله، ومن الشرق وادي لبدة. والخريطة (1) تمثل الموقع الفلكي والجغرافي لمدينة الخمس.

ثانياً: المجال الزمني:

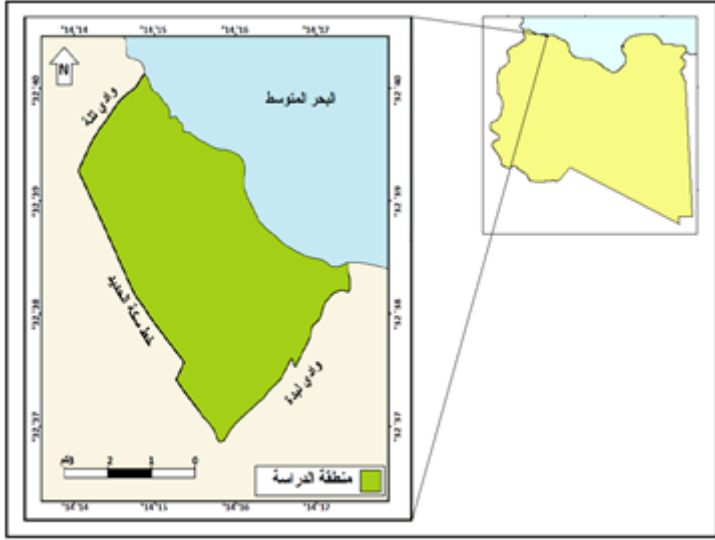
ويتمثل في الفترة الزمنية التي تشملها هذه الدراسة من سنة 1980-2022.

ثالثاً: المجال البشري:

(1) بولسيرفس، مخططات التطوير، المخطط الشامل 2000، تقرير ط33، ص6.

يتمثل في مديري المدارس في مدينة الخمس والعاملين في المرافق الخدمية التعليمية، حيث تم من خلالهم جمع البيانات التي لها علاقة بموضوع الدراسة.

خريطة رقم (1) الموقع الفلكي والجغرافي لمدينة الخمس



المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى بوليسيرفيس، محطات التطوير، الخمس، المحطّط الشامل، 2000، تقرير رقم ط، ن، ص:33.

المنهج المتبع:

تتطوي دراسة ومعالجة الموضوع عين الدراسة على مجموعة من المناهج تم اتباعها، منهم المنهج التاريخي وذلك لمتابعة تطور الخدمات التعليمية عبر المراحل التاريخية المتعاقبة إلى يومنا هذا، وكذلك المنهج الموضوعي حيث تم اتباع المنهج هذا كموضوع للدراسة في مكان وزمان معين وهي الخدمات التعليمية داخل مدينة الخمس، وكذلك المنهج الوصفي حيث يتم وصف حالة المرافق التعليمية والتي لها علاقة باستخدامات الأرض، والمنهج التحليلي، حيث يتم استخدام بعض

المقاييس الإحصائية وذلك للوصول إلى تحليل النتائج والحكم عليها بما يخدم طبيعة هذه الخدمات، المنهج الأصولي يتم اتباع هذا المنهج لفهم وتحليل أصول الظاهرة المدروسة أي الخدمة التعليمية والعوامل التي تؤثر في توزيعها، كما هي قائمة، بالإضافة إلى المنهج الإقليمي باعتبار أن مدينة الخمس إقليمياً متجانساً يتميز بخصائصه والتي هي محل الدراسة.

وسائل البحث وأدواته:

لقد تعددت وتنوعت وسائل البحث من أبرزها: جمع المعلومات الخاصة بموضوع الدراسة، ومن أهم الأدوات التي تم استخدامها:

- 1- مصادر مكتبية والمتمثلة في الكتب والمراجع العلمية والرسائل العلمية.
- 2- مصادر رسمية والمتمثلة في البيانات والمعلومات التي تم الحصول عليها من الجهات الحكومية.
- 3- الدراسة الميدانية والمتمثلة في البيانات التي تم الحصول عليها من المقابلات الشخصية والملاحظة أثناء جمع البيانات.
- 4- الخرائط والرسوم والأشكال البيانية التي تم استخدامها لتوضيح وتوظيف مشكلة الدراسة قدر الإمكان.

الدراسات السابقة:

- دراسة فريحة محمد السائيس (2017)⁽¹⁾: تطرقت هذه الدراسة إلى دراسة أثر العوامل الطبيعية والبيئية العامة على الخدمة التعليمية بالمنطقة وتطور هذه الخدمات والتوزيع الجغرافي لها.
- دراسة مصطفى غيث حسن (2017)⁽²⁾: هدفت الدراسة إلى دراسة التوزيع المكاني لمؤسسات التعليم الأساسي ومدى تطابق مواقع هذه المؤسسات مع التوزيع الجغرافي للسكان.
- دراسة أبو ناجي (2015)⁽³⁾: تناولت هذه الدراسة توزيع الخدمات التعليمية للتعليم الأساسي، وهدفت إلى معرفة مدى كفاءة هذه الخدمات.
- دراسة ارحومة (2014)⁽⁴⁾: وهدفت الدراسة إلى التعرف على أهم الأسباب التي تعيق الخدمات التعليمية وتوزيعها ومحاولة رسم صورة مستقبلية لهذه الخدمات في مدينة درنة.

(1) فريحة محمد السائيس، الخدمات التعليمية في منطقة قصر الأخيار (ليبيا)، دراسة جغرافية الخدمات، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، القاهرة، قسم الجغرافيا، 2017م.

(2) مصطفى غيث حسن، التوزيع المكاني لمدارس التعليم الأساسي في منطقة بني وليد وكفاءتها خلال العام الدراسي (2016 - 2017)، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المرقب، الخمس، العدد السادس، 2018.

(3) بشير أبو ناجي، الخدمات التعليمية للتعليم الأساسي بمدينة الخمس، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المرقب، الخمس، العدد الحادي عشر، سبتمبر 2015م.

(4) محمد أحمد محمد ارحومة، التحليل المكاني للوظيفة التعليمية في مدينة درنة في الفترة الممتدة ما بين (1973 - 2006)، جامعة بنغازي، كلية الدراسات العليا، قسم الجغرافيا، 2014.

- دراسة الصويدق (2009)⁽¹⁾: تطرقت هذه الدراسة إلى دراسة تحليل حركة النقل اليومية للعاملين والدارسين في المؤسسات التعليمية المختلفة في مدينة طبرق، وهدفت إلى تحليل بعض الخصائص الديموغرافية والاجتماعية والاقتصادية للعاملين والدارسين في القطاع التعليمي وتقييم مواقع المؤسسات التعليمية في المدينة.
- دراسة يوسف (2007)⁽²⁾: هدفت هذه الدراسة إلى دراسة واقع الخدمات التعليمية في مدينة نابلس ومدى مواءمتها للتوسع العمراني والنمو السكاني في المدينة.

أولاً: الخصائص البشرية:

إن دراسة عنصر السكان لأي دولة من الدول له أهمية كبرى، إذ أن نمط توزيع وتركيب السكان من الأمور البالغة الأهمية في تخطيط وتطوير التنمية، كما إن اكتظاظ وازدحام بعض الدول والمناطق بالسكان وزيادة الكثافة السكانية ربما يؤدي إلى حدوث خلل بين عناصر العملية التعليمية داخل المؤسسات التعليمية في الدولة، إذاً فالخدمات التعليمية تتأثر بمعدلات النمو السكاني إذ أن هذه المعدلات

(1) عبد الصادق أحمد عبد السيد الصويدق، أثر نظام النقل على التوزيع المكاني للخدمات التعليمية في الجماهيرية الليبية، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، 2009م.

(2) طاهر جمعة طاهر يوسف، التحليل المكاني للخدمات التعليمية في مدينة نابلس باستخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2007م.

تزداد بارتفاع عدد المواليد وقلة الوفيات والتي ينتج عنه ازدياد عدد الملتحقين بالمدارس.

أولاً: التركيب السكاني:

التركيب السكاني هو تقسيم السكان إلى فئات أو مجموعات وفق عنصر ديموغرافي معين مثل السن والنوع، وإن دراسة نوع وفئات أعمار السكان لها أهمية خاصة في الدراسات السكانية من حيث أنها تساعد على فهم الاتجاهات العامة للسكان، وعلى ضوءها يمكن رسم سياسة سكانية واقتصادية⁽¹⁾، ومن مسارات هذه السياسة تحديد توزيع المرافق التعليمية والتي من خلال معرفة أعداد الطلاب الملتحقين بالدراسة ونطاق تأثير الخدمة لهذه المرافق.

1- التركيب العمري والنوعي:

تبين أن السكان في مدينة الخمس ينقسمون إلى الفئات العمرية الثلاث والتي يتضح من الجدول (1) الآتي:

أن فئة صغار السن من (0 - 14) وهي التي تمثل قاعدة الهرم السكاني وهذه الفئة هي الأكثر التي تتأثر بتغير نسبة المواليد والوفيات، وهي تضم 12159 نسمة أي ما يعادل 32.3% من مجموع سكان مدينة الخمس، ويشكل الذكور 6399 نسمة، أو ما يعادل 16.5% من مجموع أفراد هذه الفئة، أما الإناث فتشكل 6159 نسمة، أما فئة متوسطي العمر من (15 - 64) سنة وهي التي تساهم في نمو السكان وإعالة الفئات الأخرى، فنلاحظ أن نسبتها أكثر ارتفاعاً من الفئة السابقة، فنسبتها

(1) محمد المبروك المهدي، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط الثالثة،

1998م، ص 135.

تبلغ 64.0% من مجموع سكان مدينة الخمس، ويشكل الذكور 32.3% من مجموع أفراد هذه الفئة، أما الإناث فتبلغ نسبتهم 31.7% من مجموع هذه الفئة، وسبب ارتفاع نسبة هذه الفئة العمرية يعود إلى أثر تناقص نسبة صغار السن إلى جملة عدد السكان، أما بالنسبة للفئة كبار السن (65 فما فوق) فهي تتصف بأنها أقل حجماً من الفئتين السابقتين، حيث بلغ عددهم 1422 نسمة أو ما يعادل 3.7%، حيث بلغت نسبة الذكور 1.8% وكذلك الإناث نفس النسبة والجدول (2) يبين هذه الفئات الثلاثة.

جدول (1) الفئات العمرية للمدينة عام 2006م

فئات السن	14-0	%	64-15	%	65 فأكثر	%	جملة المدينة	%
الذكور	6399	16.5	12542	32.3	709	1.8	19650	50.6
الإناث	6159	15.9	12332	31.7	713	1.8	19204	49.4
المجموع	12558	32.3	24874	64.0	1422	3.7	38854	100

المصدر: الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان 2006م، ص 17 - 27.

ثانياً: التوزيع الجغرافي للسكان وكثافتهم في مدينة الخمس: جدول (2)
التوزيع الجغرافي للسكان وكثافتهم على مستوى محلات المدينة عام 2021م

المحلة	المساحة بالهكتار	تعداد 2006		2021	
		عدد السكان	كثافة نسمة/كم ²	عدد السكان	كثافة نسمة/كم ²
البلدية	98	5794	59	15225	155
بن جحا	226	13621	60	29511	130
المرقب	461	6404	13.8	16492	35
لبدة	929	13034	14	26325	28
المجموع	1714	38853	22.6	87553	51

المصدر: من عمل الباحثة استناداً إلى:

1- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان، 2006م.

2- مكتب السجل المدني، بيانات منشورة، الخمس، 2021.

من خلال الجدول السابق (2) يتضح أن أعلى عدد للسكان كان من نصيب محلة بن جحا (13621)، وبكثافة سكانية 60 نسمة/كم² حسب تعداد 2006، وفي سنة 2021م لا تزال بن جحا في المرتبة الأولى من حيث عدد السكان (29511) وبكثافة سكانية (130) نسمة/كم²، وتركز السكان هذا راجع إلى توفر الخدمات الأساسية في محلة بن جحا باعتبارها مركز المدينة، ولكن محلة لبدة تأتي في المرتبة الثانية من حيث عدد السكان في سنة 2021م، حيث بلغ عدد السكان

(26325) وكتافة سكانية (28) نسمة/كم²، حيث كان عدد سكانها حسب تعداد 2006م (13034)، وكتافة سكانية (14) نسمة/ كم²، ولاحظنا أن الكثافة السكانية غير عالية مقارنةً بالكثافات السكانية بالنسبة للمحلات الأخرى، والسبب يرجع إلى كبر مساحة محلة لبد، حيث تعتبر أكبر مساحة من المحلات الأخرى، وكان أقل عدد للسكان من نصيب محلة البلدية، حيث كان يبلغ (5794) حسب تعداد 2006م ليزداد إلى (15225)، وكتافة سكانية (155) نسمة/كم² في سنة 2021م.

ومما سبق لاحظنا أن في محلة البلدية كثافتها السكانية عالية، حيث تعتبر مساحتها الأصغر بين المحلات والسكان فيها يتركزون في مكان واحد، من هذا يمكن أن نستنتج إن حجم كثافة السكان في مكان ما يجب أن تتناسب مع توزيع الخدمات التعليمية لكي يتم التوزيع العادل والمنتاسب مع عدد السكان.

رابعاً: التركيب التعليمي:

إن دراسة التركيب التعليمي والمستوى الثقافي للسكان له تأثير على التكوين والتغير الديموغرافي، فالثقافة السائدة في المجتمع ومدى انتشار التعليم وارتفاع أو انخفاض مستوى التحصيل العلمي تعد من ضمن العوامل الاجتماعية التي تساعد على فهم العديد من مظاهر التغيرات السكانية⁽¹⁾.

ويرتبط التركيب التعليمي بتقسيم السكان حسب مستوى التعليم والعمر والنوع، ويعطي ذلك التقسيم دلالة هامة لقدرة البلد على التنمية الاجتماعية

(1) ليلي حسن الأبيض، العلاقة بين النمو السكاني ومصادر مياه الشرب في مدينة الخمس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طرابلس، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، 2014م، ص87.

والاقتصادية، كما يمكن تحديد الاحتياجات المتوقعة مستقبلاً من المتعلمين حسب الأنشطة الاقتصادية المختلفة⁽¹⁾. والجدول التالي يوضح إجمالي الطلبة الدارسين في مرحلة التعليم الأساسي حسب المحلات الأربعة لسنة 2022م.

جدول (3) إجمالي الطلبة الدارسين في مرحلة التعليم الأساسي حسب المحلات الأربعة لسنة 2022م

المجموع	عدد الطلبة		اسم المحلة
	إناث	ذكور	
450	312	762	البلدية
3653	2731	6384	بن جحا
1023	956	1979	المرقب
1070	1082	2152	لبدة
6196	5081	11277	المجموع

المصدر: من تجميع الباحثة استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي، بيانات غير منشورة، 2022م.

ينضح من خلال الجدول السابق (3) أن محلة بن جحا تحتل المرتبة الأولى في أعداد الطلبة الملتحقين بالدراسة في مرحلة التعليم الأساسي، حيث بلغ عددهم (3653) طالب، وهذا ممكن أن يرجع إلى النمو السكاني فيها، وفي محلة البلدية بلغ عدد الطلبة

(1) فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية السكان، أسس وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ص 255.

(450) وتلاحظ قلة الطلبة فيها مقارنة بباقي المحلات وهذا يرجع إلى وجود مدرسة واحدة فقط فيها وهي مدرسة المنار.

خامساً: التوزيع الجغرافي للخدمات التعليمية العامة على مستوى المحلات عام 2022م:

إن دراسة التوزيع المكاني للخدمات وخصائص هذا التوزع له مكانة بارزة في الدراسات الجغرافية.

إن الاهتمام بدراسة الخدمات التعليمية وتوزيعها المكاني من اهتمامات الجغرافيين في دراساتهم لمراكز الاستقرار البشري في البيئات الحضرية والريفية لقياسها بالتسهيلات الحياتية لكافة الشرائح الاجتماعية، وتحديد نوعية الحياة إلى حد كبير، وبذلك تختلف المناطق العمرانية في المدن والقرى وفقاً لجودة الحياة اعتماداً على مدى كفاية وكفاءة الخدمات⁽¹⁾، فالخدمات التعليمية (المدرسية) خدمات أساسية يجب أن يكون توزيع مدارسها متوافقاً مع أعداد السكان وتوزيعهم داخل الأحياء والمحلات العمرانية، حتى يستطيع كل المستفيدين من هذه الخدمات من الوصول إلى هذه المدارس، والحصول على خدماتها بأقل وقت وجهد، خاصةً وإن مواقع مدارس هذه المرحلة تأثر بحكم وتوزيع السكان⁽²⁾.

أولاً: رياض الأطفال:

توجد في مدينة الخمس روضة واحدة فقط تابعة للقطاع العام تقع في محلة البلدية، مقامة في أربعة مساكن شعبية، ولا تتوفر فيها شروط المعايير التخطيطية

(1) فؤاد بن غضبان، جغرافية الخدمات، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2020م، ص14.

(2) مصطفى غيث حسن، التوزيع المكاني لمدارس التعليم الأساسي في منطقة بني وليد وكفاعتها،

مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المرقب، العدد 16، 2016م، ص215.

للمباني التعليمية من حيث الموقع بالنسبة للأحياء السكنية والمساحة الكلية والمساحة المبنية، فبلغ عدد الطلبة فيها 540 طالب، وعدد المدرسين بها 109، وعدد الفصول كانت 18 فصل دراسي، وهذا كان وفقاً لسنة 2022م، فمعرفة ودراسة أعداد الطلبة في الرياض ودراسة متوسط أعداد الفصول من أهم المقاييس التي يمكن من خلالها معرفة مستوى كفاءة الخدمات التعليمية، وكذلك تحقيق التوازن بين أعداد الطلبة وأعداد المدرسين وإذا تم الرجوع إلى المخطط الشامل للمدينة فقد عُلم أن

عدد رياض الأطفال المقترح إنشاؤها حتى عام 2000م ستة عشر روضة، ولم ينفذ منها شيء حتى عام 2022⁽¹⁾، إن هذه الروضة الموجودة في محلة البلدية نطاق تأثير خدمتها كبير، حيث تغطي خدماتها كامل مدينة الخمس، إذ يقصدها الكثير من سكان المدينة بحكم أنها تابعة للقطاع العام، فيقصدها الكثير من محدودي الدخل، إذ يجب إنشاء رياض أطفال في مواقع أخرى لتغطية الخدمات التعليمية لرياض الأطفال وذلك بحكم صغر مساحة محلة البلدية مقارنةً بالمحلات الأخرى.

ثانياً: التعليم الأساسي:

يتمثل الاستخدام التعليمي في المؤسسات التعليمية بمراحلها الابتدائية والإعدادية والتابعة للقطاع العام فقط، وعلى هذا الأساس تضم مدينة الخمس 15

(1) بولسيرفس، مخططات التطوير، الخمس، المخطط الشامل 2000، تقرير رقم ط.ت - 33،

شكل 10 المرافق الاجتماعية، بدون ترقيم.

مرفقاً تعليمياً في مراحل التعليم الأساسي للمجال الحضري، كلها تابعة للقطاع العام لسنة 2022م.

جدول (4)

التوزيع الجغرافي للمرافق التعليمية على مستوى المحلات عام 2022م

المحلات	المساحة الكلية للمحلة		إجمالي المؤسسات التعليمية في المحلة	
	المساحة الهكتار	%	العدد	%
البلدية	9	5.7	1	6.6
بن جحا	228	13.2	7	46.7
لبدة	929	54.2	4	26.7
المرقب	461	26.9	3	20
المجموع	1714	100	15	100

المصدر: نتائج الدراسة الميدانية، مارس 2022م.

يتضح من خلال الجدول (4) التوزيع الجغرافي للمرافق التعليمية على محلات المدينة، والبالغة عددها 15 مرفق تعليمي منها (1) تابعة لرياض الأطفال في محلة البلدية و(15) مدرسة للتعليم الأساسي (ابتدائي وإعدادي)، تبين أن محلة البلدية أصغر المحلات من حيث المساحة بنسبة (5.7) من إجمالي مساحة المدينة، وتستحوذ على مرفق تعليمي واحد من إجمالي المرافق التعليمية للتعليم الأساسي على مستوى المدينة، وتأتي محلة بن جحا في المرتبة الأولى من حيث عدد المؤسسات التعليمية المرافق التي توجد بها حيث تبلغ (46.7%)، وتركز هذه المرافق جاء نتيجة لتركز السكاني بها وتوفر بقية الخدمات الأساسية بها باعتبار بن

جحا مركز المدينة، وبعدها تأتي محلة لبددة في المرتبة الثانية من حيث عدد المرافق التعليمية بها، حيث تستحوذ على 4 مدارس تعليمية بنسبة (26.7%) من إجمالي عدد المرافق على مستوى محلات المدينة، والخريطة (2) توضح ذلك، وبالنظر إلى الخريطين (3) و(4) توضح توزيع المرافق التعليمية لسنة 1980 والمقترح إنشاؤها عام 2000 في المجال الحضري للمدينة.

1- التوزيع العددي والنسبي لعدد الطلبة:

من خلال الجدول (5) أن أعداد الطلبة تختلف من محلة لأخرى، حيث بلغ عدد الطلبة على مستوى محلات المدينة (11277) طالب وطالبة، فجميع المدارس مختلطة (ذكور + إناث) ما عدا مدرسة واحدة تقع في محلة بن جحا، كانت غير مختلطة (إناث) فقط.

خريطة رقم (2) التوزيع الجغرافي للمرافق التعليمية التابعة للقطاع العام في المجال الحضري لمخطط مدينة الخمس 2022



المصدر: من اعداد الباحث استناداً إلى بوليسيرفيس، مخططات التطوير، الخمس، المخطط الشامل 2000، تقرير رقم ط ن 33، الشكل (6)، ص 41.

وكانت أعلى نسبة لعدد الطلبة لمحلة بن جحا حيث بلغ عدد الطلاب (6384)، وينسبة (56.7) وهذا يرجع إلى النمو السكاني بالمحلة وتأتي بعدها محلة لبد، حيث كان نسبة عدد الطلاب (19%) من إجمالي عدد الطلاب بالمدينة، وتأتي بعدها محلة المرقب بنسبة تبلغ (17.5)، حيث بلغ عدد الطلاب بها 2022م (1979) موزعون على ثلاث مدارس وقلة عدد الطلاب في محلة المرقب يرجع إلى قلة الكثافة السكانية باعتبار أن جزء كبير من المحلة يمتد خارج نطاق المدينة الحصري، والشكل (2) يوضح التوزيع النسبي لطلبة مرحلة التعليم الأساسي.

خريطة رقم (3) التوزيع الجغرافي للمرافق التعليمية التابعة للقطاع العام في المجال الحضري لمخطط مدينة الخمس 1980



المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى بوليسيريس، محطات التطوير، الخمس، المخطط الشامل 2000، تقرير رقم ط ن 33، الشكل (4)، ص 30.

خريطة رقم (4) التوزيع الجغرافي للمرافق التعليمية القائمة
سنة 2022 والقائمة سنة 1980 والمخطط أنشائها سنة 2000
في المجال الحضري لمخطط مدينة الخمس



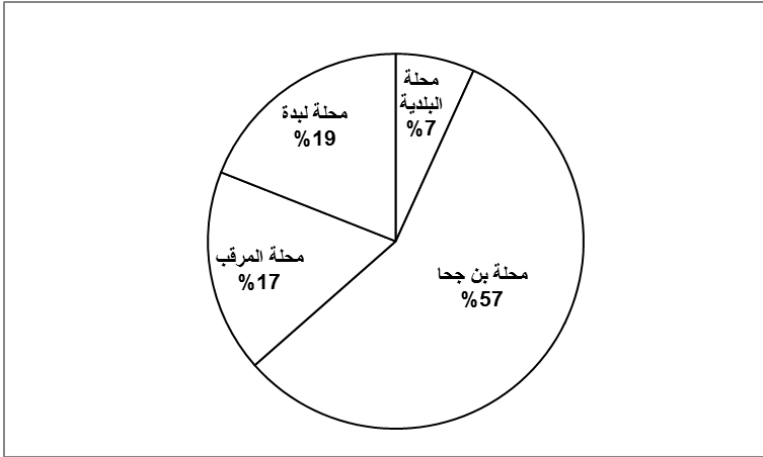
المصدر: من إعداد الباحث استناداً إلى بوليسيرفيس، مخططات التطوير، الخمس، المخطط الشامل 2000، تقرير رقم ط ن 33، الشكل (4) والشكل (6)، ص 30 وص 41.

جدول (5) التوزيع العددي والنسبي لطلبة مرحلة التعليم الأساسي خلال عام 2022م

المحلة	عدد الطلبة	النسبة %
البلدية	762	6.8
بن جحا	6384	56.7
المرقب	1979	17.5
ليدة	2152	19
المجموع	11277	100

المصدر: من عمل الباحثة استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي، الخمس،
بيانات غير منشورة، 2022م.

الشكل (1) التوزيع النسبي لطلبة مرحلة التعليم الأساسي
على مستوى محلات المدينة عام 2022م



المصدر: من عمل الباحثة استناداً إلى بيانات الجدول (7)

التوزيع العددي والنسبي لعدد المدارس:

من خلال الجدول (6) تبين أن عدد المدارس على مستوى محلات المدينة بلغ (15) مدرسة، كانت محلة بن جحا تستحوذ على أكبر عدد من المدارس بنسبة (46.7%)، ثم تأتي محلة لبدّة في المرتبة الثانية من حيث عدد المدارس بنسبة (15.4) وأدنى محلة البلدية من حيث عدد المدارس الموجودة بها بنسبة (3.2).

2- التوزيع العددي والنسبي لعدد الفصول:

من خلال الجدول (6) لقد بلغ إجمالي عدد الفصول على مستوى محلات المدينة عام 2022م نحو (335) فكانت محلة بن جحا في المرتبة الأولى من حيث عدد الفصول بنسبة تبلغ (52%)، ثم تأتي بعدها محلة لبدّة بنسبة (27.4) وأدنى نسبة لعدد الفصول لمحلة البلدية تبلغ (4.6).

3- التوزيع العددي والنسبي لعدد المدرسين:

من خلال الجدول (6) اتضح لنا أن عدد المدرسين على مستوى محلات المدينة بلغ (2251) مدرس عام 2022م، حيث احتلت محلة بن جحا على أكبر عدد من المدرسين بنسبة تبلغ (62.2%)، وتأتي بعدها محلة المرقب بنسبة تبلغ (19.2) ثم محلة لبدة من حيث عدد المدرسين بنسبة تبلغ (15.4).

جدول (6)

التوزيع العددي والنسبي للمدارس والفصول والمدرسين لمرحلة التعليم الأساسي عام 2022م

المحلة	المدارس	%	الفصول	%	المدرسين	%
البلدية	1	6.7	15	4.6	71	3.2
بن جحا	7	46.7	169	52	1400	62.2
المرقب	3	20	52	16	434	19.2
لبدة	4	26.6	89	27.4	346	15.4
المجموع	15	100	325	100	2251	100

المصدر: من عمل الباحثة استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي، بيانات غير منشورة، 2022م.

ثالثاً: كفاءة الخدمات التعليمية:

إن الاهتمام بالخدمات التعليمية جانب مهم من جوانب التنمية الاجتماعية، ولتحقيق التنمية الشاملة المستدامة، وإن دراسة هذا الجانب وهي مدى كفاءتها يبين

لنا مدى اتباع المعايير التخطيطية التي وضعتها الدولة في هذا الجانب، ومعرفة مستوى الكفاءة وأهم العراقيل التي تحول دون تحقيق هذه الكفاءة في مختلف المؤسسات التعليمية لأن معرفة هذه العراقيل يؤدي إلى إيجاد بيئة حضرية راقية تتمتع بكافة خدماتها التعليمية وبمستوى راقى، وفيما يلي دراسة لأهم المعايير التي من خلالها يمكن معرفة مدى كفاءة الخدمات التعليمية بالمدينة.

1- متوسط أعداد الفصول في المدرسة:

إن دراسة وإيجاد متوسط أعداد الفصول في المدرسة يعتبر مقياس مهم يمكن من خلاله معرفة مستوى كفاءة الخدمات التعليمية، أي أن كلما ازداد عدد الفصول في المدرسة قلت كثافة الطلاب في الفصل، وبالتالي تزداد قدرة الطالب على الاستيعاب، وكذلك تزداد قدرة المعلم في توصيل المعلومة الدراسية للطالب، وبالعكس إذا قل عدد الفصول تزداد كثافة الطلاب، وهذا يعود بالجانب السلبي على الطالب والمعلم، وما تم ملاحظته أثناء جمع البيانات من المدارس أثناء الدراسة الميدانية لسنة 2022م، إن أعداد الفصول لسنة 2022م ازدادت عن السنوات الماضية وذلك بعد أزمة مرض العصر (كورونا) حفظ الله الجميع، حيث فرض التباعد الجسدي داخل الفصول الدراسية، وتم ذلك بتقليل عدد الطلاب داخل الفصل الواحد، وبالتالي ازداد عدد الفصول، وهذا جانب جيد وجاء متمشياً مع أهم المعايير التخطيطية التي تخص هذا الجانب.

جدول (7) متوسط أعداد الفصول في المدرسة على مستوى المحلات عام
2022م

المحلات	عدد الفصول	عدد المدارس	فصل / مدرسة
البلدية	15	1	15
بن جحا	169	7	24.1
المرقب	52	3	17.3
أبدة	89	4	22.2
المجموع	325	15	21.6

المصدر: من عمل الباحثة استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي، بيانات غير منشورة، 2022م.

تبين من خلال الجدول السابق (7) أن متوسط أعداد الفصول يختلف بين المحلات، حيث سجل أعلى متوسط لأعداد الفصول (24.1) لمحلة بن جحا، ثم يليها محلة أبدة بمتوسط (22.2) فصل/ مدرسة، وأدنى متوسط لمحلة البلدية (15) فصل/ مدرسة، إذ لاحظنا ارتفاع متوسط أعداد الفصول لكل مدرسة على مستوى المحلات حيث بلغ (21.6) عن المعيار الذي وضعتة الدولة في هذا الجانب.

2- كثافة الفصول:

من أهم المشاكل التي يعانيتها قطاع التعليم في ليبيا هو كثافة الفصول الدراسية بمراحل التعليم الأساسي منذ عشر سنوات ماضية، ومدينة الخمس إحدى المدن الليبية التي تعاني هذه المشكلة، فبقلة عدد الفصول تزداد الكثافة، إذ أن العلاقة عكسية بين أعداد الفصول وكثافتها، فإذا ازدادت عدد الفصول قلت كثافتها، وإذا

قلت أعداد الفصول زادت كثافتها، ومن ضمن المعايير التي وضعتها الدولة للحفاظ على سير الخدمات التعليمية في المستوى المطلوب هو معيار كثافة الفصول الدراسية وهو (25) طالب/ فصل، وفيما يلي دراسة كثافة الفصول لمدراس مراحل التعليم الأساسي بالمدينة.

جدول (8) متوسط كثافة الفصول على مستوى المحلات عام 2022م

المحلات	عدد الطلاب	عدد الفصول	طالب / فصل
البلدية	762	15	50
بن جحا	6384	169	37
المرقب	1979	52	38
لبدة	2152	89	24
المجموع	11277	325	34

المصدر: من عمل الباحثة استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي، بيانات غير منشورة، 2022م.

يتضح من خلال الجدول السابق (8) أن متوسط كثافة الفصول على مستوى المحلات البالغ (34.6) وهو أعلى من المعدل العام للدولة، وتأتي محلة البلدية هي الأولى في ارتفاع متوسط كثافة الفصول، حيث بلغ (50) طالب/ فصل، ثم تأتي محلة المرقب في المرتبة الثانية بمتوسط (38) طالب/ فصل، ثم تأتي محلة بن جحا بمتوسط (37) طالب/ فصل، ثم محلة لبدة بمتوسط (24)، وهي الوحيدة التي يقل فيها متوسط كثافة الفصول عن المعدل العام للدولة وهذا يرجع إلى زيادة عدد الفصول فيها وازدياد عدد الطلاب.

3- متوسط أعداد الطلاب في المدرسة:

يعتبر هذا المقياس من المقاييس المعتمدة والموضوعة ضمن المعايير الأساسية التخطيطية القائمة لمعرفة مدى مستوى كفاءة الخدمات التعليمية القائمة، فمن خلال دراسة هذا المقياس نستطيع معرفة مدى القدرة الاستيعابية للمؤسسات التعليمية لإعداد الطلبة، علماً بأن المتوسط العام على مستوى الدولة (268) طالب/مدرسة.

جدول (9) متوسط أعداد الطلاب في المدرسة على مستوى المحلات عام 2022م

المحلات	عدد الطلاب	عدد المدارس	طالب / مدرسة
البلدية	762	1	762
بن جحا	6384	7	912
المرقب	1979	3	659
لبدة	2152	4	538
المجموع	11277	15	751

المصدر: من عمل الباحثة استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي، بيانات غير منشورة، 2022م.

تبين من خلال بيانات الجدول (9) أن متوسط أعداد الطلاب في أربع محلات يفوق المعدل العام الذي وضعته الدولة، فأعلى متوسط كان لمحلة بن جحا بلغ (912) طالب/مدرسة، وتليها محلة البلدية بمتوسط يبلغ (762) طالب/مدرسة، وتليها محلة المرقب الذي بلغ متوسطها (659) طالب/مدرسة، ثم تأتي محلة لبدة بأقل

متوسط (538). وارتفاع المتوسطات على مستوى المحلات الأربع بشكل يفوق المعدل العام، هذا يرجع إلى النمو السكاني، الأمر الذي أدى إلى زيادة نسبة الطلبة الملتحقين بالدراسة كالتعليم الأساسي وعدم بناء مؤسسات تعليمية جديدة لتستوعب هذا العدد من الطلبة، وهذا ما يثبت صحة فرضية الدراسة الأولى والتي تقول هناك علاقة بين النمو السكاني وتوزيع المؤسسات التعليمية.

4- متوسط عدد المدرسين لكل فصل:

يعتبر متوسط عدد المدرسين لكل فصل من المعايير المهمة لمعرفة مدى كفاءة الخدمة داخل المؤسسة التعليمية، علماً بأن المعدل العام المتوسط عدد المدرسين يبلغ (2.5) مدرس/فصل، والجدول التالي يوضح متوسط عدد المدرسين لكل فصل على مستوى محلات المدينة.

جدول (10) متوسط عدد المدرسين لكل فصل على مستوى المحلات عام 2022م

المحلات	عدد المدرسين	عدد الفصول	مدرس / فصل
البلدية	71	15	4.7
بن جحا	1400	169	8.2
المرقب	434	52	8.3
لبدة	346	89	3.8
المجموع	2251	325	6.9

المصدر: من عمل الباحثة استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي، بيانات غير منشورة، 2022م.

اتضح من خلال الجدول (10) أنه توجد هناك زيادة فائقة في عدد المدرسين لكل فصل، مقارنةً بالمعدل العام، فقد بلغ المعدل العام للمدينة (6)، في حين بلغ (8.3) مدرس/ فصل في محلة المرقب ثم يليها محلة بن جحا بمعدل (8) ثم يليها محلة البلدية بمتوسط (4) مدرس/ فصل، ثم أدنى متوسط كان من نصيب لبدة (3) مدرس/فصل، فجميع محلات المدينة متوسط عدد المدرسين لكل فصل تجاوز المعدل العام داخل المؤسسة التعليمية، وهذا يعتبر خلل بأحد المعايير التخطيطية الموضوعية من قبل الدولة، وهذا ما يثبت صحة فرضية الدراسة الثانية والتي تقول هناك زيادة في عدد المدرسين بالمدارس داخل مدينة الخمس.

5- متوسط ما يخدمه المدرس من الطلاب (طالب/ مدرس):

إن هذا المؤشر يفيد في توضيح مستوى أداء وكفاءة الخدمات المدرسية، وبالتالي فإن زيادة عدد الطلاب إلى المدرسين ينقص من كفاءة الخدمات المقدمة للطالب، وكلما قل عدد الطلاب كلما زادت فرصة المدرس على متابعة طلابه بصورة أفضل، الأمر الذي يعزز من كفاءة هذه الخدمات بشكل أكبر⁽¹⁾، وهذا ما يثبت صحة فرضية الدراسة الثانية التي تقول عدم كفاءة المدارس من الناحية التعليمية (الكادر التعليمي) تؤدي إلى انخفاض المستوى التعليمي للطلبة.

والمعدل العام على مستوى الدولة لهذا المتوسط يبلغ (8.2) طالب/ مدرس، ويمكن ملاحظة هذا المتوسط على مستوى محلات المدينة.

(1) مصطفى غيث حسن، التوزيع المكاني لمدارس التعليم الأساسي في منطقة بني وليد، وكفاءتها خلال العام الدراسي 2016 - 2017م، مجلة العلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة المرقب، العدد السادس عشر، 2018م، ص226.

جدول (11) معدل الطلاب لكل مدرس على مستوى المحلات عام 2022م

المحلات	عدد الطلاب	عدد المدرسين	طالب / مدرس
البلدية	762	71	10.7
بن جحا	6384	1400	4.5
المرقب	1979	434	4.5
لبدة	2152	346	6.2
المجموع	11277	2251	5

المصدر: من عمل الباحثة استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي، بيانات غير منشورة، 2022م.

يتضح من خلال بيانات الجدول (11) إن أعلى معدل للطلاب لكل مدرس كان لمحلة البلدية يبلغ (10.7) وهو تجاوز المعدل العام على مستوى الدولة، أما باقي المحلات فنلاحظ أن معدل الطلاب لكل مدرس أقل من المعدل العام، وهذا يدل على زيادة عدد الطلاب داخل المؤسسة التعليمية بالأخص داخل الفصول الدراسية، وهذه الزيادة تؤثر بالسلب على تحصيل الطلاب، وبالتالي يؤثر على انخفاض المستوى العام للدراسة.

6- متوسط ما تخدمه المدرسة من السكان:

يعتبر هذا المتوسط من المعايير المهمة التي وضعتها الدولة، إذ يبين طبيعة العلاقة بين السكان والخدمات التعليمية الموجودة داخل المخطط المدينة، إذ أن هذا المتوسط يبين ما تخدمه المدرسة من السكان.

وإن البيانات السكانية هي القاعدة الرئيسية والأساسية التي تنطلق منها باقي الدراسات الأخرى خاصةً الخدمة التعليمية⁽¹⁾، ويبلغ المتوسط العام على مستوى المدينة بالنسبة لما تخدمه المدرسة من سكان (3284) نسمة/ مدرسة، حيث وصل المعدل إلى (15225) في محلة البلدية، ثم تليها محلة لبدة (6558) نسمة/ مدرسة، ثم تليها محلة المرقب بمعدل (5497) نسمة/ مدرسة، وهذه الزيادة في عدد السكان سوف يؤثر سلباً على المدارس، حيث سوف تصبح المدارس تعاني من أعداد كبيرة من الطلاب بشكل يفوق طاقتها الاستيعابية، بالتالي سوف تنتج مشاكل لا حصر لها.

جدول (14)

معدل ما تخدمه المدرسة من السكان حسب محلات مدينة الخمس 2022م

المحلات	عدد السكان	عدد المدارس	ما تخدمه المدرسة من سكان
البلدية	15225	1	15225
بن جحا	29511	7	4215
المرقب	16492	3	5497
لبدة	26235	4	6558
المجموع	87553	15	5836

المصدر: من عمل الباحثة استناداً إلى بيانات مدارس التعليم الأساسي، بيانات غير منشورة، 2022م.

(1) بشير أبوناجي، الخدمات التعليمية للتعليم الأساسي بمدينة الخمس، مجلة العلوم الإنسانية،

كلية الآداب، جامعة المرقب، العدد الحادي عشر، 2015م، ص99.

النتائج والتوصيات:

- 1- يوجد تباين في إعداد السكان داخل المدينة، إذا كان أعلى نمو سكاني في محلة بن جحا (29511) نسمة.
- 2- تتباين معدلات الكثافة السكانية من محلة لأخرى، إذ بلغ أعلى معدل لكثافة السكان في المدينة في محلة (البلدية) بنسبة (155) نسمة/ كم².
- 3- عدم وجود رياض الأطفال تتبع القطاع العام في كافة المحلات بالمدينة إلا روضة واحدة في محلة البلدية.
- 4- ارتفاع عدد الطلبة في محلة بن جحا بمعدل (56.7%)، ويرجع هذا إلى التركيز السكاني باعتبارها مركز المدينة.
- 5- زيادة عدد المدرسين وتركزهم في محلة بن جحا في الوقت الحالي، وتم معرفة ذلك من خلال المقابلة الشخصية لمديري المدارس 2022م.
- 6- انخفاض معدل كفاءة الخدمة التعليمية من خلال دراسة أهم المعايير التي وصفتها الدولة: منها كثافة الفصول، ارتفاع معدل الطلبة بالمدارس ومتوسط أعداد الطلاب بالمدارس، وكذلك معدل ما تخدمه المدرسة من السكان على مستوى محلات المدينة.

التوصيات:

- 1- إنشاء رياض الأطفال تتبع القطاع العام كما وتم الإشارة إليها في المخطط.
- 2- بناء مؤسسات التعليمية ويجب أن تكون وفق خطط مستقبلية.
- 3- إعادة توزيع الكادر التعليمي من مدرسين على المدارس بطريقة تعود بالنفع على المدارس نفسها.

- 4- محاولة اتباع كافة المعايير التخطيطية الموجودة وتطبيقها على أرض الواقع في كافة المؤسسات الموجودة، لتلافي الكثير من المشاكل المستقبلية.
- 5- محاولة الاستفادة من جميع الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع واعتبارها حجرة أساس لبناء كادر تعليمي راقى ذات كفاءة وكفاية عالية.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- أبوعيانة، فتحي محمد، جغرافية السكان، أسس وتطبيقات، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م.
- 2- المهدي، محمد المبروك، جغرافية ليبيا البشرية، منشورات جامعة قارونس، بنغازي، ط الثالثة، 1998م.
- 3- بن غضبان، فؤاد، جغرافية الخدمات، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، 2020م.
- 4- غنيم، عثمان محمد، معايير التخطيط [فلسفتها وأنواعها ومنهجية اعدادها وتطبيقاتها في مجال التخطيط العمراني]، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط الأولى، 2011م.
- 5- ارحومة، محمد أحمد، التحليل المكاني للوظيفة التعليمية في مدينة درنة في الفترة الممتدة ما بين (1973 - 2006)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بنغازي، كلية الدراسات العليا، قسم الجغرافيا، 2014م.
- 6- الخفاف، عبد علي، جغرافية السكان - أسس عامة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1999.
- 7- الساييس، فريحة محمد، الخدمات التعليمية في منطقة قصر الخيار (ليبيا)، (دراسة في جغرافية الخدمات) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية البنات، القاهرة، قسم الجغرافيا، 2017م.
- 8- الصويديق، عبد الصادق حمد، أثر نظام النقل على التوزيع المكاني للخدمات التعليمية في الجماهيرية الليبية، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، 2009م.

- 9- يوسف، طاهر جمعة، التحليل المكاني للخدمات التعليمية في مدينة نابلس باستخدام تقنية نظم المعلومات GIS، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2007م.
- 10- أبوناجي - بشير، الخدمات التعليمية للتعليم الأساسي بمدينة الخمس، بحث غير منشور، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة المرقب، كلية الآداب، العدد 11، شهر سبتمبر، 2015م.
- 11- حسن، مصطفى غيث، التوزيع المكاني لمدارس التعليم الأساسي في منطقة بني وليد وكفاءتها خلال العام (2016، 2017)، بحث غير منشور، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة المرقب، كلية الآداب، العدد 16، 2018م.
- 12- بولسيرفس، مخططات التطوير، المخطط الشامل 2000، تقرير ط33.
- 13- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان، 1995م، طرابلس، منطقة النقازة.
- 14- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان، 2006م، طرابلس، شعبية المرقب، 2006م.

كنيسة جستنيان البازيليكا في مدينة لبة الكبرى

إعداد: د. حميدة محمد زايد اکتبي

المقدمة:

تعتبر البازيليكا من المباني العامة ومن الملحقات الأساسية للفورم (الميدان العام)، وقد كانت تخدم الكثير من الأغراض التي يخدمها الفورم. مسقوفة للحماية من الشمس والمطر واشتملت على قاعات للمحاكمة والنظر في القضايا وإقامة الصفقات التجارية، وتجرى في البازيليكا نشاطات مختلفة منها القضائية والاجتماعية. فهي بمثابة دور للعدالة حيث تقام فيه المحاكم ، وكان يسمح للناس بالدخول إليها دون قيد للتسليية والاستماع للمحاكمات التي تجرى فيها أو للمعاملات التجارية⁽¹⁾.

تعتبر البازيليكا الموجودة في مدينة لبة الكبرى من أجمل وأهم البازيليكات و المعروفة بالبازيليكا السفيرية وقد اصبحت كنيسة بيزنطية .

تعد الكنيسة من أبرز الآثار البيزنطية في مدينة لبة الكبرى ، وقد أنشئت في القرن السادس الميلادي، من قبل الإمبراطور جستنيان (725-565م)⁽²⁾ وسميت بـ«كنيسة جستنيان» وسميت بـ«الكنيسة البازيلكا الرومانية السفيرية» ، وتكمن أهمية هذه الكنيسة في فخامتها وجمال عمارتها وما بها من أعمدة رخامية وأرضيات مرصوفة ببلاطات الرخام.

⁽¹⁾Ward-Perkins, J. B. The Hunting Baths at Lepcis Magna. Printed by Charles Batey for the Society of Antiquaries of London. 1949. P.60.

⁽²⁾ طه باقر : لبة الكبرى ، منشورات مصلحة الآثار، 1964، ص 60.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في كيفية تحويل البازيليكا التي اشتهرت باسم بانيتها للإمبراطور سبتيموس سيفيروس إلى كنيسة في عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان.

أهمية البحث: تكمن أهمية هذا البحث في كونه يمثل مزجاً بين العمارة الرومانية

والعمارة البيزنطية، فهو يعطينا صورة واضحة عن تخطيط الكنائس البيزنطية وعمارته

وعناصرها المعمارية الأصلية.

أهداف البحث: يراد بهذا البحث دراسة ونشر التعديلات والتغييرات التي شهدتها الكنيسة البازيليكا بمدينة لبة الكبرى ، وكيفية تأقلم البازيليكا مع متطلبات الكنيسة، وكيف تمت إضافة العناصر المعمارية إلى مثل هذه المباني الرومانية .

منهج البحث: اتُّبع في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي.

موقعها : تقع الكنيسة في الجانب الجنوبي الشرقي للميدان القديم (الفورم) شمال الميدان الجديد مباشرة ، يحدها من الشرق الجزء الشمالي من طريق الأعمدة ومن الغرب طريق فرعي يسير من الشمال إلى الجنوب بجوار جدار الميدان الجديد القريب ، ومن الشمال منطقة لم يتم حفرها بعد توصل إلى الميدان القديم ولقد بنيت هذه الكنيسة على غرار مبني روماني قديم يعرف بالبازيليكا (دار العدالة) التي تعتبر من أهم المباني العامة في المدينة ، وهي الجزء المتمم للميدان العام .

تاريخ تأسيسها: اتضح من خلال النقش الذي كتب على الإفريز الخاص بأعمدة الصحن الأوسط أن البناء بدء في زمن الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس (191 - 211م) وأنتهى منه في زمن ابنه كار كلا عام 216م⁽¹⁾.

الوصف المعماري للمبنى:

من خلال المظهر العام للكنيسة يبدو أنها قد مرت بعدة مراحل زمنية متعاقبة ، ففي المرحلة الأولى كانت عبارة عن قاعة كبيرة مستطيلة الشكل تنتهي في كل من ضلعيها القصيرين بحنية نصف دائرية ، الصالة مقسمة إلى صحن رئيسي في الوسط وواقين جانبيين بواسطة صفين من الأعمدة ، وعدد من الدعامات ينظر الصورة رقم (1). ويجاور الكنيسة مجموعة مباني حيث نشاهد صف من الدكاكين ، وعددها عشرة. ولقد وجدت هذه الدكاكين نظراً لأن بناء الميدان غير مستطيل وحتى يتمكنوا من بناء الكنيسة بناء مستطيل ، ولكي يسيطروا على اتجاه الحائط وأضافوا هذه الدكاكين ، وبينها يوجد الباب الرئيسي للكنيسة ، ومحاط ببايين جانبيين ، ونلاحظ أن الدكاكين في الناحية الغربية أوسع نظراً لميل المبنى الأساسي الفورم (الساحة) في أقصى الشرق⁽¹⁾.

ونلاحظ الاختلاف في محور البناء بين البازيليكا والشارع المعمد ، حيث أن التصميم الأصلي يبدو أنه لم يعمل أي شروط وخاصة لعزل قاعة الكنيسة المركزية عن المنشآت المعمارية التي أحدثت في الموقع ، حيث أضيف الممر الأثري الذي يفصل الكنيسة عن مباني الساحة القديمة . ومن خلال الكتابة اللاتينية الموجودة في الكنيسة عرفنا أن الإمبراطور سبتيموس سيفيروس قد بدأ في بنائه، وأكمله ابنه كراكلا في عهده سنة 216 م وهذا النقش ملقى جزء منه في الصحن الأوسط

(1) طه باقر : مرجع سابق ، ص 63.

والباقى لا يزال على العارضة فوق أعمدة الصحن الأوسط ينظر الصورة رقم (2). ولاشك في أنه أهم مبنى دينى مهيب في لبدة خلال العهد البيزنطى وهو ذلك الذى نجم عن تحويل دار القضاة السورية إلى كنيسة في عهد الإمبراطور جستنبان في عام 527-565 م بعد إجراء بعض التعديلات والإضافات ومن المعروف أنه بعد الاعتراف بالديانة المسيحية ديناً رسمياً للدولة بدأ المهندسون المعماريون يعملون على تحويل البازيليك الرومانية إلى كنائس لتوفير حاجات العبادة المسيحية ، وبناء على هذا التعبير أصبحت معظم الكاتدرائية المسيحية التي شيدت في قرون لاحقة تأخذ نفس التخطيط البازيليكى الرومانى⁽¹⁾. وسوف أتناول بالشرح والتفصيل أهم معالم الكنيسة البازيليكية كما وجدتها من بداية معالمها الأساسية منذ أن كانت بازيليكاً وصولاً إلى أهم الإضافات بعد أن تحولت إلى كنيسة في القرن السادس ميلادى .

العناصر المعمارية داخل الكنيسة: تحتوي كنيسة جستنبان على أهم العناصر الأتية **الصحن الاوسط:** وهي قاعة مستطيلة الشكل طولها من بداية الجدار الرئيسى في الشرق إلى الجدار الرئيسى في الغرب حوالى 90 م ، وعرضه من الجدار الجنوبي إلى الجدار الشمالى 36.25م ، وسمك جدار المبنى حوالى 91 سم ، وكانت القاعة الوسطى مقسمة إلى صحن أوسط ورواقين جانبيين بواسطة صفيين من الأعمدة والصحن الأوسط يكون أوسع وأكثر ارتفاعاً من الرواقين ، حيث طوله من

(1) فيليب كترك، دليل المواقع الأثرية في ليبيا (إقليم المدن الثلاث)، مطبوعات جمعية الدراسات الليبية، ليبيا، 2015 م، ص ص 106-108.

بداية جدار الحنية الشرقية إلى جدار الحنية الغربية حوالي 68.50 م ، وطولها من بداية الدرج الذى يتقدم الحنية الشرقية إلى بداية الدرج الذى يتقدم الحنية الغربية بحوالي 60.75 م، وعرضه من مركز العمود إلى مركز العمود حوالي 19.15 م ، والصحن الأوسط كما ذكرت أنه مقسم إلى رواقين جانبيين رواق شمالي طوله من بداية الغرفة الشمالية الشرقية الملحقة بالحنية الشرقية إلى جدار الغرفة الشمالية المحاذية للحنية الغربية حوالي 70.20 م ، وعرضه من العمود إلى جدار الحائط حوالي 7.90 م ، وعرضه من قاعة العمود إلى بداية جدار الحائط حوالي 7.80 م ينظر الصورة رقم (3) ويحتوى الجدار الشمالي على ثلاث أبواب تفتح في الرواق الشمالي مواجهة للباب الرئيسي للمبنى في الجدار الجنوبي، ويبلغ ارتفاعه تقريباً 3.47 م ، وعرضه 3.8 م ، ويحتوى الرواق على باب في الجدار الشمالي في اتجاه الغرب يبلغ ارتفاعه حوالي 4.46 م وعرضه 2.65 م ، ويحتوى على نفس الزخرفة. أما الرواق الجنوبي يبلغ طوله من جدار الغرفة الجنوبية الشرقية حتى جدار الغرفة الجنوبية الغربية حوالي 70.90 م وعرضه من جدار الحائط إلى قاعة العمود حوالي 8.5 م ، ويحتوى الجدار الجنوبي على ثلاثة أبواب تفتح في الرواق الجنوبي ينظر الصورة رقم (4) (1).

الأعمدة والدعامات قسمت الأعمدة المبنى إلى صحن اوسط ورواقين فكان يبلغ عددها

20 عموداً من الجرانيت المصري الأحمر ، وعدد 2 من الدعامات في كل اتجاه. نلاحظ أن الأعمدة التى تفصل الصحن الأوسط عن الرواق الشمالي يبلغ عددها 20 عموداً من الجرانيت المصري الأحمر . والعمود هو عبارة عن عمود أسطواني

(1) دراسة ميدانية ، في سنة 2022 م.

دائري الشكل يرتكز على قواعد من الرخام بصب مزدوج لها نفس الشكل العام كتلك التي تربط رواق الساحة مع المبني . ويبلغ محيط العمود حوالي 2.83 م وأن المسافات بين الأعمدة تتفاوت بين 2.12- 2.46 م والأعمدة تحمل تيجان كورنثية من أوراق الأكانتوس صف فوق الآخر وليس هناك شك أن هذه الأعمدة من عمل نحائين الذين نحتوا أعمدة قوس سبتيروس سيفيروس ونستدل على ذلك من خلال منظر الأشواك شبه متلاصقة والنحت الغائر . وأن الأعمدة المحتفظه بتيجانها ثلاثة أعمدة وعمود يوجد عليه تاج ولكن زخارفه لا توجد عليه ، أما باقي الأعمدة فلا تحتوى على تيجان ، وبعض هذه الأعمدة متشقق والبعض الآخر انكسر وأجزاء من الأعمدة وقعت على الأرض ، ولقد وجدت أن عمودين قد سقطا على شكل كسر مختلفة الأحجام ، ولم يبق سوى القاعدتان الرخاميتان ، وأقيمت أعمال ترميم على هذه الأعمدة ، ويظهر لك بوضوح على العمود السابع أنظر الشكل السابق . أما بخصوص الدعامات فكانت توجد واحدة في بداية صف الأعمدة والأخرى في نهايته، وهذه الدعامات الرخامية رباعية الشكل ذات وجوه ثلاثة عرضه في الجانبين من بداية العمود 82 سم تقريباً ، وعرضه من الأمام 70 سم ، ويزن العمودان بنقوش تشبه نبات الأكانتوس ، وتقفز الحيوانات من فوق ورودها وعند القاعدة هناك شكل امرأة عارية بارزة في كأس زهرة الأكانتوس ، وهذه المرأة هي أفروديت ، وفي أعلى العمود قناع يتمثل في وجه رجل ، ترتكز على قاعدة رخامية أسفلها قاعدة من الحجر الجيري المهذب ، وبنفس عدد الأعمدة والدعامات قسم الصحن إلى رواق جنوبي ولكن نلاحظ أن الأعمدة الثمانية ابتداء من جدار الحنية الغربية لا توجد إلا نصفها فقط . حيث لم يبق منها سوى القاعدة الرخامية ،

ونصف العمود الجرانيتي المصري، أما باقي العمود وتاجه فوقعت في وسط الصحن الوسط أما باقي الأعمدة فتحمل ماتبقي من تيجانها⁽¹⁾.

أما ما يتعلق بالدعامات فكانت على نفس الكيفية التي كانت عليها الدعامات السابقة. وهذه الأعمدة والدعامات تحمل عارضة من الرخام أعلى الأعمدة ، ويوجد عليها نقش يوضح أن البناء بدأه الإمبراطور سبتيموس سيفيروس⁽²⁾، الموجود حالياً هو جزء بسيط من النقش على الدعامات ، والعمود في جهة الشمال الغربي والنقش الموجود يحمل فقط اسم الإمبراطور سبتيموس سيفيروس ، وباقي النقش موضوع في وسط الصحن ينظر الصورة رقم (2).

ويحتوى الرواق الشمالي على ثلاثة أبواب للكنيسة البازيلكية ، يفتح كل منها على الرواق الشمالي . ويحتوى على غرفة في الجهة الشرقية وغرفة في الجهة الغربية وكذلك الرواق الجنوبي يحتوى على باب رئيسي وبابان آخران. يحتوى على غرفة في الجهة الشرقية ، وغرفة في الجهة الغربية ، ونرى أن الصحن يحتوى على حنيتين سوف نشرحهم بالتفصيل.

الحنية الشمالية الغربية :

وهي عبارة عن بناء نصف دائري يبلغ قطره من الشمال إلى الجنوب 13.50 م وارتفاع الجزء الباقي من جدار الحنية حوالي 11.60 م ينظر الصورة رقم (5). وقبل أن نشرح أجزاء الحنية لابد أولاً أن نشير إلى الدعامتين التي توجد في واجهة

(1) د. ي. هاينز، دليل تاريخ وآثار منطقة طرابلس، دار الفرجاني، طرابلس، 1965م، ص 67.

.Libya.antonino.Vitdl.Erma.Roma(1967),p122

(1) Quadem.Diarcheologia...Della

الجدار الأمامي للحنية ، وهذه الدعامات رباعية الشكل من الرخام تظهر الزخارف فيها علي ثلاثة جهات . لأن الجانب الرابع كان يلتقي بالجدار أي غير ظاهر والدعامات لم تكن مجرد روابط ديكوروية ، ولكنها كانت دعامات وظيفتها لتثبيت الجدران حيث وضعت وكأنها منبثقة من الحائط الذي خلفها، ويبلغ عرضها حوالي 70 سم⁽¹⁾. والدعامات التي في هذا الاتجاه كانت تحمل زخارف منحوتة جميلة تمثل الآله (ديونيسوس- باخوس) أو إله الخمر⁽²⁾ مع عناقيد العنب ولفات الأكانتوس. وهي لاتزال أغلبها بحالة جيدة ينظر الصورة رقم (6). ويوصل إلى الحنية عن طريق ثلاثة درجات ارتفاعها متر عن سطح الأرض ، ومصنوع من الحجر الجيري مغطى بالرخام ولاتزال بقايا الرخام واضحة وبعد ذلك نصل إلى وسط الحنية ، والحنية بنيت من الأجر لأنها مادة سهلة التحكم فيها، وربما غطت الحنية أصلاً بالرخام ، ولكن لم أجد أي أثر للرخام ويحتوى جدار الحنية علي عدد من تجويفات أو محاريب لها عددها 7 موزعة في الجدار الداخلي للحنية ، التجويف أو المحراب الأوسط يبلغ ارتفاعه حوالي 3.10 م وعرضه 1.80 م وعمقه 90 سم تقريبا، وارتفاعه عن الأرض حوالي 1.30 م ، هذا التجويف اكثر اتساعاً من الأخريات ، وأما باقي التجويفات يبلغ ارتفاعها حوالي 3.20 م وعرضها 1.20

(¹) دراسة ميدانية ، في سنة 2022 م.

(²) باخوس أوديونيسوس Dionysus :إله الخمر عند اليونان، ابن زيوس من زوجته سميلي semele بعد وفاة أمه سلمه والده للحواريات لتربيته، ولما كبر وأشدت عوده أكتشف زراعة الكروم وطريقة استخراج عصيرها المسكر، صور كثيرا خاصة في الفسيفساء، وفي تماثيل الرخام كما هو في صدراته، ولبده، وتونس، وقد ذكرت حوله الكثير من الأساطير. للمزيد من المعلومات ينظر: محمود عبد العزيز النمى ومحمود الصديق أبو حامد: دليل متحف الآثار بالسرايا الحمراء بطرابلس، إشراف مصلحة الآثار، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1977م ، ص62.

م ، وعمقها متر. وأن هذه التجويفات توجد بنفس الكيفية في أعلى جدار الحنية ، وهذا دليل على أن المبنى كان يتكون من طابقين وهذه التجويفات ربما كانت في البداية وجدت من أجل وضع تماثيل الأباطرة الرومان في بداية عهد هذا المبنى، وربما استخدمت بعد تحويلها إلى كنيسة لتحمل مناظر تمثل شخص السيد المسيح عليه السلام ، وأمه العذراء . وتحتوى الحنية على ثمانية أعمدة لم يبق منها سوى عمودين ، أما باقي الأعمدة فلا يوجد منها سوى الدعامات التي أعلى العمود، وأجزاء من الأعمدة ملقاة في انحاء الصحن الأوسط من الرواق الجنوبي . أما فيما يتعلق بالعمودين الباقيين يقعان في وسط الحنية وهي أعمدة دائرية من الجرانيت المصري الأحمر مثبتة على قاعدة ثمانية الشكل مصنوعة من الرخام محيط العمود 2.46 م ، ويوجد في وسط الحنية جزء من الحجارة الصلبة على هيئة أرضية نصف دائرية، وربما لم تغطي بالرخام و لم أجد أي أثر ولو صغير من الرخام . ويحتوى جدار الحنية الخارجي على زخارف واحدة على هيئة مربعات ، والأخرى على هيئة زهرة لاتزال في حالة جيدة . والحنية تحتوي على بابين باب من الجدار الغربي له عتبة من الحجر الجيري ، والباب على هيئة قوس حتى يقلل وزن الحنية على الباب ، ويبلغ ارتفاعه حوالى 2.52 م وعرضه 67 سم ، ويفتح على ممر خلف الحنية حيث يوجد السلم الذى يوصل إلى الطابق العلوى ، ولاتزال درجات السلم في حالة جيدة أنظر وفي الجدار الشمالي اقصى الغرب يوجد باب آخر ارتفاعه 3.38 م وعرضه 1.30 م له ثلاثة درجات من الحجر الجيري الحجري. ويفتح هذا الباب على الغرفة الغربية المحاذية للحنية(غرفة التعميد)⁽¹⁾.

(1) دراسة ميدانية ، في سنة 2022 م.

غرفة التعميد:

وهي غرفة رباعية الشكل طولها من الشرق إلى الغرب 7.95م، وعرضها من الشمال إلى الجنوب 7.8م ، وجدرانها تحتوي علي قوسين في الجدار الشمالي وقوسين في الجدار الشمالي وقوسين في الجدار الجنوبي، والأقواس هي من نفس الحجر الذي بنيت منه الغرفة، وهناك تنوع في الأشجار التي استعملت في بناء الغرفة من الحجر الرملي، والحجر الجيري المهذب، ونلاحظ أن جدران الغرفة غطت برخام والدليل علي ذلك وجود الفتحات التي كانت تستعمل في ترتيب الرخام في جميع الانحاء، أما سقف الغرفة فكان علي هيئة قبوات الحجر الرملي، ونجد أن هذا السقف لم يكن موجوداً منذ أن كانت بازيليكاً. وأن سقفها كان من الخشب، وأن السقف الحالي للغرفة هو سقف برميلي الذي يكون العدد الفردي هو الحجر الاساسي، وهذه من إبداعات البيزنطيين، ويحتوي الجدار الغربي علي نافذتان رباعية الشكل كانت تحتوي علي شبابيك من الخشب، وتستدل علي ذلك من خلال الفتحات الموجودة في كل نافذة، وقد استخدمت هذه النوافذ للإضاءة والتهوية للغرفة ينظر الصورة رقم (7) وتحتوي الحجرة في المنتصف علي حوض التعميد علي شكل صليب مجسم بارزاً ينظر الصورة رقم (8)، طولها من الشمال إلى الجنوب 3.95م ، وعرضها من الشرق إلى الغرب 3.90م ، وعمقه 1.20م ، وارتفاعه عن سطح الأرض 1.20م . وحوض التعميد مصنوع من الحجر الجيري ، ويحتوي الحوض من الداخل علي أربعة درجات حتي يتمكنوا من الوصول إلي الفتحة التي يوضع فيها الماء، ويحتوي هذا الحوض علي درجتين في اتجاه الباب المؤدي من الحنية حتي يتمكن القائم علي عملية إجراء الغسل(التعميد). ويبلغ ارتفاع الدرج عن الأرض حوالي 25سم ، وهذه الدرج مغطاة بالقرميد. وفي الجدار الجنوبي للغرفة

يوجد باب ارتفاعه 2.73م ، وعرضه 1.35م ، من الحجر الرملي كان مغطي بالرخام ويفتح علي غرفة يبلغ طولها من الشمال إلي الجنوب 11.73م ، وعرضها من الشرق إلي الغرب 12.53م ، ويستند علي الجدار الشمالي عمودان، وعلي الجدار الشرقي والغربي خمسة أعمدة، والأعمدة من نوع الرخام الأخضر المحروق، مثبت بقاعدة من الرخام والأعمدة تتكون من صف سفلي من أوراق الأكانتوس وتعلوها زمرة الاكانتوس ، وعلي الجدار الجنوبي عمودين، وثلاثة مداخل معقودة المدخل الشرقي أكبر حجماً من المدخلين الآخران . وفي الجدار الشرقي نافذتان مربعتان، وتحتوي الغرفة علي باب من الجدار الجنوبي يفتح علي الرواق الجنوبي والباب يتكون من ثلاث قطع من الحجر الجيري الصلب يبلغ ارتفاعه 4.32م ، واتساعه 2.2م ، ويعلو هذا الباب زخرفة أوراق الأكانتوس وجدران الحجرة كانت مغطاة بالرخام، وذلك من خلال الفتحات التي استخدمت لتثبيت الرخام. أما أرضية الغرفة فكانت من الرخام، ولاتزال معظم الأرضية محتفظة بألواح الرخام انظر ، وربما استخدمت هذه الغرفة بعد تحويل المبنى لكنيسة كغرفة استقبال وانتظار الأشخاص الذين تجري لهم عملية التعميد وعلي عمود الحجرة في حالة جيدة وتعتبر أفضل الحجرات في الكنيسة، وتحتوي جدران الحنية علي باب من الحجر الرملي في اتجاه الشمال الغربي، يتكون من ثلاثة قطع وعتبة ويبلغ ارتفاعه 2.55م ، وعرضه 1.5م ، ويفتح علي غرفة التعميد باب خلف الحنية ، وتحتوي علي السلم الذي يوصل إلي الطابق الثاني ويوجد في الجدار الشمالي الغربي باب يبلغ ارتفاعه 3.10م ، ويؤدي إلي حجرة يبلغ طولها من الشرق إلي الغرب 8م ، و عرضها من الشمال إلي الجنوب 8.12م . وهذه الغرفة خالية من السقف نظراً لأنه مصنوع من

الخشب ويحتوي علي باب يفتح علي الرواق الشمالي ارتفاعه 2.97م ، وعرضه حوالي 1.46م⁽¹⁾

وفي نهاية الحديث علي الحنية لابد من الإشارة إلي الفراغ الذي خلف الحنية الغربية، وبين الجدار الأساسي للمبني الحنية الجنوبية الشرقية:

وهي عبارة عن بناء نصف دائري يبلغ قطره 13.44م ، وعمقها 7.19م ، وهي الحنية الرئيسية في المبني. والصورة رقم (9) يوضح أنها تحتوى علي ثمانية أعمدة من الجرانيت الأحمر منها تقام فوق قاعدة من الرخام، والعمودان اللذان في وسط الحنية لا يوجد سوى نصف العمود، أما تاجه فساقط علي الأرض ولا يزال في حالة جيدة ، أما باقي الأعمدة القصيرة من الجرانيت الاحمر الواقعة علي قواعد رخامية، ولها تيجان أيونية من الرخام الأبيض أيضاً. ويحتوي جدار الحنية علي سبع تجويفات أو محاريب. ويوجد أسفل منها ست درجات في الجدار الداخلي للحنية ربما لتدعم الجدار أو من أجل الوصول إلي المحاريب، ولا تزال معظم هذه الأدرج بحالة جيدة. أما الغرض من هذه التجويفات هو نفس ما وضحته سابقاً، وعلي العموم فإن الحنية والتجويفات أو المحاريب التي بها كانت مغطاة بالرخام والدليل علي ذلك الرخام الموجود في أحد التجويفات الوسطي، وواجهة الحنية أي عند بداية جدار الحنية تحتوي علي عدد (2) دعامات واحدة في جهة الجنوب الشرقي، وأخري في جهة الشمال الشرقي⁽²⁾، ونجد أيضاً الدعامات التي سبق ذكرها وتختلف فقط في الزخارف، حيث حملت هذه الدعامات زخارف جميلة تمثل البطل هرقل

(1) دراسة ميدانية ، في سنة 2022 م.

(2) دراسة ميدانية ، في سنة 2022 م.

وأعماله⁽¹⁾، ومن أعماله المتمثلة علي الزخارف غلبته للمصارع الليبي المسمى (انطليينوس)⁽²⁾ ينظر الصورة رقم (10).

وتظهر في الأعلى وما يقابلها في الاتجاه الاخر من الأجزاء الرئيسية للمبني ، وأن اختلاف الزخارف يرجع إلي ذوق الفنيين وهذه الدعامات تشبه الدعامات التي في قوس سبتيميوس سيفيروس. ونرجع إلي الحنية ونلاحظ أن الحنية ترتفع علي الصحن الأوسط وتوجد مصطبة ترتفع عن الأرض بثلاث درجات في منتصف القاعة الوسطي ، وتصل حتي الدعامتين الداخليتين، وهذه المصطبة طولها

- (1) هرقل : ابن زيوس والكامني (ALCAMENA) ، كانت (هيرا) HERA زوجة زيوس تكره أبناء زوجها الذين انجبهم من أمهات بشرية، لذلك سلطت عداة على هرقل فور ولادته فارسل تاليه حيتين كبيرتين لقتله لكن الطفل قتل الحيتين ، وبعد مؤامرات أخرى دبرتها هيرا اصبح هرقل خاضعا لـ "اوروستتوس EURVSTHUS" ملك مسينا، الذي كلفه باثنتي عشرة مهمة خارقة تعرف بأعمال هرقل وهي : قتل أسد نيميا، 2. قتل الهيدرا، 3. تنظيف حظائر اجياس، 4. إحضار تفاحات من حدائق هيسبيريديس من ليبيا، 5. قتل طيور استغاليا، 6. قتل ثور كريت، 7. إحضار نطاق هيبوليتا ملكة الأمازون لابنته، 8. إحضار ثيران جيرون (GERYON)، وهو مسخ ذو ثلاثة أجسام، 9. انتصار على انتايوس (ANTAEUS) ابن الأرض (TERRA)، وهو الذي كان ماردا ومصارعا قويا يستمد قوته من التصاقه بأمه الأرض، 10. قتل المارد كاكسي ، 11. إحضار كربيوريوس (CERBEREUS) من العالم السفلي ، 12 . القبض على الرجل الذي يأكل خيول ديميدس التراقي . تزوج هرقل من ديجانيرا وعاش معها ثلاث سنوات لكنه مات عندما لبس ثوبا به دماء، وكان هرقل من أهم المؤلفات القديمة، أشتهر بأعماله الخارقة، وساعد الآلهة في القضاء على العمالقة، يوجد في مقبرة جنزور رسم يصور أحد أعمال هرقل وهو إحضار الكلب كيريوريوس من العالم السفلي، للمزيد من المعلومات ينظر محمود عبد العزيز النمسي ومحمود الصديق أبو حامد: مرجع سابق، ص 77 .
- (2) طه باقر مرجع سابق، ص 63.

24.20م ، وعرضها 3.3م ، وهي من الاضافات التي بقيت بعد أن تحول المبنى إلي كنيسة ، وبعد المصطبة بدرجة عالية يوجد باب محدد بعمودين من الرخام الأخضر المحروق ولا يوجد سواء نصف عمودين فقط واتساع الباب 1.28م، وارتفاع الجزء الباقي من العمود حوالي متر وتحيط به ست قواعد من الرخام التي وضعت عليها الأعمدة ولم يبق من هذه الاعمدة سواء القواعد وتظهر في القواعد فراغات لتثبيت الستائر أو الشاشات التي لايزيد ارتفاعها عن متر. وهذا الجزء من الحنية أطلق عليه اسم الساحة المقدسة التي لايزيد ارتفاعها عن متر واحد. وهناك قطعة رخامية طولها من الشمال إلي الجنوب 1.47م، وعرضها 1.20م. ربما كانت اللوحة الرخامية التي ترتكز علي أعمدة صغيرة تشكل المذبح **Altar** ⁽¹⁾ ينظر الصورة رقم (11)، حيث تمارس فيها الطقوس الدينية ويوجد في الحنية باب في الشمال الشرقي مبني من الحجر الجيري الصلب وفي أقصى الغرب خلف الحنية ممر أو دهليز ، يؤدي إلي الطابق العلوي ويحتوي علي سلم يتكون من (29) درجة ، ويوجد في اتجاه الشمال باب عليه قوس مغطي بالرخام حيث لاتزال آثار الفتحات شاهدة علي ذلك، وتحتوي الحنية كذلك علي باب في الجنوب الشرقي يبلغ ارتفاعه 2.50م ، واتساعه متر واحد ويوصل هذا الباب إلي حجرة غير منتظمة الشكل في أقصى جدارها الشرقي يوجد سلم يوصل إلي الطابق الثاني يبلغ (34) درجة، ولايزال السلم بحالة جيدة. أما أسقف هذه الحجرة فكانت علي هيئة قبة من الحجر الرملي والجدار الجانبي من الحجر الجيري الكبير وفي نهاية الجدار يوجد مدخل يؤدي إلي الغرفة الجنوبية وهي رباعية الشكل طولها 8.92م ، وعرضها 7.90م بنيت

(¹)- Perkins, JB Ward. (1952), p119 ; Perkins, JB Ward, and Richard George Goodchild, (1953). p22.

الحجرة من الأحجار الجيرية الكبيرة يلتصق بجدارها الجنوبي قوسان من الحجر نفسه يرتكزان علي عمودين من الجرانيت الأحمر تعلوهما تاجان من الرخام الأبيض ويرتكزان علي قاعدتين من الرخام. ، وتقابلها في اتجاه الجدار الجنوبي عمودان من الجرانيت الأحمر سقطت تيجانها في الأسفل. كانت الأعمدة تحمل أقواس لكن سقطت هذه الأقواس أما الجدار الغربي يوجد باب كبير معقود يفتح علي الرواق الجنوبي يبلغ اتساعه 3.12م . أما أرضيتها مغطاة بالرخام ولايزال جزء منه بشكل جيد في الأرضية (1).

الزخرفة المنحوتة كريفين "Griffin" (2) المجنح فوق الأعمدة المركزية في الحنيتين :

ظهر الحيوان كريفين المجنح كعنصر زخرفي معماري في مكانين في مباني المركب المعماري السيفيري، عند درج المعبد الضخم بالميدان السيفيري الجديد، وفي البازيلكا السيفيرية الجديدة، والكريفين في بازليكا سيفيروس كانت أربعة، اثنتين على هيئة أكتاف للنظام العمودين المركزيين الضخمين عند كل حنية (2). قد تم نحتها بشكل يظهر أنصاف أجسادها الأمامية، بين قاعدة وكورنيش المربع الرخامي.

(1) دراسة ميدانية ، في سنة 2022 م.

(2) كريفين "Griffin" حيوان خرافي عادة ما يظهر بجسم أو رجل أسد ورأس وجناحي عقاب رمزاً للقوة والسرعة واستخدم كشعار لليقظة والحراسة فأصبح حارساً لحزائن الذهب الأسطورية، للمزيد من المعلومات يُنظر : محمد ناجي بن عروس، الزخارف المعمارية بالمباني السفيرية في مدينة لدة الكبرى (193-235م) (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة قار يونس، بنغازي، 2003، ص84.

ارتفاع هذه الكتلة المربعة حسب إحدى الكتل المتضررة والملقاة على أرضية الحنية الجنوبية، حوالي 0.83سم، وعرضها حوالي 0.85سم، فيما الجزء الأمامي المنحوت من الكتلة على هيئة الكريئين فارتفاعه 0.79سم، وعرضه حوالي 0.53سم. ورغم وجود بعض التنويعات بينها إلا أن الشكل العام المنحوت لهذه الحيوانات الأسطورية، أنها في وضعية يحمل الوحش رأس لبوة، لكنها بقرني ذكر الماعز، لم يبقى منها سوى آثارها على رأس الحيوان أو نهاياتها على الحافة الأمامية للكورنيش، وعلى عنقه الطويل والمقوس، أما قوائمه الأمامية فتتقدمانه وهو في جلسته تلك، ولها هيئة قوائم ومخالب الأسد، وله كذلك أجنحة النسر، في وضع منتشر ومستعد⁽¹⁾ ينظر الصورة رقم (12)

ومن محتويات الكنيسة: المنبر (AMBON)

وهو المكان الذي يلقي عن طريقه الخطب والتوجيهات في الكنيسة وقد وضع المنبر في الصحن الاوسط في الجزء الشرقي بالغرب من الحنية الشرقية وهو عبارة عن بناء مستطيل مغطي بالرخام به سلم له دعامتين من الرخام له سلم في الجانب الشرقي يبلغ ارتفاعه 72سم ويبلغ ارتفاع السلم في الجانب الغربي 75سم ويتكون السلم في الاتجاهين ستة درجات حيث كان في الجهتين مغطاة بالرخام. ويحتوي المنبر علي فتحات واحدة في الشرق والأخرى في الغرب من أجل صعود وهبوط رجال الدين ينظر الصورة رقم (13). أما فيما يتعلق بأرضية المبنى كانت في العصر الروماني مغطاة بالرخام ويظهر بوضوح في أجزاء المبنى⁽²⁾

(1) - Ward-Perkins, John Bryan.(1948). P65; Bartoccini, (1961),p114

(2)دراسة ميدانية، في سنة 2022 م.

الخاتمة

يعد موضوع كنيسة جستينان البازيليكية في مدينة لبدّة من الأهمية، حيث أنه يكشف لنا عن مرحلة مهمة في تاريخ لبدّة، وهي مرحلة التحول الكبير الذي جري للمجتمع المحلي في لبدّه ومعظم دول حوض البحر الابيض المتوسط، وهو الانتقال من الديانة الوثنية وتعدد الآلهة إلي توحيد الله ، وما رافق ذلك من تغيرات معمارية علي مباني العبادة، فلم تعد المعابد الرومانية صالحة لطقوس الدين الجديد بالنظر لارتباطها بالوثنية فكانت قاعات البازيليكا الرومانية هي الأصلح في المرحلة المبكرة من عمر العمارة المسيحية والبيزنطية نظراً لموافقتها لشروط الطقوس الدينية في الكنيسة فهي قاعة مستطيلة الشكل ذات ثلاثة أروقة يمثل فيها الرواق الوسط صحن الكنيسة ويمتاز بالاتساع، كما يتقدم البازيليكا منصة مرتفعة كانت سابقاً مكان جلوس القضاة ورؤساء المجتمع، فأصبحت في الكنيسة أقدس بقعة، إذ تمثل الهيكل المقدس، ويتوسطه المذبح، وينتهي بكنيسة التي تتجه دوماً للشرق ويتجه معها المصلون في صلاتهم.

وهذا التطور المعماري الديني حدث في بازيليك سبتيموس سيفيروس الرومانية التي تمثل أحد أعظم المنشآت العمرانية في لبدّة فخامة وعمارة، وفن نحت، إذ حولت في عهد الامبراطور البيزنطي جستينان إلي كنيسة بكل شروطها المناسبة للطقوس الدينية ، وأضيف لها قائمة حوض المعمودية الذي تتم به عمليات التعميد للداخلين الجدد في الدين المسيحي.

وقد توصل البحث من خلال الدراسة المكثفة لهذه الكنيسة البازيليكية إلي جملة من النتائج نجلها في ما يلي:

1. تأخذ هذه الكنيسة الطراز البازلكي.

2. تأخذ هذه الكنيسة الصدارة من الناحية المعمارية.
3. أن اتساع الكنيسة وفخامة مبناها يدل علي ازدهار المسيحية لهذه المنطقة خلال هذا العصر حيث تعتبر هذه الكنيسة مركز إشعاع ديني في مدينة ليد.
4. من الأرجح أنه كما عثر في كنيسة جستتيان بمدينة صبراتة مصابيح البرونزية والفخارية التي ترجع إلي الفترة المسيحية أنه إمكانية احتواء كنيسة جستتيان البازيليكية علي مثل المصابيح والتي تحمل النقوش المسيحية وبعد، فإن البحث يضع مجموعة من التوصيات:
1. توجيه أنظار الباحثين من الأثريين والمعماريين إلي أهمية الكنيسة البازيليكية في ليد توضح مرحلة التحول الدين المسيحية.
2. حث المختصين وخاصة أقسام الآثار في الجامعات ومصالح الآثار علي الاهتمام بإنجاز دراسة موثقة ونشرها ضمن بحث متكامل حول كنيسة جستتيان البازيليكية ودراستها من جميع النواحي وخاصة تشجيع طلبة الدراسات العليا لعمل أبحاث علي هذا المعلم لمعماري الهام في العمارة البيزنطية .
3. يوصي البحث بأهمية ترميم وصيانة كنيسة جستتيان البازيليكية ، ووضع لوحة معلومات عنها باللغات العربية والانجليزية لإرشاد السياح والزوار .
4. يجب علي القائمين علي مصلحة الآثار توحيد الجهود من أجل إيجاد حلول لمشكلة الأضرار التي تحدث للكنيسة.

ملحق الصور

الصورة رقم (1) توضح منظر عام للكنيسة



المصدر: تصوير الباحثة

الصورة رقم (2) توضح نقش التأسيس



المصدر: تصوير الباحثة

الصورة رقم (3) توضح الصحن الاوسط



المصدر: تصوير الباحثة

الصورة رقم (4) توضح الروق الشمالي والجنوبي والكنيسة



المصدر: تصوير الباحثة

الصورة رقم (5) توضح الحنية الشمالية الغربية للكنيسة



المصدر: تصوير الباحثة

الصورة رقم (6) توضح الدعامات التي تتقدم الحنية الشمالية الغربية



المصدر: تصوير الباحثة

الصورة رقم (7) توضح غرفة التعميد



المصدر: تصوير الباحثة

الصورة رقم (8) توضح حوض التعميد



المصدر: تصوير الباحثة

الصورة رقم (9) توضح الحنية الجنوبية الشرقية للكنيسة



المصدر: تصوير الباحثة

الصورة رقم (10) توضح توضح الدعامات التي تتقدم الحنية الجنوبية الشرقية للكنيسة



المصدر: تصوير الباحثة

الصورة رقم (11) توضح الساحة المقدسة بها قطعة الرخام ربما تمثل المذبح



المصدر: تصوير الباحثة

الصورة رقم (12) توضح منحوتات الحيوان الخرافي كرايفين



المصدر: تصوير الباحثة

الصورة رقم (13) توضح المنبر والسلم



المصدر: تصوير الباحثة

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

1. د. د. ي. هاينز، دليل تاريخ وآثار منطقة طرابلس، دار الفرجاني، طرابلس، 1965م .

2. طه باقر: لبدته الكبرى، منشورات مصلحة الآثار، 1964.

3. فيليب كترك، دليل المواقع الأثرية في ليبيا (إقليم المدن الثلاث)، مطبوعات جمعية الدراسات الليبية، ليبيا، 2015 م.

3. محمود عبد العزيز النمى ومحمود الصديق أبو حامد: دليل متحف الآثار بالسرايا الحمراء بطرابلس، إشراف مصلحة الآثار، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1977م.

ثانياً المراجع الأجنبية:

.Libya.antonino.Vitdl.Erma.Roma(1967),p122

4 Quadem.Diarcheologia...Della.

5.Ward-Perkins, J. B. The Hunting Baths at Lepcis Magna. Printed by 6,Charles Batey for the Society of Antiquaries of London. 1949.

7, Perkins, JB Ward. (1952) .

8 . Perkins, JB Ward, and Richard George Goodchild, (1953)

ثالثاً: الرسائل العلمية الغير منشورة:

9. محمد ناجي بن عروس، الزخارف المعمارية بالمباني السيفرية في مدينة لبدته الكبرى (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة قارونس، بنغازي، 2003م.

لدراسة الميدانية

10، دراسة ميدانية في سنة 2022.

إدارة الجودة الشاملة كمدخل لتحسين أداء مدرء المدارس

بالمؤسسات التعليمية في ليبيا

إعداد: أ.هدى محمد الهمالى

المخلص:

يهدف البحث إلى التعرف على مفهوم إدارة الجودة الشاملة ومبادئها في التعليم وبيان مراحل تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المدرسة ومعرفة الصعوبات التي تعيق تطبيق الجودة الشاملة في الإدارة المدرسية ، ومعرفة جودة ومهارات مدير المدرسة.

وتوصلت الباحثة إلى أن تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المدارس يحتاج إلى دعم الجهات العليا وحسن اختيار مدرء المدارس واستمرارية التدريب والتمهيد قبل التطبيق ، وأن تطبيق إدارة الجودة يسهل العملية الإدارية ويخفف الضغط الإداري على مدرء المدارس ويرفع من كفاءة وفاعلية أدائهم ، وأن تبنى ونشر مفهوم الجودة ليست مهمة سهلة تحتاج إلى سنوات وتركيز الجهود وتخصيص الأموال من أجل تعزيز وتطوير ثقافة الجودة لدى الأفراد العاملين في المؤسسات التعليمية وبما يتماشى مع البيئة المحلية .

وفي ضوء ذلك توصي الباحثة بالعمل علي توفير الدعم من قبل وزارة التربية والتعليم ومنح مدرء المدارس الصلاحيات اللازمة لتطبيق إدارة الجودة الشاملة في المدارس ، والعمل علي توفير التقنيات الحديثة والكوادر البشرية المدربة والمؤهلة

لتشغيلها وصيانتها لمواكبة التطورات العلمية والمعرفية والتكنولوجية اللازمة لتطبيق الجودة في المدرسة .

Abstract:

The Research Aims to Identify The concept Of Total Quality Management And Its principles In Education, And To Indicate The Stages Of Applying Total Quality Management In The School, And To Know The Difficulties That Hinder The Application Of Comprehensive Return In School Management, And To Know The Quality And Skills Of The School Principal.

The Researcher Concluded That The Application Of Total Quality Management In Schools Needs The Support Of The Higher Authorities, The Good Selection Of School Principals, The Continuity Of Training, And Preparation Before Application, And That The Application Of Quality Management Facilitates The Administrative Process, Reduces The Administrative Retention Of School Principals, And Raises The Efficiency And Effectiveness OF Their Performance, And That Adopting And Spreading The Concept Of Quality Is Not An Easy Task, It Takes Years And Focus Of Efforts, Allocating Funds TO Promote And Develop A The Local Environment.

In The Meantime, The Researcher Recommends Working On Providing Support From The Ministry Of Education, And Granting School Principals The Necessary Powers To Implement Total Quality Management In Schools, And Working To Provide Modern Technologies, And Trained And Qualified Human Cadres, To Operate And Maintain Them To Keep Pace With The Scientific, Knowledge And Technological Developments Necessary To implement quality in the school.

المقدمة :

تهدف التربية الحديثة إلى إحداث تغيير في المؤسسات التربوية والتعليمية وتطويرها من خلال إعداد الانسان للحياة وتوظيف طاقاته من أجل خدمة المجتمع ولكي تحقق التربية أهدافها المنشودة فهي بحاجة إلى إدارة فعالة وهادفة ومتطورة تسعى إلى إصلاح التعليم وتحديثه وتحسين أوضاعه ومسايرته للتطورات العلمية والتكنولوجية والمعلوماتية .

و باعتبار الإدارة المدرسية فرعاً من فروع الإدارة التعليمية و التربوية ، والمرتكز الاساسي الذي يعتمد عليه تقدم المدرسة في تحقيق أي تغيير فعال أو اصلاح حقيقي فالإدارة المدرسية تعمل على تنسيق الجهود من أجل بلوغ الغايات المرسومة مهما اختلفت ثقافات واتجاهات وقدرات الأفراد في المدرسة .

وقد حظيت الإدارة المدرسية مؤخراً في ليبيا أهتماماً كبيراً في الدراسات والبحوث التربوية لما لها من دور فعال وآثار بارزة في إنجاح العملية التعليمية والتربوية ، إذ أن مدير المدرسة هو المسؤول الأول عن إدارة المدرسة وقيادة جميع المهام والافراد دخل إطار مدرسته وتوجيهها وإرشادها لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة .

وتري الباحثة أن دور مدير المدرسة في ضوء ادارة الجودة الشاملة قد تغير و تطور بما ينسجم مع متغيرات العصر وحاجات التربية الحديثة ، فلم يعد المدير يعمل على حفظ النظام والتأكد من حضور كل العاملين والتزامهم بأعمالهم الموكلة إليهم ، ومتابعة غياب الطلاب ، بل أصبح دوره يركز على تحقيق النمو الشامل المتكامل للطلاب ومساعدة العاملين على اشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية و اتباع الديمقراطية في الإدارة وتطبيق اللامركزية في اتخاذ القرارات والتركيز على الإنتاجية والعمل على استمرار زيادتها و قيادة التطوير والتغيير المدرسي الشامل والمستمر واستخدام التقنيات الحديثة في الإدارة والسعي وراء المنافسة في جودة الأداء .

ويعد مدخل إدارة الجودة الشاملة احد المداخل التي أفرزتها التطورات الإدارية الحديثة واهمها التي تسعى إلى تحقيق رضاء المستفيدين وتحديث الإدارة والقضاء علي المشكلات الإدارية التقليدية التي تواجهها وبعد النجاح الذي حققته المؤسسات الصناعية اثر تطبيق إدارة الجودة الشاملة جعل العديد من المؤسسات التربوية والتعليمية في الدول المتقدمة والنامية تتسابق من أجل تبني هذا الأسلوب لتطوير أدائها وتحسين خدماتها وتحقيق الميزة التنافسية والحصول على الاعتماد المؤسسي وذلك من خلال إنشاء منظمات تشرف على المؤسسات التعليمية

ومساعدتها على تطبيق مفاهيم الجودة الشاملة ومن ضمن هذه الدول ليبيا حيث تم إنشاء ما يسمى " بالمركز الوطني لضمان الجودة واعتماد المؤسسات التعليمية والتدريبية " وقد بدأ بالفعل في السنوات الأخيرة إلزام مؤسسات التعليم على تطبيق معايير ضمان الجودة ، بإعتباره أسلوب مهم لرفع الكفاءة والارتقاء بالأداء الإداري لمديري المدارس وتحسينه وتطويره وتخفيف الأعباء الإدارية وبالتالي تحقيق جودة الخدمات الإدارية وتحسين جودة المخرجات التعليمية وإعداد الطالب بموصفات معينة تتناسب مع طبيعة التغيرات التي يتميز بها عصرنا الحالي .

وبما أن الإدارة المدرسية هي الوحدة التنظيمية في المدرسة فإنه يقع على عاتقها الدور الأكبر في تحقيق أهداف المدرسة المتمثلة في نشر المعرفة وتنميتها وخلق جيل قادر على خدمة المجتمع ، وإذا ما استشعرنا التغيرات والتحديات الإدارية في المنظومة التعليمية والمدرسية كان لزاماً أن تكتسب قيادتها الإدارية مهارات الإدارية الايجابية والفعالة اللازمة لمواكبة هذه التغيرات والتحديات المتوقعة وذلك من خلال تطوير أدائهم الإداري ورفع كفاءتهم والوقوف علي احتياجاتهم وتدريبهم على تطبيق اسلوب إدارة الجودة في أداء مهامهم وأدوارهم وإنجازهم للأعمال المنوطة بإدارة مدارسهم من أجل تعزيز العمل الإداري وإنجاح تنفيذ البرامج التطويرية في الإدارة المدرسية من خلال تطوير مهارات مدرء المدارس في مجال الإدارة لإحداث نقله نوعية جديدة في العملية التربوية والتعليمية لذا يسعى هذا البحث إلى إلقاء الضوء علي مفهوم الجودة الشاملة ومتطلبات تطبيقها ودورها في تحسين أداء مدرء المدارس في المؤسسات التعليمية .

مشكلة البحث :

نظراً لأهمية الإدارة المدرسية في مدارس التعليم الأساسي والثانوي في ليبيا والدور الكبير الملقى على عاتقها خلال تنفيذ خطط التطوير والتغيير ورفع جودة التعليم في ضوء متطلبات العصر وتطلعات المستقبل، فإنه من الضروري رفع كفاءة مدراء المدارس وتطوير أدائهم بما يتناسب مع الأساليب الحديثة في الإدارة وذلك بإدخال الأساليب الحديثة للإدارة ومنها إدارة الجودة الشاملة .

ومن خلال عمل الباحثة في مجال التربية والتعليم وقيامها بالزيارات الميدانية لاحظت أن العمل الإداري والتربوي في الإدارة المدرسية يتسم بالجمود والروتين مما يخلق العديد من المشكلات والصعوبات، فمدراء المدارس في المؤسسات التعليمية في ليبيا مازالوا يمارسون أعمالهم الإدارية والتربوية بالطريقة التقليدية مما يعرقل عملية التطوير والتغيير ومواكبة العصر الذي يتميز بالمعلوماتية وانتشار التكنولوجيا، فالعالم اليوم أصبح يتسارع على تطوير التعليم وتحسين مخرجاته وتحقيق الجودة التنافسية للمؤسسات التعليمية ، لذا فإن مدير المدرسة مطالب بتغيير وتحديث اساليب إدارة بيئة مدرسته وادائه لمهامه من منظور إدارة الجودة الشاملة من خلال ترسيخ مفاهيم المشاركة والمساواة والحرية واستثمار المواهب الفكرية والابداعية ، واستخدام تقنية المعلومات كأسلوب للتطوير و التحسين المستمر لتحقيق رضا المستفيد والوصول إلي الابتكار والتميز في الاداء ولاشك أن أساليب الجودة الشاملة وسيلة المدير الفعال نحو تحقيق الكفاء والفعالية في الأداء المؤسسي .

وتأسيسا على ما سبق يمكن بلورة مشكلة البحث في التساؤل الرئيسي التالي :

- ما دور إدارة الجودة الشاملة في تحسين أداء مدرء المدارس في المؤسسات التعليمية في ليبيا ؟

أهمية البحث : -

1- قد يساعد مدرء المدارس في كيفية الافادة من إدارة الجودة الشاملة بطريقة أكثر فاعلية من أجل تطوير وتحسين أدائهم لإنجاز مهامهم.

2- مساعدة المسئولين في بدل مزيد من الجهد والاهتمام بالجودة بمؤسسات التعليم.

3- تساعد جميع العاملين في الحقل التربوي من معلمين وقيادات مدرسية ، في تحسين العملية الإدارية والتعليمية في المدارس .

4- قد يساهم هذا البحث في فتح أفق جديدة أمام الباحثين وطلاب الدراسات العليا.

5- الخروج بمجموعة من التوصيات التي يمكن أن تساعد القائمين علي التعليم لتبني إدارة الجودة في إدارة مؤسساتهم .

أهداف البحث :

يسعي البحث إلي تحقيق الأهداف التالية :

1 - التعرف على ماهية إدارة الجودة الشاملة ومبادئها في التعليم .

2. بيان مراحل تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المدرسة .
- 3 - معرفة جودة ومهارات مدير المدرسة .
4. معرفة الصعوبات التي تعيق تطبيق الجودة الشاملة في الإدارة المدرسية

تساؤلات البحث :

يجيب البحث علي التساؤلات الآتية :

- 1 - ما مفهوم إدارة الجودة الشاملة وأهميتها ؟
- 2- ما هي مراحل تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المدرسة ؟
- 3- ما أهم الصعوبات التي تعيق تطبيق الجودة الشاملة في المدرسة ؟

منهج البحث :

اعتمدت الباحثة في هذه الورقة البحثية على منهج نظري وصفي من خلال مراجعة الأدبيات والدراسات السابقة المتعلقة بهذا الموضوع .

مصطلحات البحث :

الجودة: بأنها مجموعة خصائص ومميزات للمنتج التعليمي على تلبية متطلبات المتعلم، الطالب ، سوق العمل والمجتمع وكافة الجهات الداخلية والخارجية .⁽¹⁾

الجودة الشاملة " هي مجموعة من الميزات التي يجب توافرها في جميع عناصر المؤسسة من مدخلات، وعمليات، ومخرجات لتحقيق حاجات العاملين، ورغباتهم، ومتطلباتهم داخل المؤسسة والمجتمع المحلي " ⁽²⁾ .

إدارة الجودة الشاملة " فلسفة إدارية تسعى إلى إشباع حاجات الطلبة والمجتمع، وتساعد المدرسة على تحقيق النمو والتطور المستمرين، وتساعد على تحقيق أهدافها، كما وتسعى إلى تحقيق الفعالية القصوى والكفاءة المتميزة في المجالين العلمي والعملية، و في النهاية تحقق التفوق والتميز والمنافسة، كما تشمل الجودة الشاملة المدرسية جميع المتواجدين في المدرسة من إداريين، وعاملين، والطلبة المستفيدين من عمليات التحسين المتواصلة " ⁽³⁾ .

مدير المدرسة " هو المسئول الأول في مدرسته وهو المشرف على جميع شئونها التربوية والإدارية والتعليمية والاجتماعية، وصولاً بكافة الطلاب والعاملين لدرجة

⁽¹⁾ يحيوي وآخرون ، ضمان جودة التعليم الإلكتروني في مؤسسات التعليم العالي، المؤتمر العربي

الدولي الثاني لضمان جودة التعليم العالي، البحرين ، الجامعة الخليجية، ، ص 45 ، 2012.

⁽²⁾ صالح ناصر عليمات ، إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية- التطبيق ومقترحات

التطوير، عمان- الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع ، ص 20، 2004 .

⁽³⁾ جمال الدين عويسات ، مبادئ الإدارة ، الطبعة الأولى، الجزائر : دار الهومة، ص 20 ،

أفضل في الأداء في ظل مفاهيم الجودة الشاملة التي تسعى إلى سهولة تحقيق الأهداف في أقل وقت وجهد وتكلفة " (4) .

أولاً: إدارة الجودة الشاملة :

مفهوم الجودة في التعليم :

يقصد بمفهوم الجودة في التعليم ما يلي :

* مجموعة المعايير والإجراءات التي يهدف تنفيذها إلى تحسين البيئة التعليمية، بحيث تشمل هذه المعايير المؤسسات التعليمية بمستوياتها وأشكالها المختلفة والهيئة التدريسية والادارية والموظفين والتي تهدف جميعها إلى منتج بجودة عالية وهو الطالب⁽⁵⁾

* القيام بكافة الانشطة والفعاليات الادارية والاكاديمية والمالية لإشباع حاجات الطلبة ومتطلبات سوق العمل عن طريق التطوير والتحسين المستمر لجودة الخدمة التعليمية للحصول على خريجين بكفاءة ومهارت عالية يحتاجها سوق العمل" (1)

(4) نيفين محمد أبو حصيرة ، فاعلية مدير المدرسة في وكالة الغوث الدولية بغزة من وجهة نظر المشرفين التربويين في ضوء معايير الجودة الشاملة ، رسالة ماجستير ، جامعة الأزهر ، كلية التربية ، غزة ، ص 20 ، 2008 .

(5) فتحي محمد عثمان الرملي ، جودة التعليم العالي في حالة الأزمة وما بعدها ، ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي الثاني للتعليم في ليبيا ، مصراته ، ص 127 ، 2019 .

(1) محمد جبر دريب ، معوقات ومتطلبات الجودة الإجرائية لضمانها في التعليم الجامعي ، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية ، ع 15 .

تعريف إدارة الجودة الشاملة:

تعريف معهد الجودة الفيدرالي: هي شكل تعاوني لأداء الأعمال يعتمد على القدرات المشتركة لكل من الإدارة والعاملين، بهدف التحسين المستمر في الجودة والانتاجية وذلك من خلال فرق العمل. (2)

تعريف جوزيف حابلونسك: عمل الأشياء الصحيحة بالطريقة الصحيحة من المحاولة الأولى.

تعريف ستيفن كوهن ورونالد براند :

- الإدارة: تعني التطوير والمحافظة على إمكانية المنظمة من أجل تحسين الجودة بشكل مستمر.
- الجودة: تعني الوفاء بمتطلبات المستفيد.
- الشاملة: تتضمن تطبيق مبدأ البحث عن الجودة في أي مظهر من مظاهر العمل بدء من التعرف على احتياجات المستفيد راضياً عن الخدمات أو المنتجات المقدمة له.

وعرفت " بأنها مجموعة من الخصائص و المعايير التي ينبغي أن تتوفر في جميع عناصر العملية التعليمية، سواء منها ما يتعلق بالمدخلات أو العمليات أو المخرجات، والتي تلبي احتياجات المجتمع والمتعلمين ومتطلباتهم ورغباتهم، بحيث يمكن تحقيقها من خلال الاستخدام الفعال لجميع العناصر المادية والبشرية ".

(2) نفس المرجع السابق ، ص 13

أهمية إدارة الجودة الشاملة في التعليم :

تأتي أهمية الجودة الشاملة كونها منهج شامل للتغيير أبعد من كونها نظاماً يتبع أساليب مدونه بشكل إجراءات وقرارات لذلك فهي تنتظر إلي ما يقدم من خدمات ككل متكامل بحيث تؤلف الجودة المحصلة النهائية لجهود العاملين وتسهم في تحسين الروح المعنوية وتنمية روح الفريق والإحساس بالفخر والاعتزاز وتكمن أهمية الجودة الشاملة في التعليم فيما يلي (3).

- 1 - ضبط وتطوير النظام القيادي والتعليمي داخل المدرسة .
- 2 - الارتقاء بالمستوى المعرفي والمهارى والنفسي والاجتماعي للطلاب .
- 3 - رفع كفاءة ومستوى أدا المعلمين والإداريين .
- 4 - توفير التعاون والتفاهم وبناء العلاقات الإنسانية بين جميع منسوبي المدرسة بما فيهم الطلاب .
- 5 - مشاركة جميع منسوبي المدرسة في اتخاذ القرار وتطوير الأداء بعيداً عن المركزية .
- 6 - رفع مستوى الوعي والإدراك لدى المعلمين والطلاب تجاه عمليات التعليم والتعلم .

(3) محمد بن كامل بن محمد داغستاني ، القيادة التربوية للمدرسة في ضوء مفاهيم الجودة الشاملة ، ورقة عمل مقدمة في اللقاء الثاني عشر للإشراف التربوي ص 11 - ص 12، 1428 هـ .

- 7 - تطوير وتحسين المخرجات التعليمية بما يتماشى مع السياسات والأنظمة وإرضاء جميع المستفيدين .
- 8 - إيجاد بيئة داعمة للتطوير المستمر .
- 9 - إيجاد الثقة المتبادلة بين المدرسة والمسئولين والمجتمع .
- 10 - خفض الهدر والاستخدام الأمثل للمدخلات البشرية والمادية .
- وبناء على ما سبق يمكن القول بأن هذه الفوائد تشكل الميزة الأساسية التي تميز المؤسسات التي تعتمد هذا الأسلوب في تسيير العمل عن غيرها من المؤسسات التقليدية ويمكن حصر أوجه الاختلاف بينهما من خلال الجدول التالي (1):

(1) رافدة عمر الحريري ، دروش سعد زناد ، القيادة وإدارة الجودة في التعليم العالي ، دار الثقافة ، ص 176 - ص 177 ، ب ت .

جدول يبين الاختلاف بين المؤسسة التقليدية والمؤسسة التي

تطبق ادارة الجودة الشاملة

عناصر الاختلاف	المؤسسات التقليدية	المؤسسات التي تطبق إدارة الجودة الشاملة
الهيكل التنظيمي	عمودي	أفقي
التخطيط	تركيز علي المدى القصير	تكامل وتوازن بين المدى القصير والطويل
هدف الرقابة	كشف الأخطاء ومحاسبة المسؤول من خلال الإشراف	كشف الأخطاء لتحديد الأسباب ووصف العلاج وتنمية الرقابة الذاتية
دور المدير	التخطيط ، التوظيف ، الرقابة	التدريب ، التعلم وتسهيل المهمات
القيادة الإدارية	سلطوية وإصدار أوامر	ديمقراطية قائمة علي المشاركة
السلطة	مركزية	لا مركزية وتأكيد علي تفويض السلطة
التحفيز	مادي	مادي ومعنوي بأن واحد
السياسات والإجراءات	جامدة	مرنة
حل المشاكل	فردية	جماعية
التطوير والتحسين	عند الحاجة والضرورة	مستمر
اهتمام الافراد	الأمان والاستقرار الوظيفي	النمو والتطور
محور العمل الاداري	التنسيق	التنسيق الكامل
اللوائح والأنظمة	تمسك والتزام حرفي وتام بها	مرونة في تطبيق اللوائح والأنظمة
تنمية الأفراد	التدريب عند الحاجة	التدريب والتنمية المستمرين والتنمية الذاتية
التقويم	الحكم علي أعضاء هيئة التدريس والطلاب والإدارة	استخدام التغذية الراجعة للتخطيط للتحسين بمشاركة الإدارة وأعضاء هيئة التدريس والطلاب

مبادئ الجودة في التعليم :

هناك مجموعة من مبادئ الجودة في التعليم منها : (1)

- 1 - ضرورة تبني الإدارة العليا لمفاهيم الجودة وإعطائها الأولوية المناسبة .
- 2 - تحقيق رضا المستفيد وذلك بتقصي رغبات المستفيدين وتطلعاتهم للعمل على تحقيقها ثم قياس مدى رضاهم .
- 3 - التركيز على تطبيق مفاهيم الجودة على مراحل وليس فقط على الخدمة النهائية .
- 4 - إجراء التقييم الذاتي وصولاً لتحسين الأداء .
- 5- الأخذ بأساليب العمل الجماعي .
- 6 - جمع البيانات الإحصائية وتوظيفها بشكل مستمر .
- 7 - إيجاد بيئة تساعد على التغيير .
- 8 - البحث عن السبل الكفيلة بالتحسين المستمر لأداء الأعمال .
- 9 - القيادة التربوية الفعالة .
- 10 -تطبيق المنهج العلمي في تحليل المشكلات واتخاذ القرارات .

(1) ابتسام سالم خليفة ، التعليم في ليبيا وواقع تطبيق معايير الجودة الشاملة ، مجلة كلية التربية ، العدد 15، ص392 ، 2019 .

أدوات إدارة الجودة في التعليم : (2)

- 1 - التدريب المستمر والتعليم المستمر.
- 2 - التقييم الذاتي والتخطيط والتوجيه.
- 3- القيادة الديمقراطية والتأكيد على خدمة الجماعة.
- 4- الاعتراف بالأداء الفعال والمكافآت والحوافز.
- 5 . قياس الجودة بصفة دورية والتجديد والتحسين المستمر .
- 6 . مراقبة وتوكيد الجودة والتعاون بين القيادات .

مبررات الاخذ بنظام الجودة الشاملة لتحسين اداء مدير المدرسة :

ترى الباحثة أن مبررات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في إدارة المؤسسات التعليمية تتمثل في التالي :

1. ضغوط العولمة وحركة التحولات والمتغيرات العالمية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية جعلت من الجودة أمراً حتمياً في كل ما تقوم به المؤسسة من أعمال وما تقدمه من خدمات .
2. انخفاض جودة مخرجات التعليم المدرسي وعدم إشباعه لطموحات التنمية .

(2) صفوان حامد أبو الريش ، واقع منظام إدارة الجودة الشاملة لكليات التربية بجامعة المملكة العربية السعودية . مجلة العلوم التربوية - العدد الأول ، ص 328 ، 2014 .

3. استهلاك الكثير من الوقت في الاجتماعات والخروج منها في بعض الأحيان دون اتخاذ قرار
4. عدم مشاركة جميع منسوبي المدرسة في تصميم البرامج التعليمية في المدرسة .
5. التركيز على تقويم تحصيل التلاميذ بدلاً من التقويم الشامل للمدرسة .
6. تحرير الإدارة من القواعد والإجراءات التقليدية الجامدة والتركيز على الوظائف الإدارية المتعارف عليها والبعد عن إدارة التغيير وإدارة الطوارئ والأزمات وإدارة الابداع وغيرها من الوظائف التي اصبحت تلازم العملية الإدارية تحت ظل الجودة الشاملة .
- 7 . انسداد قنوات الاتصال بين الادارة المدرسية و المجتمع المحلي .
- 8 . كثرة وتنوع الشكاوي ومشكلات الطلاب وأولياء امورهم .
9. طبيعة المورد البشري الذي تسييره الادارة وهي الميزة الأساسية للإدارة المدرسية التي تضم أكبر شريحة في المجتمع فضخامة حجم العاملين يؤثر بالضرورة سلبا علي نوعية خدماتها فأسلوب إدارة الجودة الشاملة يعد أحد أبرز الأساليب لتعظيم حجم الاستفادة من هذه الطاقات البشرية بما يؤدي إلي تحقيق رضا المستفيدين .
- 10 . اهتمام الدول بتطبيق تقنيات الاتصالات وتنظم المعلومات وتطوير أساليب تقديم الخدمات للمستفيدين وضمن حصولهم علي أجود الخدمات مما يحتم علي مدير المدرسة إلي الأخذ بهذا الأسلوب لتحقيق تميز في الأداء .

مداخل تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الإدارة المدرسية :

يمكن تصوير أسلوب إدارة الجودة الشاملة في صورة مثلث تمثل أضلاعه الجودة ، الكلفة ، الوقت الأنسب ، وتشير أدبيات إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الإنتاجية وبعض المؤسسات الخدمية إلى وجود بعض المداخل التي أخذت بها إدارة هذه المؤسسات تحقيقاً للجودة الشاملة ولعل أهم هذه المداخل ما يلي : (1)

. **تدعيم اللامركزية** : تلجأ الإدارة إلى أسلوب اللامركزية بدفع بعض أو غالبية سلطات الرؤساء إلى المستويات الأدنى في البناء التنظيمي للمؤسسات من أجل تحقيق البت السريع في الأمور بواسطة الأفراد الذين يتصلون مباشرة بهذه الأمور ، وقد أكدت الممارسة الإدارية الفعلية أن اللجوء إلى هذا النوع من اللامركزية قد ساعد علي تحقيق فاعلية أكبر في أداء المهام الموكلة إلي المؤسسات بالإضافة إلي شيوع من الرضا عن العمل في نفوس العاملين مما دفعهم إلى بذل المزيد من الجهد في سبيل تحقيق الأهداف المنشودة .

. **مدخل الإدارة بالاستثناء** : وهو يشبه في بعض جوانبه مدخل اللامركزية كأسلوب في زيادة فاعلية الأداء وكفاءتها وينطلق من فكرة بسيطة مؤداها أن كافة الأعمال والأنشطة التي تقوم بها إدارة مؤسسة ما ، يمكن تصنيفها تحت صنفين أساسيين ، أعمال نمطية متكررة وأعمال جديدة متغيره ، أما الاعمال النمطية المتكررة فينبغي دفع سلطة اتخاذ القرارات بشأنها إلى المستويات الأدنى في البناء التنظيمي التي

(1) كوثر العمري ، الرزقية هاجر خميس سليم ، أهمية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء بمدارس التعليم الأساسي في محافظة مسقط من وجهة نظر أعضاء الهيئتين الإدارية والتدريسية ، المجلة العربية للنشر العلمي ، العدد خمسة وأربعون ، ص 216 ، 2022 .

تجديد التعامل معها بحكم النمطية و التكرار وإتقان الأداء ، و يترك للقيادات العليا سلطة اتخاذ القرارات في المسائل الجديدة أو الطارئة أو المفاجئة التي لم يسبق التعامل معها من قبل .

إدارة الوقت : أصبح للوقت قيمة كبرى في حياة الانسان المعاصر بسبب التطورات الهائلة في أسلوب حياته وفي نعمة الحياة من حوله ، وبالنسبة إلى رجل الإدارة العصري فيتمثل الوقت العامل الحاسم في أدائه وفي زيادة كفاءة الإدارة ذاتها ، وقد أدرك الإداريون أهمية الوقت وبدأوا في هذا يخططون له وينظمون الاستفادة منه ويراقبون أعمالهم وأعمال من يعمل معهم من منظور الوقت غير أن الصورة مازالت تحتاج الي المزيد في هذا الاتجاه ولن يتأتى ذلك إلا بالقضاء علي مصادر أهدار الوقت في إدارة المؤسسات المجتمعية بعامة والمؤسسات التربوية بخاصة .

مدخل المشاركة في الإدارة : يقصد بالمشاركة في الإدارة كأسلوب إداري لتحقيق الجودة في التعليم أن يكون للمجتمع المحيط بالمدرسة دوره الفعال في إقرار البرامج التعليمية والأنشطة التربوية التي تتكفل المدرسة بتنفيذها كمؤسسة فوضها المجتمع ووضع فيها ثقته كلها لتربية الأبناء التربية الصحيحة المؤدية إلي تكوين أجيال قوية من المواطنين الصالحين .

مدخل الإدارة بالأهداف : يستخدم أسلوب الإدارة بالأهداف كمدخل من مداخل إدارة الجودة الشاملة لأنه يستهدف في المقام الأول تركيز اهتمام الإدارة على الأهداف وتحقيق النتائج المرجوة في أفضل صورها ، ويركز أسلوب الإدارة بالأهداف على اشتراك الرئيس والمرؤوسين بشكل حقيقي في تحديد الأهداف التي يتفق على

ضرورة تحقيقها مما يحفزهم جميعاً على أداء مسؤوليات وظائفهم بروح معنوية عالية.

مراحل تطبيق الجودة الشاملة في المدرسة :

يتوقف نجاح تطبيق مدخل إدارة الجودة الشاملة لتطوير الإدارة المدرسية على توافر القيادة المدرسية الفعالة لدى مدير المدرسة: لأن سر نجاح القيادة الإدارية يكمن في نوعية ونمط الاتجاهات الفكرية والسلوكية التي يؤمن بها ويطبّقها المدير ، أن القيادة المدرسية الفعالة لإدارة الجودة الشاملة تعتمد على النمط التشاركي الديمقراطي في الإدارة حيث أن هناك علاقة إيجابية بين النمط الديمقراطي والدافعية نحو العمل لدى المعلمين (1)

ولتحويل فلسفة الجودة الشاملة إلى حقيقة في المدرسة يجب ألا تبقى هذه الفلسفة معرفية لدى منسوبي المدرسة دون تطبيق إجرائي لذلك فبمجرد استيعاب المفهوم النظري للجودة الشاملة يجب البدء في تطبيقها والعمل على أن تصبح مبدا اساسيا لجميع أعمال المدرسة.

(1) محمد حسين العجمي ، الإدارة المدرسية ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ص 15 ، 2000 .

ومن مراحل تطبيق إدارة الجودة المدرسية : (2)

أولاً المرحلة الصفرية :

ويمكن اعتبارها مرحلة الإعداد للجودة وتمثل فيما يلي :

- 1- نشر ثقافة الجودة الشاملة وأهمية التغيير بين منسوبي المدرسة .
- 2- وضع خطة لحضور منسوبي المدرسة برامج تدريبية عن إدارة الجودة الشاملة .
- 3- إصدار قرار في المدرسة بتطبيق إدارة الجودة الشاملة .
- 4- العمل على تحديد رؤية ورسالة وقيم المدرسة .
- 5- إعداد خطة استراتيجية محددة الأهداف وقابلة للتطوير .
- 6- إعداد خطة التشغيلية المحققة للأهداف المحددة .
- 7- وضع خطة لتحديد سياسات تطبيق إدارة الجودة الشاملة في جميع عمليات المدرسة .

ثانياً مرحلة التخطيط للجودة :

يعتبر التخطيط لإدارة الجودة الشاملة المهمة الأولى والأساسية لمدير المدرسة ويتوقف عليها نجاح الإدارة المدرسية في تحقيق أهدافها المنشودة والتخطيط هو " العملية الأساسية للإدارة التي يتم من خلالها تحديد الغايات والوسائل عن طريق

(2) محمد بن كامل بن محمد داغستاني ، القيادة التربوية للمدرسة في ضوء مفاهيم الجودة الشاملة

، مرجع سابق ، ص 71.

إصدار القرارات ورسم السياسات ووضع البرامج والميزانيات والموازنة بين الأهداف من جهة والموارد والامكانيات من جهة أخرى وذلك في سياق زمني وببئي محدد⁽³⁾ والتخطيط الفعال لإدارة الجودة الشاملة في المدرسة يسهم في تحقيق الأهداف التالية :

- 1- توفير الوقت بعيداً عن التخبط والارتجال .
 - 2- استغلال الموارد البشرية والمادية الاستغلال الأمثل .
 - 3- التنسيق بين النشاطات لتحقيق أهداف المدرسة .
 - 4- التنبؤ بالمستقبل ومواجهة المشكلات والعقبات وحلها بنجاح .
 - 5- يقلل من التداخلات ويحسن الأداء الإداري ويجعل عملية الرقابة سهلة .
 - 6- التخطيط التعاوني بمشاركة المعلمين في تحديد الأهداف يساعد علي حلها .
 - 7- يساعد مدير المدرسة على تطوير والاستفادة من تجارب الآخرين .
- ويتوقف نجاح عملية التخطيط لإدارة الجودة الشاملة علي عدة عوامل متداخلة من أهمها :

- 1- صحة البيانات والمعلومات والإحصائيات المدرسية .
- 2- كفاءة الجهاز الإداري الذي يشرف علي تنفيذ الخطة .

⁽³⁾ نبيل محمود الصالحي ، استراتيجيات الإدارة المدرسية في ضوء الاتجاهات المعاصر عمان -

الاردان : الجنادرية للنشر والتوزيع ، ص 181 ، 2011

- 3- اتباع أسلوب المشاركة الجماعية في إعداد الخطة .
- 4- يجب أن يتصف التخطيط بالتغيير والتطوير بما يناسب الظروف والمستجدات .
- قد يتعرض مدير المدرسة الي بعض الصعوبات والمعوقات التي تؤثر في عملية التخطيط لتحقيق أهداف إدارة الجودة الشاملة مثل :

- 1- مقاومة بعض المعلمين للتغيير والتطوير .
- 2- صعوبة الحصول علي بيانات ومعلومات دقيقة .
- 3- عدم الالتزام بالتخطيط أثناء التنفيذ .
- 4- مشكلة سرعة التغيير المستمر .
- 5- قلة الإمكانيات المادية والبشرية .
- لابد أن يشترك جميع منسوبي المدرسة في هذه المرحلة للقيام بالإجراءات التالية :

- 1- اختيار النموذج المناسب لإدارة الجودة الشاملة في المدرسة .
- 2- تحديد الموارد اللازمة للتطبيق .
- 3- ترشيح أعضاء المجلس الاستشاري للجودة في المدرسة .
- 4- اختيار منسق الجودة في المدرسة .
- 5- إعداد خطة تفصيلية لتحسين جودة الخدمات التي تقدمها المدرسة بصياغة سهلة ومفهومة للجميع .

2- التنظيم للجودة :

تعتبر عملية التنظيم من العمليات الإدارية الأساسية لإدارة الجودة الشاملة بنجاح وفعالية ويعرف التنظيم بأنه " تقسيم العمل إلى عناصر ومهام ووظائف وترتيبها في علاقات سليمة وإسنادها إلى أفراد ومسؤوليات وسلطات تسمح بتنفيذ سياسات المنظمة " وعلى مستوى الإدارة المدرسية تشمل عملية التنظيم ما يلي : (1)

- 1- تصنيف المهام الضرورية لتنفيذ البرامج والخطط المدرسية .
- 2- تحديد العلاقات التنظيمية بين أفراد المجتمع المحلي .
- 3- وضع الإجراءات الكفيلة بتطوير الهيكل التنظيمي للمدرسة .
- 4- توزيع الإمكانات المادية والبشرية لتحقيق أهداف المدرسة .

والتنظيم المدرسي يضم العناصر التالية :

- أ- الأعمال والأنشطة التي تنفذها المدرسة من أجل تحقيق أهدافها .
- ب- جميع الأفراد العاملين في المدرسة .
- ت- الإمكانات المادية المتوفرة للمدرسة .
- ث- السياسات واللوائح والقوانين والإجراءات اللازمة لتنفيذ الأعمال المخططة .
- ج- هيكل التنظيم وما يشمله من تفويض المسؤوليات وقنوات الاتصال وأساليب اتخاذ القرارات بمشاركة العاملين في المدرسة.

(1) نبيل محمود الصالحي ، استراتيجيات الإدارة المدرسية في ضوء الاتجاهات المعاصر ، مرجع

سابق ، ص 185 .

من أهم سمات الهيكل التنظيمي لإدارة الجودة الشاملة ما يلي :

- 1- المعرفة والتكنولوجيا هما أساس التنظيم.
- 2- تنظيم العمل علي أساس مجموعات متفاهمة من العاملين تتكون كل مجموعة (حلقة) من (4- 10) أفراد شريطة أن يكون الانضمام لهذه الحلقات طوعية .
- 3- المجموعة (الحلقة) هي الأساس في جودة العمل وتحسينه .
- 4- الحد قدر الإمكان من عدد المستويات الإدارية داخل التنظيم بحيث تقل المسافة بين أعلى المستويات وأدناها وأن تسود روح التفاهم والانسجام بين كافة العاملين .

رابعاً مرحلة تقييم وضع المدرسة بعد المراحل السابقة :⁽¹⁾

تهدف هذه المرحلة إلي تحديد نقاط القوة والضعف في المدرسة عن طريق التغذية الراجعة وذلك من خلال الاجابة علي الأسئلة التالية :

- 1- هل تم اخذا مبادرات لتحسين العمل في المدرسة وماهي تلك المبادرات ؟
- 2- هل الاهداف التي تم اعتمادها محددة وماهي معوقات عدم تحقيقها ؟
- 3- ما العقبات التي واجهات تطبيق المراحل الأولى والثانية والثالثة ؟
- 4- ما الفوائد المترتبة علي تطبيق إدارة الجودة الشاملة ؟

⁽¹⁾ محمد بن كامل بن محمد داغستاني ، القيادة التربوية للمدرسة في ضوء مفاهيم الجودة الشاملة

، مرجع سابق ، ص 18 - 19.

- 5- ما المعايير المعتمدة لقياس اتجاه إدارة الجودة الشاملة في المدرسة؟
- 6- ما هي أفضل الوسائل لتحديد رضا المستفيدين " داخل وخارج المدرسة؟
- خامساً مرحلة التنفيذ : وتتمثل هذه المرحلة في اختيار المنفذين وتنمية مهارات منسوبي المدرسة وتشمل :

- 1- تشكيل فرق عمل الجودة بالمدرسة والعمل علي تنميه مهاراتهم في تحليل المعلومات ومعالجتها إحصائياً وعمليات التقويم وعرض النتائج.
- 2- تدريب جميع منسوبي المدرسة على مبادي ومدخل وعمليات الجودة الشاملة وفقاً للخطة التي تم وضعها في المرحلة الأولى.
- 3- تدريب جميع منسوبي المدرسة على أساليب الاتصال والعلاقات الإنسانية وفقاً للخطة التي تم وضعها في المرحلة الأولى.
- 4- تعريف جميع العاملين والطلاب في المدرسة بأهدافها ومشاركتهم في عمليات التطوير.

المرحلة السادسة مرحلة الانتشار:

وتبدأ هذه المرحلة عندما يعزز الانتماء للمدرسة من قبل منسوبيها ويشعر الجميع بالمسئولية الفردية والجماعية ويعملون ضمن فريق واحد بعيدا عن الذاتية وذلك لتنفيذ ما تم التخطيط له في المرحلة الأولى ويتطلب ذلك ما يلي :

- 1- تدريب جميع منسوبي المدرسة على خدمة المستفيد وتحقيق متطلباته.
- 2- استثمار الخبرات والنجاحات وتعميمها على باقي خدمات المدرسة.

3- عرض التجربة على المستفيدين (المعلمين، الطلاب، أولياء الامور ،... الخ
(لتحقيق المشاركة الإيجابية .

4- تنمية الولاء للمدرسة من خلال مشاركة الطلاب وأولياء أمورهم والمجتمع
في عمليات التطوير في المدرسة لتعزيز المشاركة وتحقيق التكامل.

المرحلة سابعاً مرحلة التطوير المستمر:

يعتبر التطوير المستمر أحد أهم مبادي إدارة الجودة الشاملة وانطلاقاً من مبدأ أن
الجودة عملية غير منتهية فإن أهم متطلبات هذه المرحلة:

1- استمرار البحث في تحسين المدخلات والعمليات في المدرسة

2- استمرار التدريب بشكل مستمر لجميع منسوبي المدرسة.

3- مراجعة أهداف التحسين إذا تطلب الأمر ذلك.

4- الأخذ بمبدأ التحفيز الجماعي.

5- الاستفادة من النجاحات التي تم تحقيقها وتعميمها على باقي
العمليات.

معوقات تطبيق الجودة الشاملة في المدرسة: (1)

علي الرغم من النجاحات التي حققتها بعض المؤسسات التعليمية المتبنية لإدارة
الجودة الشاملة نجد أن هناك مؤسسات تعليمية أخرى لم تستفيد من كامل مميزات

(1) محمد بن كامل بن محمد داغستاني ، القيادة التربوية للمدرسة في ضوء مفاهيم الجودة الشاملة

، مرجع سابق ، ص .

إدارة الجودة الشاملة، وقد يكون السبب في ذلك ظهور مجموعة من الصعوبات التي أعاققت النجاح ولعل من أبرز تلك المعوقات ما يلي :

- 1 . عدم استقرار مدير المدرسة وتغييره الدائم.
2. صعوبة تحديد الأولويات نظراً لتعدد المستفيدين من الخدمات التي تقدمها المدرسة.
3. محدودية الموارد المالية والبشرية والمعلوماتية.
4. عدم وجود خطة استراتيجية تطويرية للمدرسة والتركيز على الأهداف قصيرة المدى.
- 5 . تعجل الحصول على نتائج الجودة .
- 6 . مقاومة التغيير نحو الجودة الشاملة .
- 7 . غياب مفهوم التطوير المستمر .
- 8 . الاهتمام بالمستفيد الخارجي وإهمال المستفيد الداخلي .
- 9 . ضعف مشاركة العاملين في المدرسة عند اتخاذ القرار .
- 10 . ضعف العلاقات الإنسانية بين العاملين بالمدرسة .

ثانياً : مدير المدرسية :

مما لاشك فيه أن المدير القيادة المدرسية تشكل عنصراً مهماً من عناصر تطبيق الجودة الشاملة في المدرسة لذا يؤكد (سينج) أن " افتقاد القيادة يمثل عقبة أساسية في سبيل التطبيق الناجح لإدارة المؤسسات "(1) .

ولكي تحقق المدرسة التطبيق الناجح للجودة الشاملة فإنها بحاجة إلى مدير يمتلك صفات القيادة لأداء مهامه الادارية والتربوية بطريقة فعالة وواعية لأهمية التغيير ويمتلك رؤية تطويرية مبدعة ولديه الكفاءة التي تمكنها من توجيه جهود العاملين نحو إنجاز العمل وفقاً للمعايير المحددة وبطريقة صحيحة في كل مرة بما يسهم في تحقيق الجودة الشاملة لجميع العمليات المدرسية .

وقد عرفه (العجمي) أنه "المسئول الأول عن مدرسته، يقوم برعاية الطلاب والحفاظ عليهم، وإتاحة الفرصة الكاملة لنموهم وتنظيم سير العمل بالمدرسة وخدمة البيئة المحيطة بالمدرسة، حيث إن حالة المدرسة المعنوية ومستواها الثقافي يتوقفان على مديرها واتجاهاته وشخصيته وإدراكه للرسالة التي يقوم بها.(2)

(1) الهلالي الشربيني الهلال: إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم الجامعي والعالى ، مجلة كلية التربية بالمنصورة - العدد 37 ، كلية التربية ، جامعة المنصورة ، ص 177 ، 1998 .

(2) محمد حسين العجمي ، الإدارة المدرسية ، مرجع سابق، ص 237.

"المدير المدرسي النجاح هو الذي يدفع المدرسة لعوامل الابتكار والتجديد بما يضمن تطورها ومقابلة التجديدات بمختلف جوانبها ويحقق الربط بين المدرسة والبيئة المحيطة أي المجتمع الذي يعمل فيه " . (3)

ومما سبق يمكن أن تعرف الباحثة مدير المدرسة بأنه: المدير الذي يطبق أسلوب القيادة التشاركية والديمقراطية في إدارة مدرسته من خلال التعامل الإنساني وتنمية إمكانيات العاملين وإشراكهم في صنع القرارات ورسم السياسات وتبنيها وتنفيذها ومتابعتها وتقييمها والعناية بتدريب العاملين وتهيئة فرص النمو الذاتي وتشجيع العمل الجماعي الديمقراطي .

مهارات مدير المدرسة الفعال :

من الضروري أن يمتلك المدير أهم مهارات القيادة المدرسية الفعالة لقيادة التغيير والتطوير لتطبيق مدخل إدارة الجودة الشاملة وهي :

1 - المهارات الذاتية : وتشمل بعض السمات والقدرات اللازمة في بناء شخصية الأفراد ليصبحوا قادة ، السمات الشخصية والمبادأة والابتكار وضبط النفس .

2- مهارات الإدراكية : وتعني قدرة القائد علي رؤية التنظيم الذي يقوده بصورته الكلية والعلاقات بين أجزائه المختلفة ونشاطاته وأثر التغيرات التي قد تحدث في أي جزء منه علي بقية أجزائه وقدرته على ابتكار الأفكار وإيجاد الحلول للمشكلات

(3) أحمد إبراهيم سلمي أرناؤوط ، دراسة مقارنة لنظام الاختيار لوظائف القيادة المدرسية في

سنغافورة وفلندا وإمكانيات الاستفادة منها في مصر ، مجلة كلية التربية ، جامعة بني سويف - العدد

14 ، الجزء 77 ، ص 22 ، 2017 .

المدرسية وقدرته على تصور وفهم علاقات الموظف بالمؤسسة وعلاقات المؤسسة ككل بالمجتمع الذي يعمل فيه " ومن المهارات الأساسية للقائد المدرسة الفعال التفكير الاستراتيجي الذي يعتبر من صفات وخصائص السلوك القيادي في عصرنا الحالي والرؤية الثاقبة والتبصر الواعي والحدس وغيرها من صفات وركائز قوة القيادة الإدارية وتدخل جميعها ضمن إطار التفكير الاستراتيجي في إدارة المستقبل " (1)

3- المهارات الفنية : المهارة الفنية هي المعرفة المتخصصة في فرع من فروع العلم والكفاية في استخدام هذه المعرفة أفضل استخدام بشكل يحقق الهدف بفاعلية ويمكن الحصول علي هذه المهارة بالدراسة والخبرة والتدريب " ومن أهم المهارات الفنية الأدائية لقائد المدرسة الفعال هي القدرة علي ممارسة القيادة التشاركية التي تتمثل في القدرة علي معاملة الطبيعة البشرية وعلي التأثير في السلوك البشري لتوجيه جماعة من الناس نحو هدف مشترك بطريقة تعمل علي اكتساب طاعتهم وثقتهم " و المقدره علي تحمل المسؤولية والفهم العميق والشامل للأمور. (2)

4- المهارات الانسانية : وتعني المهارات الإنسانية قدرة القائد علي التعامل مع مرؤوسيه وتنسيق جهودهم ونشاطاتهم نحو الأهداف المدرسية المنشودة وخلق روح العمل الجماعي بينهم وهذا يتطلب جو من التفاهم والاحترام المتبادل ومعرفة لأدائهم

(1) - بوب وآخرون حارات ، ترجمة عبد الرحمن توفيق ، التفكير الاستراتيجي في إدارة المستقبل

، القاهرة : مركز الخبرات المهنية للإدارة بميك ، ص 15 ، 1998

(2) نبيل محمود الصالحي ، استراتيجيات الإدارة المدرسية في ضوء الاتجاهات المعاصر ،

المرجع السابق ، ص 178 .

وميولهم واتجاهاتهم والدوافع والحاجات التي يسعى العاملين إلى تحقيقها وإشباعها ورفع روحهم المعنوية التي تعد أحد العوامل الأساسية لرفع مستوى الجودة في الأداء.

معايير الجودة للمدير المدرسة الفعال :

من أهم معايير الجودة لمدير المدرسة ما يلي (1) :

- دعم وتسهيل وتشجيع تطوير خطة استراتيجية ورؤية ورسالة وأهداف للمدرسة.
- صياغة أهداف وتوجهات العمل للمعلمين والإداريين - كأفراد ومجموعات في المدرسة
- وضع برنامج العمل للمعلمين والإداريين في المدرسة مع توظيف واستخدام الموارد في المدرسة على نحو فعال .
- وضع أطر زمنية مجدولة وبرمجة مرنة للمشاريع والبرامج المراد تنفيذها في المدرسة
- تطوير وتشكيل وتأسيس الثقافة والقيم المؤسسية للمدرسة .
- صياغة أهداف وخطط التطوير التربوي في المدرسة وتحديد الأولويات لبرامج ومشروعات التطوير التربوي .

(1) نبيل محمود الصالحي ، استراتيجيات الإدارة المدرسية في ضوء الاتجاهات المعاصر ، مرجع

سابق ، ص 163 .

- القيام بعمليات الإشراف والمتابعة للنشاطات والمشاريع والبرامج المدرسية والتحقق من مدي مناسبتها لتحقيق الأهداف التربوية المدرسية .
 - تشجيع وإشاعة روح الزمالة بين المعلمين والإداريين والتعامل معهم على أساس مهني فضلا عن تشجيع روح المشاركة والعمل بواسطة فريق الإدارة التشاركية أو إدارة الفريق .
 - اعتماد مبادئ النزاهة والشفافية والعدل والموضوعية في التعامل مع المعلمين والإداريين في المدرسة .
 - تشجيع وتطبيق سياسة التسيير الذاتي (الإدارة الذاتية) للمدرسة .
 - اعتماد القيادة المدرسية القائمة على نظريات القيادة ونظريات التنظيم الحديثة .
 - القيام بتحديد وتعريف دقيق لأية مشكلة يواجهها في المدرسة سواء أكانت تتعلق بالطلاب أو المعلمين أو أولياء الأمور .
- ومن المعايير الخاصة بالقيادة المدرسية ما يلي :**
- أن يكون توجيه الإدارة التربوية العليا نحو التحسين الإداري والمستمر في الإدارة المدرسية .
 - أن يشترك القائد التربوي في عميات التحسين المستمر بالنسبة للإدارة المدرسية وأن يستمر طاقات الأفراد ويوجه جهودهم نحو الأهداف المنشودة .

- أن يقوم القائد بالإشراف على سير العمل المدرسي من خلال إيجاد فرق عمل معاونة أن تكون أهداف هذه الفرق هي يدل أقصى جهد ممكن لرفع كفاءة المدرسة .
- على القائد التربوي أن يشعر كل فرد بأنه جزء هام من المدرسة وأنه جزء من الفريق التعليمي وأنه مشارك في اتخاذ القرارات التعليمية حتي تصبح مبنية علي أساس المشاركة الجماعية .
- على القائد التربوي أن يضع الفرد المناسب في المكان المناسب من أجل تطوير الأداء حتي يصبح التطوير هو مسئولية كل فرد في المدرسة يلتزم ذلك أن يكون هناك تبادل الادوار بين الأفراد لقيادة المجموعة .
- على القائد التربوي الاهتمام ببرنامج التعلم والتطوير الذاتي والتخلص من المعوقات الإدارية التي تحض على مقارنة أداء الأفراد بعضهم لبعض والسعي نحو تنمية القدرات المهنية للمعلم .
- على القائد أن يقود المدرسة نحو التخلص من عمليات الرقابة علي الأفراد وأن يعمل علي بث روح الرقابة الذاتية للفرد علي نفسه .
- على القائد التربوي أن يقود المدرسة نحو خدمة الجماعات المستفيدة وتلبية احتياجاتهم وأن يتبني فلسفة جديدة تقوم على مواجهة التحديات واتباع الرؤية المستقبلية في تطوير المدرسة .

النتائج

في ضوء ما تم عرضه في أدبيات البحث توصلت الباحثة إلى النتائج التالية :

- 1 - أن تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المدارس يحتاج إلى دعم الجهات العليا وحسن اختيار مدراء المدارس واستمرارية التدريب والتمهيد قبل التطبيق .
- 2 - يؤدي تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المدارس إلي تسهيل العملية الإدارية لدي مدراء المدارس مما يخفف الضغط الإداري لديهم ويرفع من كفاءة وفاعلية أدائهم .
- 3- أن تبني ونشر مفهوم ثقافة الجودة ليست مهمة سهلة إذ تقضي من إدارة المؤسسات التعليمية السنوات وتركيز الجهود وتخصيص الأموال من أجل تعزيز وتطوير ثقافة الجودة لدى المنسوبين في المؤسسات التعليمية بما يتماشى مع البيئة المحلية .

التوصيات

1. منح مديري المدارس الحوافز والمكافآت المتنوعة لتشجيع الكوادر والكفاءات المؤهلة لإدارة المدارس وإزالة الصعوبات التي تعرقل أدائهم لمهامهم .
2. علي الإدارة المدرسية أن تعمل بصورة دائمة ومتجددة على تنمية، وتطوير الهيكل التنظيم ، وأساليب العمل بما يحقق المشاركة، ويحفز على الابداع ويشجع على البحث والتجريب، والمبادأة والتجديد.

3. العمل على أقامه دورات تدريبية وورش عمل لمديري المدارس للتعريف بالجودة ومراحل تطبيقها وكيفية وضع الخطط الاستراتيجية اللازمة لتحسين ومواكبة التطورات الادارية الحديثة في عملية الجودة في الادارة المدرسية ، لضمان التطبيق السليم لمعايير الجودة الشاملة في المدرسة وبكفاءة وفعالية.
4. ضرورة التغلب على التحديات المتمثلة في الانظمة والقوانين التي تواجه تطبيق الجودة وتحديثها وتطويرها لنجاح تطبق الجودة في الادارة المدرسية .
5. توفير الدعم المالي من قبل وزارة التربية والتعليم ومنح مديري المدارس الصلاحيات اللازمة لتطبيق ادارة الجودة الشاملة في المدرسة .
6. توفير التقنيات الحديثة والكوادر البشرية المدربة والمؤهلة لتشغيلها وصيانتها ، لمواكبة التطورات العلمية والمعرفية والتكنولوجية اللازمة لعملية الجودة في المدرسة .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً - الكتب :

- 1 - بوب حارات وآخرون ، ترجمة عبد الرحمن توفيق ، التفكير الاستراتيجي في إدارة المستقبل ، القاهرة : مركز الخبرات المهنية للإدارة بميك ، 1998 .
- 2 - قاسم بن عائل الحربي، الإدارة المدرسية الفاعلة لمدرسة المستقبل، عمان - الاردن : دار الجنادرية، 2008.
- 3- رافدة عمر الحريري، دروش سعد زناد، القيادة وإدارة الجودة في التعليم العالي، دار الثقافة ، ب ت .
- 4 - نبيل محمود الصالحي ، استراتيجيات الإدارة المدرسية في ضوء الاتجاهات المعاصر، عمان - الاردن : الجنادرية للنشر والتوزيع، 2011 .
- 5 - محمد حسين العجمي، الإدارة المدرسية، القاهرة : دار الفكر العربي، 2000.
- 6 - صالح ناصر عليّات ، إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات التربوية- التطبيق ومقترحات التطوير. الطبعة الأولى. عمان - الأردن : دار الشروق للنشر والتوزيع. ، 2004 .
- 7 - جمال الدين عويصات ، مبادئ الادارة ، الجزائر: دار الهومة ، 2005 .

ثانياً - الرسائل العلمية :

- 1- نيفين محمد أبو حصيرة ، فاعلية مدير المدرسة في وكالة الغوث الدولية بغزة من وجهة نظر المشرفين التربويين في ضوء معايير الجودة الشاملة ، رسالة ماجستير ، جامعة الأزهر - كلية التربية ، غزة، 2008 .

ثالثاً - المجالات العلمية والمؤتمرات :

- 1 - صفوان حامد أبو الريش ، واقع نظام إدارة الجودة الشاملة لكليات التربية بجامعة المملكة العربية السعودية ، مجلة العلوم التربوية - العدد الأول ، 2014 .
- 2 - أحمد ابراهيم سلمي أرناؤوط ، دراسة مقارنة لنظام الاختيار لوظائف القيادة المدرسية في سنغافورة وفلندا وإمكانية الاستفادة منها في مصر ، مجلة كلية التربية ، جامعة بني سويف - العدد 14 ، الجزء 77 ، 2017 .
- 3 - الهلالي الشربيني الهلال ، إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم الجامعي والعالى ، مجلة كلية التربية بالمنصورة - العدد 37 ، كلية التربية ، جامعة المنصورة ، 1998 .
- 4 - ابتسام سالم خليفة ، التعليم في ليبيا وواقع تطبيق معايير الجودة الشاملة ، مجلة كلية التربية - العدد الخامس عشر ، 2019 .
- 5 - فتحي محمد عثمان الرملي ، جودة التعليم العالى في حالة الأزمة وما بعدها ، ورقة مقدمة للمؤتمر الدولي الثاني للتعليم في ليبيا ، مصراته ، ص 127، 2019.
- 6- محمد بن كامل بن محمد داغستاني ، القيادة التربوية للمدرسة في ضوء مفاهيم الجودة الشاملة ، ورقة عمل مقدمة في اللقاء الثاني عشر للإشراف التربوي ، 1428 هـ .
- 7 - كوثر الرزيفية العمري ، هاجر خميس سليم ، أهمية تطبيق إدارة الجودة الشاملة في تحسين الأداء بمدارس التعليم الأساسي في محافظة مسقط من وجهة نظر أعضاء الهيئتين الإدارية والتدريسية ، المجلة العربية للنشر العلمي - العدد 45 ، 2022 .
- 8 - يحيىاوي وآخرون ، ضمان جودة التعليم الإلكتروني في مؤسسات التعليم العالى، المؤتمر العربي الدولي الثاني لضمان جودة التعليم العالى، الجامعة الخليجية، البحرين ، 2012.

المصطلح النحوي (نشأته وتطوره _ ارتباطاته) عرضاً وتتبعاً

إعداد: أ. حنان علي بالنور*

المُلخَص:

يعد المصطلح النحوي أساساً من الأسس التي يقوم عليها علم النحو؛ لأنَّ ثبات العلم واستقرار المعلومة مرتبط بثبات المفاهيم والمصطلحات. ولعل الدافع الديني أهم الدوافع في ظهور المصطلح، والدلالة الصوتية أساس من أسسه التي يرجع الفضل في ظهورها لأبي الأسود الدؤولي.

ولللخليل وسيبويه فضل السبق في توثيق المصطلح النحوي، أما مدرستي البصرة والكوفة فدورهما بارز في تعدد المصطلح وتنوعه، كما كان الارتباط وثيقاً بين المصطلح النحوي ومصطلحات العلوم الأخرى، مثل: أصول الفقه، والمنطق، والبلاغة.

الكلمات المفتاحية: المصطلح النحوي _ مدرستي البصرة والكوفة _ أصول الفقه _ المنطق _ البلاغة.

* قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب/ الخمس

Abstract:**The Grammatical Term (Its Origin and Development – Its Associations) Presentation and Tracking**

The grammatical term is one of the foundations on which the science of grammar is based, because the stability of science and the stability of information is linked to the stability of concepts and terms. Perhaps the religious motive is the most important motive in the emergence of the term, and the phonetic connotation is one of its foundations, which is credited to its emergence to Abu Al-Aswad Al-Du'wali. Al-Khalil and Sibawayh preferred the lead in documenting the grammatical term, while the schools of Basra and Kufa have a prominent role in the multiplicity and diversity of the term, and the close link between the grammatical term and the terms of other sciences, such as: the principles of jurisprudence, logic, and rhetoric. **Keywords:** grammatical term _ Basra and .Kufa schools _ Usul al-Fiqh _ Logic _ Rhetoric

المصطلح النحوي (نشأته وتطوره . ارتباطاته) عرضاً وتتبعاً

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء المرسلين، سيدنا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد، فلقد واجه أهل اللغة منذ القرن الثاني للهجرة، وبعد الاحتكاك باللغات الأخرى نتيجة التأثير والتأثير في عصر ازدهار الترجمة، أصبحت الحاجة إلى المصطلح النحوي الذي يعد أساساً من الأسس التي يقوم عليها علم النحو ملحّة؛ لأنّه مفتاح العلم وأداته التي يتحدد بها، ويتميز بها عن غيره من العلوم؛ لأنّ ثبات العلم واستقرار المعلومة مرتبط ببنات المفهوم والمصطلح.

الدراسات السابقة:

ولقد سبق البحث بحوث ودراسات سابقة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري لعوض القوزي، ومصطلحات النحو الكوفي دراستها وتحديد مدلولاتها لعبد الله بن حمد الخثران، والمصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث لإيناس الحديدي، والمصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب لتوفيق قريرة، والمصطلحات المشتركة بين علماء المنطق وعلماء النحو نشأت علي محمود.

مشكلة البحث:

وكان الدافع وراء البحث الوقوف على الإجابة عن التساؤلات التي طرحها البحث وأهمها، ما المصطلح النحوي؟ وما دلالاته اللغوية؟ وما مفهومه في الاصطلاح؟ وما

أركانه؟ وما ارهاصاته؟ ومتى نشأ؟ وكيف تطور؟ وما تعدده؟ وما علاقته بعلم الأصول، والمنطق، والبلاغة؟

المنهج المتبع:

وكان منهجي في البحث وصفيًا استقرائيًا يقوم على الوصف والتتبع، وفي هامش البحث راعيت الاختصار في توثيق هوامش البحث، تاركة التفصيل في ثبت المصادر والمراجع.

ولما كان عنوان البحث: **المصطلح النحوي (نشأته وتطوره . ارتباطاته) عرضاً وتتبعاً**، فقد عرضته في مقدمة، وعرض موضوع، وخاتمة.

أمّا المقدمة فسطرت فيها أهمية المصطلح، والدافع وراء البحث، والمنهج المتبع فيه، والإشارة إلى بعض المصادر والمراجع المستفاد منها.

أمّا الموضوع فعرضته في مبحثين: الأول: ماهية المصطلح، وفيه خمسة مطالب، هي: الأول: مفهومه لغة واصطلاحاً. الثاني: أركانه. الثالث: نشأته. الرابع: تطوره. الخامس: تعدده.

أمّا المبحث الثاني: فسميته بـ المصطلح النحوي والعلوم الأخرى، وفيه ثلاثة مطالب، هي: الأول: المصطلح النحوي بين النحو وأصول الفقه.

الثاني: المصطلح النحوي بين النحو والمنطق.

الثالث: المصطلح النحوي بين النحو والبلاغة.

أمّا الخاتمة فتضمنت أهم نتائج البحث.

المبحث الأول: ماهية المصطلح

المطلب الأول: مفهومه:

المصطلح لغة: ((مصدر اسمي للفعل (اصطلح) من مادة صلح... ودلالة مادة (اصطلح) بمعنى الصلاح ضد الفساد... والاستصلاح نقيض الاستفساد، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه))⁽¹⁾.

اصطلاحاً: المصطلح هو : ((رمز لغوي محدد المفهوم واحد))⁽²⁾. ذكر الجرجاني في كتابه بأنه: ((عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم، ينقل عن موضوعه الأول، أو إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، أو مشابهتهما في وصف أو غيرها))⁽³⁾.

والعلاقة التي تربط بين المصطلح والمفهوم أنّ المصطلح تصور فكري يعبر عنه برمز، قد يمثل موضوعاً مفرداً، ويمكن أن ينشأ من دمج مفاهيم أخرى، أما التصور فيوضع حول الشيء المخصوص، وهو ذو طابع وضعي، ولبيئة النحاة أثر قوي في صناعة المصطلح النحوي، وإنّ المفهوم لا يتصور صورته في الذهن؛ إلاّ إذا تحدد في إطار نظرية علمية، ولولا المفهوم لصعب التمييز بين مختلف المجالات المعرفية؛ لأنّ المفاهيم تختلف من مجال إلى آخر، وإنّ المصطلحات لا تتولد قبل المفاهيم؛ لأنّ المصطلح في العلم ينشأ عن المفهوم⁽⁴⁾. والمفهوم غير المصطلح،

(1) لسان العرب لابن منظور. مادة (صلح).

(2) الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمد حجازي: 11.

(3) كتاب التعريفات: 28.

(4) مقدمة لنظرية المعجم، إبراهيم بن مراد: 80.

وعمل المفهوم يحيل إلى فكرة ما يحكمه المتغير وعدم الاستقرار، في حين أن المصطلح يحكمه الاتفاق بحكم موضوع الاختصاص.

المطلب الثاني: أركان للمصطلح: وهي:

1_ المفهوم: هو الركن الأساس الذي يعتبر نقطة بداية لأي عمل مصطلحي⁽¹⁾.

2_ الرمز اللغوي: هو المفهوم المحدد المعين بطريق لفظ المصطلح، ولا يكتمل إلا بتحقيق أمرين: الدقة العلمية، وهي أن يؤدي المصطلح المفهوم العلمي المقصود منه، وأما الدقة اللغوية في المصطلح فلا تكون إلا بسلامته من الناحية اللغوية.

وأما الرمز النحوي فهو المزود للمعلومات النحوية من خلال تصنيف المصطلح إلى تصنيف الكلام، وتصنيف فصائل نحوية، أما الأول فعناصره وحدات لغوية محددة حسب طبيعتها وهي ما يعرف بأقسام الكلام، وأما الآخر فعناصره صيغ نحوية تتعلق بالمفردة مثل: العدد، والنوع⁽²⁾.

3_ الحد: هو مجموع الصفات التي تكوّن مفهوم الشيء وتميزه عمّا سواه، وهو ما يعرف حديثاً بـ (التعريف) وهو والشيء المعروف سواء، وهما تعبيران أحدهما موجز، والآخر مفصل عن شيء واحد بالذات⁽³⁾.

المطلب الثالث: إرهاباته:

النوع الأول: المصطلح الذي ظهر وبداية نشأة النحو العربي، هو مصطلح العربية الذي يعني لغة البادية الفصيحة، ويشير البحث أنّ عمر بن الخطاب هو من قال به في قوله:

(1) ينظر: المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، إيناس الحديدي: 49.

(2) ينظر: المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، إيناس الحديدي: 49.

(3) ينظر: الموسوعة الفلسفية، عبد الرحمن بدوي 1: 423_ 424.

((تعلموا العربية فإنها تثبت العقل، وتزيد في المرءة))⁽¹⁾، ثم تطور مفهوم مصطلح العربية فشمّل كلّ الدراسات اللغوية من نحو، وصرف، وهذا ما يؤكد عليه أبو عمرو بن العلاء في قوله: ((أخبرني...سميته عربية أي دخل فيها كلام العرب كله؟ فقال: لا، كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهو حجة؟ قال: اعمل على الأكثر، واسمي ما خالفني لغات))⁽²⁾.

وهذا المصطلح لم يكن وحده الذي رافق نشأة المصطلح النحوي؛ وإنّما كان مصطلح الإعراب رديفًا له في هذه الفترة.

أمّا مصطلح الإعراب فهو الإيضاح والبيان، قال مالك بن أنس رضي الله عنه : ((الإعراب حليّ اللسان، فلا تمنعوا ألسنتكم حليها))⁽³⁾.

فالظاهر من قول مالك بن أنس أنّ الإبانة زينة الكلام، غير أنّ هذا المصطلح أصبح رديفًا في دلالاته للنحو، وهذا واضح لأغلب أسماء كتب النحاة، نحو: (إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ت:338هـ) و(سرّ صناعة الإعراب لابن جني 392هـ) و(مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري ت: 761هـ) فالمتابع لأقوال النحاة في هذه الفترة والمدقق في أحكامهم في مختلف أبواب النحو، يقف على إشارات لعدد من المصطلحات التي اكتسبت حياة حتى الوقت الحاضر.

النوع الآخر : المصطلح منذ بداية تكونه، لانعدام الوثائق عن تلك الفترة التي تمثل التأليف النحوي، ويمكن للباحثة أن ترصد مصطلحات صاحبت نشأة النحو العربي من خلال تتبع

(1) طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم : 13.

(2) المصدر نفسه: 39.

(3) طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم : 13.

تطوّر هذا العلم غير أنّ القدامى اختلفوا في من رسم معالم هذا العلم، فقال بعضهم: أبو الأسود الدؤلي، وقال آخرون: نصر بن عاصم، وذهب بعض آخر أنّ عبد الرحمن بن هرمز هو من وضع علم النحو، ولكن أشهر الروايات تفيد أنّ أبا الأسود الدؤلي له السبق في التأليف (1).

ولعل ما ذكره السيرافي عن تكليف زياد ابن أبيه لأبي الأسود الدؤلي من أن يضع علماً يضبط به اللسان العربي من الخطأ، حينما وجّه إليه القول: ((اعمل شيئاً تكون فيه إمام ينتفع النَّاسُ به، وتعرب به كتاب الله فاستعفاه من ذلك حتى سمع قارئاً يقرأ بالجرّ في قوله تعالى: ﴿ أَنْ اللَّهَ بِرِيءٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة:4]. فقال ما ظننت أنّ أمر النَّاسِ صار إلى هذا، فرجع إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير فليبلغني كاتباً لقناً... فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه إلى أعلاه، فإن ضمنت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين)) (2)، والظاهر من عدول أبي الأسود عن طلبه الاستعفاء يدل على أنّ الدافع الديني كان سبباً قوياً وراء ظهور المصطلح النحوي.

والحركات التي تمثّلت في الفتح، والضم، والكسر، والتضعيف، هي مصطلحات أوليّة وضعها الخليل للتفريق بين الحركات المختلفة في اللفظ، و يدل هذا على ذكاء وفطنة وتمكن أبي الأسود في اختيار هذه الحركات لسهولة استخدامها، وإيجازها، وقوة

(1) ينظر: أخبار النحويين البصريين: 5.

(2) المصدر نفسه: 13.

تأثيرها، فعلى هذا تستطيع الباحثة الحكم بأنّ الدلالة الصوتية أساسٌ في وضع المصطلح النحوي؛ لأنّها وصف لحركة الشفتين.

وعلى هذا يكون جهد أبي الأسود من الجهود الأولى التي ربطت الصوت بعضو جهاز النطق عند خروج الحرف من الشفتين، وهذا ما أكدّه ابن سلام الجمحي عندما قال: ((وكان أول من أسس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووضع قياسها، أبا الأسود الدؤلي))⁽¹⁾.

وتابع تلاميذ أبي الأسود الدؤلي ما بدأ به معلمهم، ومنهم: نصر بن عاصم ت:89هـ، وعنبسة الفيل ت:100هـ

وعبد الرحمن بن هرمز ت:117هـ، و يحيى بن يعمر ت:129هـ، نقط المصحف الذي أخذ عنهم، وسمي بنقط الإعجام؛ لأنّه نقط جديد للحروف المعجمة، تمييزاً لها من الحروف المتشابهة، مثل: الباء، التاء، الناء، الدال، والذال⁽²⁾.

وبظهور الإشكال على الفارئ بين نقط الإعراب، ونقط الإعجام توصل الخليل إلى وضع مصطلحات للعلامات الإعرابية، فناسب للألف فتحة صغيرة فوق الحرف، وللواو ضمة صغيرة فوقه، وللياء كسرة صغيرة تحته.

غير أنّ الملاحظ على المصطلح النحوي في هذه الفترة؛ أنّه لم يكن مستقرّاً؛ لأنّ النحو لا يزال في طور النشوء والتطور.

المطلب الرابع: نشأته وتطوره:

(1) طبقات فحول الشعراء: 12.

(2) وفيات الأعيان لابن خلكان 2: 32.

من خصائص اللغة العربية الاتساع، والاشتقاق، والتوليد، والنحت، مما أوجب على النحاة أن يقيدوا الأحكام النحوية، فيرمزون إليها برموز تدل عليها في ألفاظ مختصرة، وسموها بـ (المصطلح النحوي)، غير أن حلقات الدرس التي دار فيها الحوار حول الأحكام النحوية التي طال فيها النقاش، واحتاجت تقييد عباراتها حتى تصل إلى ثمره الحوار والنقاش، وتكون دافعاً قوياً يسهم في نموه وتطوره، فعلى سبيل المثال لا الحصر ما أورده أحد الباحثين⁽¹⁾ عن المصطلحات التي تتسم بالطول عن الباب الذي وضعت له من قبل، والتي سميت بالمصطلحات الميتة⁽²⁾، كما جاء في كتاب سيبويه من تغيير في المصطلحات المتسمة بالطول.

وأسهم في ظهور علم النحو ولا سيما المصطلح النحوي مجموعة من العلماء على رأسهم الخليل بن أحمد (ت: 175هـ) الذي كانت له إسهامات في تطوّر المصطلح النحوي تمثلت في تطوّر العلامات التي أضافها في آخر الكلمة، من صورة النقطة إلى الحركة، وصورة النقطتين إلى التضعيف، وإنّ علامات الخليل على آخر الكلمة اتسمت بالاستقرار منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا، كما لاحظ الخليل أنّ لكلام العرب نسقاً يطرد على قواعد محكمة، فوقف على هذه القواعد مستقراً من سماع فصيح اللغة، وعلى توضيح علل أقيستها، وإبراز العوامل المؤثرة في إعرابها، وظهر ذلك في نشاطه في عدد من المصطلحات، مثل: الرفع، والتوجيه، والإشمام، والنصب، والخفض، والجزم، والحشو، غير أنّ الخليل ترك معجماً

(1) ينظر: عوض القوزي، المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري : 148.

(2) مثل: الحروف العاملة، كانت تسمى حروف الإعراب، واستعمال الحركات بدل أواخر الكلم. المرجع نفسه: 148.

ضحماً سماه (العين) ضم ذخيرة من مصطلحات نحوية كثيرة، وكانت متناثرة في معجمه، مما يدل على أنه لم يكن يقصد التأليف في المصطلح (1).

أمّا الناظر في كتاب سيبويه فيرى حشداً كبيراً من المصطلحات النحوية التي صيغت بعبارات طويلة في عناوين الأبواب خالية من الإيجاز، تتضمن مفهوماً مصطلحياً نحويّاً نحو قوله: ((هذا باب من اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول في المعنى، فإذا أردت فيه من المعنى ما أردت في يَفْعَلْ كان نكرة منوناً)) (2)، ونحو قوله: ((هذا باب ما ينتصب فيه المصدر كان فيه الألف واللام أو لم يكن فيه على إضمار الفعل المتروك إظهاره؛ لأنّه يصير في الإخبار والاستفهام بدلاً من اللفظ، كما كان الحذر بدلاً من احذر في الأمر وذلك قولك: ما أتت إلاً سيراً)) (3) غير أنّ الكتاب تضمن مصطلحات أخرى اتسمت بذكر أقسامها مثل: ((فالكلم اسم وفعل وحرف فجاء لمعنى ليس باسم ولا فعل)) (4) ويتناول سيبويه المصطلح النحوي في وضع الحدِّ للاسم عندما قال: ((الاسم رجل وفرس وحائط)) (5) غير أننا نجد في مواضع أخرى استعمالاً للمصطلح النحوي فيه من الدقة والاستقرار في معالجة أحوال أواخر الكلم (6).

(1) ينظر: مقدمة معجم العين.

(2) الكتاب 1: 124.

(3) نفسه 1: 335.

(4) الكتاب 1: 12.

(5) نفسه 1: 104.

(6) ينظر: المصدر نفسه 2: 183.

ويظهر البحث أنّ المصطلح النحوي في هذه الفترة لا يزال قيد النضج والتطور والارتقاء، ولم يصل إلى مرحلة الاستقرار.

المطلب الخامس: تعدده:

مرّ المصطلح النحوي بمراحل عدة انعكس من خلاله أثره على الدرس النحوي، من حيث ثبات المصطلح، واستقراره، وتغيره، وتبدله في الدلالة، وتعدده في المسائل النحوية غير أنّ التبدل والتغير في دلالة المصطلح لا يعم أغلب المصطلحات لمعاني مدلولاتها، كالرفع، والنصب، والجرّ، وغيرها من المصطلحات التي اكتسبت دقتها في التعبير عن المعنى النحوي الذي وضع له منذ القديم حتى الوقت الحاضر، نحو: الكسرة، والضمّة، والفتحة، والسكون، والتضعيف..

والملاحظ أنّ المصطلح النحوي قد اختلف مفاهيمه الاصطلاحية باختلاف المذهب النحوي، الذي يستعمله أصحابه سواء أكانوا بصريين، أم كوفيّين، غير أنّ هذا الخلاف الاصطلاحى علاقته طردية بين المذهبين، وهذا راجع إلى اختلاف نظري بينهما في تحديد المصطلحات التي تختزل منها التسميات⁽¹⁾.

ويظهر البحث الاختلاف في أثر تعدد المصطلح بين المذهبين بالوقوف على بعض من نماذج :

أولها: اختلاف دلالة المصطلح بين المذهبين نحو: [ضمير العماد، المجهول، واو الصرف].

(1) ينظر: المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، توفيق قريرة: 57.

ف (العماد) عند البصريين هو ضمير الفصل، نحو: فلان هو الأجل. فكلا المصطلحين يشتركان في هذا النوع من الكلم في الجملة؛ إلا أنّهما يختلفان في تدقيق النوع نفسه، فيرى البصريون أنّ ضمير الفصل جاء لفصل الاسم الأول عمّا بعده.

أمّا الكوفيون فاختروا له مصطلحاً يدل على معنى التقوية والدعم؛ لإفادة تأكيد الضمير المذكور جيء به (عماد الاسم الأول) وهو المبتدأ لتقويته (1).

أمّا مصطلح (المجهول) فلقّبهُ البصريون بثلاثة ألقاب، ضمير الشأن، ضمير الحديث، ضمير القصة؛ لأنّه يعود على الشأن، أو الحديث، أو القصة.

أمّا الكوفيون فاعتمدوا مصطلح (المجهول) لكونه لم يتقدم عليه ما يعود إليه (2).

آخرها: اعتماد السياق في الحكم بالتسمية الاصطلاحية، فقد اعتمد الكوفيون لمصطلح (ترجمة وتبيين) للدلالة على البدلية فيهما، ويؤكد سيبويه على هذه البدلية قائلاً: ((رأيت قومك أكثرهم، ورأيت بني زيد تلتئيمهم به... على أنّ أراد رأيت أكثر قومك، ورأيت تلتئي قومك، ولكنّه ثنى الاسم توكيداً)) (3).

وعلى هذا أنّ في البديل ما في معنى التوكيد من تكرير جعل الكوفيين يصطلحون على استعمال مصطلح التكرير (4).

(1) ينظر: ينظر: المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، توفيق قريرة: 59.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 61.

(3) الكتاب 1: 150.

(4) ينظر: المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب: 63.

أما مصطلح الإعراب والبناء فالكوفيون لا يفصلون بينهما، والبصريون يفصلون بينهما تمييزاً؛ للألقاب التي يتبعها التتوين من التي لا يتبعها (1).

كما أسهم تعدد المصطلح في كثير من المسائل النحوية، ارتكزت في أساسها على فكرة العامل، فيرى الكوفيون أنّ المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ، فهما مترافعان، أمّا البصريون فيرون أنّ المبتدأ مرتفع بالابتداء، أو بالمبتدأ، أو بالابتداء والمبتدأ، كما يرون أنّ الفعل المضارع مرتفع؛ لاحلاله مقام الاسم، غير أنّ الكوفيين يذهبون في رفعه لتعريفه من عوامل النصب والجزم (2).

من خلال استعراض تعدد المصطلح تلاحظ الباحثة أنّ المدرسة البصرية لها السبق في الطرح المصطلحي، الذي تميز بالدقة والتحديد، وأنّ ظهور التعدد المصطلحي وإشكاليات مفهومه، يرجع إلى اختلاف المدرستين في دلالة المصطلح.

المبحث الثاني: المصطلح النحوي والعلوم الأخرى

المطلب الأول: المصطلح النحوي بين النحو وأصول الفقه:

لقد استفاد المصطلح النحوي من علم أصول الفقه في الدرس النحوي، في عدد من المصطلحات منها: الأمر، والنهي، والاستثناء، وبعض حروف المعاني، والنسخ، والتعدية، والتعليق، والعلة، والابتداء، والشرط، والحال، والواجب، والمانع، والسبب، والرخصة، والجائز، نستعرض منها على سبيل المثال لا الحصر.

(1) ينظر: المدارس النحوية : 196.

(2) ينظر: المدارس النحوية أسطورة وواقع، إبراهيم عبود السامرائي: 62_ 64.

1_ الأمر: فالأمر عند النحاة: ((الأمر: واحد الأمور، يقال: أمر فلان مستقيماً، وأموره مستقيمة، وأمرته بكذا أمراً، والجمع الأمور))⁽¹⁾، والأمر بمعنى الحال، جمعه أمور ﴿ وَمَا أَمْرٌ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴾ [هود:97]، والأمر بمعنى الطلب، وهو ((كلُّ فعل دال على طلب حصول الشيء في المستقبل عن طريق الصيغة، لا عن طريق لام الأمر))⁽²⁾، وللأمر عند النحويين صيغ متعددة: (3) أن يكون بصيغة افعال كقوله تعالى: ﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [الحج: 78]، أو يكون بصيغة الفعل المضارع المقرون بلام الأمر، قال تعالى: ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ ﴾ [الطلاق: 07]، أو يكون بصيغة اسم فعل مثل قوله تعالى: ﴿ هَيْتَ لَكَ ﴾ [يوسف: 23]، أو يكون بصيغة المصدر النائب عن الفعل كقوله تعالى ﴿ فَأِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [محمد: 4]، أو يكون جملة خبرية يراد بها الطلب كقوله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ ﴾ [البقرة: 233].

أمَّا حدّه عند الأصوليين هو ((اللفظ الموضوع لطلب الفعل على سبيل الاستعلاء، ويتحقق بالفعل بصيغة الأمر (افعل)، أو بالجُمْل الخبرية التي يقصد بها الأمر والطلب لا الإخبار))⁽⁴⁾، وعرفه الغزالي أنّه ((القول المقتضى طاعة المأمور بفعل المأمور به))⁽⁵⁾، وللأمر عند الأصوليين صيغ متعددة⁽¹⁾، الوجود كقوله تعالى: ﴿

(1) الصحاح، للجوهري، مادة (أمر).

(2) معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد اللبدي: 12_13.

(3) الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد الأفغاني: 78.

(4) مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، لابن الحاجب 644.

(5) المستصفي 2: 61.

وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴿ [البقرة: 44]، والندب كقوله تعالى: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: 33]، والإرشاد كقوله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ [البقرة: 283]، والإباحة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة: 02]، والتأديب كقول ابن عباس: (كُلُّ مِمَّا يَلِيكَ) ، والامتنان كقوله تعالى ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأنعام: 142]، والإكرام كقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: 46]، والتهديد كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: 40]، والتسخير كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾ [البقرة: 67]، والإهانة كقوله تعالى: ﴿نُقُ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: 49]، والتسوية كقوله تعالى: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾ [الطو: 16]، والإنذار كقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾ [المرسلات: 46].

2_ أَمَا النهي فهو الزجر عن الشيء بالفعل أو بالقول (2)، وعند النحاة جعله سيئويه نقيضاً للأمر، قال: ((لا تضربُ نفيُّ لقوله اضربُ)) (3)، ومعنى ذلك أنَّ الأمر إيجابٌ، والنهي سلبٌ، قال الرضي عن صيغة قول القائل: (لا تؤاخذني)، في نحو: اللهم لا تؤاخذني بما فعلت، نهى في اصطلاح النحاة، وإن كان دعاء في الحقيقة (4).

(1) أصول السرخسي 1: 14.

(2) ينظر: الكليات للكفومي. 903.

(3) الكتاب 1: 136.

(4) ينظر: شرح الشافية 2: 267.

أمّا النهي عند الأصوليين فهو المنع، وهو طلب المتكلم من المخاطب الكف عن فعل الشيء، والأصل فيه أن يصدر ممن هو أعلى، وإن صدر من المساوي فهو التماس، وإن صدر من الأقل فهو دعاء (1)، ومن مفاهيمه أنه: ((القول الدال على طلب الامتناع من الفعل على جهة الاستعلاء)) (2)، وللنهي صيغ متعددة (3) منها: صيغة النهي المعتادة، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [الأنعام: 152]، ولفظ التحريم كقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُ وَالْحَمُّ الْخُنْزِيرُ... ﴾ [المائدة: 03]، أو نفي الحلّ كقوله تعالى ﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا ﴾ [البقرة: 229]، والأمر الدال على الترك كقوله تعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ [الحج: 30].

3_ النسخ في اللغة: المحو والإزالة، يقال: نسخت الشمس الظل، إذا أزالته (4).

أمّا النسخ عند النحاة فمعناه رفع حكم المبتدأ والخبر، والاتيان لهما بحكم جديد بسبب دخول أحد النواسخ عليهما (5).

أمّا النسخ عند الأصوليين فهو: ((إبطال العمل بالحكم الشرعي بدليل متراخ عنه، يدل على إبطاله صراحة أو ضمناً... أو هو إظهار دليل لاحق نسخاً ضمناً العمل بدليل سابق)) (1).

(1) معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد اللبدي 232.

(2) مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، للتلمساني: 44.

(3) ينظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني 1: 278.

(4) القاموس المحيط (نسخ).

(5) ينظر: قطر الندى، لابن هشام: 176.

4_ **التعليق عند النحويين** بحث متعلق بظن وأخواتها، وهو ترك عملها، أي عدم مباشرتها للمفعولين، وذلك إذا وقع أحد هذه الأفعال قبل شيء له الصدر وذلك أن يقع قبل (ما) النافية... أي قبل قَسَمَ ملفوظ، أو مقدر... أو قبل (لام الابتداء)، أو (لام جواب القَسَم... أو وقع قبل الاستفهام... وقد سمي هذا الإلغاء اللفظي لا المحلي، تعليقاَ تشبيهاً للفعل بالمرأة المعلقة (2).

أما **التعليق عند الأصوليين** فمبني على تعليق المرأة، والمرأة المعلقة هي الأرملة التي فقدت زوجها، أو المطلقة ولم تستوف عدة النكاح، فلا هي متزوجة، ولا هي تستطيع تزويج نفسها؛ فهي معلقة قال تعالى: ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ [النساء: 129].

المطلب الثاني: المصطلح النحوي بين النحو والمنطق:

اهتم المناطقة بالجانب العقلي في مفهوم المصطلح أولاً، قبل اهتمامهم باللفظ الدال على المعنى، أما النحاة فاهتموا بالألفاظ الموصلة إلى المعنى؛ لأنَّ النحاة يتعاملون مع الواقع اللغوي، وليس مع النظر العقلي، وبعد استقرار القواعد النحوية وتأليف الكتب النحوية اهتم عدد من علماء النحو باستعمال مصطلحات العلوم الأخرى، كالفقه، والمنطق، والكلام، ولاسيما في القرن الرابع وما بعده، وأثر علم المنطق في النحو واضح، وبخاصة فيما يتعلق بعدد من المصطلحات منها: (الحدود والتعريفات، والمفرد، والمركب، والخبر، والفاعل، والصفة، والجنس، والقياس، والعلقة) أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

(1) ينظر: الموافقات للشاطبي 3: 104.

(2) أوضح المسالك، لابن هشام 2: 56_58.

1_ الحدُّ عند النحاة هو المعرف للشيء المميز له عن عده، وذلك بأن يكون جامعاً لأفراده، مانعاً من دخول غيره فيه، ولهذا قال الرضي: ((شرط الحد أن يكون جامعاً مانعاً))⁽¹⁾، ومما يشترط للحد ألا يتضمن لفظاً مبهماً؛ لأنَّ وظيفة المعرف (الحد) هو التوضيح والبيان، وقد استعمل الجرجاني هذا المعنى في المقتصد عند كلامه عن مواضع التفريق بين كسر همزة إنَّ وفتحها إذ يقول: ((أعلم أن الحد في الكسر والفتح أنَّ الموضوع إذا اختص بأحد القبيلين الفعل، أو الاسم، وجب الفتح؛ فإذا لم يختص بأحدهما وصلح لهما وجب الكسر))⁽²⁾، فالحد بمعنى المعرف، أو الفاصل بين الشئيين اللازم التعريف بهما، فشرط الحد عند النحاة هو التوضيح والتمييز والبيان لا غير، سواء أكان بذكر أوصافه المميزة، أم بذكر جميع أفراده على طريقة الحصر.

أمَّا عند المناطقة فهو قول دال على ماهية الشيء، وهو إمَّا تام، أو ناقص؛ لأنَّه إنَّ كان بالجنس والفضل القريبين فهو حدُّ تام، وإنَّ كان بالجنس البعيد والفضل القريب فهو حدُّ ناقص، والمقصود بالماهية مجموع الذاتيات التي بها قوام الشيء⁽³⁾، فمثلاً ذاتية الإنسان هي الحيوانية، والنطق، أي بمعنى: الحياة والفكر، ومعرفة ذاتيات الأشياء أي: حقائقها أمر مستحيل، أو عسير في عموم المحسوسات والمعاني.

(1) شرح الرضي على الكافية 1: 45.

(2) المقتصد في شرح الإيضاح 1: 418.

(3) ينظر: معيار العلم في المنطق 266.

ومصطلح الحدّ يختلف عن مصطلح التعريف عند علماء المنطق؛ لأنّ التعريف ما يميز المعرف بأي شيء كان، فعندما يقولون (يعرف) فيقصّدون تمييز المُعرّف وتوضيحه بأي شيء كان، سواء كان بالذاتية أم بالعرضية (1)، ولقد تشرب بعض النحاة مفهوم المصطلح النحوي (الحدُّ) من المناطقة في كتبهم حيث قال ابن يعيش: ((اعلم أنّهم إذا أرادوا الدلالة على حقيقة الشيء وتميزه عن غيره تمييزاً ذاتياً، حدوه بحدٍ يحصب لهم الغرض المطلوب، وهذه طريقة الحدود أن يؤتى بالجنس القريب، ثم يقرن به جميع الفصول، فالجنس يدل على الجوهر المحدود دلالة عامة، والقريب منه أدل على حقيقة المحدود دلالة خاصة)) (2).

2_ **الفاعل عند النحاة** هو ما أسند إليه الفعل المبني للمعلوم مقدماً عليه، فالفعل المنفي يرتفع الاسم بعده، على أنّه فاعل، وإن لم يقم بالفعل مثل: ما خرج زيد وإذا قلنا (أيقوم زيد) بالاستفهام من المخاطب ف (زيد) فاعل وإن لم نثبت له القيام، والفاعل قد يحدث شيئاً وقد لا يحدثه (3)، وهو مصطلح له دلالة خاصة، فقد يكون هو القائم بالفعل، وقد لا يكون، فالنحاة ينظرون إلى الفاعل من منظار الشكل، وهو أن يسبقه فعل مبني للمعلوم، ويكون الاسم بعده مرفوعاً على طريقة الإسناد إليه، وأكدّ قول ابن يعيش في كتابه حيث قال: ((اعلم أنّ الفاعل في عرف النحويين كل اسم ذكرته بعد فعل، وأسندت ذلك الفعل إلى ذلك الاسم، ولذلك كان

(1) رسالة الآداب في آداب البحث والمناظرة 50_52.

(2) شرح المفصل 1: 81.

(3) التوقيف على مهمات التعريف، المناوي: 548.

في الإيجاب والنفي سواء... إذ ليس من شرط الفاعل أن يكون موجداً للفعل، أو مؤثراً فيه ((⁽¹⁾.

وأما الفاعل عند علماء المنطق هو من أحدث شيئاً، ويقصدون به المحدث شيئاً وهو مصطلح نحوي قائم على النظر العقلي، مثلاً: قام زيد، فاعل في اللفظ والمعنى، وفي مات زيد، وقامت السموات والأرض، فاعل في اللفظ دون المعنى.⁽²⁾

فالفاعل كمصطلح نحوي يختلف عن الفاعل في النظر العقلي عند علماء المنطق؛ لأنَّ نظر النحاة إلى الألفاظ أولاً، أمَّا عند علماء المنطق فالنظر إلى المعنى.

3_ **الصفة عند النحاة، النعت، وهو ((التابع المكمل متبوعه ببيان صفة من صفاته ... أو من صفات ما تعلق به))**⁽³⁾، والنعت والصفة يكونان مشتقين، أو مؤولين بمشتق عند جمهور النحاة، وكذا يصح أن يكون النعت جملة وتكون مؤولة بالنكرة⁽⁴⁾ نحو: (كريم، عالم)، فهذه كلها دالة على ذات موصوفة بالكرم، أو العلم، فالصفة هي الموصوف عند النحاة من حيث الواقع الخارجي، فهما في الخارج شيء واحد.

(1) شرح المفصل 1: 74.

(2) ينظر: الكليات، الكفومي 675.

(3) شرح ابن عقيل 3: 191.

(4) ينظر: المقتضب 3: 49.

أمّا الصفة عند المناطقة فلا تتحد مع الموصوف؛ لأنّ الصفة من عوارض الذات، فالعلم، والقدرة، والإرادة، صفات، وأوصافها هي العالم، والقادر، والمريد، فبينها تغايّر في الحقيقة عند المناطقة، وعلماء الكلام (1).

ووضّح ابن جني مفهوم الصفة، والموصوف المخالفة لطريقة النحاة، فقال: ((وليس يريد النحويون بالصفة ما يريد المتكلمون فيها من نحو القدرة، والعلم، والسكون، والحركة؛ لأنّ هذه الصفات غير الموصوفين بها، ألا ترى أنّ السواد غير الأسود، والعلم غير العالم، والحركة غير المتحرك)) (2)، والصفة والموصوف غير متفتتي المعنى؛ لأنّ الصفة من عوارض الذات، ولذا اختاروا الذات بدلاً من الاسم، فالمناطقة، وعلماء الكلام لا يقولون: اسم معرفة، أو نكرة؛ بل يقولون ذات نكرة، أو ذات معرفة، والجملة _ عندهم _ لا تتصف بهذه الصفات (3).

4_ المفرد عند النحاة هو ما لا يدل جزؤه على جزء معناه، ولا على غيره من حيث هو جزء له (4) نحو (زيد)، فإنّه يدل على المسمى، ولو أُفردَ حرفٌ من لفظ زيد، ك(الزاي) مثلاً، لم يدل على المعنى، ممّا يدل هو عليه، قال الجرجاني في هذا الصدد: ((المفرد هو الجزء الواحد، نحو: أخوك، وضارب، وخارج)) (5).

(1) ينظر: الكليات: 546.

(2) سرُّ صناعة الإعراب 1: 41_42.

(3) ينظر: معيار العلم في المنطق: 94_97.

(4) ينظر: شرح المفصل 1: 19.

(5) المقتصد في شرح الإيضاح، عبد الفاهر الجرجاني 1: 218.

وذكر الكفومي تعريف المفرد ونسبه إلى النحاة، فقال: ((هو الملفوظ بلفظ واحد بحسب الحرف، إذ نظرهم في اللفظ من حيث الإعراب والبناء)) (1) ، والمفرد عند النحاة يطلق باعتبارات عديدة، يرى ابن الحاجب له ثلاثة اعتبارات (2) ، وهي: المفرد المقارب للمركب، ويقصد به ما ذكر في تعريف الكلمة، والمفرد المقابل للمثنى والمجموع، والمفرد المقابل للمضاف، والشبيه بالمضاف، وهو الذي يذكر في باب المنادى، واسم لا النافية للجنس.

أمّا عند المناطقة؛ فهو الذي لا يراد بالجزء منه دلالة على شيء أصلاً هو جزؤه كقولك: عيسى، وإنسان، فإنّ جزأي عيسى (عي) (سى)، وجزأي إنسان هما: (إن) (سان) ما يراد بشيء منهما الدلالة على شيء أصلاً (3) ، فمثلاً عبد الله _ ونحوه من الأعلام المركبة المضافة _ حين إطلاقه علماً مفرداً، وليس مركباً، وهذا ما قال به علماء المنطق، فكل علم على ذات مفرد سواء بلفظ واحد، أو أكثر، وغيره من المركبات، مثل: سيبويه، وتأبط شراً، وغيرها من المركبات إذا سُمي بها، فالمفرد عند المناطقة أن لا يدل جزء اللفظ على جزء المعنى المطابقي حين الإطلاق، ويقصدون بالمعنى، الذاتيات المقومة للذات (4).

المبحث الثالث: المصطلح النحوي بين النحو والبلاغة:

(1) الكليات: 829.

(2) ينظر: أمالي ابن الحاجب: 105.

(2) معيار العلم في المنطق: 77.

(3) ينظر: المستصفي في علم الأصول: 1: 18.

(4) ينظر: المستصفي في علم الأصول: 1: 18.

أضحت العلاقة بين النحو والبلاغة علاقة وصل وربط بين العلمين، وبخاصة في علم المعاني، فعند النظر في مباحث هذا العلم نجد بعضاً من مباحثه تدرس في علم النحو؛ غير أنَّ البلاغيين قد أخذوها بطريقة مغايرة لطريقة النحاة في عرضها، فالنحوي يدرس هذه الأحوال من حيث الجواز، والوجوب، والامتناع، أي: من جهة الحكم، وإمكان الاستعمال.

أمَّا البلاغي فيدرس الأسرار الكامنة وراء هذه الأحوال؛ لأنَّه يدرسها من حيث كونها مطلباً بلاغياً يقتضيه المقام، ويتطلبه حال المخاطب.

وأثر علم البلاغة في النحو واضح وبخاصة فيما يتعلق بعدد من المصطلحات منها: (التقديم والتأخير في المسند إليه، والحذف والذكر، والفصل والوصل، والتعريف والتكثير، ومتعلقات الفعل المراد بها، وأحوال الإسناد الخبري، وأحوال المسند) نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

1_ أحوال الإسناد الخبري عند النحويين؛ هو الاسم المرفوع المسند إليه إلى المبتدأ، وهو الذي يكمل الجملة، وينقسم عند النحاة إلى ثلاثة أقسام: (1)

مفرد، وجملة، وشبه جملة، فقد يأتي اسماً ظاهراً، وجملة اسمية، أو فعلية، وشبه جملة فيأتي جاراً ومجروراً، أو ظرف زمان، أو ظرف مكان، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ [الإسراء: 44].

أمَّا عند البلاغيين فيرتبط بمقتضى الخبر؛ فإن كان لا يعلم به سُمي الخبر (فائدة الخبر)، وإن كان يعلم به سُمي (لازم فائدة الخبر) (1) فمثلاً: قام محمد، فكلمة

(1) ينظر: مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني 1: 27.

(قام) أسندت إلى كلمة محمد، حيث يسمى محمد مسنداً إليه، أو محدثاً عنه؛ أمّا (قام) يسمى مسنداً أو حديثاً، وتسمى النسبة بينهما إسناداً⁽²⁾.

2_ **الفصل والوصل؛** عند النحاة (بالواو) ويسمى الواو حرف مَدٍّ، إذا سكن، وَضُمَّ ما قبله، مثل: يصوم، أمّا إذا سُكِنَ ما قبله فهو حرف لين، مثل: الصوم، فالواو العاطفة لها معان كثيرة، منها: أن تأتي بمعنى مطلق الجمع⁽³⁾، فتعطف الشيء على مصاحبه، نحو قوله تعالى: ﴿ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت: 15]، وعلى سابقه نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: 26]، وعلى لا حقه قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعْيِ ﴾ [الشورى: 7] فالجمع هو الضم، فالواو العاطفة تفيد الجمع دون النظر إلى ترتيب، أو معية، وأنّه إذا قيل: جاء زيد وعمرو يحتمل ثلاثة أوجه: للمعية فقط دون الترتيب، أو على الترتيب الظاهر، مثل: جاء زيد وعمرو، زيدٌ أولاً ثم عمرو أو العكس، عمرو أولاً ثم زيد هذا من حيث الإطلاق؛ أي: إطلاق الجملة وتشريك عمرو مع زيد في الحكم الذي هو الإعراب، وفي المعنى الذي هو إثبات المجيء لعمرو، كما أثبت لزيد، وهذا هو المراد بمطلق الجمع⁽⁴⁾.

(1) التلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني: 40_ 41.

(2) ينظر: علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح بسيوني 1: 35.

(3) الجنى الداني في حروف المعاني، للمراي 1: 100. وينظر: مغني اللبيب 2: 349.

(4) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي 1: 26.

أمَّا الفصل والوصل عند البلاغيين، فالقصد بالوصل عطف جملة على أخرى بالواو، والفصل ترك هذا العطف (1)، والوصل (بالواو) دون غيرها من حروف العطف، ويحتاج العطف بها إلى لطف في الفهم، والدقة في الإدراك؛ إذ أنها لا تدل إلاً على مطلق الجمع والاشترک. أمَّا غيرها من حروف العطف فتفيد معاني أخرى، كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والترتيب 111

ومن الوصل نحو: لا وبارك الله فيك، إجابة لمن قال: هل لك حاجة أساعدك في قضائها؟ ففي المثال الأول جملة خبرية، وفي الثانية إنشائية، ولو فصلت الثانية عن الأولى لتوهم السامع أنك تدعو عليه، في حين أنك تقصد الدعاء له؛ ولهذا وجب العدول عن الفصل إلى الوصل (2).

وللفصل مواضع أن يكون بينهما اتحاد تام، وذلك بأن تكون الجملة الثانية توكيداً للأولى، أو بياناً لها، أو بدلاً منها، أو يكون بينهما تباين تام؛ وذلك بأن تختلفا خبراً وإنشاءً، أو بالألّا تكون بينهما مناسبة ما، ويكون بينهما مناسبة كمال الانقطاع، وأن تكون الثانية جواباً عن سؤال يفهم من الأولى، ويكون بين الجملتين شبه كمال الاتصال، ويجب الوصل بين الجملتين إذا قصد اشتراكهما في الحكم الإعرابي، وذلك إذا اتفقتا خبراً، أو إنشاءً، وكانت بينهما مناسبة، وكذلك إذا اختلفا خبراً وإنشاءً وأوهم الفصل خلاف المقصود (3).

(1) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح 1: 55.

(2) ينظر: جواهر البلاغة، الهاشمي 1: 09.

(3) ينظر: بغية الإيضاح 2: 60_63.

3_ يعد التقديم والتأخير عند النحاة أسلوباً من أساليب التعبير العربي الفصيح، ممّا جعل الباحثين من نحاة وبلغاء يقفون على هذه الظاهرة، ويؤلّونها اهتماماً، فجعلوا لها ضوابط حتى لا يعدل عنها، واعتبروا الالتفات عن رتبها خرقاً لهذه القواعد العربية.

فمصطلح التقديم والتأخير قد تناوله أوائل النحاة واللغويين، فابن جنى قد ذكره في كتابه وجعله في ضربين: ((أحدهما ما يقبل القياس، والآخر ما يسهله الاضطرار كما بيّن ما يجوز تقديمه، وما لا يجوز))⁽¹⁾.

وهذه الظاهرة شملت الجملتين الاسمية، الفعلية، ففي الجملة الاسمية تضمنت حالات وجوب تقديم المبتدأ، وحالات وجوب تقديم الخبر، وحالات الابتداء بالنكرة.

أمّا في الجملة الفعلية فتضمن تقديم الفعل عن الفاعل ونائبه، والمفعول به في حالتيه: الوجوب، والجواز، والمتعدي لأكثر من مفعول به، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ب وجوب تقديم الخبر، فقد ذكره النحاة في مواضع⁽²⁾:

الوجوب، والجواز، والمتعدي لأكثر من مفعول به، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ب وجوب تقديم الخبر، فقد ذكره النحاة في مواضع⁽³⁾:

1_ إذا كان المبتدأ نكرة مختصة لا مسوغ للابتداء به؛ إلاّ تقدم الخبر المختص، قال تعالى: ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ [البقرة: 07]، فغشاة مبتدأ مؤخر غير مختص، لا

(1) الخصائص 2: 382_383.

(2) مفتاح العلوم، السكاكي: 58.

(3) مفتاح العلوم، السكاكي: 58.

يجوز تقديمه على الخبر، ولو تأخر عنه لتوهم أنه صفة؛ لأنَّ الجُمْل وشبهها بعد النكرات صفات، فوجب تقديم الخبر.

2_ أن يكون المبتدأ محصوراً بـ (إلاً) نحو قوله تعالى: ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [المائدة:99]، فإنَّ الجار والمجرور (على الرسول) خبر مقدم، و(البلاغ) مبتدأ مؤخر.

3_ إذا اتصل المبتدأ بضمير يعود على الخبر نحو قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: 24]، أفعالها مبتدأ مؤخر، وعلى قلوب خبر مقدم، ولا يجوز تأخير الخبر؛ لئلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبةً.

4_ أن يكون الخبر مما له الصدارة في الكلام كما في قوله تعالى: ﴿مَتَى نَصُرُ اللَّهَ﴾ [البقرة:214]، ف(متى): اسم استفهام تضمن معنى الظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، ولا يجوز تأخيره؛ لأنَّ الاستفهام له الصدارة في الكلام.

أمَّا مصطلح التقديم والتأخير عند علماء البلاغة فقد ذكره عبد القاهر الجرجاني مخصصاً له فصلاً كاملاً سماه التقديم والتأخير، قائلاً: ((هو باب كثير الفوائد، جمَّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية...ثمَّ تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ من مكان إلى آخر))⁽¹⁾ ، ومن خلال نص الجرجاني عن التقديم والتأخير، يقر له لذة وحسناً في الكلام، والتقديم عنده نوعان:

(1) كتاب دلائل الإعجاز، الجرجاني:106.

أحدهما أن يكون على نية التأخير، كالخبر إذا قُدِّم على المبتدأ، والمفعول إذا قُدِّم على الفاعل، مثل: (منطلق زيد) و(ضرب عمراً زيد)، نجد أن لفظي: (منطلق_عمراً) لم يخرجاً عما كان عليه؛ وإنما بقيا على حالهما (1).

والآخر أن يكون على نية التقديم، نحو: (ضربت زيداً وزيدٌ ضربته)، فهنا قُدِّم المفعول، ولكن لم يبق منصوباً، وإنما رُفِع بالابتداء.

وعلى هذا الأساس يتضح أن النوع الأول تحتفظ بحقها الإعرابي، وأما في الوجه الآخر فلأمر مختلف حيث تتبدل المواضع الإعرابية، فيصبح المبتدأ خبراً، والخبر مبتدأ (2).

ومن أغراض التقديم تقديم المسند إليه هي: تقديم المسند إليه لتعجيل المسرة، وبغرض التبرك بالاسم، والتشويق إلى المتأخر إذا كان مشعراً بغرابة، وأن النص على سلب العموم، ولو تقدمت أداة العموم وتأخرت أداة النفي فيسمى عموم السلب، وبغرض تقوية الحكم وتقديره، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَلَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة:113]، فالمسند إليه تقدم، والمتمثل في لفظ الجلالة (الله) حيث تقدم على الخبر الفعلي وهو (يحكم)؛ ولكنه غير مسبوق بنفي؛ لأن الله ﷻ هو الذي يفصل بين الناس بالعدل والقسط، ولذلك فالمسند إليه مقصور عليه وتقدم بغرض تخصيصه، وشموله، وعودة الحكم إليه (3).

(1) كتاب دلائل الإعجاز: 106.

(2) المصدر نفسه: 106.

(3) بغية الإيضاح: 1: 90.

4_ متعلقات الفعل عند النحاة؛ هي ما يتصل بالفعل، وما يتعلق من فاعل ومفعول، وجار ومجرور، وظرف، ومصدر، وحال، وتمييز⁽¹⁾.

أمّا عند البلاغيين فيقصد بها: التخصيص، والتبرك، والتلذذ، ومراعاة الفاصلة⁽²⁾، نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، تقدم المفعول ﴿إِيَّاكَ﴾ على الفعل ﴿نَعْبُدُ﴾؛ لإفادة التخصيص لله ﷻ بالعبادة والطاعة له.

وعلى ما تقدم في الخصوص يكون مفهوم المصطلح بين النحو والبلاغة متفقاً في اللفظ، مختلفاً في الدلالة والتطبيق.

الخاتمة

1_ إنّ الدافع من وراء ظهور أوليات المصطلح النحوي كان دافعا دينيا، والحركات التي توصل إليها الخليل بن أحمد ثابتة ومستقرة منذ ظهور المصطلح حتى الوقت الحالي.

2_ من جهود أبي الأسود أنّه ربط حركة الصوت بعضو جهاز النطق عند خروج الحرف من الشفتين، فكانت الدلالة الصوتية أساساً في وضع المصطلح النحوي.

3_ ولكتاب سيبويه دور كبير في توثيق المصطلح من حيث ذكرها في الكتاب حتى وإن كانت متفرقة، وأن المصطلح في هذه الفترة لا يزال قيد النضج والتطور.

(1) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الميداني 1: 293.

(2) ينظر: جواهر البلاغة، السيد أحمد الهاشمي: 163.

4_ أن تعدد المصطلح له دور في الانعكاس على الدرس النحوي من حيث استقرار المصطلح، وتغييره، وتبدله في الدلالة على المسائل النحوية غير أن هذه الصفات هذه الصفات لم تعم أغلب المصطلحات كالنصب، والرفع، الجزم، وغيره من المصطلحات التي اكتسبت دقتها في التعبير عن المعنى النحوي.

5_ أن مفاهيم المصطلح النحوي الاصطلاحية اختلفت باختلاف المفاهيم النحوية من حيث المدرستين: البصرية، والكوفية.

6_ عرض البحث مصطلحات مشتركة بين الأصوليين والنحاة، أبرزها الأمر والنهي، واستعماله عند الأصوليين أشمل وأوسع لاستتباط الحكم الشرعي من النص.

7_ أظهر البحث أثر علم المنطق في المصطلح النحوي ولا سيما فيما يتعلق بعدد من المصطلحات منها شرط الحدّ، فشرطه عند النحاة التوضيح، والتمييز، والبيان، وعند المناطقة القول الدال على ماهية الشيء، فحكم الشرط عند النحاة النظر إلى الألفاظ الموصلة إلى المعاني، والمناطقة إلى المعاني أولاً، وابتداءً.

8_ أبرز البحث قوة العلاقة بين النحو والبلاغة من حيث اتصاله بمباحث من علم المعاني، فالنحاة غايتهم بناء الجملة، والبلاغيون غايتهم المظهر الجمالي في بناء الجملة.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- _ أخبار النحويين البصريين للسيرافي، تح: طه محمد الزيني و محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده_ مصر، ط/1/1995م.
- _ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تأليف محمد بن علي الشوكاني، تح: أحمد عزو، دار الكتاب العربي، ط/1/1999م.
- _ الأسس اللغوية لعلم المصطلح، محمود فهمي حجازي، دار غريب القاهرة مصر.(د. ط. د.ت).
- _ أصول السرخسي، للسرخسي، تح: أبو الوفا الأفغانى، لجنة إحياء المعارف، النعمانية، حيدر آباد الهند.
- _ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لأبي محمد عبد الله جمال الدين عبد الله ابن هشام الأنصاري، الناشر دار الجيل بيروت، ط/5/1979م.
- _ الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح وتعليق، محمد عبد المنعم خفاجة، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان، ط/3/1997.
- _ بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، تأليف عبد المتعال الصعيدي، الناشر مكتبة الآداب 1999م.

- _ البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم دمشق، ط/1/1996م.
- _ التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تح: محمد رمضان الداية، الناشر دار الفكر المعاصر بيروت دمشق.
- _ الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تح: فخر الدين قباوة، و محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت ط/1/1992م.
- _ جواهر البلاغة (المعاني، والبيان، والبديع) تأليف: أحمد السيد الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق يوسف الصميلي، المكتبة العصرية ط/1/1999م.
- _ الخصائص لابن جني، تح: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.
- _ سرُّ صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني، تح: حسن هندراوي، الناشر: دار القلم دمشق ط/1/1985م.
- _ شرح الرضي على الكافية، ابن الحاجب، تح: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي ليبيا، ط/2/1996م.
- _ شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين الاسترابادي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- _ شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تح، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت.
- _ شرح المفصل لابن يعيش النحوي، عنيت بطبعه ونشره إدارة الطباعة المنيرية.

_ الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين.

_ طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، دار الكتب العلمية 2001م.

_ طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي الأندلسي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم.

_ علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح بسيوني، مكتبة القاهرة، (د ط دت).

_ القاموس المحيط، للفيروزآبادي، راجعه: زكرياء جابرو أنس الشامي، دار الحديث القاهرة.

_ قطر الندى وبل الصدى، ابن هشام، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

_ كتاب أمالي ابن الحاجب، لأبي عمرو بن عثمان بن الحاجب، دراسة وتحقيق: فخر صالح قدارة، الناشر: دار عمار، دار الجيل.

_ كتاب التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، 1995م، بيروت.

_ كتاب دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر.

_ الكتاب، سيبويه، تح: عبد السلام هارون، ط/2/ الهيئة المصرية العامة للكتاب 1977م.

- _ كتاب العين، تصنيف الخليل بن أحمد الفراهيدي، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هنداوي، منشورات محمد علي ببيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- _ الكليات ، الكفومي، تح: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة 1988م. بيروت.
- _ لسان العرب، ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- _ مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، الناشر: دار الفكر ط/1/1411هـ.
- _ مختصر منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل، ابن الحاجب، تح: نذير حمادي، دار ابن حزم بيروت لبنان ط/1/2006م.
- _ المدارس النحوية، أسطورة وواقع، إبراهيم عبود السامرائي، دار المسيرة، ط/2/2010م.
- _ المدارس النحوية، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر.
- _ معجم المصطلحات النحوية والصرفية، محمد سمير اللبدي، دار الفرقان، عمان الأردن، ط/1/1985م.
- _ المستصفي من علم الأصول، أبو حامد الغزالي، تح: محمد بن سليمان الأشقر، مؤسسة الرسالة ، بيروت _ لبنان ط/1/1997م.
- _ المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، عوض القوزي، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض 1981م.

- _ المصطلح النحوي وتفكير النحاة العرب، توفيق قريرة، دار محمد علي للنشر، منوبة _ تونس، ط/1/2003م.
- _ المصطلحات النحوية في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، إيناس كمال الحديدي، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية ط/1/2002م.
- _ معيار العلم في المنطق في المنطق، لأبي حامد الغزالي، شرحه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان/ ط/2/2013م.
- _ مغني اللبيب عن كتب الأعراب، لابن هشام الأنصاري، تح وشرح: عبد اللطيف محمد الخطيب، ط/1/الكويت 2000م.
- _ مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف السكاكي، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط/2/1987م.
- _ مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، التلمساني، دار الرشاد، الدار البيضاء، ط2009م.
- _ مقدمة لنظرية المعجم، إبراهيم بن مراد، دار الغرب الإسلامي، ط/1/1997م، تونس.
- _ المقتصد في شرح الإيضاح عبد القاهر الجرجاني، تح: كاظم بحر المرجان، بلد النشر العراق، دار الرشيد بغداد.
- _ المقتضب، المبرد، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، ط 1399هـ.

_ الموافقات، إبراهيم بن موسى الشهير بالشاطبي، تح: أبو عبيدة آل سليمان، الناشر: دار ابن عفان، ط/1/1997م.

_ الموجز في قواعد اللغة العربية، تأليف سعيد بن محمد أحمد الأفغاني، دار الفكر بيروت ط 2003م.

_ الموسوعة الفلسفية، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت.

_ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، النهضة المصرية، ط/1/1948م.

السياسة المالية في الدولة الموحدية (543 - 668هـ/1148-1269م)

د. أشرف حسين محمد الفرادي*

الملخص:

يتناول البحث السياسة المالية للدولة الموحدية والطرق التي انتهجتها دولة الموحدين في بلاد المغرب والأندلس، لتنظيم شؤونها المالية، وذلك بإنشاء جهاز إداري للنظر في النواحي المالية للدولة، بإنشاء الدواوين المالية لتنظيم موارد بيت المال المختلفة من جباية وإنفاق، كما خصصت الدولة الموحدية عمالاً للنظر في النواحي المالية، كما حددت مواعيد وأماكن جمع المال، وكذلك عملت الدولة على مراقبة المشتغلين بالشؤون المالية من طرف ولاية الأمر، ومعاقبتهم عند استغلالهم لأموال بيت مال المسلمين، مما نتج عنه نجاح الإدارة المالية في دولة الموحدين. وكذلك طبق الموحدون سياسة مالية حكيمة اعتمدوا فيها على تعاليم الشريعة الإسلامية، خاصة في بداية عهدها في فترة قوة الدولة وازدهارها، مما ساهم في تنظيم موارد بيت المال واستقرار الدولة .

The research deals with the financial policy of the Almohad state and the methods adopted by the state of the Almohads in the countries of Morocco and Andalusia, to organize its

* الجامعة الأسمرية الإسلامية كلية الآداب والدراسة العلمية محاضر

www.zara9390@gmail.com

financial affairs, by establishing an administrative apparatus to look into the financial aspects of the state, by establishing financial bureaus to organize the various resources of the house of money from collection and spending, and the Almohad state allocated workers to look into the aspects Finance, as it determined the dates and places for collecting money, and the state also worked to monitor those involved in financial affairs on the part of the rulers, and punish them when they exploited the funds of the Muslim treasury, which resulted in the success of financial management in the Almohad state.

The Almohads also apply a policy Likewise, the Almohads applied a wise financial policy in which they relied on the teachings.

المقدمة:

انتهج الموحدون (484 - 620 هـ / 1091 - 1223 م) في بلاد المغرب والأندلس نظاماً مالياً محكماً كان له أثره الفاعل في تقوية دعائم الاقتصاد في دولتهم واستقرارها، حيث بإدارته الحازمة والسياسة المالية المحكمة والعمل على موازنة إيرادات الدولة في نفقاتها المختلفة، وقد ساعدتها هذه السياسة في ازدهار اقتصادها وخاصة في بلاد الأندلس التي تمر بمرحلة حرجة، غلب عليها طابع الجهاد ضد الممالك الإسبانية، ومحاولات توحيد بلاد الأندلس ضد المخاطر

الخارجية .

مما حتم على الموحدين توفير موارد مالية تفي بمتطلبات هذه الالتزامات من حفظ النظام والأمن والاستقرار، وضبط الأمور الاقتصادية، فكان من الضروري أن يكون لهذا النظام أساساً ومبادئ ثابتة ورصينة لبناء الدولة واستقرارها، ولهذا فإن هذا النظام قد شكل جانباً مهماً في التاريخ الإسلامي، فهو من أحق الموضوعات بالدراسة والبحث، لما له من دور متميز في ترسيخ دعائم الدولة وتثبيتها .

- أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إبراز جانب مهم من تاريخ الدولة الموحدية الحضاري، وذلك بدراسة السياسة المالية في الدولة الموحدية، وأهم ما يميزها عن من سبقها، وكذلك طبيعة الموارد التي كانت تغذي بيت مال المسلمين في بلاد المغرب والأندلس، ومصادر تلك الموارد وتنوعها، وطرائق وأساليب الحصول عليها، وسياسة إنفاقها .

- مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث في معرفة إلى أي مدى ساعدت السياسة المالية الموحدية في الرفع من المستوى الاقتصادي للدولة، وهل كانت السياسة المالية هي نفسها التي كانت سائدة في عهد المرابطين، أم أن الموحدين أضافوا نظام مالي جديد.

ومن خلال هذه الإشكالية تطرح التساؤلات الآتية :

- كيف كانت بداية تطور السياسة المالية الموحدية ؟

- هل أستمرت السياسة المالية على نفس الوثيرة أم حدث تغيير في نهاية

الدولة مع تغير الخلفاء ؟

النظام المالي للدولة الموحدية :

بدأ النظام المالي الموحد بسيطاً محدوداً كما بدأت الدولة الموحدية، ثم أخذ في التطور مع تطور الدولة فازداد تطوراً وتشعباً مع اتساع الدولة وقوتها، وعلى هذا مرّ النظام المالي الموحد بمرحلتين مختلفتين:

المرحلة الأولى:

فترة تكوين الدولة، وهي فترة الحروب الأولى التي انشغل فيها الموحدون بالاستلاء وإخضاع بلاد المغرب، وفيها كان الخليفة عبد المؤمن يترك في كل بلاد يخضعها عدد من الأمناء⁽¹⁾ ليقوموا بأمر ذلك البلد ويدبروا شؤونه جميعها بما فيها الشؤون المالية فيقول ابن صاحب الصلاة " وتركا في البلاد المفتوحة من الموحدين الامناء من تقفها وضبطها للأمر العزيز وشرفها "⁽²⁾ ومن ذلك أيضا ما فعله عبد المؤمن بعد استيلائه علي تونس فقد ترك إدارة الأعمال والأشغال بها إلى الأمناء فاستقر الأمر علي ذلك، وتسلم البلد، وبعث إليهم من يمنع العساكر من الدخول عليهم وبعث أمناؤه ليقاسموا الناس علي أموالهم وأملاكهم⁽³⁾ .

(1) يبدو أن هذا اللقب أطلق علي شيخو الموحدين البارزين في النظام الطبقي الذي وضعه عبد المؤمن علي أنقاض النظام الطبقي لابن تومرت وكان عبد المؤمن يعين منهم مساعدون لمن يختاره من الولاة علي البلاد المفتوحة، وذكر ذلك في رسالته التي أرسلها إلي الطلبة والأشياخ والكافة بسبته، (ليني بروفنسال : مجموعة رسائل موحدية، الرسالة الرابعة عشر، رباط الفتح ، الرباط، 1941م، ص65

(2) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح ، عبد الهادي تازي، دار الغرب الإسلامي ، تونس 2012م ، ص 211.

(3) السلاوي: أبو العباس أحمد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م ، ج2، ص137.

وخلال تلك المرحلة كان عبد المؤمن يفرض على تلك البلاد الأموال التي حددها الشرع فكانت المصادر المالية للدولة (الزكاة وأخماس الغنائم) والتزموا في ذلك بما قرره لهم ابن تومرت ولم يستطيع الخليفة عبد المؤمن في هذه الفترة أن يفرض أية أموال أخرى حتى لا يقع فيما سبق وان هاجم من أجله المرابطون ألا وهو فرضهم علي الناس المكوس والمغانم والقبالات: هي الضرائب الخارجة عن نطاق الشرع ، أما القبالة فيذكر ،ابن صاحب الصلاة ، أن يوسف بن عبد المؤمن لما اشتد قنطرة إشبيلية ، أطلق علي ضريبة المرور على قنطرة اسم القبالة علي الناس⁽¹⁾.

المرحلة الثانية:

تبدأ بعد خضوع بلاد المغرب للموحدين⁽²⁾ وفي هذه المرحلة بدأ تفكير الخليفة يتجه إلي جهاد الفرنجة في بلاد الأندلس، ورجب في إنشاء أسطول قوي لهذا الغرض بالإضافة إلي حاجته إلي الأموال لضبط أمور البلاد، وأنشأ المشروعات ولهذه الأسباب فرض عبد المؤمن الخراج علي بلاد المغرب، ثم فرض بعد ذلك

(1) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق، ص 235 - 463 .

(2) في سنة (555 هـ) استولي عبد المؤمن علي المهديّة من أيدي نصاري صقلية وأرسل جيوشه فاستولت علي طرابلس وقفصة وغيرها ، فخضعت بذلك بلاد المغرب كلها له وعين ولاته عليها ، ينظر ، عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح ، محمد سعيد العريان ، الجمهورية العربية المتحدة ، لجنة إحياء التراث ، دت ، ص336 ؛ مجهول : الحلّ الموسّية ف ذكر الأخبار المراكشّية ، تح ، سهيل زكار ، عبد القادر رزنامة ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1979م، ص129 ؛ ابن عذاري : المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب ، قسم الموحدين ، تح ، محمد ابراهيم الكناني ، وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1985 م ، ص 38 - 39 .

المكوس و الضرائب علي المعاملات التجارية، وبذلك ازدادت الموارد المالية، للدولة وقد تبع ذلك تطوير الجهاز المالي الذي يشرف عليه حتي تضبط الامور فلم يعد دور الأمناء يكفي لتولي الشؤون المالية للولايات، فعين عبد المؤمن العمال علي الولايات وبدأ الجهاز المالي للدولة يتضح، وكان أول ذكر للقائمين علي الشؤون المالية خاص بالولايات الأندلسية حيث عين عبد المؤمن علي إشبيلية بعد استيلائه عليها سنة (541 هـ - /)⁽¹⁾ من يشرف علي المجابي (الجباية) بها ويساعد في تدبير شؤونها وبذلك أمر بوصل الشيخ أبو يحيى بن الجبر⁽²⁾ إليها معيناً لمن فيها من الموحدين فوصلها ودخلها وثقف أعمالها واجتمع مع أبي اسحاق برار وسعد مساعد ناظراً في المجابي شريكاً في التدبير والنظر للموحدين⁽³⁾ .

وفي نفس الوقت ورد أول ذكر للمخزن الذي يعتبر أحد أهم أعمدة النظام المالي الموحي حين ذكر ابن عذاري أن عبد المؤمن قد أوكل شؤون المخزن إلي أبي اسحاق برار أحد شيوخ الموحدين الذي أرسلهم إلي الأندلس لغرض السيطرة الموحدية عليه .

- المخزن :

يمثل المخزن في الدولة الموحدية الخزانة الحكومية في الوقت الحاضر حيث يضم إليه بالإضافة إلي موارد الدولة المالية الثابتة أموال وممتلكات البلاد المفتوحة

(1) ابن عذاري : المصدر نفسه ، ص 35 .

(2) أبو يحيى بن الجبر أحد شيوخ الموحدين الذي أرسلهم عبد المؤمن لولاية اشبيلية بعد استيلائه عليها فأصبح بذلك أول من ولي اشبيلية من الموحدين ، ينظر : ابن عذاري : ، المصدر السابق، ص36 .

(3) ابن عذاري : البيان ، ص36 .

من السلاح والحلي والسبي، والعبيد وغيرها، ويوجد المخزن في كل ولاية من الولايات الدولة وقد ذكر أحد المؤرخين المحدثين " ما من شك في أن الموحديين قد أحدثوا تقاليد مخزنية تركت أثراً عميقاً في نظام المخزن الذي استمر بعدهم قرناً عديدة مع تحوير جزئي من دولة إلى أخرى ومن ناقلة القول أن يلاحظ بأن نظام المخزن قد ورث المغرب كثيراً من مظاهره من العصر الأموي في بلاد الأندلس، إلا أن تأثير الموحديين بهم كان أكثر من تأثير المرابطين⁽¹⁾ .

ومما يميز السياسة المالية الموحدية هو دور المخزن الذي يمثل العمود الفقري لهذه السياسة ففيه تتجمع كل موارد الولاية من أموال الخراج والزكاة والضرائب والغنائم والمصادرات، ومنه أيضاً تخرج هذه الأموال في شكل نفقات للجيش وللبناء والتشييد ومرتبوات موظفي الدولة .

وقامت الدولة الموحدية بعدة إجراءات مالية من أهمها مضاعفة وزن الدينار الموحدي، وقد كان هذا في بداية عهد الخليفة المنصور (554 - 595 هـ / 1160-1199م) وقد كانت له عدة نتائج حسنة كدعم الطمأنينة في التعامل، وتحسين وضع الشؤون الاقتصادية⁽²⁾

- **موارد الدولة المالية :** - تتمثل في الخراج والزكاة والضرائب والغنائم والمصادرات .

(1) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، 2000، ج1، ص 321.

(2) شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية ، تح، عوض أباطة، ج2 ، القاهرة ، 1968 ، ص160.

أولاً الخراج : هو ما وضع علي رقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها⁽¹⁾ وتقدر بعشر المحصول أو الثمار⁽²⁾ وقد فرضه الخليفة الموحي عبد المؤمن علي بلاد افريقية سنة (555هـ / 1160م) بعد أن وجد أن أموال الزكاة وأخماس الغنائم لا تفي باحتياجات البلاد فأمر بعمل مسح شامل علي أراضي بلاد المغرب من برقة شرقاً وحتى بلاد نول من السوس الأقصى من جهة الغرب⁽³⁾ ثم اسقط منها الثلث مقابل الجبال والأنهار والطرق والحزون وفرض علي الثلثين الخراج، فيقول ابن أبي زرع " وفي هذه السنة أمر عبد المؤمن بتكسير بلاد أفريقية المغرب، كسرهما من بلاد افريقية من برقة إلى بلاد نول من السوس الأقصى بالفراسخ والأميال طولاً وعرضاً، فأسقط من التكسير الثلث في الجبال والشعراء والأنهار والسباخ والطرق والحزون، وما بقي قسط عليه الخراج وألزم كل قبيلة قسطها من الزروع والورق فهو أول من أحدث ذلك بالمغرب"⁽⁴⁾.

ولم يقم عبد المؤمن بتلك الخطوة التي استحدثتها في بلاد المغرب إلا بعد أن خضعت له بلاد المغرب كلها فنجد أن السنة التي فرض فيها الخراج سنة (555

(1) الماوردي: في الولايات الدينية، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية في الولايات الدينية ، دار الكتاب العربي، بيروت، دت ، ص 262 .

(2) كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، دت ، ص 370 .

(3) ابن أبي دينار : محمد أبي القاسم الرعيني ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1991م، ص 139.

(4) السلاوي، الاستقصاء، ج 2 ، ص 125؛ يوسف أشباخ ، تاريخ الأندلس، ص 309 ؛ إبراهيم حركات، المغرب عبر ، ص 345 ؛ عبد العزيز بن عبد الله، مظاهر ، ص 78- 79 ؛ حسن علي ، الحضارة ، ص 196.

هـ /1160م) هي نفس السنة التي استولي فيها علي المهديّة ودانت له بعدها بلاد المغرب كلها وهو بذلك ضمن آلا يعترض عليه أحد بسبب فرضه الضرائب على أرض أهلها مسلمون، فقد ذكر في حكم الأراضي المفتوحة⁽¹⁾ ما يأتي:

أولاً- أرض أسلم أهلها فهي ملك إيمانهم وهي أرض عشر لا شيء عليهم فيها غيره

ثانياً- أرض افتتحت صلحا على خرج معلوم فهم على ما صولحوا عليه لا يلزمهم أكثر منه .

ثالثاً- أرض افتتحت عنوة بالقتال وحدث اختلاف بين الأئمة بشأنها، فمنهم من يرى أنها تكون غنيمة، ومنهم من يرى أن تكون في⁽²⁾ .

وبالنظر إلى هذه الأحكام الثلاثة نجد أن ما يخصنا منها هو الحكم الأول وهو الأراضي التي أسلم عليها أهلها، وذلك لأن المرابطين كانوا مسلمين، وقد ذكر ابن سلام⁽³⁾ أنها أرض يفرض عليها العشر فقط، أما الماوردي فذكر أن الأئمة اختلفوا في حكمها فقال (ما أسلم عليه أربابه فهم أحق به، فتكون على مذهب الشافعي رحمه الله أرض عشر ولا يجوز أن يوضع عليها خراج، وقال أبو حنيفة الإمام مخير بين أن يجعلها خراجاً أو عشرًا فإن جعلها خراجاً " لم يجز أن تنقل إلى

(1) ابن سلام : أبي عبيد القاسم ، الأموال ، تح ، محمد خليل الهراس ، دار الفكر للطباعة و النشر ، ط2 ، القاهرة ، 1975 ، ص 69 - 70 .

(2) رأي الإمام الشافعي أن هذه الأرض تهتبر غنيمة فتخمس وتعطي أربعة أخماسها إلي المقاتلين المشاركين في الاستيلاء عليها والخمس الباقي يصرف في المنافع العامة للمسلمين أما الإمام مالك فيري أنها أرض في توضع كلها لمنافع المسلمين، أما الإمام أبو حنيفة فيرى أن الحاكم مخير بين الأمرين، ينظر، ابن سلام : المصدر السابق ، ص69 .

(3) ابن سلام: المصدر السابق، ص 69 ؛ الماوردي: المصدر السابق، ص263 .

العشر، وأن جعلها عشراً جاز أن تنقل إلى الخراج⁽¹⁾.

ويبدو أن هذا ما اعتمد عليه عبد المؤمن في فرضه الخراج على هذه الأراضي، بالإضافة أيضاً إلى ما روجه الموحدون بأن المرابطين كفار مجسمون⁽²⁾ كذلك أذاع عبد المؤمن حاجته إلى هذه الأموال لجهاد الفرنجة الكفار في بلاد الأندلس.

ولهذا كان الخراج دعامة اقتصادية كبرى اعتمد عليها بيت المال الموحد، وذلك لمعظم الأراضي التي كان يجبي عليها وكثرة الأموال المرفوعة منه للمخزن فيقول عبد الواحد المراكشي عن الخراج في عهد الخليفة الموحد يوسف بن عبد المؤمن " كان يرتفع إليه خراج أفريقية⁽³⁾ ، وجملته في كل سنة وفر مائة وخمسين بغلا⁽⁴⁾ وعلي هذا فإن الخراج كان يجبي مرة كل عام،

أما المناطق التي يجبي منها الخراج فقد وضحها عبد الواحد المراكشي

(1) الماوردي: المصدر نفسه، ص 263 .

(2) كان ابن تومرت دائماً يصف المرابطين بالمجسمين الكفرة كما كان يحث الموحدين علي قتالهم فيقول في إحدى رسائله إليهم " واجتهدوا في جهاد الكفرة الملتئمين فجهادهم أعظم من جهاد الروم وسائر الكفرة بأضعاف كثيرة لأنهم جسموا الخالق سبحانه وانكروا التوحيد وعاندوا الحق ، ينظر : عبد المجيد النجار ، المهدي بن تومرت ، دار الغرب الإسلامي ، 1983م ، ص 9 ، عبد الله علام ، الدولة الموحدية ، ص 265 .

(3) ذكر ابن خلكان: أبي العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح ، إحسان عباس ، دار صادر بيروت، دت، ذكر أشبيلية بدلا من أفريقية فقال كان يرتفع إليه خراج أشبيلية ، ينظر، مج 7 ، ص 135 .

(4) عبد الواحد المراكشي: المعجب ، ص 370 ؛ الذهبي: محمد بن أحمد عثمان، سير أعلام النبلاء، تح ، شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت ن 1982م، ج 21، ص 102.

أيضا، فذكر أن الخراج يجبي وفر مائة وخمسون بغلا من أفريقية فقط، وإلى جانب ذلك هناك بجاية وأعمالها وتلمسان وأعمالها وبلاد المغرب التي تمتد من رباط تازا إلى مدينة مكناسة الزيتون، وأعمالها وسبة وأعمالها وهذه البلاد أفريقية والمغرب إلي جانب خراج بلاد الأندلس ومن خلال ما ذكره عبد الواحد المراكشي⁽¹⁾ من اتساع الأراضي التي فرض عليها الخراج فقد أضاف أيضا أنه لذلك فقد جمع منها الخليفة الموحي يوسف أموال لم تتوفر لغيره من ملوك المغرب " فلم يرتفع لملك من الملوك (ملوك المغرب) قبل أبي يعقوب هذا وبعده ما ارتفع إليه من الأموال "⁽²⁾

وكانت لأموال الخراج دور كبير في رفع اقتصاد الدولة والنهوض بمشروعاتها، ولذلك فقد استطاع الخليفة الموحي يوسف بن عبد المؤمن أن ينجز الكثير من المشروعات الإنشائية والمعمارية في البلاد أثناء مدة خلافته " يجبا إليه خراج ذلك كله دون مكس ولا جور فكثرة الأموال وتمهدت البلاد وتأمنت الطرقات وضبطت الثغور "⁽³⁾ .

ولم تذكر المصادر التي تحدثت عن فرض عبد المؤمن للخراج عن كيفية تقدير هذا الخراج، وكيفية قياس الأراضي المفروض عليها الخراج، ولكن من أكثر المقاييس المعروفة لقياس الأراضي الزراعية في البلدان الإسلامية الجريب وهو يساوي عشر قصبات في عشر قصبات والقصبية ستة أدرع فيصبح الجريب يساوي

(1) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص370 .

(2) عبد الواحد المراكشي : المصدر نفسه، ص371 .

(3) ابن ابي زرع الفاسي :الأنيس المطرب بروض الفرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة

فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م ، ص 206 .

3600 ذراع حسب ما ذكره الماوردي⁽¹⁾ .

وهناك أيضا القفيز وطوله عشر قصبات في قصبه وبذلك يساوي القفيز 360 ذراع ويوجد مقياس اصغر وهو العشير وطوله قصبه في قصبه ويساوي 36 ذراع .
- ثانياً الزكاة :

فرض الله الزكاة علي كل مسلم وجعلها لأهميتها⁽²⁾ بعد الصلاة فقال تعالي: (وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة)⁽³⁾ وأكد الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم فقال: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ويقوموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم علي الله "⁽⁴⁾.

ولذلك فقد أهتم حكام الدولة الإسلامية بجمعها وشكلت الزكاة مصدر هام من المصادر المالية في الدولة الإسلامية، ولقد فطن خلفاء الموحدون إلي ذلك فشدوا

(1) الماوردي: الأحكام، ص271؛ محمد ضياء الدين الرئيس: الخراج والنظم المالية للدولة

الاسلامية ، دار الأنهار ، ط 4، القاهرة، 1977 ، ص 280 - 283 .

(2) من الحكمة في مشروعية الزكاة : تطهير النفس من رذيلة البخل والشح ومواساة الفقراء وسد

حاجات المعوزين والمحرومين وإقامة المصالح العامة التي تتوقف عليها حياة الامة للحد من

نضخم أموال الأغنياء كيلا تحصر الأموال في = طائفة محدودة أو تكون دولة بين الأغنياء منكم:

ينظر، أبوبكر جابر الجزائري، منهاج المسلم كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات،

القاهرة، 1964 ، ص242 .

(3) سورة المزل: الآية رقم 20 .

(4) متفق عليه ورواه ابن عمر رضي الله عنهما: الإمام أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي

(631 - 676 هـ) رياض الصالحين ، حققه وخرج أحاديثه عبد العزيز رباح ، أحمد يوسف

الدقاق، راجعه الشيخ شعيب الأرنؤوط ، ط 11 ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 1989.

على دفعها وعقاب مانعيها فنجد الخليفة الموحي الأول عبد المؤمن في رسالته التي بعث بها إلى الطلبة ببجاية⁽¹⁾ يؤكد علي جمعها وتحديد مانعها وعقابه " وخذوا بأياء الزكاة وبالكشف عن مانعها وتشخيص ممسكها أو النذر منها فالزكاة حق المال، و الجهاد واجب على من منع منها قدر العقال، فمن ثبت منعه للزكاة فهو لاحق بمن ثبت تركه للصلاة فمن منع فريضة كمن منع الفرائض كلها⁽²⁾ .

أ - الأموال المزكاة:

ليس هناك خلاف بين المسلمين بأن الرجل إذا ملك أول السنة ما تجب فيه الصدقة، وهو مائتا درهم أو عشرون دينار، أو خمس من الإبل، أو ثلاثون من البقر، أو أربعون من الغنم، فإذا ملك واحدة من هذه الأصناف من أول الحول إلى آخره فالصدقة واجبة عليه، وهذا ما يسميه مالك بن أنس، وأهل المدينة نصاب المال⁽³⁾ .

وذكر الماوردي أن الأموال المزكاة نوعان: أموال ظاهرة مثل الزرع والثمار والأنعام والمعادن والأموال الباطنة، وهي التي يمكن إخفاؤها مثل الذهب، والفضة، وعروض التجارة⁽⁴⁾ .

ب - أنصبة الزكاة والأموال الواجبة عليها:

- النقدان الذهب والفضة:

(1) في هذه الرسالة يوصي عبد المؤمن أهل بجاية بإقامة الحدود وحفظ الشرائع وإظهار الحق بلزوم الواجبات وهي مؤرخة السنة (556 هـ) ينظر: البيدق: أخبار المهدي، ص 134 - 135؛ حسن علي: الحضارة، ص198.

(2) البيدق : المصدر السابق ، ص140 .

(3) ابن سلام : المصدر السابق ، ص501 .

(4) الماوردي : المصدر السابق ، ص203.

- أ - الذهب: شرط زكاته أن يحول عليه الحول ونصابه عشرون ديناراً، والواجب فيه ربع العشر ففي كل عشرون دينار نصف دينار وما زاد فبحسابه .
- ب - الفضة: وشرطها الحول أيضاً ونصابها مائتي درهم والواجب فيه كالذهب ربع العشر كل مائتي درهم يخرج خمسة دراهم زكاة فيها أن انقضت عن مائتي درهم وفيما زاد عليها بحسابه⁽¹⁾
- عروض التجارة: تقدم زكاتها رأس كل حول وتقدم زكاتها بنسبة اثنين ونصف في المائة (ربع العشر)⁽²⁾ .
- الركاز: وهو كل مال وجد مدفوناً من صرف الجاهلية ، وزكاته إخراج الخمس⁽³⁾ لقول الرسول عليه الصلاة والسلام " وفي الركاز الخمس "⁽⁴⁾ .
- المعادن: (من الذهب والفضة)
- يجب على مستخرج المعادن أن يزكي علي كمية استخراجها متي بلغت نصاباً سواء حال عليه الحول أو لم يحل، وأما قيمة الزكاة فهي تختلف فمن يراها ركازاً يخرج الخمس وممن اعتبرها نقداً اخرج (ربع العشر) أما إذا كان المعدن نحاساً أو حديد يخرج زكاته بنسبة في المائة⁽⁵⁾.

(1) ابن سلام : المصدر السابق، ص501 ؛ الماوردي: المصدر السابق، ص110، حسن علي حسن: الحضارة، ص199 .

(2) الجزائري: المرجع السابق، ص249 .

(3) ابن سلام: المصدر السابق، ص422 .

(4) أخرجه مالك وأحمد بن حنبل، والبخاري ، ومسلم وأبو داود والترمذي ، والنسائي وابن ماجه ، ينظر ، ابن سلام ، الأموال ، هامش ص420 .

(5) ابن سلام : المصدر نفسه ، ص 422 ؛ الماوردي ،المصدر السابق ، ص 216 - 217؛ الجزائري :المرجع السابق ، ص249 - 250 .

ثانياً - الأنعام:

- أ - الإبل: أول نصابها: خمس من الإبل يخرج منها شاه أوفت سنة⁽¹⁾ .
- ب - البقر: أول نصابها ثلاثون بقرة رأساً " من البقر يخرج عنها عجل عمره سنة فإن بلغت أربعون فيخرج عنها سنة وشركها الحول⁽²⁾ .
- ج - الغنم: وشروطها الحول ونصابها أربعون يخرج عنها شاه عمرها سنة⁽³⁾ .

- الثمار والحبوب:

يخرج المسلمون صدقة زرعهم وثمارهم تلبية لقول الله تعالى (وأتوا حقه يوم حسابه)⁽⁴⁾ أما عن نصاب الزروع، فقد حدده الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله " ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة "⁽⁵⁾ وقد ذكر ابن سلام أن صدقة الزروع والثمر ليست كصدقة الأنعام والماشية، تجب بحلول الحول، ولكن صدقة الزروع والثمر تجب بصلاحتها أي حين يطيب الزرع ويزهر (يصفر أو يحمر أو يفرك الحب وأن يطيب العنب)⁽⁶⁾ ويخرج المسلم عنه العشر إذا كانت الزروع تسقى بماء الأمطار والعيون ويخرج عنه نصف العشر إذا كانت الزروع تسقى بالماء الخارج بالسواقي، وأما عن الوسق التي تقدر به الصدقة فهو يساوي ستون صاعاً والصاع يساوي

(1) ابن سلام : المصدر السابق، ص447 ؛ الماوردي : المصدر السابق ، ص204 .

(2) ابن سلام: المصدر السابق، ص 468؛ الماوردي: المصدر السابق، ص 205؛ الجزائري: المرجع السابق، ص451 .

(3) الماوردي :المصدر السابق، ص 206 .

(4)سورة الأنعام، الآية رقم (141) .

(5) رواه عمر بن يحيى بن عمارة المازني عن أبيه عن أبي سعيد الأزدي وأخرجه البخاري ومسلم، ومسلم، ابن سلام: المصدر السابق، ص 579 .

(6) ابن سلام: المصدر السابق، ص 614 - 615 .

أربعة أمداد (أحفنة) أو خمسة أرطال وثلاث⁽¹⁾.

مصاريق الزكاة:

حدد الله في كتابه الكريم الابواب التي تدفع فيها الزكاة فقال تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)⁽²⁾.

وقد ذكر ابن صاحب الصلاة أن الدولة الموحدية قد اتبعت المنهج الذي حددته الشريعة الإسلامية في إنفاق أموال الزكاة فقال: " وأخذ⁽³⁾ الزكاة من الماشية والحريث على حكم الكتاب والسنة ووضعها في مواضع حقها⁽⁴⁾ .

زكاة الفطر:

زكاة الفطر سنة واجبة على المسلمين القادرين تخرج ليلة عيد الفطر لفقراء المسلمين ويخرجها كل مسلم على حده، ولا تقوم الدولة بجمعها، ولكن في الدولة الموحدية، فقد اهتم خلفاء الموحدون بجمعها وأوكلوا إلى العمال مهمة جمعها وتسليمها إلى قضاة الولايات ليشرفوا على تفريقها على الفقراء والمساكين، وقد أوضح ذلك رسالة الخليفة الموحد يعقوب المنصور لعمال اشبيلية الذي أمرهم فيها بدفع أموال زكاة الفطر إلى قاضي اشبيلية فقال " أدام الله كرامتكم بتقواه، تأمرون العمال هنالكم بدفع جميع ما تحصل هذا العام من زكاة الفطر للشيخ الفقيه القاضي

(1) ابن سلام: المصدر السابق، ص 627.

(2) سورة التوبة الآية 60

(3) يعني به الخليفة الموحد يوسف بن عبد المؤمن ابن صاحب الصلاة: عبد الملك، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط4، 2012، ص211.

(4) ابن صاحب الصلاة : المصدر السابق ، ص211 .

أبي المكارم - أكرمه الله - يوزعه على الضعفاء والمساكين رفقا بهم⁽¹⁾ .
يتضح لنا مما سبق أن أموال الزكاة شكلت عنصرًا هام وأساسياً من أموال الدولة
الموحدية.

ثانياً: الغنيمة:

الغنيمة هي ما استولي عليه المنتصر من المهزوم قهراً بحد السيف من أموال،
وأسلحه، وأمتعة، ونساء، ودواب، ودرية، وقد أباح الإسلام الغنيمة فقسمها فجعل
منها الخمس الذي ينفق في كثير من شؤون المسلمون، أما الأخماس الباقية
فيوزعون على الجنود الذين شاركوا في المعركة⁽²⁾ .

وقد حصل الموحدون خلال حروبهم الكثيرة مع المرابطين ومعاركهم المتعددة
لإخضاع بلاد المغرب علي غنائم لا حصر لها، وقد أكثر البيهقي من ذكر الغنائم
التي حصدها الموحدون في حروبهم مع المرابطين خلال إخضاعهم للمغربين
الأدنى والأوسط⁽³⁾، كذلك يذكر صاحب الحلل أن عبد المؤمن عندما استولى على
العاصمة مراکش من المرابطين قسم فيئها⁽⁴⁾ وأموالها على الموحدين، كما قسم

(1) ليفي بروفنسال : مجموعة رسائل موحدية ، الرسالة الثامنة والعشرون ، ص 167 .

(2) ابن الأثير: أبو الحسن عزالدين بن أبي بكر، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العرب، بيروت
، لبنان، 1981م، ج9، ص51.

(3) البيهقي : المصدر السابق ، ص 88 – 108 .

(4) تختلف أموال الفياء عن أموال الغنيمة بأنها تعطى طوعاً بدون قتال أما أموال الغنيمة فتأخذ
قهراً بحد السيف : ينظر ، الماوردي : الأحكام ، ص128 ، ولكن علي الرغم من أن عبد المؤمن
قد أستولي علي مراکش بحد السيف إلا أن صاحب الحلل قد ذكر أنه قسم فيئها وليس غنائمها
علي الموحدين وقد تكرر مثل ذلك في كثير من المصادر فنجد أن ابن أبي زرع : روض الفطراس
، ص 229 ، قد ذكر أن يعقوب المنصور قد قسم فيء موقعة الإرك بين الموحدين وليس غنائمها

ديارهم، وباع نسائهم ببيع العبيد " ولما تم لعبد المؤمن فتح مراكش ودخلها رجع منها إلى محلته وجعل الأمان على أبوابها مدة شهرين فأجمع فيئها وأموالها، وقسمه على الموحدين وقسم عليهم ديارها وبيع عيال مراكش وأولادهم ببيع العبيد"⁽¹⁾ .

وقد ظل حصاد الموحدين للكثير من الغنائم خلال قوة الدولة، فقد استولى الموحدون على غنائم عظيمة بعد انتصارهم على الفرنجة في موقعة الأراك⁽²⁾ فيقول أحد المؤرخين: " واستولوا على جميع ما كان فيه، وفي محلة النصرى من الأموال والذخائر والأرزاق والأسلحة والعدد، والأمتعة، والدواب، و النساء، والذرية"⁽³⁾ .

وقد شكلت أموال أخماس الغنائم مصدر هام من مصادر الدخل لدولة الموحدين نظراً لكثرة المعارك التي خاضتها الدولة ضد أعدائها من المرابطين والنصارى الأسبان، بالإضافة إلى الغنائم التي استولت عليها بعد قضائها على ثورات المتمردين، وقد قسّم الموحدون أموال الغنيمة - كما أقر الشرع، وأكد عليه ابن تومرت في رسائله إليهم " وأقسموا على موافقة الكتاب والسنة ولا تغيبوا منها قليلاً ولا كثيراً للراجل سهم، والفارس ثلاثة أسهم، بعد إخراج الخمس من رأس الغنيمة،

ويرجع ذلك إلي بعض الأئمة وقالوا أن الإمام (إمام المسلمين) مخير بين أن يجعل هذه الأموال غنيمة فيأخذ خمسها فقط ويعطي الأربعة أخماس الأخرى للمحاربين أو أن يجعلها فيئاً فلا يأخذ منها شيئاً وتصبح = كلها ضمن المنافع العامة للمسلمين، ينظر، ابن سلام : المصدر السابق ، ص 69

- (1) مجهول : الحلل الموشية ، ص118 ؛ حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية ، ص204 .
- (2) أبي المحاسن : جمال الدين يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن دار الكتب، القاهرة، ج6 ، ص592 .
- (3) السلاوي: المصدر السابق، ج2، ص191.

والغنيمة لمن شهد الواقعة⁽¹⁾ .

وتقسّم أموال الخمس طبقاً للشرع إلى عدة أسهم قال تعالى (وعلموا أن ما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله)⁽²⁾ .

وقد استخدم خلفاء الموحدون أموال أخماس الغنائم في المنافع العامة للدولة، ومنها المشروعات المعمارية، فقد استخدم الخليفة يعقوب المنصور أخماس غنائم موقعة الأراك في أعمال البناء والتشييد، ويقول السلوي: " ولما رجع المنصور من الأندلس إلى مراکش وجد كل ما أمر به من البناءات قد تم على أكمل حال وأحسنه مثل: القصبية والقصور والجامع والصوامع، وأنفق على ذلك كله من أخماس الغنائم"⁽³⁾ ويؤكد ذلك أشباخ بقوله: " وما قام به الخليفة يوسف أبو يعقوب ووليه المنصور في المغرب والأندلس من الأبنية العظيمة من المتحصل من المناجم وغنائم الحرب"⁽⁴⁾ .

رابعاً - الضرائب :

اتهم الموحدون أعداءهم المرابطين بفرض ضرائب غير مشروعة عن الناس،

(1) البيدق : أخبار المهدي ، ص

(2) سورة الأنفال رقم الآية 41 .

(3) السلوي : الاستقصاء ، ص 195 ؛ ابن ابي زرع : روض الفطاس ، ص 229 .

(4) يوسف أشباخ :تاريخ الأندلس عهد المرابطين والموحدين، تر ،محمد عبد الله عنان، المركز

القومي للترجمة ، القاهرة، 2014م، ج2 ، ص 87 - 88 .

وكان هذا الاتهام⁽¹⁾ ضمن اتهامات أخرى عديدة اتخذها الموحدون ذرائع لتكفيرهم واستقطاب الناس من حولهم وتحويلهم إلى دعوتهم الجديدة، وقد قطع إليه بفضله أصولهم وفروعهم وأزاح عن عبادته جوهرهم ونزوعهم ورد الأمر إلى أصله الأكرم ونصابه وأجرى الشرع بالإمام المهدي - رضي الله عنه على بابيه وأراح جميع أهل البلاد المعمورة بالتوحيد من جميع ما كانوا يكلفونه من المغارم ويعرفون من أسباب المظالم⁽²⁾ .

ولذلك كان خلفاء الموحدين حريصين على التأكيد لعمالهم بعدم فرض ضرائب على الناس وكلما نما إلى علم أي خليفة منهم بوجود ضرائب مفروضة في أية ولاية من ولايات الدولة، قام بإرسال الرسائل إلى الولاة والعمال بمحو هذه الضريبة فوراً وعقاب من ثبتت تورطه في فرضها، فعندما وصلت الأنباء إلى الخليفة عبد المؤمن أن العمال في بلاد الأندلس يفرضون الضرائب الباهظة على التجار المارين ببلادهم لبيع تجارتهم والتجار العائدين إلى بلادهم بعد رحلاتهم التجارية خارج بلادهم، وهم في ذلك يزعمون أن عليهم أموال للمخزن، وقد كانت هذه الضرائب من الكثرة بحيث إنها تساوي تقريباً كل الربح الذي يربحه التاجر من تجارته، وهم في جمع هذه الأموال يستخدمون كل أنواع التهيب والوعيد، وعندما وصلت هذه الأنباء إلى الخليفة عبد المؤمن أرسل هذه الرسالة المؤرخة بسنة (

(1) يذكر أنه لم يكن للمرابطين أموال سوى أموال الزكاة والاعشار فيقول السلوي " ولم يكن في عمل من أعمالهم خراج ولا معونة ولا تسقيط ولا ظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة والمعشر " ينظر : السلوي ، المصدر السابق، ج2، ص73.

(2) جزء من رسالة عبد المؤمن إلي الشيوخ والأعيان بقسنطينة وهي من إنشاء الكاتب الوزير أبو جعفر بن عطية ولم يذكر بها المكان التي أرسلت منه ومؤرخة بجمادي الأولى سنة (547 هـ) ، ينظر : ليفي بروفنسال ، مجموعة رسائل ، الرسالة السابعة من ص 17 - 21 .

543هـ⁽¹⁾ إلى جميع الطلبة في الأندلس فيقول فيها " إن في ذلك الأمر الذميمة بالسعي المنقوم ما ذكر في أمر المسافرين الذين يريدون الرجوع إلى أوطانهم وعمارتها والطوائف المارة علي البلاد لسعي تجارتها فيتسبب إليه قوم ممن هؤلاء الظلمة الدخلاء فيقول للرجل منهم كيت وكيت وأن للمخزن جميع ما به اتيت ويقرون بهذا من الوعيد والأغلاط الشديد ما يرضي به المذكور بالخروج عن جملة ماله⁽²⁾ .

ويبدو أن هؤلاء العمال قد التزموا بما أمرهم به الخليفة عبد المؤمن فترة من الزمن، ثم عادوا مرة أخرى لفرض الضرائب على الناس، مما دفع عبد المؤمن إلى إرسال رسالة أخرى عام 547هـ يأمرهم فيها بالالتزام بما أقره الشرع من زكوات وأعشار وعدم فرض أية ضرائب أو مكوس فيقول: " وقد كان بهذه الأصقاع من آثار الاختلاف والابتداع ما علمتموه من القبالات والمكوس والمغارم وسائر تلك الانواع وكان الأشقياء من ولاتها يرون إيجابها وإلزامها شرعاً بل كان يطرحون ذلك اطراح أمثاله الفجار⁽³⁾، كما استغل الموحدون نظام القبالة الذي فرضه المرابطون على الأسواق وكان دقيقاً ومحكماً، ولكنه كان عبئاً ثقيلاً على التجار، فاستغله

(1) عصمت عبد اللطيف دننش، الأندلس في نهاية عصر المرابطين ومستهل الموحدين عصر

الطوائف الثاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ص233.

(2) ابن القطان :علي بن محمد بن عبد الملك ، نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان، تح ،محمود علي مكي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، دت ، ص150 - 163 - 157 ؛ ينظر أيضاً جزء من رسالة عبد المؤمن الجامعة لأنواع من وأمره والتي أرسلها إلي جميع الطلبة بالأندلس، وفي هذه الرسالة أكثر من ذكر الضرائب في أكثر من موضع، ينظر: عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 552 - 561 .

(3) ليفي بروفنسال: مجموعة رسائل، الرسالة السابعة ، ص 21 .

الموحدون في مقاومتهم للنظام الجبائي المرابطي⁽¹⁾ .

ومن خلال النصيين السابقين يتضح أن الخلفاء الموحدون رفضوا فرض الضرائب علي الناس رفضاً قاطعاً، وتوعدوا من يعمل على فرضها، ولكن بالنظر في نفقات الدولة الموحدية وخصوصاً نفقات الجيش الباهظة سواء نفقات التسليح أو البركات والهبات التي كان يحرص خلفاء الموحدون على تفريقها على أفراد الجيش قبل الخروج إلى المعركة .

وإذا نظرنا أيضاً إلى نفقات الأسطول الموحدية الذي أخذ شهرة كبيرة في ذلك الوقت إلى الحد الذي جعل الناصر صلاح الدين الأيوبي يطلب المساعدة من الخليفة يعقوب المنصور إلى جانب نفقات أعمال البناء والتشييد التي بلغت مقداراً هائلاً في الدولة الموحدية، وبالنظر إلى كل هذه النفقات سوف يتضح أن خلفاء قد قاموا بفرض الضرائب لزيادة مصادر الدخل لمواجهة أعباء الدولة فرفضوا الضرائب علي مختلف أنواع المعاملات من البيع والشراء، والصادر، والموارد⁽²⁾ وأنهم أيضاً قد رفضوا الضرائب علي المباني⁽³⁾ .

واعتمد الموحدون دوراً لسك النقود التي اعتمدها المرابطون من قبلهم، ولكن الموحدون اتبعوا سياسة خاصة نتيجة لزيادة الالتزامات المالية، حيث ضرب دينار ذهب موحد يتراوح وزنه بين 2.27 و 2.51 غرام وقطره بين 19. 22 سم وهذا الوزن يعادل نصف قيمة الدينار المرابطي الذي تجاوز وزنه 4 غرام ، ويرجع

(1) الحبيب الجحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط2، دار الغرب الإسلامي، 1986م، ص 99 .

(2) عصمت دندش: المرجع السابق، ص 232 - 233 .

(3) عصمت دندش: المرجع السابق ، ص 233

السبب في ذلك لحاجتهم للذهب بسبب المصاريف التي تكبدتها حركة الجهاد في بلاد الأندلس وكذلك الحروب الداخلية لتثبيت ملكهم⁽¹⁾ .

كما يذكر روبر بارنشيبيك أن الموحدين قد فرضوا ضريبة بنسبة 10 % على البضائع التي يدخلها التجار الأجانب إلى البلاد وتبعهم في ذلك الحفصيون⁽²⁾ . ويشير إبراهيم حركات إلى كثرة الضرائب التي فرضها الموحدون على المحاصيل الزراعية فيقول: " ومن الانصاف القول بأن الضرائب كانت فاحشة في كثيراً من الأحيان، فالفواكه الصيفية والخريفية كانت الدولة تأخذ نصفها، أما الزيتون فتأخذ ثلثه وتبيع خضها من الانتاج قطعة، وكان المشترون يعرفون بالقشاشين، وكانوا يضطرون الفلاحين أحياناً إلى بيع حقهم الهزيل بأثمان بخسة⁽³⁾ . ويبدو من ذلك أن الموحدون قاموا بفرض أنواع من الضرائب المختلفة لمواجهة نفقات الدولة المتعددة .

من خلال عرضي للسياسة المالية للدولة الموحدية نجد أن السياسة المالية التي طبقتها الدولة في بداية عهدها في فترة قوتها وازدهارها ليست نفسها التي لجأت إليها في آخر عهدها، نتيجة لتوسع الدولة وكثرت نفقاتها وازدياد متطلباتها المالية، مما دفعها للخروج عن مبادئها التي قامت عليها، وبدأت في فرض ضرائب منافية للشرع مما أدى لسخط الرعية وكثرة شكايها.

(1) عبد النبي بن محمد : مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال أفريقيا والأندلس ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، 1979م ،ص44.

(2) روبر بارنشيبيك : تاريخ أفريقية ، ص322.

(3) إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، ص345

خامساً- المصادر:

منذ البداية فرض الخلفاء الموحدون رقابة صارمة ودائمة على موظفي الدولة حتى لا يسيء أي موظف استخدام سلطته فيما يخص مصلحة الدولة، أو الأفراد، وكانت هذه الرقابة تشمل كل موظفي الدولة سواء الوزراء منهم، أو ولاة، أو العمال، وحتى أقل المناصب فكان من يثبت تورطه في أية صورة من صور الفساد يسجن وتصادر أمواله وممتلكاته .

ومن أهم المصادر التي تذكرها المصادر ما أورده ابن عذاري " وفي سنة (571 هـ / 1175م) أمر الخليفة أبو يعقوب بنكبة " محمد بن عيسى " مشرف إشبيلية وتولي تنقيف حاله وماله للمخزن " يلولين جلداسن " وستصفي ما كان عنده من المال والعقار بأنواع العذاب وأسوأ العقاب حتي ضرب نفسه بسكين كان في يده فلم يمت من ذلك ، ثم عذب وضرب حتي مات ، فُلّف في حصير وربط في وسطه بحبل ورمي به في وادي اشبيلية ، فقذفه الوادي بعد أيام في باب اشبيلية فأصبح عبرة لغيره⁽¹⁾ وفي سنة (571 هـ / 1175م) قبض علي عبد الرحمن بن يحي مشرف مدينة فاس " لما صح عنده خيانتة وحمله علي الرعية وإدائته" كما قبض علي سائر العمال وعددهم ثمانية عشر عاملا، إضافة إلى مشرف مكناسة، وعمالها وابن هود عاملها وابن عمر صاحب المدينة بها، والمشرف برباط تازا وعلي بن مرزبن صاحب ملوية وقاضي المعدن وغيرهم ، فاستأصل أموالهم وضياعهم ورباعهم وردت إلى المخازن وألزمهم بدفع أربعمئة ألف دينار وستين ألفا فقسطوها بينهم ، ولأجل ضمان الدفع جعل عليهم الرقبا حتي دفعوا المال المذكور⁽²⁾ .

1 ابن عذاري : البيان المغرب ، قسم الموحدين ،ص135 .

2 ابن عذاري : المصدر نفسه، ص158 .

وفي سنة (574هـ / 1178م) صودرت أموال " محمد ابن المعلم " مشرف اشبيلية ، وفي سنة (593هـ / 1196م) استقر الخليفة المنصور بإشبيلية وكلف لجنة لمراقبة العمال وتنفيذ الأشغال دام عملها ستة أشهر فأُسفرت على استصفاء أموال العامل داوود بن داوود مشرف اشبيلية وعزله عن منصبه واعتقل حتي عفي عنه⁽¹⁾ .

إن هذه الأمثلة من المصادرات والمحاسبة تدل على حزم وقوة خلفاء الدولة الموحدية وحرصهم علي أموال الدولة حيث إنهم لم يتركوا بيت مال المسلمين يعيث به العابثون ويفعلون به ما يشاؤون، وإنما ورائهم خليفة يسهر على كل كبيرة وصغيرة في دولته ويأخذ على يد المقصرين ويعاقبهم إذا ثبت التفريط بعد حسابهم . كما يتضح من ذلك أن المشتغلين بالسياسة المالية يقعون تحت المراقبة الدائمة، مما نتج عنه انتظام الإدارة المالية، الذي أدى إلى ازدهار اقتصاد الدولة . وقد اتسع نطاق المصادرات في عصر الانحلال ليشمل الخلفاء المخلوعين ونساء البلاط ، في هذا الشأن كاتب الخليفة الواثق المرتضى بعد فراره على أن يسلم المال الذي بحوزته فهو مال المسلمين⁽²⁾ .

كما شملت العقوبات والمصادرات أيضاً المتخاذلين والفارين من الحروب ففي عام (0585هـ / 1189م) أمر الخليفة بمصادرة أموال ابن سنان عندما افتضح أمر هروبه من إحدى المعارك ، كما صودرت بعض أموال التجار المرجح

1 ابن عذاري : المصدر نفسه ، ص 224 – 225 .

(2) ابن عذاري :المصدر السابق، ص 442 .

أنهم قد تهربوا من الضرائب⁽¹⁾، وصودرت أيضاً أموال المنحليين أخلاقياً⁽²⁾. وفي سنة (640 هـ / 1243 م) أغرمت كل من أم الخليفة الرشيد من قبل الخليفة السعيد وعزونة أخت السعيد من قبل الخليفة المرتضي أموالاً وحلياً⁽³⁾، كذلك أيضاً القبائل الثائرة لم تسلم من التعرير ومصادرة الاموال منها قبائل الغمارية والفازازية التي جبيت جباية عظيمة حصل الأجناد منها علي أموال عظيمة، وكذلك صودرت أموال الخارجين على الدولة، ومن والاهم، ففي عام (576هـ / 1180م) اكتشف الخليفة أمر أحد الثائرين بمدينة بجاية ويدعى ابن المنتصر الذي قام بتحريض العرب علي العصيان، فصادر الخليفة ما بيده من أموال وذخائر⁽⁴⁾.

الخاتمة

- يتبين من خلال دراسة السياسة المالية للدولة الموحدية أنها مرت بمرحلتين تميزت المرحلة الأولى بإلغاء المكوس والقبالات التي كانت موجودة في عهد دولة المرابطين، ويرجع ذلك لكسب وتأييد عامة المسلمين للحكم الجديد.
- إن السياسة المالية التي طبقتها الدولة الموحدية في بداية عهدها ليس نفسها التي لجأت إليها في آخر عهدها في عصر الضعف والانهيال، نتيجة لتوسعات الدولة وكثرت نفقاتها وزادت احتياجاتها المالية مما اضطرها للبحث عن موارد مالية أخرى، وبدأت بفرض ضرائب منافية للشرع مما أدى إلى سخط الرعية وكثرة

(1) التادلي: أبو يعقوب يوسف بن يحيى ، التشوف في رجالات التصوف، تح ، أحمد توفيق ،

منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس، الرباط، ط1997، ص3، ص242.

(2) ابن عذاري : البيان ، ص174.

(3) ابن عذاري : المصدر نفسه : ص360 - 389 .

(4) ابن عذاري : المصدر نفسه : ص336 .

شكاياتها .

- إن الموحدين أضافوا إلى سياستهم المالية أشياء جديدة لم تكن موجود في عهد المرابطين، حيث أنشأوا ديوان صاحب الأشغال وديوان الأعمال المخزنية .
- كانت السياسة المالية للدولة الموحدية منظمة تنظيمياً محكماً من حيث المداخل والمصاريف، وذلك لأنهم اتبعوا سياسة المراقبة والمحاسبة الشديدة مع عمالهم الذين يشتغلون في الشؤون المالية للدولة ومعاقتهم عند استغلالهم لأموال المسلمين، مما نتج عنه الرخاء الاقتصادي للدولة والرعية
- إن عودة الدولة الموحدية لفرض المكوس والقبلات في نهاية عهدها هو أمر طبيعي لأي دولة في مرحلة الضعف، نتيجة لضعف مواردها فهي تبحث عن موارد أخرى بغض النظر عن شرعيتها .

قائمة المصادر و المراجع

أولاً المصادر:

- ابن أبي زرع: الفاسي، الأنييس المطرب بروض الفرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
- ابن الأثير: أبو الحسن عزالدين بن أبي بكر، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العرب، بيروت، لبنان، 1981م.
- ابن أبي دينار: محمد أبي القاسم الرعيني ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1991م، ص139.
- التادلي: أبو يعقوب يوسف بن يحي، التشوف في رجالات التصوف، تح، أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس، الرباط، ط1997، 3م.
- ابن تغري بردي: أبي المحاسن جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن دار الكتب ، القاهرة .
- ابن خلكان :أبي العباس شمس الدين، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح ، إحسان عباس، دار صادر ن بيروت ، د ت ،
- ابن سلام : ابي عبيد القاسم ، الأموال ، تح ، محمد خليل الهراس ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ط2 ، القاهرة ، 1975 .
- أبي زكريا يحي بن شرف النووي الدمشقي (631 - 676 هـ) رياض الصالحين ، حققه وخرج أحاديثه عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، راجعه الشيخ شعيب الارنؤوط ، ط11 ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، 1989.
- الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تح، شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1982م.

- السلاوي: أبو العباس أحمد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى تح ، جعفر الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954م.
- ابن صاحب الصلاة: عبد الملك، المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي تونس، 2012.
- ابن القطان: علي بن محمد بن عبد الملك، نظم الجمان وواضح البيان فيما سلف من أخبار الزمان، تح ،محمود علي مكي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، دت .
- الماوردي: في الولايات الدينية، أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب، الأحكام السلطانية في الولايات الدينية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، دت 262 .
- مجهول: الحلل الموشية ف ذكر الأخبار المراكشية ، تح ، سهيل زكار ، عبد القادر رزنامة ، دار الرشد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1979م .
- المراكشي: عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح ، محمد سعيد العريان ، الجمهورية العربية المتحدة ، لجنة إحياء التراث ، دت .
- المراكشي: ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تح ، محمد ابراهيم الكناني، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م .

ثانياً- المراجع العربية:

- إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، مج1 ، دار السلمي البيضاء ، 1965م.
- أبوبكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم كتاب عقائد وآداب و اخلاق و عبادات ومعاملات ، القاهرة ، 1964 .
- الحبيب الجحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي

- ط 2 ، دار الغرب الإسلامي، 1986م .
- عز الدين موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991م، ص287.
- عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، القاهرة، 1971م.
- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي ، 1983م .
- عبد العزيز بن عبد الله ، مظاهر الحضارة المغربية، دار السلمي، الدار البيضاء، 1957م.
- حسن علي، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، (عصر المرابطين والموحدين) القاهرة، 1980م.
- عصمت دننش، الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، بيروت، 1988م .
- كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر المرابطين والموحدين ، مركز الاسكندرية للكتاب، الأسكندرية، دت.
- محمد ضياء الدين الريس: الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، دار الانهار ، ط 4 ، القاهرة ، 1977 ، ص 280 - 283 .
- ثالثاً- المراجع المعربة:**
- شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، تر، عوض أباطة، ج 2 ، القاهرة ، 1968.
- رويار بنشفيك : تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، نقله للعربية، حمادي الساحلي، جزئين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

- ليفي بروفنسال: مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، الرباط، 1941م ، الرسالة الرابعة عشرة.
- يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، تر ، محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1958م.
- رابعاً- الرسائل العلمية:
- عبد النبي بن محمد: مسكوكات المرابطين والموحدين في شمال أفريقيا والأندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، 1979م.

المنهج الفينومينولوجي عند إدموند هوسرل

إعداد: د. إسماعيل سالم فرحات

الملخص :

يتناول هذا البحث دراسة المنهج الفينومينولوجي عند إدموند هوسرل، من خلال محاولة استظهار السياق الفلسفي الذي ظهر فيه هذا المنهج، وكذلك بيان عناصر التحليل الفينومينولوجي عنده، لتبيان أهمية هذا المنهج الذي وَسَمَ بطابعه تيارات الفلسفة المعاصرة، وذلك اعتماداً على منهج التتبع والسرد التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي.

Research Summary:

This research deals with the study of Edmund Husserl's phenomenological approach by trying to show the philosophical context in which this approach appeared., as well as an explanation of the elements of his phenomenological analysis to show the importance of this approach, which was marked by the nature of the currents of contemporary philosophy, based on the historical traceability approach and the analytical descriptive approach.

المقدمة:

عبر الفينومينولوجيا مارس هوسرل تأثيرًا حاسمًا في مختلف فروع البحث المعاصر، فالفينومينولوجيا حوّلت الفلسفة المعاصرة من معناها التقليدي "الميتافيزيقي" كونها اهتمت عبر تاريخها الطويل ببحث ومناقشة أكبر المباحث المعرفية: أصل الوجود، الحقيقة، النفس، العقل... إلى المعنى العلمي الدقيق الذي من شأنه أن يفيد الإنسان في أمر واحد ضروري جدًا هو التحقق من أن معارفه حقيقة صادقة ولها معنى، وبالتالي فإن الفينومينولوجيا بهذا المعنى تعدُّ علمًا، إذ قد سعى مؤسسها إدموند هوسرل إلى أن تكون علمًا دقيقًا يضاهي دقة العلوم الطبيعية التجريبية، أي أن يكون لها منهجًا أو طريقًا يتخذه الباحث عبر مراحل عمله، وهي في شقها الثاني ليست علمًا بالمعنى الحرفي للكلمة، فلا تحصر في المنهج، فهي إضافة إلى ذلك فلسفة ببعدها الأول الذي تتعدى موضوعاته الظواهر الطبيعية، وبذلك فهي تُعدُّ أساسًا لبقية العلوم بوصفها العلم الكلي للمعرفة الإنسانية ولكافة العلوم الممكنة، فهي المنبع الذي يجب أن تنبثق منه جميع المعارف التي لا بد أن تستمد شرعية وجودها من الفينومينولوجيا التي هي الفلسفة الأولى لكل المعارف الممكنة.

أهمية البحث:

من خلال ما سبق تتبين أهمية الفينومينولوجيا كمنهج فلسفي جديد وضعه إدموند هوسرل، ووسم بطابعه فيما بعد عددًا غير قليل من التيارات الفلسفية المعاصرة.

إشكالية البحث:

تتلخّص إشكالية البحث في مجموعة من التساؤلات، لعل أهمها: ما المعنى الذي يقصده هوسرل من الفينومينولوجيا؟ وما السياق الفلسفي الذي ظهرت فيه لدى هذا الفيلسوف؟ وما هي العناصر أو المفاهيم التي تشكل بنية أو خطوات المنهج الفينومينولوجي كما قدّمها هوسرل.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان الخلفيات الفلسفية التي أدّت بهوسرل إلى تقديم الفينومينولوجيا بوصفها منهجًا، وكذلك التعرّف على عناصر التحليل الفينومينولوجي لديه.

منهج البحث:

سيتم الاعتماد في هذا البحث على منهج التتبع والسرد التاريخي، وكذلك المنهج الوصفي التحليلي في عرض أهم أسس وعناصر المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل وتحليلها.

خطة البحث:

ستتم دراسة موضوع البحث من خلال خطة بحثية مقسّمة إلى مبحثين رئيسيين، على النحو التالي:

المبحث الأول/ السياق الفلسفي لظهور الفينومينولوجيا عند هوسرل، وفيه سيتم تعريف الفينومينولوجيا، ثم التعرف على ملامح الأزمة في أسس العلوم الأوروبية، والتي دعت هوسرل إلى تقديم الفينومينولوجيا علمًا كليًا يقينيًا.

المبحث الثاني/ عناصر التحليل الفينومينولوجي عند هوسرل، بداية بالقصدية، ثم الرد الفينومينولوجي، وانتهاءً بالأنا الترندنتالية.

خاتمة تتضمن أهم النتائج التي تم التوصل إليها. وقائمة بأهم المصادر والمراجع

المبحث الأول: السياق الفلسفي لظهور الفينومينولوجيا عند هوسرل

سأتناول في هذا المبحث السياق الفلسفي الذي ظهرت فيه فينومينولوجيا هوسرل*، وذلك من خلال التعرّيج بداية على لمحة حول تعريف الفينومينولوجيا وخلفيات نشوء المصطلح (أولاً)، ثم التعرف على ما أسماه هوسرل بأزمة الأسس في العلوم الأوروبية (ثانيًا)، لنختمه بنظرة على طرحه المتمثل في تأسيس الفلسفة علمًا كليًا يقينيًا (ثالثًا).

* إدموند هوسرل (1859-1938)، فيلسوف ألماني يعد مؤسس ومصمم الفينومينولوجيا البارِع، من أهم مؤلفاته: فلسفة الحساب، أبحاث منطقية، تأملات ديكارتيّة، أزمة العلوم الأوروبية، للمزيد راجع: دليل أكسفورد للفلسفة، تد هوندريتش، ترجمة: نجيب الحصادي، ج2، ط-ي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، طرابلس، دت، ص991.

أولاً- تعريف الفينومينولوجيا:

يُعرّف لالاند في موسوعته الفلسفية، الظهورية أو الظاهرانية (phenomenology) في معناها العام بأنها: ((دراسة وصفية لمجموعة ظواهر، كما تتجلى في الزمان أو المكان، بالتعارض إما مع القوانين المجردة والثابتة لهذه الظواهر؛ وإما مع الحقائق المتعالية التي يمكنها أن تكون من تجلياتها؛- وإما مع النقد المعياري لمشروعيتها))¹، وقريباً من هذا التعريف نجد تعريف جميل صليبا في مُعجمه الفلسفي يُعرّف علم الظواهر (phenomenology) بأنه: ((الدراسة الوصفية لمجموع الظواهر كما هي عليه في الزمان والمكان، وهو مختلف عن دراسة أسباب هذه الظواهر وقوانينها المجردة الثابتة، أو عن البحث في الحقائق المتعالية المقابلة لها، أو عن النقد المعياري لمشروعيتها))².

ونفهم مما سبق، إن الفينومينولوجيا باختصار هي علم الظواهر ودراستها على طريقة وصفية³، وطالما تم ترجمة المُصطلح عربياً لدى الغالبية بمُرْكَب (علم الظواهر)، فإنه بالعودة إلى معاجم اللغة العربية نجد مثلاً الجرجاني في تعريفاته يُعرّف العلم بأنه: ((الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخصُّ من الثاني، وقيل العلم: هو إدراك الشيء

(¹) موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، باريس، المجلد 2، H-Q، ط2، 2001، ص973.

(²) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج2، باب الظاء، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت-لبنان، 1982، ص35.

(³) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص352.

على ما هو به ... وقيل: العلم صفة راسخة يُدرك بها الكليات والجزئيات ...، أما الظاهر: فهو ما ظهر المراد للسامع بنفس الكلام... وضده الخفي، وهو ما لا يُنال المراد إلا بالطلب...¹، وبالتالي فإن معنى كلمة الظاهر في اللغة العربية هو ما ظهر من الشيء، وظاهر الشيء يقابل باطنه.

وفي دليل أكسفورد للفلسفة نجد المقابلة بين فينومينا phenomenon ونيومينا nomenon، إذ يعني هذان اللفظان حرفياً "الأشياء التي تظهر" و "الأشياء التي يفكر فيها". الأفكار والمثل الأفلاطونية نيومينا، والفينومينا أشياء تعرض نفسها للإحساسات. في استعارة أفلاطون الخاصة بالخط المنقسم، كل ما يقع أعلى الخط المقسم نيومينائي، وكل ما يقع تحته فينومينائي... تشكل هذه المثوية الخاصة الفارقة لثنائية أفلاطون، كون النيومينا والعالم النيومينائي مواضيع المعرفة العليا، الحقائق، والقيم، إنما يُشكل تركة أفلاطون الأساسية في الفلسفة².

إن مصطلح الفينومينولوجيا phenomenology يتكوّن من مقطعين: phenomena وتعني الظاهرة، logy وتعني الدراسة العلمية لمجال ما، وبذلك يكون معنى المصطلح العلم الذي يدرس الظواهر، وليس المقصود هنا ظواهر العالم الخارجي، أي الظواهر الطبيعية الفيزيائية، بل المقصود منها ظواهر الوعي، أي ظهور موضوعات وأشياء العالم الخارجي في الوعي، وبذلك تكون الفينومينولوجيا

(¹) معجم التعريفات، الجرجاني، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، باب العين، رقم (1231)، ص130، باب الظاء، رقم (1131)، ص120.

(²) دليل أكسفورد للفلسفة، سبق ذكره، ص706.

هي دراسة الوعي بالظواهر وطريقة إدراكه لها وكيفية حضور الظواهر في خبرته، فهي لا تهتم بما يصاحب عملية المعرفة من حالات ذهنية أو وظائف عضوية ترجع إلى الجهاز العصبي، بل بكيفية إدراك الوعي للموضوع ووصوله إلى معرفة موضوعية ويقينية حوله، أي بالاستعدادات المعرفية الموجودة لدى الذات الإنسانية والتي تمكنها من تأسيس معرفة يقينية، وهذه الاستعدادات ليست سيكولوجية، بل مرتبطة بالوعي الخالص قبل أن يتصل بأي خبرة تجريبية¹.

ويُجمع الباحثون على أن أول من استعمل مصطلح الفينومينولوجيا هو الفيلسوف والرياضي السويسري الألماني يوهان لامبرت* في كتابه "الأورجانون الجديد" عام 1764، ثم كانط* في كتابه "الأسس الميتافيزيقية الأولى للعلم الطبيعي"

(¹) انظر في ذلك: أشرف منصور، عناصر التحليل الفينومينولوجي عند هوسرل، متاح بصيغة word على صفحة المؤلف في موقع: www.academia.com، ص4، تاريخ الدخول: 2021/04/04، عند الساعة: 01:00ص.

* يوهان لامبرت (1728 - 1777) فيلسوف ورياضي وفلكي سويسري - ألماني من أصل فرنسي، له عدد من الاكتشافات في علم المتلثات والمنظور، صيغة المذنبات وغيرها، إضافة لكتابه الأشهر بالألمانية الأورغانون الجديد، والذي يتشابه في العنوان مع كتاب لفرانسيس بيكون الفيلسوف الإنجليزي، راجع للمزيد: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2006، ص570.

* إمانويل كانط (1724 - 1804) فيلسوف ألماني اشتهر بسلسلته في النقد: نقد العقل الخالص، نقد العقل العملي، نقد ملكة الحكم، وكتاب: الدين في حدود مجرد العقل، راجع: دليل أكسفورد للفلسفة، تد هوندريتش، ج2، ط- ي، سبق ذكره، ص762.

عام 1786، ومن بعدهم هيغل* في كتابه "فينومينولوجيا الروح" عام 1807، غير أن أول من استعمل هذا المصطلح للدلالة على منهج فكري واضح المعالم كان إدموند هوسرل¹، الذي عرّف الفينومينولوجيا الخالصة بأنها: علم الوعي الخالص بما هو كذلك (الشعور المحض)²، أي أنها المنهج الدارس لظهور الماهيات في الوعي، أي الحقائق الموضوعية للأشياء طالما كانت متميزة عن طابعها الحسي³.

ويُجزم أغلب من أرخوا لتاريخ الفكر الفلسفي أن مصطلح الفينومينولوجيا عُرف في الفلسفة الكلاسيكية كمصطلح تابع للدراسات النفسية، ويعترف هوسرل بالفضل لعالم النفس فرانز برنتانو* في ميلاد الفينومينولوجيا وخاصة كتابه الشهير (كشف النفس)، والذي نبّه من خلاله إلى ضرورة فهم الظاهرة النفسية انطلاقاً من القصد، ولذلك يمكن القول بأن علم النفس هو الأرضية التي نبتت منها الفينومينولوجيا،

* جورج فلهلم فريدريش هيغل (1770 - 1831) فيلسوف ألماني، من أهم كتبه: فينومينولوجيا الروح، موسوعة العلوم الفلسفية، مبادئ فلسفة الحق، دروس في فلسفة التاريخ، راجع للمزيد: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، سبق ذكره، ص 721.

(¹) انظر في ذلك: أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهرية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص 35.

(²) إدموند هوسرل، الفينومينولوجيا الخالصة، المحاضرة الافتتاحية في فرايبورغ 1917، نقلاً عن: عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007، ص 169.

(³) انظر: أشرف منصور، مرجع سابق، ص 6.

* فرانز برنتانو (1838-1917) فيلسوف ألماني، من أهم كتبه عدا المذكور في المتن: دلالات الوجود عند أرسطو، مذهب أرسطو في أصل الذهن البشري، تصنيف الظواهر النفسية، للمزيد راجع: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، سبق ذكره، ص 169.

وخاصة من خلال ما سُمِّي بعلم النفس القصدي، وانبثق عن هذا الميلاد ارتباط العلوم الاجتماعية والإنسانية به ارتباطاً وظيفياً¹.

وعلى ذلك، فإن "العودة إلى الأشياء عينها" التي هي عودة للماهيات، هي شعار الفلسفي الرئيسي للفينومينولوجيا بما هي منهج وأسلوب تفكير متجدد، وهي المبدأ الذي سيعتمد عليه هوسرل على نحوٍ صريحٍ أو ضمني خلال كامل حِقَب مسيرته الفينومينولوجية، وقد استخدمه لأول مرة بوضوح في كتابه (الفلسفة باعتبارها علماً صارماً) مُتحدثاً عن المنهج الفينومينولوجي، حيث يقول: ((أفّ على تفاهة تحاليل الخطابات؛ الأشياء عينها هي التي ينبغي علينا أن نستفهمها، لنعدّ إلى التجربة، إلى الحدس، الذين بإمكانهما فقط مدّنا بالمعنى والمشروعية المعقولة لكل خطاباتنا))، وفي موضعٍ آخر يقول: ((التحفيز على البحث لا ينبع من الفلسفات، وإنما من الأشياء والمشكلات))².

وبعد إلقاء هذه النظرة الموجزة حول معنى الفينومينولوجيا في العموم، وخلفيات نشوئها كمصطلح وكمنهج، ننتقل الآن لمعرفة سياق ظهورها كمنهج لدى هوسرل.

(1) عبدالقادر بوعرفة، المنهج الفينومينولوجي في العلوم الإنسانية، اللحظة الإيبوخية أنموذجاً، مقال متاح على موقع شبكة ضياء على الرابط: www.diae.net ، تاريخ الدخول: 2021/04/07، عند الساعة: 23:10.

(2) انظر في ذلك: يوسف بن أحمد، المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل، المجلة التونسية للدراسات الفلسفية، تصدر عن الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية، ع40، 41، 2006، ص58، 59.

ثانياً/ أزمة الأسس في العلوم الأوروبية:

إن الفينومينولوجيا تحاول أن تبدأ مما يتركه العلم بلا توضيح، على أنه وقائع جاهزة وبديهيات واضحة بذاتها ومُسلّمٌ بها، تتأسّس بناءً عليها حقائق ومعارف، أن تبدأ من الخبرة المباشرة بالعالم والأشياء، أي من ماهية الأشياء كما تبدو في خبرتي، وليس بوصفها وقائع مستقلة عني، فالعلم يتجاهل هذه المنطقة وبالتالي يتجاهل الإنسان، ويفقد دلالاته الإنسانية، وهذا تحديداً ما يقصده هوسرل بأزمة العلوم الأوروبية التي هي في حقيقتها أزمة الإنسان الأوروبي، فالعلم فقد دلالاته بالنسبة إلى الحياة البشرية¹، فقد أصبحت روح هذا الإنسان الأوروبي مريضة حينما أصبح مستبعداً ومنسياً، وإذا كان هناك علم للطب يمكن أن يداوي بدن الإنسان، فليس هناك علم من العلوم الوضعية يمكن أن يداوي روحه²، وهو ما يعني أن العلم ينطوي على قصور وأنه في حاجة إلى أساس من نوع آخر، ولم يقتصر نقد هوسرل على العلوم الطبيعية وحدها، بل امتد إلى الرياضيات أيضاً، على الرغم من أن أول أعماله الكبرى (فلسفة الحساب أو الرياضيات) والذي فسّر فيه منشأ التصورات الرياضية تفسيراً مشوباً بمسحة سيكولوجية، إلا أنه رأى فيما بعد أن المفاهيم والتعريفات الصورية المجردة التي تقدمها الرياضيات مستخلصة عن طريق التجريب والاستدلال، ولذلك فإن ماهياتها هي ماهياتٌ تجريبية، بعكس الماهيات

(¹) نظر في نفس المعنى: فتحي المسكيني، أوروبا الأخرى...مقاطع من نقد العقل الهوي، مقال منشور على موقع مجلة الفيصل على الرابط: www.alfaisalmag.com ، تاريخ الدخول: 2021/04/07، عند الساعة: 23:33.

(²) إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندننالية، ترجمة: إسماعيل المصدق، مراجعة: جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008، ص517.

الفيونومينولوجية فهي ماهيات عيانية مستمدة من الحدس المباشر ، وليس في إدراك ووصف هذه الماهيات أية عملية استدلالية¹.

ومن نفس منطلق الماهيات، ينتقد هوسرل العلوم الإنسانية، فأزمة العلم أصبحت أكثر عمقاً ووضوحاً عندما حاولت العلوم الإنسانية تطبيق منهج العلوم الطبيعية، وتحولت هي الأخرى إلى علوم للوقائع، والأزمة هنا أعمق؛ لأنه إذا كانت العلوم الطبيعية قد استبعدت الإنسان من الطبيعة، وجعلت منها مجرد وقائع مستقلة عن خبرته، فإن العلوم الإنسانية جعلت الإنسان مجرد طبيعة، مجرد واقعة من وقائعها، وهذا يظهر بوضوح في حالة علم النفس التجريبي²، فقد أدى تقي البحوث السيكولوجية والاجتماعية والتاريخية إلى تحول كل علم منها إلى ((نزعة ism)) ترى كل شيء بمنظارها وترد كل شيء إلى مقولاتها، فالسيكولوجيون يردون كل شيء إلى علم النفس بما فيها قوانين المنطق، والاجتماعيون يفسرون كل شيء تفسيراً اجتماعياً حتى التذوق الفني، والتاريخيون يرون منطلق التاريخ مهيمناً على كل الأشياء بما فيها صانع التاريخ نفسه (الإنسان)³، فالنزعة السيكولوجية التي ترتبط بالتجريبية ارتباطاً وثيقاً تجعل من عمليات الوعي والمعرفة - بما في ذلك العمليات المنطقية - مجرد عمليات نفسية أو معتقدات سيكولوجية مستمدة تجريبياً من كثرة الملاحظات أو الوقائع، وكأن العمليات المعرفية هي مجرد وقائع تجريبية أو أحداث سيكولوجية، ومن هنا كان نقد هوسرل للسيكولوجية، فهو يرفض ربط

(1) انظر: سعيد توفيق، الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفة الجمال الظاهرية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992، ص19، 20.

(2) انظر: المرجع السابق، ص20.

(3) انظر: عادل مصطفى، مرجع سابق، ص183.

العمليات المعرفية والشعورية بعلم النفس في صورته التجريبية، بهدف تأسيس علم نفس جديد هو علم النفس الفينومينولوجي أو الماهوي؛ لأن علم النفس التجريبي شأنه شأن سائر علوم الوقائع الوضعية في حاجة إلى مراجعة وإلى أساس متين ليقوم عليه¹.

فالنزعة السيكلوجية مثلاً تريد أن تجعل المنطق مجرد فرع من فروع علم النفس، وكأن الماهية الذهنية لأية قضية من القضايا المنطقية يمكن أن ترتد إلى البواعث الذاتية التي صاحبها، حيث ترى هذه النزعة أن تبرير الاستدلال الاستنباطي والحقائق المنطقية أو الرياضية من قبيل $4=2+2$ يستند إلى أنها تمثل حقائق أساسية معينة عن الطريقة التي نفكر بها، ولا شك أن من شأن هذه النزعة الطبيعية أن تشجع شتى ألوان النسبية، فإذا كانت القواعد المنطقية تعكس قوانين سيكلوجية للفكر، لكان من الجائز لهذه القوانين أن تختلف وتتبدل، ولذلك يرفض هوسرل في كتابه (أبحاث منطقية) النزعة السيكلوجية وكل تعميم للنزعة الطبيعية².

ومن ذلك يتبين أن الأزمة في الأسس التي تقوم عليها العلوم، هي المحرك الأساس لتفكير هوسرل، وهي الدافع له إلى نقد هذه العلوم بسبب تهافت أسسها، والاعتقاد خطأً بأنها أسس يقينية محكمة، وهو ما أدى إلى التقليل من قيمة العنصر الإنساني وتفقهق الفلسفة التي أصبحت مجرد نظريات فردية متهافنة، يدعي التجريبيون أنها عبارة عن مشكلات تأملية ليست للإنسان حاجة ملحة إليها مثل حاجته إلى العلم التجريبي، فقد أصبحت الفلسفة المرتبطة بعلوم العصر التجريبية

(1) انظر: سعيد توفيق، مرجع سابق، ص 21.

(2) انظر: عادل مصطفى، مرجع سابق، ص 183 وما بعدها.

عبارة عن وقائع تاريخية مفككة ومجرد مذاهب فردية متعددة وآراء شخصية متعارضة، وكلها تتوصل إلى حقائق نسبية تختلف من فيلسوف إلى آخر ومن عصر إلى غيره، وهو ما يتعارض مع طبيعة الفلسفة التي هي في جوهرها بحث عن الحقائق الكلية الثابتة، خاصة أنها هي التي تساعد على تقدم الحياة والروح الإنسانية وتدفعها في وحدة داخلية لكي تدرك العالم وكل حقائق الوجود من خلال التجربة الحية، وهذا ما افتقدته الفلسفة بسبب سيادة النزعة التجريبية وإغفال العنصر الإنساني¹.

وبالتالي يمكن القول بأن فلسفة هوسرل قامت بالأساس كرد فعل ضد هذه النزعة العلمية المتطرفة، التي تقوم على الاعتقاد بأن كل شيء قابل للشرح والتفسير في ضوء العلم الطبيعي، فالعلم يقوم على افتراضات مسبقة عن طبيعة الواقع يسلم بها تسليمًا ولا يضعها موضع التساؤل، ومن ثم فهو لا يملك تقديم تفسيرات أولية بالمعنى الذي يصلح أن يكون نقطة انطلاق قصوى، أو ركيزة أولى لأي تفسير عقلائي للعالم، ذلك أنه ثمة تحت نظرة الحس وتحت العلوم الطبيعية شبكة من الفروض المسبقة عن طبيعة الواقع، وهي فروض تتخطى الظواهر أو مفارقة، وهذه النظرة قبل الفلسفية إلى العالم هي ما يطلق عليه هوسرل اسم (الموقف الطبيعي)، فالمنطق والرياضيات هما أيضًا لم يَسَلَمَا من المسلمات والفروض المسبقة؛ لأنهما داخل مجاليهما لم ينتقدا جميع الأسس التي تقوم عليها المفاهيم الأساسية وقواعد الاستدلال ولم يضعوا الأسس نفسها موضع تساؤل؛ وعليه فإن العجز -كما يرى

(¹) إدmond هوسرل، الفلسفة كعلم دقيق، نقلًا عن: سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسرل، دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1991ص116 وما بعدها.

هوسرل- عن تأسيس العقلانية على أسس وطيدة قد أدى إلى النزعة اللاعقلية وإلى البربرية، ولكن الخطأ هنا ليس في العقلانية، بل في تصور أن العقلانية والمذهب الطبيعي هما شيء واحد وأن المذهب الطبيعي العلمي لديه تفسيرات عقلانية نهائية، الخطأ هو في هذا التصور الذي متى تبين فشله صارت العقلانية نفسها مهددة بالنبذ، بينما مساواة العقلانية بالمذهب الطبيعي هو ما يجب أن يُنبذ، فعجز العلم الطبيعي عن تقديم حقائق يقينية نهائية عن العالم ينبغي ألا يُعد فشلاً للمشروع العقلاني ذاته¹.

ومن هنا، فإنه برغم التقدم الذي أحرزته العلوم الوضعية التجريبية، إلا أن الغموض ما زال يكتنف أسسها الذاتية ومبادئها الأولية، فالتحليل التجريبي المادي الخارجي لا يصلح تمامًا لتفسير الظواهر الإنسانية الحية، ولا يصلح أيضًا لتأسيس علم كلي دقيق يعتمد على مبادئ يقينية مطلقة؛ لأن الارتداد في تفسير الظواهر الطبيعية عامة والإنسانية خاصة إلى ظروف خارجية، يجعل الحقيقة نسبية متغيرة، لذلك أصبحت العلوم تحتاج إلى إصلاحات جذرية جديدة².

ثالثًا - تأسيس الفلسفة علمًا كليًا يقينيًا:

لقد قرّر هوسرل في المقال الذي كتبه لدائرة المعارف البريطانية عام 1927 عن الفينومينولوجيا، أن هذه الأخيرة تشير إلى منهج جديد في الوصف الفلسفي، ألا وهو ذلك المنهج الذي يهدف إلى إقامة "نظام سيكولوجي أولي" يكون بمثابة ركيزة متينة لإقامة علم نفس تجريبي من جهة، ولوضع فلسفة كلية شاملة تكون بمثابة "معيّار"

(1) انظر: عادل مصطفى، مرجع سابق، ص 185 وما بعدها.

(2) انظر: سماح رافع محمد، مرجع سابق، ص 117.

لفحص منهجي لسائر العلوم من جهة أخرى. فالفيينومينولوجيا تريد للفلسفة أن تصبح علماً دقيقاً كلياً ومحكماً، أو دراسة وصفية محضة، فهي لهذا تأخذ على الفلسفة الكلاسيكية اهتمامها بالتركيبات العقلانية القائمة على مفاهيم مجردة، كما تعيب على الكثير من فلاسفة الماضي اهتمامهم بتحليل المفاهيم النفسية الباطنية وكأنما هي مجرد حالات ذاتية مستقلة تشير إلى عالم شخصي قائم بذاته، ومن هنا فإن هوسرل يريد للفيينومينولوجيا أن تضرب صفحاً عن علوم الطبيعة، وأن تتخلى عن كل نزعة تجريبية، لكي تقتصر على الدراسة الوصفية البحتة لوقائع الفكر والمعرفة، على ما تكون عليه في وعينا، وبالتالي فإن فلسفة الظواهر لا تتخذ من أية نظرية من نظريات المعرفة نقطة انطلاق لها، بل هي ترفض كلاً من الواقعية والمثالية، لكي تبحث من جديد عن "فلسفة أولى" تكون بمثابة "علم البدايات" على حد تعبير هوسرل، فالنشاط الفلسفي الذي اضطلع به هوسرل لا يمكن أن يفهم إلا باعتباره نقداً للمعرفة وللعلوم التي كانت في عصره، ولطرائقها الخاصة في المعرفة، والبحث عن أساس متين لمعرفة جديدة، ولعلم فلسفي بمعنى الكلمة، علم يملك وعياً تاماً بشتى المسائل التي يطرحها، وكافة المشكلات التي ينشدها¹.

وبالتالي فإن هوسرل حينما انتقد الفلسفة والعلم، لم يكن في ذهنه أن يستبدل فلسفة بفلسفة، ولا علماً بعلم، بل أراد أن يزحزح البناء القديم عن موضعه ليحفر تحته متقباً عن الجذور والبدايات، أي عن أساس متين يمكن أن يقوم عليه هذا البناء فلسفياً كان أو علمياً، وقد التمس هوسرل هذه الجذور والبدايات في الظواهر والأشياء نفسها، أو ما سبق وأن أسميناه بالعودة إلى الأشياء ذاتها أي ماهياتها،

(1) انظر: زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت، ص318 وما بعدها.

فالفيينومينولوجيا قبل أن تكون فلسفة للماهيات، فهي فلسفة للأشياء والظواهر، وهذه العودة للأشياء ذاتها لن تفهم إلا من خلال فهم خصائص الأشياء أو الظواهر¹:

إن الظواهر الفيينومينولوجية ليست ظواهر كانطية ولا هيغلية، فكانت قد وضع عالم الظواهر مقابل عالم الشيء في ذاته، فلا تُعرف الأشياء في ذاتها، وإنما تُعرف فقط ظواهر الأشياء من خلال تصوراتنا، أما هيغل فقد نظر إلى الظواهر على أنها تجليات لحقيقة عليا هي المطلق أو الروح في مسيرته الزمنية، وفي مقابل ذلك جاءت الفيينومينولوجيا لتبدأ من الأشياء أو الظواهر ذاتها، فكان موقف هوسرل رفضاً للموقفين الكانطي والهيغلي، فهو يرفض تلك الثنائية الكانطية المتأصلة في تاريخ الفلسفة منذ أفلاطون، بين الظاهرة والنومين أو بين المظهر والحقيقة، كما يرفض النزعة البنائية التي ينتقل فيها هيغل من الظواهر إلى العقل المطلق الذي يفترض أن هذه الظواهر تكشف عنه، إلا أن هوسرل يتفق معها على أن الظواهر فقط هي المعطى، وفي هذه الظواهر فقط تعطى ماهية ما يكون معطى، بمعنى أن ماهية الظواهر نكتشفها في الظواهر نفسها، فالظواهر ليست مجرد مظاهر، وإنما تنطوي على معناها في باطنها.

وعلى ذلك، فإن العودة إلى الأشياء أو الظواهر في ذاتها، إنما تعني الدعوة إلى توجيه مسار البحث الفلسفي ليبدأ من الجذور، أي من الأشياء ذاتها لا من التصورات، من المعطيات والظواهر لا من النظريات، فالأشياء ذاتها لا تصوراتنا عنها، هي التي ستخبرنا بكل شيء، ومن هنا شعور هوسرل بأن الفلسفة قد اهتمت اهتماماً بالغاً بالتصورات على حساب المعطيات، فوُجعت بالتالي في أسر عادة البدء

(¹) لمزيد التفصيل انظر: سعيد توفيق، مرجع سابق، ص 24.

بمجموعة من التصورات، وجعلت النظرية نتاجًا لنوع من التلاعب المنطقي بهذه التصورات، ولذلك أراد أن يجعل من الفلسفة بحثًا بلا تصورات أو فروض مسبقة، وأن تقوم على المعطيات أو الأشياء ذاتها، والتحرر من الفروض المسبقة هنا إنما يتعلق بالفروض غير المنقحة، وغير المحققة، وغير القابلة للتحقق، ومن هنا كان الارتباط الوثيق بين مفهوم "العودة إلى الأشياء" ومفهوم "التحرر من الفروض المسبقة" كمفهومين أساسيين داخل نموذج الفلسفة الأولى، والبدء بما يكون معطى لنا في الخبرة المباشرة، وعدم تجاوزه، أي ما يظهر للوعي كخبرات معيشة قابلة للوصف والتحليل، وبذلك تصبح الفينومينولوجيا فلسفةً أولى وعلماً يقينياً وقبلياً صارماً، بحيث ترتبط قضاياها التي تم التحقق منها وفقاً لمنهج الفينومينولوجيا، ارتباطاً نسقياً، وهكذا يكون العمل الفلسفي نتاجاً لمجهود جماعي وليس مجهودات فردية منفصلة، وتصبح الفلسفة علماً منهجياً نسقياً تكاملياً، لا أنساقاً فردية ومذهبية، وفضلاً عن ذلك تكون الفينومينولوجيا علماً كلياً بحكم كشفها للماهيات التي يفترضها العلم الجزئي، فإذا كان الأخير يهتم بالكيفية التي تسير عليها الأشياء، فإن الفينومينولوجيا تهتم بماذا تكون الأشياء ذاتها، ومن هنا تكون علماً كلياً¹.

وبذلك، فإن الفينومينولوجيا عند هوسرل تصبح هي العلم الكلي والفلسفة الأولى التي تمهد لفلسفة ذات مجال أوسع من مجال العلم التجريبي التقليدي، وأكثر رحابة ودقة من مذاهب الفلسفة المتعددة؛ لأنها تمثل الأرضية اليقينية الشاملة وتقدم الشروط القبلية الضرورية لكل فلسفة دقيقة وكل معرفة صحيحة، وموضوع

(¹) انظر: سعيد توفيق، مرجع سابق، ص 23 وما بعدها.

الفينومينولوجيا بوصفها علمًا كليًا هو الأنا المتعالية والخالصة التي تحمل في طياتها الماهيات الأساسية للوجود المادي، وذلك من خلال الشعور المرتبط بهذه الأنا، وهو الشعور الخالص وليس الشعور المادي المتغير الذي تقوم بدراسته العلوم الوضعية، وذلك لدراسة هذا الشعور الخالص من أجل إدراك الماهيات الحية الكامنة فيه، والتي تحمل في ذاتها كل بدهةٍ ممكنة¹.

وهكذا بعد أن تتبّعنا السياق الفلسفي والبدايات الأساسية لظهور الفينومينولوجيا عند هوسرل، ننتقل الآن لنحاول التعرف على عناصر التحليل الفينومينولوجي لديه.

المبحث الثاني: عناصر التحليل الفينومينولوجي عند هوسرل

إن ما سيتم تناوله في هذا المبحث هو الكشف عن المفاهيم الأساسية التي استخدمها هوسرل في التحليل الفينومينولوجي، والتي تتمثل أساسًا في ثلاثة عناصر أو مفاهيم: القصدية (أولًا)، الرد الفينومينولوجي، الإبوخيه (ثانيًا)، الأنا الترنسندننتالية (ثالثًا)، وهو ما نتولى عرضه وفقًا للتالي:

أولًا- القصدية:

إن مهمة الفينومينولوجيا هي أن تحلل فعل الوعي الذي تُعطانا وفقه ظاهرة من الظواهر، وبالتالي يتعلق الأمر إذً بضرب من الوصف التأملي²، فظهور الموضوعات في الوعي ليس تلقائيًا لها سلبًا لها من الخارج، ذلك أن الوعي ليس

(¹) انظر: سماح رافع محمد، مرجع سابق، ص 125 وما بعدها.

(²) جان هرش، الدهشة الفلسفية (تاريخ للفلسفة)، ترجمة: محمد آيت حنا، منشورات الجمل، بيروت، 2019، ص 427.

وعاء يتم فيه جمع ما تتحصل عليه الحواس، فحضور الموضوع في الوعي يكون نتيجة قصد الوعي إليه، وليست القصدية هي أن يقصد الوعي إلى الأشياء الخارجية بهدف إدراكها، بل القصدية تكون نحو الموضوع الحال في الوعي بهدف معرفته وإصدار الحكم عليه، ومعنى ذلك أن الحكم ليس وضعاً لشيء خارجي تحت تصور أو مقولة، بل هو توجه قصدي من قِبَل الوعي نحو الموضوع الحال فيه منذ البداية¹، فالقصدية بهذه المثابة هي أهم مفاهيم وعناصر التحليل الفينومينولوجي من حيث كونها تقوم على أن كل وعي هو وعي بشيء ما، والوعي هو التجربة أو الخبرة، والقصدية هي علاقة الوعي بالعالم وبالأشياء².

وقد ظهرت فكرة القصدية أولاً لدى برنتانو أستاذ هوسرل، والذي استخدمها في سياق تمييزه بين علم النفس التجريبي وعلم النفس الوصفي، فقد ذهب برنتانو إلى أن علم النفس الوصفي لا يدرس الوعي من وجهة نظر عضوية أو سلوكية كما يفعل علم النفس التجريبي، بل يدرسه على أنه وعي قصدي، ومن هنا اعتقد أنه اكتشف ماهية الذهني أو ماهية الوعي (الشعور)، بوصف القصدية هي القاسم المشترك بين كل ما هو ذهني أو شعوري، فخاصية كل شعور هي أن يكون شعوراً بشيء، وكل ما هو فعل ذهني أو موقف عقلي هو موجه نحو موضوع "قصدي"، فالقصدية عند برنتانو إذ تعني الإشارة إلى موضوع داخل الوعي، أي مضمون معين داخله، أو موضوعية محايدة، فالوعي لا يحتوي فقط على أحداث أو حالات ذاتية سيكولوجية، بل يتضمن كذلك موضوعية حقيقية وليست واهمة أو من صنعه هو، لكنها في نفس الوقت تنتمي إليه لأنها تظهر فيه، فالموضوعية عند برنتانو إذًا

(1) أشرف منصور، مرجع سابق، ص 23.

(2) شايع الوقيان، ماهي الفينومينولوجيا، مسودة كتاب غير منشورة، ص 8.

هي موضوعية ناتجة عن قصدية الوعي، وهذه الأخيرة تتجه نحو موضوعها وتعنيه بصرف النظر عما إذا كان الموضوع موجوداً بالفعل أم غير موجود¹، وحيث إن كل شعور هو شعور بشيء ما، فإن فكرة القصدية بهذه المثابة وبوصفها ماهية الذهني، تُعدُّ مناوئةً لنظرة ديكارت الثنائية إلى العقل بوصفه جوهرًا مستقلًا قد يوجد بمعزل عن كل موضوع شعوري، ففي القصدية يعد الفكر (الكوجيتو) وموضوعات الفكر (المُفكَّر فيه) وحدة لا انفصام لها²، فالذات والموضوع هنا متلازمان ومتضايقان وليس بينهما انفصال أنطولوجي، غير أن هذا التلازم لا يجعل الموضوع جزءًا من الذات، بل هما شيئان مختلفان لكن متلازمان تلازم الورقة وظهرها، وهذا التلازم هو أساس القصدية، فإذا كان الكوجيتو الديكارتي يقطع منتصف الطريق فيقول (أنا أفكر...) فإن هوسرل يتم الطريق بقوله: (أنا أفكر في شيء ما...) ³.

أخذ هوسرل عن أستاذه فكرة القصدية وتحولت لديه إلى فعل للوعي ينتج به الموضوعية، فالموضوع الذي يشير إليه الوعي ليس مجرد شيء يقصد إليه الوعي، بل هو من إنتاج الوعي ذاته، فالأفعال القصدية هي المنتجة للموضوعية، وبهذا اختلف هوسرل عن أستاذه الذي ذهب إلى أن الوعي لا يقوم بشيء إلا أن يقصد موضوع محايت له، بعكس هوسرل الذي ذهب إلى أن القصدية لا تعني مجرد قصد الوعي إلى موضوع، بل تعني أنها تنتج الموضوع ذاته، وجعل يستخلص منها عدة نتائج، منها أن فكرة القصدية تكشف مواطن القصور في المذهب الطبيعي

(1) أشرف منصور، مرجع سابق، ص 24، عادل مصطفى، مرجع سابق، ص 187.

(2) عادل مصطفى، مرجع سابق، ص 189.

(3) شايع الوقيان، مرجع سابق، ص 9.

السببي، فمجال الشعور وموضوعاته القصدية لا يتسنى فيه فهم الارتباطات إلا في ضوء المعنى والتبرير العقلي، وهو ما لا يقبل الرد إلى مجرد تفسيرات سببية أو تفسيرات سيكولوجية ترابطية، فالفيينومينولوجيا عند هوسرل تأخذ على عاتقها تحليل الوعي، والوعي، بما هو قصدية، لا يقبل أي سببية، فهو سرل -كما مرّ بنا- يحارب السيكلوجيا المموضعة التي تحاول تفسير الوعي بإرجاعه إلى علل خارجية، كما يحارب النزعة السيكلوجية الاستبطانية، التي تسعى إلى اختزال الوعي في تفرعاته السببية الباطنية، فالسببية بالنسبة لهوسرل مقولة لا يمكن أن تنطبق على الوعي، وشعار هوسرل "العودة إلى الأشياء في ذاتها" ليس قطعاً دعوة إلى واقعية ساذجة، إنما يعني أنه لا بد لنا من أن نمسك بماعية الوعي، إن أردنا أن نفهم كيف يصير أي موجود، كيفما كان، قابلاً لأن يُدرك من طرف الوعي القصدية¹.

وعلى ذلك، فإن الخبرة القصدية إذًا هي خبرة الوعي بالموضوع عن طريق المعنى المقصود من قبل الذات والذي يرتبط مباشرة بالموضوع، وكما يقرب مفهوم القصدية الذات من الموضوع، فهو يقرب الموضوع أيضاً من الذات، ويتبين هذا من قول هوسرل بأن كل العالم الواقعي الموضوعي عبارة عن تمثّل للوعي Representation، فالقصدية تعبر عن أن الوعي يحمل في ذاته باعتباره كوجيتو (أنا أفكر) موضوعه المفكّر فيه، وأن القصدية الصريحة هي كوجيتو مكتمل²، ويعني بذلك أن الذات عندما تكون واعية بدورها القصدية في المعرفة، تكون هذه القصدية كوجيتو صريح، أي وعياً ذاتياً يكون الذات مفكرة، أي وعياً

(1) جان هرش، مرجع سابق، ص432، 425.

(2) Husserl, Logical Investigations, Vol. I, PP. 142-156.

بالذات أثناء العملية المعرفية. ومعنى هذا أنه يوجد مستوى آخر من القصدية غير المكتملة تكون فيه الذات غير واعية بأفعالها المعرفية وتعتقد في أن الموضوعية هي في تلقيها السلبي للأشياء من العالم الخارجي، في حين تكون الموضوعية نتيجة لأفعال الوعي التي لا تدركها الذات بالكامل¹، وهذا المستوى غير الواعي أو التلقائي للقصدية لم يؤكد عليه هوسرل بما فيه الكفاية، كما لم يميز بدقة بين قصدية واعية وقصدية غير واعية، لكن تظهر معرفته بقصدية غير واعية من بعض الإشارات المتفرقة في مؤلفاته، مثل قوله: ((إن القصدية الحية تقودني إلى الأمام، إنها تحددني عملياً في كل توجهاتي، بما فيها توجه تفكيري الطبيعي... إن القصدية الحية تقوم بكل هذا على الرغم من أنها يمكن أن تكون غير صريحة وغير مكشوفة وبالتالي بعيدة عن انتباهي))².

إذاً يتضمن الذهني دائماً إحالة إلى موضوع أو محتوى ليس شرطاً أن يكون موجوداً بأي معنى عدا كونه الموضوع المقصود في فعلنا الذهني، وموضوع الفينومينولوجيا هو الطبيعة الماهوية لهذه المحتويات منظوراً إليها باعتبارها موضوعات قصدية صرفاً للأفعال الذهنية، فالظواهر هي الموضوعات النهائية لعلم بلا فروض مسبقة، والفينومينولوجيا هي علم الموضوعات القصدية للوعي، وتتخذ شعاراً لها ((إلى الأشياء ذاتها))، بمعنى أننا ينبغي أن نواجه الأشياء بالضبط كما ن خبرها في الوعي، وبمعزل عن أي فروض مسبقة نظرية أو ميتافيزيقية، لا أن

(1) أشرف منصور، مرجع سابق، ص 25، 26.

(2) Husserl, Formal and Transcendental Logic, P. 235.

نواجهها كأشياء بأي معنى آخر، إذ ينبغي أن نعود إلى الخبرة ذاتها، أي عالم الشعور المحض أو الذاتية الخالصة¹.

ثانياً - الرد الفينومينولوجي (الإيبوخيه):

إذا كانت فكرة القصدية تعتبر من الأسس والعناصر الجوهرية في التحليل الفينومينولوجي، فإن هذه الفكرة تعتمد بدورها على ما سماه هوسرل بعملية الرد التي حدّد وظائفها وأبرز مكانتها في فكرة القصدية خاصة وفي الفينومينولوجيا عامة²، ذلك أنه لتحقيق حد أدنى من الوعي بنقاوة الأسس وخلوها من الفروض المسبقة، وهو متطلب أساسي للموقف الفلسفي الحقيقي، قدّم هوسرل منهج الرد الفينومينولوجي أو الوضع بين أفواس أو الإرجاء أو الإيبوخيه، وهي من الكلمة اليونانية Epoche التي تعني التعليق أو التوقف Suspension أي تعليق الاعتقاد أو التوقف عن الحكم، وهذا الرد هو قلب المنهج الفينومينولوجي، فالذي يبقى بعد أطراح كل الفروض المسبقة عن الأشياء هو وحده اليقيني والضروري عن هذه الأشياء³، فالتعليق والرد متداخلين لديه، فبعد تعليق الحكم، وهو المعنى المتضمن في مصطلح الإيبوخيه، يتم رد الموضوع إلى الوعي بهذا الموضوع، أي إلى الإفعال المعرفية التي يأتي بها الموضوع للوعي، وبذلك يكون الرد إلى المجال القبلي الذي يتأسس فيه الموضوع، ولذلك يسميه هوسرل الرد الفينومينولوجي الترنسندنتالي، بمعنى رد الخبرة إلى المجال القبلي الترنسندنتالي الذي ينظر إليه

(¹) عادل مصطفى، مرجع سابق، ص 190 وما بعدها.

(²) سماح رافع محمد، مرجع سابق، ص 138.

(³) عادل مصطفى، مرجع سابق، ص 193.

هوسرل على أنه مجال الوعي الخالص، وبهذا يرى البعض أن الإيبوخيه والرد كلاهما يهدف إلى الوصول إلى نفس المجال القبلي الترنسندنتالي الذي انطلق منه كانط¹.

فالإيبوخيه هي خطوة ضرورية في منهج الرد الفينومينولوجي؛ لأنها تعمل على تجاوز المواقف والأحكام المسبقة المتناقضة، التي تعطي الأولوية إما للذات، وإما للموضوع، وهذا ما ترفضه الإيبوخيه، ويقول هوسرل: ((إننا نلجأ إلى الإيبوخيه لتغيير الموقف الطبيعي الذي هو الموقف السائد، وذلك ليس لأسباب عرضية بل ماهوية))².

ولكي يتحقق هذا الهدف الفينومينولوجي في الارتداد من العالم الطبيعي الخارجي إلى عالم الشعور الداخلي لإدراك الماهيات الحقيقية للأشياء، فإن الرد يكون وفقاً لعمليتين رئيسيتين كما يرى هوسرل: الأولى: هي الرد الفينومينولوجي المتعالي، الذي نضع فيه كل هذا العالم الطبيعي المادي بين قوسين، ونعلق الحكم عليه مؤقتاً، لكي نفلت من الانبهار به والانغماس فيه، ومن ثم نتمكن من توجه أنظارنا حينئذ إلى شعورنا الداخلي وإلى فعل الإدراك نفسه، بحيث يتسنى لنا التركيز على موضوعات الوعي كظواهر خالصة، كما تتراءى وتتبدى في الوعي³. أما الثانية: هي الرد الصوري الماهوي، الذي نقوم فيه بإدراك الصور العقلية والماهيات الحقيقية للأشياء

(1) انظر: أشرف منصور، مرجع سابق، ص18.

(2) إدموند هوسرل، فكرة الفينومينولوجيا، ترجمة: فتحي إنقزو، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007، ص80.

(3) انظر: سماح رافع محمد، مرجع سابق، ص141، شايع الوقيان، مرجع سابق، ص16.

كما تظهر حياةً في الشعور، وحيث تتحقق بالفعل المعرفة اليقينية الثابتة لكل الحقائق الممكنة، بحيث ننظر إلى الموضوعات التي تم ردها إلى ظواهر محضة، لا في جزئيتها وعرضيتها، بل في كليتها وماهيتها، بمعنى ألا نتعلق من الظواهر إلا بما هو كلي ماهوي، وألا تشغلنا الظواهر إلا بوصفها عينات أو نماذج لأنماط من الظواهر، فالرد هنا هو رد للظواهر ذاتها (وقد تم حصرها في الوعي) إلى ماهياتها، فالظواهر هي ذاتها الأشياء، ووضع العالم بين قوسين لا يؤثر نهائيًا في طبيعة الظواهر ولا ملامحها، ولا يبقى لنا من عمل إزاءها سوى وصفها، فالمنزل مثلًا أمامي الآن، حاضرٌ لوعيي، قد يكون غير موجود فعليًا هناك، ولكن هذا لا يهم الآن، فالمهم الظاهرة وليس الوجود، وينبغي عليّ أن أكتفي بوصف هذه الظاهرة وأتخاشى أي منهج يبعدي عنها، كالتعليل الذي يترك المنزل ويبحث في علته، أو التأويل الذي يترك المنزل ويبحث عن دلالاته النسبية المتنوعة في عقول الناس، عليّ فقط وصف وتحليل ما وصفته، لكي أصل إلى الماهية¹.

وإن كانت الإبوخية تهدف إلى تجاوز العالم الطبيعي، عالم الخبرة الحسية والموقف الطبيعي للوعي، للوصول إلى الوعي الخالص أو الأنا المطلق، بينما يبدأ الرد الفينومينولوجي المتعالي أو الترنسندنتالي بدراسة كيفية ظهور العالم في هذا الوعي عن طريق رد الخبرة التجريبية والحسية إلى الخبرة القبلية الخالصة؛ إلا أن ما يجمعهما معًا هو استبعادهما للموقف الطبيعي للوعي، والرد الفينومينولوجي الترنسندنتالي ليس معناه أن هناك نوعين من الرد، فالرد واحد، ولكنه فينومينولوجي في طبيعته ومنهجه، وهو ترنسندنتالي أيضًا؛ لأنه يسعى للوصول إلى المستوى

(1) انظر: محمد أبو بكر أبوعزة، خطوات المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل، المجلة الليبية

للدراستات، دار الزاوية للكتاب، ع3، يوليو 2013، ص96

الترنسندننتالي، أي المستوى القبلي الذي يتم فيه تكوين الموضوعية عن طريق أفعال الموضوعية، أي أفعال الوعي في تأسيس الموضوعية¹.

وجدير بالإشارة، أن الإبوخيه لا تعني إنكار وجود العالم الخارجي (ولا إثباته)، فحن لا نحذف الواقع الخارجي أو نقصيه أو نلغيه، وإنما نحيدّه ونضعه جانباً، وبهذه الطريقة يتمكن المرء من بلوغ الموقف الفلسفي القويم، والفلسفة إذ تبلغ هذا الموقف الفينومينولوجي تجاه موضوعات الوعي، لا تشغلها هذه الموضوعات من حيث هي محتويات ذهنية معينة، بل تشغلها من حيث هي دلالات أو معان، فالإبوخيه يجرّد موضوعات الوعي الظاهرية الخالصة من وجودها أو عدم وجودها، ومن كل ما هو غير جوهرى لها لكي تكون ما هي، عندئذ نراها كما هي في ذاتها²

ثالثاً - الأنا الترנסندننتالية (المتعالية):

يقول هوسرل في التأمّلات الديكارتية: ((إنني بلجوني إلى عملية التعليق الفينومينولوجي، إنما أُحيل أناي الإنسانى الطبعي، وحياتي النفسية - مجال تجربتي الداخلية - إلى أناي المتعالي والفينومينولوجي، الذي هو مجال التجربة الداخلية المتعالية والفينومينولوجية. إن العالم الموضوعي الذي يوجد، أو وُجد، أو سيوجد بالنسبة إليّ، إنما يستمد بكل ما فيه من أشياء، كل معناه وكل قيمته الوجودية،

(1) راجع: أشرف منصور، مرجع سابق، ص 21.

(2) عادل مصطفى، مرجع سابق، ص 195.

الذين له في نظري، من ذاتي ذاتها... إنه يستمدها من أناي المتعالي الذي يكشف التعليق الفيونمينولوجي المتعالي وحده عنه¹.

لقد أوضح هوسرل في مقدمة كتابه التأملات الديكارتية، أنه يتفق مع ديكارت في هدفه من إصلاح الفلسفة خاصة وبقيّة العلوم عامة، لكنه يختلف عنه في طريقة تحقيق هذا الهدف من وجهة نظر جديدة ذات طبيعة ماهوية متعالية، يسعى من خلالها إلى إعادة تشييد الفلسفة باعتبارها وحدة كلية للعلوم على أساس يقيني مطلق، وبداية الانطلاق في هذا الطريق تكون بالرجوع إلى الذات²، حيث يقول هوسرل في موضع آخر من التأملات: ((ففي المكانة الأولى، يجب على من يريد أن يصبح فيلسوفاً في الحقيقة، أن ينطوي على ذاته، مرة في حياته، وأن يحاول أن يقلب في داخل نفسه، جميع العلوم المتقبلة حتى ذلك الحين، وأن يحاول من ثمة إعادة بنائها. إن الفلسفة عمل شخصي من أعمال الفيلسوف، على نحو من الأنحاء. إن هذه الفلسفة ينبغي أن تنشأ بما هي فلسفته هو، وأن تكون حكمته هو، ومعرفته هو...))³

في الفقرة ثانياً من هذا المبحث، تم التطرق إلى أن الرد الفيونمينولوجي، بوصفه عنصرًا من عناصر التحليل الفيونمينولوجي، يضع بين أقواس كلاً من العالم الخارجي الطبيعي والافتراضات المرتبطة بالاعتقاد في مثل هذا العالم، غير أن هناك شيئاً آخر يظل عرضة للإبوحيه، وهو الأنا الفردي أو الوعي، فكل فعل

(¹) إدموند هوسرل، تأملات ديكارتية أو المدخل إلى الفيونمينولوجيا، ترجمة: تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، 1958، ص 90.

(²) انظر بتوسع: سماح رافع محمد، مرجع سابق، ص 153 وما بعدها.

(³) إدموند هوسرل، تأملات ديكارتية، مصدر سابق، ص 43.

للعوي يفترض ذاتاً أو أنا افتراضاً مسبقاً، غير أن ما يهم ليس هو هذه الأنا الخالصة، بل ما هو ماهوي بالنسبة للأنا. هذه الأنا الفردية هي أيضاً يجب أن توضع بين أقواس من أجل أن نعاين ماهية الفرد المفكر نفسه، ومن ثم فإن وجود أي أنا معينة هو أمر غير ذي صلة بتحديد الماهية الكلية للأنا بصفة عامة، ألا وهي "القصدية المحضة". إن ذلك الذي ينخرط في عملية تقويس العالم الطبيعي بما فيه الأنا التجريبية نفسها لا بد أن يكون شيئاً ما. وهوسرل يسمي هذا الشيء "الأنا الترנסدنتالية" التي تقف خارج العالم.

إن ماهية هذه الأنا الترנסدنتالية هي أنها تقف بوصفها شرط سابق لأي فعل ذهني أو لأي خبرة على الإطلاق بما فيها جميع أفعال الرد الفينومينولوجي، فنحن بإزاء بنية ثلاثية للوعي: أنا - أفكر - بموضوع فكري. هذه هي العناصر الثلاثة المتصلة منطقياً ل: الأنا الخالصة (الأنا التي تفكر)، والفعل الذهني (الفكر)، والمحتوى (موضوع الفكر).

يقدم هذا التصور فينومينولوجيا ترנסدنتالية كاملة، موضوعاتها النهائية هي مجموعة هائلة من أصناف المعنى أو الدلالة (نويما Noema)، ترتبط بأفعال الفهم (نوتيس Noesis)¹ الخاصة بالأنا الترנסدنتالية. وهذه الأخيرة هي المطلق الوحيد، لأنها تبقى بعد كل تقويس أو تعليق، إنها مفترضة سلفاً في كل فعل للوعي أو الخبرة أيًا كان هذا الفعل، حتى فعل التقويس والتعليق نفسه. والأنا الترנסدنتالية هي الشرط المسبق لكل معنى، إنها الشيء الوحيد الذي لا يمكن أن يطرحه الفكر؛ لأنها مفترضة سلفاً في كل تفكير.

(1) راجع: محمد فرحة، المفهوم الفينومينولوجي للنظرية القصدية عند هسرل، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد 31، ع 1، 2009، ص 105.

وقد نزع هوسرل في المراحل المتأخرة من فلسفته، كما هو واضح من كتابه التأمّلات الديكارتية، إلى إسداء دور نشط للأنا الترنسندنتالية، وخلّص إلى أنها تشكل وتشيد بطريقة نشطة معنى موضوعات الوعي. فكل اتجاه هوسرل المتأخر قد نحا نحو ضرب من فينومينولوجيا العقل، ابتداءً من تأملاته الديكارتية التي تدور حول بناء العقل وتحليل المتضايقات أو الارتباطات التي يشتمل عليها كل اتجاه قصدي¹. الأنا الخالصة تمنح الموضوعات معناها الذي يجعلها موضوعات للوعي. ولكن هذا بحد ذاته لا يفضي إلى المثالية، فلعل الأنا الترنسندنتالية لا تفعل أكثر من أن تدرج عالمًا مستقلًا وجوديًا في مقولات مفهومة أو تصورات معقولة، وبذلك تجعله موضوعًا للوعي، غير أنه إذا كان الواقع الوحيد الذي يمكن أن يعترف به لموضوع ما هو تلك الدلالة التي تسبغها عليه، بشكل نشط، تلك الأنا الترنسندنتالية، يكون الواقع أو العالم معتمدًا وجوديًا على الأنا الترنسندنتالية، وهذه مثالية.

إن نظرة هوسرل توميء إلى شكل من أشكال المثالية الذاتية (الواقع معتمد وجوديًا على الذات) حيث الوجود كله مرتب للمعنى الذي تسبغه الذات الترنسندنتالية (أو الذات بما هي كذلك) على الأشياء. وإن كان يظل بالإمكان الرد بأن مثل هذه الدلالات أو الماهيات هي موضوعية من حيث إنها مستقلة عن وجود أي وعي بعينه، وإنها عامة مشتركة تشمل كل وعي بما هو وعي².

(1) زكريا ابراهيم، مرجع سابق، ص 337.

(2) عادل مصطفى، مرجع سابق، ص 203.

خاتمة

نبين في هذه الخاتمة أهم ما تم التوصل إليه من نتائج في هذا البحث، وهي كالتالي:

- إن الفينومينولوجيا هي علم الوعي الخالص، والمنهج الدارس لظهور الماهيات في الوعي، وشعارها الفلسفي الرئيسي هو العودة إلى الأشياء ذاتها.
- لقد كان الداعي الأول لهوسرل في تقديم منهجه الفينومينولوجي هو ما وقف عليه من أزمة في الأسس التي تقوم عليها العلوم الأوروبية، تمثّلت في تهافت هذه الأسس التي تنطلق من الموقف الطبيعي القائم على افتراضات مسبقة يتم التسليم بها تسليمًا يقينيًا.
- على إثر أزمة الأسس، قدّم هوسرل الفينومينولوجيا كمنهج من شأنه جعل الفلسفة علمًا كليًا يقينيًا ودراسة وصفية محضة لوقائع الفكر والمعرفة بعيدًا عن كل نزعة تجريبية.
- إن القصديّة من أهم مفاهيم وعناصر التحليل الفينومينولوجي من حيث كونها تعبر عن علاقة الوعي بالعالم وبالأشياء، فكل وعي هو وعي بشيء ما، ومن ثم فإن الذات والموضوع والفكر والمُفكّر فيه متلازمان ومتضايقان وليس بينهما انفصال أنطولوجي، بخلاف الكوجيتو الديكارتي الذي يجعل من العقل جوهرًا مستقلًا عن موضوعاته.

- إن القصدية لدى هوسرل تعتمد بدورها على عملية أخرى مهمة وهي عملية الرد الفينومينولوجي أو الوضع بين أقواس، من خلال التوقف عن الحكم، وبالتالي تجاوز المواقف والأحكام المسبقة المتناقضة التي ينطلق منها الموقف الطبيعي.
- إن الأنا الترنسندنتالية تقف بوصفها شرطاً سابقاً لأي فعل ذهني ولأي خبرة على الإطلاق، بما فيها جميع أفعال الرد الفينومينولوجي، فهي المطلق الوحيد والمتعالي الذي يشكل ويُشيد معنى موضوعات الوعي.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

1- إدموند هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنسندننتالية، ترجمة: إسماعيل المصدق، مراجعة: جورج كتورة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008.

2- إدموند هوسرل، تأملات ديكارتيّة أو المدخل إلى الفينومينولوجيا، ترجمة: تيسير شيخ الأرض، دار بيروت للطباعة والنشر، 1958.

3- إدموند هوسرل، فكرة الفينومينولوجيا، ترجمة: فتحي إنقزو، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2007.

4- Husserl, Formal and Transcendental Logic

5- Husserl, Logical Investigations

ثانياً- المراجع:

1- أشرف منصور، عناصر التحليل الفينومينولوجي عند هوسرل، متاح بصيغة word على صفحة المؤلف في موقع: www.academia.com، ص4، تاريخ الدخول: 2021/04/04، عند الساعة: 01:00ص.

2- أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1984.

- 3- جان هرش، الدهشة الفلسفية (تاريخ للفلسفة)، ترجمة: محمد آيت حنا، منشورات الجمل، بيروت، 2019.
- 4- زكريا إبراهيم، دراسات في الفلسفة المعاصرة، مكتبة مصر، القاهرة، د.ت.
- 5- سعيد توفيق، الخبرة الجمالية، دراسة في فلسفة الجمال الظاهرية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992.
- 6- سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسرل، دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1991.
- 7- شايح الوقيان، ماهي الفينومينولوجيا، مسودة كتاب غير منشورة.
- 8- عادل مصطفى، فهم الفهم، مدخل إلى الهرمنيوطيقا، نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادامر، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007.
- 9- عبدالقادر بوعرفة، المنهج الفينومينولوجي في العلوم الإنسانية، اللحظة الإيبوخية أُنموذجًا، مقال متاح على موقع شبكة ضياء على الرابط: www.diae.net ، تاريخ الدخول: 2021/04/07، عند الساعة: 10:23.
- 10- فتحي المسكيني، أوروبا الأخرى ... مقاطع من نقد العقل الهوي، مقال منشور على موقع مجلة الفيصل على الرابط: www.alfaisalmag.com ، تاريخ الدخول: 2021/04/07، عند الساعة: 23:33.
- 11- محمد أبوبكر أبوعزة، خطوات المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل، المجلة الليبية للدراسات، دار الزاوية للكتاب، ع3، يوليو 2013.

12- محمد فرحة، المفهوم الفينومينولوجي للنظرية القصدية عند هسرل،
مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، المجلد 31، ع 1، 2009.

13- يوسف بن أحمد، المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل، المجلة
التونسية للدراسات الفلسفية، تصدر عن الجمعية التونسية للدراسات الفلسفية،
ع 40، 41، 2006.

ثالثاً- المعاجم اللغوية والفلسفية:

1- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج 2، باب الظاء، دار الكتاب اللبناني، مكتبة
المدرسة، بيروت-لبنان، 1982.

2- دليل أكسفورد للفلسفة، تد هوندريتش، ترجمة: نجيب الحصادي، ج 2، ظ-ي،
المكتب الوطني للبحث والتطوير، طرابلس، د.ت.

3- معجم التعريفات، الجرجاني، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار
الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، باب العين، رقم (1231)،
ص 130، باب الظاء، رقم (1131).

4- معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة
والنشر، بيروت، ط 3، 2006

5- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد،
دار الجنوب للنشر، تونس، 2004.

6- موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات
عويدات، باريس، المجلد 2، H-Q، ط 2، 2001.

نماذج من شبهات المستشرقين حول اللغة العربية

إعداد: أ. سمية عبد السلام غريبي

المخلص:

يتناول البحث قضية من أهم القضايا التي تتعلق بالهوية العربية والإسلامية؛ حيث يبرز الدراسات الاستشراقية حول اللغة العربية، ويسلط الضوء على بعض هذه الدراسات لوضع طرق التعامل المناسبة لها؛ لاسيما وأن قضية الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية هي قضية متجددة مع كل عملية انفتاح على الآخر وتقارب التعامل معه.

ويمكن تلخيص أبرز أهداف هذا البحث في إبراز أصالة اللغة العربية، وإثبات أنها صالحة لكل زمان ومكان، وفي ذات الوقت معرفة شبهات المستشرقين حول اللغة العربية من خلال دراسة نماذج تطبيقية قديمة ومعاصرة لمستشرقين تناولوا اللغة العربية دراسة ونقداً.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، المبعوث رحمة للعالمين... وبعد:

فإن اللغة العربية هي اللغة التي اصطفاها الله - عز وجل - لغةً للوحي الخاتم، ووعاء للكلمة الربانية، وإنما كان هذا التشريف لعظمتها وسعتها وقدرتها على استيعاب لفظه وغايته، ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾⁽¹⁾ .

وأهمية هذه اللغة من أهمية الوحي المنزل بها، فهي مفتاح فهمه ومدخل بوابته، لذلك اعتنى بها (المستشرقون) أيما عناية؛ افتتانًا وانجذابًا؛ افتتانًا بسحرها، وانجذابًا لعمق بحرها.

وهذا البحث بعنوان: (نماذج من شبهات المستشرقين حول اللغة العربية) نتناول فيه بعضًا من اهتمام المستشرقين باللغة العربية؛ ومن ثم نتائج تفاعلهم مع هذه اللغة، ونسلط الضوء هنا على شبهاتهم حول اللغة العربية، مع محاولة تفنيدها.

مشكلة البحث:

تعامل المستشرقين مع اللغة العربية أفرز عدة نتائج، منها ما يصب في صالحها؛ ومنها ما يصب الشبه عليها وفق نتائج المناهج الاستشراقية التي تعالج اللغة وعلومها، ومن هنا جاء هذا البحث لتوضيح هذه الشبه التي أثارها الدراسات الاستشراقية ومحاولة وزنها والرد عليها، مجيبا على الأسئلة التالية: ما أهمية اللغة في ذاتها؟ وكيف كان اهتمام المستشرقين بها؟ وما الشبه التي أوردوها حولها؟

1 - سورة الزمر، الآية:28.

أهداف البحث:

يمكن تلخيص أبرز أهداف هذا البحث في إبراز أصالة اللغة العربية، وإثبات أن اللغة العربية صالحة في كل زمان ومكان، ويحمل دعوة لعلماء اللغة العربية إلى النهوض بها، وإحيائها، وتجديدها، ويهدف البحث إلى معرفة شبهات المستشرقين حول اللغة العربية من خلال دراسة نماذج تطبيقية قديمة ومعاصرة لمستشرقين تناولوا اللغة العربية دراسة ونقداً.

أهمية البحث:

يدرس البحث قضية من أهم القضايا في الهوية العربية والإسلامية، حيث إن نتائج الدراسات الاستشراقية لاقت قبولاً في الكثير من الأوساط الأدبية والفكرية والثقافية العربية والإسلامية ذاتها، بالتالي فتأثيرها لم يقف على المستشرقين فقط، بل دخل لصلب الهوية العربية والإسلامية، وشكل تراكماً معرفياً لا يمكن تجاهل الآثار الناتجة عنه وعن معالجته، وهذا البحث يسלט الضوء على بعض هذه الآثار لوضع طرق التعامل المناسبة لها؛ لاسيما وأن قضية الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية هي قضية متجددة مع كل عملية انفتاح على الآخر وتقارب التعامل معه.

تمهيد: أهمية اللغة ودورها

اللغة: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁽¹⁾ وهي مستخدمة في تحقيق الاتصال؛ ودورها هذا من أبرز وظائفها⁽²⁾، فوظيفة اللغة متسعة لتستوعب جميع أسباب استخدامها حسب المتكلمين بها، وهذا أمر لا يمكن حصره، وهو ما يستلزم قبولها للتوسيع والتغيير والمرونة؛ لأن الأغراض تختلف باختلاف الأفراد والأزمنة والأحوال⁽³⁾، واللغات تختلف في قبول ذلك التوسيع والتغيير من لغة لأخرى مراعاةً لعوامل عدة.

فاللغة أداة مهمة بل الأهم في التواصل على كافة مستوياته؛ العقلي والفكري والثقافي، وهي جسر العبور بين الأفراد والجماعات والأمم والحضارات، وتمثل بصورها المحكية والمكتوبة سجلاً للإنتاج الفكري والثقافي والفني والأدبي، فلا يمكن وجود ثقافة وحضارة دون وعاء لغوي، فالحضارات تتحاور وتتداخل وتتلاقح وتتصارع وتتكامل، وكل ذلك باللغة.

واللغة تربط الفرد بأمته وحضارته التي ينتمي إليها، وبالتالي هي ليست حروفاً مجردة، بل وراءها مستوى عالٍ من التواصل والنضج، كما أن اللغة دوراً مهماً

1- الخصائص لابن جني، ج1، ص33، لم نشأ تطويل البحث بالعرض المفصل لمفهوم اللغة؛ وللمزيد ينظر: التعريفات للجرجاني، ص26، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ج: 2، ص131، ودلائل الإعجاز للجرجاني، ص44، والبنوية لجان بياحيه، ص64.

2- وصف اللغة العربية دلاليًا، محمد يونس علي، ص50، وللمزيد حول وظائف اللغة؛ ينظر: قضايا الشعرية لرومان جاكسون، ص30 وما بعدها.

3- وصف اللغة العربية دلاليًا، ص51.

في تحديد الهوية للأفراد والجماعات؛ فاللغة هي اللاعب الحقيقي في تاريخ العالم،⁽¹⁾ والمجتمعات تتقدم بالاهتمام بلغتها وتطويرها، كونها قاسماً مشتركاً للصف، وتتأخر . المجتمعات . بهجر لغتها واضعافها .

والتبعية الفكرية والثقافية والانبهار بالآخر يضعف اللغة التي هي وجه من وجوه الهوية⁽²⁾، ومن أراد القضاء على الهوية؛ فاللغة بوابته لذلك، "قالمغلوب مولع أبداً بغالبه"⁽³⁾.

كما أن اللغة دوراً مهماً في الفكر والتفكير، فهما كورقة؛ الفكر صفحتها واللغة ظهرها⁽⁴⁾، وكما لا يمكن أن نقطع الصفحة دون قطع ظهرها؛ فلا يمكن فصل اللغة عن الفكر⁽⁵⁾، كما أن اللغة دوراً بارزاً في تحقيق الانسجام والوحدة الفكرية بين أبناء الهوية الواحدة، وتقرب التفاهم وتبعد التنازع الداعي للفرقة والخلاف، كما أن لغة أثراً ملحوظاً في التشكيلات الجغرافية ورسم الحدود السياسية؛ حيث تسهم في تشكيل الأقاليم والحدود الجغرافية، أو تخلق بعض الهويات اللغوية توترًا داخل تشكيل جغرافي معين⁽⁶⁾.

1- للمزيد يمكن الاطلاع على مباحث علم اللغة الاجتماعي.

3 - جدل العلاقة بين اللغة والهوية، عيسى برهومة، وللمزيد ينظر: اللغة والهوية وحوار الحضارات، نادية مصطفى وسيف الدين عبد الفتاح، ص83 وما بعدها، والهوية العربية والأمن اللغوي، عبد السلام المسدي، (مواضع متفرقة من الكتاب).

3-المقدمة، لابن خلدون، ج1، ص258.

4-يرجع هذا التشبيه للفرنسي دي سوسير في كتابه دروس في الألسونية العامة.

5- العلاقة بين اللغة والفكر، أحمد حماد، ص17 وما بعدها.

6- كما هو الحال على سبيل المثال إقليم الكيبك في كندا.

المطلب الأول: اهتمام المستشرقين باللغة العربية

لا نضيف جديدًا إذ نوثق أن الفشل العسكري (للغرب) في السيطرة على (الشرق) دعاه للتفكير الجاد في أساليب أخرى للتغلغل في هذا (الشرق)، بعد أن أيقن أن الأفكار لا تهزم في أرض المعارك، وأن الفكرة لا تجابه إلا بالفكرة، غير أن هذا قد يكون مجانبًا للصواب حين يُعد هو السبب الوحيد؛ لارتباطه بالفشل بعد (الحروب الصليبية) (1096-1291م)؛ والاهتمام بالعربية حدث حتى قبلها، كما أنه ينفي أي اهتمام بالعربية لأغراض علمية وثقافية وحضارية.

لذلك قد يكون من المناسب تقسيم اهتمام المستشرقين بالعربية إلى مراحل، تابعة في الواقع لحركات المد والجزر بين (الشرق والغرب) أو بين الإسلام والمسيحية عبر الزمن، مع ملاحظة أن اجتثاث كل مرحلة من فك الأخرى من الصعوبة بمكان.⁽¹⁾

فالصلة بين الاستشراق واللغة العربية صلة وثيقة ممتدة موهلة في القدم، حتى بالغ البعض في تقدير هذه الصلة؛ فذهب إلى أن الاستشراق يختص بفقه اللغة خاصة.⁽²⁾

1- للاطلاع على هذه المراحل ينظر: نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي الحاج، من ص 37، ج1، ولاهتمام المستشرقين بالعربية دوافع وأسباب عدة؛ لم نشأ تطويل البحث بها، وللاطلاع عليها ينظر: المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية، إسماعيل عمارة، ص16 وما بعدها.

2- المستشرقون والمناهج اللغوية، إسماعيل عمارة، ص16، وقد يكون ذلك صحيحًا في بعض مراحل الاستشراق.

وأبرز نقطة تماس بين الاستشراق والعربية يمكن تسجيلها؛ هي في الأندلس إبان تواجد المسلمين فيها؛ إذ كان إعجاب الغرب باللغة العربية والحضارة الإسلامية عظيمًا، حتى أصبحت العربية في ذلك الوقت هي معيار الثقافة عند الغرب، ما دعا المتعصبين منهم للقلق قائلين: "المسيحيون يدرسون كتب الفقهاء المسلمين وفلاسفتهم لا لنقيدها والرد عليها؛ بل للتعلم بأسلوب عربي بليغ وجميل، والشبان المسيحيون لا يعرفون علمًا ولا أدبًا ولا لغة إلا العربية، ويقبلون على الكتب العربية بنهم وشغف، في الوقت الذي يحتقرون فيه الكتب المسيحية وينبذونها".⁽¹⁾

من هذا الإقبال على العربية حدثت حركات ترجمة واسعة، لأغراض وأسباب متعددة أسهمت في نشر اللغة العربية، حتى إن إسبانيا والدول الأوروبية الأخرى أرسلت الرهبان والقساوسة لطلب العلم في الجامعات العربية كجامعة قرطبة،⁽²⁾ وتوج هذا الإقبال بتوصية مؤتمر فيينا 1312م بتدريس اللغة العربية رسمياً في المراكز العلمية الأوروبية.⁽³⁾

ويضاف إلى الانبهار بالعربية؛ الحرية الدينية التي كفلها المسلمون لأهل الديانات الأخرى، والتسامح الإسلامي معهم⁽⁴⁾، مما ألقى قلوب الناس للحضارة الإسلامية ودفع فضولهم لتعلم اللغة العربية، مما أدى لقلق الكنيسة من المد الإسلامي وخوفها من انكماش المسيحية.

1- نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي الحاج، ج1، ص42، 41.

2- المرجع نفسه، الجزء والصفحات نفسها.

3 - المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، إسماعيل عمارة، ص 377؛ ونقد الخطاب الاستشراقي، ساسي الحاج، ج1، ص45.

4- المستشرقون، نجيب العقيقي، ج1، ص88.

وكان من نتائج قلقهم التفكير الجدي في ترجمة الكتاب المقدس للمسلمين، لفهمه والرد عليه، وتغيير المسيحيين من الدخول فيه، وصرف المسلمين عنه، وأول من دعا لذلك ورعاه رسمياً (بطرس المبجل) وأنجزت هذه الترجمة عام 1143م⁽¹⁾.

ويمكن أن تعد هذه الخطوة الأبرز في الدعوة إلى العربية، بعد حركات الترجمة العلمية السابقة لها، وربطها بالاستشراق والتتصير؛ لأن أحلام هداية المسلمين لمحاسن المسيحية ظلت حبيسة اللاتينية⁽²⁾، وأيقنوا أن العربية هي الأداة التي توصلهم لعقول المسلمين، وأنها مدخلهم السياسي والاقتصادي والثقافي للعرب والمسلمين، ويدل على هذا قول (بطرس المبجل) نفسه في خطابه للمسلمين: (إنني لا أهاجمكم كما يفعل كثيرون بيننا بالسلح، إنني أوجه إليكم كلمات فقط، بغير عنف، وبتعقل وهدوء من غير كراهية، وبحب كبير...)⁽³⁾.

وفي معرض الحديث عن اهتمامهم بالعربية؛ لا يمكن تجاوز أنهم حققوا إنجازات كثيرة ومتنوعة للغة العربية، وكان اهتمامهم بكل ما يتصل بها من قريب أو بعيد؛ فقهها وأصواتها ولهجاتها ونحوها وصرفها ومعاجمها وفلسفتها وأصولها وعلاقتها باللغات الأخرى، والكثير منهم بذل جهوداً كبيرة في خدمة المعجم العربي تحقيقاً وترجمة ونشراً.⁽⁴⁾

1- نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي الحاج، ج1، ص45.

2- المرجع نفسه، ج1، ص45.

3- المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، إسماعيل عمارة، ص375.

4- المرجع نفسه، ص374؛ والتأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية بين الانصاف والاجفاف، محمد عيساوي، ص302 وما بعدها.

المطلب الثاني: شبهات المستشرقين حول اللغة العربية وتفنيدها

ينطلق المستشرقون من الناحية المنهجية في دراسة اللغة العربية وآدابها من المناهج التي تدرس بها لغاتهم وآدابهم، ويطبقون على الإسلام واللغة العربية المعيار النقدي ذاته الذي يطبقونه على دياناتهم وآدابهم وتاريخهم⁽¹⁾، ولا شك أن تطبيق ذات المعايير على أمرين مختلفين في الأصل والمعطيات والغاية؛ سينتج عنه نتائج مجانية للصواب بقصد أو بدونه .

وانطلاقاً من هذا فإن الدراسات الاستشراقية للغة العربية على مميزاتها وخدماتها التي قدمتها للعربية فيما يتعلق بالنشر والتحقيق والترجمة التي أظهرت التراث الإسلامي للعالم؛ فإنها من ناحية أخرى أثارت على العربية العديد من الشبه والانتقادات الناتجة عن خطأ المنهج والاجراءات أحياناً، وعن نية مبيتة أحياناً أخرى خاصة مع تضافر تلك الدراسات مع الخطط (الاستعمارية والتتصيرية).

ونوضح في هذا المطلب بعض الشبه التي أوردوها على العربية مع محاولة تفنيدها ما أمكن، ولعل أبرز هذه الشبه:

- ازدواجية اللغة (الفصحى والعامية).
- الجمود والعجز عن مواكبة التطور العلمي.
- عدم أصالة النحو العربي.
- صعوبة الحرف العربي والاملاء وصعوبة النطق والكتابة.

1- أثر الاستشراق في اللغة العربية وآدابها، محمد التماس خان، ص 75.

أولاً- ازدواجية اللغة:

ظهر مصطلح الازدواجية أول ما ظهر عند الفرنسيين على يد (وليم مارسيه) الذي نحت هذا المصطلح وعرفه بأنه التنافس بين لغة أدبية مكتوبة، ولغة عامية شائعة⁽¹⁾، ثم نقله الانجليزي (شارل فرغسون) إلى الإنجليزية ليدل على شكلين مختلفين من استخدام اللسان نفسه؛ أي أنه تنافس بين نوعين للسان واحد⁽²⁾، ويقصد به وجود العامية بجانب الفصحى، فالفصحى هي التي تستخدم في تدوين الإنتاج الأدبي والعلمي وفي الدوائر الرسمية، والعامية هي لغة الحياة اليومية بكل ما فيها.

إذا كان هذا هو تعريف الازدواجية، فإنها بهذا المعنى؛ تشكل شرحاً في مكونات عملية التداول اللغوي اليومي، فتجعل الكتابة بصفتها مظهرًا لغويًا، طريق الفصحى وميدانها، وتجعل المشافهة والحوار والتداول الخطابي، بصفته المظهر اللغوي الآخر طريق العامية وسبيلها، وكلما كان البون شاسعاً بين المظهرين أو المستويين كان الشرخ كبيراً؛ وهو يصب في غير مصلحة الفصحى، ويترتب عليه تباعد عنها، قد يفضي إلى الفجوة والنسيان⁽³⁾.

وقد اعتبرت هذه الظاهرة اللغوية في نظر بعض المستشرقين من أهم المشكلات التي تعترض العربية، والحل في نظرهم إحلال العامية في جميع

1- ازدواجية اللغة، نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها، محمد راجي الزغلول، ص 121.

2- المرجع نفسه، ص 122.

3- الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، عباس المصري وعماد أبو حسن، ص 6.

المجالات لكي تتحد اللغة، على الأقل في غير الأغراض الدينية، وإذا لم يحدث ذلك في نظرهم؛ فإن لغة الحديث والأدب ستقرض وتحل محلها لغات أجنبية، نظراً لزيادة الاتصال بالدول الأوروبية.⁽¹⁾

ورأى بعض المستشرقين أن ازدواجية هي السبب الرئيس في تأخر الكثير من الطلبة الأذكياء، بسبب الانقسام اللغوي بين لغة الواقع ولغة الكتابة، ورأوا أن أمل التقدم ضعيف طالما أن العامة تتعلم الفصحى، ولو قرأت الشعوب العربية لهجاتها العامية؛ فإن ذلك . وفق قولهم . سيؤدي لبزوغ فجر جديد في حياة العرب وتخلص الطبقات المثقفة من السخرة العقلية.⁽²⁾

تفنيد هذه الشبهة:

ازدواجية الفصحى والعامية ليست خاصة بالعربية فقط، بل هي من طبيعة كل اللغات، ومن هذه الطبيعة اللغوية تنشأ الازدواجية، ليصبح - مع الزمن - واقعا ناجزا، وسمة لازمة من سمات اللغة⁽³⁾، وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن هذه الظاهرة يجب أن تعالج بما يتناسب مع خصوصية كل لغة، وليس إبعاد الفصحى العربية من الحياة؛ أو حصرها للأغراض الدينية؛ هو الحل الوحيد لذلك؛ لما لها من خصوصية تتعلق بالرسالة الخاتمة، ثم إن الفصحى في ذاتها ليست هي السبب في تأخر (العقول الذكية)، بل إن الواقع التاريخي للحضارة العربية الإسلامية يفند ذلك،

1- التأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية بين الإنصاف والإجحاف، محمد عيساوي، ص300.

2- المرجع نفسه، ص 305.

3- الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، عباس المصري و عماد أبو حسن، ص 5.

بل لذلك أسباب تُبحث في محلها، ثم إن العامية ليست قسيماً لغوياً للفصحى فلا يمكن مقابلتها بها.

ثانياً- الجمود وعدم القدرة على مواكبة التطور العلمي:

في سبيل تغييب الفصحى التي هي لغة الوحي الإسلامي والسبب في تشكيل هوية موحدة بين الناطقين بها؛ قام المستشرقون بقذف الفصحى بتهمة القصور العلمي والعجز عن مواكبة التطور الحضاري، وعدم القدرة على استيعاب المصطلحات العلمية الحديثة، ومن قولهم: (إن انتشار التعليم هذا الانتشار الخاطف استلزم الشروع فوراً بتعلم العلوم الحديثة ومصطلحاتها الفنية - الجديدة على العرب- فكان ذلك عبئاً ثقيلاً على اللغة العربية، وبالرغم من مرونة العربية إلا أنها لم تتمكن من الاستجابة لهذا الطلب المفاجئ استجابة كافية)⁽¹⁾؛ ففي نظرهم العربية لغة خرساء عاجزة عن اللحاق بركب العلوم والفنون، مجدبة مقفلة ليس لديها من الغنى ما يجعلها صالحة للحياة العصرية.

تفنيد هذه الشبهة:

هذا الاتهام لا يتفق مع حقيقة اللغة العربية، لأنها لغة حية لها طاقة هائلة على استيعاب المعاني الكثيرة في الكلمات القليلة، ويمكن معرفة ذلك من خلال الاطلاع على المعاجم العربية، ومن المستشرقين أنفسهم من أقر للعربية بهذه

1 - مواقف المستشرقين من قدرة اللغة العربية على استيعاب مصطلحات العلوم التجريبية، أبو سعد الأعظمي أرخان، ص 5 وما بعدها.

القدرة⁽¹⁾، ومما يشهد لذلك أن الأمم المتحدة اعتمدت العربية لغة سادسة نظراً لأهميتها وعدد المتكلمين بها.

ثم إن الواقع التاريخي يثبت العكس تماماً، فاللغة العربية لم تحافظ على الحضارة وحسب؛ بل صنعتها، وأوروبا مدينة للعربية بنهضتها، ثم إن الظواهر اللغوية كالوضع والقياس والاشتقاق والتعريب والتوليد والنحت التي تتميز بها العربية تجعلها مؤهلة لاستيعاب أي متغيرات وتطورات مع الحفاظ على أصالتها، يقول الشافعي في الرسالة: "ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غيرُ نبي".⁽²⁾.

ثالثاً - عدم أصالة النحو العربي:

بعض المستشرقين نفى الأصالة عن كل ما هو عربي إسلامي، حيث يرون أن العلوم العربية ليست وليدة البيئة الإسلامية، إنما ترجع لأصول ومصادر خارجية في أساس وجودها ونشأتها، وتطورها أحياناً⁽³⁾؛ وليس النحو ببعيد عن هذا الاتهام، فعدوه هو الآخر من تأثيرات اليونان غالباً، وأحياناً من تأثيرات السريان والهنود⁽⁴⁾.

1- للاطلاع على نماذج من أقوالهم ينظر: المرجع السابق، ص 96 وما بعدها.

2- الرسالة، الشافعي، ج: 1، ص 34.

3- بعض المستشرقين يقر بدور العرب والمسلمين في تطوير العلوم لكنه ينفي أن تكون تلك العلوم نشأت وولدت عند العرب والمسلمين.

4- المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، إسماعيل عمارة، ص 42 وما بعدها.

وفي إطار هذه الشبهة، افترض المستشرقون علاقات علمية - إن صحت - بين أعلام العلوم العربية كالخليل بن أحمد الفراهيدي وأبي الأسود الدؤلي، وبين من لهم علاقة واضحة بالحضارة الفارسية كعبد الله بن المقفع، أو السريانية كيعقوب الرهاوي وحنين بن إسحاق، وإذا وجدت هذه العلاقات العلمية فإنه من المحتم التأثر والأخذ عن تلك الحضارات . في رأيهم ..

كما أشاروا في إطار هذه الشبهة إلى بعض المسائل اللغوية التفصيلية كتقسيم الكلام لثلاثة أقسام، وبعض المفاهيم الاصطلاحية كالإعراب والقياس والحركة⁽¹⁾، وأن وجودها عند العرب وبعض الحضارات والثقافات السابقة لهو دليل على أخذها عن تلك الحضارات وعدم أصالتها العربية.

تفنيد هذه الشبهة:

تعتمد الشبه الاستشراقية على افتراضات لا وجود لأدلة قاطعة عليها، واعتماد الفرضيات وبناء نتائج عليها يُعد خطأ في المنهج العلمي.

ومما يثبت عدم صحة هذه الافتراضات أن كتب النصوص النحوية وكتب تاريخ النحو لم تشر لهذا التأثر، وترد نشأة هذه العلوم لظروف محلية، مع انتماء أصحاب هذه المصادر لأعراق مختلفة، ومع ذلك لم يدعوا هذا الادعاء على اختلاف فروع المعرفة التي ينتمون إليها،⁽²⁾ ومع عدم وجود غضاضة لدى

1- المرجع نفسه، ص44.

2- المرجع نفسه، ص 45 وما بعدها.

المصادر الإسلامية في الاعتراف بالاستفادة من الحضارات المجاورة كنظام الديوان، تتبين عدم صحة هذه الشبهة.

كما أن المنطق اليوناني دخل مع حركات الترجمة في العصر العباسي، والنحو قد ظهر ونشأ لضرورة إسلامية محضة لخوف اللحن في القرآن الكريم، وذلك قبل العصر العباسي.

ومع كل هذا فإن اللغات بطبيعتها متشابهة بحكم تشابه النشاط العقلي الإنساني، ولا بدّ من تأثر الحاضر بالماضي، والمستقبل بالحاضر، لكن ذلك لا يمنع من إمكانية الإبداع والإضافة والتطوير والتنقيح.

رابعاً: صعوبة الحرف العربي والاملاء وصعوبة النطق:

هناك من المستشرقين من دعا إلى استبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية، محتجاً بصعوبة الحرف العربي، ك (فلهم شبيتا) الذي يرى أن الخط العربي هو السبب في تخلف اللغة العربية، ويرى أن طريقة الكتابة (العقيمة) بحروف الهجاء (المعقدة) يقع عليها القسط الأكبر من اللوم.⁽¹⁾

ويرى نفر من المستشرقين أيضاً أن الاملاء والأصوات العربية منظومة معقدة، وأنها السبب في تأخر التعليم؛ إذ يستحيل على المبتدئ . في نظرهم . التمكن من فهمها والإبداع فيها.

تفنيد هذه الشبهة:

1- التأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية، محمد عيسوي، ص 309.

هذه الشبهة فيها الكثير من التعسف ضد العربية لعدة أسباب؛ منها أن صعوبة التعلم أمر نسبي يختلف من شخص لآخر، مع ملاحظة أنه قد يعود لصعوبات متعلقة بأشياء أخرى غير اللغة في ذاتها، كالمعلم والمتعلم ومناهج التعليم، بالإضافة إلى أن الاملاء العربية أيسر وأكثر انضباطاً منها في الفرنسية والانجليزية مثلاً اللتين تكثر فيهما الحروف التي تكتب ولا تنطق، والكلمات التي لها نطق يختلف عن هجائها، بينما لا توجد تلك الشواذ في الكتابة العربية.⁽¹⁾ كما أن النظام الصوتي الفريد للعربية هو غالباً سبب سحرها وجمالها، وافتتان غير العرب بها.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث أصل إلى الخاتمة، والتي تنقسم إلى نتائج وتوصيات.

أولاً- النتائج:

1. اللغة من النعم التي أنعم الله بها على البشر ولها دور مهم في الفكر والتواصل وتحديد الهوية، وتجاهل ذلك يحدث ردود فعل مختلفة، منها غير محمود العواقب.
2. اللغة العربية هي لغة الخطاب الإلهي للبشر، ولغة الخطاب هي بالضرورة لغة فهمه التي توصل لتفعيله، من هنا كان اهتمام المستشرقين باللغة العربية، كما دعاهم للاهتمام بها الانفتاح على الشرق وإرادة فهمه لدوافع مختلفة.

1- أثر الاستشراق في اللغة العربية وآدابها، نور مدني ومحمد خان، ص 77.

3. انطلق المستشرقون الطاعنون في العربية من فرضيات تفتقر للأدلة القطعية، وبدل معالجتهم لهذا الخطأ الإجرائي؛ انطلقوا من هذه الفرضيات على أنها مسلمات، وانتقلوا من مناقشتها إلى طرح أساليب أخرى للخروج بالعربية من الأزمات التي اختلقوها هم لها.

4. قضية عدم أصالة العلوم العربية والإسلامية واعتمادها على مصادر خارجية من القضايا المفتقرة للأدلة القطعية، وقد سجل القرآن الكريم نفسه في عدة مواضع هذه الشبهة التي يكررها المعارضون له منذ نزوله إلى أن يشاء الله، فقال تعالى ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (1).

وتسجيل القرآن لهذه الشبهة فيه دليل على استمرارها من المنكرين، وهي مخالفة لطبيعة التعامل والتبادل الإنساني للمعارف، وعلاقات التأثير والتأثر الطبيعية بين الحضارات، مع الحفاظ على مساحة للإبداع والإضافة.

5. قضية ازدواجية اللغة من القضايا الشائكة التي يفرضها الواقع، والتي تحتاج لدراسات معمقة للوصول لحلول تخفف من حدة ردود الفعل، لكن لا شك أن استبعاد الفصحى يعد حلاً مستبعداً جملة وتفصيلاً لما لها من خصوصية عند العرب والمسلمين.

ثانياً: التوصيات:

1. تطوير مقررات ومناهج اللغة العربية بالجامعات والمؤسسات التعليمية، بحيث تواكب المستجدات التربوية والدعوية والتقنية.

1 - سورة الفرقان، الآية:5.

2. عقد المؤتمرات، وإقامة المناظرات، وتنظيم الندوات من أجل فهم واستيعاب ما يقدم من المستشرقين عن اللغة العربية ونقدها نقدًا موضوعيًا.

3. المشاركة في الفعاليات والملتقيات العالمية والإقليمية التي تُعنى باللغة العربية، ودعم المشاركين بكل أوجه الدعم.

4. توجيه الجهود للاهتمام بلغة الإعلام، كونه المؤثر المباشر في تشكيل لغة الخطاب.

وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وآخر دعوانا أن

الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- الكتب:

1. الإمتاع والمؤانسة، لأبي حيان التوحيدي، دار آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2018م.
2. النبوية، جان بياجيه، ترجمة: عارف منيمه، بشير أوبري، دار عويدات، بيروت، الطبعة: الرابعة، 1985م.
3. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى.
4. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت.
5. دلائل الإعجاز، أبوبكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1995م.
6. الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد شاکر، مكتبه الحلبي، مصر، الطبعة: الأولى، 1940م.
7. العلاقة بين اللغة والفكر، أحمد عبد الرحمن حماد، دار المعرفة الجامعية، 1985م.
8. قضايا الشعرية، رومان جاكسون، ترجمة محمد الولي ومبارك كنوز، دار المعرفة الأدبية، 1988م.

9. اللغة والهوية وحوار الحضارات، نادية مصطفى وسيف الدين عبد الفتاح، برنامج حوار الحضارات بجامعة القاهرة، 2006م.
10. المستشرقون والمناهج اللغوية، إسماعيل أحمد عمايرة، دار حنين، عمان الأردن، 1992م.
11. المستشرقون ونظرياتهم في نشأة الدراسات اللغوية، إسماعيل أحمد عمايرة، دار حنين الأردن، الطبعة: الثانية، 1996م.
12. المستشرقون، نجيب العقيلي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1964م.
13. المقدمة، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، تحقيق عبد الله الدرويش، دار يعرب دمشق، الطبعة: الأولى، 2004م.
14. مواقف المستشرقين من قدرة اللغة العربية على استيعاب مصطلحات العلوم التجريبية، لأبي سعد الأعظمي بن حافظ جمعة أرخان، جامعة طيبة السعودية، 1412هـ.
15. نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي بيروت، الطبعة: الأولى، 2002م.
16. الهوية العربية والأمن اللغوي، عبد السلام المسدي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات قطر، الطبعة: الأولى: 2014م.
17. وصف اللغة العربية دلاليا، محمد محمد يونس علي، جامعة الفتاح، طرابلس - ليبيا، 1993م.

ثانياً: البحوث المنشورة.

1. أثر الاستشراق في اللغة العربية وآدابها، نور زمان مدني ومحمد التماس خان، مجلة برجس، جامعة العلوم والتكنولوجيا بانو/ باكستان، العدد: 1، 2018م.
2. ازدواجية اللغة، نظرة في حاضر اللغة العربية وتطلع نحو مستقبلها، محمد راجي زغلول، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد: 8، 1980م.
3. الازدواجية اللغوية في اللغة العربية، عباس المصري وعماد أبو حسن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد: 8، 2014م.
4. التأثيرات الاستشراقية في مسيرة اللغة العربية بين الإنصاف والإجحاف، محمد عيساوي، مجلة تاريخ العلوم، جامعة زيان عاشور الجلفة، الجزائر، العدد: 7، 2017م.
5. جدل العلاقة بين اللغة والهوية، عيسى برهومة، مجلة الغد الأردنية، 2002م.
6. المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية، إسماعيل عمايرة، مجموعة بحوث جمعت، ونشرتها دار البشير، عمان الأردن، 1996م.

المكتبات العامة وأثرها على المجتمع (المركز الثقافي الخمس نموذجاً)

إعداد: د خميس ميلاد الدزيري

المخلص:

يهدف هذا البحث لتعريف بالمكتبات العامة وبيان واقعها ودورها في خدمة المجتمع، وقد كان المركز الثقافي الخمس نموذجاً لذلك، كما هدف هذا البحث للتعرف عن الصعوبات والمشاكل التي تواجه المكتبات العامة، والوقوف على إمكانية حلها بالطرق العلمية و تقديم المكتبات العامة علي صورتها المتمثلة في الخدمات المكتبية باستخدام التقنيات التي تعتمد على تكنولوجيا الحاسب الالي والمتطورة ، كما توصل الي ان المكتبة هي العقل النابض لكونها تهتم بالعملية التعليمية وينقل المعرفة للباحثين بمختلف تخصصاتهم و توجهاتهم، كما أكد البحث علي ضرورة تهيئة بنية تحتية تكنولوجية لمواكبة لمتطلبات عصر المعلومات الحالي لغرض استثمارها في بناء نظام معلوماتي يظهر دورها واضحاً في بناء وتنمية المجتمع وإعادة هيكليّة الإمكانيات المادية والبشرية داخل المكتبات وبالتحديد في المركز الثقافي الخمس والسعي إلي تطبيق معايير الجودة في أتاحه المعلومات الإلكترونية المتوفرة فيها والاستفادة من التقنيات الحديثة وضرورة دعمها مادياً من قبل البلدية الخمس التي تقدم لها ولسكانها الخدمات الفكرية والثقافية، مع

ضرورة إيجاد موقع بديل للمركز الثقافي الخمس يكون بعيداً علي الازدحام والوضوءاء لتمكين رواد المكتبة من القراءة والاستمتاع بها.

Abstract:

This research aims at identifying public libraries and manifesting their reality and role in community service where Alkums Cultural Center served as a case study. The study also aimed at identifying the complexities and problems that public libraries encounter and examining possible means to solve those issues scientifically. Moreover, it aimed at presenting public libraries in their images represented in the library services using techniques that rely on advanced computer technology. Likewise, the researchers concluded that libraries are vibrant minds because they are concerned with the educational process and knowledge transfer to researchers in their various disciplines and orientations. The research also confirmed the necessity of setting up technological infrastructure to keep up with the requirements of the current era of information. This serves as an investment in configuring the information system whose role is manifested in structuring and developing the society, and restructuring

materialistic and human capabilities within the libraries, specifically in the Alkums Cultural Center, as well as seeking to apply quality standards in providing electronic data available in the libraries. Further, benefiting from modern technologies and the need to be financially supported by Alkums municipality, which provides the libraries and the residents with intellectual and cultural services, with the need to find an alternative location for Alkums Center far away from the overcrowded neighbourhood and rowdiness to enable library visitors to read and enjoy visiting the libraries.

المقدمة:

تعد المكتبات من أهم المعالم التي تدل على مستوى التقدم الحضاري والثقافي لدى الشعوب العالم، فهي توصف بأنها كنز المعلومات الذي قدمه علمائها للحضارة الإنسانية والذي بدوره يحفظ الأمة تراثها وتاريخها، وتضم المكتبات بين رفوفها كميات ضخمة من المعلومات التي بإمكان أي شخص في هذا المجتمع الاطلاع عليها، وتعد المكتبات العامة من أهم المكتبات وذلك لانها تخدم قطاعاً عريضاً وكبيراً من المجتمع حيث يقصدها كل القاطنين في المنطقة طلباً للمعرفة وسعياً للثقافة والترفيه عن نفس وسبيلاً لتعلم، كما ان المكتبة العامة ليس مكاناً أو مجرد مجموعات من المواد المكتبية يقوم ويهتم بها مجموعة من الأمناء والمعاونين ولكنها

أهم وأشمل من هذا فالمكتبة العامة رسالة مهمتها خدمة الثقافة و التعليم ومن ثم يجب أن توفر فيها أوعية المعلومات بكل أنواعها قديمة كانت أو حديثة (1).

وعادة ما تنشأ المكتبة الإلكترونية أو المكتبة الرقمية في المكتبات العامة وذلك بالاعتماد على الأوعية الإلكترونية القائمة بذاتها والقابلة للتداول بشكلها المادي الملموس لنقل تلك المعلومات، سواء كانت مسجلة على أسطوانات ضوئية أو على وسائط ممغنطة (2).

كما يمكن القول ان المكتبات العامة الثقافية هي المصدر الرئيسي لنشر العلم والمعرفة، حيث بدأ في السنين الأخيرة الاعتماد على قياس تقدم الأمم بقياس العلم والمعرفة بها، فقد أصبحت المساهم الحقيقي علي أرض الواقع المجتمعي في تطوير المجتمع نفسه وذلك بالمعرفة، وان أردنا تحقيق تطور مجتمعي حقيقي من خلال المكتبات العامة يجب أن تتسم إدارة المكتبات بالمرونة والقدرة على التغيير خدمات المكتبة علي حسب الاحتياج المجتمعي، فيجب ان تكيف كل مكتبة خدماتها حسب احتياج مستخدميها فقد يكون الاحتياج أما تعليمي أو تثقيفي أو مجتمعي.

تقوم المكتبات العامة بدوراً هاماً في تطوير وتكوين فكر المجتمع وثقافته، وتعمل علي نشر الوعي المعلوماتي والثقافة وهي مرفق من المرافق الثقافية التي تنشأ لتخدم نطاق جغرافي محدود، حيث أن خدمات المعلومات تعرف بانها خدمات تقدمها أو

¹ - حامد دياب الشافعي، إدارة المكتبات ومراكز المعلومات، القاهرة، دار صفاء للنشر، 2004م، ص70.

² - حشمت قاسم. تقنيات المعلومات وخصائص مجتمع المعلومات، -مجلة دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات. -مج 12. ع 3، 2007، ص11.

تطلبها المكتبات أي أن المعلومات المقتناة في المكتبة أو القسم من المتوقع طلبها، وتعرف بأنها خدمة تهيئها مكتبة متخصصة هدفها جذب الانتباه إلى المعلومات التي في حوزة المكتبة أو إدارة المعلومات وذلك توقعاً لطلبها.

ولهذا فإن المكتبة العامة أداة من أدوات المجتمع الحديث وأقلها من حيث التكاليف وأثبتها من حيث الفائدة ويقصد بأدوات المجتمع المؤسسات والأنظمة مثل: المدارس والصحف والمتاحف والمصارف والملاهي والإذاعة والرياضة ... إلخ)، فالمطبوعات تسجل الإنتاج الفكري والمكتبة تجمع وتنظم وتنتشر الأفكار والمعلومات التي تضمها المطبوعات، ومنذ أن بدأت النظرة إلى المكتبة العامة تتشكل باتجاهات العدالة الاجتماعية أصبحت الأفكار والمعلومات في متناول جميع أفراد المجتمع بالتساوي وبدون مقابل بصرف النظر عن مهنة الفرد أو عقيدته أو طبقتة الاجتماعية أو جنسه أو لونه.

كما نعلم بأن المكتبة العامة الثقافية تم ارتيادها وفقاً لرغبة شخصية قد تكون التعليم، وذلك لما تمثله المكتبة العامة الثقافية من دور تكميلي لدور المدرسة والجامعة في العملية التعليمية سواء كان ذلك متمثلاً في مجموعة من المواد مكتملة لما هو موجود بالمدرسة أو الجامعة أو قربها من سكن الطالب، ويمكن القول إنه عندما تتوفر للمكتبة العامة الثقافية كافة المقومات اللازمة لعملها بشكل جيد من مباني وعاملين، ومقتنيات ومؤازرة مجتمعية يمكنها إذاً أن تصبح جامعة الشعب.⁽¹⁾

¹ - أحمد أنور عمر، المعنى الاجتماعي للمكتبة دراسة لأسس الخدمة المكتبية العامة والمدرسية، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 1997م.

ومن هنا يتضح لدينا أن المكتبات العامة الثقافية عنصراً رئيساً وفاعلاً لصياغة ثقافة المجتمع وذلك من خلال ما تقدمه من فرص التواصل والتعلم المهارات الخاصة باكتساب المعرفة والبحث عن الحقائق وتبادل الآراء وتوفير الفرص للفرد داخل المجتمع من أجل التعلم الذاتي الذي بدوره الكفيل بتحويله إلي فرد مبدع ملم بكافة قضايا التي تحيط بمجتمعه.

مشكلة الدراسة:

ترجع دراسة هذه المشكلة الي أن كونها تتعرض لنوع هام من المكتبات وهي المكتبة العامة الثقافية ودورها وتأثيرها على المجتمع المحيط بها، وكانت مكتبة الخمس الثقافية نموذجاً للدراسة، حيث تقدم المكتبة الخدمات المتنوعة لفئات هامة من المجتمع المحيط بها، والتي تتردد عليها للحصول على معلومات او بحوث علمية او لتثريه والاطلاع، كما انها تعتبر تربة خصبة لتنمية المجتمع من خلال التعرف على مدي تأثيرها في المجتمع، ومن تم تقديم بعض المقترحات المناسبة لزيادة تفعيل دور المكتبات في المجتمع للوصول الي مجتمع ثقافي.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها عملية تقييم مسيرة ووضعية مؤسسات ثقافية عامة تعمل على تحضر الأمم وتهتم ببناء ثقافة أجيال وتحضرها وتعتبر أيضاً عنصراً هاماً في تمتيتها، حيث أن تقديم الخدمات والأنشطة المختلفة بدون تقييم لها لم يعد كافياً، بل لابد من دراسة تقييمه والعمل على تصحيح المسار في حالة انحراف المؤسسات عن هدفها الرئيسي مع وجود معطيات حديثة تحقق المكانة

التميزة لكي تعود بالنفع علي المستفيدين منها، ومن هذا المنطلق برزت أهمية الدراسة الحالية حيث تركزت على المكتبة العامة (مركز الثقافي) بمدينة الخمس لما له من تأثير وأهمية من خلال تقديمه للخدمات للمجتمع المحيط به والمتمثل في مدينة الخمس وضواحيها، كما أن ما زاد من أهميتها هو عدم تطرق بعض الباحثين الي مثل هذه الدراسة وان وجده فأنها ليست متوسعة في دراستها كما الحال في هذا البحث والذي ارتكزت علي دراسة الشاملة للمكتبة الخمس الثقافية والدور الذي تقدمه للمجتمع المحيط به والمترددن عليها.

أهداف الدراسة:

من المعروف ان أي مؤسسة عند أنشائها يجب أن يكون لها هدفاً واضحاً ومُحدد تسير عليه من اجل الوصول الي تحقيق أهدافها ومن هذا المنطلق فإن المكتبة العامة يجب أن توضع لها أهداف واضحة ومهام مرتبطة بها وأنشطة محددة الفترة الزمنية، وتقاس نجاحها بمدى الوصول لتحقيق هذه الأهداف، حيث لا بد من أن يكون هناك وعي من القائمين عليها بهذه الأهداف وكيفية تحقيقها والسير على هداها مع التقييم الدوري لمدى درجة الرضى التي تنتج من الوصول الى المستهدف.

رغم وجود مشروع لتطوير المكتبات العامة من هيئة العامة للثقافة، إلا أن ملامح هذا التطوير تفتقر إلى سياسة عامة تربط بينها وخطط الاستراتيجية وأخري متوسطة وقصيرة الأمد تحقق الأهداف المرتقبة من هذا التطوير. وتستهدف هذه الدراسة اقتراح الأسس التي ينبغي أن تشكل هذه السياسة العامة حتى تؤدي

المكتبات العامة دورها في إكساب الأفراد والمجموعات المعرفة التي تمكنهم من تنمية أنفسهم ومن ثم مجتمعهم وتحويله إلى مجتمع معرفه.

كما تستهدف اقتراح خطأً طويلة ومتوسطة وقصيرة الأمد قد تسهم في تحقيق معيارية أداء هذه المكتبات، وترشيد نفقاتها وتنفيذ برامج التعاون والمشاركة في المصادر بينها، ومن ثم تمكينها من القدرة على الاستمرار في أداء أنشطتها وخدماتها، كما تهدف هذه الدراسة الى رصد التحول الحادث في الأهداف الأساسية للمكتبة العامة في المجتمع الدراسة ومدى تأثير هذه الأهداف بمتطلبات العصر وبآراء المستفيدين واحتياجاتهم.

إن الهدف الرئيسي لهذا البحث هو الإسهام في عملية تطوير إدارة المكتبة الثقافية قيد الدراسة لكي تقوم بدورها في النهوض بمهامها في ضوء التطورات الحديثة في تكنولوجيا المعلومات ونظمها، وهدفت الدراسة إلى ما يلي: -

- أ- التعرف بالمكتبات العامة وبيان دورها في المجتمع.
- ب- التعريف بمكتبة الخمس العامة (مركز الثقافي الخمس).
- ت- ما مدي ملائمة الخدمات التي تقدمها مكتبة مع احتياجات المجتمع ومساهمتها في تنمية، والتعرف على مدي تأثيرها بالمجتمع.
- ث- التعرف على المشكلات التي تواجه المكتبات العامة بشكل عام ومكتبة الثقافية الخمس (المركز الثقافي) بشكل خاص.

تساؤلات البحث:

يسعى البحث للإجابة عن التساؤلات التالية:

- 1- ما الأهداف التي تسعى إليها المكتبة العامة (مركز الثقافي الخمس) لتحقيقها تجاه أفراد المجتمع المحيط بها؟
- 2- كيف تقوم المكتبة العامة بدعوة مكتوبة متكاملة بمشاركة المؤسسات المجتمعية لاجتذاب المواطنين إليها؟
- 3- ما السبل المقترحة لتطوير المكتبة الثقافية (مركز ثقافي الخمس) لتمكينها من وصول خدماتها إلى كل المجتمع المحيط بها؟

منهج البحث:

تنتهج هذه الدراسة منهج يتبعه الباحث من خلال دراسة الحالة والحالات المماثلة لها لكي يمكن الخروج بنتائج تمكنه من محاولة تجنب الوقوع في أخطاء الحاضر وتلافي الأخطاء المستقبلية في الحالات المماثلة ومن أسس المنهج ان يتبع التالي:

- 1- الملاحظة.
- 2- المقابلات الشخصية.
- 3- البيانات الأساسية للمكتبة.

حدود الدراسة:

أ- الحدود الموضوعية: المكتبات العامة وأثرها على المجتمع، (المركز الثقافي الخمس نموذجاً)

ب- الحدود المكانية: دراسة تطبيقية على المكتبة العامة الخمس (مركز الثقافي) داخل مدينة الخمس.

ت- الحدود الزمنية: اشتملت على الفترة الزمنية 2019-2023م.

مصطلحات الدراسة:

- **المكتبات العامة:** هي المؤسسات الثقافية والاجتماعية التي تقدم خدماتها المكتبية والمعلومات لجميع أفراد المجتمع في منطقة معينة ويقصدها المواطنون على اختلاف أعمارهم بهدف القراءة والبحث والاطلاع واستغلال أوقات الفراغ وتسانده مخصصات مالية عامة وخاصة (1).

- **المكتبة الوطنية أو القومية:** وهي المكتبات التي تقوم الدولة بإنشائها، ويمنع إخراج الكتب منها وإعارتها، ويكون الإيداع القانوني فيها شرطاً إجبارياً يلزم به الناشر أو المؤلف، أو المطبعة، والتي يجب أن تزود المكتبة بعدة نسخ مجاني، كما انها تهدف الي جمع التراث الفكري الوطني للدولة وحفظه وتنظيمه والاعلام عنه ونقله للأجيال القادمة (2).

- **المكتبة الإلكترونية:** ويعد التقدم التكنولوجي الذي شهده هذا العصر سبب ظهورها، وتعد من أسهل المكتبات استخداماً وبإمكان الباحث الاستفادة منها متى ما أراد، وهي هيئة معلومات تقوم باستيعاب التقنيات الجديدة المتاحة في عصر

1 - محمد فتحي عبد الهادي، المكتبات العامة، الدار النشر المصرية اللبنانية، 2001م، ص34.

2 - أمين النجاوي، ربحي مصطفى عليان، مقدمة في علم المكتبات والمعلومات، جامعة البلقاء التطبيقية، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1999م. ص28.

الإلكترونيات لدعم قدرتها على تقديم الخدمة، أي أنها تدرس كل تقنية تظهر القدرة على تحسين الخدمات القائمة والإمداد بخدمات جديدة في نطاق رسالتها⁽¹⁾.

- **الكتب:** هو عبارة عن إنتاج فكري معين مطبوع على مجموعة من الأوراق التي تثبت معاً لتشكيل وحدة واحدة، ويعرف بأنه مطبوع غير دوري يشمل في شكله صفحة الغلاف والعنوان⁽²⁾.

الدراسات السابقة:

المكتبات العامة تعتبر من المجالات الخصبة للدراسة لأنها تحتوي على دور مهم تلعبه في المجتمع ومنها تشكل دورها بطبيعة المجتمع الذي تخدمه لكونها بيئة مفتوحة وناضجة ومتطورة تعطي فرصة مميزة لكل من يريد العمل عليها فهي مؤسسة تتعلق بنفاثة الأمم وتطورها وتحضرها وهذه المؤسسة تتطور عبر العصور لتلبي الاحتياجات المستمرة للمجتمع، ومن الدراسات التي توسعت في هذه الدراسة:

1-

دراسة هند بلة البشير الطيب، بعنوان "

دور المكتبات في تطوير الوعي -المعلوماتي لدي طلاب جامعة البطانة"،

قامت هذه الدراسة بالتعريف بالمكتبات العامة وبمكتبة الجامعة والخدمات

التي تقدمها، والتعرف على أسباب ودواعي استخدام الطلاب للمعلومات،

¹ - ربحي مصطفى عليان، المكتبات الإلكترونية والمكتبات الرقمية، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2015، ص158.

² - غالب عوض النوايسة مصادر المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات، مع إشارة خاصة الي كتب المرجعية، ط2 2015، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ص47.

ومعرفة الطرق المختلفة التي يتبعها طلاب في البحث عن المعلومات والوصول الي المستوي الوعي المعلوماتي وارتباطه بدور المكتبة في نشر الوعي المعلوماتي والكشف عن المشكلات التي تحول دون الاستفادة من خدمات المكتبة⁽¹⁾.

2- دراسة نهلة محمد عبدالله السليمي بعنوان " واقع تقنيات المعلومات في المكتبات ومركز المعلومات الموجهة لذوي الاحتياجات الخاصة في مدينة الرياض"، قامت هذه الدراسة برصد واقع خدمات المعلومات الموجهة لذوي الاحتياجات الخاصة بالمكتبات موضوع الدراسة، والتعرف علي مدي استخدامها لتقنية المعلومات، وتوصلت الدراسة إلي أن معظم المكتبات لا تملك أجهزة حاسب ألي أما المكتبات التي تمتلك أجهزة فأغلبها لا يسمح لذوي الاحتياجات الخاصة باستخدامها، وتوصلت أيضاً إلي أن جميع المكتبات موضوع الدراسة غير مرتبطة بشبكة الإنترنت.⁽²⁾

3- دراسة محمد شوقي البدال، المكتبات العامة في دولة الكويت: واقعها ومستقبلها ، هدفت هذه الدراسة للتعرف علي واقع المكتبات العامة وتحديد

¹ - هند بلة البشير الطيب، دور المكتبات في تطوير الوعي المعلوماتي لدي طلاب جامعة البطانة، رسالة ماجستير جامعة الجزيرة، كلية التربية، السودان، 2018م.ص 41.

² - نهلة محمد عبدالله السليمي ، واقع تقنيات المعلومات في المكتبات ومركز المعلومات الموجهة لذوي الاحتياجات الخاصة في مدينة الرياض، رسالة ماجستير، جامعة الأمام محمد بن سعود، 2003 م،ص 44.

جوانب القصور فيها وتقديم الخدمات المكتبية العامة مع وضع تصور مستقبلي للمكتبات العامة وقد اتبعت المنهج المسحي بجانب التاريخي وكذلك وضع الاقتراحات والتوصيات الكفيلة بتطوير المكتبات العامة والنهوض بها، وتوصلت الدراسة الي العديد من النتائج أهمها غياب التشجيع المكتبي الفعال والمتطور لمسيرة التقدم العلمي وان مباني المكتبات العامة لا تستوعب المجموعات المكتبية والزيادة المحتملة في المستقبل كما تعمل المكتبات العامة بشكل مستقيل تماماً عن بعضها البعض دون وجود أي نوع من أنواع الترابط في داخلها⁽¹⁾.

4- دراسة محمد عبدالله أحمد العطاب، بعنوان " المكتبة العامة في اليمن" تدور هذه الدراسة حول المكتبات العامة في اليمن دراسة تقويمية الهدف منها التعرف على واقع المكتبات العامة التابعة للهيئة العامة للكتاب، ومن نتائج الدراسة الا تقدم أغلب المكتبات العامة الا الحد الأدنى من الخدمات المكتبة التقليدية المتمثلة في الإعارة الداخلية والخارجية، والضعف الشديد في مجموعاتها المكتبية، فضلاً عن افتقارها إلى المصادر الحديثة⁽²⁾.

¹ - محمد شوقي البدال، المكتبات العامة في دولة الكويت: واقعها ومستقبلها، جامعة النيلين، رسالة ماجستير كلية الآداب قسم المعلومات والمكتبات، السودان، 1998م.

² - محمد عبد الله احمد العطاب، المكتبات العامة في اليمن، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم المكتبات والمعلومات، جامعة صنعاء، 2010م، ص8.

مكتبة العامة (مركز الثقافي الخمس)

تقع المكتبة العامة في وسط مدينة الخمس التي تطل على البحر المتوسط والتي تبعد على مدينة طرابلس بمسافة (120 كيلومتر) وهي مكتبة عامة تبعتها للدولة وقد سميت بالمركز الثقافي بمدينة الخمس وهي تعد من بين أعرق المراكز الثقافية في ليبيا ويحظى بالرعاية والاهتمام اللّازمين، كما أن المبنى الذي يحتضن المركز الثقافي يعد من المباني العريقة التي لها أثر تاريخي ويعود إنشائه للعام 1964 تقريباً.

ويعتبر مبني المركز الثقافي الخمس من الطراز القديم ذات طابع جمالي ويتكون من طابقين ويحتوي الطابق السفلي على صالة استقبال ومكتب المدير وجناح المكتبة والمكتبة الورقية وحمام، أما الدور الثاني فيضم عدّة إقسام منها مكتب لشبكة الأنترنت لتسهيل البحث العلمي للطلبة، ومكتب نائب المدير وصالة للعروض والمؤتمرات تحتوي على حوالي 100 مقعد كما يحتوي الطابق العلوي على مخزن خاص لتخزين الكُتب. ⁽¹⁾ ويوجد ملحق خاص بالمبنى أسس فيه حديقة وموقف للسيارات ولكن يتم استغلاله من قبل الجهات الحكومية المجاورة له مثل مصرف الجمهورية، ومقر الرئيسي للبلدية الخمس.

¹ - لقاء مع مدير المركز الثقافي الخمس-أ. نوري محمد العريفي و أ. محمد عمر بن طالب مشرف المكتبة المركزية بالمركز -صحيفة (لليبييا الإخبارية بتاريخ 27-مايو - 2019.

صورة رقم (1) المركز الثقافي الخمس المدينة



أن المكتبة لا تحتوي على مخطوطات تاريخية، ولكن تحتوي على (أهمات الكتب)، والتي يرجع البعض منها إلى عشرينات القرن الماضي، وهي تعد كتب نادرة جداً وتحتاج إلى صيانة وترميم.

المراكز الثقافية تتبع المكاتب الثقافية بالمناطق وهذه المكاتب الثقافية هي حلقة الوصل بين الهيئة العامة للثقافة والمراكز الثقافية.

أن مبنى المركز الثقافي الخمس يحتاج إلى صيانة مستعجلة من الداخل والخارج، وهناك أجزاء من المبنى بدأت في التصدع والانشقاق، كما أن المياه مقطوعة عن المقر منذ فترة طويلة، فصيانة مقر المركز مهمة جداً، ويجب تزويد المركز بالكتب والصحف والمجلات بصورة منتظمة.

صورة رقم (2) المكتبة المركزية بالمركز الثقافي الخمس



أحتضن المركز العديد من الندوات والمهرجانات الثقافية والأدبية والفنية، والعديد من ورش العمل الثقافية بالتنسيق والتعاون مع كلية الآداب بالخمسة ومؤسسات المجتمع المدني بالمدينة.

المركز الثقافي الخمس يستقبل العديد من المترددين لطلب المعلومة والزيادة في الثقافة والمعرفة، والبعض الآخر لتهدئة رغباته في الاطلاع وابداع هوياتهم الفكرية ونتيجة للعوامل الطبيعية التي أثرة في المبني من ضهور البقع المياه المعروفة (بالرطوبة)، وتقرش المبني من الخارج واصبح غير صحي نتيجة كثرة الرطوبة والتي بدائه في الظهور واخذت في الانتشار علي جدار المبني علي شكل بقع دائرية يتخللها مياه مع ظهور رائحتها ويستطيع المتردد علي المركز الثقافي

الخمسة تحسبها بوضوح من خلال استئاقها، وحيث ان المبني لم يخضع للصيانة كاملة منذُ فترة لكي تمكنه من الظهور في الصورة الحسنة للمتريدين عليه من الشعراء والادبيين والمطلعين للثقافة والمعرفة ، ومن هذا المنطلق قام مكتب الثقافي الخمس بمراسلة الهيئة العامة للثقافة بالحكومة الوطنية وتقديم التقرير لها علي الوضع الحالي للمركز الثقافي الخمس والمطالبة بضرورة أذخال المركز في صيانة مستعجلة تم الاستجابة والموافقة من قبل الوزارة للثقافة بالحكومة الوطنية وبداء في التعاقد سنة 2021م لصيانة وترميم المركز الثقافي الخمس.

صورة رقم (3)

المكتبة المركزية بالمركز الثقافي الخمس



تحت إشراف مكتب المشروعات بالإدارة العامة للهيئة العامة للثقافة، وحيث بداءة الشركة المنقذة شركة الرواسي الكبرى للمقاولات العامة في اعمال الصيانة وتم

تفسير الغطاء الخارجي للمركز الثقافي الخمس وإزالة الشوائب والبدء في تقسيم الداخلي للمبنى وتوسعة المكتبة بحيث تصبح تضم عدد كبير من الكتب مع وجود صالة للإنترنت ومقهى للمطالعة وتم أيضا تركيب الرخام للنوافذ المبنى وحالياً لازال العمل جاري ولم يكتمل، ومن خلال اللقاء مع مدير المركز الثقافي الخمس الأستاذ نوري محمد العريفي و الأستاذ محمد عمر بن طالب مشرف المكتبة المركزية بالمركز الثقافي بالخمس تم التأكيد علي ان المركز الثقافي الخمس يحتاج إلى الدعم حكومي سريع وذلك على صعيد ترميم وتأهيل المبنى وتزويده بالكتب، كما تم في العام 2013م، تزويد المركز بالأثاث وبعض المعدات ومنذ حوالي ست سنوات لم يطرأ أي جديد على المبنى.

كما صرح من خلال اللقاء ان هناك كُتب تم تزويدهم بها من قبل الهيئة العامة للآثار وهي كُتب تعنى بالسياحة، كما تم تزويد المركز الثقافي بمكتبات خاصة من قبل مواطنين تحتوي علي كتب قيمة وهم مشكورين على تعاونهم، وهذا يدل على ان هناك رابطة قوية تجمع بين المركز الثقافي والمواطنين المحيطين به.

صورة رقم (4)

المكتبة المركزية بالمركز الثقافي الخمس



المركز الثقافي الخمس وأثرها على المجتمع المحيط بها

تعد المكتبة العامة العقل النابض للمجتمع، لكونها تهتم بالعملية التعليمية وينقل المعرفة للباحثين بمختلف تخصصاتهم وتوجهاتهم، كما تأثرت المكتبة العامة بوصفها جزءا من مجتمع المعلومات بمطالب هذا المجتمع الذي اجبرها على التحول في شكلها التقليدي إلى هيئتها الحديثة بعد إدخال التكنولوجيا على جميع أعمالها بهدف التكيف والتعامل مع مجتمع المعلومات، حيث عُرِفَت المكتبة العامة بأنه نظام من الأنظمة المكتبية تنشئه وتدعمه وتديره جهة عامة وذلك لتوفير الاحتياجات من المعلومات لجميع الشرائح المترددين عليها، كما تساند برامج

التدريس والأبحاث والخدمات⁽¹⁾، ولا بد للمكتبات العامة من تهيئة بنية تحتية تكنولوجية لمواكبة المتطلبات عصر المعلومات الحالي لغرض استثمارها في بناء نظام معلوماتي يظهر دورها واضحاً في بناء وتنمية المجتمع المحيط بها، ومن ثم إعادة هيكلة الإمكانيات المادية والبشرية داخل المكتبة العامة والسعي إلى تطبيق معايير الجودة في إتاحة المعلومات الالكترونية المتوفرة فيها والاستفادة من التقنيات الحديثة وضرورة دعمها مادياً من قبل الدولة والمتمثلة في النطاق الجغرافي الموجود بها⁽²⁾.

تعتبر المكتبة العامة شريك أساسي في المجتمع ولها دور حيوي في تقديم المعرفة والمعلومات التي لا يمكن ان يحصل عليها المواطن من مكان آخر أو نوع آخر من المكتبات، حيث أنها تهدف إلي زيادة وعي المواطنين بالخدمات التي تقدمها.

ان التعاون بين المكتبات ومراكز التوثيق والمعلومات يحتاج إلى وسائل اتصال مؤثرة وتقنيات لتبادل المعلومات وإنشاء شبكات المعلومات التعاونية المطلوبة، حيث ان شبكة الأنترنت أصبحت تلعب دوراً كبيراً في المكتبات العامة وأصبحت أمراً ضرورياً لا بد منه فمن خلالها أصبح بالإمكان الاطلاع علي عدد كبير من مقتنيات المكتبات العامة العالمية كما تتيح للباحثين إمكانية طرح أسئلتهم عن كل ما يتعلق بدراساتهم وبحوثهم التي يقومون بها، وساعدت الشبكة في تقليل العمل الروتيني

¹ - سعيد حسب الله، الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات والحاسوب، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 2002م، ص 231.

² - أمين النجاوي ، رحي مصطفى عليان، مقدمة في علم المكتبات والمعلومات، مرجع سابق، ص 30.

الذي كان يقوم به الموظفون وذلك من خلال إدخال تقنية المعلومات وحوسبة المكتبة فأصبح بالإمكان إعداد القوائم المطلوبة بأقصى سرعة والاتصال بقواعد البيانات العالمية والحصول منها علي النصوص المطلوبة⁽¹⁾.

كما ترجع أهمية المكتبات العامة الي الدور الذي تقوم به في تعريف المواطنين وزيادة وعيهم بالمعلومات السياسية والمشروعات والخدمات التي تقدمها الدولة لعلاقتها الوثيقة بمؤسسات الدولة الحكومية لحفظ وثائقها وأتاحتها ونشرها للمواطنين كما تقوم المكتبة العامة بمعالجة هذه الوثائق وتقديم معلوماتها بطريقة سهلة وبسيطة أصبح ضرورة يجب القيام بها سواء كان من خلال تطبيقات وبرامج خاصة على الهواتف المحمولة أو من خلال تقديم استشارات معلومات حكومية عن بعد علي شبكة الإنترنت أو تقديم خدمات وأنشطة داخل جدران المكتبة للتعريف بمشروعات الدولة القومية وخدماتها الإلكترونية، أو توفير دورات تدريبية لتعليم ومهارات البحث عن المعلومات وأساليبه لإعداد جيلاً واعياً سياسياً يسير في طريقة الفعال وصولاً للمشاركة السياسية في الدولة، ولعل هذه الأهداف تعطي مؤسسات المكتبات والمعلومات بشكل عام والمكتبات الوطنية العامة بشكل خاص حافزاً لتفعيل هذه التجربة بما يتوافر للمكتبة من خدمات ومصادر ومعلومات متطورة وحديثة علي نهج المكتبات العامة تتواجد المكتبات السياسة الحكومية.

وأصبح لزاماً على المكتبة العامة في مجتمع المعلومات مواكبة ثورة المعلومات والولوج إلى عالم الأوعية الرقمية والنشر الإلكتروني وتأمين الوصول الحر

¹ - عثمان مصطفى عثمان، مجلة الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات مج 9 ، ع 18

، يوليو 2002م، ص2.

للمعلومات من خلال المواقع الإلكترونية التي توفرها الشبكة العنكبوتية العالمية التي تربط الجميع مهما كان تواجدهم في العالم، ونظراً لموقعها في قمة الهرم العلمي ومنازة البحث الأكاديمي إذن عليها ان تساهم إيجابياً في تحقيق أهداف الجامعة العلمية والتعليمية باعتبارها أحد عناصر تقييم الجامعات العصرية⁽¹⁾.

ومن خلال البحث تبين لنا أن أهمية وجود المكتبات العامة لا تقاس بما تحتويه من مصادر معلومات بقدر ما تقدمه من خدمات لهذا المحتوي ولكافة فئات المجتمع المحيط بها، ومن خلال الاطلاع على الكتب المحفوظة والتي تم نقلها من المكتبة العامة (مركز الثقافي الخمس) الي مكان التخزين للحفاظ عليها من التلف نتيجة للصيانة المركز، تبين لنا ان المكتبة هي المسؤولة عن جمع الإنتاج الفكري الوطني وحفظه وتنظيمه وإتاحته للمواطنين على اختلاف فئاتهم فالمكتبة العامة (المركز الثقافي الخمس)، تعتبر شريك أساسي في المجتمع وتلعب دوراً هاماً في تقديم المعرفة والمعلومات والتي لا يمكن ان يحصل عليها المواطن من مكان آخر، فهي تعمل علي زيادة الوعي المواطنين وتوعيتهم وتعتبر من المشاريع القومية للدولة والتي من خلالها يتعرف المواطنين علي الإنجازات التي قامت بها الدولة والمشروعات التنموية وكذلك مساعدة المواطن في الاستفادة منها.

ومن المهم والضروري وجود دور إعلامي يواكب الدور الريادي الذي يلعبه المركز الثقافي الخمس في مواكبة الحركة الثقافية بالمدينة وخارجها، ومن هنا بدأت

¹ - مخلص محمد خير اصطياف، المكتبات الجامعية في بيئة مجتمع المعرفة، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة حلوان، 2015م، ص102.

فكرة إنشاء مركز إعلامي متكامل خاص بالمركز، وهذا ما يجعل للمركز أهمية كبيرة في التواصل وذلك لربط المجتمع المحيط به والمناطق المجاورة.

تسعى الدولة الليبية كباقي الدول العالم في الاتجاه نحو الحكومة الإلكترونية وتقديم خدمات أكثر فاعلية للمواطنين عن بعد إلا ان بعض هذه الخدمات تحتاج مزيد من الشرح والتوضيح لكيفية الاستفادة منها واستخدامها بفاعلية حتى تحقق الهدف من توفيرها، حيث أن هناك العديد من المشروعات التي نفذتها الدولة الليبية وأخري تسعى لتنفيذها ضمن خططها الاستراتيجية المستقبلية فمن حق المواطنين العمل علي زيادة وعيهم وتزويدهم بمعلومات حولها وكيفية الاستفادة منها سواء كانت مشروعات لكافة المواطنين علي مستوي الدولة أو مشروعات خاصة بالمدينة الخمس والمتمثلة في المشروعات التعليمية او الخدمية او الصحية، حيث تعتبر ضرورة يجب علي المكتبات بكل أنواعها التعريف بكل هذه المشاريع والخدمات والمشاركة الحقيقية للمواطنين فيها و الانتباه لها والعمل علي تقديم برامج وتطبيقات لهذا النوع من الوعي السياسي، ومن هنا يتضح لنا ان المكتبة العامة الثقافية الخمس تكتسب صفة العمومية من خصائص أربعة تميزها عن سائر أنواع المكتبات وهي :

1- المكتبة العامة الثقافية (المركز الثقافي الخمس) يفتح أبوابه لجميع القراء دون تمييز على اختلاف أعمارهم ودرجات تعليمهم وألوانهم وجنسهم وهي من هذه الزاوية رمز حي لديمقراطية الفكر إذ هو حق للجميع.

2- المكتبة العامة الثقافية (المركز الثقافي الخمس) تضم خليطا من مواد نقل المعرفة البشرية في جميع العلوم والمعارف من ديانات إلى علوم

اجتماعية إلى علوم بحثه وغير ذلك، ليس كتباً فقط إنما أيضاً دوريات ومواد سمعية بصرية ومصغرات فلمية.

3- المكتبة العامة الثقافية (المركز الثقافي الخمس) تقدم خدماتها بالمجان ودون أي مقابل لأنها تتبع الدولة وتعتبر الاطلاع والمعرفة حق لكل مواطن كسائر الخدمات، وهي لا تترك القارئ يسعى إليها وحسب بل تسعى إليه أيضاً.

4- المكتبة العامة الثقافية (المركز الثقافي الخمس) لا تجبر أحداً على ارتيادها وليس ثمة إكراه على الدخول إليها على النحو الذي نصادفه في المكتبات المدرسية أو مكتبات الكليات أو المكتبات الجامعية فارتياذ المكتبة العامة يخضع لرغبة الشخص في تنقيف نفسه.

أن مهمة المكتبة الثقافية هي توسيع أرضية الحوار والتلاقي بين طاقات الوطن الثقافية والفكرية والعمل على بلورة المشروع الثقافي الوطني، الذي يستوعب ثمرات الجهود المختلفة التي يبذلها أهل الاختصاص في هذا المجال، وأن التصور الأمثل لهذه المكتبة هو أن تتحول إلى كيان ثقافي فعال يُلبى متطلبات الشباب المتعلم والمتقف، ويبلور حاجاتهم ومتطلباتهم في الحقول المعرفية والعلمية الهامة، ومن خلال الدراسة لوحظ هناك بعض السلبيات لمكتبة الثقافية الخمس وتميزت بالتالي:

- 1- عدم وجود نظام صارم للمستعيرين المماطلين في إعادة الكتب المستعارة.
- 2- تأخير تصنيف الكتب المعادة من الإعارة مما يتسبب أحياناً في إعادة الكتاب في غير مكانه الصحيح.

3- عدم وجود نظام يميز المرئدين المميزين للمكتبات عن غيرهم من الزوار العاديين للمكتبة.

4- عدم الاهتمام بالحاسب الآلي (الانترنت) في مجال المعرفة داخل المكتبات العامة.

5- الأماكن المخصصة للقراءة في المكتبات العامة تكون غالباً أقل من المطلوب.

6- عدم وجود نظام لمعاقبة بعض الزوار المزعجين سواء بحديثهم المباشر أو عبر الهاتف الجوال.

7- من بين المشاكل التي واجهت المركز الثقافي الخمس عدم تزويد المركز بالدوريات والتي لم يجد لها حل حتى الآن.

ان المكتبة الثقافية (مركز الثقافي الخمس) تعتبر من المؤسسات التي تتعامل مع مصادر المعلومات المختلفة من خلال مجموعة من العمليات والأنشطة والخدمات، تتلخص في جمع وتنظيم واسترجاع وبتث المعلومات بطرق وأساليب مختلفة وفق الإمكانيات المادية والبشرية والمالية المتاحة، وعلى الرغم من أن هذه المؤسسات المكتبية العامة الثقافية تختلف عن بعضها البعض في الأهداف وفي طبيعة المقتنيات وفي طبيعة المستفيدين وفي الجهات المشرفة عليها، إلا أنها جميعاً يجمعها خصائص أساسية مشتركة أهمها:

1- إنها جميعاً تحتاج إلى إمكانيات مادية (مواد مكتبية، أجهزة، أثاث.... الخ)، والي مجموعة من العاملين المتخصصين وغير متخصصين والي إدارة لهؤلاء العاملين، والي أموال وميزانية لتجعلها قادرة على العمل.

إنها جميعاً تحكمها مجموعة من القوانين والأنظمة والقواعد والتعليمات والسياسات التي تسير عليها في عملياتها وخدماتها.

2-إنها جميعاً تسعى إلى تحقيق أهداف معينة محددة مسبقاً.

3-ومن خلال الدراسة تبين أن إدارة المكتبة الثقافية الخمس تعمل في إطار اجتماعي، فهي تؤثر في مجتمع المستفيدين وتتأثر بحاجاته، ولا يمكنها أن تعيش بمعزل عن المجتمع الداخلي المكون من العاملين أو المجتمع الخارجي المكون من المستفيدين.

4-من خلال الدراسة تبين ان العمل الإداري في المكتبة الثقافية الخمس متدرج وهو عبارة عن مجموعة من المستويات الوظيفية، فهناك مدير المكتبة أو المركز ونائبة ورئيس القسم ورئيس الشعبة.

5-إدارة المكتبة الثقافية الخمس مثل غيرها من الإدارات تعمل في إطار من البيروقراطية بسبب تخصص الإدارة المختلفة وتعدد المستويات الوظيفية، وتعني البيروقراطية الالتزام بالطابع الرسمي واللوائح والقوانين والأنظمة إدارية المكتوبة وتسلسل إجراءات العمل وفق المستويات الوظيفية.

الخاتمة:

من المهام التي تقع علي عاتق المجتمع في تنمية المكتبات العامة الثقافية وجعلها في متناول أفرادها بالجاهزية المطلوبة لتحقيق الفوائد الثقافية المرجوة منها، ومن هذا السياق فإن هنالك مهام وأدواراً منوطة بالمدن ومن بينها مدينة الخمس في تأسيس وتجهيز المكتبة الثقافية العامة داخلها كمكتبة عامة لسكانها الذين يمكنهم

المساهمة في هذا الجانب من خلال وقف بعض الكتب الخاصة بهم في المكتبة لكي يستفيد الجميع منها، كما يمكن استنباط اليه مثلى لنشر الكتاب المنطوق حتى يستطيع ذوي الإعاقة لاسيما المكفوفين قراءة تلك الكتب والاستفادة منه من خلال السمع كما يمكن لدور النشر المختلفة أن تودع ما تطبعه من كتب في تلك المكتبة.

أن الجهود المبذولة لمكتبة العامة هي عبارة عن رسالة تهدف إلى جعل الثقافة نمط حياة المجتمع بما يخلق الفرد الذي يتمتع بالمام معرفي ليكون رافداً من جهود الآخرين في تحقيق أهداف ونتائج رؤية لمجتمع المحيط بها.

نتائج:

تم التوصل إلى نتائج عدة تخص موضوع البحث من أهمها ما يلي:

- 1- من الضروري غرس عادات القراءة وترسيخها لدي الأطفال مند نعومة أظفارهم، وتنمية المعلومات الخاصة بالوطن والاعتزاز بالانتماء اليها.
- 2- يجب على المكتبة العامة الثقافية تقديم المعلومات الي المجتمع المحيط بها، وذلك لتثقيفهم بأنواع الثقافات المختلفة والخبرات المتنوعة في المجالات المختلفة لأثارة رغبة القراءة والاطلاع لديهم.
- 3- من الضروري إنشاء بيت الثقافي داخل أروقت المكتبة الثقافية الخمس يضم المفكرين والمفسرين والمهتمين بالثقافة يكون تحت اشرف مؤسسات المجتمع المدني المحيط بها.

- 4- يجب دعم الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع المحيط بالمكتبة وذلك عن طريق اقامت الندوات الفكرية والعلمية وتبادل الآراء في المشكلات المحلية والعالمية.
- 5- من الضروري توفير الجو المناسب للقراءة، من حيث الهدوء والإضاءة والتبريد والمقاعد المخصصة والمريحة طيباً.
- 6- يجب وضع الأهداف والسياسات العامة الرئيسية للمكتبة، وجمع المعلومات الصحيحة عن البيئة المحلية بالمكتبة و التي توضح تاريخها وجغرافيتها، وبذلك تكون المكتبة العامة الثقافية مركزاً لدراسة البيئة المحلية وحفظ تراثها.
- 7- تشجيع الأفراد على تخصيص وقت معين للقراءة، حيث أن المكتبات العامة تلتزم بساعات عمل محددة.
- 8- التنظيم الداخلي للمكتبة من خلال تحديد الدوائر والأقسام والشعب وواجباتها ومسؤولياتها.
- 9- تشجيع الوعي بالتراث الثقافي وتدوق الفنون وتقدير التجديدات العلمية والفنية.
- 10- ضمان انتفاع المواطنين بكل أنواع المعلومات المتداولة في المجتمع المحلي، مع توفير الدعم والمشاركة في أنشطة وبرامج محور الأمية لمختلف فئات العمر والقيام بمثل هذه الأنشطة عند اللزوم.

11- يجب تزويد المكتبة الثقافية الخمس بأحدث الإصدارات سنويا من خلال برنامج متكامل للتحديث والتطوير .

12- يجب دراسة المشاكل الإدارية التي قد تظهر أثناء العمل وإيجاد الحلول لها، مع اعداد التقارير الشهرية ورفعها إلى جهات المسؤولة وذلك لضمان جودة الخدمات التي تحققها المكتبة للمجتمع المحيط بها.

13- ضرورة تزويد المركز الثقافي بالكتب والإصدارات الجديدة منها، وضرورة العمل على إقامة دورات العامة والمجانية للمجتمع المحيط بالمكتبة في كيفية الترغيب والاستفادة والمطالعة للكتب حتى يسهل عليهم التعامل معها بطريقة علمية راقية.

التوصيات:

بناءً على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج توصي بالآتي:

1- ضرورة وضع معايير لاختيار موقع جديد

للمكتبة العامة للمدينة، ووضع معايير للمبني وعناصر المعمارية وأيضاً للتجهيزات الفنية للمبني بحيث يكون بعيد عن الازدحام والضوضاء لتمكين رواد المكتبة من للقراءة والاستمتاع بها.

2- ضرورة قيام المركز بالدورات التدريبية

والتأهيلية للموظفين العاملين بالمركز لمواكبة التطور التكنولوجي واستثماره في تطويره.

- 3- ضرورة توسيع المكاني للمكتبة وإضافة عاملين مؤهلين للعمل في مجال المكتبات ليرفعوا من مستوى الأداء للمكتبة الخمس الثقافية.
- 4- ضرورة التنسيق مع المراكز الثقافية في المناطق المجاورة وذلك لتبادل المعلومات وإقامة أعمال ثقافية مشتركة.
- 5- ضرورة تزويد المجتمع بالعناصر البشرية المدربة والمتفقة والمتخصصة التي يحتاج إليها عن طريق تنسيق بين المركز وقسم المكتبات والمعلومات بكلية الآداب الخمس.
- 6- يجب تطوير التصنيف المكتبي للكتب والابتعاد على التصنيف بطريقة التقليدية البدائية.
- 7- يجب صيانة مقتنيات المكتبة وحمايتها من التلف، وتوفير السبل الملائمة لحماية المبني المكتبة من أخطار الحرائق والتأمين ضد أخطار السرقة.
- 8- مراقبة النظام والنظافة وصيانة الدورية وتزويد المركز بالأثاث المريح والكراسي الطبية التي تساعد المترددين على المكتبة بالجلوس عليها بساعات طويلة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

- 1- أحمد أنور عمر، المعنى الاجتماعي للمكتبة دراسة لأسس الخدمة المكتبية العامة والمدرسية، القاهرة، المكتبة الاكاديمية، 1997م.
- 2- محمد فتحي عبد الهادي، المكتبات العامة، الدار النشر المصرية اللبنانية، 2001م.
- 3- غالب عوض النوايسة، مصادر المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات، مع إشارة خاصة الي كتب المرجعية، ط2 2015، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان.
- 4- ربحي مصطفى عليان، المكتبات الإلكترونية والمكتبات الرقمية، ط2، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2015.
- 5- سعيد حسب الله، الموسوعة العربية لمصطلحات علوم المكتبات والمعلومات. - القاهرة: المكتبة الاكاديمية 2001.
- 6- حامد دياب الشافعي، إدارة المكتبات ومراكز المعلومات، القاهرة، دار صفاء للنشر، 2004م
- 7- مفتاح محمد دياب، معجم المصطلحات العلمية في علم المكتبات والتوثيق والمعلومات، القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، 1995م.

تانياً: الرسائل العلمية:

- 1- هند بلة البشير الطيب، دور المكتبات في تطوير الوعي المعلوماتي لدي طلاب جامعة البطانة، رسالة ماجستير جامعة الجزيرة، كلية التربية، السودان، 2018م.
 - 2- مخلص محمد خير اصطيف، المكتبات الجامعية في بيئة مجتمع المعرفة، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة حلوان، 2015م.
 - 3- محمد شوقي البدال، المكتبات العامة في دولة الكويت: واقعها ومستقبلها، جامعة النيلين ، رسالة ماجستير كلية الآداب قسم المعلومات والمكتبات، السودان، 1998م.
 - 4- إيمان عثمان بابكر احمد، دور المكتبات العامة في خدمة المجتمع: دراسة حالة مكتبة الفيصل الثقافية، الخرطوم، رسالة ماجستير، كلية التربية، السودان 2017م.
 - 5- محمد عبد الله احمد العطاب، المكتبات العامة في اليمن، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم المكتبات والمعلومات، جامعة صنعاء، 2010م.
- ثالثاً: الدوريات :

- 1- لقاء مع مدير المركز الثقافي الخمس أ. نوري محمد العريفي و أ. محمد عمر بن طالب مشرف المكتبة المركزية بالمركز -صحيفة (للبيبا الإخبارية بتاريخ 27-مايو - 2019).
- 2- حشمت قاسم، تقنيات المعلومات وخصائص مجتمع المعلومات، -مجلة دراسات عربية في المكتبات وعلم المعلومات. -مج 12، ع 3، 2007.

3- عثمان مصطفى عثمان، مجلة الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات
مج 9، ع 18 يوليو 2002م.

4- مصطفى حسام الدين، تطوير المكتبات العامة في مصر: رؤية مستقبلية،
journal cybrarians (، ع 6، تاريخ النشر 2005م، متاح في d
<http://journal.cybrarians.info>

واقع الخدمات التعليمية للتعليم المتوسط مدينة الخمس

إعداد: د. بشير عمران أبوناجي

د. خالد سالم معوال

المخلص .

تعد الخدمات التعليمية من أهم الخدمات السيادية التي تقدمها الدولة للسكان فهي الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها في إعداد الكوادر المهنية فهي تساهم في بناء المجتمع من حيث إعداد النشء من جانب وتطرق اقتصاد الدولة من جانب آخر، فهذه الدراسة تناولت التوزيع الجغرافي للخدمات التعليمية للتعليم المتوسط بمحلات مدينة الخمس والتي ضمت ست محلات. كما شملت الدراسة مقدمة ومشكلة بحث وأهداف وأهمية وفرضيات ومنهجية وأساليب مع دراسات سابقة تناولت مواضيع مشابهة لموضوع المبحوث.

كما دس البحث التوزيع الجغرافي للخدمات التعليمية للتعليم المتوسط مع توضيح التوزيع بخرائط التوزيع باستخدام برنامج نظم المعلومات الجغرافية. وشمل البحث كذلك دراسة كفاءة الخدمة التعليمية وجودتها بما يتفق مع المعايير المحلية. وأخيراً جاء البحث بمجموعة من النتائج والتوصيات

Abstract:

Educational services are among the most important sovereign services provided by the state to the population, as they are the main pillar on which to prepare professional cadres, as they

contribute to building society in terms of preparing young people on the one hand and addressing the state's economy on the other

This study dealt with the geographical distribution of educational services for intermediate education in the city of Al-Khums, which included six stores.

The study also included an introduction, research problem, objectives, importance, hypotheses, methodology and methods with previous studies that dealt with topics similar to the subject of the research.

The research also delved into the geographical distribution of educational services for intermediate education, with an explanation of the distribution by distribution maps using the Geographic Information Systems program.

The research also included a study of the efficiency and quality of the educational service in accordance with local standards.

Finally, the research came with a set of results and recommendations

المقدمة:

يعد التعليم المتوسط من أهم المراحل التعليمية التي يمر بها الطالب أثناء فترة دراسته، وقد يتجه الطالب إلى التعليم التقني وذلك حسب سوق العمل، ولكن جل الطلبة يتوجهون إلى التعليم العام، وهي المرحلة التي تعد شخصية الطالب وتأتي في المرحلة الثانية في السلم التعليمي، وهذه الخدمة تقدمها الدولة مجاناً لكافة شرائح الطلاب حتى يكون الجيل واعياً ومبدعاً في مجال دراسته المستقبلية، إلا أن هذه الخدمة قد تعثرها العديد من المشاكل من بينها: قلة عدد المدارس مما يترتب عليه مشاكل في كثافة الطلاب، وازدياد أعدادهم، وهذا يعتمد على التوزيع الجغرافي لعدد المدارس بحيث يكون متوافقاً لعدد السكان، ولهذا قامت هذه الدراسة لمعرفة التوزيع

الجغرافي الحقيقي لهذه المدارس ومدى موافقته لأعداد السكان بالمدينة، وإذا وجدت مشاكل في توزيعها ستحاول هذه الدراسة وضع الحلول اللازمة لحلحلة هذه المشكلة، وهذا البحث تناول دراسة التوزيع الجغرافي للمؤسسات التعليمية على محلات المدينة، وذلك لمعرفة الانتشار المكاني للخدمات التعليمية ومدى كفاءة هذه الخدمة وكفايتها.

أولاً: مشكلة البحث:

تمثلت مشكلة البحث في السؤال الآتي:

- هل هناك توافق بين المؤسسات التعليمية وبين عدد السكان بالمدينة؟ وهل هي متوافقة مع معايير الدولية أو المعايير التي وضعتها الدولة؟

ثانياً: أهداف البحث:

- 1- التعرف على التوزيع الجغرافي للمؤسسات التعليمية على مستوى المحلات.
- 2- تقويم كفاءة وكفاية الخدمات التعليمية.
- 3- معرفة الاحتياجات المستقبلية للخدمات التعليمية 2033م.
- 4- التوصل إلى مجموعة من الحلول التي تقف عائقاً في كفاءة الخدمة التعليمية كماً ونوعاً .

ثالثاً: أهمية البحث:

تبرز أهمية البحث في الوصول إلى مجموعة من الحلول التي يعاني منها قطاع التعليم العام، بالإضافة إلى معرفة حجم الاحتياجات المستقبلية من المؤسسات التعليمية ومرافقها.

رابعاً: الفرضيات

تتمثل فرضية الدراسة في الآتي:

- هناك علاقة بين ارتفاع عدد الطلاب وأعداد المدارس للمحلات؟

خامساً: المناهج وأساليب البحث:

اعتمد البحث على المنهج الموضوعي يتمثل في: دراسة الخدمات التعليمية باعتبارها الحيز المكاني الذي تشغله الدراسة، كما تم استخدام المنهج الوصفي وذلك لوصف ظاهرة الدراسة من خلال الاطلاع على الدراسات والموضوعات المتشابهة والمناظرة لموضوع الدراسة. كما تم استخدام المنهج الأصولي للدراسة وذلك لفهم وتحليل العوامل المؤثرة في توزيع المدارس وتحليلها، وقد استخدمت الدراسة الأساليب الكمية والكارتوغرافية التالية:

1- الأساليب الكمية: وذلك من خلال تحليل البيانات الرقمية التي تم

الحصول عليها من مؤسسة الدولة وذلك للوصول إلى نتائج.

2- الأسلوب الكرتوجرافي: ويشمل على مجموعة من الخرائط والأشكال

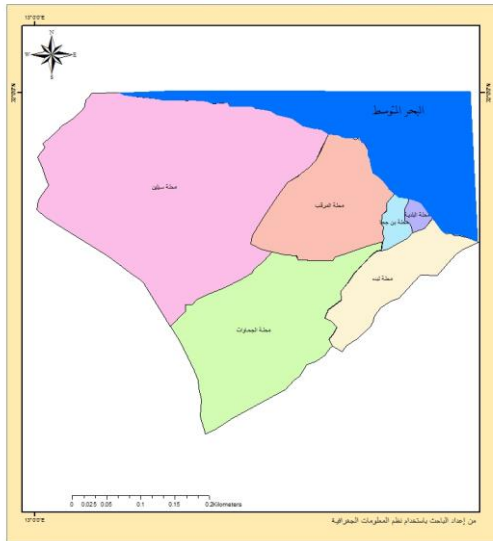
البيانية التي لا غنى عنها في الدراسات الجغرافية.

سادساً: حدود منطقة الدراسة:

تقع مدينة الخمس في الجزء الشمالي الغربي من ليبيا، حيث يحدها من الشمال البحر المتوسط، ومن الشرق وادي لبدة، ومن الجنوب الطرق الساحلي، ومن الغرب وادي الطوالب.

أما عن موقعها الفلكي، فهي تقع بين دائرتي عرض $15^{\circ} 32'$ و $45^{\circ} 32'$ شمالاً، وخطي طول $13^{\circ} 45'$ و $15^{\circ} 14'$ شرقاً، وتضم المدينة إدارياً عدداً من المحلات هي: لبده، والمرقب، والبلدية، وبن جحا والخريطة رقم (1) توضح ذلك.

الخريطة (1) الموقع الجغرافي والفلكي لمحلات مدينة الخمس



الدراسات السابقة:

1. دراسة ناصر مرشد الزير (2000) تحت عنوان: التعليم المتوسط الحكومي في مدينة الرياض دراسة في جغرافية التعليم، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ألفت هذه الدراسة الضوء على تطور التعليم المتوسط خلال فترات متعاقبة، وكذلك ركزت الدراسة على التوزيع الجغرافي للمدارس وعلاقتها بتوزيع السكان وكثافتهم باستخدام بعض الطرق الإحصائية.
2. دراسة عبد المنعم أبو زيد (1996) تحت عنوان: جغرافية الخدمات الصحية والتعليمية في محافظة الجيزة، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، هدفت هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على الخدمات التعليمية التي تشهدها هذه المحافظة من حيث أحجامها ومناطق نفوذها وتوزيعها الجغرافي لسكانها الحضري والريفي.
3. دراسة علي زكي سليمان (1994) تحت عنوان: جغرافية الخدمات في محافظة البحيرة، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ركزت هذه الدراسة على الخدمات التعليمية من حيث أحجامها، وتوزيعها على مستوى مركزها، وتطرقت الدراسة على معدلات الالتحاق ونسبة التسرب، وكذلك هدفت الدراسة إلى تقديرات الاحتياجات المستقبلية من الخدمات التعليمية.
4. دراسة وداد الثابت (2005) تحت عنوان: الوظيفة التعليمية في منطقة العجيلات للمدة 1990-2003، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب،

جامعة السابع من إبريل، حيث تناولت هذه الدراسة أهمية هذه الوظيفة ومدى احتياج السكان لها.

أولاً: لتوزيع الجغرافي للمؤسسات التعليمية بالمدينة.

تكمن دراسة التوزيع للطلاب في معرفة ما تستلزم المحلات من الخدمات التعليمية فالجدول رقم (1) والخريطة رقم (2) يوضحان هذا التوزيع.

الجدول (1) التوزيع الجغرافي لعدد الطلاب ونسبتهم بمحلات مدينة الخمس 2019م

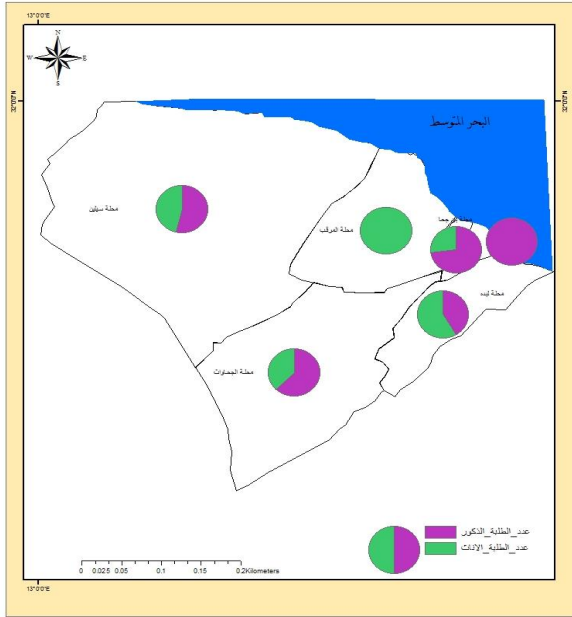
ت	المدرسة	المحلة	الفترة	عدد الذكور	%	عدد الإناث	%	المجموع	%
1	المجد الثانوية للبنات	المرقب	صباحي	0	0	316	19.6	316	11.2
2	إبراهيم الرفاعي بنين	البلدية	صباحي	422	34.8	0	0	422	14.9
3	عمر بن عبد العزيز مختلطة	الجواوات	صباحي	84	6.9	51	3.2	135	4.8
4	غنيمة الثانوية مختلطة	سيلين - غنيمة	صباحي	113	9.3	84	5.2	197	7
5	التفوق مختلطة	سيلين	صباحي	74	6.1	76	4.7	150	5.3
	المجموع								
6	عائشة ام المؤمنين بنات	بن جحا	صباحي	0	0	238	14.7	238	8.4
7	الخمس المركزية بنات	بن جحا	صباحي	0	0	490	30.3	490	17.3
8	المرقب الثانوية بنين	بن جحا	صباحي	267	22	3	0.2	270	9.5
	المجموع محلات بن جحا								
				267	22	731	45.2	998	35.2

9.9	281	17.4	281	0	0	مساتي	لبده	شهداء ليبيا بنات	9
4.2	118	0	0	9.7	118	صباحي	لبده	الحرية الثانوية للبنين	10
2.7	77	4.8	77	0	0	صباحي	لبده	علي عثمان البكاي مختلطة	11
4.8	136	0	0	11.2	136	صباحي	لبده	لبدة الثانوية بنين	12
21.6	612	22.2	358	20.9	254	مجموع محلات لبده			
100	2830	100	1616	100	1214	المجموع الكلي			

المصدر: اعتمادا على بيانات وزارة التربية والتعليم الخمس، بيانات غير منشورة، 2019م.

يتضح من الجدول السابق أن عدد الطلاب يتوزعون على مستوى محلات المدينة، فقد حازت أعلى محلة بن جحا فقد بلغ عدد الطلبة 998 طالباً، وارتفع عدد الإناث على الذكور فقد وصل عدد الإناث 731 طالبة، ويرجع السبب في ارتفاع عدد الطلبة بهذه المحلة إلى كثافة السكان بهذه المحلة إضافة إلى كفاءة المعلمين بهذه المدارس هذا إلى جانب قدم مدرسة الخمس الثانوية التي يتركز فيها أغلب الطلبة كما أن هذه المحلة تتوزع فيها ثلاث مدارس، وتأتي في التراتبية محلة لبده ثم محلة البلدية، في حين يلاحظ أن أقل عدد الطلبة بلغت في محلة الجحوات التي لم يتجاوز عدد الطلبة بها عن 135 طالباً ويعزى السبب في ذلك إلى قلة كثافة السكان باعتبارها أنها محلة ريفية، والخريطة رقم (2) توضح هذا التوزيع على مستوى محلات المدينة.

الخريطة (2) عدد طلبة المدارس التعليم المتوسط بمحلات مدينة الخمس



2- التوزيع الجغرافي للمدارس والفصول والمدرسين

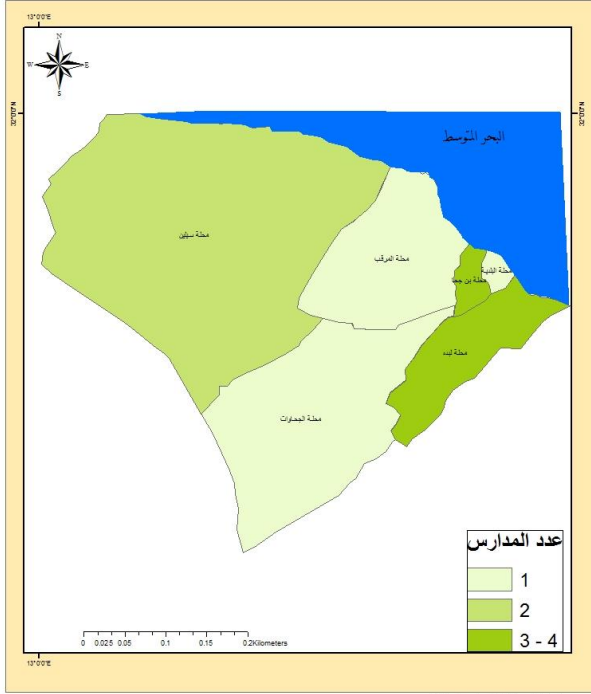
أ- التوزيع الجغرافي لعدد المدارس.

يتضح من خلال الجدول (2) أن أعداد مدارس التعليم المتوسط لم تتجاوز أربع مدارس كما هو الحال بمحلة ليد، وثلاث مدارس بمحلة بن جحا، بينما باقي المحلات الأخرى كالجحوات والمرقب والبلدية لم تتجاوز مدرسة واحدة والجدول رقم (2) والخريطة رقم (3) يوضحان ذلك.

الجدول (2) التوزيع الجغرافي لعدد المدارس الفصول والمدرسين بمحلات مدينة
الخمس 2019م

المدرسة	المحلة	عدد المدارس	%	مجموع الفصول	%	مجموع المدرسين	%
عمر بن عبد العزيز	الجحافات	1	8.3	6	5.4	23	5.7
المجد الثانوية للبنات	المرقب	1	8.3	13	11.6	44	10.9
إبراهيم الرفاعي	البلدية	1	8.3	15	13.4	49	12.2
غنيمة الثانوية	سيلين-غنيمة	1	8.3	10	8.9	36	9.0
التفوق	سيلين	1	8.3	5	4.5	16	4.0
مجموع مدارس محلات سيلين		2	16.6	15	13.4	52	13.0
شهداء ليبيا	لبده			10	8.9	40	10.0
علي عثمان البكاي	لبده						
الحرية الثانوية للبنين	لبده						
لبدة الثانوية	لبده						
مجموع مدارس محلات لبده		4	33.3	26	23.3	100	24.9
الخمس المركزية	بن جحا			18	16.1	61	15.2
المرقب الثانوية	بن جحا						
عائشة ام المؤمنين	بن جحا						
مجموع مدارس محلات بن جحا		3	25.0	37	33	134	33.4
المجموع الكلي		12	100.0	112	100	402	100

الخرطة (3) التوزيع الجغرافي لمدارس التعليم المتوسط بمحلات مدينة الخمس

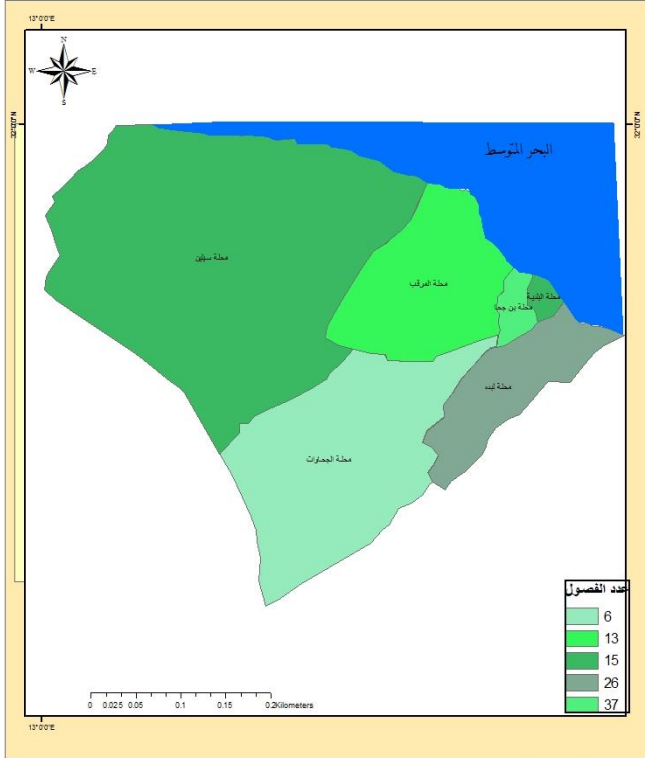


ب- التوزيع الجغرافي لعدد الفصول.

بالنظر إلى الجدول رقم (2) يلاحظ أن عدد الفصول بهذه المدارس أو بالأحرى المدرسة الواحدة لم تتجاوز (18) فصلاً كما هو الحال بمدرسة عائشة أم المؤمنين الواقعة في محلة بن جحا أما باقي المدارس فإن عدد الفصول بها تصل أدنها إلى

ثلاثة فصول كما هو الحال بمدرسة الحرية الثانوية وهذا بدوره يؤثر على زيادة الطلبة بالفصول وارتفاع كثافتهم والخريطة رقم (4) توضح ذلك.

الخريطة (4) عدد فصول التعليم المتوسط بمدارس محلات مدينة الخمس



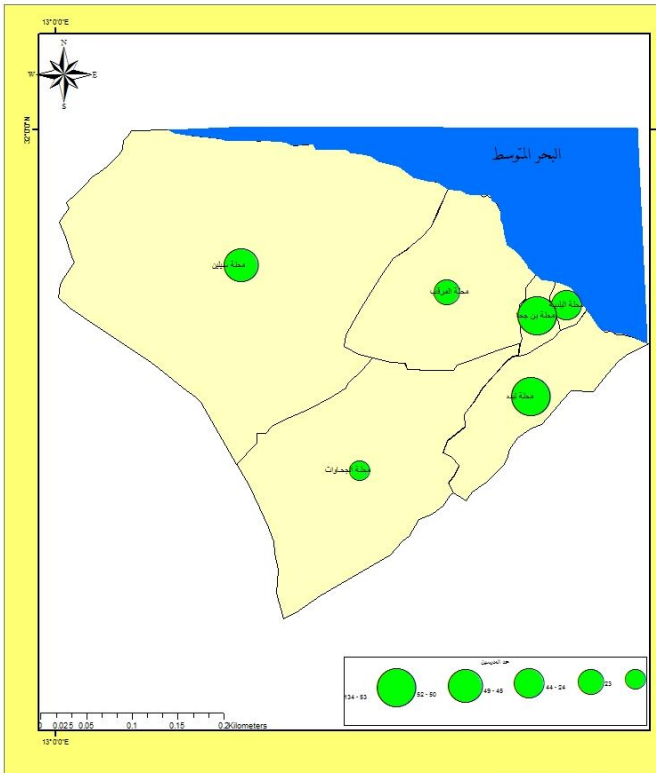
المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى بيانات الجدول رقم 2

ج- التوزيع الجغرافي لعدد المدرسين.

يلاحظ من خلال الجدول رقم (2) والخريطة رقم (5) أن عدد المدرسين بلغ على مستوى محلات المدينة 286 مدرساً، فأعلى عدد بلغ على مستوى مدارس محلات بن جحا حيث وصل عدد المدرسين بها (134) مدرساً، وتليها محلة ليد بنحو

(100) مدرساً، ويرجع ارتفاع عدد المدرسين بهاتين المحلتين إلى وجود أربع مدارس في الأولى وثلاث مدارس في المحلة الثانية، على حين بلغ أدنى عدد للمدرسين على مستوى المحلات (23) مدرساً في محلة الجحوات وهي مدرسة عمر بن عبد العزيز، والخريطة (5) توضح ذلك.

الخريطة (5) التوزيع الجغرافي لعدد المدرسين للتعليم المتوسط بمحلات مدينة الخمس



(المصدر: استناداً إلى بيانات الجدول رقم 2)

ثانياً: كفاءة الخدمة التعليمية بمدارس التعليم المتوسط بمدارس محلات بلدية الخمس.

يقصد بكفاءة الخدمات التعليمية هو تقويم أداء الخدمة، فمن خلاله يتم معرفة نوع الخدمة وكفايتها حسب مرحلة التعليم وهناك العديد من المؤشرات التي تخدمها منها:

1- كثافة الفصل:

يعد هذا المعيار من المعايير الهامة لقياس كفاءة الخدمة التعليمية، فهو يدرس ما تستوعبه الفصول من أعداد الطلاب، والتي لا بد أن تواكبه المدرسة من أعداد المدرسين حتى تكون الخدمة ذات مستوى عال من الكفاءة في العملية التعليمية، وقد وضعت الدولة معايير محلية لمعرفة كفاءة الخدمة وهي عدم تجاوز الطلبة في الفصول عن 27 طالباً⁽¹⁾ في الفصل. والجدول رقم (3) والخريطة رقم (6) يوضحان كثافة الفصول بمدارس منطقة الدراسة.

(1) عثمان محمد غنيم، معايير التخطيط، دار الصفاء، عمان، 2011، ص 128.

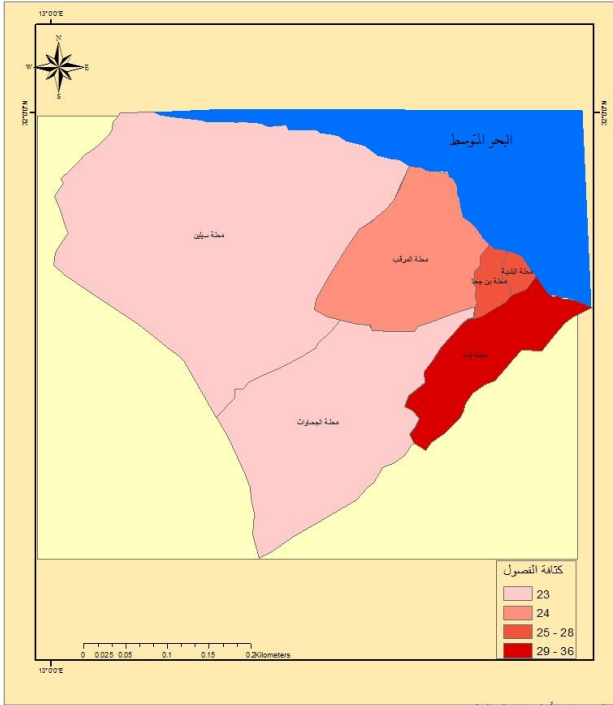
جدول (3) كثافة الفصول بمدارس التعليم المتوسط منطقة الدراسة.

ت	المدرسة	المحلة	عدد الطلاب	الفصول	كثافة الفصل
1	المجد الثانوية للبنات	المرقب	316	13	24
2	إبراهيم الرفاعي بنين	البلدية	422	15	28
3	عمر بن عبد العزيز مختطة	البحاوات	135	6	23
4	غنيمة الثانوية مختطة	غنيمة	197	10	20
5	التفوق مختطة	سيلين	150	5	30
23	المجموع محلات سيلين		347	15	23
6	عائشة ام المؤمنين بنات	بن جحا	238	11	22
7	الخمس المركزية بنات	بن جحا	490	18	27
8	المرقب الثانوية بنين	بن جحا	270	8	25
27	المجموع محلات بن جحا		998	37	27
9	شهداء ليبيا بنات	لبده	281	10	28
10	الحرية الثانوية للبنين	لبده	118	7	17
11	علي عثمان البكاي مختطة	لبده	77	3	26
12	لبدة الثانوية بنين	لبده	136	6	23
24	مجموع محلات لبده		612	26	24
25	المجموع الكلي		2830	112	25

المصدر: من إعداد الباحثين استناداً إلى البيانات المسقاة من وزارة التربية والتعليم الخمس، بيانات غير منشورة، 2019م.

من خلال الجدول السابق يتضح أن كثافة الفصول ذات كفاءة متطابقة مع المعايير المحلية وبالتالي ذات كفاءة عالية وعدد الفصول متوافقة مع عدد الطلبة بمدارس محلات المدينة كما وكيفاً

الخريطة (6) كثافة الفصول بمدارس التعليم المتوسط بمحلات مدينة الخمس



المصدر: اعتماداً على بيانات الجدول 3

2- متوسط عدد الفصول في المدرسة:

يوضح هذا المؤشر متوسط عدد الفصول في المدرسة، إذ يترتب عليه ما يمكن أن تقبله المدرسة من أعداد للطلاب بحيث لا يؤثر على كثافة الطلاب داخل الفصل

لكي لا يؤثر على تخصيلهم العلمي، والجدول رقم (4) والخريطة رقم (7) يوضحان ذلك.

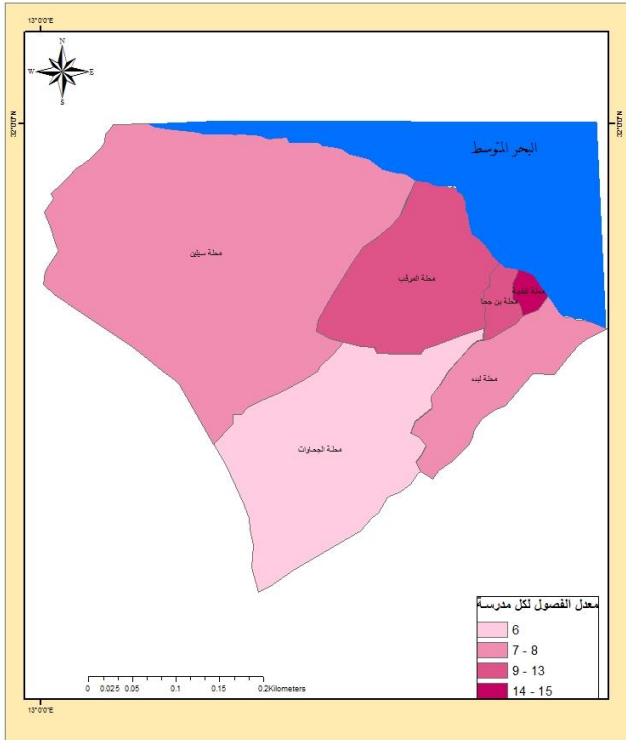
الجدول (4) متوسط عدد الفصول في المدرسة بمدارس محلات مدينة الخمس

ت	المدرسة	المحلة	الفصول	المدارس	فصل لكل مدرسة
1	المجد الثانوية للبنات	المرقب	13	1	13
2	إبراهيم الرفاعي بنين	البلدية	15	1	15
3	عمر بن عبد العزيز مختلطة	الجحاوات	6	1	6
4	غنيمة الثانوية مختلطة	غنيمة	10	1	10
5	التفوق مختلطة	سيلين	5	1	5
15	المجموع محلات سيلين			2	15
6	عائشة ام المؤمنين بنات	بن جحا	11	1	11
7	الخمس المركزية بنات	بن جحا	18	1	18
8	المرقب الثانوية بنين	بن جحا	8	1	8
12	المجموع محلات بن جحا			3	37
9	شهداء ليبيا بنات	لبده	10	1	10
10	الحرية الثانوية للبنين	لبده	7	1	7
11	عثمان علي البكاي مختلطة	لبده	3	1	3
12	لبدة الثانوية بنين	لبده	6	1	6
6.5	مجموع محلات لبده			4	26
9	المجموع الكلي			12	112

المصدر: من إعداد الباحثين استناداً إلى البيانات المسقاة من وزارة التربية والتعليم الخمس، بيانات غير منشورة، 2019م.

بلغ المعدل العام للمدارس من حيث عدد الفصول بالمدارس 9 فصول لكل مدرسة وهذا ما يتوافق مع المعدل العام الذي وضعته الدولة 8.6 فصول لكل مدرسة باستثناء مدرسة عثمان علي البكاي انخفض معدل الفصول بها عن المعدل العام إذ بلغت 3 فصول بالمدرسة، في حين يلاحظ على مستوى المدارس أن بعضها ارتفعت عدد الفصول بالمدرسة كما هو الحال بثانوية عائشة أم المؤمنين والخمس المركزية وثانوية إبراهيم الرفاعي إلى 18 فصلاً في الأولى والثانية و 15 فصلاً في الثالثة، وفي العموم أن هذا المؤشر يعد ايجابياً وذا كفاءة عالية والخريطة رقم (7) توضح ذلك.

الخريطة (7) معدل عدد الفصول لكل مدرسة للتعليم المتوسط بمحلات مدينة الخمس



3- متوسط أعداد الطلاب في المدرسة:

هذا المؤشر يدل مدى استيعاب المدارس لعدد الطلاب، فمعدل الدولة المحلي بلغ 232.6 طالب لكل مدرسة⁽¹⁾، فبالنسبة لمدارس محلات لبد و سليلين والجحاوات فمدارسها ذات كفاءة عالية حيث لم تزد معدلاتها عن المعدل العام للدولة، في حين يلاحظ ارتفاع أعداد الطلبة ببعض المدارس الموجودة ببعض المحلات الأخرى كمدرسة المجد الثانوية بمحلة المرقب والخمس المركزية بمحلة بن جحا وإبراهيم الرفاعي بمحلة البلدية، ويرجع السبب في ذلك إلى كثافة السكان في هذه المحلات وخاصة بن جحا إضافة إلى أن المدرسين بهذه المدارس أكفاء، ولربما يرجع السبب في ذلك إلى تفضيل بعض الطلاب مدارس دون أخرى وذلك بسبب التحصيل العلمي بها، والجدول رقم (5) والشكل رقم (8) يوضحان ذلك.

(1) علي محمد التير، التعليم والصحة في منطقة زليتن، علي محمد التير، التعليم والصحة في منطقة زليتن دراسة في جغرافية الخدمات، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 2008، ص 167.

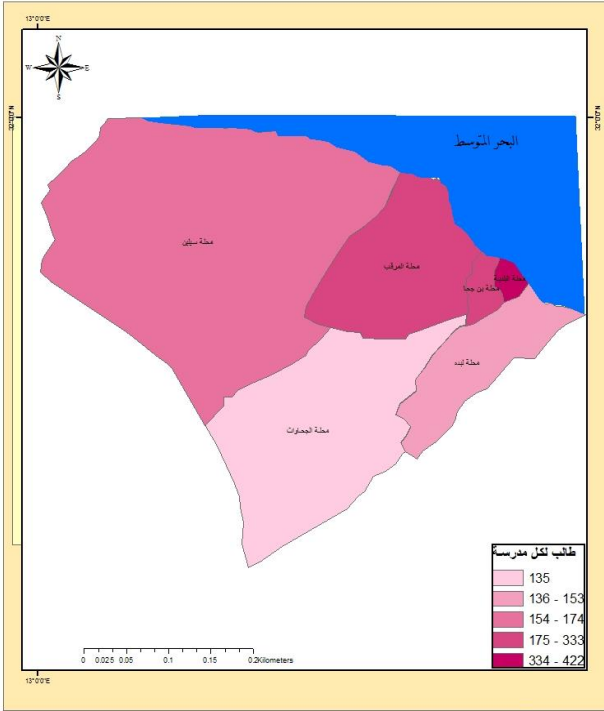
جدول (5) متوسط عدد الطلبة في المدرسة على مستوى محلات مدينة الخمس

ت	المدرسة	المحلة	عدد الطلاب	المدارس	طالب لكل مدرسة
1	المجد الثانوية للبنات	المرقب	316	1	316
2	إبراهيم الرفاعي بنين	البلدية	422	1	422
3	عمر بن عبد العزيز مختطة	الجحوات	135	1	135
4	غنيمة الثانوية مختطة	غنيمة	197	1	197
5	التفوق مختطة	سيلين	150	1	150
	المجموع محلات سيلين				
174			347	2	
6	عائشة ام المؤمنين بنات	بن جحا	238	1	238
7	الخمس المركزية بنات	بن جحا	490	1	490
8	المرقب الثانوية بنين	بن جحا	270	1	270
	المجموع محلات بن جحا				
333			998	3	
9	شهداء ليبيا بنات	لبده	281	1	281
10	الحرية الثانوية للبنين	لبده	118	1	118
11	علي عثمان البكاي مختطة	لبده	77	1	77
12	لبدة الثانوية بنين	لبده	136	1	136
	مجموع محلات لبده				
153			612	4	
	المجموع الكلي				
236			2830	12	

المصدر: من إعداد الباحثين استناداً إلى البيانات المسقاة من وزارة التربية

والتعليم الخمس، بيانات غير منشورة، 2019م.

الخريطة (8) معدلا الطلاب لكل مدرسة بمدارس التعليم المتوسط بمحلات مدينة الخمس



المصدر: اعتماداً على بيانات الجدول 5

4- متوسط عدد الطلاب لكل مدرس:

يلاحظ من خلال الجدول (6) والخريطة (9) أن هذا المؤشر غير ذات كفاءة لمعدل الطلاب لكل مدرس يعني أن نصيب الطالب من المدرس غير كفو فالمعدل أو المعيار الذي وضعته الدولة البالغ 5.1 طالب لكل مدرس، فقد وصل هذا المعدل في بعض مدارس محلات المدينة إلى 13 طالب لكل مدرس كما هو الحال بمدرسة الخمس المركزية بمحلة بن جحا وهذا المؤشر يوضح تأثير التحصيل العلمي للطلاب ، بينما يلاحظ في بعض المدارس أن هذا المؤشر ذو كفاءة عالية كما هو

الحال بمدرسة عائشة أم المؤمنين وغنيمة الثانوية ولبده بنين وعثمان البكاي، والجدول التالي والخريطة رقم (9) يوضحان توزيع هذا المؤشر على مستوى محلات المدينة

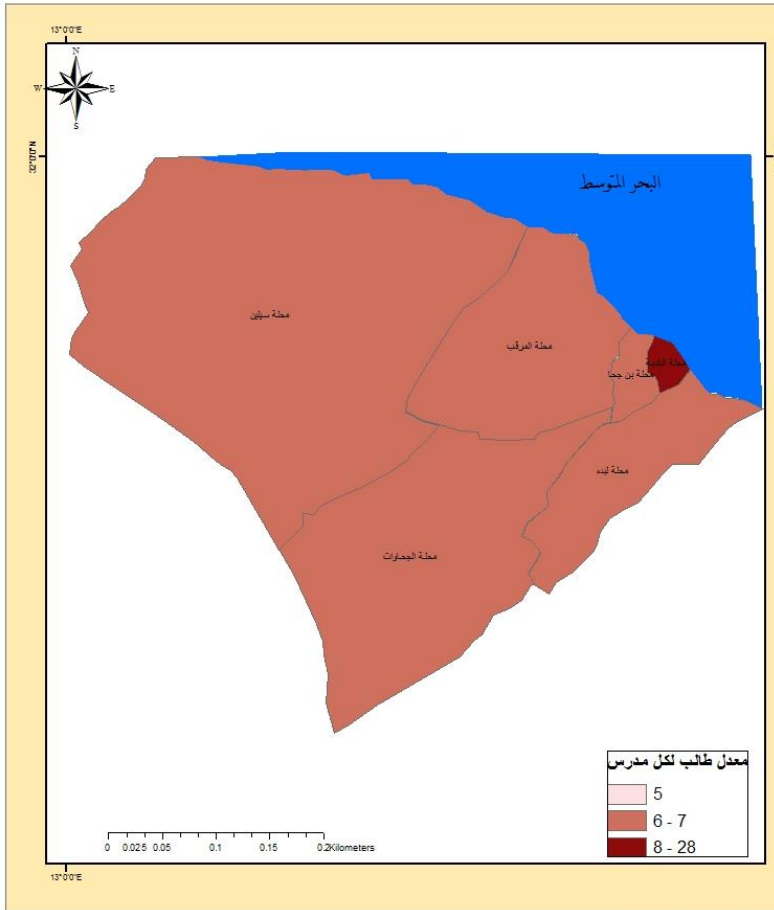
جدول (6) متوسط عدد الطلاب لكل مدرس على مستوى محلات مدينة الخمس

ت	المدرسة	المحلة	عدد الطلاب	المدرسين	طالب لكل مدرس
1	المجد الثانوية للبنات	المرقب	316	44	7
2	إبراهيم الرفاعي بنين	البلدية	422	49	9
3	عمر بن عبد العزيز مختاطة	البحاوات	135	23	6
4	غنيمة الثانوية مختاطة	غنيمة	197	36	5
5	التفوق مختاطة	سيلين	150	16	9
7	المجموع محلات سيلين				
6	عائشة أم المؤمنين بنات	بن جحا	238	61	4
7	الخمس المركزية بنات	بن جحا	490	37	13
8	المرقب الثانوية بنين	بن جحا	270	36	8
	المجموع محلات بن جحا				
9	شهداء ليبيا بنات	لبده	281	40	7
10	الحرية الثانوية للبنين	لبده	118	13	9
11	عثمان علي البكاي مختاطة	لبده	77	22	4
12	لبدة الثانوية بنين	لبده	136	25	5
	مجموع محلات لبده				
10	المجموع الكلي				

المصدر: من إعداد الباحثين استناداً إلى البيانات المسقاة من وزارة التربية والتعليم الخمس، بيانات

غير منشورة، 2019م.

الخريطة (9) معدل عدد الطلاب لكل مدرس بمدارس التعليم المتوسط محلات مدينة الخمس



المصدر: اعتماداً على بيانات الجدول 6

5- معدل مدرس/ فصل:

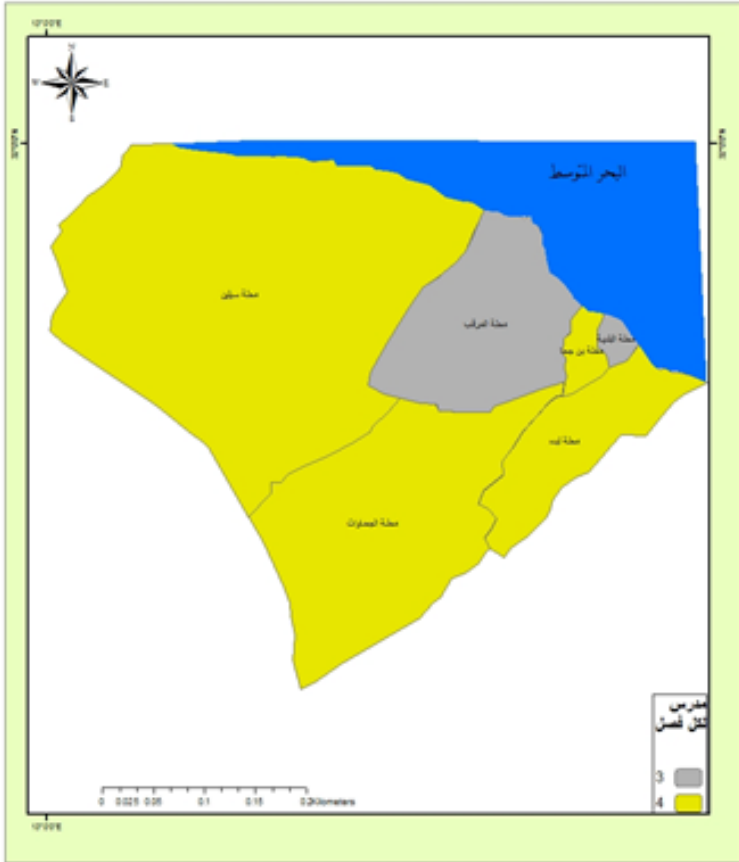
يبلغ أهمية هذا المؤشر في مدى اكتفاء هذه المدارس من المدرسين الذين هم الأساس والعمود الفقري الذي تقوم عليه العملية التعليمية، وكذلك تأتي أهمية هذا المعدل فيما تحتاجه المدارس من المدرسين، والمؤشر المحلي للدولة بلغ 5.5 مدرس/فصل، يلاحظ من خلال الجدول والتوزيع الخرائطي لكفاءة المؤشر ضعيف جداً على مستوى محلات المدينة وهذا يدل على قلة عدد المدرسين بهذه المدارس وهذا الأمر يتطلب لوقفة جادة في معرفة انخفاض أعداد المدرسين بهذه المدارس، فهذا يؤثر على التحليل العلمي ويعني هذا وجود عجز للمدرسين بالمدارس، وحتى إن كان المدرسين يسدون النقص القائم فإن هذا يؤثر على إعطاء المدرسين حيث يصبح إعطاء المدرس قليل نتيجة لكثرة الحصص اليومية، والجدول رقم (7) والخريطة رقم (10) يوضحان التوزيع الخرائطي لهذا المؤشر على مستوى مدارس محلات المدينة

جدول (7) متوسط عدد المدرسين لكل فصل على مستوى مدارس محلات مدينة
الخمسة

ت	المدرسة	المحلة	المدرسين	الفصول	مدرس لكل فصل
1	المجد الثانوية للبنات	المرقب	44	13	3.4
2	إبراهيم الرفاعي بنين	البلدية	49	15	3.3
3	عمر بن عبد العزيز مختلطة	الجحافات	23	6	3.8
4	غنيمة الثانوية مختلطة	غنيمة	36	10	3.6
5	التفوق مختلطة	سيلين	16	5	3.2
	المجموع محلات سيلين			15	52
6	عائشة ام المؤمنين بنات	بن جحا	61	11	3.4
7	الخمسة المركزية بنات	بن جحا	37	18	4.6
8	المرقب الثانوية بنين	بن جحا	36	8	3.3
	المجموع محلات بن جحا			37	134
9	شهداء ليبيا بنات	ليده	40	10	4.0
10	الحرية الثانوية للبنين	ليده	13	7	4.3
11	علي عثمان البكاي مختلطة	ليده	22	3	3.1
12	لبدة الثانوية بنين	ليده	25	6	4.2
	مجموع محلات ليده			26	100
	المجموع الكلي			112	286
				3	

المصدر: من إعداد الباحثين استناداً إلى البيانات المسقاة من وزارة التربية والتعليم الخمسة، بيانات غير منشورة، 2019م.

الخريطة (10) معدل عدد المدارس لكل فصل بالتعليم المتوسط بمحلات مدينة الخمس



المصدر: اعداداً على بيانات العزل 7

النتائج والتوصيات

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات أهمها:

- 1- تتوزع عدد المدارس للتعليم المتوسط على محلات مدينة الخمس وقد بلغ عددها اثنا عشر مدرسة موزعة على ست محلات.

- 2- بلغ عدد الطلبة المتحقين بهذه المدارس منهم 1214 من الذكور و1616 من الإناث بمجموع وصل إلى 2830 طالب وطالبة.
- 3- بلغ عدد الفصول القائمة بالمدارس 112 فصلاً و402 مدرساً موزعون على مختلف مدارس محلات المدينة.
- 4- يلاحظ أن معدلات كثافة الفصول ذات كفاءة عالية على مستوى المدارس أي أن المعدل جاء وفق المعيار المحلي وربما حدث زيادة طفيفة عن المعدل العام في بعض المدارس.
- 5- متوسط أعداد الفصول بالمدارس ذات كفاءة وكفاية عالية على مستوى مدارس محلات المدينة بل قد تجاوزت المعدل العام في زيادتها وهذا بدوره يقلل من كثافة الطلاب بالفصل.
- 6- ارتفاع أعداد الطلاب ببعض مدارس محلات المدينة كما هو الحال بمدرسة المجد الثانوية والخمس المركزية وإبراهيم الرفاعي الثانوية عن المعدلات العامة التي تكون فيها أعداد الطلبة إلا أن زيادة الطلاب في هذه المدارس وازدياد كثافة الفصول إذ لا تعاني من كثافة الطلاب بالفصل وهذا أدى إلى كفاءة وكفاية الخدمة.
- 7- وصل نصيب الطالب من المدرس في بعض مدارس محلات المدينة إلى 13 طالب لكل مدرس كما هو الحال بمدرسة الخمس المركزية بمحلة بن جحا وهذا غير ذات كفاءة وهذا يدل على وجود عجز في بعض المدارس من المدرسين.
- 8- يلاحظ من التوزيع الخرائطي لكفاءة مؤشر مدرس لكل فصل ضعيف جداً على مستوى محلات المدينة وهي مؤشر غير ذات كفاءة .
- التوصيات:** تتمثل توصيات البحث في زيادة عدد المدرسين في بعض مدارس محلات مدينة الخمس حتى يسد العجز القائم على مستوى الفصول والذي بدوره يؤثر على التحصيل العلمي للطلاب

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

1-وزارة التربية والتعليم الخمس، بيانات غير منشورة، 2019م.

ثانياً: المراجع العربية:

1- أمين حسن، الخدمات في مدينة عدن دراسة جغرافية تحليلية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، 2003.

2- عبد المنعم أبو زيد، جغرافية الخدمات الصحية والتعليمية في محافظة الجيزة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1996.

3- عثمان محمد غنيم، معايير التخطيط، دار الصفاء، عمان، 2011.

4- علي محمد التير، التعليم والصحة في منطقة زليتن، علي محمد التير، التعليم والصحة في منطقة زليتن دراسة في جغرافية الخدمات، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، 2008.

5- علي زكي علي سليمان، جغرافية الخدمات في محافظة البحيرة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، قسم الجغرافيا، 1994.

- 6- ناصر مرشد الزير، التعليم المتوسط الحكومي في مدينة الرياض دراسة في جغرافية التعليم، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2000.
- 7- وداد علي الثابت، الوظيفة التعليمية في منطقة العجيلات للمدة 1990-2003، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة السابع من أبريل، 2005م.

الأسباب القادحة في عدالة الرواة

إعداد: أ. الهاشمي عبد السلام محمد العالم*

الملخص:

يعالج البحث موضوعاً مهماً من مواضيع علم الجرح والتعديل (علم الرجال). وهو التحقق من عدالة الرواة ومعرفة الأسباب القادحة في عدالتهم لكي يتبين بعد ذلك صحة منقولاتهم من الأحاديث من عدمها بحيث يتناول بالتفصيل بيان مفهوم العدالة والضبط ويوضح الأسباب القادحة في العدالة وأقوال علماء الحديث فيها بالتفصيل والأدلة.

Abstract:

The research deals with an important topic of the science of wounding and modification.

It is verifying the fairness of the narrators and knowing the reasons that criticize their fairness in order to find out after that the validity of their narrations from the Hadiths or not so that it deals in detail with the statement of the concept of justice and discipline and explains the reasons for the criticism of justice and the sayings of hadith scholars in detail and evidence.

* عضو هيئة التدريس بكلية علوم الشريعة بجامعة طرابلس

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد ..

فقد من الله على عباده المؤمنين بأن جعلهم أمة القرآن، وبعث فيهم نبيه المصطفى ﷺ، وشرفهم بالسنة النبوية التي جاءت مفصلة لأحكام القرآن، ومبينة لمجمله، ولما كانت السنة النبوية قد وصلت إلينا عن طريق الرواة، وجب التمييز بين عدولهم وثقاتهم وأهل الحفظ والتثبت منهم، وبين أهل الغفلة والمجهولين، وقد قام علماء الحديث بهذا العمل خير قيام، فقاموا بالبحث عن الرواة ومعرفة من تقبل روايته منهم ومن لا تقبل، ووضعوا لذلك الشروط وقعدوا القواعد، وغرضهم من ذلك حماية السنة النبوية الشريفة، وتمييز صحيحها من سقيمها.

وهذا البحث يتعلق بجانب من جوانب علم الجرح والتعديل، وهو معرفة " الأسباب القادحة في عدالة الراوي ".

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة و تمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة، وأتبعته بفهرس للمصادر والمراجع، فجاءت المطالب على النحو الآتي:

المطلب الأول . مفهوم العدالة.

المطلب الثاني . الضبط .

المطلب الثالث . الأسباب القادحة في العدالة.

الخاتمة : وقد أجملت فيها أهم نتائج البحث.

أهمية البحث :

- 1- بيان مفهوم العدالة والضبط .
- 2- توضيح الأسباب القادحة في عدالة الراوي

أسباب اختيار الموضوع :

- 1- إثراء الملكة الفكرية حول جانب من جوانب علم الجرح والتعديل.
- 2- الارتباط الوجداني بالتراث الفكري الذي يشغل حيزاً كبيراً من الهوية الإسلامية.
- 3- معرفة الأسباب القادحة في عدالة الراوي التي أوردها علماء الجرح والتعديل.

مشكلة البحث :

عند البحث في أحوال الرجال ومراتبهم تظهر مشكلة تعارض الأقوال في عدالة الراوي فقد يكون عدلاً عند ناقد، مجروحاً عند ناقد آخر، بل أحياناً نفس الناقد قد تتعارض أقواله على نفس الراوي بين الجرح والتعديل، فما هي الأسباب القادحة في عدالة الراوي ؟ ، تلك هي مشكلة البحث .

تساؤلات البحث :

- 1- ما هو مفهوم العدالة وشروطها وطرق اختبارها ؟
- 2- ما هو مفهوم الضبط وأقسامه؟
- 3- ما هي الأسباب القادحة في العدالة ؟

أهداف البحث :

- المشاركة في إبراز التراث الفكري الإسلامي .
- التعريف بمفهوم العدالة وال ضبط
- معرفة الأسباب القادحة في عدالة الراوي

أدوات البحث:

يعتمد البحث على الرجوع الى أمهات الكتب المتخصصة في علم المصطلح الحديث مثل: (نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر ، ولسان الميزان : لابن حجر العسقلاني) ، و(مقدمة ابن الصلاح) و (ميزان الاعتدال: للذهبي) ، بالإضافة إلى الأبحاث والمصنفات التي تيسر الاطلاع عليها حول علم الجرح والتعديل .
الدراسات السابقة :

- أصول الجرح والتعديل و علم الرجال ، نور الدين عتر .
- ضوابط الجرح والتعديل ، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم .

المنهج المتبع في البحث :

اتبعْتُ في بحثي المنهج الوصفي التحليلي ، بحيث استهلته
 بالتعريف بشكل موجز بمفهوم العدالة والضبط ، ثم انتقل البحث
 إلى دراسة الأسباب التي أدت إلى القدح في عدالة الراوي

والله أسأل التوفيق والسداد في القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله
 على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تمهيد،

الراوي هو من تلقى الحديث وأداه بأي صيغة من صيغ الأداء⁽¹⁾.

وقد اهتم علماء الحديث بالرواية، وشرطوا لقبول روايتهم شروطاً دقيقة محكمة
 تدل على بعد نظرهم وجودة طريقتهم؛ باعتبار أن حديث الرسول ﷺ . يصل إلينا
 عن طريق الرواية، فهم الركيزة الأولى في معرفة صحة الحديث، أو عدم صحته⁽²⁾ .

واختلفت عبارات علماء الحديث في تعداد هذه الصفات ما بين مقل ومكثر، وقد
 جمع ابن الصلاح تلك الصفات بقوله: " أجمع جماهير أئمة الحديث والفقهاء على أنه
 يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يروي، وتفصيله: أن يكون

1 - منهج النقد في علوم الحديث نور الدين عتر ص 75 .

2 - ينظر: تيسير مصطلح الحديث ص 181 .

مسلمًا بالغًا عاقلًا سالمًا من أسباب الفسق وخوارم المروءة، متيقظًا غير مغفل، حافظًا إن حدث من حفظه، ضابطًا لكتابه إن حدث من كتابه، وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه أن يكون مع ذلك أن يكون عالمًا بما يحيل المعاني (1) وبالتالي فيما ذكره ابن الصلاح نجد أن صفات القبول والرد للرواة ترجع إلى أمرين هما: العدالة والضبط .

وقد تكلم أئمة الحديث في الرواة جرحًا وتعديلًا بقصد الوصول إلى قبول حديث ذلك الراوي أو عدم قبوله، ووضعوا طرقًا تثبت بها عدالة الرواة، كما أنهم نصوا على طرق أخرى لا تعتبر دليلًا على الجرح أو التعديل.

وسأتحدث في هذا البحث عن الأسباب القادحة في العدالة تخصيصًا من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول . العدالة : مفهومها وشروطها وطرق اختبارها.

المطلب الثاني . الضبط وشروطه وأقسامه.

المطلب الثالث . الأسباب القادحة في عدالة الراوي

المطلب الأول: (مفهوم العدالة وشروطها وطرق اختبارها)

¹ - علوم الحديث لابن الصلاح 104 . 105 ، وينظر كذلك: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ص 352 . 353 .

- سأتناول في هذا المطلب تعريف العدالة لغة واصطلاحاً، وشروط العدالة التامة، وطرق اختبار العدالة،
 أولاً . تعريف العدالة وشروطها:
- العدالة لغة : العدل ضد الجور، والعدل من الناس المرضي قوله وحكمه، يقال: رجل عدل؛ أي رضا ومقنع في الشهادة⁽¹⁾.
- واصطلاحاً هي: "ملكة تحمل على ملازمة التقوى والمروءة"⁽²⁾.
- والعدل هو: المسلم البالغ العاقل السالم من أسباب الفسق وخوارم المروءة. فيشترط لتمام العدالة توفر خمسة شروط ، هي:
- 1- الإسلام، لقوله تعالى ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾⁽³⁾ وغير المسلم ليس من أهل الرضا قطعاً.
 - 2- البلوغ؛ لأنه مناط تحمل المسؤولية والتزام الواجبات وترك المحظورات.
 - 3- العقل؛ لأنه لا بد منه لحصول الصدق وضبط الكلام.
 - 4- التقوى وهي اجتناب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر.
 - 5- الاتصاف بالمروءة وترك ما يخل بها، وهو كل ما يحط من قدر الإنسان في العرف الاجتماعي الصحيح، وخوارم المروءة هو ما يكون بحسب العرف البلدي والزمني علامة من علامات أهل الفسق أو السفه.

1 - الصحاح للجوهري مادة عدل.

2 - ينظر فتح لمغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي 2 / 158.

3 - سورة البقرة من الآية 282 .

وبناء على هذه الشروط لا تقبل رواية الذي يؤدي روايته حال كونه كافرا، أو فاسقا، أو غير مميز ولا عاقل، واشترط هذه الشروط هو من باب الاطمئنان إلى أن الراوي فيه من التقوى والورع ما يمنعه من الكذب في أحاديث الرسول ﷺ⁽¹⁾.
ثانيا . اختبار عدالة الراوي:

وضع علماء الحديث طرقا يتم بها اختبار الرواة والتأكد من عدالتهم، منها:

1- النظر إلى عبادته ومعاملته، ومحافظة على الطاعات واجتناب المعاصي وغيرها وذلك بالملاحظة الدقيقة له، أو سؤال أهل المعرفة به.

قال إبراهيم النخعي: " كنا إذا أردنا أن نأخذ عن شيخ سألناه عن مطعمه ومشربه ومدخله ومخرجه، فإن كان على استواء أخذنا عنه، وإلا لم نأته"⁽²⁾.

2- سؤال شيخه عن حديثه: وذلك بأن يحدث عن شيخ من الأحياء أحاديث، فيسأل ذلك الشيخ عنها.

قال الليث بن سعد: " قدم علينا شيخ بالإسكندرية يروي لنا، ونافع يومئذ حي، قال: فكتبنا عنه قنذافين عن نافع، فلما خرج الشيخ أرسلنا بالقنذافين⁽³⁾ إلى نافع، فما عرف منها حديثا واحدا، فقال أصحابنا: ينبغي أن يكون هذا من الشياطين الذين حبسوا"⁽³⁾.

3- استعمال التاريخ: وذلك بأن يحدث عن شيخ قد مات، فيسأل الراوي: متى ولدت؟ ومتى لقيته؟ وأين لقيته؟ ثم يدقق ما يجيب به على المعلوم من

1 - ينظر: علوم الحديث " مقدمة ابن الصلاح " بشرحها التقييد والإيضاح للعراقي ص 114 .

2 - الكامل في الضعفاء لابن عدي 1 / 163 .

3 - القنذافين: يراد به كراسين من الكراسين التي تكتب فيها الأحاديث .

4 - فتح المغيبي للسخاوي 3/313.

تاريخ الشيخ الذي روى عنه وتقلاته، فيتين صدقه أو كذبه؛ لذا قال سفیان الثوري: " لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ"⁽¹⁾.
قال أبو الوليد الطيالسي: " كتبت عن عامر بن أبي عامر الخزاز، فقال يوما: حدثنا عطاء بن أبي رباح فقلت له: في سنة كم سمعت من عطاء قال: في سنة أربع وعشرين ومائة، قلت: فإن عطاء توفي سنة بضع عشرة"⁽²⁾، قال الذهبي معلقا على هذه الرواية: " إن كان تعدد الكذب فهو كذاب، وإن كان شبه له بعطاء بن السائب فهو متروك لا يعي"⁽³⁾.

ثالثا . بم تثبت العدالة ؟

تثبت عدالة الراوي بأحد طريقين:

الأول: شهادة مُعدّلين على عدالته، أما شهادة معدل واحد فقد اختلفوا في ثبوت التعديل بها، والصحيح أن التعديل يثبت بواحد؛ لأن العدد لم يشترط في قبول الخبر، فلا يشترط كذلك في تعديل الراوي، وهذا الذي اختاره الخطيب البغدادي وغيره .

الثاني: الاستفاضة والشهرة: فمن اشتهرت عدالته بين أهل العلم وشاع الثناء عليه كفاه ذلك، ولا يحتاج بعد ذلك إلى معدل ينص عليها، كمالك والسفيانين والأوزاعي والليث بن سعد وابن المبارك ويحيى بن معين وعلي المدني وغيرهم، فهؤلاء لا يُسأل عن عدالتهم، وإنما يسأل عن عدالة من خفي أمره على الطالبين.

⁵ - تدريب الراوي للسيوطي 2 / 250 .

² - الضعفاء الكبير 3 / 308 .

³ - ميزان الاعتدال للذهبي 2 / 360 .

وقد سئل أحمد بن حنبل عن إسحاق بن راهويه فقال: "مثل إسحاق يسأل عنه ؟ إسحاق عندنا إمام من أئمة المسلمين، وسئل ابن معين عن أبي عبيد فقال: مثلي يسأل عن أبي عبيد؟ أبو عبيد يسأل عن الناس"⁽¹⁾.

وذهب ابن عبد البر . وتبعه ابن المواق . إلى أن كل حامل علم معروف العناية به فهو عدل محمول في أمره أبدا على العدالة حتى يتبين جرحه؛ لقوله ﷺ: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"⁽²⁾.

لكن هذا القول لم يلق قبولا من العلماء⁽³⁾؛ لأن الحديث لم يصح، وعلى فرض صحته فـ "إنما يصح الاستدلال به لو كان خبرا، ولا يصح حمله على الخبر؛ لوجود من يحمل العلم وهو غير عدل، وغير ثقة، فلم يبق له محمل إلا على الأمر، ومعناه أنه أمر للثقات بحمل العلم؛ لأن العلم إنما يقبل عنهم"⁽⁴⁾.

¹ - ينظر: ترتيب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي ص 354 ، وفتح المغيـث للسخاوي 2 / 166 .

² - أخرجه البزار في مسنده . باب مسند أبي حمزة أنس بن مالك . حديث رقم 9423 . 16 / 247 ، والطبراني في مسند الشاميين . باب ابن جابر عن علي بن مسلم البكري . حديث رقم 599 . 1 / 344 ، وقال الطبراني: "وخالد بن عمرو هذا . أحد روا الحديث . منكر الحديث .."

³ - لكن الحافظ السخاوي قوى رأي ابن عبد البر بذكر أقوال بعض العلماء الذين أيده فيما ذهب إليه كابن المواق وابن الجزري والمزي وابن سيد الناس والذهبي والبلقيني، ينظر في ذلك فتح المغيـث للسخاوي 2 / 174 . 175 .

⁴ - ترتيب الراوي ص 357 .

المطلب الثاني . الضبط وشروطه وأقسامه :

من الشروط الواجب توفرها في الراوي حتى يقبل حديثه أن يكون ضابطا لما يرويه.

وسأتناول في هذا المطلب تعريف الضبط وشروطه، وأقسامه، وذلك على

النحو الآتي:

أولا . الضبط لغة : الحفظ بالحزم، ولزوم الشيء وحفظه⁽¹⁾.

أما اصطلاحا فهو صفة تؤهل الراوي لأن يروي الحديث كما سمعه، ومراد علماء الحديث بالضبط أن يكون الراوي " متيقظا غير مغفل، حافظا إن حدث من حفظه، ضابطا لكتابه إن حدث من كتابه، وإن كان يُحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالما بما يحيل المعاني"⁽²⁾.

يفهم من النص السابق أنه يشترط في الراوي الضابط مجموعة شروط ، تتمثل في الآتي:

- 1- أن يكون الراوي متيقظا غير مغفل .
- 2- أن يكون حافظا إن حدث من حفظه.
- 3- أن يكون ضابطا لكتابه إن حدث من كتابه.
- 4- أن يكون عالما بما يحيل المعاني إذا كان يحدث بالمعنى.

ثانيا . مقياس معرفة الضبط:

¹ - ينظر: القاموس المحيط باب الطاء فصل الضاد مادة ضبط .

² - علوم الحديث ص 104 . 105 .

وضع علماء الحديث مقياسا يعرفون به ضبط الراوي من عدمه، وقد لخصه ابن الصلاح بقوله: " أن نعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان، فإن وجدنا رواياته موافقة ولو من حيث المعنى لرواياتهم، أو موافقة لها في الأغلب والمخالفة نادرة، عرفنا حينئذ كونه ضابطا، وإن وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه، ولم نحتج بحديثه"⁽¹⁾.

ثالثا . أقسام الضبط :

قسم العلماء الضبط قسمين: ضبط كتاب وضبط صدر، يقول يحيى بن معين: " هما ثبَتان: ثبت حفظ، و ثبت كتاب"⁽²⁾.

القسم الأول ضبط الصدر وهو: " أن يُثبِت ما سمعه، بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء"⁽¹⁾

وهناك أمور تساعد العلماء في معرفة ضبط الصدر، وهي:

- 1- استفاضة ضبط الراوي وإتقانه بين أئمة الجرح والتعديل، وهذا النوع أقوى من الاختبار الفردي؛ لأنه نتيجة نظر من أئمة كثيرين عارفين بأحوال الرجال .
- 2- سَبَر روايات الراوي، ومقارنتها بروايات غيره من الثقات؛ لينظر هل يوافقهم أو يخالفهم ؟ ويُحَكَم على حديثه بعد ذلك بما يستحق، فإن كانت رواياته موافقة لرواياتهم ولو من حيث المعنى، أو موافقة لها في الأغلب والمخالفة نادرة،

1 - علوم الحديث ص 106 .

2 - تهذيب التهذيب 5 / 231 .

فيحكم حينئذ بكونه ضابطا متقنا، أما إذا كان كثير المخالفة للنقات فيحكم حينئذ بعدم ضبطه، وبالتالي لا يقبل حديثه.

وقال ابن معين: " قال لي إسماعيل بن علية يوماً: كيف حديثي ؟ قلت: أنت مستقيم الحديث، فقال لي: وكيف علمتم ذلك ؟ قلت له: عارضنا بها أحاديث الناس فرأيناها مستقيمة، فقال: الحمد لله " (1).

3- إذا نصوا على أن الراوي ثقة وليس له كتاب، فهذا يدل على أنه يحفظ حديثه في صدره.

4- الملازمة . كثرة ملازمة الراوي الضابط لشيخه الذي يروي عنه تزيده قوة في الضبط ، ويكون ذلك الراوي أرجح من غيره من النقات في شيخه الذي لازمه . مثاله . ما يذكره أهل الحديث منها: بت الناس في ثابت البناني هو حماد بن سلمة؛ لكثرة ملازمته له، وحماد إذا روى عن غير ثابت كقتادة مثلاً فإنه يخطئ في حديثهم كثيراً (2).

5- اختبار الراوي

المطلب الثالث: (الأسباب القاحلة في عدالة الراوي فإنه لا بد لقبول رواية الراوي أن يكون عدلاً ضابطاً، غير أنه قد يتصف ببعض الصفات التي تخدش عدالته وتطعن في مروياته، وتحول دون بلوغ الحديث إلى درجة الصحة أو الاحتجاج به . ومرد هذه الصفات إلى خمسة أمور هي: الجهالة والبدعة والفسق والتهمة بالكذب ثم الكذب، وبعض هذه الصفات أخف من بعض، فمن أخفها وأسهلها؛

1 - شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر 1 / 248 .

2 - ينظر: الجواهر السلিমانيّة شرح المنظومة البيقونية ص 61 . 64 .

الجهالة، ويليها في الخفة البدعة، وثالثها الفسق، ورابعها التهمة بالكذب في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، بأن لا يروى ذلك الحديث إلا من جهته، ويكون مخالفا للقواعد المعلومة، أو يكون الراوي معروفا بالكذب في حديث الناس، وخامسها الكذب في الحديث النبوي¹، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:-

1- لا يقبل حديث أهل السفه ونحوه:

السفه: الخفة والطيش، فلا يقبل حديث أهل المجون وهو قلة الحياء وخطب الجذ بالهزل، أو عدم المبالاة، وكذا حديث أهل الخلاعة: وهي ترك الحياء وركوب الهوى.

مثال ذلك:

ذكر البخاري النضر بن مطرف فقال: قال يحيى القطان: "سمعتة يقول: إن لم أحدثكم فأمي زانية، قال يحيى: تركت حديثه لهذا"².
قال زيد بن أسلم: "ما كنا نجالس السفهاء ولا نتحمل عنهم"³.

وقال مالك بن أنس: "لا تأخذ العلم من أربعة وخذ ممن سوى ذلك: لا تأخذ من سفیه معلن بالسفه وإن كان أروى الناس، ولا تأخذ من كذاب يكذب في أحاديث الناس إذا جرب ذلك عليه، وإن كان لا يتهم أن يكذب على رسول الله صلى الله

¹ ينظر العدالة والضبط وأثرهما في قبول الأحاديث أو ردها، للدكتور: جنيد أشرف إقبال أحمد، ص/226.

² الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي، ص/115.

³ المصدر نفسه، ص/116.

عليه وسلم، ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه، ولا من شيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث"¹.

والسبب في عدم قبول من كان هذا شأنه أنه لا يؤمن أن يقع في المحرم، وأن يستهتر في نقل الحديث النبوي، فردوا حديثه لذلك.

2- لا تقبل رواية الكاذب والفاسق في حديث الناس، وإن تولى الكذب في الحديث النبوي، إلا إذا تاب فإنه تقبل توبته:

قال الخطيب: " يجب أن يقبل حديثه إذا ثبتت توبته"².

لأن الكذاب فاسق لا يؤمن، ولأنه مستهتر بمقام ربه، ولأن النصوص قد نهت عن قبول خبره بمجرد الفسق إلا إن تاب توبة نصوحاً، ((فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا))⁽²⁾.

أما من لم يقع في الكبيرة ولا عرف بالإصرار والاستهتار في الصغائر فإنه يقبل حديثه ويغفر له ما قد يقع له من الهفوات ويوهب نقصه لفضله.

3- لا تقبل رواية التائب من الكذب في الحديث أبداً:

الكذب بوضع حديث، أو بادعاء السماع لما لم يسمع، فقد ذهب جمهور أهل العلم إلى أنه يوجب ردّ الحديث أبداً، وإن تاب فاعله.

فقد سئل أحمد بن حنبل عن محدث كذب في حديث واحد ثم تاب ورجع، قال: توبته فيما بينه وبين الله، ولا يكتب حديثه أبداً³.

¹ شرح علل الترمذي، لابن رجب الحنبلي، 1/214.

² الكفاية في علم الرواية، ص/117.

² سورة الفرقان الآية 70.

⁴ المصدر نفسه، ص/117.

وقال عبد الله بن المبارك: من عقوبة الكذاب أن يرد عليه صدقه¹.
 وخالف في ذلك الإمام النووي -رحمه الله تعالى- فقال: أجمع أهل العلم على قبول خبر من كان كافرا فأسلم، والمختار القطع بصحة توبته بشروطها المعروفة².
 ما ذكره النووي صحيح غير أن المحدثين ردّوا حديثه زجرا وتغليظا، ومبالغة في الاحتياط للحديث؛ لعظم مفسدته، كما أن الشريعة غلظت حرمة أعراض الناس فردت شهادة القاذف ولو تاب.

هذا في حق الكاذب في حديثه صلى الله عليه وسلم العامد للكذب، أما المخطئ فقد قال الخطيب: إذا قال كنت أخطأت فيه ولم أتعمد الكذب فإن ذلك يقبل منه، وتجوز روايته بعد توبته³.

قال السخاوي في فتح المغيث: وأما من كذب عليه في فضائل الأعمال معتقدا أن هذا لا يضر ثم عرف ضرره فتاب، فالظاهر قبول روايته، وكذلك من كذب دفعا لضرر يلحقه من عدوّ ثم رجع عنه⁴.

4- خبر المبتدع:

المبتدع من فسّق لمخالفته عقيدة السنة⁵.
 والبدعة مكفرة وغير مكفرة.

⁵ المصدر نفسه، ص/117.

⁶ ينظر النكت على ابن الصلاح، للزركشي، 3/405.

⁷ ينظر الكفاية، ص/118.

⁸ ينظر أصول الجرح والتعديل، لنور الدين عتر، ص/147-148.

⁵ ينظر أصول الجرح والتعديل لنور الدين عتر ص/148.

المعتمد في البدعة المكفرة أنها إنكار أمر متواتر من الشرع معلوم من الدين بالضرورة، وكذا اعتقاد عكسه. وهذه صاحبها تردّ روايته قولاً واحداً¹.

وأما البدعة المفسقة محلّ البحث فإنهم اختلفوا فيها على أربعة أقوال، كما ذكر ذلك الخطيب البغدادي، وسبب هذا الخلاف هو أن المبتدع هل هو فاسق؟ والفسق يوجب رد الرواية، أو هو مبتدع متأول ببدعته، والفاسق ماجن بفسقه، فباين الفاسق في ذلك، فوجب أن يبينه في الحكم.

فأما المذهب الأول: فعدم قبول الرواية مطلقاً.

والمذهب الثاني: قبولها مطلقاً.

والمذهب الثالث: قبول رواية من لا يستحل الكذب لنصرة مذهبه.

والمذهب الرابع: قبول رواية المبتدع الذي لا يدعو إلى بدعته².

يقول ابن الصلاح في الحديث عن المذهب الرابع: "وهذا مذهب الكثير أو الأكثر من العلماء"³.

وقال ابن حبان: "الداعية إلى البدعة لا يجوز الاحتجاج به عند أئمتنا قاطبة، لا أعلم بينهم فيه خلافاً"⁴.

يقول ابن الصلاح: "فإن كتب أئمة الحديث طافحة بالرواية عن المبتدعة غير الدعاة، وفي الصحيحين كثير من أحاديثهم في الشواهد والأصول"⁵.

¹ المصدر نفسه، ص/148.

² الكفاية، ص/120-121.

³ ينظر تدريب الراوي، لجلال الدين السيوطي، 325/1.

⁴ ينظر الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، ص/12.

⁵ ينظر مقدمة ابن الصلاح، ص/61.

وأضاف الإمام الجزجاني شرطا آخر لقبول رواية غير الداعية: وهو أن لا يكون الحديث الذي رواه مؤيدا لبدعته. فقال: "ومنهم زائغ عن الحق -أي عن السنة- صادق للهجة فليس فيه حيلة إلا أن يؤخذ من حديثه ما لا يكون منكرا إذا لم يقو به بدعته". وأيده على ذلك ابن حجر¹.

يقول الدكتور نور الدين عتر: "وكل آراء العلماء تلتقي على هدف واحد هو الاحتياط من تأثر المبتدع ببدعته في الخط أو الدس لما يرويه، فإذا لم يكن داعية واتصف مع ذلك بالدين والورع كان بعيدا عن اقتتراف الكذب"¹.

وما وقع في الصحيحين من رواية بعض المبتدعة الدعاة مع أنه قليل نادر على أنهم قد توفر فيهم الصدق ما لو أن أحدهم أن يخبر من السماء أهون عليه من أن يكذب في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك استثنى هؤلاء الرواة القلائل، وهذا أمر لا يستطيع تقديره إلا معاصر أو قريب، والناذر لا حكم له.

قال الشيخ أحمد شاكر: " وهذه الأقوال كلها نظرية، والعبرة في الرواية بصدق الراوي، وأمانته، والثقة بدينه وخلقه، والمتتبع لأحوال الرواة يرى كثيرا من أهل البدع موضعا للثقة والاطمئنان، وإن رروا ما يوافق رأيهم، ويرى كثيرا منهم أنه لا يوثق بأي شيء يرويه، ولذلك قال الحافظ الذهبي في الميزان في ترجمة أمان بن تغلب الكوفي: شيعي جلد لكنه صدوق، فلنا صدقه وعليه بدعته"².

5- خبر من أخذ على الرواية أجرا:

¹ ينظر منهج النقد في علوم الحديث، لنور الدين عتر، ص/84.

"مضت سنة الصحابة والتابعين أن يرووا الحديث للناس احتسابا يبيغون الأجر عند الله، حتى شاع قولهم: "عَلِمَ مجانا كما علمت مجانا"، ثم جاء بعض الرواة وخالفوا هذا العرف، وصاروا يتقاضون من طلابهم أجرا لإسماعهم الحديث"¹.
ومن ذهب إلى عدم جواز أخذ الأجرة الإمام أحمد، وأبو حاتم الرازي، وإسحاق بن راهوية، وتبعهم في ذلك ابن الصلاح.

قال الخطيب: "وقد ترخص في أخذ الأجرة غير واحد من السلف"².

فطaus بن كيسان يمنح عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما ستين ديناراً لكي ينشطه في الرواية ونشر العلم، وعلي بن عبد العزيز وهو المكي من شيوخ النسائي يأخذ الأجرة من الوفود في الحج، ويعتذر عن ذلك بانقطاع عيشه بدونها، فدلّت الدلائل على أن أخذ الأجرة لا يجرح الراوي إذا سلم مما يقدر الرواية والله أعلم³.

6- خبر المدلس - بكسر اللام - :

والتدليس لغة: التمويه⁶.

وإصطلاحاً: التمويه في اتصال إسناد الحديث، أو شخص روايه⁷.

والمدلس: هو رواية المحدث عن عاصره ولم يلقه، فيتوهم أنه سمع منه، أو روايته عن لقيه ما لم يسمعه منه، وهو تدليس الإسناد.

¹ ينظر منهج النقد في علوم الحديث ، لنور دين عتر ، ص/84.
2المصدر نفسه.

3 منهج النقد في علوم الحديث، ص./85.

⁴ ينظر الكفاية، ص./154.

⁵ ينظر المصدر نفسه، ص./155.

6 لسان العرب ج 6 / ص 86.

7 النكت الوفية بما شرح الألفية (433/1)

وأما تدليس الشيوخ: فكأن يغير اسم شيخه لعلمه أن الناس يرغبون عن الرواية عنه، أو يكتنيه بغير كنيته، أو ينسبه إلى غير نسبه المعروف من أمره. وما صححه الخطيب واعتمده علماء الحديث هو أن المدلس لا يقبل حديثه إلا أن يورده على وجه مبين غير محتمل للإيهام، فإن أورده على ذلك قبل، قال الخطيب في هذا: "وهذا هو الصحيح عندنا"¹

لأن التدليس ليس كذبا وإنما هو تحسين لظاهر الإسناد كما قال البزاز: (ضرب من الإيهام بلفظ محتمل فإذا صرح قبلوه واحتجوا به وردوا ما أتى منه باللفظ المحتمل)².

7- رواية المجهول:

قال نور الدين عتر: "وصُيِّفَ فيمن جرح باختلال العدالة لاحتمال أن يكون مخروم العدالة"، لا أن ذلك متحقق فيه.

والمجهول قسمان: مجهول عين، ومجهول حال.

فمجهول العين: من لم يشتهر بطلب العلم في نفسه ولا عرفه العلماء به، ومن لم يعرف حديثه إلا من جهة راو واحد، من أمثلته عمرو ذو مرّ، وجبار الطائي.

وحكم هذا على الصحيح: أنه لا يقبل حديثه إلا بأحد أمرين:

- أن يوثقه غير من ينفرد عنه على الأصح.
- إذا زكاه من يتفرد عنه إذا كان متأهلا لذلك؛ بأن كان من أهل الجرح والتعديل. وإلى هذا ذهب ابن القطان وابن رشيد وصححه الحافظ ابن حجر في نزهة النظر.

¹ ينظر الكفاية، ص/361.

² ينظر فتح المغيب، 1/186.

قال ابن القطان: "إذا علمت عدالته لم يضره أن لا يروي عنه إلا واحد، فأما إذا لم تعلم عدالته، وهو لم يرو عنه إلا واحد فإنه لا يقبل روايته لا من يبتغي على الإسلام مزيداً، ولا من لا يبتغيه"¹.

وقال أيضاً: "ولو ثبت لدينا كونه عدلاً لم يضره أن يكون لا يروي عنه إلا واحد؛ لأن العدد ليس بشرط في الرواية"².

قال السخاوي: "وعليه يتمشى تخريج الشيخين في صحيحهما لجماعة ليس لهم إلا راو واحد"³.

ومجهول الحال: هو من روى عنه اثنان فصاعداً ولم يوثق ولم يجرح⁶.

والجمهور على رد روايته لا على أنه طعن في الراوي ولا جرح له؛ بل لتعذر الكشف عن حال الرواه إلا من خلال الذين شاهدوا الرواة، فإنهم هم الذين يُتوقفون حتى يتبين لهم حال الراوي من العدالة وعدمها، أما بالنسبة لنا فليس أمامنا إلا المصنفات في الرجال، وهذه يصعب التمييز فيها بين مجهول الحال والمستور.

قال أبو العباس القرطبي: " التحقيق أنه متى عرفت عدالة الرجل قبل خبره؛ سواء روى عنه واحد أو أكثر، وعلى هذا كان الحال في العصر الأول من الصحابة والتابعين"⁴.

¹ بيان الوهم والإيهام، لابن القطان، 2/341.

² المصدر نفسه، 3/407.

³ ينظر فتح المغيبي، 1/319.

⁶ نفس المصدر 1/86.

⁴ المقنع في علوم الحديث، لابن الملقن، ص/263.

قد رد كثير من أهل العلم رواية المجهول ولم يقبلوها، قال الدارقطني: "وأهل العلم بالحديث لا يحتجون بخبر ينفرد بروايته رجل غير معروف، وإنما يثبت العلم عندهم بالخبر إذا كان راويه عدلا مشهورا، أو رجلا ارتفع اسم الجهالة عنه". قال ابن كثير: "فأما المبهم الذي لم يسم، أو سمي ولم تعرف عينه فهذا لا يقبل روايته أحد علمناه"¹.

وحجتهم أن تحقق العدالة شرط لقبول الرواية والمجهول ليس عدلا ولا في معناه في حصول الثقة به، وقد تقرر أيضا رواية الفاسق، ومجهول العين أو الحال يحتمل أن يكون فاسقا وأن يكون غير فاسق، فلا تقبل روايته مع هذا الاحتمال؛ لأن عدم الفسق شرط في جواز الرواية عنه، فلا بد من العلم بوجود هذا الشرط. 8- رواية الكافر:

فالكافر وإن كان صادقا مأمونا في حديثه لا يقبل حديثه حتى يسلم؛ سواء سمعه حال كفره أو بعد إسلامه².

قال النووي رحمه الله: "أجمع أهل العلم على قبول خبر من كان كافرا فأسلم"³.

9- رواية الصبي والمجنون:

لأنهما لا مسئولية عليهما، فقد يتعمد الصبي الكذب بهذا الاعتبار، أو يتساهل، والمجنون أولى؛ لأنه فاقد شريطة الضبط من الأصل⁴.

¹ ينظر فتح المغيبي، 1/145.

² ينظر منهج النقد في علوم الحديث، ص/81.

³ ينظر النكت على ابن الصلاح، 3/405.

⁴ ينظر منهج النقد في علوم الحديث، ص/81.

هذا ما تيسر لي جمعه، فما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين ، وبعد فإن التثبت من عدالة الراوي أمر ضروري ، يراعى فيه في الغالب اختلاف مناهج النقاد ، أو مصطلحاتهم أو أصولهم ، أو شروطهم في الحكم على الراوي ، وللوصول إلى جوابٍ شافي حول هذه المسألة ، ينبغي التحقق من الراوي ومن الشيخ ، وكذلك التأكد من المصطلح المستخدم في الجرح ، وكما جاء في ثنايا هذا البحث ، الذي توصل الباحث من خلاله إلى جملة من النتائج والتوصيات ، نجلها فيما يلي:

أولاً النتائج :

- 1- معرفة شروط العدالة والضبط أمر ضروري في الحكم على الراوي.
- 2- تعارض الجرح في الراوي قد يكون سببه : اختلاف اجتهادات النقاد ، أو تباين أصولهم ومناهجهم ومصطلحاتهم .
- 3- قبل ترجيح الجرح لا بد من إعادة النظر في : الراوي ، وفي الشيخ، وفي اللفظ المستخدم ، ومقارنة كل ذلك بأقوال النقاد الآخرين.

ثانياً التوصيات:

- قبل الحكم برد الرواية لا بد من التثبت ، وتدقيق البحث ، و إعادة النظر في المسألة مراراً وتكراراً حتى يتضح وجه الصواب فيها.
 - يجب الاهتمام بتحقيق ونشر المصادر والمراجع المتعلقة بهذا الفن، وتبسيطها للدارسين بأسلوب علمي رصين لأهميتها في فهم المصدر الثاني من مصادر التشريع وتقرير أحكام الشريعة الإسلامية الغراء.
 - تكتيف الدراسات والأبحاث المختصة بدراسة الأسباب القادحة في عدالة الراوي وضبطه لأهميتها في علم الجرح والتعديل.
- وبالله تعالى التوفيق ، وصلى الله تعالى على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- أصول الجرح والتعديل وعلم الرجال، نور الدين عتر، دار اليمامة، ط2، دمشق، سوريا، 2007م.
- 2- بيان الوهم والاهام في كتاب الأحكام ، علي ابن محمد الفاسي ،أبو الحن ابن القطان ، ت: الحسين آيت سعيد ، طيبة للنشر والتوزيع 1997/م.
- 3- التاريخ الكبير، الإمام البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيد آباد- الدكن.
- 4- ضوابط الجرح والتعديل، عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم العبد اللطيف، مكتبة العتيكان، 1425هـ.
- 5- علم مصطلح الحديث، محمد بن عثيمين، دار مكتبة العلم، المدينة المنورة، ط1، 1994م، 1415هـ.
- 6- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- 7- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، 1971م.
- 8- المفصل في علوم الحديث، علي بن نايف الشحود، بحث في المكتبة الشاملة.
- 9- المقنع في علوم الحديث، عمر ابن علي ابن أحمد الانصاري ابن الملتن، ت: عبد الله ابن يوسف الجدير، دار الفواز للنشر، 1992م.
- 10- الموجز في مصطلح الحديث، عبد السلام أبو ناجي، الجامعة المفتوحة، ليبيا، 1996م.

- 11- موسوعة أقوال يحيى بن معين، جمع وتحقيق: بشار معروف، وجهاد محمود خليل، دار الغرب الإسلامي، لبنان، بيروت، 2009م.
- 12- ميزان الاعتدال، الإمام الذهبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1963م.
- 13- نزهة النظر، لابن حجر، تحقيق: عبد الله بن ضيف الرحيلي، مطبعة سفير بالرياض، 1422هـ.

البطالة في ليبيا

إعداد : د. نورية محمد الشريف

أ. هناء أبوالقاسم أبودينة

المخلص:

يشكل تزايد أعداد العاطلين (الباحثين عن العمل) بشكل مستمر في أرجاء البلاد وبنسب متفاوتة هاجساً كبيراً عند السكان، خاصة وأن الوقت الراهن للبلاد والأوضاع السياسية والاقتصادية الحالية فيها جعلت الحكومة غير قادرة على تلبية احتياجات ومتطلبات السكان والمتعلقة بإيجاد حلولاً جذرية لمشكلة البطالة، ومدى توافر فرص عمل ملائمة للعاطلين عن العمل كل حسب تخصصه، ومدى قدرتها على استيعاب أعداد كافية من الأفراد الباحثين عن العمل للتقليل من معدلات البطالة المسجلة والقائمة بالبلاد، من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية المرجوة.

Abstract

The continuous increase in the number of unemployed people (job seekers) all over the country in fluctuating proportions constitutes a great concern for the population, particularly since the current time of the country and the current political and economic circumstances in it have made the government incapable to meet the needs and requirements of the population in terms of finding solutions to the problem of

unemployment, and the availability of opportunities Suitable work for all the unemployed, each according to his specialty, and the extent of its ability to absorb a good number of individuals looking for work in order to reduce the registered and existing unemployment rates in the country,

المقدمة:

تعد مشكلة البطالة أحد أهم القضايا في العالم، والتي تعاني منها جميع الدول على حدّ سواء، المتقدمة منها أو النامية، إذ إنها تعتبر أحد نتائج الأزمة الاقتصادية التي عانى ويعاني منها العالم بأسره، والتي كانت بداياتها في الثلاثينيات من القرن الماضي، واقتصرت على الدول المتقدمة في بادئ الأمر كونها دولاً صناعية، ونتيجة لحالة الركود الاقتصادي التي اجتاحت تلك الدول، فقد أخذت ملامح البطالة تظهر فيها وبشكل ملحوظ، وقد استمرت في التفاقم حتى هاجمت جميع الدول النامية في السبعينيات من القرن الماضي، وعلى إثرها تم إنهاء خدمات آلاف من العاملين في مختلف القطاعات، ولأسباب مختلفة وبنسب متفاوتة، لاسيما في الدول العربية التي عانت هي الأخرى من ارتفاع معدلات البطالة بها خاصةً الدول الغير النفطية منها، بسبب اعتماد اقتصادها على السياحة، في الوقت التي قلت بل وندرت حركة السياحة خصوصاً في الآونة الأخيرة، مما أثر ذلك على متوسط دخل الفرد، وبالتالي انتشار شبح البطالة.

ففي ليبيا -كمنطقة خاصة لهذه الدراسة- فإن الأمر لا يختلف كثيراً رغم إنها دولة نفطية، والذي كان لتصديره دوراً بارزاً في انتعاش البلاد اقتصادياً، وساهم في رفع

ناتج الدخل القومي للفرد في تلك الفترة، وما أن تبذلت حال البلاد شأنها شأن جيرانها من الدول الجوار بل ودول العالم جمعاء، حيث أصابها ما أصابهم! وأخذت معدلات البطالة فيها في تزايد مستمر يوماً تلو الآخر، وسنة تلو الأخرى، ولا شك أن ذلك التزايد والتفاقم راجع إلى تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية الراهنة بالبلاد، الأمر الذي يؤثر بشكل أو بآخر على العاملين عموماً وعلى أولئك الذين يبحثون عن العمل والراغبين فيه ولكن دون جدوى، ولكل مما سبق ذكره فقد جاءت هذه الدراسة لتساهم في وضع حل لمشكلة البطالة أو التقليل من معدلاتها في البلاد.

مشكلة الدراسة: تتمثل مشكلة الدراسة في التساؤلات الآتية:

- 1 - هل هناك فروقات في معدلات البطالة بين مناطق ليبيا؟ وما هي أسباب هذا الاختلاف إن وجدت؟
- 2 - هل ساهمت الأوضاع السياسية والاقتصادية الراهنة في تزايد أعداد العاطلين عن العمل فيها؟
- 3 - هل للخصائص الديموغرافية للسكان دوراً في تفاقم مشكلة البطالة في الدولة؟

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

- 1 - إبراز وتوضيح حجم مشكلة البطالة في ليبيا.
- 2 - معرفة المناطق التي ترتفع فيها معدلات البطالة والمناطق التي تقل فيها ومحاولة تحليل وتفسير أسباب ذلك التباين.

3 - وضع المقترحات كحلول بحيث تكون لها دور في الحد من ظاهرة البطالة بالبلاد إذا ما تم أخذها بعين الاعتبار.

أهمية الدراسة: وتتمثل فيما يلي:

1- تسليط الضوء على مشكلة البطالة وتأثيرها على الأفراد بالمجتمع.

2 - ترتيب معدلات البطالة للمناطق الليبية تصاعدياً أو تنازلياً، ليسهل على الباحثين دراستها وإدراك مدى تأثيرها اقتصادياً واجتماعياً.

3 - تعد هذه الدراسة إضافة علمية جغرافية جديدة، وخاصةً أن هذا الموضوع لم يتم تناوله جغرافياً من قبل.

فرضيات الدراسة: وتمثلت فرضيات الدراسة فيما يلي:

1 - هناك علاقة بين طبيعة موضع كل منطقة بالبلاد من حيث إنشاء مؤسسات خدمية من عدمه وبين تفاوت نسب ومعدلات البطالة في تلك المناطق.

2 - توجد علاقة طردية بين زيادة التحصيل العلمي وتزايد فرص الحصول على الوظيفة.

3- توجد علاقة عكسية بين تزايد أعداد فئة الشباب من الهرم السكاني وبين تناقص فرص الحصول على العمل.

4- هناك علاقة عكسية بين زيادة استقرار الوضع السياسي للبلاد وبين تناقص معدلات البطالة ونمو اقتصادها وانتعاشه.

مناهج الدراسة: اعتمدت هذه الدراسة على اتباع المنهج الوصفي في وصف حجم البطالة في مناطق ليبيا وتفسير أسبابها، إضافةً إلى الاعتماد على المنهج التحليلي والكمي في تحليل وتفسير الأرقام والإحصائيات المتعلقة بنسب معدلاتها بالبلاد ومدى التفاوت المكاني بينها.

مصطلحات الدراسة:

-**العاطل:** (كل من هو قادر على العمل، وراغب فيه، ويبحث عنه، ولكن دون جدوى) وفقاً لمنظمة العمل الدولية.¹

وفي هذا البحث سيتم تناول موضوع البطالة من خلال مبحثين هما:

- **المبحث الأول-** التباين المكاني لمعدلات البطالة في كل المناطق.
- **المبحث الثاني-** البطالة والخصائص الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية للسكان.

المبحث الأول- التباين المكاني في أعداد ومعدلات البطالة في كل المناطق

يعتبر معدل البطالة في ليبيا من أعلى المعدلات بين البلدان متوسطة الدخل، حيث ارتفعت البطالة بشكل كبير عقب ثورة فبراير عام 2011م، وبلغت معدلات البطالة فيها سنة 2012م (19%) من مجموع العاملين، أي (358.300) شخص موزعين بين ذكور بنسبة (54.8%)، وإناث بنسبة (45.2%)، في حين أن نسبة البطالة كانت أقل من ذلك في عام 2010م، فقد بلغت (13.5%)، في أنها كانت في سنة

¹- رمزي زكي، الاقتصاد السياسي للبطالة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 202.

2005 (10%)¹، وكما هو معروف فإن نسبة البطالة بين الإناث تعتبر أكثر من تلك الموجودة بين الذكور، وذلك بسبب عدم قدرة الإناث على الانتقال من عمل لآخر بسبب طبيعة تركيبة أجسامهن مقارنة بالذكور، وكثرة التزامتهن الأسرية بالإضافة إلى العادات والتقاليد التي لازالت تؤخذ بالاعتبار عند بعض السكان،² ولا شك أن هناك الكثير من الفروقات في أعداد العاطلين عن العمل واختلاف معدلاتهم من منطقة لأخرى بالبلاد، وذلك مرده إلى طبيعة كل منطقة وخصائصها الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية، وبشكل عام ووفقاً للإحصائيات الوطنية، فإن معدلات البطالة ترتفع في النصف الغربي من ليبيا بما في ذلك طرابلس ومصراته والمغرب مقارنة بينغازي كإحدى مناطق الشرق الليبي، ويرجع السبب في ذلك إلى ارتفاع معدلات النمو السكاني، وخاصة من فئة الشباب بالغرب الليبي مقارنة بمناطق شرقه وتقلص أعداد شركات الاستثمار العاملة بليبيا وتوقفها بسبب خروج هذه الشركات الأجنبية بعد سنة 2011م وهو ما سبب في تزايد عدد العاطلين الليبيين عن العمل والذين كانوا يشتغلون في تلك الشركات في مختلف المناطق.

ووفقاً لنتائج المسح الوطني الليبي للبطالة والتشغيل لسنة 2012م، فإن منطقة الكفرة قد نالت أقل معدل للبطالة في البلاد بنسبة (5.5%)، تليها منطقة درنة بنسبة (7.6%) أنظر جدول (1) والشكل (1) - ويعود ذلك إلى التكافؤ النسبي لعدد سكان تلك المنطقتين مع أعداد المؤسسات الخدمية بهما، الأمر الذي ساهم إلى حد

¹ - وزارة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، نتائج المسح الوطني الليبي للتشغيل والبطالة، 2012، ص 8.

² - رياض جليلي، تمكين المرأة: المؤشرات والأبعاد التنموية، سلسلة جسر التنمية، السنة السابعة، العدد الثاني والسبعون، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، 2008، ص 68.

ما في تقليل نسب البطالة بين سكانهما، أما بقية المناطق تتراوح معدلات البطالة فيها ما بين (14.2%) كأدنى معدل لمنطقة بنغازي و(31.1%) كأعلى معدل لمنطقة المرج، وذلك بسبب عدة أسباب مجتمعة منها:

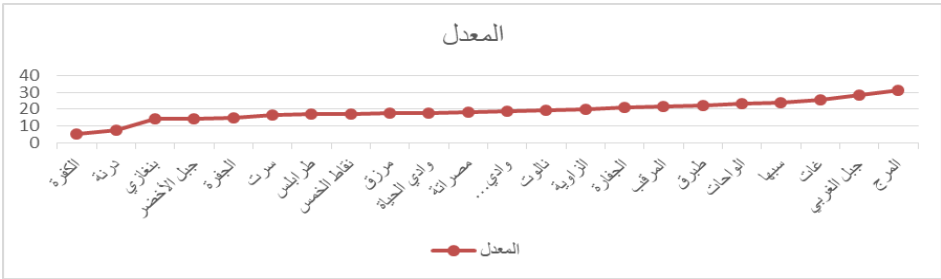
- 1- تزايد أعداد سكان بعض المناطق بشكل يفوق قدرة كل منطقة على توظيف معظم الباحثين عن العمل.
- 2- رغبة غالبية الباحثين عن العمل في امتهان والاشتغال في وظائف حكومية معينة دون غيرها، وعزوفهم عن امتهان خدمات حرفية أو تقليدية.
- 3- طوبوغرافية بعض المناطق التي يصعب إنشاء مؤسسات خدمية فيها.
- 4- طبيعة المناخ السائد على بعض المناطق وخاصة في جنوب البلاد.
- 5- عدم توفر خدمات الأمن والخدمات الترفيهية في بعض الأماكن والتي تعتبر مطالب أساسية للعيش الكريم، والتي لو توفرت من شأنها أن تشجع غالبية الباحثين عن العمل للهجرة إليها.
- 6- العادات والتقاليد التي لاتزال تؤخذ بعين الاعتبار عند فئات معينة من السكان بمختلف مناطق البلاد.

جدول (1) الترتيب التصاعدي للبطالة في المناطق الليبية لسنة 2012 (الأعداد بالآلف)

الترتيب	المنطقة	المعدل	الترتيب	المنطقة	المعدل
1	الكفرة	5.5	12	وادي الشاطئ	19.0
2	درنة	7.6	13	نالوت	19.4
3	بنغازي	14.2	14	الزاوية	19.9
4	الجبل الأخضر	14.4	15	الجفارة	21.3
5	الجفرة	14.6	16	المرقب	21.8
6	سرت	16.3	17	طبرق	22.1
7	طرابلس	16.9	18	الواحات	23.2
8	النقاط الخمس	17.4	19	سبها	23.7
9	مرزق	17.8	20	غات	25.6
10	وادي الحياة	17.8	21	الجبل الغربي	28.5
11	مصراته	18.1	22	المرج	31.1
المجموع			19.0		

المصدر: عمل الباحثين استناداً إلى نتائج المسح الوطني الليبي للبطالة والتشغيل لسنة 2012

شكل (1) معدلات البطالة لسنة 2012 في المناطق الليبية



المصدر: عمل الباحثين استناداً إلى بيانات جدول (1).

من خلال الشكل (1) نلاحظ أن معدلات البطالة تصل إلى أعلى مستوياتها في منطقة المرج ثم تليها منطقة الجبل الغربي، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى اعتماد غالبية سكان الأولى على الزراعة بسبب طبيعة المنطقة، والتحاق غالبية شباب المنطقة الثانية بالوحدات العسكرية إضافة إلى طبيعة المنطقة الجبلية التي يصعب فيها إنشاء بعض المرافق الخدمية، ومن ناحية أخرى نلاحظ إن معدلات البطالة تصل إلى أدنى مستوياتها في منطقة الكفرة وقد يكون ذلك بسبب تكافؤ عدد سكانها مع الوظائف المتاحة إلى حد ما، ثم تأتي منطقة درنة في المرتبة الثانية من حيث تتناقص نسب البطالة بين سكانها مقارنة بباقي سكان مناطق ليبيا وذلك بسبب اعتماد سكان منطقة درنة على الاهتمام بالزراعة وتربية المواشي وذلك لخلق فرص عمل ساهمت بشكل أو بآخر في التحاق معظم الباحثين عن العمل حسب نتائج الدراسة الميدانية.

المبحث الثاني- البطالة وبعض الخصائص الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية

1- البطالة حسب النوع (الجنس)

كما أسلفنا الذكر سابقاً بأن غالباً ما تكون معدلات البطالة بين الجنسين تصل أعلاها عند النساء ولأسباب المذكورة أعلاه، وتبعاً لما ورد من بيانات المسح الوطني لسنة 2012م فإن منطقة درنة جاءت في المرتبة الأولى من حيث تندي معدل البطالة بها للذكور بنسبة (4.6%)، أما الإناث فجاءت بالمرتبة الثالثة بمعدل (12.0%) بعد الكفرة (5.7%) والجفرة (11.1%).

ومن جهة أخرى فإن منطقة الجبل الغربي جاءت كأدنى معدل توظيف للذكور وصاحبة الأعلى معدل للبطالة في البلاد (26%)، أنظر جدول (2)، ولعل ذلك راجع إلى محدودية القطاع الوظيفي بها والتحاق معظم الشباب بالوحدات العسكرية خصوصاً أثناء نشوب حرب طرابلس وما اتبعتها من صراعات ونزاعات محلية، أما الإناث فإن منطقة المرج جاءت في آخر القائمة بأعلى معدل للبطالة للنساء في ليبيا بلغ (48.3%) أنظر جدول (3). ويرجع ذلك إلى طبيعة المنطقة الريفية إن صح التعبير واعتماد غالبية سكانها على الزراعة والرعي وتربية الحيوانات، الأمر الذي يجعل غالبية الإناث لا يعملن ويلزمن خدمة بيوتهن وإن عملن اقتصرن على الأعمال الحرفية والمساعدة في الزراعة.

أما بالنسبة للمجموع (ذكور وإناث) لسنة 2012م، فكانت الكفرة في المرتبة الأولى حيث سجلت أدنى معدل بطالة فيها، وبالمقابل سجلت المرج أعلى معدلات للبطالة¹، في حين إن نسبة المجموع (ذكور وإناث) لسنة 2013م، وكانت مدينة

¹ -نتائج المسح 2012، مرجع سابق، ص 18.

درنة صاحبة أدنى معدل للبطالة فبلغ (8.3%) وبالمقابل فإن مدينة المرج وللسنة الثانية على التوالي نالت أعلى معدل للبطالة وصل إلى (25.0%)¹.

الجدول (2) الترتيب التصاعدي لمعدلات البطالة للذكور حسب مناطق ليبيا لسنة 2012

ذکور					
المرتبة	المنطقة	المعدل	المرتبة	المنطقة	المعدل
1	درنة	4.6	12	نالوت	15.3
2	الكفرة	5.4	13	النقاط الخمس	15.7
3	الجبل الأخضر	8.0	14	المرقب	16.8
4	بنغازي	11.5	15	الجفرة	17.4
5	سرت	12.9	16	الواحات	17.5
6	وادي الحياة	13.4	17	مصراته	18.9
7	طرابلس	13.9	18	طبرق	19.7
8	مرزق	14.0	19	المرج	20.2
9	غات	14.1	20	سبها	20.2
10	وادي الشاطئ	14.7	21	الجفارة	20.5
11	الزاوية	14.9	22	الجبل الغربي	26.0
إجمالي معدل بطالة الذكور في ليبيا 15.8					

المصدر: عمل الباحثين استناداً إلى نتائج المسح الوطني الليبي للبطالة والتشغيل لسنة 2012.

¹ - وزارة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، ملخص نتائج مسح التشغيل والبطالة، 2013،

الجدول (3) الترتيب التصاعدي لمعدلات البطالة للإناث حسب مناطق ليبيا لسنة 2012

إناث					
المرتبة	المنطقة	المعدل	المرتبة	المنطقة	المعدل
1	الكفرة	5.7	12	طرابلس	23.8
2	الجفرة	11.1	13	سرت	24.6
3	درنه	12.0	14	نالوت	24.7
4	مصراثة	14.7	15	طبرق	26.9
5	النقاط الخمس	19.5	16	الزاوية	27.4
6	بنغازي	21.2	17	سبها	29.0
7	مرزق	22.3	18	الجبل الغربي	32.5
8	الجفارة	22.6	19	المرقب	35.5
9	الجبل الأخضر	23.0	20	الواحات	36.0
10	وادي الشاطئ	23.5	21	غات	40.6
11	وادي الحياة	23.5	22	المرج	48.3
إجمالي معدل بطالة الإناث في ليبيا 25					

المصدر: عمل الباحثين استناداً إلى نتائج المسح الوطني الليبي للبطالة والتشغيل لسنة 2012.

2 - البطالة حسب الفئات العمرية للجنسين

يمكن معرفة أي الفئات العمرية تعاني أكثر من غيرها من وطأة البطالة من خلال بيانات معدلات البطالة حسب فئات السن، فإذا كانت البطالة مرتفعة في الفئات العمرية الصغيرة فإن ذلك يعني حدوث انكماش في الاقتصاد الوطني ويكون غير

قادر على التوسع¹، قد يكون السبب في ذلك راجع إلى انعدام الحافز ورغبة العاملين في خلق وتوليد فرص عمل جديدة تحقق النمو الاقتصادي وازدهاره، أما إذا كانت معدلات البطالة مرتفعة عند فئة كبار السن فهذا يعني استغناء عن بعض العاملين في مؤسسات القطاع العام²، بسبب تناقص أعداد ذوي الخبرة والمهارات والكفاءات الفاعلة في مجال العمل، أنظر جدول (4) والشكل (2).

الجدول (4) معدلات البطالة حسب فئات السن والجنس لسنة 2012

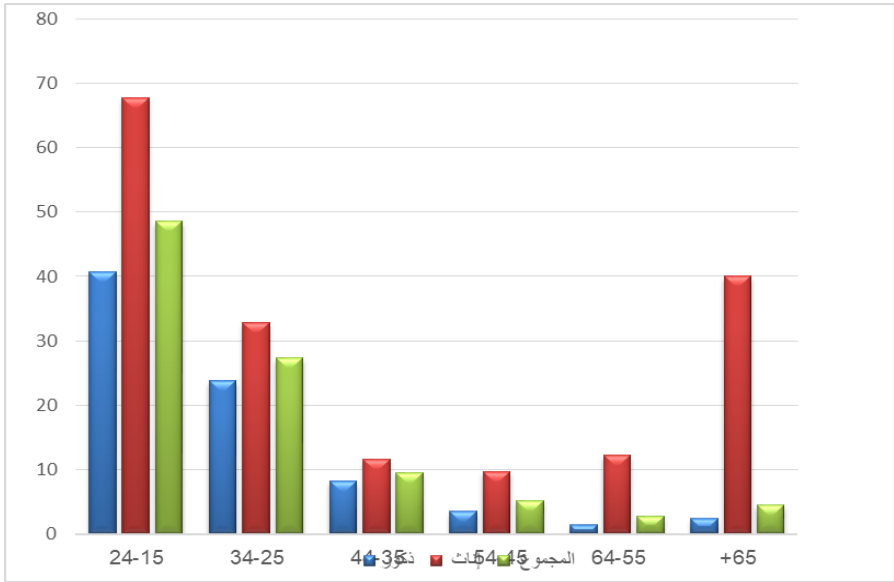
مجموع	معدلات البطالة		الفئات العمرية
	إناث	ذكور	
48.6	67.8	40.8	24-15
27.3	32.8	23.8	34-25
9.5	11.6	8.2	44-35
5.2	9.7	3.5	54-45
2.8	12.2	1.4	64-55
4.5	40.0	2.4	+65
19.0	25	15.8	المجموع العام

المصدر: عمل الباحثين استناداً إلى نتائج المسح الوطني الليبي للبطالة والتشغيل لسنة 2012

¹ منظمة العمل الدولية (ILO) <http://www.ilo.org>.

² بالقاسم العباس، تحليل البطالة، سلسلة جسر التنمية، السنة الخامسة، العدد الثامن والخمسون، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، 2006، ص 73.

شكل (2) معدلات البطالة حسب فئات السن للجنسين لسنة 2012



المصدر: عمل الباحثين استناداً إلى إحصائيات المسح الوطني للبطالة

والتشغيل لسنة 2012

من خلال الجدول (4) والشكل (2) أعلاه نجد إن معدلات البطالة مرتفعة جداً لفئة صغار السن (24-15) بنسبة (48.6%) أي (41%) للذكور و(68%) للإناث، وهي نسبة مرتفعة جداً قد تصل إلى النصف للمجموع الكلي للذكور والإناث، وإلى ثلاثة أرباع الإناث بالبلاد، ثم تليها فئة الشباب (34-25) بنسبة (27.3%) لمجموع الجنسين، أي (24%) للذكور، و(33%) للإناث، وتعتبر من المعدلات المرتفعة، ومن وجهة نظر الاقتصاديون فإن السبب ليس نقص فرص العمل المتاحة، بل هو راجع إلى ضعف الإعداد والتأهيل للعاملين الجدد، إضافة إلى

عزوف الشباب الليبيين لامتحان بعض الوظائف الحرفية واليدوية، مبررين إن الاقتصاد يوفر فرص عمل لقريبة مليون ونصف من العمالة الوافدة.¹

3- البطالة حسب فترة الانتظار

أي أنه كلما طالّت فترة الانتظار من أجل الحصول على عمل أو وظيفة كلما دل ذلك على ضعف قدرة اقتصاد البلاد على خلق فرص عمل جديدة وكافية لكل أعداد الباحثين عن العمل²، فجاءت إحصائيات المسح بذات الخصوص بأن (89.2%) من الباحثين عن العمل هم من فئة الشباب (15-34)، أنظر جدول (5)، ما يعني إن الشباب هم الفئة الأكثر عرضة لظاهرة البطالة سواء كانوا من الخريجين من المؤسسات التعليمية أو غير الخريجين الذين اضطرتهم ظروفهم المعيشية للبحث عن العمل والتخلي عن فرصة حصولهم على التعليم ولا سيما الإناث اللاتي اضطرننا لذلك بسبب الزواج وما يتبعه من مسؤوليات من أمومة ورضاعة وغير ذلك، وهذا ما يثبت صحة الفرضيتين الثانية والرابعة، أنظر الجدول التالي:

¹ - نتائج المسح 2012، مرجع سابق، ص 23.

² - بالقاسم العباس، مرجع سابق، ص 112.

الجدول (5) التوزيع النسبي للعاطلين عن العمل حسب مدة التعطل وفئات السن لسنة 2012م.

المجموع	الفترات						فئات السن
	غير مبيين	+3	3-2	2-1	-6	6-0	
26.6	0.3	35.9	33.6	18.4	7.0	4.8	24-15
52.6	0.5	67.1	19.6	7.7	2.8	2.3	34-25
15.6	0.4	77.0	12.0	5.4	4.6	0.5	44-35
4.5	0.0	67.6	17.8	10.0	4.1	0.5	54-45
0.7	0.0	51.6	16.9	24.9	4.7	1.8	64-55
0.1	0.0	69.6	0.0	0.0	0.0	30.4	+65
100.0	0.4	60.3	22.0	10.4	4.3	2.6	المجموع

المصدر: عمل الباحثين استناداً إلى نتائج المسح الوطني للتشغيل والبطالة 2012م.

4- البطالة والحالة التعليمية

تعد الحالة التعليمية مؤشراً هاماً لمعرفة مدى تنمية وتطور وعي السكان في خدمة وطنهم، والرفع من المستوى الاقتصادي ومعالجة أي قصور قد يظهر خلال هذا المؤشر، فكلما كان التحصيل العلمي أكثر كلما ساعد هذا في فرص الحصول على العمل.

لذلك تحصلت فئتي (الأميون والذين يقرأون ويكتبون) أعلى معدل للبطالة في ليبيا عام 2012م تبعاً للإحصائيات المسح الوطني للتشغيل والبطالة إذ بلغت نسبة الأميين بها (27.4%)، وبلغت نسبة الذين يقرأون ويكتبون بها (25.6%)، ولا شك إن سبب الارتفاع لمعدل البطالة لهذه الفئتين يمكن في انعدام الفئة الأولى وبشكل مطلق في حصولها على حقها في التعليم، وانقطاع الفئة الثانية وفي فترة مبكرة عن الاستمرار والمواصلة في تلقي المعلومات، وهنا تحققت الفرضية الثانية في هذه الدراسة-أنظر جدول (6) والشكل (3).

ومن جهة أخرى جاءت نتائج المسح على أن فئة الحاصلين على مستوى تعليمي فوق الثانوي ودون الجامعي هم الفئة الأقل تأثيراً لظاهرة البطالة، أي أن فئة فوق الثانوي ودون الجامعي تحصلت على أدنى معدل للبطالة في البلاد كما جاء في نتائج المسح، مما يعني أن خريجي التعليم المهني والتقني هم الأكثر طلباً وانتعاشاً لسوق العمل، وإن إمكانية حصولهم على وظائف تكون أكثر من خريجي الجامعات¹، ويرجع السبب في ذلك إلى قلة عدد خريجي التعليم المهني والتقني مقارنة بالأعداد الهائلة لخريجي الجامعات في كل ربيع ليبيا، أضف إلى ذلك التحاق بعض خريجي الجامعات لمواصلة واستكمال مسيرتهم التعليمية العليا، الأمر الذي جعل الطريق مفتوح لخريجي العلوم المهنية والتقنية في التسابق على الوظائف كلاً حسب تخصصه، ومن ثم البدء في دروب العمل، أما باقي الفئات التعليمية فجاءت معدلات البطالة بها بنسب متقاربة.

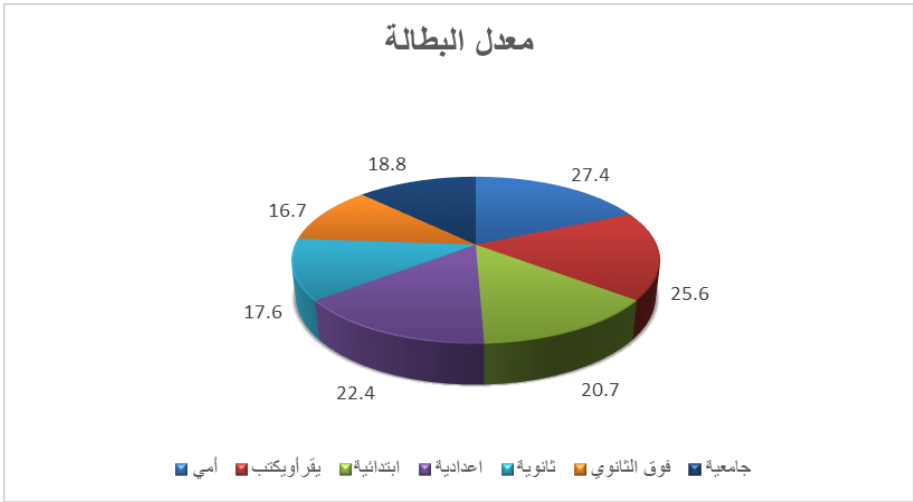
¹-البنك الدولي 2016، مرجع سابق، ص 22.

الجدول (6) الباحثون عن العمل ومعدلات البطالة حسب الحالة التعليمية لسنة
2012

معدل البطالة %	الباحثون عن العمل	الحالة التعليمية
27.4	8.3	أمي
25.6	10.8	يقرأ ويكتب
20.7	35.0	ابتدائية
22.4	65.6	اعدادية أو ما يعادلها
17.6	118.6	الثانوية وما يعادلها
16.0	33.2	فوق الثانوي وما دون الجامعة
18.8	86.9	جامعية
19.0	358.3	المجموع

المصدر: عمل الباحثين استناداً إلى نتائج مسح التشغيل والبطالة 2012م.

شكل (3) معدل البطالة حسب الحالة التعليمية في ليبيا



المصدر: عمل الباحثين استناداً إلى بيانات جدول (6)

النتائج

من خلال ما تم دراسته عن البطالة في كل مناطق ليبيا تم التوصل إلى عدد من النتائج وهي كالتالي:

- 1- معدل البطالة في ليبيا لسنة 2012م كان (19%).
- 2- إن معدلات البطالة تزيد في غرب البلاد مقارنة بمعدلاتها في الشرق.
- 3- تقل معدلات البطالة في منطقتي الكفرة ودرنه، في حين إن معدلاتها تزيد بشكل قياسي في المرج والجبل الغربي.

- 4- إن نسبة البطالة ترتفع عند الإناث أكثر منه عند الذكور.
- 5- أعلى معدل للبطالة بالنسبة للذكور كان في منطقة الجبل الغربي (26%)، في حين إن أعلى معدل للبطالة بالنسبة للإناث كان في منطقة المرج (48.3%).
- 6- أعلى معدل للبطالة بالنسبة لمجموع الذكور والإناث كان في منطقة المرج، في حين إن أدنى معدل لها كان في منطقة الكفرة.
- 7- ترتفع معدلات البطالة عند فئة صغار السن (15-24)، وعند فئة الشباب (25-34).
- 8- فترة البطالة لفئة الشباب (25-34) تزيد عن ثلاث سنوات.
- 9- تزيد معدلات البطالة عند فئة الأميون، ونقل معدلاتها عند فئة الحاصلين على التعليم المهني (المعاهد) ودون الجامعة.

التوصيات المقترحة:

ومن خلال ما تم عرضه ووصفه وتفسيره لظاهرة البطالة في ليبيا تبين أن معدلات البطالة تتفاقم سنة تلو الأخرى، لذلك ترى الباحثين وجوب وضع بعض المقترحات التي لو طبقت من شأنها أن تساهم في تقليل من خطر هذه الظاهرة وتمثلت هذه المقترحات فيما يلي: -

- 1- على الدولة الليبية الاهتمام بتنمية جميع القطاعات وعدم التركيز على قطاع دون الآخر.

2-الاهتمام بفتة الشباب علمياً ومهنياً وإعدادهم جيداً من خلال تحسين المناهج والتخصصات الدراسية وتنسيقها بما يتناسب مع احتياج سوق العمل والاقتصاد الوطني ليكون الخريجون ذوي كفاءة في أداء العمل وتكون فرصة حصولهم على وظيفة كبيرة جداً.

3-خلق فرص عمل جديدة تتناسب مع قدرات وميول الباحثين عن العمل.

4-تشجيع عمل المرأة بكافة القطاعات العامة والخاصة مع ضرورة وضع استراتيجية خاصة لهن وفقاً لبنيتهم الفسيولوجية والجسمانية بحيث تمكنهم من أداء العمل الوظيفي والمنزلي دون طغيان أحدهما على الآخر.

5-دعم المشاريع الصغيرة وتشجيع الشباب من الجنسين عليها، لتكون مع مرور الوقت فرص عمل للباحثين عن عمل آخرون.

قائمة المصادر والمراجع

- 1-البنك الدولي، ديناميكيات سوق العمل في ليبيا: إعادة الاندماج من أجل التعافي. دراسة للبنك الدولي. واشنطن، 2016.
- 2-بالقاسم العباسي، تحليل البطالة، سلسلة جسر التنمية، السنة الخامسة، العدد الثامن والخمسون، المعهد العربي للتخطيط، الكويت. 2006.
- 3-رمزي زكي، الاقتصاد السياسي للبطالة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998.
- 4-رياض جليلي، تمكين المرأة: المؤشرات والابعاد التنموية، سلسلة جسر التنمية، السنة السابعة، العدد الثاني والسبعون، المعهد العربي للتخطيط، الكويت، 2008.
- 5-منظمة العمل الدولية (ILO). <http://www.ilo.org>.
- 6-وزارة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، نتائج مسح التشغيل والبطالة، 2012.
- 7-وزارة التخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، ملخص نتائج مسح التشغيل والبطالة، 2013.

"Factors Influencing Listening Comprehension of First Year Students of English Language department, College of Arts, Al- Mergib University"

Prepared by

Khalid Mohamed Edrah

A lecturer at English Department

Content

1. Chapter 1 (introductory)
 - 1.1 introduction
 - 1.2 The significant of the study
 - 1.3 Aims and Objective of the study
 - 1.4 research Issue and hypotheses
 - 1.5 statement of the Problem
 - 1.6 Research Questions
 - 1.9 Research Methodology
2. Chapter 2 (Related Literature and Studies)
 - 2.1 Introduction
 - 2.2 Definitions
 - 2.2.1 Listening
 - 2.2.2 Listening Comprehension
 - 2.2.3 Listening Comprehension and Acquisitions
 - 2.2.4 Listening Strategies
3. Chapter 3 (Data Analyses and results)

- 3.1 Introduction
 - 3.2 Difficulties Pertaining to Listening Abilities
 - 3.2.1 Problems Pertaining to Prediction of what would come Next
 - 3.2.2 Problems Pertaining to Guessing Unknown words
 - 3.2.3 Problems Pertaining to Lack of memory
 - 3.2.4 Problems Pertaining to Lack of concentration
 - 3.2.5 Problems Pertaining to Lack of concentration on New words
 - 3.3 Challenging pertaining to the speaker
 - 3.3.1 Problems Pertaining to Speed of Speech
 - 3.3.2 Problems Related to Hesitation and Pauses
 - 3.3.3 Problems Related to Variety of Accents
 - 3.3.4 Problems Pertaining the Prosodic Features of English Language
 - 3.3.5 Problems Related to Linking Words
 - 3.4 Listening Problems Related to Physical Settings
 - 3.4.1 Difficulties Related to Noise
 - 3.4.2 Difficulties Pertaining to Poor Equipment
 - 3.4.3 Difficulties Pertaining to Lack of English Culture
 - 3.5 Problems Related to Limited OF English Vocabulary
 - 3.5.1 Problems Pertaining to Poor Grammar
 - 3.5.2 Problems Related to the Length of Spoken Text
 - 4. Chapter 4 (Conclusion and Recommendations)
 - 4.1 Introduction
 - 4.2 Conclusion and findings
- Abstract

The success of learning a foreign language is to develop the main skills of students which are listening, speaking, reading and writing. Listening is considered as the most essential skill that participates in developing the rest of skills. This study investigates some factors which influence the progress of the listening comprehension skill of first year students (English Dept) college of Arts at AL- Mergib University. In this study the researcher sheds light on difficulties of developing the listening skill. This research is based on a descriptive analysis and it is basically an identification of the difficulties and obstacles that face students in improving their listening abilities. This is based on the hypothesis that some of the students who encounter some problems in developing their listening skill. The major discussion of this study is that listening skill influenced by different factors. Finally, the findings of this project show that students face various factors which affect the progress of their listening comprehension skill. Also it clarifies that these difficulties result from external and internal factors; such as, problems related to

concentration and focusing for a long period of time, challenge connected to speed of the speech which plays an important role in the progress of students' ability to listen. Also it shows that the environmental factors have a great influence on the development of students' listening ability.

CHAPTER 1

THE PROBLEM AND ITS BACKGROUND

1.1 Introduction

Listening comprehension is the heart of language learning process. The importance of this skill in learning a foreign language cannot be denied because one of the most essential keys to acquire a language is to receive language input. At the same time, acquisition takes a place only when enough comprehensible input is absorbed by students. In addition, it plays a vital role in learning language in classroom because it provides language input for learners. As an input skill, listening plays a crucial role in student language development; also it takes a part of daily communication time than other forms of language skills inside and outside classroom. Furthermore, without listening skill no communication can be

achieved, especially for those who learn English as foreign language in non – native setting; because it is very difficult to acquire a good listening skill where the target language is not used. These difficulties come mainly as a result of external and internal listening problems as well as the lack of knowledge in cultural differences. Also, it is considered to be as one of the most neglected skill which is poorly taught as an important aspect of English language learning. The significance of listening comprehension skill is raised by many different scholars; moreover, it is dealt with this problem to find out strategies in order to develop this skill as well as to overcome listening problems.

As a result, there are different studies that shed light on the problems of listening in acquiring a new language. One of them is "Listening Comprehension Problems Encountered by Saudi Students of the first year English in the EL Listening Classroom", written by Dr. Arafat, a corresponding author on April (2013). The result of this study shows that accent, pronunciation, speed of speech, insufficient vocabulary, lack of concentration, anxiety, and bad quality of recording, the length of the spoken text, a variety of accents of speakers, lack of concentration were the major listening comprehension problems encountered by EFL Saudi learners. Understanding students' learning difficulties may enable EFL

teachers to help students develop effective learning strategies and ultimately improve their English listening abilities because teachers do not seem to pay attention to these skills while designing their lessons. Most teachers take it for granted and believe that it will develop naturally within the process of language learning. Listening has not drawn much attention of both teachers and learners, they are generally less aware of its importance.

Another study which particularly looked into students' perceived listening problems over time as they develop their listening strategies that develop students comprehension, written by Ph.D. c Behcet Celik, Ishik University IRAQ on November 2014, They indicated that the teaching of listening strategies is very helpful but it is still not enough unless teacher increase student's vocabulary, grammar and phonology knowledge and also claims "Strategy development is important for listening training because strategies are conscious means by which learners can guide and evaluate their own comprehension and responses,

This research is devoted to identify the problems of English listening comprehension that faced Libyan English. Further, it studies the factors that influence the development of listening comprehension skill as well as it investigates the strategies adopted by students and teachers to solve their listening problems.

1.2 The Significance of the Study

It is widely known that listening comprehension is one of the most important skills in English language learning environment, because it plays a main role in social life communication and in the processes of acquiring the target language in classroom. For this reason, factors which affect the progress of this skill should be investigated. Also, strategies which are adopted by learners in order to improve their foreign language competence should be investigated as well; furthermore, the different ways applied by learners to build their extensive listening ability should be discovered. Also, learners' ability to understand bigger chunks of a language which helps them to improve their vocabulary, pronunciation and their capability of figuring out what is said in the target language must be studied. English language learners who master listening skill already have been working on specific strategies which may help them to develop this skill. Also, they have been specifying the factors that affect their ability to; as a result, their listening comprehension ability has been improving gradually.

1.3 Aims and Objectives of the Study

This study aims to explore the factors that influence the process of developing the listening comprehension skill and it studies the

ways which are employed, by first year student in Faculty of Arts, department of English, in order to understand English speakers' main idea while doing any listening comprehension task. Also, it sheds light on strategies that might be adopted overcome the factors that affect their ability to master and improve their listening capability. Moreover, it provides some recommendation for improving the listening comprehension skill through identifying the strategies which might be used by students learners to solve these difficulties. To sum up, this research is an attempt to highlight the main obstacles face Libyan student to develop their listening skill as well as it measures their ability to find out the proper strategies by which this skill can be improved.

1.4 Research Issue and Hypothesis

The fundamental goal of listening comprehension is to provide the right condition for the language acquisition as well as the development of other skills. Since listening comprehension is widely used in the classroom and it is one of the most challenging skill for learners who don't manage English LC skill. For this reason, it is considered to be as one of the most major difficulty that face first year English Libyan student. Further, it is very essential to perceive and analyze the main ingredients of communication which affect the language input. This study sheds light on finding out factors which

affect the process of developing LC skill, because it is very important for the progress of learning English language. Moreover, it investigates the strategies adapted by learners in order to help them to overcome these obstacles as well as to develop their listening skill ability. This study also hypothesizes some factors might be classified into three categories, namely problems from listener, speaker, listening text and physical setting:

This study hypothesizes some factors that might affect listening comprehension ability:

- Problems pertaining to concentration and maintaining for long time.
- Challenges related to speed speech.
- Difficulties caused by different accents.
- Problems pertained to the limited knowledge of vocabulary and structure of sentences.
- Challenges caused as a result of the environmental factors. -
- Problems associated with the listening extensive.-
- The Lack of exposure to different kinds of listening materials.-
- The cultural differences between two languages.

1.5 Research Questions

- 1- What are the most common factors that influence the listening comprehension skill of first year Libyan Students in, English department, college of Arts, Al Mergib University, when they are listening to English speakers?
- 2- What are the most common listening comprehension problems encountered by first year students?
- 3- How can students overcome these Listening comprehension difficulties?

1.6 Research Methodology

The data collected in Al Khoms, Libya during a period of one week from 14.4-2018 to 22.4-2018. The methodology adapted in this study is qualitative and quantitative; the method which is adopted in this study is a questionnaire. This questionnaire contains of four main factors; each factor is investigated through some Questions. The first and the second factors are studied through five questions whereas the third and fourth include three questions. Furthermore, the research's questionnaire is prepared to investigate the different obstacles that influence the improvement of the students' listening comprehension skill. The questionnaire is gathered from (books and many different websites). In addition, the subjects of this study are twenty students who are selected randomly; moreover, they are first year students in

College of Arts, department of English language at Al Mergib University. The analysis of this study is based on investigating the following factors:

- 1- Identification of difficulties pertaining to listeners abilities.
- 2- Identification of challenging pertaining to speakers.
- 3- Identification problems related to the physical setting.

This project finds out that many different factors influence the listening comprehension ability of first year English language students, department of English at faculty of Arts. The main factor that affects their listening abilities is related to their ability to concentrate and to focus for a long period of time. Another factor that influences students' listening comprehension skill is connected to speed speech which plays an important role in the progress of students' listening abilities. Also, different accent is a serious factor in improving the subjects' listening skill. In addition, the environmental factors have a great influence on the progress of students' listening ability.

CHAPTER 2

RELATED LITERATURE AND STUDIES

2.1 Introduction

Developing the Listening comprehension skill is considered to be one of the most problematic stages in any process of language learning, because there are many different factors that influence the progress of this skill. These variable factors are related to external and internal reasons. These factors and challenges have been studied from various perspectives according to different points of view. This chapter is devoted to shed light on the general back ground of the factors that influence the listening abilities of students. Also, it includes different listening definitions and the listening comprehension will be defined as well. Moreover, it mentions some strategies which are suggested by scholars to overcome these factors that affect the development of the listening skill. Finally, it discusses the various factors which influence listening comprehension abilities of language learners.

2.2 Definitions

2.2.1 Listening

Listening: is an active process in which listeners select and interpret information that comes from auditory and visual clues in order to define what is going on and what the speakers are trying to express. Also, Listening is receiving language through the ears which involves identifying the sounds of speech and processing them

into words and sentences. When we listen, our ears are used to receive individual sounds (letters, stress, rhythm and pauses) and our brain is used to convert these into messages that mean something to us. Therefore, listening in any language requires focus and attention. Moreover, it is a skill that should be practiced harder than others. People who have difficulty in concentrating are typically poor listeners. As a result, listening in a second language requires even greater focus. Many theorists defined the concept of listening from many points of view:

Howatt and Dakin (1974) define listening as the ability to identify and understand what others are saying. This process involves understanding a speaker's accent or pronunciation, the speaker's grammar and vocabulary, and comprehension of meaning. Further, an able listener is capable of doing these previous four things simultaneously.

2.2.2 Listening comprehension

Listening comprehension is the respective skill in the oral mode. When we speak of listening what we really mean is listening and understanding what we hear. In our first language, we have all the skills and background knowledge we need to understand what we hear, so we probably aren't even aware of how complex a process it

is and which it is crucial in the development of second language competence. Many of authors define listening comprehension as points of view:

According to Rost(2002) listening comprehension is at the heart of L2 learning and the development of L2 listening skills has demonstrated a beneficial impact on the development of other skills.

2.2.3 Listening Process for Comprehension and Acquisition

Listening process is the psychological process of acquiring, receiving, constructing meaning from, and responding to spoken and/or nonverbal messages. It involves an active involvement of an individual listening, which includes a sender, a message and a receiver. L2 listening comprehension is a highly integrative skill and it plays an important role in the process of language learning because language learning approach depends on listening. Listening provides the aural input that serves as the basis for language acquisition and enables learners to interact in spoken communication. The process of listening occurs in five stages which are hearing, understanding, remembering, evaluating, and responding.

2.2.4 Strategies of Listening

Listening strategies are techniques or activities that contribute directly to the comprehension and recall of listening input. Also, listening strategies can be classified by how the listener processes the input. Moreover, these strategies are inherent in any learning process and can be more effective when explicitly taught. On the other hand, Strategies of listening can be classified in to two approaches from another point of view; cognitive strategy, meta-cognitive strategy.

2.2.4.1 Cognitive and Meta-cognitive strategy

Cognitive strategies are one type of learning strategy and they are basically activities that are used by learners in order to understand the linguistic input and get knowledge. These include repetition, organizing new language, summarizing meaning, guessing meaning from context, using imagery for memorization. For example, when a learner finds a difficult word in a text and inferring the meaning of that word from the context, in fact he used the cognitive strategy. This strategy investigated from the aspects of bottom-up strategies, top-down strategies. Whereas, Metacognitive development can be described as conscious development in one's metacognitive abilities, such as the move to greater knowledge,

awareness and control. Also, meta-cognitive strategies include focusing attention, self-management, and self-evaluation, monitoring comprehension, and being aware of loss of attention.

2.3 Factors affecting students' listening comprehension skill

As listening comprehension is a complex ongoing process which involves the interaction of various factors, many learners find it difficult to comprehend spoken input and have little awareness of why that happens. Some studies further clarify the L2/FL listening problems encountered by listeners during the process of listening comprehension, various factors may affect learner listening ability. These difficulties are defined as the internal and external characteristics that might interrupt text understanding and real-life processing problems directly related to cognitive procedures that take place at various stages of listening comprehension. EFL learners perceived their problems in listening pertinent to the factors of task such as a speaker, listener and physical condition or listening materials.

CHAPTER 3

RESULTS AND DISCUSSIONS

3.1 Introduction

This chapter deals with the discussion of results in the present research which aims to investigate the listening comprehension problems face first year student, department of English, college of Arts at Al- Mergib University. The analysis of this study is based on studying and investigating some factors which are supposed to influence the process of developing the listening comprehension ability of students. Also, it is an attempt to study students' ability to understand the listening different tasks. Moreover, the factors in this study are based on the factors suggested by JJ Wilson.

This analysis will concentrate on four factors:

1. Challenging pertaining to speakers
2. Difficulties pertaining to listeners abilities
3. Problems related to the given listening tasks
4. Listening problems related to physical settings

Table 1

Problems Related To Listeners Abilities

3.2 Difficulties pertaining to listeners abilities

Problems	Never		Sometimes		Often		Always	
	%	FREQ	%	FREQ	%	FREQ	%	FREQ
At the time of listening, I found it difficult to predict what the points would come next	0%	0	65%	13	25%	5	10%	2
Guessing unknown words or phrases in any given task	5%	1	60%	12	25%	5	10%	2
I find it difficult to quickly remember words or phrases	5%	1	45%	9	35%	7	10%	2

I am unable to concentrate because I search for the answers, and I listen to the dialogue at the same time.	10%	2	35%	7	30%	7	25%	5
I lose my concentration when I think about the meaning of new words.	0%	0	40%	8	25%	5	35%	7

3.2.1 Statement: Problems Pertaining To Prediction What Would Come Next

As it can be seen from Table (1), almost all of the students in the study (65% sometimes) found it difficult to predict what the points would come next, while some of responded who answered (25% often) and (10%always) have found it difficult to guess what would come next in order to form a general idea from the first listening respectively. Consequently, the problem is believed to be caused by the habit of listening which is word by word. Further, they

do not focus on any particular cues which help them to predict the following ideas.

3.2.2 Statement: Problem Pertaining To Guessing Unknown Words

The limitation of vocabulary power is considered to be another challenge for the participants who suffer from incomplete comprehension. Moreover, guessing and making inferences are adopted to understand about what the speakers might have said or might have meant. Statics shows that (60%) of the students chose sometimes whereas (25%) of the subjects pick often. This shows that most of the respondents suffer from this challenge. Further, it indicates that (10%) of the learners answered always, but (5%) of the students answered never. Furthermore, the result of this study shows that listeners may have affected with this challenge. Also, this factor can be obstacle of some listeners thought that meaning resides within the unfamiliar words so they need a huge amount of vocabulary. Moreover, objects tend to find out the meaning rather than infer it from the context when a new word is occurred.

3.2.3 Statement: Problem Pertaining to Lack of Memory

Memory stands for a problem in remembering the definition of the word after being taught as depicted by the students. Table 1 shows

that (45%) of the learners answered sometimes and (35%) of the respondent picked often. This shows that most of the students have difficulty in recalling the meaning of familiar words and immediately forgetting the word after being said. Also, the statics indicates that (35%) of subjects have responded that they always at the time of listening found it difficult to guess new words or phrases in any given task. But (5%) of learners claimed that they never find this difficult. As is shown in statics that many of learners tend to quickly forget what they heard after the speaker finishes talking or they may spend too much time on translating it. Therefore, when they need to choose the answer, they forget what was said and end up not knowing which answer is correct.

3.2.4 Statement: Problems Pertaining To Lack of Concentration

Problems pertaining to focus Loss when students are searching for answers and at the same time, they listen to the dialogue which is the reason for losing concentration. Table 1 indicates that (35%) of the students answered sometimes, (30%) of the students responded with often and (25%) of the subjects picked always respectively. It is very clear from the percentage that many students are not able to concentrate because it may be difficult for them to maintain concentrating while they are in a foreign language learning classroom. But only (10%) of the subjects said never, this indicates that they do not lose their concentration while they are

doing the tow tasks. Furthermore, the result shows that a considerable number of students lose their concentration when they think about the meaning of new words and they tend to depend more on analytical processing so that they would easily get distracted by the new words. As a result, they will fail to keep concentration on useful clues in the context. In addition, in any listening comprehension task, even the smallest pause in attention may considerably spoil comprehension.

3.2.5 Statement: Problems pertaining to lack of concentration about the meaning of new words

It is very clear from the statics that the majority of participants have limited knowledge of vocabulary. As a result, they cannot keep their concentration when they hear new words because they think their meaning. As a result, in the Table (1) shows that (40%) of the subjects answered sometimes, (35%) of participants said always and (25%) of them chose often. In addition, the percentage indicates that this challenge is considered to be as the most common problem that hinders their ability to continue focus during listening process.

Table 2

Difficulties Related To Speakers

3.3. Challenging pertaining to speakers:

Statements	Never		Sometimes		Often		Always	
	%	FREQ	%	FREQ	%	FREQ	%	FREQ
Find it difficult to understand well when speakers speak too fast	5%	1	5%	1	45%	9	15%	3
Find it difficult to understand the natural speech which is full of intonation and pauses.	10%	2	35%	7	35%	7	20%	4
Find it difficult to understand well when speakers speak with a variety of accents.	15%	3	30%	6	40%	8	15%	3

do not often pay attention to intonation of the speaker.	20%	4	40%	8	40%	8	0%	0
can't recognize familiar words when the speaker use linking words	5%	1	55%	11	25%	5	0%	0

3.3.1 Statement: Problems Pertaining To Speed of Delivery

According to the students' responses, the most serious problem that the students viewed as obstructing their comprehension is undoubtedly the speed of speech. Faster speech rates, whether computer-manipulated or naturally produced, tend to have a negative impact on the comprehension of L2 listeners. As shown in table (2) that (45%) of the subjects answered always, and (45%) of them chose often. This indicates that many students face challenges when the speaker speaks at a rapid speed; it is difficult for them to comprehend what is being said, even if the spoken words are familiar. On the other hand, (5%) of the respondents said sometimes, and a small number of the students or (5%) of them reported never which indicates that this factor is considered to be one of the major

challenges that affect the learning process of a foreign language. As a result, the students absolutely encounter certain difficulties in listening comprehension since they lack control over the speed at which the speakers speak.

To sum up, this obstacle is considered to be one of the major problems which most of, first year English language, students suffer from. Besides, the speech rate seems to have exerted an influential effect on their listening comprehension. Also, speech rate is one of the main variables and factors that play an effective role in the development process of listening comprehension.

3.3.2 Statement: Problems Pertaining To Hesitation and Pauses

Natural dialogues are full of hesitations, pauses which might influence the listening comprehension process. Table (2) shows that more than two thirds of students, which means that (35%) chose sometimes, (35%) said often, and (20%) answered always, find it difficult to understand natural speech which is full of hesitations and pauses. While, only (10%) of the subjects stated that they never have such a problem. This is in line with the findings which indicate that hesitations and pauses in spontaneous speech cause perceptual problems and comprehension errors for non-native speakers. When people speak, they often hesitate, repeat themselves, say things that are ungrammatical and change their minds halfway

through a sentence. These things are a natural feature of speech and may be either a help or a hindrance, depending on the students' level.

3.3.3 Statement: Problems Pertaining To Variety of Accents

According to statistics, variety of accents causes a lot of difficulties to students in listening comprehension since they do not have much exposure to different accents. The results from table (2) demonstrate that (40%) of the students responded often, (30%) of them answered sometimes, and (15%) of the respondent reported always. Consequently, this indicates that the students do not have enough experience with this kind of problem which is the variety of English language accents. Meanwhile, some of subjects said never which is (15 %) as it is shown in the statics; they have enough much exposure to different variety of accents.

3.3.4 Statement: Problems Pertaining To the "Prosodic Features" Of the English Language

As it is shown in Table 2 (40%) of the subjects said often, and (40%) of the participant answered sometimes. Further, this indicates that they have relation with their incomprehension to intonation patterns, but (20%) of them mentioned that they never do that. This finding goes in consonance with stress, rhythm and

intonation which are very important for comprehension. As a stress-timed language, English can be a terror for some ESL learners as mouthfuls of syllables come spilling out between stress points.

3.3.5 Statement: Problem Pertaining To Linking Words

The linguistic features are language barrier to learners. Moreover, the liaison, the linking of the first word and the word coming right after which begins with a vowel, is claimed by (55%) of the subjects who answered sometimes, (25%) of them said often, and (15%) of the students stated always. Further, it is considered by the students to be the most common obstruction in listening since the students are used to hearing each separate word by unit in a sentence and slow stream of listening. On the other hand, there were only (5%) of the subjects stated never which indicates that they do not have difficulties of recognizing linking words. These results indicate that liaison and elision are common phenomena that make it difficult for students to distinguish or recognize individual words in the stream of speech.

Table 3

Listening Problems Related to the Physical Setting

3.3 Listening problems related to the physical setting

Statements	Never		Sometimes		Often		Always	
	%	FREQ	%	FREQ	%	FREQ	%	FREQ
It is difficult for me to concentrate with noises around.	0%	0	20%	4	30%	6	%50	10
Unclear sounds resulting from poor equipment interfere with my listening comprehension	5%	1	35%	7	15%	3	25%	5
Differences in culture between the two languages affect the development of your listening comprehension skill	15	3	35%	7	15%	7	35%	7

3.4.1 Statement: Difficulties Pertaining To Noise:

Noise is another environmental barrier to comprehension. Interior as well as exterior class noise is an obstacle to comprehension. Noise, including both background noises on the recording and environmental noises, can take the listener's mind off the content of the listening passage. With the noise coming from corridors and

other classes some students experience difficulty in listening to the teachers' voices. Because of the noise in classroom and the poorly preparation of lab, a great number of students claim that they cannot be concentrated on listening to the recording material (50% always, 30% often, 20% sometimes). If the listening task is carried out with noises around, it is for sure they will not have a good result in listening. On other hand some of students did not constitute a barrier to their focus. Otherwise, the noise makes a complex of sounds instead of the solo recording being played. This interrupts the students from hearing and focusing on the task.

3.4.2 Statement: Difficulties Pertaining To Poor Equipment:

Table 3 shows that (35%) of the subjects answered often, and (35%) of the participants reported sometimes. As a result, the majority of the students think that the difficulties they encounter in listening comprehension are due to the bad recording quality / poor-quality tapes or disks. Also, the poor equipment is an obstacle to (25%) of students who answered always. On the other hand, the percentages show that only (5%) of the subject stated never which means that it does not distract their concentration. As a result, poor-quality equipment may interfere with the listener's comprehension.

3.4.3 Statement: Difficulties Pertaining To Lack Knowledge of English Culture

Foreign language learners who interact with non- native speakers usually give less attention to the sociocultural, factual and contextual knowledge of the source language. Moreover, it can present an obstacle to listening comprehension development at different rates. For instance, as the statics shows that (35%) of the subjects answered always, and (35%) stated sometime. Also, table 3 indicates that (15%) of the participants answered often, which means that they are unfamiliar of cultural knowledge of language. On the other hand, the results shows that (15%) of the subject reported never which indicates that this factor does not affect the development of their own listening comprehension skill. The marriage between language and culture is indivisible. In the case where the topic may contain completely different cultural matter than the students have, as a result; students may have difficulties to imagine what has been told.

Table 4 Problems Related To Listening Text

Statements	Never		Sometimes		Often		Always	
	%	FREQ	%	FREQ	%	FREQ	%	FREQ
I find it difficult to understand listening texts in which there are too man unfamiliar words including	10%	2	15%	3	35%	7	40%	8
Complex grammatical structures interfered with my listening	10%	2	30%	6	50%	10	10%	2
I find it difficult to understand listening texts when the topic is too long	10%	2	25%	5	40%	8	25%	5

3.5 Statement: Problems Pertaining To Limited English Vocabulary

In table 4 the first question was asked to know whether unfamiliar words, which include jargon and idioms, interfered with the learners' listening comprehension. The percentages shows that

(40%) of the subjects answered always, (35%) of them reported often, and (15%) of the participants chose sometimes. As a result, it is very clear that many of students find it difficult to understand listening texts which include many unfamiliar words. In addition, only (10%) of the students answered never, which means that they think it does not cause problem to them. This finding has shown that the major problem of learners' listening comprehension is the limitation of students' vocabulary which enables them to understand message.

3.5.1 Statement: Problems Pertaining To Poor Grammar

The second question was asked to know whether complex grammatical structures interfere with the learners' listening comprehension. Table 4 indicates that the great majority of the students have responded that difficult grammatical structure interfere with their listening comprehension, because (50%) of the students answered often and (30%) of them picked sometimes. On the other hand, (10%) of the respondents answered always and (10%) of them stated never. As a result, the late two percentages shows that this factor does not cause terror to them. Also, the percentages of table 4 points out difficult grammatical structures cause much trouble to students.

3.5.2 Statement: Problems Pertain to Length of A spoken Text

In addition to the insufficiency of vocabulary and the difficulty of grammatical structures, the length of the listening text is one of the main reasons why the students cannot understand most of the talk since they tend to lose focus after a long on listening task. Table (4) reveals that (40%) of the respondents answered often, and (25%) chose sometimes, whereas; (25%) reported always. As a result, the majority of the students have responded that a long spoken text interfered with their listening comprehension. This result clearly shows that the length of the text can be one major factor that negatively affects the learners' listening comprehension. Therefore, only (10%) of the students answered never which means that the length of the given listening task does not affect them. To sum up, it is possible to infer that long spoken texts interfere with the learners' listening comprehension.

CHAPTER 4

CONCLUSIONS AND RECOMMENDATIONS

4.1 Introduction

The goal of this chapter is to introduce the main findings related to the factors that may influence the development of listening

comprehension skill and it suggests recommendations for further studies.

4.2 Conclusion and Findings

This study sheds light on four of the factors that have influenced efforts to improve students' English language listening comprehensive competence. These factors cause different obstacles to efficient listening comprehension. Based on the data collected and interpreted, the following conclusions are drawn; speech speed, linking words, hesitation and pauses are the major difficulties in the development of listening skills among the students. Moreover, these findings are attributed to speakers' abilities. Also, the limited knowledge of vocabulary and the length of the listening text, which are related to problems pertaining to listening text and prediction of the next point as well as an inability to guessing, lack of concentration and limited knowledge of English culture, as well as the noise that affect the progress of listening ability. Furthermore, these problems could be related to listeners' abilities and physical setting which frequently existed among the respondent in the listening process, which sometimes hindered the process of listening in the classroom teaching. As the findings of this study show that first year students of English department at Al-Mergib University encounter various listening problems, most common difficulties

reported by participants are related to the speaker factors. The result of these factors indicates that students have more difficulties in speech speed. Moreover, the findings show that the main score of this students is (45%) of them answered (always) and (45%) of the participants said (often) which means these factors affect their ability to master LC skill in English language, whereas (5%) of the subjects answered sometimes, while other participant who are (5%) do not consider speech speed an obstacle in their listening skill. The second difficulty the liaison of linking words which is a common obstruction in listening development since the students are used to hear each separate word not as a unit in a sentences. Further, the percentage of this study shows that (55%) of students answered sometimes, (25%) of them said often and (15%) of the subjects chose always. The previous percentage shows that they cannot recognize familiar words within a context, because only (5%) of the participants said never which indicates that this factor affects their listening ability. The last problem that related to the speaker disability is hesitation and pauses, when a message of a speaker are full of hesitation and pauses which cause perceptual problems and comprehension errors for non-native speakers and unclear idea had received by listeners. Another major listening challenge which identifies in the study is the influence of L2 listening comprehension skill, which is a problem related to listening text. Furthermore; the

findings of this study discover that the long listening text is supposed to be obstacle for students in any listening task, because it is very clear from the percentage that half of subjects consider it as a major challenge. For instance, (25%) of the participants answered always and (40%) of them said often, whereas only (10%) mentioned that it never cause a problem to them. Moreover, it is very clear in the results of this study that there is a serious difficulties related to the physical condition of listeners. Also, the percentages show that almost of subjects have problems during hearing their listening task which caused by a noise acoustic in the room or a round l the place. Also, the results of this research indicate some factors which are related to listening disabilities; these factors are categorized into which three essential ones. Firstly, the analysis indicates that majority of the students have problem connected to prediction what the speaker is going to say; for example, (65%) of the subjects answered and (25%) of them said often. Consequently, prediction is considered to be a serious problem to students. Secondly, the inability to concentrate constitutes a serious obstacle to students; for instance, the percentage of this project shows that (40%) of the participants answered sometime, (35%) of them said always. As a result, the ability to keep focusing while listening to a given task is a main obstacle. Thirdly, the ability of guessing the meaning of unknown words is a major factor in developing the listening skill.

Also, the findings of this research indicates that (60%) of subject answered and (25%) of them chose. Consequently, figuring out the meaning of new words is a real problem in the process of improving the listening comprehension.

As a result of these variable factors, the students cannot perform well in any given listening task. Further, they cannot improve their listening ability because they are not aware of the importance of finding the factors that influence the process of improving listening comprehension skill. The role of listening in the development of other English language skills is very essential and it allows learners to acquire the L2 rapidly. Furthermore, listening plays a vital role in the process of language learning and it provides an important input for the learner. Also, listening is a very basic language skill as well as it is consistently interrelated and intervened with the other language skills speaking, reading and writing. To sum up, it is very essential to develop listening skill because it contributes primarily in the progress of the rest of language skills. In addition, appropriate strategies should be known and applied in order to improve and master their listening skill.

To conclude the research, the hypothesis previously stated was tested. Such hypothesis reads as follow: The problem's factors that

are classified into three categories, namely problems from listener, speaker, listening text and physical setting.

Through the analysis of this research project, the researcher concludes that there are factors which affect the development of the listening comprehension skill. The following are the findings:

1 – Problems related to concentration and focusing for a long period of time are the major factors that influence the process of developing students' listening skill.

2 – Challenges connected to speed speech which plays an important role in the progress of students' listening comprehension.

3 – Different accent is a serious factor in improving the subjects' listening skill.

4 – Students' limited knowledge is one of main factors that affect the development of students' listening comprehension ability.

5 – Subjects are not competent enough in the English language which influences their ability to be a good listener.

6- Environmental factors have a great influence on the progress of students' listening ability.

7 - Extensive listening plays a serious factor that affects the listening skill.

8 - Lack of exposure to different kinds of listening materials is considered as an essential factor in the improvement of students' listening skill.

9 -The difference between English and Arabic cultures is a factor which affects students' listening abilities.

10 - Students' inability of guessing unknown words is a serious factor that influences the progress of their listening comprehension skill.

11 – Students' lack of the complex grammatical structure is a factor that has a huge influence on the development of their listening skill.

This failure attributed to the following, students do not have a good command of English language and English culture because the complete difference between the two cultures and language. Also, they have grammatical problems and they do not practice this skill in order to be improved.

4. 3 RECOMMENDATIONS

This research has finished with the finding that the common problems which first year students in the English department, faculty of Arts have to practice the listening comprehension skill. On the base of the results obtained from this study the following recommendations are suggested for further studies. Furthermore, they should be clues for both students and teachers in order to work on to increase the abilities of the listening comprehension skill:

First of all the students, they should spend much more time on practicing. They should listen to a variety of topics in order to be familiar with them. Hence, the background knowledge will be enriched as well as the skill. In addition, the students should know to apply suitable strategies to each kind of listening text in order to get the best result. However, the skill of students will not be improved to its best without teachers. Second, teachers play such a significant role in building up students' skill. By each lesson, the teachers show their students the ways to develop each stage of listening comprehension. Generally, there are three stages: pre-listening, while-listening and post-listening. Furthermore, he or she will advise their students with the syllabus by which they can self-study at home. In short, this research does not focus on how teachers carry out their lesson but it is a chance to understand more about the student's problems.

REFERENCES

Books

Anderson, A & Lynch, L (1988). UK, Oxford University Press.

Bacon, S.M.(1992). The Relationship between gender, comprehension, processing strategies, and cognitive and affective response in foreign language listening.UK, Cambridge University Press.

Brown, G., & Yule, G. (1983). Teaching the spoken language. Cambridge: Cambridge University Press.

Brown, H. (1994).Principles of Language Learning and Teaching London: Longman Press.

Buck, G (2001). Assessing Listening. New York, Cambridge University Press.

Bueno, A, D. Madrid and N. McLaren. (2006) TEFL in Secondary Education

Cohen, A.D and Macaro, E. (2013). Oxford Applied Linguistic: Language Learners Strategies. Oxford: Oxford University Press.

Dubin, F.& Elite, O. (1986). Course Design: Developing Programs and Materials for Language Learning. Cambridge: Cambridge University Press.

Elk, H.(2005). Listening Comprehension and Anxiety in the Arabic Language Classroom. Modern Language Journal.

Flowerdew, J and Miller, J (1992). Students Perceptions Problems Strategies in Second Language Comprehension RELC Journal. UK, Cambridge University Press.

Frach, C. and G, Kasper. (1983) Plans and Strategies in Foreign Language Communication. London: Longman.

Granada: Editorial Universidad de Granada.

Goh,C.M (2002).A Cognitive Prospection on Language Learner's Listening Comprehension Problems. New York: Pergamon Press.

Goh,C.M.(2002). Exploring Listening Comprehension Tactics and their Interaction Pattern. New York: Elsevier Press.

Goh, C,M. and Vandergrift, L.(2012). Teaching and Learning Second Language Listening: Metacognition in Actions. New York: Rout ledge.

Hasn.A.S.(2000). Learner's Perceptions of Listening Comprehension Problems: Language culture and Curriculum. New York: Rout ledge Press.

Howatt, A. and J. Dakin. (1974) Language laboratory materials. Techniques in Applied Linguistics (Vol.3) London: Oxford University Press.

Kennedy,G. D. (1978). The Testing of Listening Comprehension. RELC Mono- graph Series. Singapore: Singapore University Press.

- Krashen, S. (1985). *The Input Hypothesis: Issues and Implications*. London: Longman.
- Mendelsohn, D. J. (1994). *Learning to listen: A strategy-based approach for the second language learner*. San Diego: Dominic Press.
- Mendelsohn, D.J. & Rubin, J.(1995). *A Guide for the Teaching of Second Language Listening*. San Diego, CA: Dominic Press.
- O' Malley, J.M and Chamot, A. U (1990). *Learning Strategies in Second Language Acquisition*. UK: Cambridge University Press.
- Purdy, M & . Borisoff ,D .(1997). *What is listening? (Eds.), Listening in everyday life: A personal and professional approach (2nd ed.)*. Lanham, MD: University Press of America.
- Rost, M. (2002). *Teaching and Researching Listening*. London, UK: Longman
- Rost, M. (1994). *Teaching and Researching Listening*. Britain: Edited by Christopher N. Canadian & David R. Hall. Longman.
- Rubin, J. (1994). *A review of Second Language Listening in Language Teaching*. New York : Cambridge University.
- Rubin, J.(1987). *Learners Strategies in Language Learning*. Hertford Shine: Prentice Hall.
- Schwartz, A.(1998). *Listening in a foreign language: in Modules for the professional preparation of teaching assistants in foreign*

languages. Grace Stovall Burkart; Washington, DC: Center for Applied Linguistics.

Steinberg, S.(2006), Introduction to Communication Course Book1: The Basic. South Africa :By Mega Digital

Teng, H. C. (2002). An investigation of EFL listening difficulties for Taiwanese college students. UK: Cambridge University Press.

Thompson, K.(2004). The integrative Listening Model: An approach to Teaching and Learning. Journal of English Education: The Pennsylvania State University Press.

Thompson, I. & Rubin, J (1996). Can strategy instruction improve listening comprehension? Foreign Language Annals. New York: The Modern Language Journal.

Underwood, M. (1989), Teaching Listening. London: Longman

Vandergrift, L., (1997), The Cinderella of Communication Strategies: Reception Strategies in interactive Listening .UK: Modern Language Journal.

Vandergrift, L. (2003), Orchestrating Strategy Use: Towards a Model of the Skilled Second Language Listeners. Language Learning.. UK.: ELT Journal: Oxford University Press.

Wolvin, A.D. (2010), Listening and Human Communication in the 21st Century. UK: Cambridge University Press.

Yagang, F.(1994), Listening: Problems and solutions. Washington: USIA Press.

News Paper Articles

Dr. Renukadevi, Number 1 (2014), Research India Publications. The Role of Listening in Language Acquisition; the Challenges & Strategies in Teaching Listening.

Dr Arafat, H. April (2013), An Investigation of Listening Comprehension Problems Encountered by Saudi Students in the EL Listening Classroom.

Dr.Lindsay, M. June (2009), Engineering Lectures in a Second Language: What Factors Facilitate Students' Listening Comprehension City University of Hong Kong: Asian EFL Journal Press.

Sarah H. September. (2008) Listening comprehension strategies and learning styles in foreign language education. Retrieved March. 22,2016.

Sara, N. Shu, S. February (2015). Iranian EFL Students' Listening Comprehension Problems. English Language Department, Faculty of Languages and Linguistics. Retrieved March. 21,2016.

Tomoko, K.(2012). Issues in Second Language Listening Comprehension and the Pedagogical Implications. Retrieved March. 20,2016 .